من مطبوعات
مكتبة إمام الدعوة العلمية
بمكة المكرمة
عدد (٢٤)

كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة

إعداد
عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس
إمام وخطيب المسجد الحرام

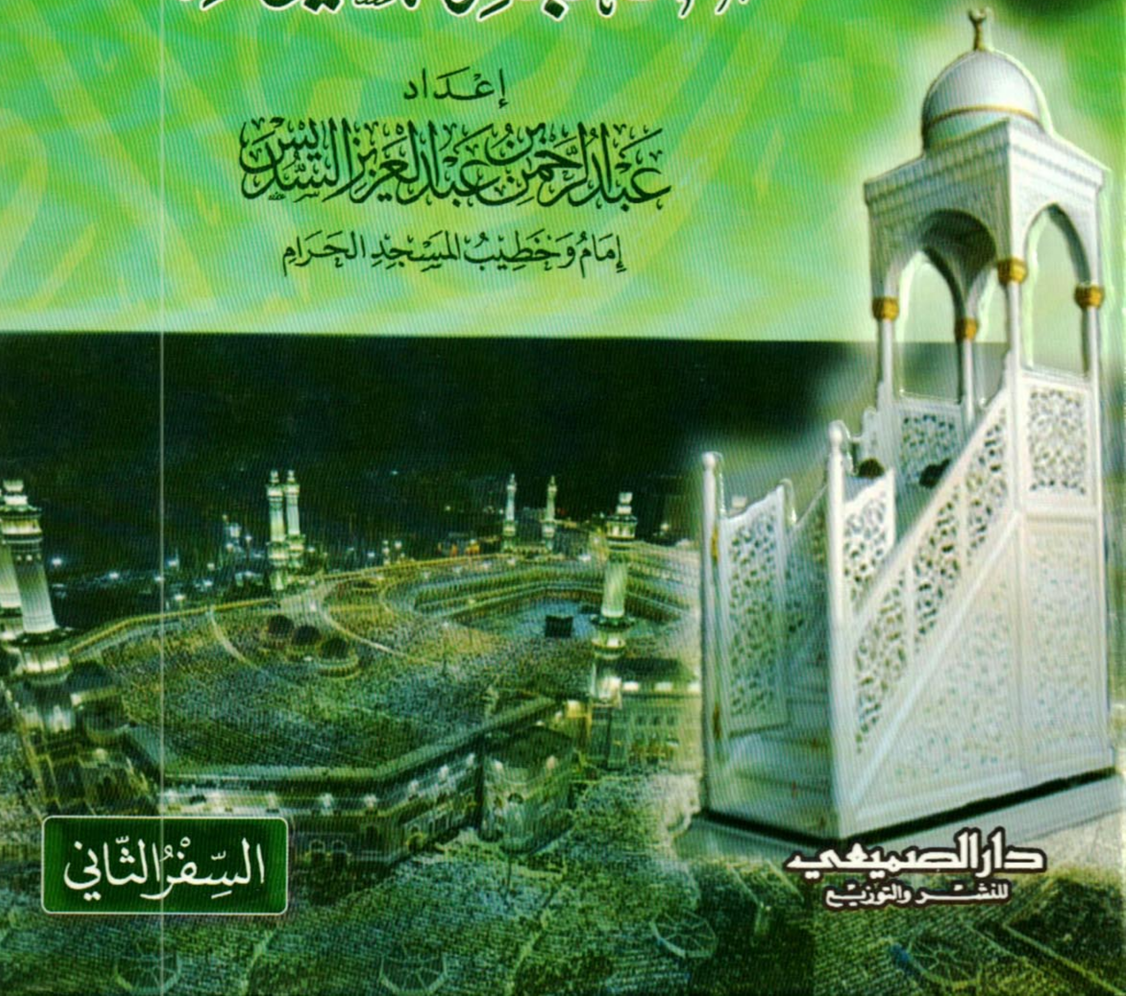

السفر الثاني

دار الصميعي
للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

دار الصميعي للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الرياض ص. ب : ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
المركز الرئيسي : الرياض - السويدي -
شارع السويدي العام
هاتف : ٤٢٦٢٩٤٥-٤٢٥١٤٥٩ ،
فاكس : ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم : عنيزة — بجوار مؤسسة الشيخ
ابن عثيمين الخيرية
هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس : ٣٦٢١٧٢٨
الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية
/ جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
daralsomaie@hotmail.com

المُقَدِّمَةُ

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، امْتَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِنِعْمَةِ الخَطَابَةِ، وَمَا أَزْكَاهَا! ـ سُبْحَانَهُ ـ أَوْضَحَ بِهَا سُبُلَ الرَّشَادِ وَجَلَّاهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، البَالِغُ مِنْ مَعَاقِدِ الفَصَاحَةِ ذُرَاهَا، المُتَبَوِّئُ مِنْ أَسْنِمَةِ الخَطَابَةِ أَرْقَاهَا، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَصَحْبِهِ المُحَجَّلِينَ، الحَائِزِينَ مِنْ رُتَبِ البَيَانِ وَالبَلَاغَةِ أَسْنَاهَا وَأَسْمَاهَا، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، مَا أَضَاءَتِ الفَرَاقِدُ فِي ارْتِفَاعِهَا وَعُلَاهَا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ كَانَ بَاعِثُ الابْتِهَاجِ وَالسُّرُورِ، وَحَادِي الاغْتِبَاطِ وَالحُبُورِ، أَنْ يَسَّرَ المَوْلَى ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ صُدُورَ السِّفْرِ الأَوَّلِ مِنَ الخُطَبِ الَّتِي وَفَّقَ اللهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لِإِعْدَادِهَا وَإِلْقَائِهَا مِنْ مِنْبَرِ المَسْجِدِ الحَرَامِ ـ زَادَهُ اللهُ تَكْرِيمًا وَتَشْرِيفًا ـ وَالمَوْسُومَةِ بِـ «**كَوْكَبَةِ الخُطَبِ المُنِيفَةِ مِنْ مِنْبَرِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ**»، وَقَدْ كَانَ بِفَضْلِ اللهِ ـ بِشَهَادَةِ مَنِ اطَّلَعَ وَتَابَعَ ـ فِي أَبْهَى المَنَاظِرِ، بِمَا يُثْلِجُ الفُؤَادَ وَيَخْلِبُ النَّاظِرَ، وَلِذَلِكَ فَإِنِّي لَأَلْهَجُ بِمَدِيدِ

الشُّكْرِ لله - تبارَكَ وتَعالَى - أَوَّلًا وآخِرًا، وَظَاهِرًا وباطِنًا، عَلَى مَا أَوْلَى مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ، وَمَا أَسْدَى مِنْ ذَلِكَ الإِحْسَانِ وَالمِنَّةِ.

وَإِنَّ مِمَّا زَادَ فِي مُسْتَطِيلِ المَسَرَّةِ، وَمُسْتَفِيضِ الغِبْطَةِ: الِانْتِشَارُ المَدِيدُ، وَالاحْتِفَاءُ الشَّدِيدُ، وَالسَّيْرُورَةُ الشَّرُودُ، وَالذِّكْرُ الحَسَنُ، وَالثَّنَاءُ العَاطِرُ - جَعَلَهُ الله خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ - الذِي لَقِيَهُ الكِتَابُ لَدَى أَوْسَاطِ المُجْتَمَعِ وَأَطْيَافِهِ، خُصُوصًا الدُّعَاةُ الفُضَلَاءُ، وَالخُطَبَاءُ النُّبَلَاءُ، وَأَهْلَ الوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ الأَخْيَارُ، مِمَّا كَانَ لَهُمْ - بِحَمْدِ الله وَمَنِّهِ - خَيْرُ زَادٍ وَمُعِينٍ، وَأَهْنَى رَافِدٍ مَعِينٍ، فِي القِيَامِ بِأَعْبَاءِ الدَّعْوَةِ وَالتَّوْجِيهِ وَالبَلَاغِ.

ذَاكَ شَأْنُهُ فِي الدَّاخِلِ، أَمَّا فِي الأَقْطَارِ وَالآفَاقِ، فَقَدْ تَلَقَّاهُ الجَمُّ الغَفِيرُ بِالتَّلَهُّفِ وَالأَشْوَاقِ، عَلَى وَجْهٍ سَوَاءٍ، بَيْنَ: المَسَاجِدِ وَالمَرَاكِزِ وَالمُؤَسَّسَاتِ، وَالهَيْئَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ، فِي أَنْحَاءِ العَالَمِ قَاطِبَةً، فَضْلًا عَنِ اهْتِمَامِ الأَخِلَّاءِ، وَمُتَابَعَاتِ الأَحِبَّةِ وَالأَوِدَّاءِ، وَيَعْلَمُ الله كَمْ هِيَ المُهَاتَفَاتُ وَالخِطَابَاتُ وَالطَّلَبَاتُ التِي تَلَقَّيْتُهَا مِنَ المُحِبِّينَ - لَا عَدِمْنَاهُمْ وَعَيْنُ الله تَرْعَاهُمْ - مِمَّا ضَاعَفَ المَسْؤُولِيَّةَ وَالتَّبِعَةَ، لِمُوَاصَلَةِ نَشْرِ الحَلْقَاتِ الذَّهَبِيَّةِ، وَالدُّرَرِ السَّنِيَّةِ التِي نَاهَزَتِ العَشْرَةَ أَسْفَارٍ - يَسَّرَ الله وَأَعَانَ عَلَى طَبْعِهَا - لِهَذِهِ الخُطَبِ العَلِيَّةِ. ذَلِكَ، عَلَى افْتِقَارٍ لِلْبَارِي - سُبْحَانَهُ - وَضَرَاعَةٍ إِلَيْهِ، بِالثَّبَاتِ وَالإِخْلَاصِ وَالتَّوْفِيقِ.

يَا سِفْرُ إِنِّي قَدْ صَحِبْتُكَ فِي خَلَا وَفِي الآصَالِ وَالأَبْكَارِ
فَلَيَالِ وَصْلِكَ لَا تُمَلُّ وَحَبَّذَا لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ بِلَا أَسْحَارِ

أَخِي القَارِئَ الكَرِيمُ، أَخِي الخَطِيبُ المُوَفَّقُ: وَهَاهُوَ السِّفْرُ الثَّانِي عَلَى نَسَقِ سَلَفِهِ، بَلْ لَعَلَّهُ يَكُونُ فِي أَبْهَى حُلَّةٍ، وَأَفْضَلِ خُلَّةٍ، قَدْ انْبَلَجَ عَنْ غُرَّتِهِ الصَّبَاحُ، وَبَعَثَ رَيِّ مُحَيَّاهُ عَلَى الانْشِرَاحِ، وَتَفَتَّقَتْ أَكْمَامُهُ عَنْ أَشْذَى أَقَاحٍ، فَضْلًا وَمَنًّا مِنَ الوَهَّابِ الفَتَّاحِ.

وَمِمَّا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ - هُنَا -: أَنَّ مُقَدِّمَةَ السِّفْرِ الأَوَّلِ، انْطَوَتِ الحَدِيثَ عَنِ الخَطَابَةِ وَتَارِيخِهَا، وَأَهَمِّيَّتِهَا، وَآثَارِهَا، وَثِمَارِهَا، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالخَطِيبِ: سُلُوكًا وَآدَابًا، وَمُثَابَرَةً وَاجْتِهَادًا، وَالخُطْبَةِ: تَأْسِيسًا وَتَأْصِيلًا وَإِعْدَادًا، بِمَا يَكْفِي وَيَشْفِي عَنْ تَكْرَارِهِ أَوِ اخْتِصَارِهِ فِي هَذِهِ الصَّفَحَاتِ، وَإِنَّمَا جَرَى التَّنْوِيهُ لِمَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ وَمَزِيدَ الفَائِدَةِ.

أَخِي المُحِبُّ المِفْضَالُ: وَفِي هَذَا الجُزْءِ الثَّانِي تَكْتَحِلُ مُقْلَتَاكَ بِمَرْأَى أَرْبَعِينَ خُطْبَةٍ، بَلَغَتْ أَشُدَّهَا، وَاسْتَوَتْ عَلَى سُوقِهَا: تَأَنَّقَ الخَاطِرُ فِي تَهْذِيبِهَا، وَتَعَنَّى الفُؤَادُ العَمِيدُ لِتَشْذِيبِهَا، وَمَا كَاعَ اليَرَاعُ عَنْ تَخْضِيدِهَا، فِي اللَّيْلِ وَهُجُوعِهِ، وَكَذَا فِي النَّهَارِ وَمُتُوعِهِ، بَيْنَ تَنْقِيحٍ وَتَحْرِيرٍ، وَتَوْشِيَةٍ وَتَحْبِيرٍ، مُتَوَخِّيًا بَلَاغَةَ الأَدَاءِ، وَبَرَاعَةَ الإِلْقَاءِ، وَالحُجَّةَ الآخِذَةَ، وَالفِكْرَةَ النَّافِذَةَ، الَّتِي تَغْمُرُ الرُّوحَ، وَتُشِعُّ فِي أَقْطَارِ النَّفْسِ،

مُوَشَّحَةً بِنُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالنُّقُولِ المُهِمَّةِ عَنْ سَلَفِ الأُمَّةِ، مُضَمَّخَةً بِمَأْثُورِ الأَقْوَالِ وَالحِكَمِ، مُنَمْنَمَةً بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشِّعْرِ الحَكِيمِ، الَّذِي جَمَعَ لَطِيفَ التَّصْرِيعِ، وَجَمَالَ التَّرْصِيعِ، فِي المَعْنَى الرَّائِقِ المَنِيعِ، وَالمَغْزَى الوَجِيزِ البَدِيعِ، مَعَ حِرْصٍ حَمِيدٍ فِي الازْدِلَافِ إِلَى قَضَايَا الوَاقِعِ لِتَتَنَخَّلَهَا وَتُجَلِّيهَا، وَلِتُمَازِجَ مُعْضِلَاتِ الأُمَّةِ فَتُعَالِجَهَا وَتُعَفِّيهَا - بِإِذْنِ اللهِ.

كَمَا عَالَجَ هَذَا الرِّكَازُ الأَثْمَنُ، قَضَايَا عَقَدِيَّةٍ وَمَنْهَجِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ، وَتَطَرَّقَ لِبَعْضِ المُسْتَجِدَّاتِ وَالنَّوَازِلِ الَّتِي كَانَتْ فِي الأُمَّةِ كَالزَّلَازِلِ، مِمَّا اقْتَضَى إِضَافَةَ قِسْمَيْنِ جَدِيدَيْنِ مُهِمَّيْنِ، هُمَا فِي أَحْوَجِ مَا تَكُونُ لَهُمَا الأُمَّةُ، فِي ظِلِّ المَشَارِبِ الهَادِمَةِ، وَالأَفْكَارِ الضَّارِيَةِ الهَاتِمَةِ، مَعَ مَا شَيَّعَ ذَلِكَ مِنَ الأَقْنِيَةِ الفَضَائِيَّةِ، وَالتِّقَانَاتِ الوَثَّابَةِ، الَّتِي جَعَلَتْ كَثِيرًا مِنَ الأَوْطَانِ مَسَارِحَ دَمَارٍ وَبَوَارٍ، سَوَاءٌ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا...!!

وَهَذَانِ القِسْمَانِ هُمَا:

١ - مَعَالِمُ فِي المَنْهَجِ (وَهُوَ القِسْمُ الثَّامِنُ).

٢ - بَصَائِرُ فِي الأَحْدَاثِ وَالنَّوَازِلِ (وَهُوَ القِسْمُ التَّاسِعُ).

وَحُجِبَ: قِسْمُ الطَّهَارَةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالمُعَامَلَاتِ، وَالجِهَادِ وَالحِسْبَةِ.

أَيُّهَا القَارِئُ الأَرِيبُ: وَإِنَّ مِمَّا يَحْسُنُ رَبْطُهُ وَذِكْرُهُ، بِقَضِيَّةِ المُعَايَشَةِ أَوِ المُلَامَسَةِ لِمُشْكِلَاتِ المُجْتَمَعِ وَمِحَنِ الأُمَّةِ، أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الخُطَبَاءِ

ـ وَفَّقَهُمُ اللهُ ـ لَا تَؤُودُهُمُ المُسْتَجِدَّاتُ، وَلَا يَلْوُونَ عَنْ مُلِمَّاتِ الأُمَّةِ النَّاجِمَاتِ!! وَهَذَا مِمَّا يُفْقِدُ الخَطِيبَ تَكَامُلَهُ وَشُمُولَهُ، وَيَسْلِبُ الخُطْبَةَ جَوْهَرَهَا الوَهَّاجَ، وَيُغَوِّرُ مَعِينَهَا الثَّجَّاجَ، حَتَّى غَدَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ المَنَابِرِ ـ وَذَلِكَ مَدْعَاةُ أَسًى ـ لَا تَهْدِفُ إِلَى جَلِيلِ مَقْصَدٍ وَغَايَةٍ، وَلَا تَنْشُدُ عَظِيمَ مُرَادٍ وَهِدَايَةٍ، يُضَافُ: غِيَابُ التَّوَازُنِ وَالتَّأْصِيلِ فِي الطَّرْحِ، وَغَلَبَةُ العَاطِفَةِ المَشْبُوبَةِ، واللهُ الهَادِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

تِلْكَ إِضَاءَةٌ اقْتَضَاهَا المَقَامُ، دُونَ إِسْهَابٍ أَوْ إِطْنَابٍ.

أَيُّهَا القُرَّاءُ الأَكَارِمُ: وَمِنَ المَسَائِلِ الجَدِيرَةِ بِالسِّيَاقِ فِي هَذِهِ المُقَدِّمَةِ، وَالَّتِي تُتَطَارَحُ عَلَى وَجْهِ المَلْحُوظَةِ مِنْ قِبَلِ المُحِبِّينَ ـ لَا زَالُوا مُسَدَّدِينَ ـ مَسْأَلَةُ الأَسْجَاعِ، قَصْدَ الرَّوْنَقِ وَالإِبْدَاعِ، فَكَثِيرٌ مِنْهُم رُبَّمَا امْتَعَضَ مِنَ السَّجْعِ؛ لِـمَا جَاءَ مِنْ كَرَاهَتِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «**أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الكُهَّانِ؟!**»[1]، وَيُمْكِنُ أَنْ يُجَابَ عَنْ ذَلِكَ: بِأَنَّ المُرَادَ بِالذَّمِّ ـ هُنَا ـ هُوَ: السَّجْعُ المُتَكَلَّفُ المَمْجُوجُ، الذِي يَقَعُ فِي الآذَانِ كَالإِزْمِيرِ فَيَخْرِقُهَا! أَمَّا السَّجْعُ الذِي انْعَقَدَ عَلَى المَعْنَى الشَّرِيفِ الكَرِيمِ، وَفِي أَحْسَنِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٨٢) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه بلفظ: «**كَسَجْعِ الأَعْرَابِ**»، وأخرجه البخاري (٥٧٥٨)، ومسلم (١٦٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «**إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الكُهَّانِ**»، زاد مسلم: «**مِنْ أَجْلِ سَجْعِهِ الَّذِي سَجَعَ**».

تَرْنِيمٍ، فَإِنَّ النَّفْسَ الشَّاعِرَةَ الشَّفِيفَةَ، تَأْنَسُ لإِيقَاعِهِ، وَتَهْفُو لِسَمَاعِهِ.

وَإِنَّ أَوْسَطَ مَنْ أَجَابَ عَمَّا ظَاهِرُهُ الكَرَاهَةَ - فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ - الإِمَامُ ابْنُ الأَثِيرِ - رَحِمَهُ اللهُ - حَيْثُ قَالَ: «لَوْ كَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ السَّجْعَ مُطْلَقًا لَقَالَ: «**أَسَجْعٌ**» ثُمَّ سَكَتَ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: «**أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الكُهَّانِ؟!**»، فَصَارَ المَعْنَى مُعَلَّقًا عَلَى أَمْرٍ، وَهُوَ إِنْكَارُ الْفِعْلِ لَمَّا كَانَ عَلَى هَذَا الوَجْهِ، فَعُلِمَ أَنَّهُ ذَمَّ مِنَ السَّجْعِ مَا كَانَ مِثْلَ سَجْعِ الكُهَّانِ لَا غَيْرَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَذُمَّ السَّجْعَ عَلَى الإِطْلَاقِ». بَلْ لَا يَخْفَى أَنَّهُ مَنْقَبَةٌ، وَهَلِ البَلَاغَةُ إِلَّا ذَاكَ مَعَ الإِيجَازِ، وَهُوَ أُسْلُوبُ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَأَسَاطِينِ الخَطَابَةِ عَبْرَ التَّأْرِيخِ!! وَإِنْ كُنْتُ أَلْتَمِسُ العُذْرَ لِلنَّاقِدِ النَّاصِحِ، فَأُذُنَاهُ لَمْ تَعْتَدَا إِلَّا سَمَاعَ الْكَلَامِ الإِنْشَائِيِّ المُجَرَّدَ عَنْ صُوَرِ الفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ إِلَّا لِمَامًا.

وَالمُتَأَمِّلُ فِي سُوَرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَأَحَادِيثِ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةِ، يُلْفِي ذَلِكَ الأُسْلُوبَ البَلَاغِيَّ الفَصِيحَ جَلِيًّا مُتَأَلِّقًا، بَلْ إِنَّهُ ﷺ غَيَّرَ الكَلِمَةَ عَنْ وَجْهِهَا إِتْبَاعًا لِأَخَوَاتِهَا؛ مِنْ أَجْلِ السَّجْعِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ**»[1]، وَإِنَّمَا أَرَادَ «مَوْزُورَاتٍ» مِنَ الوِزْرِ، فَقَالَ: «**مَأْزُورَاتٍ**»؛ لِمَكَانِ «**مَأْجُورَاتٍ**» طَلَبًا لِلتَّوَازُنِ وَالسَّجْعِ، وَهَذَا يَدُلُّ

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٨)، والبزار (٢/ ٢٤٩) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

عَلَى مُرَاعَاةِ السَّجْعِ غَيْرَ المُتَكَلَّفِ.

وَدُونَكَ - يَا رَعَاكَ اللهُ - أَمْثِلَةً مِنْ أَسْجَاعِهِ العَذْبَةِ الرَّقِيقَةِ، اللَّدْنَةِ الشَّفِيقَةِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»(١).

وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، - وَلَمْ يَقُلْ ﷺ: وَالنَّاسُ نَائِمُونَ أَوْ رُقُودًا!- تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(٢).

وَقَوْلِهِ ﷺ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»(٣). وَكَمْ لِذَلِكَ مِنْ أَمْثَالٍ، بِحَمْدِ اللهِ الكَبِيرِ المُتَعَالِ، فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ - هُدِيتَ الرَّشَادَ - وَاحْذَرِ اللَّجَجَ وَالإِثْقَالَ. وَبِمَا سَبَقَ بَيَانُهُ، قَدِ اتَّضَحَ - فِي مَسْأَلَةِ السَّجْعِ - الحَقُّ وَاعْتَلَى، وَاسْتَبَانَ وَانْجَلَى.

ذَلِكَ، وَقَدْ دَرَجَ الأَبْيِنَاءُ مِنَ البُلَغَاءِ، وَالمَصَاقِعُ مِنَ الخُطَبَاءِ، وَالحُذَّاقُ مِنْ ذَوِي الأَشْعَارِ وَالنِّثَارِ، عَلَى اسْتِعْمَالِ السَّجْعِ وَاسْتِرْفَادِهِ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (٣٢٥١)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٤٥١)، والدارمي في «سننه» (١٤٦٠) من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نَعَمْ! وَكَيْفَ تُصْدَعُ القُلُوبُ، وَيُجْرَى ذَنُوبُ المَدَامِعِ مِنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ، وَأَنَّى يَتَأَتَّى التَّحْذِيرُ وَالإِنْذَارُ، وَالإِيغَالُ فِي التَّخْوِيفِ وَالإِخْبَارِ، وَالاسْتِحْسَانُ وَالاسْتِصْغَارُ، إِلَّا بِالإِسْهَابِ وَالإِشْبَاعِ، وَالتَّحْسِينِ وَالإِسْجَاعِ، بِمَا يَخْلِبُ مَطَاوِي النُّفُوسِ، وَيَسْتَرِقُّ حَبَّاتِ الأَفْئِدَةِ!!! وَقَدْ قِيلَ: لَا يَحْسُنُ مَنْثُورُ الكَلَامِ وَلَا يَحْلُو، حَتَّى يَكُونَ مُسَجَّعًا.

فَكَيْفَ إِذَا كَانَتِ الخُطْبَةُ يُدَوَّى بِهَا مِنْ أَعْلَى وَأَشْرَفِ وَأَعْظَمِ مِنْبَرٍ عَالَمِيٍّ، وَتُسْكَبُ فِيهَا حُشَاشَةُ الرُّوحِ، وَخُلَاصَةُ النَّفْسِ، لِمُدَّةٍ: زُهَاءَ الشَّهْرِ، وَيَتَسَمَّعُهَا ـ حُضُورًا ـ مَا لَا يُحْصَى خَلْقًا، مَنْ هُمْ: فِي الذُّؤَابَةِ مِنَ العِلْمِ وَالحَصَافَةِ وَالبَيَانِ وَالبَلَاغَةِ!! لَعَمْرُو الحَقِّ، فَإِنَّ الأَمْرَ آكَدُ وَأَحَقُّ، وَأَعْظَمُ وَأَشَقُّ!!! وَعَلَى كُلٍّ، فَالتَّوَسُّطُ وَالاعْتِدَالُ، هُوَ المَرَامُ وَمَحَلُّ الامْتِثَالِ.

أَحِبَّتِي القُرَّاء: وَهُنَا إِلْمَاحَةٌ إِلَى أَنْ تُرَوَّضَ الأُمَّةُ، وَيُؤَصَّلَ الجِيلُ، عَلَى النَّقْدِ العِلْمِيِّ الهَادِفِ، ذِي الأُفُقِ المَدِيدِ، وَالإِغْضَاءِ الرَّحِيبِ، فِيمَا لَا يَمَسُّ الأُصُولَ الثَّوَابِتَ، وَأَنْ تَكُونَ الأُمَّةُ رَحْبَةَ الذِّرَاعِ فِي حُسْنِ الظَّنِّ وَالتَّأْوِيلِ السَّائِغِ، وَسَعَةِ الصَّدْرِ فِي أَوْجُهِ النَّظَرِ وَالاعْتِبَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، وَهَذَا الاخْتِلَافُ هُوَ اخْتِلَافُ الرَّحْمَةِ وَالسَّعَةِ وَالشُّمُولِ، فِيمَا يَسُوغُ فِيهِ

الخِلَافُ، وَلَا مَحْذُورَ فِيهِ؛ لِأَنَّ أَفْهَامَ الرِّجَالِ لَيْسَتْ وَحْيًا، وَمَدَارِكَهُمْ لَيْسَتْ عَلَى سَنَنٍ وَاحِدٍ، وَلْيَكُنِ التَّرْكِيزُ عَلَى المَقَاصِدِ وَالمَعَانِي، لَا الأَلْفَاظِ وَالمَبَانِي، الَّتِي تَتَّسِعُ فِيهَا وُجْهَاتُ النَّظَرِ، وَتَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ القَرَائِحِ وَالفِكَرِ، وَعَلَيْهِ، لِمَاذَا الإِشْقَاقُ عَلَى النَّفْسِ، وَإِعْنَاتُ الغَيْرِ؟! أَخْلَصَ اللهُ النَّوَايَا، وَأَصْلَحَ الطَّوَايَا، بِمَنِّهِ وَجُودِهِ.

وَفِي الخِتَامِ، آمُلُ أَنْ يَتَلَقَّى المُسْلِمُونَ الأَعِزَّةُ، وَالمُنْصِفُونَ الأَحِبَّةُ، وَالدُّعَاةُ وَالخُطَبَاءُ المُبْدِعُونَ، وَالإِخْوَةُ الغُيُرُ، هَذَا الجُهْدَ المُتَوَاضِعَ - وَكُلَّ عَمَلٍ مُخْلِصٍ بَنَّاءٍ - بِمَحْضِ المَوَدَّةِ، وَحُسْنِ الطَّوِيَّةِ، وَشَفِيفِ النِّيَّةِ، وَوَثِيقِ التَّآخِي وَالأُلْفَةِ، دُونَ تَوَجُّسٍ أَوِ انْفِعَالٍ، أَوْ تَجَهُّمٍ فِي المَلْحَظِ وَاسْتِعْجَالٍ، بَلْ بِنَقْدٍ لَطِيفٍ، وَنُصْحٍ وَرِيفٍ: يَتَوَخَّى أَنْبَلَ المَحَامِلِ، وَأَنْدَى المَعَاذِيرِ وَالوُجُوهِ، واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ، وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالتَّسْدِيدِ.

وَمِسْكُ الخِتَامِ: الشُّكْرُ المَزِيدُ، وَالحَمْدُ المَدِيدُ، لِلْمُنْعِمِ المُتَفَضِّلِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَلَوْلَا تَوْفِيقُهُ وَإِفْضَالُهُ لَمَا تَحَقَّقَ هَذَا الجُهْدُ المُبَارَك، ثُمَّ يَسُرُّنِي أَنْ أَسُوقَ مِنَ الدُّعَاءِ أَوْفَرَهُ، وَمِنَ الثَّنَاءِ أَعْطَرَهُ، لِكُلِّ مَنْ بَذَلَ وَحَفَّزَ، وَتَابَعَ وَشَجَّعَ، وَشَكَرَ وَأَثْنَى، مِنْ وُلَاةِ الأَمْرِ، وَالعُلَمَاءِ، وَالخُطَبَاءِ وَالبَاحِثِينَ، وَالفُضَلَاءِ، لَهُمْ مِنْ أَخِيهِمْ وَمُحِبِّهِمْ عَظِيمَ الامْتِنَانِ

وَالتَّقْدِيرِ، كَمَا أَضْرَعُ إِلَى البَارِي ـ جَلَّ فِي عُلَاه ـ فِي أَصْدَقِ نِيَّةٍ مَرْفُوعَةٍ، وَأَخْلَصِ دَعْوَةٍ مَسْمُوعَةٍ، أَنْ يَجْعَلَ هَذَا العَمَلَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا جَاهَ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ العِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ، وَالهُدَى وَالرَّشَادَ، وَالتَّقْوَى وَالإِسْعَادَ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِمَشَايِخِنَا، وَمَنْ أَحَبَّنَا فِيهِ وَأَحْبَبْنَاهُ فِيهِ، وَمَنْ كَانَ سَبَبًا فِي إِصْدَارِ السِّفْرِ الأَوَّلِ وَنَشْرِهِ، وَالسِّفْرِ الثَّانِي وَنَشْرِهِ، إِنَّهُ أَكْرَمُ مَرْجُوٍّ، وَأَرْحَمُ مَدْعُوٍّ. اللَّهُمَّ عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِذُلِّي وَعَجْزِي وَفَقْرِي إِلَيْكَ انْتَهَيْتُ، اللَّهُمَّ غَيْرَ وَجْهِكَ مَا ابْتَغَيْتُ وَلَا ارْتَضَيْتُ، وَمَا النَّفْعَ إِلَّا لِعِبَادِكَ قَصَدْتُ وَنَوَيْتُ، وَلِدِينِكَ القَوِيمِ دَعَوْتُ وَأَعْلَيْتُ، أَنْتَ حَسْبِي وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، وَالحَمْدُ للهِ الذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ، وَزِدْ وَبَارِكْ وَأَنْعِمْ، عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الأَكْرَمِين، وَصَحْبِهِ الغُرِّ المَيَامِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

المؤلِّف:

أ.د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السُّدَيْس

مكة المكرمة ـ حرَسَها الله

غُرَّة شهر الله المحرم/ ١٤٣٢هـ

القسم الأول:
القرآن الكريم

الخُطْبَةُ الأُولَى:

الحَمْدُ للَّـهِ الَّـذِي خَصَّنا بِنِعَمٍ غِزارٍ وَأَوْلانا، وَجَادَ عَلَيْنَا بِآلاء تَتْرَىٰ، وحَبانا ـ سُبْحانه ـ تَفَضَّلَ عَلَى عِبَادِهِ بِمِنَّةٍ لا تُضاهَى ولا تُدَانَىٰ، وهَدَانَا سُنَّةً مُبارَكَةً وقُرْآنا: هُوَ النُّور الْمُبِيْن، وَأَعْظِمْ بِهِ كَلامًا لِلْمَوْلَى وَبُرْهَانًا، أُنْزِلَ هُدًى لِلْعَالَمِيْنَ، وَلِلْحَقِّ تَبْصِرَةً وَتِبْيَانًا.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً نَلْهَجُ[1] بِهَا سِرًّا وَإِعْلَانًا، ونَسْتَرْفِعُ بها الدَّرَجاتِ العُلَا ونَسْتَثْقِلُ المِيْزَانَا، وأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَأُسْوَتَنا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُه، أَحْيَى بالقُرْآنِ أُمَّةً ظَلَّت مُمَزَّقَةً أَزْمَانًا، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِه وَصَحْبِهِ، الَّذِيْن اسْتَعْصَمُوا بِالذِّكْرِ الْحَكِيْمِ، فَلَقَّاهُمْ عِزَّةً وسُلْطَانًا، ومَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ يَرْجُو مِنْ رَبِّهِ رَحْمَةً وَغُفْرَانًا وجِنانًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه، وَاسْتَعْصِمُوا بِأَحْكَامِ

---

(١) لَهَجَ بالأَمرِ لَهَجًا: أولع به، فثابر عليه واعتاده. يُنْظر: «اللسان» (لهج).

كِتَابِهِ الْـمُبِين وَهِدَايَاتِه، وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّقْوَى: سَبِيلُ الْبَرَكَاتِ الدِّرَارِ، والنِّعَمِ والمَسَارّ، ونِبْرَاسُ العِزَّةِ وَالانْتِصَارْ، وَمِيْسَمُ[1] الهُدَاةِ وَالأَخْيَارْ، فَكَمْ ـ لَعَمْرُ الحقِّ ـ بَلَّغَت آمَالَا، وحَقَّقَتْ مَنَالَا، وَأَصْلَحَت أَحْوَالَا، وفَثَأَتْ[2] أَوْجَالَا[3]، يَقُولُ المَوْلَىٰ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ: في اجْتِزَاءٍ لِلْقَوْلِ واقْتِضَابٍ، يُقَالُ: إنَّ الحَيَاةَ الاجْتِمَاعِيَّةَ والدِّيْنِيَّةَ، قَبْلَ تَنَزُّلِ الوَحْيِ المُبَارَكِ في جَزِيْرَةِ الْعَرَبِ ـ بَل العَالَمِ أَجْمَع ـ كَانَتْ مُمَزَّقَةَ الإِهَابِ، مُفْتَرَسَةَ الجَنَابِ، مِنَ النُّورِ في يَبَابٍ[4]، ومِنَ الحَضَارَةِ فِي تَبَابٍ[5]، دِيَانَتُهَا: الشِّرْكُ وَعِبَادَةُ الأَوْثَانِ، وَقَانُونُهَا: البَاطِلُ وَشِرْعَةُ الغَابِ، إلى أَنْ أَرْسَلَ المَوْلَى ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ خَيْرَ

(١) الـمِيْسَمُ: العلامة والأثر. يُنظر: «تاج العروس» (وسم).

(٢) فَثَأَ: الفاء والثاء والهمزة أَصلٌ يدل على تسكين شيء يغلي ويفور، يُقال: فَثَأَ القِدْرَ: سَكَّنَ مِنْ غَلَيَانِها بماءٍ ونحوه. يُنظر: «معجم مقاييس اللغة» (فثأ).

(٣) الوَجَلُ: الفَزَعُ والخَوْفُ، وَجَمْعُهُ: أَوْجَالٌ. ينظر: «تاج العروس» (وجل).

(٤) يَبَابٌ: أي: خَرَابٌ، واليَبَابُ عند العرب: الخالي ليس فيه أحد. يُنظر: «اللسان» (يبب).

(٥) التَّبَابُ: أي: الخسران والهلاك. يُنظر: «اللسان» (تبب).

العِبَادِ ﷺ في أَطْهَرِ البِلَادِ، بِأَعْظَمِ كِتَابٍ، وأَعْجَزِ خِطَابٍ، يَقُولُ العَزِيْزُ الوَهَّابُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء].

ودُونَكُم التَّفْصِيْلُ - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - نَقْعًا لِلْغُلَّةِ، وبَلَالًا لِلْأُوَامِ[1]، وَأَسْوًا لِلْمَشُوقِ مِنَ اللَّوَاعِجِ[2] وَالهُيَامِ.

أُمَّةَ التَّنْزِيلِ: الحَدِيْثُ عَنِ القُرْآنِ المُبِيْنِ، والذِّكْرِ الحَكِيْمِ، مُتَرَامِي المَدَى، عَظِيْمِ الجَدَا[3]، عَمِيْمِ العِبَرِ وَالهُدَى، عَذْبِ المَوَارِدِ أَبَدًا، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف]، **إِنَّه كَلَامُ البَارِئِ الدَّيَّان، وَحَدِيْثُ الكَرِيمِ المَنَّانِ، قَصُرَتْ دُوْنَ تَجْلِيَةِ لَطَائِفِهِ وَدَقَائِقِهِ، أَقْلَامُ النَّحَارِيْرِ**[4]

---

(١) الأُوَامُ: العطش، وقيل: حَرُّه، وقيل: شدة العطش. ينظر: «اللسان» (أوم).

(٢) اللَّعْجُ: أَلَمُ الضَّرْب وكلُّ مُحْرِقٍ، والجمع: لواعج. ينظر: «تاج العروس» (لعج).

(٣) الجَدَا والجَدْوَى: العَطِيَّةُ. ينظر: «تاج العروس» (جدو).

(٤) النِّحْرِيرُ: الحاذِقُ الماهِرُ العاقِلُ المُجرِّب، وقيل: الرجلُ الطَّبِن المُتقِنُ، الفَطِنُ البَصيرُ بكلّ شيءٍ، مأخوذٌ من قولهم: نَحَرَ الأمورَ عِلمًا، أي: لأنّه يَنْحَرُ العلمَ نَحْرًا، والجمع: النَّحَارِير. يُنظر: «تاج العروس» (نحر).

وَبَرَاعَاتِهِمْ، وَمَرَاقِمُ[1] الأَسَاطِيْنِ[2] وَبَلَاغَاتِهِمْ، وَحَصِرَتْ[3] دُوْنَ سَبْرِ مَعَانِيْهِ وَحَقَائِقِهِ مِدَادَاتُ الأَبْيِنَاءِ[4] وَيرَاعَاتِهِمْ[5]، يَقُوْلُ المَوْلَى ـ جَلَّ شَأْنُهُ ـ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء]، وَمَا شَأْنُ ذَلِكَ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ إِلَّا لِأَنَّ فِيْهِ أَكْمَلَ الأَحْكَامِ، وَأَشْرَفَ الآدَابِ، وَأَعْظَمَ الآرَابِ، وَأَقْوَمَ السُّبُلِ، وَأَحْكَمَ المَنَاهِجِ، وَأَوْفَرَ البَشَائِرِ، وَمُنْيَةَ كُلِّ لَاهِجٍ، وَأَغْزَرَ المَبَاهِجِ. فَصَّلَه البَارِي بِالحِكَمِ البَالِغَةِ الأَمْثَالِ، فَجَلَّ عَنِ النَّظِيْرِ وَالمِثَالِ، وَأَكْمَلَ بِهِ الدِّينَ كُلَّ الكَمَالِ، قَالَ ـ سُبْحَانَه ـ:

---

(١) المِرْقَمُ: كُلُّ أَدَاةٍ لِلرَّقْمِ أَوِ الكِتَابَةِ أَوِ التَّصْوِيرِ أَوِ النَّقْشِ، والجمع: مَرَاقِمُ. ينظر: «تاج العروس»، و«المعجم الوسيط» (رقم).

(٢) أَسَاطِينُ: جمع أُسْطُوانَة وأُسطون، يُقال: أَسَاطِينُ العِلْمِ: عُظَمَاؤُهُ، وأَسَاطِينُ الزَّمَانِ: حُكَمَاؤُهُ. ينظر: «اللسان» (سطن).

(٣) الحَصَرُ: العِيُّ، وهو أيضًا: ضِيقُ الصَّدر، وكل من امتنع عن شيء فَلَمْ يقدر عليه فقد حصر عنه. يُنظر: «الصحاح» (حصر).

(٤) يُقال: بَانَ بَيانًا: اتَّضَحَ، فهو بَيِّنٌ، والجمع: أَبْيِناءُ. يُنظر: «تاج العروس» (بين).

(٥) اليَرَاعُ: القَصَبُ، ويَرَاعَات: أَقلامٌ تُتخذ من القصب، يُقال: كَتَبَ الكاتِبُ باليَرَاعَةِ، أي: بالقَلَمِ. يُنظر: «تاج العروس» (يرع).

﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]، وَعَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ - إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ - كِتَابُ اللَّهِ»(١).

قَالَ الإِمَامُ الشَّاطِبِي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «إِنَّ الكِتَابَ قَدْ تَقَرَّرَ أَنَّهُ كُلِّيَّةُ الشَّرِيْعَةِ، وَعَمُودُ المِلَّةِ، وَيَنْبُوْعُ الحِكْمَةِ، وَآيَةُ الرِّسَالَةِ، وَنُوْرُ الأَبْصَارِ وَالبَصَائِرِ، وَأَنَّهُ لَا طَرِيْقَ إِلَى اللَّهِ سِوَاهُ، وَلَا نَجَاةَ بِغَيْرِهِ، وَلَا تَمَسُّكَ بِشَيْءٍ يُخَالِفُهُ»(٢).

اللَّـهُ أَكْـبَرُ إِنَّ دِيـنَ مُحَمَّـدٍ ... وَكِـتَابُهُ أَقْوَى وَأَقْـوَمُ قِيْـلَا
طَلَعَتْ بِهِ شَمْسُ الهِدَايَةِ لِلْوَرَى ... وَأَبَى لَهَا وَصْفُ الكَمَالِ أُفُوْلَا
والحَقُّ أَبْلَجُ(٣) فِي شَرِيْعَتِهِ الَّتِـي ... جَمَعَتْ فُرُوْعًا لِلْهُدَى وَأُصُوْلَا

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) يُنظر: «الموافقات» للإمام الشاطبي (٣/ ٣٤٦).

(٣) الأَبْلَج: المضيءُ المُشرِقُ، يُقَال: صُبْحٌ أَبْلَج: بيِّنُ البَلَجِ - بفتحتين - وكذا الحق إذا اتضح، يُقَال: الحق أبلج والباطل لَجْلَجْ. ينظر: «مختار الصحاح» (بلج).

لا تذْكرُوا الكُتُبَ السَّوالِفَ عِنْدَهُ   طَلَعَ الصَّباحُ فأَطْفِئُوا القِنْدِيْلا[1]

أُمَّـةَ الْقُـرْآنِ: وَهَـذَا الكِتَـابُ الَّـذِي أَنْزَلَـهُ المَوْلَى مُبارَكًـا مَحْفُوْظًـا، وَبِعِنَايَتِـهِ وَرِعَايَتِـهِ مَلْحُوْظًـا، هُـوَ: الحَـقُّ الَّـذِي أَضَـاءَ بِـهِ الوُجُـوْدَ، بَعْـدَمَا وَقَبَتْ[2] ظُلُمَاتِ الجَهَالَة، وَهُوَ: الحَيَاةُ لِـمَنْ اسْتَمْسَكَ بِهِ فِي سُمُوِّهَا، وَهُوَ: السَّـعَادَةُ لِـمَنْ امْتَثَلَـهُ فِي أَوْجِهَـا، وَالكَـمَالُ: فِي أَرْفَـعِ مَعَانِيْـه، فَمَـنْ ابْتَغَـى الهِدَايَةَ وَالفَوْزَ فِي غَيْرِهِ؛ أَضَلَّهُ اللَّـهُ، وَمَنْ عَانَدَهُ؛ أَكَبَّهُ اللَّـهُ.

وَهَا هُوَ التَأْرِيخ الصَّادِقُ، وَالكَشْفُ العِلْمِيُّ الإِعْجَازِيُّ النَّـاطِقُ، يُقِرُّ دُوْنَ إِثْقَالٍ أَو إِمْهَالٍ، أَنَّ التَّأْرِيخَ البَشَرِيَّ وَالإِنْسَانِيَّ لَمْ يَشْهَدْ كتابًـا يُعَـاصِرُ أَحْوَالَ التَّطَوُّرِ، وَأَحْدَاثَ الحَضَارَاتِ الفِكْرِيَّـة، وَالاِجْتِماعِيَّـةِ، والإِنْسَانِيَّة، مِثْلَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ، يَقُوْلُ ـ تبَـارَكَ وَتعَـالَى ـ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء].

أُمَّـةَ الْإِسْـلَامِ: وَمَعَ تِلْكَ المَنْزِلَةِ الشَّامِخَةِ العَظِيْمَةِ لِلْقُرْآنِ الكَـرِيم،

---

(١) الأبيات للبوصيري. يُنظر: ديوانه (١٨٢).

(٢) وَقَبَ: دخل وأقبل، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للأصفهاني (وقب).

وَتِلْكَ البَرَاهِينِ الْـمُبِينَةِ عَلَى هِدَايَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِين، يَأْبَى كَثِيْرٌ مِـنَ الْمُسْلِمِين عَـنْ نَبْـعِ الهِدَايَـةِ وَالرُشْـدِ الثَّـرَّارِ إِلَّا انْـصِرَافًا، وَلِبَـدِيعِ الأَحْكَامِ وَالمَوَاعِظ إِلَّا هَجْرًا وَانْحِرَافًا، وَأَقْبَلُوا ـ هَـدَاهُم اللَّـهُ ـ عَلَى الغَـثِّ مِـنَ الأَفْكَـارِ، وَالـرَّثِّ مِـنَ القَـوَانِيْن، وَالخَلَـقِ مِـنَ الآدَاب، يَسْتَبْـضِعُوْنَ مِنْهَـا الـصَّفَاءَ وَالهَنَـاءَ، وَيَلْتَمِـسُونَ مِنْهَـا ـ كُـلَّ الالْـتِمَاسِ ـ سَعَادَةَ الحَيَاةِ، وحَيَاةَ السَّعَادَةِ، واللَّـهُ ـ جَلَّ فِي عُـلَاه ـ يَقُـوْلُ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه].

أُمَّةَ الْفُرْقَـانِ وَالْبَـلَاغ: وَإِنَّه لَمْ يَمْضِ عَلَى الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ حِيْنٌ مِنَ الدَّهْرِ، عَظُمَت فِيْهِ العُهْدَةُ، وَاسْتَغْلَظَ المِيْثَاقُ، لِلتَّمَسُّكِ بِأَعْظَمِ هَدْيٍ وَمِيْثَاقٍ، وَانْحَدَرَت فِيْهِ الأَحْوَالُ إِلَى أَسْوَإِ التَّقَهْقُرِ وَالنَّكَالِ، مِنْ هَـذَا الزَّمَـانِ، وَمَـا ذَلِـكَ إِلَّا لِـمُجَافَاةِ كِتَابِ العَزِيْـزِ المُتعَالِ، وَاتِّخَاذِهِ ظِهْرِيًّـا، وَنَـسْيًا فِي مَـنْهَجِ الحَيَـاةِ مَنْسِيًّا، ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان].

عِبَـادَ اللَّـهِ: إِنَّ العَالَمَ اليَوْمَ، يَعِيْشُ القَلَاقِلَ[1]، ويَحْيَى عَلَى كَثِيْرٍ مِنَ الزَّعَازِعِ وَالْبَلَابِلِ، وَفِيْنَا القُرْآنُ: غَيْثُ الطُّمَأْنِينَةِ وَالسِّلْمِ وَالأَمَانِ، إِنَّ الإِنْسَانِيَّةَ مُثْقَلَةٌ بِالشُّكُوْكِ وَالأَوْهَامِ، وَفِي أَيْمَانِنَا النُّورُ المُبِينُ: مَشْرِقُ الهِدَايَةِ، وَأُفُقُ اليَقِينِ، ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس].

طِبُّوا[2] ـ بالقُرْآنِ ـ الأَدْوَاءَ الاجْتِمَاعِيَّةَ وَالسِّيَاسِيَّةَ وَالاقْتِصَادِيَّةَ وَسَائِرَ الكُلُوْمِ، وازْجُوا أَنْوَارَهُ وَبَصَائِرَهُ وَهِدَايَاتِهِ لِكُلِّ ضَالٍّ أَوْ مَحْرُومٍ، أَوْ مُفْتَئِتٍ[3] غَشُوْمٍ، ولْتُحَاجُّوا الشَّانِئِيْنَ وَالحَاسِدِينَ بِأَجْلَى الحُجَجِ، وَأَدْمَغِ الْبَرَاهِينِ، يَقُوْلُ العَزِيزُ الحَكِيمُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل].

حَاجُّـوا كُلَّ مَنْ رَمَى الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِيْنَ بِالتَّعَصُّبِ وَالإِرْهَابِ، أَوِ الغِلْظَةِ وَالرَّجْعِيَّةِ وَالهَمَجِيَّةِ؛ تُطَهِّرُوا الأَفَّاكِينَ مِنَ البُهْتِ تَطْهِيرًا،

---

(١) القَلَاقِلُ: جَمْعُ قَلْقَلَة: شدة اضطراب الشيء وتحركه. يُنظر: «اللسان» (قلل).

(٢) طِبُّوا: عالجوا، والطِّبُّ: علاج الجسم والنفس. يُنظر: «اللسان» (طبب).

(٣) يُقال: رَجُلٌ مُفْتَئِتٌ، وذلك إذا قَالَ عَلَيْكَ البَاطِلَ. يُنظر: «تاج العروس» (فأت).

وَتَعْمُرُوا القُلُوبَ الهَوَاءَ، بِالعَدْلِ وَالفَضِيلَةِ تَعْمِيرًا.

دَاوُوا القَضَايَا وَالمَآسِي بِالقُرْآن؛ تَصْلُحُ الأَحْوَالُ وَتَسْتَدُّ، وَآسُوا العِلَلَ وَالأَوْهَانَ بِالقُرْآنِ، تَقْوَىٰ وَتَبْرَأُ وَتَشْتَدُّ، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء].

وَلُّوا - يَا أَحِبَّتِي فِي اللَّـهِ - أَنْظَارَكُمْ وَأَرْوَاحَكُمْ شَطْرَ كِتَابِ رَبِّكُمْ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا، وَعَمَلًا وَتَفَكُّرًا، تُعْصَمُوا - بِإِذْنِ الله - مِنْ أَحَابِيلِ الغُلُوِّ وَالِابْتِدَاعِ، وَالأَفْكَارِ البُورِ، وَمَهَالِكِ الشَّعْوَذَةِ وَالشُّرُورِ، وَمَزَالِقِ الِانْخِدَاعِ بِالثَّقَافَاتِ، وَمَا تَجُرُّه مِنْ آفَاتِ الزَّيْغِ وَالسُّفُورِ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى].

نَعَمْ أُمَّةَ الذِّكْرِ الحَكِيمِ! لَا عِزَّ يَجْمَعُ أُمَّتَنَا، وَلَا وَحْدَةَ تَنْظِمُ أُلْفَتَنَا، وَلَا آصِرَةَ تَرْتِقُ[1] فُرْقَتَنَا، إِلَّا بِالفَيْأَةِ الجَادَّةِ، والرَّجْعَةِ الصَّحِيحَةِ

---

(١) رَتَقَ الشَّيءَ يَرْتُقُه رَتْقًا: سَدَّهُ وأغلقه، وَرَتَقَ الفَتْقَ: أصلحه وضَمَّ بعضه إلى بعض. يُنظر: «اللسان» (رتق).

إِلَى القُرْآنِ الكَرِيمِ، وتَبْوِيْئِهِ مَحَلَّهُ الأَرْفَعَ، ومَقْصِدَهُ الأَنْفَعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَ؛ وَذَلِكَ بِتَنْفِيْذِ أَحْكَامِهِ، وَإِقَامَةِ مَرَامِهِ، وَتَدَبُّرِ مَعَانِيْهِ، وَاسْتِشْفَافِ مَغَازِيْهِ، وَالتَّحَقُّقِ بِأَمْرِهِ وَوَعِيدِهِ، وَنَهْيِهِ وَتَهْدِيْدِهِ، وَالاتِّعَاظِ بِمَا فِيهِ مِنْ رَائِعِ المَوَاعِظِ وَالعِبَرِ، وَقَصَصِ مَنْ غَبَرَ، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد]، ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ كَلَامٍ، وَأَسْمَقُ[١] مَقَامٍ؛ لِإِحْيَاءِ النُّفُوْسِ وَتَزْكِيَتِهَا، وَإِسْعَادِ البَشَرِيَّةِ وَتَرْقِيَتِهَا.

وَإِنَّا لَنُرْسِلُهَا صَيْحَةً بِالحُبِّ صَاخَّةً، وَبِالنُّصْحِ الوَرِيفِ[٢] صَاخَّةً، أَنْ يَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: أَحْيُوا القُرْآنَ الكَرِيمَ فِي قُلُوبِكُمْ وَحَيَاتِكُمْ، تَحْيُوْا بِهِ آمِنِينَ غَانِمِينَ، وَتَحَقَّقُوا بِأَوَامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ، وَتَرْغِيبِهِ وَتَرْهِيبِهِ، يَتَحَقَّقْ وُجُودُكُم فِي العَالَمِينَ، رَوُّوهُ البَنِينَ وَالبَنَاتِ: تَعْلِيمًا واسْتِظْهَارًا وَتَدْرِيسًا، أَفِيضُوا مِنْ حِكَمِهِ وَأَسْرَارِهِ عَلَى سَرَائِرِكُمْ، وَمِنْ آدَابِهِ عَلَى نُفُوسِكُمْ؛ تَكُونُوا بِهِ رَادَةً، وَلِلأُمَمِ قَادَةً.

---

(١) السَّمْقُ: سمَق النبتُ والشجر: ارتفع وعلا وطال. ينظر: «اللسان» (سمق).

(٢) الوَرِيْفُ: الوَاسِعُ الممتد، وَرَفَ الظِّلُّ: امْتَدَّ واتَّسَعَ. يُنظر: «اللسان» (ورف).

وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ ... وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِبًا مُتَفَضِّلَا
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ ... وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلَا
فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكًا ... مُجِلًّا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلَا
هَنِيئًا مَرِيئًا وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا ... مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلَا
جَزَى اللَّهُ بِالْخَيْرَاتِ عَنَّا أَئِمَّةً ... لَنَا نَقَلُوا الْقُرْآنَ عَذْبًا وَسَلْسَلَا[1]

وَأَيْمُ اللهِ يَا أُمَّةَ النُّورِ الْمُبِينِ، إِنِ اسْتَعْصَمْتُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ، وَاتَّخَذْتُمُوهُ مِنْهَاجًا فِي الْحُكْمِ وَالْحَيَاةِ، وَنِبْرَاسًا مُنِيرًا فِي دُرُوبِ الْمُعْضِلَاتِ، وَمَنْجَاةً مِنَ الْفِتَنِ وَالْمُضِلَّاتِ، وَرَقِيبًا مُهَيْمِنًا فِي الظَّوَاهِرِ وَالْخَفِيَّاتِ، بَلَغْتُم - بِإِذْنِ اللَّهِ - مَرَافِئَ النَّصْرِ، وَالْعِزَّةِ، وَالْخَيْرِيَّةِ فِي الْعَالَمِينَ، وَأَنَخْتُمْ[2] مَطَايَاكُمْ فِي مَرَاسِي الِائْتِلَافِ الْمَوْعُودِ، وَالْعَدْلِ الْمَوْرُودِ، وَالْمَجْدِ الْمَمْدُودِ، وَالرِّضَى الْإِلَهِيِّ الْمَمْهُودِ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ، ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) الأبيات للشاطبي - رحمه الله - يُنظر: «حرز الأماني ووجه التهاني» (ص١٦).

(٢) أَنَاخَ الإِبِلَ: أَبْرَكَهَا، والمَنَاخ: الموضع الذي تناخ فيه الإبل. ينظر: «اللسان» (نوخ).

نَفَعَنَا اللَّـهُ وَإِيَّاكُم بِالذِّكْرِ الحَكِيمِ، وَهَدَانَا جَمِيْعًـا صِرَاطَـهُ المُسْتَقِيْمَ، أَقُوْلُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ العَظِيمَ الجَلِيلَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَأَتُـوبُ إِلَيْـهِ، فَاسْتَغْفِرُوْهُ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لله الوَاحِدِ الدَّيَّان، خَصَّنَا بِخَيْرِ الذِّكْرِ القُرْآن.

أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قُلْتَ حُرُوْفَهُ وَوَصَفْتَهُ بِالوَعْظِ وَالتِّبْيَانِ[1]

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تَغْمُرُ الجَوَارِحَ وَتَمْلَأُ المِيزَانَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مَنْ ذَكَرَ رَبَّهُ، سِيَّانِ اللِّسَانُ وَالجَنَانُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّابِقِينَ إِلَى أَعَالِي الجِنَانِ، وَمَنِ اقْتَفَى أَثَرَهُم بِالتُّقَى وَالإِحْسَانِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، وَأَلِظُّوا[2] بِالذِّكْرِ قَبْلَ رَيْبِ المَنُوْنِ[3].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: أَفْضَلُ الذِّكْرِ ثَوَابًا وَعَائِدَةً، وَأَكْثَرُهُ

---

(١) يُنْظر: «نونية القحطاني» (ص١٠).

(٢) أَلَظَّ بِالكلمة: لَزِمَها، وَالإِلْظَاظُ: لُزُوم الشَّيْء والمثابرة عليه. ينظر: «اللسان» (لظظ).

(٣) المَنُوْن: الدَّهر، وأيضًا: المَنِيَّة؛ لأنها تقطع المُدَد، وتُنْقِص العَدَد. يُنظر: «اللسان» (منن).

هُـدًى وَنُـورًا وَفَائِـدَةً، كَـلَامُ رَبِّ البَرِيَّـةِ، قَـالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مُعْلٍ قَـدْرَهُ وبُرْهَانَهُ: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، وَقَـالَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ [يس]، وقَـدْ أَنَـارَ الْقُـرْآنُ ظُلُـمَاتِ الـدُّنْيَا بِنُـورِهِ الوَهَّاجِ، وَأَيْقَظَ القُلُوبَ العَلِيْلَـةَ لِلْهُـدَى وَأَهَـاجَ، «إِنَّ لَـهُ لَـحَلَاوَة، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَة، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَـمُغْدِقٌ[1]، وَإِنَّ أَعْـلَاهُ لَـمُورِقٌ، وَإِنَّـهُ لَيَعْلُـو وَلَا يُعْلَى عَلَيْه»[2].

وَخَـيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَـلُّ حَدِيثُـهُ   وَتَـرْدَادُهُ يَـزْدَادُ فِيــهِ تَجَمُّــلَا
يُنَاشِــدُ فِي إِرْضَــائِهِ لِحَبِيبِــهِ   وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلًا إِلَيْهِ مُوَصَّـلَا[3]

أُمَّـةَ الْقُـرْآنِ وَالْفُـرْقَانِ: هَذَا هُوَ القُرْآنُ عَظَمَـةً وَجَمَـالًا، وَمَكَانَـةً وَجَـلَالًا، وَمَنْزِلَـةً وَكَـمَالًا، وَمَـعَ ذَلِـكَ كُلِّـهِ، وَمَـعَ مَـا هُـوَ مُتَقَـرِّرٌ عِنْـدَ أَهْلِ المِلَّةِ المُحَمَّدِيَّـةِ، وَالـشَّرَائِعِ الـسَّمَاوِيَّةِ، مِـنْ وُجُـوبِ تَعْظِيمِ القُـرْآنِ

---

(١) الغَدَقُ: المَطَرُ الكَثِيرُ العَام، وقيل: غَدَقَتِ الأرض غدقًا أغدقت: أَخْصبت. يُنظر: «اللسان» (غدق).

(٢) من قول الوليد بن المغيرة في وصف القرآن، أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٧)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ١٥٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) يُنظر: «حرز الأماني ووجه التهاني» (ص١٦).

وَتَبْجِيلِهِ، وَتَكْرِيمِهِ وَتَقْدِيسِهِ، فَإِنَّ مِمَّا نَكَأَ[1] الجِرَاحَ، وَأَقَضَّ السُّهَادَ[2] وَالمَرَاخَ[3]، وَأَثَارَ صَيْحَةَ مُلْتَاعٍ، وَصَرْخَةَ أَسِيفٍ مُرْتَاعٍ، تَشُقُّ أَجْوَازَ الفَضَاءِ، فِي مُغْرَوْرَقِ الأَسَى الأَلْهَبِ، مُنَدِّدَةً مُسْتَنْكِرَةً، مُشَنِّعَةً مُسْتَفْظِعَةً لِلْفِعْلِ الْأَثِيمِ الْبَاغِي، الَّذِي امْتَدَّ إِلَى تَدْنِيسِ أَقْدَسِ مُقَدَّسَاتِنَا، وَأَشْرَفِ مُشَرَّفَاتِنَا، قُرْآنِنَا: مَنَاطِ عِزِّنَا وَفخرِنَا، وَاسْتَطَالَ عَلَى القُرْآنِ الكَرِيمِ فِي عُنْجُهِيَّةٍ وَصَلَفٍ بَلَغَا مَدَاهُمَا ـ إِنْ كَانَ للضِّغْنِ المَكِيْنِ مَدَى ـ مِمَّا أَجَّجَ مَشَاعِرَ المُسْلِمِينَ، وَأَثَارَ حَفِيظَتَهُم فِي كُلِّ أَرْجَاءِ المَعْمُورَةِ؛ حُرْقَةً وَأَسَى عَلَى أَقْدَسِ مُقَدَّسَاتِهِمْ، وَنِبْرَاسِ حَيَاتِهِمْ.

وَإِنَّنَا مِنْ هَذَا الثَّرَى الأَفْيَحِ[4] بِاسْمِ أَكْثَرِ مِنْ مِلْيَارِ مُسْلِمٍ

---

(١) نَكَأَ القُرْحَة ينكؤها: نكأ قِشْرَها قَبْل أَنْ تَبْرَأ فنديت. يُنظر: «اللسان» (نكأ).

(٢) السُّهَادُ: الأرق، سَهِدَ يَسْهَدُ سَهَدًا وسُهْدًا وسُهَادًا: لم يَنَمْ، ورَجُلٌ سُهُدٌ: قَلِيل النَّوْمِ. يُنظر: «تاج العروس» (سهد).

(٣) المَرَاخُ: المزاح والانبساط، ويُروى في الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن عمر رضي الله عنه دخل على النبي ﷺ يومًا، وكان مُنْبَسِطًا، فَقَطَّبَ وَتَشَزَّن له، فلمَّا خرج عاد إلى انبساطه، فسألته عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقال: «إنَّ عمر لَيْسَ ممَّن يُمرخ معه». أي: لَيْسَ ممَّن يُسْتَلانُ جَانِبُهُ. والمرخ والمَزْحُ سَواء. يُنظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، (مرخ).

(٤) الأَفْيَحُ: كُلّ مَوْضعٍ وَاسِع. ينظر: «اللسان» (فوح).

يَدِيْنُوْنَ بِهَذَا القُرْآنِ، وَقَدْ بَلَغَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ[1]، وَعِيلَ صَبْرُ الإِغْضَاءِ، وَلَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِهِ مَنْزَعٌ، نُطَالِبُ ـ فِي حَالَةِ ثُبُوتِ ذَلِكَ ـ سُرْعَةَ التَّحْقِيْقِ العَادِلِ مَعَ الجُنَاةِ الأَثَمَةِ، فِي هَذِهِ الجَرِيمَةِ النَّكْرَاءِ، وَإِنْزَالِ أَشَدِّ العِقَابِ الرَّادِعِ لَهُمْ، حَسْمًا لِدَاءِ المُعَاوَدَةِ وَالتَّكْرَارِ، لِهَذَا الجُرْمِ الكُبَّارِ، وَالصَّنِيعِ الشَّنِيعِ الغَدَّارِ؛ احْتِرَامًا لِمَشَاعِرِ المُسْلِمِينَ فِي العَالَمِ، وَصَوْنًا لِلْقِيَمِ الأَخْلَاقِيَّةِ وَالحَضَارِيَّةِ فِي المُجْتَمَعَاتِ، وَتَحْقِيقًا لِمَعَانِي الاعْتِذَارِ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَجْلِ حَلِّ عُقْدَةِ الغَضَبِ المُتَصَاعِدِ، وَرَدْمِ الهُوَّةِ الَّتِي تُحْدِثُهَا مِثْلُ هَذِهِ المَخَازِي المُفْجِعَةِ، مِمَّا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ، وَالَّتِي تُضْرِمُ فَتِيلَ الفَجْوَةِ وَالكَرَاهِيَةِ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَتَفْتَحُ أَبْوَابَ العُنْفِ عَلَى مَصَارِيعِهَا.

أَكْبَادُنَا احْتَرَقَتْ بِأَنَّاتِ الجَوَى ... وَدِمَاؤُنَا نَهْرُ الدُّمُوعِ القَانِي[2]

اللَّهُمَّ إِنَّا نُعْذِرُ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ بِكِتَابِكَ، وَنَسْأَلُكَ بِهَذَا البَيَانِ بَرَاءَةَ الذِّمَّةِ، وَتَحْقِيقَ النُّصْحِ لِلْأُمَّةِ، أَنْتَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ، عِيَاذًا بِاللهِ عِيَاذًا، وَلِيَاذًا بِهِ لِيَاذًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

---

(١) الطُّبْي: حلمات الضرع التي فيها اللبن، وفي أثر عثمان ﷺ: «قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبى، وَجَاوَزَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ»، كناية عن المبالغة في تجاوز حدِّ الشَّر والأذى». يُنظر: «اللسان» (طبي)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٩٠).

(٢) البيت من قصيدة (شكوى) للشاعر محمد إقبال.

إِلَّا بِاللَّـهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ.

وَإِنَّ دَوْلَةَ القُرْآنِ: شِرْعَةً وَمُتَنَزَّلًا: دِيَارَ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، لَيُحْمَدُ لَهَا مَوْقِفُهَا الأَغَرُّ الرِّيَادِيُّ، إِزَاءَ هَـذَا الحَادِثِ الجَلَلِ، وَمَا ذَاكَ بِدْعًا فِي نَسِيْجِهَا الرَّبَّانِيِّ، زَادَهَا اللَّـهُ خَيْرًا وَثَبَاتًا وَتَوْفِيْقًا، وَلَا يُنْسَى الدَّوْرُ الفَعَّالُ الَّذِي انْبَرَت لَهُ - مَأْجُوْرَةً مَشْكُوْرَةً - جَمِيْعُ المُؤَسَّسَاتِ وَالهَيْئَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ.

وَإِنَّ هَـذَا الاسْتِنْكَارَ العَاصِفَ، وَالتَّنْدِيْدَ القَوِيَّ، لَا لِاسْتِنْفَارِ الحَمِيَّةِ، وَتَهْيِيجِ الغَضَبِ، وَتَأْجِيجِ العَاطِفَةِ فَحَسْب؛ بَلْ لِزَمِّهِ وَتَرْشِيدِهِ، وَتَأْصِيلِهِ بِالتَّأْصِيلَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالضَّوَابِطِ وَالآدَابِ المَرْعِيَّةِ، وَلَعَلَّ هَذِهِ الإِبَرَ - يَا إِخْوَةَ الإِيْمَانِ - تَكُوْنُ حَافِزًا لِاسْتِجْلَاءِ مَزِيْدٍ مِنَ العِبَرِ، وَالانْطِلَاقِ إِلَى آفَاقِ العَمَلِ الإِيْجَابِيِّ الجَادِّ البَنَّاءِ، وَمَيَادِينِ الإِصْلَاحِ وَالنَّمَاءِ، وَإِلا فَاللَّـهُ حَافِظٌ دِيْنَهُ، وَنَاصِرٌ كِتَابَه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ⁽⁹⁾﴾ [الحجر]، وَلَنْ يَزِيْدَ هَـذَا العَمَلُ، القُرْآنَ إِلَّا رِفْعَةً، وَالمُسْلِمِيْنَ إِلَّا تَمَسُّكًا بِهِ وَمَنْعَةً، ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ⁽⁸⁾﴾ [الصف].

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّـهَ - عِبَادَ اللَّـهِ - اتَّقُوْهُ فِي أَنْفُسِكُم، وَفِي قُرْآنِكُم، فَاتْلُوْه

حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَامْتَثِلُوا أَحْكَامَهُ وَأَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ، وَغَارُوا عَلَيْه، وَنَافِحُوا عَنْهُ، وَانْتَصِرُوا لَهُ لَعَلَّكُم تُرْحَمُونَ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ، وَهَادِي البَشَرِيَّةِ، أَفْضَلِ الذَّاكِرِين، وَسَيِّدِ الشَّاكِرِينَ؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُم: رَبُّ العَالَمِينَ، فَقَالَ تَعَالَى - فِي أَصْدَقِ قِيْلِهِ وَمُحْكَمِ تَنْزِيْلِهِ -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

القسم الثاني:
العلم والعلماء

الخُطبة الأولى:

الحَمْدُ للَّهِ الدَّائِمِ بِرُّهُ، النَّافِذِ أَمْرُهُ، الغَالِبِ قَهْرُهُ، الوَاجِبِ حَمْدُهُ وَشُكْرُهُ، وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي المُلْكِ وَالتَّدْبِيرِ - جَلَّ ذِكْرُهُ - وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَّتُهُ وَسِرُّهُ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ - جَعَلَ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا، وَلِلْمَنَايَا آجَالًا وَأَسْبَابًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الهَادِي البَشِيرُ، وَالسِّرَاجُ المُنِيرُ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ الأَبْرَارِ، وَصَحَابَتِهِ الأَخْيَارِ، مَا جَنَّ لَيْلٌ وَبَزَغَ نَهَارٌ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فَبِالتَّقْوَىٰ يُنَالُ رِضَىٰ الوَاحِدِ الأَحَدِ، وَبِهَا تَتَحَقَّقُ سَعَادَةُ الأَبَدِ، وَتَحْصُلُ البَرَكَةُ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ؛ فَطُوبَىٰ لِمَنْ جَدَّ وَاجْتَهَدَ فِي تَوْحِيدِ رَبِّهِ وَتَقْوَاهُ، وَعَبْدِهِ بِحُسْنِ العُقْبَىٰ إِلَىٰ أَبَدِ الأَبَدِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: حِفْظُ الدِّينِ أَعْظَمُ مَقَاصِدِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حِفْظِ الدِّينِ، حِفْظَهُ بِالرِّجَالِ الْمُخْلِصِينَ، وَالرِّجَالِ العَامِلِينَ، فَوُجُودُهُمْ فِي الأُمَّةِ حِفْظٌ لِدِينِهَا، وَصَونٌ لِعِزَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا، وَذَوْدٌ عَنْ حِيَاضِهَا؛ فَإِنَّهُمُ الحِصْنُ الحَصِينُ، وَالسِّيَاجُ المَتِينُ، الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ هَذَا الدِّينِ وَأَعْدَائِهِ الْمُتَرَبِّصِين.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: لِلَّهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ الحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالقُدْرَةُ النَّافِذَةُ فِي كَوْنِهِ وَخَلْقِهِ، وَإِنَّ مِمَّا كَتَبَهُ اللهُ ـ جَلَّ وَعَلا ـ عَلَىٰ خَلْقِهِ: الْمَوْتَ وَالفَنَاءَ، يَقُولُ ـ سُبحَانَهُ ـ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن]، وَيَقُولُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء]، وَيَقُولُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾[الزمر].

وَإِنَّ أَعْظَمَ أَنْوَاعِ الْفَقْدِ عَلَىٰ النُّفُوسِ وَقْعًا، وَأَشَدَّهُ عَلَىٰ الأُمَّةِ لَوْعَةً وَأَثَرًا، فَقْدُ العُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَالأَئِمَّةِ الْمُصْلِحِينَ.

ذَلِكُمْ ـ يَا عِبَادَ اللَّهِ ـ لأنَّ لِلعُلَمَاءِ مَكَانَةً عُظْمَىٰ، وَمَنْزِلَةً كُبْرَىٰ؛ فَهُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَللرُّسُلِ خُلَفَاءُ، وَعَلَىٰ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ أُمَنَاءُ، وَهُمْ لِلنَّاسِ شُمُوسٌ سَاطِعَةٌ، وَكَوَاكِبُ لامِعَةٌ، وَللأُمَّةِ مَصَابِيحُ دُجَاهَا، وَأَنْوَارُ هُدَاهَا.

بِهِمْ حُفِظَ الدِّينُ، وَبِهِ حُفِظُوا، وَبِهِمْ رُفِعَتْ مَنَارَاتُ المِلَّةِ، وَبِهَا رُفِعُوا ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ المَوْتَىٰ، وَيُبَصِّرُونَ بِهِ أَهْلَ العَمَىٰ، وَيَهْدُونَ مَنْ ضَلَّ إِلَىٰ الهُدَىٰ؛ فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لإِبْلِيسَ قَدْ أَحْيَوْهُ، وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ!

وَمَا عَزَّتِ الأُمَمُ، وَبَلَغَتْ سَامِقَ القِمَمِ، وَشُيِّدَتْ صُرُوحُ الحَضَارَاتِ، وَقَامَتِ الأَمْجَادُ، وَتَحَقَّقَتِ الانْتِصَارَاتُ ـ بَعْدَ اللَّهِ ـ إِلَّا بِهِمْ، فَهُمْ أَهْلُ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

وَهُمْ مَادَّةُ حَيَاةِ القُلُوبِ، وَغِذَاءُ الأَرْوَاحِ، وَقُوتُ الضَّمَائِرِ، وَزَادُ القَرَائِحِ[١].

---

(١) قَرِيحَةُ الإنسان: طبيعته التي جُبِلَ عليها، وجمعها: قرائح. يُنظر: «اللسان» (قرح).

العَالِـمُ لِلأُمَّةِ بَدْرُهَا السَّارِي، وَسَلْسَالُهَا الجَارِي، لاسِيَّمَا أَئِمَّـةُ الـدِّينِ وَعُلَـمَاءُ الـشَّرِيعَةِ. وَمَهْـمَا دُبِّجَـتِ النُّعُـوتُ وَالمَدَائِحُ فِي فَـضَائِلِهِمْ فَلَـنْ تَوَفِّيَهُمْ حَقَّهُمْ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ فَقْدُهُمْ مِنْ أَعْظَمِ الرَّزَايَا، وَالبَلِيَّةُ بِمَـوْتِهِم مِنْ أَعْظَمِ البَلَايَا ! وَأَنَّىٰ لِلمُدْلِجِينَ[1] فِي دَيَاجِيرِ[2] الظُّلُمَاتِ أَنْ يَهْتَدُوا إِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ المُضِيئَةُ؟!

صَحَّ عِنْدَ أَحْمَدَ[3] وَغَيْرِهِ[4]، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِنَّمَا مَثَلُ العُلَمَاءِ فِي الأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ، يُهْتَدَىٰ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ، فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الهُدَاةُ**».

يَقُـولُ الإِمَامُ أَبُوبَكْـرٍ الآجُرِّيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ ـ: «**فَمَا ظَنُّكُم بِطَرِيقٍ فِيهِ آفَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَيَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَىٰ سُلُوكِهِ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ، فَقَيَّضَ اللَّـهُ لَهُـمْ فِيهِ مَصَابِيحَ تُضِيءُ لَـهُمْ، فَسَلَكُوهُ عَلَىٰ السَّلَامَةِ وَالعَافِيَةِ، ثُمَّ جَاءَتْ فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ لَا بُدَّ لَـهُمْ مِنَ السُّلُوكِ فِيهِ، فَسَلَكُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ**

(١) أَدْلَجَ القوم إدلاجًا: إذا ساروا الليل كُلَّه، فهم مُدْلِجُون، يُنظر: «اللسان» (دلج).

(٢) الدَّيَاجِيرُ: جمع دَيْجُور، وهو الظَّلامُ الحَالِك، يُنظر: «اللسان» (دجر).

(٣) في «المسند» (٣/ ١٥٧).

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٣٨).

طَفِئَتِ المَصابِيحُ، فَبَقُوا في الظُّلْمَةِ، فَما ظَنُّكُمْ بِهِمْ؟! فَهَكَذا العُلَماءُ في النَّاسِ»[1].

وَحَسْبُكُم - يَا عِبَادَ الله - في بَيانِ فَداحَةِ هَذا الخَطْبِ، وَعَظِيمِ مِقْدارِ هَذِهِ النَّازِلَةِ قَوْلُ المُصْطَفَىٰ ﷺ في الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الَّذي خَرَّجَهُ الشَّيْخانِ عَنْ عَبدِاللَّه بْنِ عَمْرو بنِ العَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما -: «إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَماءِ، حَتَّىٰ إِذا لَمْ يُبْقِ عالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[2].

وَقَدْ قَالَ حَبْرُ الأُمَّةِ وَتُرْجُمانُ القُرْآنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما - في قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١]، قَالَ: بِمَوْتِ عُلَمائِها وَفُقَهائِها[3].

وَفي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

---

(١) يُنظر: «أخلاق العلماء» (ص٣٠، ٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ١٧٤).

«**تَظْهَرُ الفِتَنُ وَيَكْثُرُ الهَرْجُ وَيُقْبَضُ العِلْمُ**»[1].

فَسَمِعَهُ عُمَرُ ﷺ يَأْثِرُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ قَبْضَ العِلْمِ لَيْسَ شَيْئًا يُنْتَزَعُ مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ، وَلَكِنْ فَنَاءُ العُلَمَاءِ**»[2].

وَقَالَ عَبْدُاللهِ بنُ مَسْعُودٍ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ ذَهَابُ أَهْلِهِ**»[3].

وَقَالَ الحَسَنُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**مَوْتُ العَالِمِ ثُلْمَةٌ[4] فِي الإِسْلَامِ، لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**»[5].

وَقِيلَ لِسَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: مَا عَلَامَةُ السَّاعَةِ وَهَلَاكِ النَّاسِ؟ قَالَ: «**إِذَا ذَهَبَ عُلَمَاؤُهُمْ**»[6].

وَلَمَّا مَاتَ زَيدُ بنُ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ:

---

(١) أخرجه البخاري (٨٥)، ومسلم (١٥٧).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٩).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٨٤٥).

(٤) الثُّلْمَة: انكسار في حرف الإناء والسيف. ينظر: «اللسان» (ثلم).

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (١/ ٢٦٢)، والدارمي في «سننه» (١/ ١٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٦٨).

(٦) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٥٣).

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ كَيْفَ ذَهَابُ العِلْمِ؟ فَهَكَذَا ذَهَابُهُ»[1].

وَقَالَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: «لَا يَزَالُ عَالِمٌ يَمُوتُ، وَأَثَرٌ لِلحَقِّ يَدْرُسُ، حَتَّىٰ يَكْثُرَ أَهْلُ الجَهْلِ، وَيَذهَبَ أَهْلُ العِلْمِ، فَيَعْمَلُونَ بِالجَهْلِ وَيَدِينُونُ بِغَيْرِ الحَقِّ، وَيَضِلُّونَ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ»[2].

وَفِي الأَثَرِ عَنْ عَلِيٍّ ﵁: «إِذَا مَاتَ العَالِمُ ثُلِمَ فِي الإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا خَلَفٌ لَهُ»[3].

وَقَالَ رَجُلٌ لابْنِ سِيرِينَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيلَةَ أَنَّ طَائِرًا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَىٰ يَاسَمِينَةٍ، فَنَتَفَ مِنْهَا وَنَتَفَ، ثُمَّ طَارَ حَتَّىٰ دَخَلَ السَّمَاءَ، فَقَالَ ابْنُ سِيرِين ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «هَذَا قَبْضُ العُلَمَاءِ»، فَلَمْ تَمْضِ تِلْكَ السَّنَةُ حَتَّىٰ مَاتَ الحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ وَمَكْحُولٌ، وَسِتَّةٌ مِنَ العُلَمَاءِ بِالآفَاقِ[4].

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ـ يَأسَوْنَ أَشَدَّ الأَسَىٰ لِفَقْدِ وَاحِدٍ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٧٥١).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٥٥).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٩٨).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٥٦).

مِنْهُمْ، يَقُولُ أَيُّوبُ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ ـ: «إِنِّي أُخْبَرُ بِمَوْتِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَكَأَنِّي أَفْقِدُ بَعْضَ أَعْضَائِي»(١).

وَأَخْرَجَ اللَّالَكَائِي(٢)، أَنَّ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ: «كَانَ أَيُّوبُ يَبْلُغُهُ مَوتُ الفَتَىٰ مِنْ أَصْحَابِ الحَدِيثِ فَيُرَىٰ ذَٰلِكَ فِيهِ، وَيَبْلُغُهُ مَوْتُ الرَّجُلِ العَابِدِ فَمَا يُرَىٰ ذَٰلِكَ فِيهِ».

وَقَالَ يَحْيَىٰ بنُ جعْفَرٍ: «لَوْ قَدِرْتُ أَنْ أَزِيدَ فِي عُمُرِ مُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيلَ ـ يَعْنِي: البُخَارِيَّ ـ مِنْ عُمُرِي، لَفَعَلْتُ، فَإِنَّ مَوْتِي يَكُونُ مَوتَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَمَوْتُهُ ذَهَابُ العِلْمِ»(٣).

وَأَوْرَدَ الخَطِيبُ البَغْدَادِيُّ(٤)، عَنْ عُبَيْدِ اللَّـهِ بنِ عَبْدِالكَرِيمِ قَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ خَصْمًا لأَبِي العَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ القَاضِي، وَكَانَا يَتَنَاظَرَانِ وَيَتَرَادَّانِ فِي الكُتُبِ، فَلَمَّا بَلَغَ ابْنَ سُرَيْجٍ مَوْتُ مُحَمَّدِ بنِ دَاوُدَ؛ نَحَّىٰ

---

(١) أخرجه اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة»، (١/ ٦٠، ٦١)، وأبو نُعيم في «الحلية» (٣/ ٩).

(٢) يُنظر: «أصول اعتقاد أهل السُّنة» (١/ ٦١).

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٢/ ٨٨).

(٤) يُنظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٥٩).

مخادَّهُ وَمَشَاوِرَهُ، وَجلَسَ لِلتَّعْزِيَةِ، وَقَالَ: «مَا آسَىٰ إِلَّا عَلَىٰ تُرَابٍ أَكَلَ لِسَانَ مُحَمَّدِ بنِ دَاودَ».

وَقَالَ أَيُّوبُ: «إِنَّ الَّذِينَ يَتَمَنَّوْنَ مَوْتَ أَهْلِ السُّنَّةِ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ» أَخْرَجَهُ اللَّالَكَائِي[1].

بِذَلِكَ تُشَنَّفُ المَسَامِعُ، بَلْ تُذْرَفُ المَدَامِعُ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - خُصُوصًا وَأُمَّتُنَا الإِسْلَامِيَّةُ قَدْ رُزِئَتْ فِي هَذِهِ الآوِنَةِ الأَخِيرَةِ بِفَقْدِ كَوْكَبَةٍ مِنْ عُلَمَائِهَا، وَنُكِبَتْ بِوَفَاةِ نُخْبَةٍ مِنْ فُقَهَائِهَا، فَمَا إِنْ كَفْكَفَتِ الأُمَّةُ دُمُوعَهَا، وَآسَتْ ضُلُوعَهَا عَلَىٰ فَقْدِ طَوْدٍ أَشَمٍّ مِنْهُمْ، حَتَّىٰ رُزِئَتْ بِفَقْدِ آخَرَ، فَانْفَرَطَ العِقْدُ المُتَلَأْلِئُ الوَضَّاءُ، وَتَنَاثَرَتْ حَبَّاتُهُ المُتَنَاسِقَةُ. وَبِمَوْتِ هَؤُلَاءِ الجَهَابِذَةِ، تُطْوَىٰ صَفَحَاتٌ لَامِعَةٌ، وَسِجِلَّاتٌ نَاصِعَةٌ مِنْ خِصَالِ الخَيْرِ المُتَكَاثِرَةِ.

إِنَّهُمْ نَمَاذِجُ شَامِخَةٌ، وَأَطْوَادٌ رَاسِخَةٌ فِي العِلْمِ وَالتَّقْوَىٰ، وَأَعْلَامٌ بَارِزَةٌ فِي السُّنَّةِ وَالفِقْهِ وَالفَتْوَىٰ. فَضَائِلُهُمْ لَا تُجَارَىٰ، وَمَنَاقِبُهُمْ لا تُبَارَىٰ، ثُلْمَتُهُمْ لا تُسَدُّ، وَالمُصِيبَةُ لِفَقْدِهِمْ لَا تُحَدُّ، وَمَوْتُهُمْ نَازِلَةٌ لا تُنْسَىٰ،

---

(١) يُنْظَر: «أصول اعتقاد أهل السُّنة» (١/ ٦١).

وَفَاجِعَةٌ لَا تُمْحَىٰ، وَالخَطْبُ بِفَقْدِهِمْ جَلَلٌ، وَالخَسَارَةُ فَادِحَةٌ، وَمَهْمَا كَانَتِ الأَلْفَاظُ مَكْلُومَةٌ، وَالجُمَلُ مَهْمُومَةٌ، وَالأَحْرُفُ وَلْهَىٰ، وَالعِبَارَاتُ ثَكْلَىٰ، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ التَّعْبِيرَ، وَلا دِقَّةَ التَّصْوِيرِ، فَلَيْسَتِ الرَّزِيَّةُ عَلَىٰ الأُمَّةِ بِفَقْدِ مَالٍ، أَوْ بِمَوْتِ شَاةٍ أَوْ بَعِيرٍ، كَلَّا ثُمَّ كَلَّا!! وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ أَنْ يُفْقَدَ عَالِمٌ، وَيَمُوتُ حِينَ مَوْتِهِ جَمٌّ غَفِيرٌ، وَبَشَرٌ كَثِيرٌ.

فَمَوتُ العَالِمِ لَيْسَ مَوْتَ شَخْصٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ يَتَهَدَّمُ، وَحَضَارَةُ أُمَّةٍ تَتَهَاوَىٰ. وَتَعْظُمُ الفَجِيعَةُ إِذَا كَانَ مَنْ يُفْقَدُ مُتَمَيِّزَ المَنْهَجِ وَالعَبْقَرِيَّةِ، مُتَوَازِنَ النَّظْرَةِ، مُتَمَاسِكَ الشَّخْصِيَّةِ، مُعْتَدِلَ الرُّؤَىٰ، أُمَّةً وَحْدَهُ، وَنَسِيجًا بِمُفْرَدِهِ، وَطِرَازًا مُسْتَقِلًّا، وَأَئِمَّةً فِي رَجُلٍ مِنْ دُعَاةِ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، المَتِينَةِ بِالدَّلِيلِ وَالأَثَرِ، مُلْتَزِمًا فِيهَا بِالاعْتِدَالِ وَالوَسَطِيَّةِ، حَرِيصًا عَلَىٰ الجَمَاعَةِ وَالنُّصْحِ للَّهِ ورَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ.

عَلَىٰ الرُّغْمِ مِنْ حُصُولِ زَوَابِعَ، وَهُبُوبِ عَوَاصِفَ، وَهَيَجَانِ أَمْوَاجٍ، تَعَرَّضَتْ فِيهَا الأُمَّةُ لِكَثِيرٍ مِنْ جَوَانِبِ الخَلَلِ العَقَدِيِّ وَالفِكْرِيِّ وَالأَخْلَاقِيِّ، فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا الطِّرَازِ المُتَمَيِّزِ إِلَّا الاجْتِهَادُ فِي حُسْنِ التَّوْجِيهِ؛ لِتَمَاسُكِ بِنْيَةِ المُجْتَمَعِ، وَالحِفَاظِ عَلَىٰ أَمْنِ الأُمَّةِ بِصُوَرِهِ المُتَعَدِّدَةِ، وَجَوَانِبِهِ المُخْتَلِفَةِ، حَتَّىٰ لَكَأَنَّهُمْ مَدَارِسُ جَامِعَةٌ يَصْدُرُ عَنْهُمْ

الـرَّأْيُ في النَّـوَازِلِ، وَالمَـنْهَجُ في المُـسْتَجِدَّاتِ، وَالأَسْـلَمُ في المُتَغَـيِّرَاتِ؛ تَمَسُّكًا بِالتَّأْصِيلِ الصَّحِيحِ، وَالمَنْهَجِيَّةِ المُنْضَبِطَةِ بِضَوَابِطِ الشَّرْعِ.

فَـلَا غَـرْوَ أَنْ يَكُـونَ مَـوتُهُمْ هِـزَّةً عَنِيفَـةَ الوَقْـعِ، شَـدِيدَةَ الأَثَـرِ مَحَلِّـيًّا وَإِقْلِيمِيًّا وَعَالَـمِيًّا، في الوَقْـتِ الَّـذِي تُعَانِي فِيـهِ الأُمَّـةُ ظُرُوفًا عَـصِيبَةً فِي عَالَـمِ اليَـوْمِ، الَّـذِي يَمُـوجُ بِالتَّحَـدِّيَاتِ، وَتَكْتَنِفُـهُ سُرعَـةُ المُتَغَـيِّرَاتِ، وَتَقْصِفُ بِعَوَامِلِ اسْتِقْرَارِهِ المُسْتَجِدَّاتُ، وَتَضِجُّ فِيهِ أَنْوَاعٌ مِـنَ الفَـوْضَىٰ الفِكْرِيَّةِ الوَافِدَةِ، وَالاتِّجَاهَاتِ العَقَدِيَّةِ المُتَفَرِّعَةِ، وَمَـا تَمُـوجُ بِـهِ الـسَّاحَةُ مِـنْ فَـوْضَىٰ الاجْتِهَـادِ عِنْـدَ بَعْضِ المُتَعَـالِمِينَ، في أُطْرُوحَـاتٍ عَــرْجَاءَ، وَمُدَاوَلَاتٍ مَمْجُوجَةٍ، وَكَارِثَةِ الفَوْضَىٰ في الفُتْيَا، وَالقَوْلِ عَـلَىٰ اللَّـهِ بِغَـيْرِ عِلْمٍ، وَالتَّلَاعُبِ بِالحَلَالِ وَالحَرَامِ حَـسْبَ الأَهْـوَاءِ، أَمَـامَ طُوفَـانٍ هَـائِجٍ مِنَ العَوْلَمَةِ وَالتَّغْرِيبِ.

وَمِنْ هُنَا ـ بِرَبِّكُم ـ فَإِنَّ غِيَابَ العُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ يُخْلِي السَّاحَةَ لِتَصَدُّرِ الرُّوَيْبِضَةِ(١)، وَلِيَنْطِقَ أَنْصَافُ المُتَعَلِّمِينَ، مِمَّا تَحْتَاجُ مَعَهُ الأُمَّةُ إِلَىٰ وَقَفَاتٍ حَازِمَةٍ؛ لِوَضْعِ الضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ في المَجَالَاتِ كَافَّتِهَا، حَتَّىٰ تَعْبُرَ سَفِينَةُ

---

(١) الرُّوَيْبِضَةُ: تَـصْغِيرُ الرَّابِـضَةِ، وَهُـوَ الَّـذِي يَرْعَـى الـرَّبِيضَ، وجـاء في تفسيره أنـه: الرَّجُلُ التَّافِهُ ـ أَي: الحَقِيرُ ـ يَنْطِقُ في أَمْرِ العَامَّةِ. يُنظر: «اللسان» (ربض).

الأُمَّةِ بِأَمَانٍ فِي بَحْرِ الفِتَنِ المُتَلاطِمِ، وَسَيْلِ المِحَنِ المُتَفَاقِمِ، إِلَىٰ شَاطِئِ السَّلَامَةِ، وَبَرِّ النَّجَاةِ، حَتَّىٰ يُسَدَّ الطَرِيقُ أَمَامَ المُصْطَادِينَ فِي المَاءِ العَكِرِ.

أُمَّـةَ الْإِسْـلَامِ: إِنَّ مِنْ حُسْنِ العَزَاءِ ـ عِنْدَ فَقْدِ العُلَمَاءِ، وَتِرْيَاقِ الشِّفَاءِ، عِنْدَ حُلُولِ الأَدْوَاءِ ـ أَنَّ دِينَ اللَّهِ مَحْفُوظٌ، وَشَرِيعَتَهُ بَاقِيَةٌ، وَخَيرَهُ يَفِيضُ وَلَا يَغِيضُ، فَأَعْلَامُ الدِّيَانَةِ مَرْفُوعَةٌ ـ بِحَمْدِ اللَّهِ ـ وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الخَبَرُ عَنْ سَيِّدِ البَشَرِ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ[1]، وَغَيرُهُ[2].

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاودَ[3] بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَالحَاكِمُ[4] وَصَحَّحَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ أَمْرَ دِينِهَا**»، وَعِلْمُ هَذَا الدِّينِ يَحْمِلُهُ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ

---

(١) برقم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري بنحوه (٧١، ٣١١٦، ٣٦٤١) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٣) برقم (٤٢٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) في «المستدرك» (٤/ ٥٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تَحرِيفَ الغَالِينَ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ، وَتَأويلَ الجَاهِلينَ[1].

وَلَمْ تُـصَبِ الأُمَّـةُ بِمُـصِيبَةٍ هِـيَ أَعْظَـمُ مِـنْ مُـصَابِهَا بِفَقْـدِ الحَبِيـبِ المُصْطَفَىٰ ﷺ، فَالمُصِيبَةُ بِفَقْدِ مَنْ بَعْدَهُ تَهُونُ مَهْمَا كَانَ شَجَاهَا.

كَمَا أَنَّ مِنْ حُسْنِ العَزَاءِ أَنَّ هَـؤُلاءِ العُلَمَاءِ ـ رَحِمَهُـمُ اللَّـهُ ـ بَـاقُونَ بِذِكْرِهِمْ، أَحْيَـاءٌ بِعِلْمِهِـمْ، يَلْهَـجُ النَّـاسُ بِالثَّنَـاءِ عَلَيْهِمْ، وَالـدُّعَاءِ لَهُـمْ، وَيَجْتَهِـدُونَ فِي اقْتِفَـاءِ آثَـارِهِمْ، وَتَرَسُّـمِ خُطَـاهُمْ: عِلْمًا وَعَمَـلًا، وَدَعْـوَةً وَمَنْهَجًا؛ تَشَبُّهًا بِالكِرَامِ، إِنْ لَـمْ يَكُونُـوا مِثْلَهُمْ، فَذَلِكَ أَمَارَةُ الفَلَاحِ، وَطَرِيقُ الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ.

كَمَا أَنَّ مِنْ حُسْنِ العَزَاءِ ـ أَيْضًا ـ أَنَّ عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ ـ وَللَّـهِ الحَمْـدُ وَالمِنَّةُ ـ مُتَوَافِرُونَ عَبْرَ الأَعْصَارِ وَالأَمْصَارِ، يُحْيِي الخَلَفُ مَنْهَجَ السَّلَفِ، وَأُمَّةُ الإِسْلَامِ أُمَّةٌ مِعْطَاءٌ، زَاخِرَةٌ بِالكَفَـاءَاتِ، ثَرِيَّـةٌ بِالعَطَـاءَاتِ، مَلِيئَـةٌ بِالقُدْرَاتِ، وَلَنْ يَخُورَ العَزْمُ ـ بِإِذْنِ اللَّـهِ ـ وَلَنْ يَضْعُفَ العَطَاءُ ـ بِحَـوْلِ اللَّـهِ ـ بِفَقْدِ عَلَمٍ بَارِزٍ.

فَفِـي الأُمَّـةِ ـ بِحَمْـدِ اللَّـهِ ـ مَـنْ يَحْمِـلُ مِشْعَلَ الهِدَايَـةِ، وَرَايَـةَ العِلْـمِ

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٢٧٣)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٠٩)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٥٩) عن إبراهيم بن عبدالرحمن العذري، مرسلًا.

وَالدَّعْوَةِ، وَيَسُدُّ الثَّغْرَةَ، وَيَنْهَضُ بِالمَسْؤولِيَّةِ العِلْمِيَّةِ وَالدَّعَوِيَّةِ؛ خَيْرَ قِيَامٍ وَأَتَمَّ نُهُوضٍ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ نَسْمُوَ بِهِمَمِنَا، وَنَنْهَضَ بِمَهَمَّاتِنَا فِي نُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ، وَنَفْعِ عِبَادِ اللَّهِ.

فَيَا عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ نُنَاشِدُكُمُ اللَّهَ أَنْ تَكُونُوا خَيْرَ خَلَفٍ لِخَيْرِ سَلَفٍ، فَاللَّهَ اللَّهَ فِي اسْتِنْهَاضِ الهِمَمِ!! انْزِلُوا بِثِقَلِكُمْ إِلَىٰ مِيدَانِ التَّعْلِيمِ وَالتَّوْجِيهِ، وَابْذُلُوا وُسْعَكُمْ فِي مَلْءِ سَاحَةِ الدَّعْوَةِ، وَالنُّصْحِ لِلأُمَّةِ، وَصُونُوا عِلْمَكُمْ عَنِ الدَّنَايَا.

تَرَفَّعُوا عَنْ مَوَاطِنِ الرِّيَبِ، تَحَلَّوْا بِسَمْتِ العُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّقَاعُسَ فِي أَدَاءِ هَذِهِ المُهِمَّةِ يُجَرِّئُ العَوَامَّ وَأَنْصَافَ المُتَعَلِّمِينَ عَلَىٰ الخَوْضِ فِي أُمُورِ الدِّينِ، وَهُمْ لَيْسُوا مِنْهَا فِي وِرْدٍ وَلَا صَدَرٍ!!

وَيَا طُلَّابَ العِلْمِ، اللَّهَ اللَّهَ! فِي جَمْعِ مَا تَنَاثَرَ مِنْ عِقْدِ المَحَبَّةِ وَالصَّفَاءِ وَالمَوَدَّةِ وَالوَلَاءِ، وَانْتِظَامِهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ فِي نَسِيجٍ وَحْدَوِيٍّ مُتَمَيِّزٍ، تَتَمَاسَكُ فِيهِ أَيْدِينَا مَعَ أَيْدِي وُلَاتِنَا وَكِبَارِ عُلَمَائِنَا؛ قَطْعًا لِدَابِرِ الخِلَافِ، وَحَسْمًا لِأَسْبَابِ النِّزَاعِ وَالشِّقَاقِ، وَحَذَارِ مِنْ بَوَادِرِ اليَأْسِ وَإِطْلَالَةِ المُتَشَائِمِ، الَّتِي قَدْ تَطْفُو عَلَىٰ السَّطْحِ فِي مَيَادِينِ العِلْمِ وَالدَّعْوَةِ، وَالحِسْبَةِ وَالإِصْلَاحِ!!

فَإِنَّ هَوْلَ الفَوَاجِعِ يُقَيِّضُ كَمَالَ الرِّضَىٰ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَعَدَمَ

الاسْتِسْلَامِ لِلجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ، فَذَلِكُمْ أَمَارَةُ النَّزَقِ[1]، وَشَرْطُ اليَأْسِ وَالرُّعُونَةِ، مَعْ حُسْنِ التَّصَرُّفِ فِي الأُمُورِ. وَأَلَّا تُغَلِّبَ العَوَاطِفُ وَالانْفِعَالاتُ، فَبِالعِلْمِ تُضْبَطُ المَسِيرَةُ، وَتُهْدَىٰ الأُمَّةُ، وَلَا يَأْسَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَلَا قُنُوطَ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَالخَيْرُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ بَاقٍ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَاللَّهُ وَحْدَهُ المَسْؤُولُ أَنْ يُلْهِمَنَا رُشْدَنَا، وَأَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ مَاتَ مِنْ عُلَمَائِنَا، وَيَرْفَعَ دَرَجَاتِهِمْ فِي المَهْدِيِّينَ، وَيُوَفِّقَ الأَحْيَاءَ لِبَيَانِ الحَقِّ وَالدَّعْوَةِ إِلَيهِ، وَأَنْ يَرْزُقَهُمُ التَّسْدِيدَ وَالتَّأْيِيدَ، وَيَكْتُبَ لَهُمُ القَبُولَ وَدَوَامَ النَّفْعِ، وَأَنْ يَخْلُفَ عَلَىٰ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ خَيْرًا، وَيَحْفَظَهَا مِنْ شُرُورِ الغِيَرِ، وَهَوْلِ الفَوَاجِعِ، لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمَّىٰ!! وَالحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَعَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ !!!

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ الجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ كَافَّةً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ.

---

(١) النَّزَقُ: خِفَّةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وعجلة في جهل وحُمق. يُنظر: «اللسان» (نزق).

الخطبة الثانية:

الحَمْدُ للَّهِ، نَواصِينا بيَدِهِ، مَاضٍ فِينَا حُكْمُهُ، عَدْلٌ فِينَا قَضَاؤُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الدَّائمُ عطَاؤُهُ، وَالعَظِيمَةُ آلَاؤُهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسُولُه، المُتَأَلِّقُ بَدْرُهُ وَبَهاؤُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ، مَا لَيلٌ سَجَى، وَمَا صُبْحٌ بَدَا، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا أَبَدِيًّا سَرْمَدًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خيرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّ تَقْدِيرَ مَكَانَةِ العُلَمَاءِ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، إِنَّمَا يَنْبُعُ مِنْ تَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ الَّتي احْتَفَتْ بِهِمْ، وَالدِّينُ الَّذِي كَرَّمَهُمْ وَحَفِلَ بِهِمْ: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وَمَنْ أَعْلَى قَدْرَ الشَّرِيعَةِ، أَعْلَى قَدْرَ حَمَلَتِهَا، وَهَذَا مَا تَمَيَّزَتْ بِهِ بِلَادُ الحَرَمَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - فَفِيهَا تَعَانَقَ سُلْطَانُ العِلْمِ مَعْ سُلْطَانِ الحُكْمِ،

في نَسِيجٍ مُتَرَابِطٍ، وَانْسِجَامٍ مُتكَامِلٍ، لَمْ يَشْهَدِ التأريخ المُعَاصِرُ لَهُ مَثِيلًا، فَفَتَحتِ الأُمَّةُ قُلُوبها؛ وَلَاءً لِوُلاتِهَا وَعُلَمَائِهَا، وَقَامَ وُلاةُ الأَمْرِ فِيهَا بِتَشْجِيعِ عُلَمَائِهَا، وَطُلَّابِ العِلْمِ فِيهَا، مِمَّا يُمَثِّلُ شَاهِدًا مِنْ شَوَاهِدِ الثَّوَابِتِ الرَّاسِخَةِ الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا أُسُسُ هَذِهِ البِلادِ وَثَوَابِتُهَا، فَارْتَقَتْ -بِحَمْدِ اللَّهِ- إِلىٰ قِمَّةِ التَّمَيُّزِ الفَرِيدِ فِي عَالَمٍ يَمُوجُ بِالفَوْضَىٰ وَالاضْطِرَابَاتِ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَهَا، وَيُوزِعَنَا شُكْرَهَا، تَعَاوُنًا وَتَلاحُمًا بَيْنَ الرُّعَاةِ وَالرَّعِيَّةِ، وَالعُلَمَاءِ والعَامَّةِ، وَالشَّبَابِ وَالشُّيُوخِ، وَأَنْ تَتَوَاصَلَ حَلَقَاتُ العَطَاءِ وَسَلاسِلُ الوَفَاءِ؛ أَدَاءً لِحَقِّ مَنْ سَبَقَنَا مِنَ العُلَمَاءِ، وَرَبْطًا لِلأَجْيَالِ وَالنَّاشِئَةِ بِعُلَمَائِهِمُ الَّذِينَ تَمَيَّزُوا -بِفَضْلِ اللَّهِ- بِالمَرْجِعِيَّةِ العَالَمِيَّةِ فِي العِلْمِ وَالفَتْوَىٰ؛ لِمَا تَحَلَّوْا بِهِ مِنْ اعْتِقَادٍ صَحِيحٍ، وَمَنْهَجٍ سَلِيمٍ.

وَالحَقُّ أَنَّهُم أَتْعَبُوا مَنْ بَعْدَهُمْ، وَتَرَكُوا فَرَاغًا يَصْعُبُ مَلْؤُهُ، وَلَكِنَّ الأَمَلَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ فِي البَقِيَّةِ المُبَارَكَةِ مِنْ عُلَمَائِنَا الأَجِلَّاءِ الَّذِينَ نَرْجُو أَنْ يَكُونُوا خَيْرَ خَلَفٍ لِخَيْرِ سَلَفٍ.

فَلَا تَزَالُ -بِحَمْدِ اللَّهِ- شَجَرَةُ الدَّعْوَةِ الإِصْلَاحِيَّةِ المُبَارَكَةِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، يَحْمِلُهَا اللَّاحِقُ عَنِ السَّابِقِ، فِي سَلاسِلَ ذَهَبِيَّةٍ، فِي نَفْعِ البِلَادِ وَالعِبَادِ، وَاللهُ غَالِبٌ عَلىٰ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ!

أَلا وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّـهُ - أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِكِمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ: كَثْرَةَ صَلَاتِكُمْ وَسَلامِكُمْ عَلَىٰ الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالنِّعْمَةِ الْمُسْدَاةِ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِاللَّـهِ، كَمَا قَالَ رَبُّكُم - جَلَّ فِي عُلَاهُ -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

الخطبة الأولى:

الحَمْـدُ للَّـهِ، أَعَادَ عَلَيْنَا آلاءً وَنِعَمًا، وَأَبَادَ عَنَّا فِتَنًا وَنِقَمًا، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ، أَوْجَدَنَا وَقَدْ كُنَّا عَدَمًا، وَفَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ شُعُوبًا وَأُمَمًا، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَشَادَ بِالْعِلْمِ قُلُوبَ أَهْلِهِ؛ فَفَاضَتْ حِكَمًا، وَرَفَعَ هَامَاتِ العُلَمَاءِ بِالتَّعْلِيمِ، فَشَفَىٰ بِهَا عِيًّا وَسَقَمًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ المَبْعُوثُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً عَرَبًا وَعَجَمًا، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ بَذَلُوا فِي العُلُومِ مُهَجًا وَهِمَمًا، فَكَانُوا شُمُوسًا وَقِمَمًا، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: لَا يَشُكُّ أَحَدٌ وَلَا يَتَمَارَىٰ، أَنَّ مَقَامَ العِلْمِ وَأَهْلِهِ مَقَامُ لَا يُجَارَىٰ، وَمِيدَانُهُمْ مِيدَانُ سَبْقٍ لَا يُبَارَىٰ، وَهَلْ بُنِيَتْ أَمْجَادُ

وَشُيِّدَتْ حَضَارَاتٌ عَبْرَ التأريخ إِلَّا عَلَىٰ دَعَائِمِهِ وَرَكَائِزِهِ؟! وَهَلْ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ؟

كَيْفَ ! وَالعِلْمُ أَشْرَفُ مَطْلُوبٍ، وَأَجَلُّ مَرْغُوبٍ، وَأَعْظَمُ مَوْهُوبٍ، العِلْمُ مَنْبَعُ الفَوَائِدِ، وَمَعْقِدُ الفَرَائِدِ، وَمَجْمَعُ الشَّوَارِدِ.

العِلْمُ شَرَفُ الدَّهْرِ، وَمَجْدُ العَصْرِ، وَوِسَامُ الفَخْرِ، وَتَاجُ الشَّرَفِ لِكُلِّ قُطْرٍ، وَهُوَ فَخَارُ الزَّمَانِ، وَإِكْسِيرُ الأَمْنِ وَالأَمَانِ، وَضَمَانَةُ السَّعَادَةِ وَالاطْمِئْنَانِ!

العِلْمُ كَنْزٌ وَذُخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ نِعْمَ القَرِينُ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحِبَا[1]

وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ المَوْلَىٰ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة:١١].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَإِذَا كَانَ العَالَمُ اليَوْمَ يَتَنَادَىٰ عَبْرَ هَيْئَاتِهِ العَالَمِيَّةِ، وَمُنَظَّمَاتِهِ الدُّوَلِيَّةِ؛ لِلْإِصْلَاحِ وَالتَّنْمِيَةِ، وَمُكَافَحَةِ الجَهْلِ وَالفَقْرِ وَالإِرْهَابِ وَالتَّنْمِيَةِ؛ فَإِنَّهُ وَاجِدٌ فِي العِلْمِ النَّافِعِ المَبْنِيِّ عَلَىٰ الإِيمَانِ الرَّاسِخِ ضَالَّتَهُ المَنْشُودَةَ، وَفِي إِيجَادِ جِيلٍ مُتَسَلِّحٍ بِالعُلُومِ وَالمَعَارِفِ، جَوْهَرَتَهُ المَفْقُودَةَ.

---

(١) مِنْ شِعْرِ أبي الأسود الدؤلي، يُنظر: «الفقيه والمتفقه» (١/ ١٨٦).

وَلَعَلَّ حَدِيثَ المُنَاسَبَةِ يَحْلُو، وَنَحْنُ نَعِيشُ مَعَ أَبْنَائِنَا الطُّلاَّبِ وَفَتيَاتِنَا الطَّالِبَاتِ إِشْرَاقَةَ عَامٍ دِرَاسِيٍّ جَدِيدٍ، وَإِطْلاَلَةَ مُوسِمٍ مُتَأَلِّقٍ فِي العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ وَالتَّحْصِيلِ، تَرْتَسِمُ عَلَىٰ مُحَيَّاهُ بَسَمَاتُ الآمَالِ الخَلاَّبَةِ، وَإِشْرَاقَاتُ الفَأْلِ الوَثَّابَةِ، وَاسْتِشْرَافَاتُ الجَمَالِ وَالجَلاَلِ وَالمَهَابَةِ الجَذَّابَةِ، فِي هِمَمٍ وَقَّادَةٍ لِتَحْقِيقِ مُسْتَقْبَلٍ أَفْضَلَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - لِرَفْعِ رَايَةِ تَقَدُّمِ المُجْتَمَعِ وَنَهْضَةِ الأُمَّةِ، وَمَا ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَزِيزٍ.

إِخْوَةَ الإِيمَانِ: حَجَرُ الزَّاوِيَةِ وَقُطْبُ الرَّحَىٰ فِي الآفَاقِ التَّعْلِيمِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ، فِئَةٌ عَزِيزَةٌ عَلَىٰ نُفُوسِنَا، مُتَمَكِّنَةٌ مِنْ قُلُوبِنَا، فِئَةٌ لَهَا مَكَانَتُهَا السَّامِيَةُ، وَمَنْزِلَتُهَا السَّامِقَةُ فِي الدِّينِ وَالمُجْتَمَعِ وَالأُمَّةِ، فِئَةٌ جَدِيرَةٌ بِالاحْتِرَامِ، وَالتَّكْرِيمِ وَالتَّقْدِيرِ، وَحَفِيَّةٌ بِالاهْتِمَامِ وَالإِجْلالِ وَالتَّوْقِيرِ، حَفِيلَةٌ بِالعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ وَالتَّبْجِيلِ؛ لأَنَّهَا فِي الأُمَّةِ بِمَنْزِلَةِ الغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ، كَيْفَ؟! وَقَدْ جَاءَ التَّنْوِيهُ بِقَدْرِهَا فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، وَلا غَرْوَ فَلَهَا فِي مَجَالِهَا القِدْحُ المُعَلَّىٰ، وَالدَّوْرُ المُجَلَّىٰ! كَيْفَ؟ وَهِيَ لِلعُقُولِ بَانِيَةٌ، وَلِتَقْوِيمِ الفُهُومِ وَتَثْقِيفِهَا رَانِيَةٌ، وَفِي الخَيْرِ سَاعِيَةٌ، أَصْحَابُهَا لِلعِلْمِ قَادَةٌ، وَلِلتَّرْبِيَةِ شَادَةٌ، وَلِلمَعْرِفَةِ رَادَةٌ، وَلِلتَّحْصِيلِ سَادَةٌ.

وَأَجْزِمُ - **يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ** - أَنَّكُمْ أَدْرَكْتُمْ بَعْدَ هَذَا النَّعْتِ الفَرِيدِ المَعْنَىٰ المُرَادَ وَبَيْتَ القَصِيدِ، إِنَّهَا فِئَةُ البَذْلِ وَالعَطَاءِ وَالمَكْرُمَاتِ، مِنَ

المُعَلِّمِينَ وَالمُعَلِّمَاتِ، وَالمُرَبِّينَ وَالمُرَبِّيَاتِ.

إِخْـوَةَ الإِسْـلَامِ: المُعَلِّمُونَ هُـمُ النُّجُومُ السَّاطِعَةُ، وَالكَواكِـبُ اللَّامِعَـةُ فِي سَمَاءِ العُلُـومِ وَالمَعَـارِفِ النَّافِعَـةِ، هُـمُ المَصَابِيحُ المُتَلَأْلِئَـةُ، وَالشُّمُوعُ الوَضَّـاءَةُ الَّتِي تَحْـتَرِقُ؛ لِتُضِيءَ الطَّرِيـقَ لِلأَجْيَـالِ الصَّاعِدَةِ وَالنَّاشِئَةِ الوَاعِـدَةِ، هُـمْ حَمَلَـةُ مِشْكَاةِ النُّبُـوَّةِ، وَالمُؤْتَمَنُـونَ عَلَىٰ مِيرَاثِ الرِّسَالَةِ فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ.

قُـمْ لِلْمُعَلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْجِـيلَا ... كَـادَ المُعَلِّـمُ أَنْ يَكُـونَ رَسُـولَا

أَرَأَيْتَ أَعْظَمَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي ... يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُـولَا[1]

فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُعَلِّمُونَ؛ يَا مَنْ شُرِّفْتُمْ بِأَعْظَمِ مُهِمَّةٍ، وَأَشْرَفِ وَظِيفَةٍ، هَنِيئًا لَكُمْ شَرَفُ الرِّسَالَةِ، وَنُبْلُ المُهِمَّةِ، فَمَهْمَا عَانَيْتُمْ وَقَاسَيْتُمْ، وَمَهْمَا جَارَ البَعْضُ عَلَيْكُمْ، وَهَمَّشَ رِسَالَتَكُمُ المُتَأَلِّقَةَ، وَقَلَّلَ هَيْبَتَكُمُ المُتَأَصِّلَةَ، وَغَمَطَكُمْ[2] حَقَّكُمُ الأَدَبِيَّ وَالمَعْنَوِيَّ، وَمَهْمَا أَغْفَلَ دَوْرَكُمُ الرَّائِدَ، وَمُهِمَّتَكُمُ المُشْرِقَةَ، لَا سِيَّمَا فِي عَصْرِ الثَّوْرَةِ التِّقَانِيَّةِ، وَالقَنَوَاتِ الفَضَائِيَّةِ، وَالشَّبَكَاتِ المَعْلُومَاتِيَّةِ، مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ، سَتَظَلُّونَ ـ أَحِبَّتِي

---

(١) الأبيات لأحمد شوقي، يُنظر: «ديوانه» (١/ ٨٥ وما بعدها).

(٢) غَمْطُ النَّاس: احتقارهم والإزراء بهم. يُنظر: «اللسان» (غمط).

المُدَرِّسِينَ - المَنْهَلَ العَذْبَ الَّذِي تَسْتَقِي مِنْهُ الأَجْيَالُ، وَالنُّورَ المُتَوَهِّجَ الَّذِي تَسْتَنِيرُ الأُمَّةُ بِهُدَاهُ إِلَىٰ مَوَاطِنِ العِزِّ وَالنَّصْرِ وَالرِّفْعَةِ وَالفَخَارِ.

وَمَهْمَا سَطَّرَ البَيَانُ وَنَطَقَ اللِّسَانُ، فَإِنَّهُ سَيَظَلُّ عَاجِزًا عَنْ تَوْفِيَتِكُمْ قَدْرَكُمْ، وَيَكْفِيكُمْ ثَنَاءُ رَبِّكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - وَمَدْحُ نَبِيِّكُمْ ﷺ، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ[1] وَغَيْرُهُ[2]، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَأَهْلَ الأَرْضِ، حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ**».

اللَّهُ أَكْبَرُ! يَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ عَظِيمٍ، وَشَرَفٍ جَسِيمٍ ! لَا يَنْتَظِرُ بَعْدَهُ المُعَلِّمُ مِنْ أَحَدٍ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا.

أَعِزَّائِي المُعَلِّمِينَ وَأَخَوَاتِي المُعَلِّمَاتِ: وَمَعَ عِظَمِ التَّشْرِيفِ لِعَظِيمِ التَّكْلِيفِ، فَاللَّهَ اللَّهَ! فِي الاضْطِلَاعِ بِحَمْلِ الرِّسَالَةِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ عَلَىٰ خَيْرِ وَجْهٍ، فَلَقَدْ ائْتَمَنَتْكُمُ الأُمَّةُ عَلَىٰ أَعَزِّ مَا تَمْلِكُ: عَلَىٰ عُقُولِ فَلَذَاتِ أَكْبَادِهَا، وَأَفْكَارِ ثَمَرَاتِ فُؤَادِهَا، أَلَيْسَ يَعِيشُ الطَّالِبُ سَحَابَةَ وَقْتِهِ، وَشَطْرَ يَوْمِهِ، مُتَقَلِّبًا فِي أَعْطَافِ قِلَاعِ التَّعْلِيمِ، وَحُصُونِ التَّرْبِيَةِ،

---

(١) برقم (٢٦٨٥) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩١٢) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

وَهِي - وَلَا رَيْبَ - المَحَاضِنُ المَأْمُونَةُ، وَالرِّيَاضُ الوَارِفَةُ، الَّتِي مِنْ أَهَمِّ أَرْكَانِهَا مُعَلِّمُونَ حَازِمونَ مَهَرَةٌ، وَأَسَاتِذَةٌ طَامِحُونَ بَرَرَةٌ، وَلَكِنْ - وَا حَرَّ قَلْبَاهُ، وَا عِظَمَ خَطْبَاهُ!! - إِذَا خَيَّبَ البَعْضُ الظُّنُونَ، فَانْسَلَّ إِلَىٰ هَذِهِ العَمَلِيَّةِ المُهِمَّةِ مُنْدَسُّونَ، فِي تَمَوُّجَاتٍ عَقَدِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ وَسُلُوكِيَّةٍ، وَانْتِمَاءَاتٍ وَوَلَاءَاتٍ طَائِفِيَّةٍ وَحِزْبِيَّةٍ.

فَيَا أَيُّهَا المُعَلِّمُ المُبَارَكُ: اجْعَلْ طَوْعَ بَنَانِكَ، وَخَفْقَ جَنَانِكَ، أَصْلَ الأُصُولِ: الإِخْلَاصُ للَّهِ فِي هَذِهِ المُهِمَّةِ العَظِيمَةِ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْ بَالِكَ - يَا رَعَاكَ اللَّهُ، وَأَنْتَ جُنْدِيٌّ فِي مَيدَانِ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ - أَنَّ التَّعْلِيمَ قُرْبَةٌ وَعِبَادَةٌ يُزْدَلَفُ بِهَا إِلَىٰ اللَّهِ، فَإِنْ فَقَدَ المُعَلِّمُ هَذَا الأَصْلَ، انْتَقَلَ مِنْ أَفْضَلِ الطَّاعَاتِ إِلَىٰ أَسْوَإِ المُخَالَفَاتِ، وَمِنْ أَعَالِي الدَّرَجَاتِ إِلَىٰ أَحَطِّ الدَّرَكَاتِ.

فَاسْتَمْسِكْ - أَخِي المُعَلِّمَ أَقَرَّ اللَّهُ بِكَ الأَعْيُنَ - بِهَذَا الأَصْلِ الأَصِيلِ، فَبِقَدْرِ تَحْقِيقِهِ لَدَيْكَ، تَجْنِي الثِّمَارَ بِيَدَيْكَ، غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ، وَلِوَالِدِينَا وَوَالِدَيْكَ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: الجِيلُ أَمَانَةٌ، وَالتَّعْلِيمُ وَالتَّرْبِيَةُ أَمَانَةٌ، وَأَيُّ ضَرْبٍ مِنَ التَّهَاوُنِ وَالتَّقَاعُسِ فِي أَدَاءِ هَذِهِ الأَمَانَةِ، فَإِنَّهُ لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الخِيَانَةِ،

وَاللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وَيَا للّٰهِ! مَا أَعْظَمَ هَذِهِ الأَمَانَةَ! وَمَا أَخْطَرَ التَّفْرِيطَ فِيهَا! لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الأَعْصَارِ المُتَأَخِّرَةِ، حَيْثُ التَّحَدِّيَاتُ الخَطِرَةُ، والمُسْتَجِدَّاتُ المُتَلاحِقَةُ، وَالمُتَغَيِّرَاتُ المُتَسَارِعَةُ، وَالأَزَمَاتُ المُتَتَابِعَةُ.

وَلَعَمْرُ الحَقِّ! كَمْ نَحْنُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَىٰ العَوَاصِمِ مِنَ القَوَاصِمِ الَّتِي زَعْزَعَتْ أَرْكَانَ كَثِيرٍ مِنَ المُجْتَمَعَاتِ، وَأَوْهَتْ مُنَّتَهَا[1] السُّلُوكِيَّةَ وَالتَّعْلِيمِيَّةَ، وَلَعَلَّ مَنْ حَمَلُوا أَمَانَةَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ أَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ مَنْ يَتَحَلَّىٰ بِرَوْنَقِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ العَظِيمَةِ، الَّتِي أَحْسَبُ أَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ مَا يَتَوَشَّىٰ بِهِ المُعَلِّمُونَ. ذَلِكَ هُو جَانِبُ القُدْوَةِ وَالْتِزَامُ أَخْلَاقِيَّاتِ هَذِهِ المُهِمَّةِ النَّبِيلَةِ المَسْؤُولَةِ، وَذَلِكَ بِحُسْنِ السَّمْتِ، وَالهَدْيِ الصَّالِحِ، وَجَمَالِ البَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَمُرَاعَاةِ كَرِيمِ السَّجَايَا وَالشَّمَائِلِ، وَنُبْلِ الأَخْلَاقِ وَالفَضَائِلِ، الَّتِي تَأْسِرُ الطُّلَّابَ عَلَىٰ الائْتِسَاءِ أَسْرًا. وَأَقْبَحُ مَا يَرَىٰ المُتَلَقِّي مِنْ مُعَلِّمِهِ ـ وَهُوَ يَرْمُقُ سُلُوكَهُ ـ أَنْ يُخَالِفَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ، فَإِنْ وَقَعَ المُعَلِّمُ فِي هَذَا الدَّرَكِ، أُهِيبَ بِحَسْرَةٍ:

---

(١) أَوْهَتْ مُنَّتَهَا: أي: قوَّتها، وذَهَبَ بِمُنَّتِهِ: بقوَّته. يُنظر: «القاموس المحيط» (منَّ).

يَـا أَيُّهَـا الرَّجُـلُ المُعَلِّـمُ غَـيْرِهِ   هَـلَّا لِنَفْـسِكَ كَـانَ ذَا التَّعْلِـيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ مِنَ السِّقَامِ لِذِي الضَّنَا   كَـيْمَا يَـصِحُّ بِـهِ وَأَنْـتَ سَـقِيمُ
وَأُرَاكَ تَلْقَـحُ بِالرَّشَـادِ عُقُولَنَـا   نُصْحًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَـدِيمُ[1]

وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الحَقِّ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:٣].

وَهَلْ أَفْرَزَتْ تِلْكَ التَّنَاقُضَاتُ التَّرْبَوِيَّةُ إِلَّا جِيلًا يَعِيشُ مَعَرَّةَ التَّنَاقُضِ وَالازْدِوَاجِيَّةِ، وَمَا تُخَلِّفُهُ مِنْ آثَارٍ نَفْسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ خَطِيرَةٍ، فَأُعِيذُكَ بِاللَّهِ ـ أَيُّهَا المُعَلِّمُ الفَاضِلُ ـ أَنْ يَكُونَ لَكَ كِفْلٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَثَارَةٌ مِنْهُ، فَمَا ذَاكَ إِلَّا طَعْنَةٌ نَجْلَاءُ بِخِنْجَرٍ مَسْمُومٍ فِي خَاصِرَةِ الفِكْرِ الصَّحِيحِ وَالمَنْهَجِ السَّلِيمِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مَسْؤولِيَّةَ اخْتِيَارِ الأَكْفَاءِ مِنَ المُتَصَدِّينَ لِلرِّسَالَةِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ، مَسْؤولِيَّةٌ عُظْمَىٰ، فَلَا يُصَدَّرُ فِي هَذَا المَجَالِ كُلُّ دَعِيٍّ مُهَوَّسٍ، وَلَا يُعَيَّنُ كُلُّ مُفْلِسٍ مُتَصَحِّرِ الفِكْرِ، حَتَّىٰ لَا تُلَاكَ هَذِهِ المُهِمَّةُ العَظِيمَةُ فِي كُلِّ نَادٍ وَمَجْلِسٍ.

وَمِنْ هُنَا تَأْتِي ضَرُورَةُ حُسْنِ الإِعْدَادِ، وَدَوْرَاتِ التَّدْرِيبِ

---

(١) أخرج هذه الأبيات البيهقي بسنده في «شعب الإيمان» (٢/ ٣١٦) ونسبها إلى ابن السمّاك الواعظ.

وَالإِمْدَادِ؛ تَرَقِّيًا فِي مَدَارِجِ السُّمُوِّ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ الكُبْرَىٰ وَالمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهَا، وَحِفْظًا لِلأَجْيَالِ مِنْ رُعُونَاتِ الأَخِلَّاءِ. وَمِمَّا يَجْدُرُ التَّذْكِيرُ بِهِ فِي هَذَا الصَّدَدِ: رَبْطُ العِلْمِ بِالأَدَبِ، فَهُمَا صِنْوَانِ لا يَفْتَرِقَانِ، وَعَلَىٰ هَذَا دَرَجَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ حِلْيَةِ المُعَلِّمِ المُوَفَّقِ.

عَنِ ابنِ سِيرِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ - قَالَ: «**كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الهَدْيَ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ العِلْمَ**». وَعَنْ رَجَاءَ بنِ حَيْوَةَ - رَحِمَه اللَّهُ - أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: «**حَدِّثْنَا وَلَا تُحَدِّثْنَا عَنْ مُتَمَاوِتٍ وَلَا طَعَّانٍ**». رَوَاهُمَا الخَطِيبُ فِي الجَامِعِ[1].

وَقَالَ ابنُ المُبَارَكِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «**نَحْنُ إِلَىٰ قَلِيلٍ مِنَ الأَدَبِ أَحْوَجُ بِنَا إِلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ العِلْمِ**»[2].

وَقَالَ ابنُ وَهْبٍ: «**مَا تَعَلَّمْنَا مِنْ أَدَبِ مَالِكٍ أَكْثَرُ مِمَّا تَعَلَّمْنَا مِنْ عِلْمِهِ**»[3].

وَقَالَ الآجُرِّيُّ فِي (أَخْلَاقِ العُلَمَاءِ)[4]: «**وَيُؤَدِّبُ جُلَسَاءَهُ بِأَحْسَنِ مَا**

---

(١) يُنظر: «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٧٩، ١٣٩).

(٢) أخرجه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (١/ ٥٥٩)، والخطيب البغدادي في «شرف أصحاب الحديث» (١/ ١٢٢).

(٣) يُنظر: «تاريخ الإسلام» (١١/ ٣٢٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ١١٣).

(٤) (ص٥٢).

يَكُونُ مِنَ الأَدَبِ».

فَالعِلْمُ حَرْبٌ للفَتَىٰ المُتَعَالِي كَالسَّيْلِ حَرْبٌ للمَكَانِ العَالِي[1]

في تَوَاضُعٍ جَمٍّ، وَطَلَاقَةٍ في المُحَيَّىٰ، وَتَصَوُّنٍ عَنِ الشُّبُهَاتِ وَاللَّغَطِ، فَإِنَّ الغَلَطَ تَحْتَ اللَّغَطِ.

وَإِذَا المُعَلِّم سَاءَ لَحْظَ بَصِيرَةٍ جَاءَتْ عَلَىٰ يَدِهِ المَعَارِفُ حُولَا[2]

مَعَ الحَذَرِ مِنْ إِقْحَامِهِمْ فِيمَا لَا يُدْرِكُونَهُ وَلَا يَفْهَمُونَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ، يَقُولُ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!»[3]. وَفي أَثَرٍ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُحَدِّثَ النَّاسَ بِحَدِيثٍ لَمْ تَبْلُغْهُ عُقُولُهم إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[4].

عَزِيزِي المُعَلِّمَ، أُخْتِي المُعَلِّمَةَ: وَمِمَّا لَا يَفُوتُ سَوْقُهُ، أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ رَبْطِ العِلْمِ وَالتَّرْبِيَةِ بِالمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ، وَالمَنْهَجِ السَّلِيمِ، وَالدِّينِ الحَنِيفِ، الَّذِي شَرُفْنَا بِالانْتِسَابِ إِلَيْهِ.

رَبُّوا الأَجْيَالَ عَلَىٰ مَنْهَجِ الوَسَطِيَّةِ وَالاعْتِدَالِ، فَلَا غُلُوَّ وَلَا جَفَاءَ،

---

(١) يُنظر: «التبيان في آداب حملة القرآن» (١/ ٢٥).

(٢) هذا البيت لِشَوقي، يُنظر: «ديوانه» (١/ ١١٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٧).

(٤) أخرجه مسلم (٥).

عَلِّمُوهُمْ قِيَمَ التَّسَامُحِ وَالرِّفْقِ وَاليُسْرِ، وَرَفْعِ الحَرَجِ، حَذِّرُوهُمْ مِنَ الأَفْكَارِ المُنْحَرِفَةِ، وَالمَسَالِكِ الضَّالَّةِ، وَالتَّيَّارَاتِ الزَّالَّةِ، سَوَاءً أَكَانَ فِي جَانِبِ الغُلُوِّ فِي الدِّينِ، أَمْ التَّحَلُّلِ مِنَ القِيَمِ وَالثَّوَابِتِ، وَالانْسِيَاقِ وَرَاءَ عَوْلَمَةِ الفِكْرِ، وَتَغْرِيبِ الثَّقَافَةِ؛ فَكِلَا طَرَفَي قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ.

وَأَجْزِمُ أَنَّهُ عِنْدَ تَحْقِيقِ ذَلِكَ كُلِّهِ، أَنَّ الأُمَّةَ سَتَسْعَدُ - بِمَنِّ اللَّهِ - بِجِيلٍ لَا كَالأَجْيَالِ، فَرِيدٍ مِنْ نَوْعِهِ: عَقِيدَةً وَمَنْهَجًا وَسُلُوكًا.

وَبَعْدُ، أُمَّةَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ: فَتِلْكَ شَذْرَةٌ مِنْ صِفَاتِ وَآدَابِ المُعَلِّمِ المُلْهَمِ النَّاجِحِ، لِإِيجَادِ جِيلٍ مُتَبَصِّرٍ نَاجِحٍ، وَمُتَهَمِّمٍ صَالِحٍ، تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُ الأُسْرَةِ وَالمُجْتَمَعِ وَالأُمَّةِ، فَبُورِكَتْ جُهُودُ المُعَلِّمِينَ الكُفَاةِ، وَسُدِّدَتْ أَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ، وَلَا حَرَمَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ بَذْلِهِم وَعَطَائِهِم، فَثَغْرُهُمْ أَهَمُّ الثُّغُورِ المَعْنَوِيَّةِ، فَكَمْ نَفَعَ اللَّهُ بِهِمُ البِلَادَ وَالعِبَادَ! وَكَمْ تَعَلَّمَتِ الأَجْيَالُ مِنْهُمْ، كَيْفَ يَكُونُ البَذْلُ وَالعَطَاءُ، فِي مَنْهَجٍ مُتَمَيِّزٍ، وَفِكْرٍ نَيِّرٍ، وَإِبْدَاعٍ مُتَأَلِّقٍ، سَيَكُونُ بِإِذْنِ اللَّهِ زَادًا نِعِمَّا هُوَ فِي دُنْيَاهُمْ، وَذُخْرًا فِي أُخْرَاهُمْ.

وَكَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِ العَامِلِينَ لِخِدْمَةِ دِينِهِمْ، وَصَلَاحِ مُجْتَمَعِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للَّـهِ بَارِئِ النَّسَمِ، وَخَالِقِ اللَّوحِ وَالقَلَمِ، أَحْمَدُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ مَا أَسْدَىٰ وَأَنْعَمَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُاللَّهِ وَرَسُولُهُ الهَادِي إِلَىٰ السَّبِيلِ الأَقْوَمِ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ، وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّـهَ ـ عِبَادَ اللَّـهِ ـ فَإِنَّ تَقْوَىٰ اللَّـهِ هِيَ الزَّادُ وَالعُدَّةُ، وَمُتَنَزَّلُ المَحَامِدِ، وَمِعْرَاجُ السُّمُوِّ، وَمَبعَثُ القُوَّةِ، وَالمُعِينُ عَلَىٰ العِلْمِ وَالعَمَلِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الفِتَنِ، وَالعِصْمَةِ مِنَ المِحَنِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: وَمِنْ أَهَمِّ صِفَاتِ المُعَلِّمِ النَّاجِحِ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الأَلْفَاظِ، دَقِيقَ الأَلْحَاظِ، مُرْتَوِيًا بِمَا يَحْمِلُ مِنْ أَفْكَارٍ تَعْلِيمِيَّةٍ مُبْدِعَةٍ، مُتَمَكِّنًا مِنْ أُصُولِ المَسَائِلِ الَّتِي يَطْرَحُهَا، إِيجَابِيًّا فِي بَسْطِهَا، مُرَاعِيًا الفُرُوقَ العَقْلِيَّةَ وَالشُّعُورِيَّةَ وَالاجْتِمَاعِيَّةَ بَيْنَ طُلَّابِهِ، مُتَجَدِّدًا فِي أُسْلُوبِ عَرْضِهِ، لَا يَقِفُ فِي العِلْمِ عِنْدَ حَدِّ الشَّهَادَةِ المُؤَقَّتَةِ، بَلْ العِلْمُ عِنْدَهُ كَمَا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ ـ: «مَعَ المَحْبَرَةِ

إِلَىٰ المَقْبَرَةِ»[1].

وَمِنْ أَهَمِّ سِمَاتِ المُعَلِّمِ الوُقُوفُ عِنْدَ حُدُودِ عِلْمِهِ، وَعَدَمُ الجُرْأَةِ عَلَىٰ الفَتْوَىٰ، وَالقَوْلِ عَلَىٰ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَسُؤَالُ مَنْ هُوَ أَعْلَمَ مِنْهُ، وَعَدَمُ الاسْتِنْكَافِ مِنْ قَوْلِ: لَا أَدْرِي. يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: «**إِذَا نَسِيَ العَالِمُ كَلِمَةَ (لَا أَدْرِي)، فَقَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ**»[2].

وَيَقُولُ الشَّعْبِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**(لَا أَدْرِي) نِصْفُ العِلْمِ**»[3].

وَلْيَحْذَرِ المُعَلِّمُ الفَاضِلُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مُتَنَمِّرًا فِي العِلْمِ، مُتَطَفِّلًا عَلَىٰ غَيْرِ فَنِّهِ، فَمَنْ تَحَدَّثَ فِي غَيْرِ فَنِّهِ أَتَىٰ بِالعَجَائِبِ، وَلْيَحْذَرْ ـ أَيْضًا ـ أَنْ يَكُونَ أَبَا شِبْرٍ فِي العِلْمِ، فَقَدْ قِيلَ: العِلْمُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ، مَنْ دَخَلَ الشِّبْرَ الأَوَّلَ تَكَبَّرَ، وَمَنْ دَخَلَ الشِّبْرَ الثَّانِي تَوَاضَعَ، وَمَنْ دَخَلَ الشِّبْرَ الثَّالِثَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ.

كَمَا يَحْذَرُ مِنَ التَّصَدُّرِ قَبْلَ حِينِهِ، فَمَنْ تَصَدَّرَ قَبْلَ حِينِهِ؛ هَوَىٰ فِي

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٦، ٣٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى السنن» (ص٤٣٦)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣٦٦). .

(٣) أخرجه الدارمي (١/ ٧٤)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن» (١/ ٤٣٥) من قول الشعبي ـ رحمه الله ـ.

حِينِهِ، وَلْيَرْهَبِ الخَوْضَ في زَلَّاتِ العُلَمَاءِ، وَتَتَبُّعِ سَقَطَاتِ النُّبَلَاءِ، وَلَا يُقْحِمُ نَفْسَهُ وَطُلَّابَهُ فِيمَا يُوغِرُ الصُّدورَ، وَيَبْعَثُ عَلَىٰ الفُرْقَةِ وَالاخْتِلَافِ وَالشُّرُورِ، وَالازْدِوَاجِيَّةِ وَعَظَائِمِ الأُمُورِ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَأَنَّىٰ لَهُ أَنْ يُخَرِّجَ جِيلًا مُتَوَشِّحًا بِسِرْبَالِ الأَدَبِ؛ خَشْيَةَ الخِلَافِ وَالعَطَبِ.

أُخْتِي المُعَلِّمَةَ: وَلَيْسَ مَسْؤُولِيَّتُكِ التَّرْبَوِيَّةُ بِأَقَلَّ مِنْ مَسْؤُولِيَّةِ المُعَلِّمِينَ، بَلْ قَدْ تَكُونُ أَعْظَمَ، لِـمَا تُمَثِّلُهُ المَرْأَةُ مِنْ مَكَانَةٍ عُظْمَىٰ في المُجْتَمَعِ وَالأُمَّةِ، فَاللَّهَ اللَّهَ! في الالْتِزَامِ بِكَمَالِ التَّرْبِيَةِ وَبَهَاءِ التَّعْلِيمِ، عَلَىٰ مَا يُمَيِّزُ المَرْأَةَ المُسْلِمَةَ في حِجَابِهَا وَعَفَافِهَا وَحِشْمَتِهَا، وَمَا يُجَافِيهَا عَنْ كُلِّ مَا يُخِلُّ بِكَرَامَتِهَا، وَلَا يُنَاسِبُ طَبِيعَتَهَا مِنْ جَوَانِبِ الاخْتِلَاطِ المُحَرَّمِ، وَالتَّبَرُّجِ المَذْمُومِ.

رَبُّوا البَنَاتِ عَلَىٰ الفَضِيلَةِ إِنَّهَا ... في الخَافِقَيْنِ لَهُنَّ خَيرُ وِثَاقِ[1]

وَإِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا في هَذِهِ البِلادِ المُبَارَكَةِ، مَا نَنْعَمُ بِهِ مِنْ خُصُوصِيَّةٍ مُمَيَّزَةٍ في مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ وَأَهْدَافِهِ وَغَايَاتِهِ، وَتَوَاؤُمٍ فَذٍّ بَيْنَ مُدْخَلَاتِ التَّعْلِيمِ وَمُخْرَجَاتِهِ.

---

(١) مِنْ شِعْرِ حافظ إبراهيم (شاعر النيل)، يُنظر: «ديوانه» (ص ٢٣٠).

فَالْمُقَرَّراتُ وَالْمَنَاهِجُ ـ نَحْمَدُ اللَّهَ ـ مَفَاخِرُ وَمَبَاهِجُ، وَبِهَا تَتَحقَّقُ النَّهضَةُ وَالآمَالُ، وَتَتَخَرَّجُ أَجْيَالُ الوَسَطِيَّةِ وَالاعْتِدَالِ، وَإِنَّ مَسْؤُولِيَّةَ المُعَلِّمِ فِي ذَلِكَ أَنْ يَرْبِطَ طُلَّابَهُ بِالوَلَاءِ لِلَّهِ، ثُمَّ لِدِينِهِ وَوُلَاةِ أَمْرِهِ وَعُلَمَائِهِ وَبِلادِهِ، وَأَنْ يُعَزِّزَ فِيهِمْ انْتِمَاءَهُمْ لِعَقِيدَتِهِمْ وَبِلَادِهِمُ الإِسْلَامِيَّةِ، الَّتِي هِيَ قِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَهْبِطُ الوَحْيِ، وَأَرْضُ الحَرَمَينِ وَالرِّسَالَةِ الخَالِدَةِ.

أَدَامَ اللَّهُ عَلَيهَا وَعَلَىٰ سَائِرِ بِلادِ الْمُسْلِمِينَ الأَمْنَ وَالأَمَانَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ. أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة].

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُم اللَّهُ ـ عَلَىٰ مُعَلِّمِ البَشَرِيَّةِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ رَبُّ البَرِيَّةِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

القسم الثالث:

العقيدة

الخطبة الأولى:

الحَمْدُ للَّـهِ رَبِّ العَالَـمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، القَائِلِ في مُحْكَمِ كِتَابِهِ المُبِينِ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الجاثية]، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الخَلْقُ كُلُّهُ، وَلَهُ الحَمدُ كُلُّهُ، وَلَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، بَعَثَهُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَىٰ اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّىٰ الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ وَكَشَفَ ـ بِإِذْنِ رَبِّهِ ـ الغُمَّةَ، فَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أمَّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَأَطِيعُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتَمَسَّكُوا بِشَرِيعَتِهِ، وَعَلَىٰ آلائِهِ اشْكُرُوهُ.

عِبَادَ اللَّهِ، أَتُدْرِكُونَ كَيْفَ تَتَحَقَّقُ عُبُودِيَّتُكُمْ لِرَبِّكُمْ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ؟ أَتَعْلَمُونَ بِمَاذَا تَتَمَثَّلُ دَيْنُونَتُكُمْ لِإِلَٰهِكُمْ عَلَىٰ أَهْدَىٰ سَبِيلٍ وَأَقْوَمِ طَرِيقَةٍ؟

إِنَّ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِلَّا بِالإِيمَانِ الكَامِلِ بِالحَاكِمِيَّةِ لله وَحْدَهُ؛ ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف]؛ كَمَا أَنَّهُ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِاليَقِينِ التَّامِّ، وَالإِيمَانِ الجَازِمِ بِأَحَقِّيَّةِ شَرِيعَةِ اللَّهِ لِتَنْظِيمِ الحَيَاةِ البَشَرِيَّةِ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الأَفْرَادِ وَالمُجتَمَعَاتِ، وَعَلَىٰ جَمِيعِ الدُّوَلِ وَالحُكُومَاتِ: فِي العَقَائِدِ وَالعِبَادَاتِ، وَالأَخْلَاقِ وَالمُعَامَلَاتِ، وَأُصُولِ الحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ، وَالاقْتِصَادِ وَالاجْتِمَاعِ وَالسُّلُوكِ، وَكُلِّ مَجَالٍ مِنَ المَجَالَاتِ.

لَقَدْ دَاخَلَتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ كُلَّ الفِئَاتِ، وَوَسِعَتْ جَمِيعَ الأَجْنَاسِ وَالبِيئَاتِ، وَسَادَتْ عَلَىٰ العَوَالِمِ وَالحَضَارَاتِ، هَيْمَنَتْ عَلَىٰ جَمِيعِ الأَزْمِنَةِ وَالأَعْصَارِ، وَسِعَتْ كُلَّ الأَمْكِنَةِ وَالأَمْصَارِ، فَلَمْ تَضِقْ ذَرْعًا

بِكُلِّ جَدِيدٍ، وَإِنَّمَا شَمِلَتْ كُلَّ تَلِيدٍ[1] وَطَرِيفٍ.

وَلَمْ تَقِفْ عَاجِزَةً يَوْمًا مَا أَمَامَ الْمُسْتَجِدَّاتِ، بَلْ كَانَتْ دَوَاءً نَاجِعًا[2] لِلْمُعْضِلاتِ، وَبَلْسَمًا شَافِيًا لِلْمُشْكِلَاتِ، وَحَكَمًا عَدْلًا عَلَىٰ جَمِيعِ الْمُتَغَيِّرَاتِ، مَعَ مُوَاكَبَةٍ لِلْمُعَاصَرَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ تَطَوُّرَاتٍ، كَيْفَ وَهِيَ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ؟! ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك]، ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: إِنَّ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ العَقِيدَةِ: أَنَّ الإِلٰهَ الَّذِي يُصَلَّىٰ لَهُ، وَيُسْجَدُ لَهُ، هُوَ الإِلٰهُ الَّذِي يَجِبُ التَّحَاكُمُ إِلَىٰ شَرْعِهِ، وَتَطْبِيقُ تَعَالِيمِهِ، وَاتِّبَاعُ أَوَامِرِهِ فِي كُلِّ شَاذَّةٍ وَفَاذَّةٍ، وَفِي شَتَّىٰ نَوَاحِي الحَيَاةِ.

فَالإِلٰهُ الَّذِي يَتَفَرَّدُ بِالخَلْقِ وَحْدَهُ، هُوَ الَّذِي يَتَفَرَّدُ بِالأَمْرِ وَحْدَهُ؛

---

(١) التَّلِيدُ: من تَلَدَ، والتَالِدُ: المال القديم الأصليُّ، فالتليد: القديم، وفي الأثر عن ابن مسعود ﷺ قال: «بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالْكَهْفُ، وَمَرْيَمُ، وَطه، وَالْأَنْبِيَاءُ، هُنَّ مِن الْعِتَاقِ الْأُوَلِ، وَهُنَّ من تِلَادِي»، أي من قديم ما أخذت من القرآن. يُنظر: «اللسان» (تلد).

(٢) يُقال: مَاءٌ نَاجِعٌ، أي: هَنِيءٌ، مَرِيءٌ. ودَوَاءٌ نَاجِعٌ، أي: شَافٍ، فَعَّالٌ، نَافِعٌ. يُنظر: «المحيط» (نجع).

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَمَا أُسِيءَ فَهْمُ الإِسْلامِ، إِلَّا لَـمَّا أُقْصِيَ عَنْ تَنْظِيمِ أُمُورِ الحَيَاةِ، وَفُصِلَ عَنِ الحُكْمِ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ مَجَالاتِهَا بِحُجَّةٍ أَوْ بِأُخْرَىٰ.

وَمَا غُزِيَتِ المُجْتَمَعَاتُ الإِسْلَامِيَّةُ بِدَسِيسَةٍ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ إِقْصَاءِ شَرِيعَةِ اللَّهِ عَنِ الحُكْمِ عَلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ فِي أَرْضِ اللَّهِ، وَالاعْتِيَاضِ عَنْهَا بِقَوَانِينَ وَضْعِيَّةٍ وَأَنْظِمَةٍ بَشَرِيَّةٍ، هِيَ سُبَاطَةُ[1] أَذْهَانٍ ضَعِيفَةٍ، وَعُصَارَةُ أَفْكَارٍ هَزِيلَةٍ، طُبِّقَتْ حِقَبًا مِنَ الدَّهْرِ، وَرَدْحًا[2] مِنَ الزَّمَنِ، فَمَا جَلَبَتْ غَيْرَ الخَرَابِ وَالدَّمَارِ، وَمَا أَحَلَّتْ غَيْرَ البَلَاءِ وَالبَوَارِ.

فَهَلْ قَطَعَتْ دَابِرَ الجَرِيمَةِ؟! وَهَلْ قَضَتْ عَلَىٰ مَظَاهِرِ الفَسَادِ؟! وَهَلْ حَقَّقَتِ الأَمْنَ لِلبِلَادِ وَالعِبَادِ؟! لَا وَرَبِّ الكَعْبَةِ! وَهَلْ يَقْطَعُ المَاءُ المِلْحُ الأُجَاجُ شَدِيدَ الظَّمَأِ؟!

لَقَدْ دَلَّتِ الإِحْصَاءَاتُ، وَطَالَعَتْنَا التَّقْرِيرَاتُ: أَنَّ المُجْتَمَعَاتِ الَّتِي لا تُطَبَّقُ فِيهَا هَذِهِ الشَّرِيعَةُ، تَكُونُ الجَرَائِمُ فِيهَا بِمُعَدَّلِ جَرِيمَةٍ فِي كُلِّ

---

(١) السُّبَاطَةُ: الكُنَاسَةُ، أي: الموضع الّذي تُرمى فيه الكُناسة والتّراب. يُنظر: «اللسان» (سبط).

(٢) الرَّدَح: المُدَّة الطويلة، يُقال: أقام ردحًا من الدَّهر، أي: مُدَّة طويلةً، أو: طويلًا. يُنظر «تاج العروس» (ردح).

دَقِيقَةٍ؛ قَتْلٌ أَوْ زِنَىٰ أَوْ سَرِقَةٌ أو انْتِحَارٌ أو اخْتِطَافٌ أو غيرُهَا.

فَكَيْفَ يَرْضَىٰ العُقَلاءُ أَنْ يَحْكُمُوا أَو يُحْكَمُوا بِغَيرِ شَرِيعَةِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ؟!

وَلَقَدْ اسْتَبَانَ لِلعَالَمِ كُلِّهِ إِفْلاسُ النُّظُمِ الوَضْعِيَّةِ، وَعَجْزُهَا عَنْ تَحْقِيقِ السَّعَادَةِ البَشَرِيَّةِ، وَهَذَا بُرْهَانٌ سَاطِعٌ، وَدَلِيلٌ قَاطِعٌ، عَلَىٰ أَنَّ المَخْلُوقَ الضَّعِيفَ لَا غِنَىٰ لَهُ عَنْ تَشْرِيعِ الخَالِقِ القَوِيِّ القَادِرِ، العَالِمِ بِمَصَالِحِ العِبَادِ، وَمَا يُسْعِدُهُم فِي المَعَاشِ وَالمَعَادِ.

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - تَبْقَىٰ دَعْوَةٌ مَبْحُوحَةٌ لِلْمُتَحَذْلِقِينَ[1]: أَهْلِ العَلْمَنَةِ، المَفْتُونِينَ بِأَعْدَاءِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ، الَّذِينَ لَا يَزَالُ فَحِيحُهُمْ[2] المَسْمُومُ يُسْمَعُ بَيْنَ الفَيْنَةِ وَالأُخْرَىٰ، مُتَّهِمِينَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ بِالعَجْزِ وَالقُصُورِ عَنْ مُسَايَرَةِ رَكْبِ المَدَنِيَّةِ الحَدِيثَةِ؟! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف]، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]،

---

(١) المُتَحَذْلِقُ: المتظرِّفُ والمتكيِّس؛ يُقال: بدا متحذلقًا في كلامه، سطحيًّا في تفكيره. يُنظر: «اللسان» (حذلق).

(٢) الفَحْفَحَةُ: تردد الصوت، والفحيح: صوت الأفعى. يُنظر: «اللسان» (فحح).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء]، وَكُلُّ دَعْوَةٍ إِلَىٰ تَحْكِيمِ غَيْرِ شَرِيعَةِ اللَّهِ، فَهِيَ دَعْوَةٌ طَاغُوتِيَّةٌ مَرْدُودَةٌ.

وَلَقَدْ نَفَىٰ القُرْآنُ الإِيمَانَ عَمَّنْ لَمْ يَتَحَاكَمْ إِلَىٰ شَرِيعَةِ اللَّهِ وَإِلَىٰ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تَعْلِيقًا عَلَىٰ هَذِهِ الآيَةِ: «**أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ عَلَىٰ نَفْيِ الإِيمَانِ عَنِ العِبَادِ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوا رَسُولَهُ فِي كُلِّ مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ مِنَ الدَّقِيقِ وَالجَلِيلِ، وَلَمْ يَكْتَفِ فِي إِيمَانِهِم بِهَذَا التَّحْكِيمِ بِمُجَرَّدِهِ، حَتَّىٰ يَنْتَفِي عَنْ صُدُورِهِمُ الحَرَجُ وَالضِّيقُ بِقَضَائِهِ وَحُكْمِهِ، وَلَمْ يَكْتَفِ مِنْهُمْ بِذَلِكَ ـ أَيْضًا ـ حَتَّىٰ يُسَلِّمُوا لَهُ تَسْلِيمًا وَيَنْقَادُوا انْقِيَادًا**»(١).

وَيَقُولُ سَمَاحَةُ العَلَّامَةِ المُفْتِي الشَّيْخ مُحَمَّدُ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**إِنَّ مِنَ الكُفْرِ الأَكْبَرِ المُسْتَبِينِ، تَنْزِيلَ القَانُونِ اللَّعِينِ، مَنْزِلَةَ مَا نَزَلَ بِهِ**

---

(١) يُنظر: «إعلام الموقعين» (١/ ٥١).

الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِيَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ لِلحُكْمِ بِهِ بَيْنَ العَالَمِينَ، وَالرَّدِّ إِلَيْهِ عِنْدَ تَنَازُعِ المُتَنَازِعِينَ»[1].

وَلَقَدْ وَصَفَ ـ سُبْحَانَهُ ـ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِشَرْعِهِ بِثَلَاثَةِ أَوْصَافٍ شَنِيعَةٍ: بِالْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالفِسْقِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ!!

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ: إِنَّ تَطْبِيقَ شَرِيعَةِ اللَّهِ هُوَ عُنْوَانُ الصَّلَاحِ، وَطَرِيقُ الإِصْلَاحِ، وَسَبِيلُ العِزِّ وَالفَلَاحِ، وَسَبَبُ الخَيْرِ وَالتَّوْفِيقِ وَالنَّجَاحِ، إِنَّهُ لَا سَعَادَةَ لِلبَشَرِيَّةِ اليَوْمَ ـ وَهِيَ تَخْبِطُ فِي دَيَاجِيرِ[2] الظَّلَامِ، وَتُعَانِي مِنَ الضَّيَاعِ وَالشَّقَاءِ، وَعَدَمِ صَلَاحِ الأَوْضَاعِ، وَتُعَانِي الانْهِيَارَ فِي مَجَالَاتٍ شَتَّىٰ ـ إِلَّا بِتَحْكِيمِ شَرِيعَةِ اللَّهِ.

وَمَا حَلَّ وَيَحِلُّ بِالأُمَمِ مِنْ بَلَاءٍ وَدِمَاءٍ، وَفِتَنٍ وَتَسَلُّطٍ، إِلَّا نَتِيجَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِإِقْصَاءِ النُّورِ المُشْرِقِ، وَالفَجْرِ الوَضَّاءِ عَنِ التَّطْبِيقِ فِي وَاقِعِ الحَيَاةِ، وَهَذَا يُجَسِّدُ المَسْؤولِيَّةَ عَلَىٰ جَمِيعِ أَهْلِ الإِسْلَامِ، الَّذِينَ ـ لَا شَكَّ ـ يَهُمُّهُمْ أَمْرُ دِينِهِمْ، وَيُؤَرِّقُهُمْ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ حَالُ أُمَّتِهِمْ.

وَإِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ مَسْؤولِيَّةً فِي هَذَا الشَّأْنِ: الوُلَاةُ وَالزُّعَمَاءُ

---

(١) يُنظر: «رسالة تحكيم القوانين» (ص٥).

(٢) تقدم بيان معناها (ص٣٨).

وَالقَادَةُ وَالرُّؤسَاءُ، الَّذِينَ في أَيْدِيهِمُ القُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ عَلَىٰ أَنْ يَعُودُوا بِالإِسْلامِ إِلَىٰ سِيرَتِهُ الأُولَىٰ.

فَيَا قَادَةَ المُسْلِمِينَ، وَيَا رُؤَسَاءَ الدُّوَلِ، وَيَا أَيُّهَا المَسْؤولُونَ فِي الحُكُومَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ، حَكِّمُوا شَرِيعَةَ اللَّهِ في أَرْضِ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ، اجْعَلُوهَا أَسَاسَ حُكْمِكُمْ، فَفِيهَا - وَاللَّهِ - دَوَامُ مُلْكِكُمْ، وَصَلَاحُ أَحْوَالِكُمْ، وَاسْتِقْرَارُ شُعُوبِكُمْ، تَوَارَدُوا عَلَىٰ الإِسْلامِ تَجِدُوهُ خَيْرَ الأَنْظِمَةِ وَالمِلَلِ، وَالدَّوَاءَ الشَّافي مِنْ جَمِيعِ الأَدْوَاءِ وَالعِلَلِ، وَاتَّخِذُوا مِنْ عُلَمَاءِ الإِسْلامِ الرَّبَانِيِّينَ بِطَانَةً، عَلَىٰ أَدَاءِ هَذِهِ المُهِمَّةِ العَظِيمَةِ.

وَيَا عُلَمَاءَ الإِسْلامِ، قُومُوا بِتَوْضِيحِ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ، وَالدَّعْوَةِ المُسْتَمِرَّةِ في تَطْبِيقِهَا، وَالنَّصِيحَةِ المُخْلِصَةِ لِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: أَمَا آنَ لَنَا أَنْ تَجْتَمِعَ قُوانَا العِلْمِيَّةُ وَالعَمَلِيَّةُ وَالدَّعَوِيَّةُ، وَأَنْ تَتَوَحَّدَ قِيَادَاتُنَا السِّيَاسِيَّةُ وَالفِكْرِيَّةُ عَلَىٰ هَدْيِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فَهِيَ - وَالله ! - المَخْرجُ مِنْ كُلِّ الضَّوَائِقِ، وَالمَخْلَصُ مِنْ كُلِّ العَقَبَاتِ وَالعَوَائِقِ.

وَمَا عَانَىٰ العَالَمُ الإِسْلَامِيُّ مَا عَانَاهُ: مِنْ فُرْقَةٍ وَتَشَتُّتٍ وَضَعْفٍ وَتَخَلُّفٍ، إِلَّا بَعْدَ تَخَلِّيهِ عَنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ.

وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ اسْتِعَادَةِ أَمْجَادِنَا، وَاسْتِرْدَادِ حُقُوقِنَا، سِوَىٰ تَطْبِيقِ شَرْعِ اللَّهِ، وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللَّهِ، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤ ـ ٥]، وَيَوْمَئِذٍ تَتَسَلَّم أُمَّتُنَا المَجِيدَةُ، زِمَامَ قِيَادَةِ البَشَرِيَّةِ مِنْ جَدِيدٍ، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ [فاطر].

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ: وَإِذَا أَرَدْتُمْ أُنْمُوذَجًا تَطْبِيقِيًّا عَمَلِيًّا مَلْمُوسًا، وَوَاقِعًا حَيًّا مَحْسُوسًا، لِصَلاحِيَّةِ تَطْبِيقِ الشَّرِيعَةِ فِي هَذَا العَصْرِ: فَانْظُرُوا ـ يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ ـ إِلَىٰ مَا تَعِيشُهُ هَذِهِ البِلادُ المُبَارَكَةُ، بِلادُ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، الَّتِي هِيَ بِحَقٍّ شَامَةٌ فِي وَجْهِ العَالَمِ، وَغُرَّةٌ فِي جَبِينِ التَّارِيخِ المُعَاصِرِ، لَمْ يَزِدْهَا تَطْبِيقُ شَرِيعَةِ اللَّهِ إِلَّا أَمْنًا وَعِزًّا وَفَخْرًا؛ تُوَاكِبُ الجَدِيدَ فِي تَمَسُّكٍ فَرِيدٍ بِالثَّوَابِتِ العَقَدِيَّةِ، وَالأُصُولِ التَّشْرِيعِيَّةِ.

وَلَقَدْ جَاءَتِ الأَنْظِمَةُ الثَّلاثَةُ المُعْلَنَةُ أَخِيرًا؛ صِيَاغَةً مُعَاصِرَةً لِثَوَابِتَ أَصِيلَةٍ، لِتُؤَكِّدَ أَنَّ هَذِهِ الدَّوْلَةَ المُبَارَكَةَ، قَادِرَةٌ ـ بِتَطْبِيقِهَا لِشَرْعِ اللَّهِ ـ عَلَىٰ تَحْقِيقِ الأَصَالَةِ وَالمُعَاصَرَةِ مَعًا.

وَكَمْ سَرَّ كُلَّ مُسْلِمٍ، التَّأْكِيدُ عَلَىٰ الاسْتِمْدَادِ وَالاسْتِمْرَارِ عَلَىٰ نَهْجِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ.

وَهَكَذَا تَكُونُ الدَّوْلَةُ الإِسْلامِيَّةُ تَبْنِي وَتُؤَسِّسُ قَوَاعِدَ حُكْمِهَا،

عَلَىٰ هَدْيِ كِتَابِ رَبِّهَا، وَتَقُومُ بِمَصَالِحِ رَعِيَّتِهَا قُرْبَةً إِلَىٰ اللَّهِ، وَحُسْنَ رِعَايَةٍ لِعِبَادِ اللَّهِ. تُطَبِّقُ الشُّورَىٰ - وَهِيَ إِحْدَىٰ قَوَاعِدِ الحُكْمِ الإِسْلَامِيِّ - فِي مُرَاعَاةٍ وَتَخَيُّرٍ لِلأَكْفَاءِ: فِي عَقِيدَتِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ وَاسْتِقَامَتِهِمْ؛ انْطِلَاقًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وَائْتِسَاءً بِتَطْبِيقِ رَسُولِ الله ﷺ لَهَا عَمَلِيًّا فِي مَوَاضِعَ شَتَّىٰ.

وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ - بِحَقٍّ - لَيْسَ بِجَدِيدٍ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ البِلَادِ المُبَارَكَةِ وَقَادَتِهَا - وَفَّقَهُمُ اللَّهُ - حَيْثُ مَارَسُوهُ مُنْذُ القِدَمِ، لَكِنَّ النَّصَّ عَلَيْهَا وَالتَّأْكِيدَ عَلَىٰ تَطْبِيقِهَا، يُعْطِي - قَطْعًا - بُعْدًا كَبِيرًا فِي اسْتِمْرَارِ قَادَةِ هَذِهِ البِلَادِ - سَدَّدَهُم اللَّهُ - عَلَىٰ السَّيْرِ عَلَىٰ هَدْيِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيُحَقِّقُوا لأَبْنَائِهِمْ مَا يَصْبُونَ إِلَيْهِ: مِنْ صَلَاحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، فِي وَقْتٍ عَجَزَتْ فِيهِ (دِيمُقرَاطِياتُ)[1] العَصْرِ الزَائفَةِ، عَنْ تَحقِيقِ ذَلِكَ المَطْلَبِ العَزِيزِ.

فَلْتَهْنَأْ هَذِهِ البِلَادُ، وَقَادَتُهَا، وَشَعْبُهَا، بِهَذِهِ الأَنْظِمَةِ الشَّرْعِيَّةِ! وَلْتَكُنْ انْطِلَاقَةً لِمُسْتَقبَلٍ أَفْضَلَ، وَإِصْلَاحٍ أَشْمَلَ، يُحَقِّقُ لِلبِلَادِ

(١) الدِيْمُقرَاطِيَّةُ: كلمة قديمة يونانية الأصل، معناها حكم الشعب للشعب. يُنظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب» (٢/ ١٠٦٦).

وَالعِبَادِ، الخَيْرَ فِي العَاجِلِ وَالآجِلِ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[المائدة].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالقُرآنِ العَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للَّـهِ الـرَّحِيمِ الـوَدُودِ، وَأَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَتَبَ لِدَعْوَتِهِ الخُلُودَ، وَضَمِنَ لِشَرِيعَتِهِ البَقَاءَ وَالصُّمُودَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرسُولُهُ، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، أُولِي الفَضْلِ وَالكَرَمِ وَالجُودِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّـهَ ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ وَتَمَسَّكُوا بِشَرِيعَةِ اللَّـهِ، وَلْتَقَرُّوا أَعْيُنًا بِوَعْدِ الله بِنَصْرِ شَرِيعَتِهِ، وَتَـمْكِينِ أَولِيَائِـهِ، فَقَـدْ ضَـمِنَ اللَّـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لِشَرِيعَتِهِ وَالقَائِمِينَ بها، سَعَادَةَ الدَّارِينِ، وَخَيْرَ الحَيَاتَيْنِ: نَصْرٌ وَتَمكِينٌ في الدُّنْيَا، وَجَنَّةٌ وَرِضْوَانٌ في الآخِرَةِ.

أَلَا وَإِنَّ بَشَائِرَ انتِصَارِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ قَدْ تَتَابَعَتْ بِحَمْدِ اللَّـهِ، فَفِي الأُمَّةِ عَوْدَةٌ إِلَىٰ مَنْهَجِ اللَّهِ، وَفي الشَّبَابِ صَحْوَةٌ تَلْتَمِسُ مَنْهَجَ اللَّهِ.

أَنْظِمَـةُ البَشَرِ تَتَهَـاوَىٰ، وَدَعَـواتُ الخَيْرِ تَتَنَامَىٰ، مَـعَ الحَاجَـةِ إِلَىٰ التَّوجِيـهِ وَالتَّسْدِيدِ. سَـقَطَتْ صُرُوحُ الـشُّيُوعِيَّةِ[1] المُلْحِـدَةِ، وَدَالَـتْ

---

(١) الشُّيُوعِيَّة: مصطلح حادث، يأتي في اللغة من كلمة (مشاعية)، وهي تعني ـ في=

عُرُوشُهَا، بَعدَ أَنْ جَثَمَتْ ـ قُرَابَةَ سَبعِينَ عَامًا ـ عَلَىٰ قُلُوبِ شُعُوبٍ تَتلهَّفُ لِلإسْلامِ، حَتَّىٰ أَذِنَ اللَّهُ بِتَحْطِيمِ أَسْوَارِهَا الحَدِيدِيَّةِ، وَهَذَا ـ بِحَدِّ ذَاتِهِ ـ نَصْرٌ للدِّينِ وَأَهْلِهِ، وَتَتَابَعُ بَشَائِرُ النُّصْرةِ المُشْرِقَةِ، مِنْ جَنبَاتِ الأَرْضِ المُبارَكَةِ، وَمِنْ ثَرَىٰ فَلسْطِينَ السَّلِيبَةِ، وَمِنْ أَعتَابِ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ المُبَارَكِ، وَعْدُ الله للمُسْلِمين بتَحْرِيرِهِ عَلَىٰ مَا جَاءَ في سُنَّةِ المُصْطَفَىٰ الأَمِين ﷺ بِمقَاتَلَةِ غاصِبِيهِ، حَتَّىٰ هَزِيمَتِهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَاليَوْمَ ـ يَا عِبَادَ الله ـ هَا هِيَ رَايَةُ الإِسْلامِ تَرْتَفِعُ خَفَّاقَةً عَلَىٰ مَشَارِفِ «كَابُول» بِأَيْدِي المُجَاهِدِينَ الأَفْغَانِ، بَعْدَ أَنْ صَارعَ الإِيمَانُ الإِلحَادَ قُرَابَةَ ثلاثةَ عَشَرَ عَامًا، قَدَّمَ فِيهِ المُجاهِدُونَ الأَبْطَالُ الدِّمَاءَ وَالأَشْلَاءَ: قُتِلَ مِنْهُم زُهَاءَ المِليونِ، وشُرِّدَ مِنْهُم مَا يُقَارِبُ خَمسَةَ مَلايينَ! وَاليَوْمَ تَهنأُ الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ بِفَرْحَةِ النَّصْرِ عَلَىٰ أَعْدَاءِ الإِسْلامِ!

لَكِنْ يَا عِبَادَ اللَّهِ، لَكِنْ أَيُّهَا المُجاهِدُونَ، لَا تَسْتَحْكِمُ الفَرْحَةُ، وَلَا تَتحقَّقُ آمَالُ الأُمَّةِ، إلا بِوَحْدَةِ قَادَةِ المُجاهِدِينَ، وَاجْتِماعِ كَلِمَتِهِمْ،

=مفهوم الماركسيين والشيوعيين ـ مشاعية الملكية للأرض ووسائل الإنتاج، فهي نظرية اجتماعية (باطلة)، وحركة سياسية (مُفْلِسَة)، ترمي إلى السيطرة على المجتمع ومقدّراته لصالح أفراده بالتساوي، والقضاء على الملكية الخاصة. يُنظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب» (٢/ ٩٢٩).

وَتَغْلِيبِ مَصَالِحِ الأُمَّةِ عَلَىٰ الجَوَانِبِ الذَّاتِيَّةِ، وَالأُمُورِ الشَّخْصِيَّةِ، وَالتَّرَفُّعِ عَنِ الخِلافَاتِ الجُزْئِيَّةِ.

نَعَمْ! لا تَتِمُّ فَرْحَةُ النَّصْرِ ـ أَيُّها المُجاهِدُونَ ـ إِلَّا بِخُلُوصِ النِّيَّاتِ وَالمَقَاصِدِ، وَإِنْ خُسِرَتْ الكَرَاسِي وَالمَقَاعِدُ.

وَلا أَجِدُ مَزِيدًا عَلَىٰ عِقْدِ النَّصَائِحِ الثَّمِينَةِ، وَدُرَرِ التَّوجِيهَاتِ الكَرِيمَةِ، الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا رِسَالَةُ خَادِمِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَيْنِ ـ وَفَّقَهُ اللَّهُ ـ إِلَىٰ قَادَةِ المُجَاهِدِين، وَإِنَّنَا لَمُتَطَلِّعُونَ جَمِيعًا إِلَىٰ تَمَثُّلِهَا وَاقِعًا عَمَلِيًّا؛ حَتَّىٰ تَصِلَ أفغَانِسْتَانُ إِلَىٰ مَصَافِّ الدُّوَلِ الإِسْلامِيَّةِ قَرِيبًا بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَفِي ذَلِكَ دَرْسٌ للدُّعَاةِ إِلَىٰ اللَّهِ، أَلَّا يَسْتَعْجِلُوا النَّتَائِجَ، كَمَا فِيهِ سَلْوَىٰ وَانْشِرَاحٌ للقُلُوبِ الَّتِي دَاهَمَهَا اليَأْسُ، وَعِبْرَةٌ لِمَنْ يَسْلُكُ مَسَالِكَ العَجَلَةِ؛ أَنْ يَلْتَزِمَ نَهْجَ التُّؤَدَةِ وَالحِكْمَةِ، فَدِينُ الله مَنْصُورٌ بِإِذْنِ الله، وَالخَيْرُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ. هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُم اللَّهُ ـ عَلَىٰ أَزْكَىٰ البَرِيَّةِ، وَهَادِي البَشَرِيَّةِ، كَمَا أَمَرَكُم بِذَلِكَ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب].

التَّوحِيدُ:
سَبِيلُ النَّصْرِ حِيَالَ خُطُوبِ العَصْرِ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَبَانَ لِلإِنْسَانِيَّةِ دَلَائِلَ الأُلُوهِيَّةِ، أَحْمَدُهُ - تَعَالَىٰ - وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ مَا أَسْدَىٰ مِنْ مِنَّةٍ وَعَطِيَّةٍ، وَدَفَعَ مِنْ نِقْمَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَنْقَذَنَا بِالبِعْثَةِ المُحَمَّدِيَّةِ مِنْ بَرَاثِنِ الإِشْرَاكِ وَالوَثَنِيَّةِ، وَأَعَزَّنَا بِالتَّوحِيدِ، وَأَبْطَلَ مَسَالِكَ الجَاهِلِيَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ البَرِيَّةِ وَسَيِّدُ البَشَرِيَّةِ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، الَّذِينَ شَادُوا صُرُوحَ الحَنِيفِيَّةِ، وَأَعْلَوا مَنَارَ المِلَّةِ المُصْطَفَوِيَّةِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَىٰ اللَّهِ - جَلَّ فِي عُلَاهُ - فَإِنَّ تَقْوَاهُ - سُبْحَانَهُ - أَعْظَمُ العَوَاصِمِ مِنْ أَعْتَىٰ القَوَاصِمِ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: لَقَدْ جَاءَ الإِسْلَامُ بِعَقِيدَةِ التَّوحِيدِ الخَالِصَةِ؛ لِيُحَرِّرَ القُلُوبَ مِنْ رِقِّ العُبُودِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَيَرْفَعَ النُّفُوسَ إِلَىٰ قِمَمِ العِزِّ

وَالشَّرَفِ وَالصَّفَاءِ، وَيَسْمُو بِهَا عَنْ بَوَارِ الوَثَنِيَّةِ وَالخُرَافَةِ وَالشَّقَاءِ، وَإِنَّ عَقِيدَةَ المُسْلِمِ أَعَزُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ، وَأَغْلَىٰ شَيْءٍ لَدَيْهِ، بِهَا يُوَاجِهُ أَعْتَىٰ التَّحَدِّيَاتِ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ مُرِّ الابْتِلاءَاتِ، وَبِهَا يَكُونُ سَدًّا مَنِيعًا وَدِرْعًا وَاقِيًا أَمَامَ زَحْفِ الأَبَاطِيلِ وَالضَّلالاتِ، وَغَزْوِ الشَّعْوَذَةِ وَالخُرَافَاتِ، ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة]، فَلَا مُسَاوَمَةَ عَلَىٰ العَقِيدَةِ مَهْمَا كَانَتِ المُتَغَيِّرَاتُ، وَلَا تَنَازُلَ عَنِ المَبَادِئِ مَهْمَا عَظُمَتِ الدَّسَائِسُ وَالمُؤَامَرَاتُ، بِهَذَا عَزَّتِ الأُمَّةُ وَسَادَتْ، وَانْتَصَرَتْ وَقَادَتْ ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ: شَرُّ البَلَايَا: الانْتِكَاسَةُ(١) وَالرَّدَىٰ، بَعْدَ اليَقِينِ وَالهُدَىٰ، وَأَشْنَعُ المَوَارِدِ: العَمَىٰ بَعْدَ البَصِيرَةِ، وَالغَيُّ وَالعِنَادُ، بَعْدَ انْبِلَاجِ(٢) سَبِيلِ الرَّشَادِ.

---

(١) الانْتِكَاسَةُ: انقلاب الشيء على رأسه، ويُقال: انْتِكَاسَةُ المَرِيضِ، أي: مُعَاوَدَتُهُ المَرَض. يُنظر: «اللسان» (نكس).

(٢) الانْبِلَاج: الوضوح والإشراق، ومنه انبلاج الصبح. يُنظر: «مقاييس اللغة» (بلج).

وَلَقَدْ خَلَقَ اللَّـهُ عِبَادَهُ حُنفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمُ[1] الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ، وَزَيَّنَتْ لَهُمْ مَسَالِكَ الانْحِرَافِ وَالضَّلَالِ.

وَقَدْ نَأَىٰ الإِسْلَامُ بِأَهْلِهِ، وَارْتَفَعَ بِأَتْبَاعِهِ، عَنْ أَوْهَامِ الجَاهِلِيَّةِ وَأَوْضَارِهَا، وَطَهَّرَ نُفُوسَهُمْ مِنْ رِجْسِ الوَثَنِيَّةِ وَأَبَاطِيلِهَا، وَابْتَعَدَ بِهِمْ عَنْ بَرَاثِنِ الإِسْفَافِ[2] وَالِاسْتِخْفَافِ، فِي كُلِّ أَنْمَاطِهِ وَصُوَرِهِ، وَفِي طَلِيعَةِ ذَلِكَ مَظَاهِرُ الشِّرْكِ وَالتَّجْهِيلِ؛ وَمَبَادِئُ الخُرَافَةِ وَالتَّضْلِيلِ؛ لِمَا تُمَثِّلُهُ مِن طَعْنَةٍ نَافِذَةٍ فِي صَمِيمِ العَقِيدَةِ، وَشَرْخٍ خَطِيرٍ فِي صَرْحِ التَّوحِيدِ الشَّامِخِ، وَانْهِيَارٍ مُزْرٍ يَثْلِمُ[3] العِزَّةَ، وَيُذْهِبُ القُوَّةَ، وَيَفُلُّ[4] العَزَائِمَ، وَيُلحِقُ الهَزَائِمَ، وَيَقْضِي عَلَىٰ العَزَمَاتِ، وَيُشَكِّكُ فِي الثَّوَابِتِ

(١) اجْتَالَتْهُم: استخفَّتهم، فجالوا معهم في الضلال، يُقال: جَالَ واجْتَالَ: إذا ذهب وجاء، واجتال الشيء: إذا ذهب به وساقه. يُنظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (جول).

(٢) الإِسْفَافُ: النزول والانحطاط، يُقال: أَسَفَّ الطائر: إذا طار وعاد إلى الأرض دانيًا منها حتى كادت رجلاه تصيبانها. يُنظر: «أساس البلاغة» (سفف).

(٣) تقدم بيان معناها، يُنظر: (ص ٤٠).

(٤) يُقال: فَلَّ القَوْمَ: إذا كسرهم وهزمهم، ورجلٌ فَلٌّ وقومٌ فَلٌّ: أي منهزمون، يستوي فيهِ الواحد والجمع؛ لأنهُ في الأصل مصدرٌ. يُنظر: «اللسان» (فلل).

وَاليَقِينِيَّاتِ، وَيُرَوِّجُ لِسُوقِ التَّخَرُّصَاتِ وَالْخُزَعْبِلَاتِ(١)؛ فَيَقَعُ الاضْطِرَابُ وَالفَوضَىٰ فِي الأُمَّةِ، وَيُخْرَقُ سِيَاجُ الأَمْنِ وَالوَحْدَةِ وَالهِدَايَةِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: وَإِذَا كَانَتْ قَضَايَا الاعْتِقَادِ، مِنَ الثَّوَابِتِ وَالمُسَلَّمَاتِ، فَإِنَّهُ مَعَ طُولِ الأَمَدِ، وَحُصُولِ التَّخَلُّفِ المُزْرِي، لَدَىٰ شَرَائِحَ كَثِيرَةٍ فِي الأُمَّةِ، صَحِبَ ذَلِكَ جَهْلٌ ذَرِيعٌ بِكَثِيرٍ مِنَ الحَقَائِقِ العَقَدِيَّةِ، وَالمُسَلَّمَاتِ الشَّرْعِيَّةِ؛ وَحُدُوثُ نَوْعٍ مِنَ الغَفْلَةِ أَوْ التَّغْفِيلِ، دَفَعَتْهَا عَمَلِيَّاتُ تَزْيِيفٍ لِلْحَقَائِقِ، تَحْتَ سِتَارِ مُسَمَّيَاتٍ مَعْسُولَةٍ؛ كَانَ مِنْ نَتِيجَةِ ذَلِكَ تَمْرِيرُ بَعْضِ الصُّوَرِ الشِّرْكِيَّةِ، وَتَسْوِيقُ بَعْضِ الطُّقُوسِ البِدْعِيَّةِ، بَلْ المُجَادَلَةُ وَالمُمَاحَكَةُ(٢) لإِلْبَاسِهَا لِبَاسَ الدِّينِ، وَالدِّينُ مِنْهَا بَرَاءٌ.

وَلَعَلَّ مَا أُحْدِثَ حَولَ القُبُورِ وَالأَضْرِحَةِ وَالمَشَاهِدِ، مِنْ أَوْضَحِ

---

(١) الخُزَعْبِلَاتُ: الأَكَاذِيبُ وَالاعْتِقَادَاتُ الوَاهِيَةُ. يُنظر: «اللسان» (خزعبل).

(٢) المَحْكُ والمُمَاحَكَةُ: التَّمَادِي في اللَّجَاجَةِ عند المُسَاوَمَةِ والغَضَبِ، والمِمْتَحِكُ: اللَّجُوج، وَتَمَاحَكَا في البَيعِ: تَلاجَّا. يُنظر: «تاج العروس» (محك).

النَّماذِجِ علىٰ هـذَا التَّزْييـفِ الَّـذِي أَصَـابَ الأُمَّـةَ في أَعَـزِّ مُقوِّماتِهـا ـ وهُـوَ تَوحِيدُهَا لِربِّها ـ ولَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ، بَلْ امْتَدَّ لِيَقْذِفَ كُـلَّ يـوْمٍ بِجَدِيدٍ في عَالَمِ الخُرَافَةِ والـدَّجَلِ، وَبـثِّ الـشَّائِعَاتِ، وَنَـسْجِ الأَكَاذِيبِ؛ مِـمَّا يُؤكِّـدُ أَهَمِّيَّةَ حِمَايَةِ جَانِبِ الأَمْـنِ العَقَـدِيِّ في الأُمَّـةِ؛ حَتَّـىٰ لَا يُـؤثِّرَ سُوسُ الأَوْهَـامِ، وَشَبَكَاتُ هَـذَا الإِجْـرَامِ، سَـلْبًا في جَوانِـبَ شَـتَّىٰ مِـنْ وَاقِـعِ الأُمَّـةِ، أَفْـرَادًا وَمُجْتَمعَـاتٍ، تِلْـكَ ـ لَعَمْـرُ اللَّـهِ ـ عَاقِبَـةُ الإِشْـرَاكِ بِجَميعِ أَنْوَاعِهِ وضُرُوبِهِ ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج].

وَيزْدَادُ الذُّهولُ والعجَبُ، حِينَما تَجِدُ الأَوْهَـامُ رَواجًـا لَـدَىٰ جِبِـلٍّ كَثيرٍ مِنَ العَوَامِّ، مِمَّنْ يَنْساقُونَ وَرَاءَ كُلِّ شَائِعَةٍ، وَيُلْغُونَ عُقُولَهم عِنْدَ كُلِّ ذَائِعَةٍ، فَهذا دَعِيٌّ يَزْعُمُ في أَحْلَامٍ ورُؤىٰ وَمَنَامَـاتٍ، أَنَّ النَّبِـيَّ أو الـوَلِيَّ ـ إِنْ ثبَتَ ذَلِكَ ـ جَاءَهُ وَأَخبَرَهُ بِبَعْضِ الأُمُورِ الغَيْبِيَّةِ، وَأَمْلَاهُ آيَاتٍ تُـرَدَّدُ كَذا وكَذَا في اليَوْمِ وَاللَّيلَةِ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِطَبْعِهَا وَنَشْرِهَا وَتَوزِيعِهَا، وَأَنَّ مَنْ فَعَـلَ ذَلِـكَ؛ فَسَيَحْـصُلُ لَـهُ كَـذا وَكَـذا مِـنَ الخَـيْرَاتِ، وَمَـنْ لَمْ يَفْعَلْـهُ فَسَيُعَاقَبُ بِعُقُوبَاتٍ شَتَّىٰ؛ فَيَبُثُّهَا هَذَا، وَيُصَدِّقُهَا أُولَئِكَ، وَيَتلَقَّاهَا هَؤُلَاءِ!

ثُمَّ لا تَسْأَلْ عَمَّا تُحْدِثُهُ هَذِهِ الخُرَافَاتُ في أَوْسَاطِ كَثِيرٍ مِـنَ الـدَّهْمَاءِ،

وَمَا تَفْعَلُهُ فِي عُقُولِ جَمٍّ غَفِيرٍ مِنَ البُسَطَاءِ!

وَالسُّؤَالُ المُلِحُّ هُنَا: أَيْنَ الإِيمَانُ الصَّحِيحُ؟ وَأَيْنَ التَّفْكِيرُ السَّلِيمُ؟

أَوَلَسْنَا نَتْلُو وَنُصَدِّقُ قَوْلَ الحَقِّ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧]، لَكِنَّ العَجَبَ ـ وَالعَجَائِبُ جَمَّةٌ ـ حِينَمَا تُلْغَىٰ الأَفْكَارُ وَالعُقُولُ، أَمَامَ قَوْلِ كُلِّ دَعِيٍّ جَهُولٍ!! وَاللَّـهُ المُسْتَعَانُ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ: اقْتِضَاءُ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، مُخَالَفَةُ أَصْحَابِ الجَحِيمِ، وَلَقَدْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ؛ فَأَبْطَلَ اللَّـهُ بِهِ مَسَالِكَ الجَاهِلِيَّةِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا مَعَالِمُ الشِّرْكِ وَالوَثَنِيَّةِ، فَاسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهَا[1]، وَقَطَعَ جُرْثُومَتَهَا.

وَمِنْ مَسَالِكِ الخُزَعْبِلَاتِ وَالأَوْهَامِ، وَالتَّفَرُّقِ وَالفَوْضَىٰ: مُخَالَفَةُ وَلِيِّ الأَمْرِ، وَعَدَمُ الانْقِيَادِ لِلنِّظَامِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَمْرَاضِ السَّائِدَةِ.

---

(١) الشَّأْفَةُ: قَرْحَةٌ تَخْرُجُ فِي أَسْفَلِ القَدَمِ فَتُكْوَى فَتَذْهَبُ. وَاسْتَأْصَلَ اللَّـهُ شَأْفَتَهُ: أَذْهَبَهُ كَمَا تَذْهَبُ تِلْكَ القَرْحَةُ، أَو أَزَالَهُ مِن أَصْلِهِ. يُنظر: «القاموس المحيط» (شأف).

وَمَا أَشْبَهَ اللَّيلَةَ بِالبَارِحَةِ!! فَالأُمَّةُ اليَوْمَ تُوَاجِهُ مَوْجَاتٍ مِنْ مَظَاهِرِ الجَاهِلِيَّةِ المُعَاصِرَةِ، وَحَمْلاتٍ مِنَ العَلْمَنَةِ وَالتَّغْرِيبِ، في ظِلِّ مَا يُسَمَّىٰ بـ(عَصْرِ العَوْلَمَةِ)[1]؛ لِتَضْييعِ هُوِيَّةِ الأُمَّةِ، وَإِذَابَةِ شَخْصِيَّتِهَا في أَنْوَاعٍ مِنَ الرِّدَّةِ وَالصَّدِّ عَنْ دِينِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَتَجْفِيفِ مَنَابِعِ الخَيْرِ في الأُمَّةِ، وَزَرْعِ الأَلْغَامِ المَخْبُوءَةِ، وَالخَلايَا الغَالِيَةِ في المُجْتَمَعَاتِ الإِسْلامِيَّةِ، لِصَهْرِ المُسْلِمِينَ مَعَ غَيْرِهِمْ في قَالَبٍ وَاحِدٍ، تَخْتَلِطُ فِيهِ المَفَاهِيمُ، وَتَتَقَلَّبُ فِيهِ المَوَازِينُ، في شِعَارَاتٍ بَرَّاقَةٍ، وَدِعَايَاتٍ خَلَّابَةٍ، وَلا يَزَالُونَ في حَالَةِ اسْتِنْفَارٍ قُصْوَىٰ لِنَشْرِ مُصْطَلَحَاتٍ غَامِضَةٍ وَمُعْتَقَدَاتٍ بَاطِلَةٍ، تُزْرِي بِالعُقُولِ، وَتَذْهَبُ بِالدِّيَانَةِ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: ثَمَّةَ حَقِيقَةٌ مُرَّةٌ مُؤْلِمَةٌ، وَهِيَ أَنَّ المُسْتَقْرِئَ لِلتَّارِيخِ الإِنْسَانِيِّ، وَالمُتَأَمِّلَ لِلتُّرَاثِ البَشَرِيِّ، يَجِدُ أَنَّ العُقُولَ البَشَرِيَّةَ قَدْ تَعَرَّضَتْ لِعَمَلِيَّاتِ وَأْدٍ وَاغْتِيَالٍ خَطِيرَةٍ، عَبْرَ حِقَبٍ طَوِيلَةٍ وَعُصُورٍ

---

(١) العَوْلَمَةُ: يُقصد بها فرض نظام موحَّد على العالم، فهي غَزْو العالم بِصُورة عامة، والعالم الإسلامي بصورة خاصَّة، فكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا، وفرض هيمنة القوى الكبرى على الأمم والشعوب، تحت عناوين جديدة مغرية وبرَّاقة. يُنظر: «الإسلام والعولمة» لِسَامي الدَّلال (ص٤٧)، و«مَا العَوْلَمَة» لِحَسَن حَنفي (ص١١).

مُتَتابِعَةٍ، يَتَوَلَّىٰ كِبْرَ أَسْلِحَتِهَا خَنَاجِرُ الأَوْهَامِ وَالخُرَافَةِ، وَأَلْغَامُ الدَّجَلِ وَالشَّعْوَذَةِ، وَتِلْكَ - لَعَمْرُ الحَقِّ - أَعْتَىٰ طَعْنَةٍ تُسَدَّدُ في خَاصِرَةِ الإِنْسَانِ العَقْلِيَّةِ وَالفِكْرِيَّةِ! وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ التَّحَرُّرَ الحَقِيقِيَّ مِنْ أَغْلالِ الوَهْمِ وَالخُرَافَةِ إِنَّمَا يُمَثِّلُ السِّيَاجَ المُحْكَمَ، وَالحَصَانَةَ الوَاقِيَةَ، وَالحِمَايَةَ والدِّعَايَةَ الحَقَّةَ لأَهَمِّ حُقُوقِ الإِنْسَانِ، وَهِيَ تَحْصِينُ عَقْلِهِ مِنَ الخَيَالاتِ.

وَمِنْ هُنَا كَانَتْ أَنْبَلُ مَعَارِكِ العَقِيدَةِ، مَعْرَكَةَ تَحْرِيرِ العُقُولِ الإِنْسَانِيَّةِ، مِمَّا يُصَادِرُ الفِكْرَ، وَيُصَادِمُ الفِطْرَةَ، وَيَغْتَالُ المَبَادِئَ، وَهَيْهَاتَ أَنْ تُعَمَّرَ الحَيَاةُ، وَتُشَادَ الحَضَارَةُ، بِالبُلْهِ وَالمُشَعْوِذِينَ، الَّذِينَ لَا يَرْعَوْنَ لِلإِنْسَانِ كَرَامَةً، وَلَا لِلعُقُولِ حَصَانَةً وَصِيَانَةً!!

وَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الَّذِينَ يُسَلِّمُونَ عُقُولَهُمْ لِغَزْوٍ فِي الصَّمِيمِ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، فَيَقَعُونَ صَرْعَىٰ التَّقْلِيدِ الأَعْمَىٰ، وَالتَّشَبُّهِ الأَرْعَنِ[1]؛ وَقَدْ قَالَ ﷺ - مُحَذِّرًا لِأُمَّتِهِ وَمُنْذِرًا -: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»، خَرَّجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ[2] وَأَبُو داود[3].

وَإِنَّ النَّاظِرَ الغَيُورَ فِي تَارِيخِ الأُمَمِ وَحَضَارَاتِ الشُّعُوبِ، لَيَعْجَبُ

---

(١) الأَرْعَنُ: الأَهْوَجُ في مَنْطِقِه وفِعْلِه. يُظر: «اللسان» (رعن).

(٢) في «المسند» (٢/ ٥٠) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

(٣) برقم (٤٠٣١) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

وَيحَارُ مِنَ التَّقلُّبَاتِ الطَّارِئَةِ، وَالتَّغَيُّرَاتِ المُفَاجِئَةِ ! وَنحْنُ أُمَّةٌ لَهَا حَضَارَتُهَا وَمِيْزَاتُها، فَأُمَّتُنَا مَتْبُوعَةٌ لَا تَابِعَةٌ، قَائِدَةٌ لَا مَقُودَةٌ.

فَإِلَىٰ المُنْهَزِمِينَ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا، السَّائِرِيْنَ فِي سَرَادِيْبِ التَّغْرِيْبِ، وَأَنْفَاقِ التَّبَعِيَّةِ: حَذَارِ مِنَ التَّطْوِيحِ[1] فِي مَهَاوِي العَدَمِ، وَبُؤَرِ[2] الفَنَاءِ الَّتِي يَقْذِفُ بِهَا طُوفَانُ العَوْلَمَةِ الحَدِيثَةِ، فِي نَسْفٍ لِلقِيَمِ، وَتَضْيِيعٍ لِلهُوِيَّةِ، فِي دَعَوَاتٍ مُدَوِّيَةٍ مُرِيبَةٍ، يَكُونُ لَهَا رَجْعُ الصَّدَىٰ فِي بَعْضِ النُّفُوسِ المَرِيضَةِ، وَمِنْ أَسَفٍ أَنْ تَكُونَ مِنْ بَعْضِ المَفْتُونِينَ بِوَبِيصِ[3] حَضَارَةٍ، مِنْ ثُلَّةٍ مِنْ حَمَلَةِ الأَقْلَامِ، وَرِجَالِ الإِعْلَامِ المُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ قُشُورٍ ثَقَافِيَّةٍ !

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف]، وَإِنَّ مَصِيرَ العَالَمِ لَيْسَ بِيَدِ الشَّرْقِ وَلَا الغَرْبِ، وَإِنَّمَا هُوَ بِيَدِ مَلِكِ

---

(١) طَاحَ يَطُوح وَيَطِيحُ: هَلَكَ أَو أَشْرَفَ على الهَلاك، وطَوَّحَهُ: بعثه إلى أرض لا يرجع منها. يُنظر: «تاج العروس» (طوح).

(٢) البُؤْرَةُ ـ بالضم ـ: الحُفْرَةُ يُطبَخُ فيها، وجمعُها: بُؤَرٌ. يُنظر: «تاج العروس» (بأر).

(٣) الوبيص: البريق. ينظر: اللسان (وبص).

المُلوكِ: المُدبِّرِ القَاهِرِ، العَزيزِ المُقْتَدِرِ، مُصرِّفِ الأَكْوانِ، وَمُدبِّرِ الأَحْوَالِ وَالأزْمَانِ، سُبحَانَهُ وَتَعالىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبيرًا.

فَإلىٰ الَّذِينَ ـ يَخبِطُونَ فِي القَضَايَا خَبطَ عَشْوَاءَ؛ لِيَحِلُّوا عِقْدَ عَقِيدَتِنَا، وَيُشَتِّتُوا حَبَّاتَهُ؛ وَيَنْقُضُوا عَلىٰ البَقِيَّةِ البَاقِيَةِ مِنْ تَأَلُّقِهِ؛ لِتَمْرِيرِ خُطَطٍ وَمُؤَامَرَاتٍ ضِدَّ مُجْتَمَعَاتِنَا الإِسْلامِيَّةِ، تَحتَ شِعَارَاتٍ مَشْبُوهَةٍ، وَأَبْوَاقٍ مَفْضُوحَةٍ، وَأَقْلَامٍ مَكْشُوفَةٍ ـ: رُوَيْدَكُمْ! فَفي عَقِيدَةِ الأُمَّةِ ـ بِحَمْدِ اللَّهِ ـ مَا يَحْجِزُهَا عَنْ تَصْدِيقِ هَذِهِ التُّرَّهَاتِ[١]، وَتَلَقُّفِ تِلْكَ الشَّائعَاتِ!! وَكَفَىٰ الأُمَّةَ مَا تَلقَاهُ مِنْ كَيْدٍ وَتَحَدِّيَاتٍ!

وَإِنَّ الوَاجِبَ عَلىٰ أَهْلِ العِلْمِ وَمُؤَسَّسَاتِهِ، وَالجِهَاتِ الدَّعْوِيَّةِ، وَالهَيئَاتِ الإِصْلَاحِيَّةِ في الأُمَّةِ، المُبَادَرَةُ إِلىٰ تَطْوِيقِ هَذِهِ الفِتَنِ، وَرَبْطِ النَّاسِ بِالمَرَاجِعِ المَوثُوقَةِ، وَتَقْيِيدِهِمْ بِالمَصَادِرِ المَأمُونَةِ، الَّتي تُمَثِّلُ مَنْهَلًا مُؤتمَنًا في عَقِيدَةِ الأُمَّةِ وَمَنهجِهَا، وَالحُكْمِ عَلىٰ النَّوَازِلِ وَالمُسْتَجِدَّاتِ فِيهَا مِنْ مَنْظُورٍ عَقَدِيٍّ وَتَأصِيلٍ شَرْعِيٍّ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: وَمَعَ أَنَّ العَالَمَ يَعِيشُ عَصْرَ المَدَنِيَّاتِ

(١) التُّرَّهَات: الأباطيل، واحدتها تُرَّهَة، وهي في الأصل: الطُّرق الصغار المتشعبة عن الطريق الأعظم. يُنظر: «اللسان» (تره).

وَالتَّقْنِيَّاتِ، الَّتِي يُفْتَرَضُ أَنَّهَا تُنَاوِئُ الخُرَافَةَ، وَتُنَاقِضُ الشَّعْوَذَةَ، وَتُحَارِبُ الدَّجَلَ، فَإِنَّهُ يَحِقُّ لِلغَيُورِ أَنْ يَتَسَاءَلَ: هَلْ نَأَتْ هَذِهِ الحَضَارَاتُ وَالثَّقَافَاتُ عَنْ الشَّعْوَذَاتِ[1] وَالخُرَافَاتِ؟

والجَوابُ ـ بِكُلِّ أَسَفٍ ـ: لَقَدْ تَطَوَّرَتْ بِتَطَوُّرِ الزَّمَنِ، وَدَخَلَتْ مَجَالَاتٍ شَتَّىٰ فِي الاقْتِصَادِ وَالاجْتِمَاعِ وَغَيْرِهِمَا؛ طَلَبًا لِلحَظِّ بِزَعْمِهِمْ، نَاهِيكُمْ عَمَّا يُرَوَّجُ فِي أَوسَاطِ العَامَّةِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالأَبْرَاجِ وَالمَطَالِعِ، مِمَّا يَدْعُو إِلَىٰ الأَسَىٰ وَالأَسَفِ!! فَغَرِيبٌ يَا أَهْلَ العَقِيدَةِ، وَعَجِيبٌ يَا حَمَلَةَ الشَّرِيعَةِ أَنْ يَنْسَاقَ النَّاسُ وَرَاءَ الشَّائِعَاتِ وَالأَوْهَامِ، وَيَسْتَسْلِمُوا لِلخَيَالَاتِ وَالأَحْلَامِ!!!

إِنَّ حَقًّا عَلَىٰ أَهْلِ الْعَقِيدَةِ وَالْإِسْلَامِ، أَنْ يَذْرِفُوا الدُّمُوعَ السِّجَامَ[2] عَلَىٰ انْتِشَارِ هَذِهِ الْخُزَعْبِلَاتِ وَالأَوْهَامِ، وَفِي الْمُقَابِلِ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ أُمَّةِ الإِسْلَامِ فِي كَثِيرٍ مِنَ البِقَاعِ، بَدْءًا بِقَضِيَّتِنَا الكُبْرَىٰ: قَضِيَّةُ أُولَىٰ القِبلَتَيْنِ، وَمَسْرَىٰ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ ـ فَكَّ اللَّهُ أَسْرَهُ وَأَقَرَّ الأَعْيُنَ بِشُمُوخِهِ وَتَحَرُّرِهِ ـ

---

(١) الشَّعْوَذَةُ: خفة في اليد، وَأَخْذٌ كالسِّحر يُرى الشيء بغير ما عليه أَصْلُه في رأي العَيْن. يُنظر: «القاموس المحيط» (شَعذَ).

(٢) سَجَمَ الدَّمْعُ والعَيْنُ والمَاءُ، يَسْجُم سُجُومًا وسِجَامًا: إذا سال. يُنْظَر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (سجم).

وَمُرُورًا بِأَحْوَالِ إِخْوَةِ العَقِيدَةِ عَلَىٰ ثَرَىٰ كِشْمِير، وَمَا فُجِعْنَا بِهِ مِنْ تَتَابُعِ الزَّلازِلِ عَلَىٰ إِخْوَانِنَا فِي تُرْكِيَا، مِمَّا خَلَّفَ آثَارًا وَدمَارًا يَنبَغِي أَنْ يَسْتَدِرَّا عَطْفَ أَهْلِ الإِسْلامِ؛ فَيُسْهِمُوا فِي إِغَاثَةِ إِخْوَانِهِمُ المَنْكُوبِينَ، وَيَرْفَعُوا أَكُفَّ الضَّرَاعَةِ بِالدُّعَاءِ لَهم.

أَلَا فَلْيُحْسِنِ اللَّهُ عَزَاءَهُمْ ! وَلْيَجْبُرْ مُصَابَهُمْ ! وَوَقَىٰ اللَّهُ بِلادَ المُسْلِمِينَ شُرُورَ الحَوَادِثِ وَالكَوَارِثِ، وَشَكَرَ اللَّهُ لِذَوِي الجُهُودِ الخَيِّرَةِ فِي بِلادِ الحَرَمَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - رُعَاةً وَرَعِيَّةً، وَوَفَّقَ مَسَاعِيهِمْ فِي إِغَاثَةِ المَنكُوبِينَ، وَنُصْرَةِ قَضَايَا المُسْلِمِينَ؛ وَانْتِهَاءً بِالأَحْوَالِ المَأْسَاوِيَّةِ عَلَىٰ أَرْضِ القَوْقَازِ، وَمَأْسَاةِ إِخْوَانِنَا فِي الشِّيشَانِ الَّتِي بَلَغَتْ حَدًّا مِنَ البَشَاعَةِ لا يَسَعُ السُّكُوتُ عَلَيْهِ، فَاللهُ المُسْتَعَانُ، وَإِلَىٰ اللهِ المُشْتَكَىٰ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ !!!

أَيُّ عَيْنٍ يَجْمُلُ بِهَا أَنْ تَسْتَبْقِيَ فِي مَآقِيهَا قَطْرَةً وَاحِدَةً مِنَ الدُّمُوعِ؟ فَلَا تَجُودُ بِهَا أَمَامَ هَذِهِ الأَوْضَاعِ المُؤْلِمَةِ، وَالمَنَاظِرِ المُحْزِنَةِ وَالأَخْبَارِ المُرَوِّعَةِ، وَاللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ - أَغْيَرُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَعَلَىٰ دِينِهِ أَنْ يُسْعِدَ أَقْوَامًا لَمْ يَقْدِرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ. بَلْ مَا يُرَىٰ مِنْ سَلْبِ النِّعَمِ، وَحُصُولِ النِّقَمِ، وَتَتَابُعِ النُّذُرِ، وَكَثْرَةُ العِبَرِ، وَتَسْلِيطِ الأَعْدَاءِ، مَا هُوَ إِلَّا سَبَبُ تَغْيِيرِ العِبَادِ وتَفْرِيطِهِمْ ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ

﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد].

وَاللَّـهِ لَـنْ يَـسْتَرْجِعَ الْمُسْلِمُونَ سَـالِفَ مَجْدِهِمْ، وَلَـنْ يَبْلُغُـوا قِمَّـةَ عِزِّهِمْ وَنَصْرِهِمْ، إِلَّا بِاسْتِرْجَاعِ مَا فَرَّطُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ عَقِيدَتِهِمْ.

وَإِنَّ السِّلَاحَ الْمَضَّاءَ الَّـذِي يَنبَغِـي أَنْ تَحْمِلَـهُ الأُمَّـةُ ـ فِي عَـالَمٍ يَمُـوجُ بِالْمُتَغَيِّرَاتِ، وَيَنُوءُ بِالتَّحَدِّيَاتِ ـ هُوَ سِلاحُ العَقِيدَةِ والإِيمَانِ.

وَإِذَا كَـانَ الـسَّاسَةُ وَالاقْتِـصَادِيُّون، وَأَرْبَـابُ الفِكْـرِ وَالثَّقَافَـةِ وَالإِعْلَامِيُّونَ، يَتَحَدَّثُونَ عَنْ كَيْفِيَّةِ اسْتِقْبَالِ العَالَمِ لِلأَلفِيَّـةِ الثَّالِثَةِ، فَإِنَّ أُمَّةَ الإِسْلَامِ مُطَالَبَةٌ أَلَّا يَزِيدَهَا مُرُورُ الأَيَّامِ، وَتَعَاقُبُ القُرُونِ وَالأَعْوَامِ، إِلَّا تَمَسُّكًا بِثَوَابِتِهَا، وَاعْتِزَازًا بِمبَادِئِهَا، وَتَـحْقِيقًا لِوَحْدَتِهَا، لِتَكُـونَ ـ كَـمَا أَرَادَ اللَّـهُ ـ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَالوَحْدَةُ وَالتَّوحِيـدُ، وَالجَمْـعُ بَـيْنَ وَسَائِلِ الطَّرِيقِ، هُوَ سِلَاحُنا الفَاعِلُ لِدُخُولِ القَرْنِ الجَدِيدِ.

وَأَخِيرًا: أَيُّهَا الأَحِبَّةُ فِي اللَّـهِ، بَدَتِ الصُّورَةُ قَاتِـمَةً؛ نَتِيجَةَ الجُرْحِ العَمِيقِ الَّذِي نَكَأَتْهُ الانْحِرَافَاتُ فِي عُقُولِ أَبْنَاءِ الأُمَّةِ، حَتَّىٰ أَثَّرَ ذَلِـكَ فِي أَوْضَاعِهَا، فَإِنَّ الآمَالَ مَعْقُودَةٌ ـ بَعْدَ اللَّـهِ عَزَّ وجَلَّ ـ عَلَىٰ حَمَلَـةِ العَقِيـدَةِ، وَعُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ، وَأَرْبَابِ الدَّعْوَةِ وَالإِصْلَاحِ فِي الأُمَّةِ؛ لِلسَّيرِ عَلَىٰ خُطًى جَـادَّةٍ، وَمَنْهَجِيَّـةٍ صَـحِيحَةٍ، تَتبَعُهَـا جُهُـودٌ عَظِيمَـةٌ، تَجمَـعُ بَـيْنَ أَصَـالَةِ

المَاضِي وَتِقَانَاتِ[1] الوَاقِعِ؛ لِتُواكِبَ الأُمَّةُ تَحدِّيَاتِ العَصْرِ، وَتُواجِهُهَا بأَسَالِيبِهِ وَوَسَائِلِه، لإنقَاذِ التَّائِهِينَ فِي دُرُوبِ البَاطِلِ وَالوَهْمِ، بِأسَالِيبَ حَكِيمَةٍ، تُحقِّقُ المَصَالِحَ وَتَدْرَأُ المَفَاسِدَ بِإِذْنِ اللَّهِ.

وَكَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِ كُلِّ عَامِلٍ مُخْلِصٍ لِعَقِيدَتِهِ وَمُجتَمَعِهِ وَأُمَّتِهِ ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت]. نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالقُرْآنِ العَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ المُرسَلِينَ، أَقُولُ مَا سَلَفَ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي وَلَكُمْ فِي مَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ عِوَضًا مِنْ كُلِّ خَلَفٍ، فَاسْتَغفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيه، فَهُوَ خَيرُ الغَافِرِينَ، وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

---

(١) تَقَانَات: جمع تَقَانَةٍ، والتِّقْنُ بالكسْرِ: ما يقومُ به المَعاشُ، ويصلحُ به التَّدْبيرُ، كالحديدِ وغيرِهِ مِن جَواهِرِ الأَرضِ. يُنظر: «تاج العروس» (تقن).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للَّهِ عَظُمَ مَلَكُوتُهُ فَاقْتَدَرَ، وَعَزَّ سُلْطَانُهُ فَقَهَرَ، أَحْمَدُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ وَأَشْكُرُهُ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَحْفَظَنَا وَالمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ضَرَرٍ، وَيَحْمِينَا وَالمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ البَشَرِ، الشَّافِعُ المُشَفَّعُ فِي المَحْشَرِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةُ الغُرَرُ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا اتَّصَلَتْ عَيْنٌ بِنَظَرٍ، وَأُذُنٌ بِخَبَرٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا الله ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ فَإِنَّ مَنِ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ حَفِظَهُ وَكَفَاهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الإِخْوَةِ فِي اللَّهِ: فِي الوَقْتِ الَّذِي رَفَعَتْ فِيهِ بَعْضُ المُنَظَّمَاتِ المَشْبُوهَةِ، وَالقَنَوَاتِ المَفْضُوحَةِ عَقِيرَتَهَا(١) ضِدَّ بِلَادِ الحَرَمَيْنِ

(١) عَقِيْرَة الرَّجل: صوته إذا غَنَّى أو قرأ أو بكى. يُنظر «اللسان» (عقر).

الشَّرِيفَيْنِ - حَرَسَها اللَّـهُ - فِي وُقُوفِهَا المَوْقِفَ الحَقَّ مِنْ حُقُوقِ الإِنْسَانِ المُنبثِقَةِ مِنْ تَعَالِيمِ الإِسْلامِ، وَتَعَالَتْ - وَللهِ الحَمْدُ - صَيْحَاتُ الاسْتِنْكَارِ الإِسْلامِيَّةِ، وَقَرَاراتُ الإِنْصَافِ العَالَمِيَّةِ؛ لِمَا يُمثِّلُهُ الافْتِرَاءُ عَلَيهَا مِنْ طَعْنَةٍ فِي جَوْهَرِ الإِسْلامِ، وَتِلْكَ شِنْشِنَةٌ[1] مَعْرُوفَةٌ مِنْ أَخْزَمَ[2]، فَلَنْ تُؤَثِّرَ - بِإِذْنِ اللهِ - عَلَىٰ تَمَسُّكِنَا بِثَوَابِتِنَا، وَاعْتِزَازِنَا بِإِسْلامِنَا، مَهْمَا حَاوَلَ خَفَافِيشُ الظَّلَامِ، إِسْدَالَ السِّتَارِ عَلَىٰ عُقُولِ البَعْضِ، فَلَنْ يَحْجُبَ نُورَ الشَّمْسِ كَفُّ دَعِيٍّ مَأْفُونٍ[3] ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف].

---

(١) الشِّنْشِنَةُ: الطَّبيعَةُ والسَّجِيَّةُ والعادَةُ. يُنظر «تاج العروس» (شنن).

(٢) هذا مثل معروف عند العرب، وذُكر في معناه ما نُقل عن ابن الكَلْبِيِّ أَنَّ هذا الشِّعْرَ لأبي أَخْزَمَ الطَّائيِّ - وهو جَدُّ أبي حاتم أو جدُّ جَدِّه، وكان له ابْنٌ يقال له: أَخْزَمُ، وقيل: كان عاقًّا، فمات وترك بنين فوثبوا يومًا على جدِّهم أبي أَخْزَمَ فأَدْمَوْهُ، فقال:

إنَّ بنِيَّ زمَّلُونِي بالدَّمِ　　　شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُها مِن أَخْزَمِ

يُنظر: «تهذيب اللغة» (خزم).

(٣) المَأْفُوْن: الضعيف الرأي والعقل، والمتمدِّح بما ليس عنده. يُنظر: «القاموس المحيط» (أفن).

إِخْـوَةَ الْعَقِيـدَةِ: مِـنْ رِعَايَـةِ حَـقِّ الإِنْـسَانِ تَحْقِيقُـهُ لِلعَقِيـدَةِ الـصَّحِيحَةِ، وَالمَنْهَجِ السَّلِيمِ، وَنَظْرَتُـهُ الـصَّحِيحَةُ لِلكَـوْنِ وَالحَيَـاةِ، وَتَفْوِيضُهُ الأُمُورَ كُلَّهَا لِرَبِّ العَالَمِينَ؛ وَعَدَمُ التَّشَاؤُمِ وَالتَّطَيُّرِ بِبَعْضِ الشُّهُورِ وَالأَيَّامِ، وَالأَوقَاتِ وَالأَعْوَامِ، وَالطُّيُورِ وَالأَرْقَامِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ بَعْضُ العَامَّةِ مِنْ الأَوْهَامِ فِي شَهْرِ صَفَرٍ وَغَيْرِهِ.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ وَلَا هَامَّةَ وَلَا صَفَرَ**»(١).

فَيَـا أَبْنَـاءَ العَقِيـدَةِ: حَـذَارِ أَنْ تَعْبَـثَ الخَيَـالاتُ بِعُقُـولِكُمْ، وَتَسْتَسْلِمُوا لِلأَفَّاكِينَ وَالمُغْرِضِينَ !! وَذَلِكَ أَغْلَىٰ تَكْرِيمٍ لِلإِنْسَانِ فِي الحِفَاظِ عَلَىٰ دِينِهِ وَعَقْلِهِ، وَنَفْسِهِ وَمَالِهِ وَعِرْضِهِ، فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ المُتَخَرِّصُونَ(٢) وَالمُتَقَوِّلُونَ، وَلْيَخْسَإِ(٣) المُغْرِضُونَ وَالشَّانِئُونَ(٤)، وَاللَّهُ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَهُوَ مَوْلانَا، فَنِعْمَ المَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٧)، ومسلم (٢٢٢٠).

(٢) المُتَخَرِّصُون: الكذابون، تَخَرَّصَ فلانٌ الباطلَ، واخْتَرَصَهُ: اخْتَلقه وافتعله. يُنظر: «تهذيب اللغة» (خرص).

(٣) الخَاسِئ: البعيد، وقيل: المطرود، يُنظر: «اللسان» (خسأ).

(٤) الشَانِئُوْن: المُبْغِضُونَ، وشَنَأَ: أَبْغَضَ، وَشَنْآنُ: بَغِيضٌ. يُنظر: «اللسان» (شنأ).

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَىٰ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ، فَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[الأحزاب].

الأثر الأسنى لأسماء الله وصفاته الحسنى

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحمدَ للَّـهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّـهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّـهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّـهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

عِبَادَ اللَّـهِ: تَتَضَاءَلُ المَعَارِفُ والعُلُومُ أَمَامَ العِلْمِ بِأَشْرَفِ مَعْلُومٍ، وَهُوَ العِلْمُ بِالله ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، فَأَفْضَلُ مَا عَرَفَ العِبَادُ، رَبُّهُم وخَالِقُهُم

وَبَارِئِهِمْ ـ سُبْحَانَهُ ـ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ صِفَاتِ الكَمَالِ، وَنُعُوتِ الجَلَالِ وَالجَمَالِ؛ إِذْ شَرَفُ العِلْمِ بِشَرَفِ المَعْلُومِ؛ لِذَلِكَ كَانَ العِلْمُ بِاللهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَشْرَفَ العُلُومِ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ.

كَمَا أَنَّ مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الإِيمَانِ وَصَمِيمِ العَقِيدَةِ، وَصِحَّةِ التَّوْحِيدِ: أَنْ يُؤْمِنَ العَبْدُ بِأَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ العُلَىٰ، وَمَنْ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ، كَانَ مِنْهُ أَخْوَفَ، وَأَشَدُّ النَّاسِ خَشْيَةً للهِ هُمُ العُلَمَاءُ العَارِفُونَ بِاللهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَقَدْ جَاءَ القُرْآنُ الكَرِيمُ بِالعِنَايَةِ بِهَذَا القِسْمِ مِنْ أَقْسَامِ تَوحِيدِ العِبَادِ لِرَبِّهِمْ، بَلْ لَا تَكَادُ تَخْلُو آيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ مِنِ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ العِلْمِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**وَالقُرْآنُ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، أَكْثَرُ مِمَّا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنِّكَاحِ فِي الجَنَّةِ، وَالآيَاتُ المُتَضَمِّنَةُ لِذِكْرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، أَعْظَمُ قَدْرًا مِنْ آيَاتِ المَعَادِ، فَأَعْظَمُ آيَةٍ فِي القُرْآنِ، آيَةُ الكُرْسِيِّ المُتَضَمِّنَةُ لِذَلِكَ**(١)**، وَأَفْضَلُ سُورَةٍ: سُورَةُ أُمِّ القُرْآنِ**(٢)**، وَفِيهَا مِنْ ذِكْرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ،**

---

(١) كما في حديث أُبَي بن كعب ﷺ الذي أخرجه مسلم (٨١٠).

(٢) كما في حديث أبي سعيد بن المعلى ﷺ الذي أخرجه البخاري (٤٤٧٤).

أَعْظَمُ مِمَّا فِيهَا مِنْ ذِكْرِ المَعَادِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص]، تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ[1]، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ - أَيْضًا - أَنَّهُ بَشَّرَ الَّذِي كَانَ يَقْرَؤُهَا وَيقُولُ: إِنِّي لأُحِبُّها لِأَنَّها صِفَةُ الرَّحْمنِ، بِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ[2]، فَبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ يُحِبُّ صِفَاتِهِ سُبحَانَهُ»[3]. انْتَهى كَلامُهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: إِذَا كَانَ مِنَ المُتَقَرِّرِ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - خَلَقَ الخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ؛ فَهَلْ يُمكِنُ أَنْ يَعْبُدُوهُ دُونَ أَنْ يَعْرِفُوهُ؟!

بَلْ لابُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهِمْ لَهُ - سُبْحَانَهُ - لِيُحَقِّقُوا الحِكْمَةَ العُظْمَىٰ، وَالغَايَةَ الكُبْرَىٰ مِنْ إِيجَادِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَالاهْتِمَامُ بِمَعْرِفَتِهِ - سُبْحَانَهُ - اهتِمَامٌ بِمَا خَلَقَ العِبَادَ لَهُ، وَإِهْمَالُ ذَلِكَ تَضْيِيعٌ لِمَا مِنْ أَجْلِهِ خُلِقُوا.

وَإِنَّ مِنَ الزِّرَايَةِ[4] بِالعَبْدِ - وَنِعَمُ المَوْلَىٰ عَلَيْهِ تَتْرَىٰ، وَفَضْلُهُ عَلَيْهِ

---

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (٥٠١٣)، وحديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (٨١١).

(٢) كما في حديث عائشة - رضي الله عنها - الذي أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).

(٣) يُنظر: «درء تعارض العقل والنقل» (٥/ ٣١٠).

(٤) الزِّرَايَةُ: من الازدراء: أي الاحتقار والانتقاص. يُنظر: «اللسان» (زري).

يَتَوَالَىٰ - أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا بِرَبِّهِ، مُعْرِضًا عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَالعِلْمِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ إِذْ بِقَدْرِ ذَلِكَ يَزِيدُ إِيمَانُهُ، وَيَقْوَىٰ يَقِينُهُ، فَالعِلْمُ بِالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ يُورِثُ الآثَارَ العَظِيمَةَ عَلَىٰ حَيَاةِ الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ، فَيَحْيَا الحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ، وَيَسْعَدُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ.

يَقُولُ العَلَّامَةُ ابنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَالعِلْمُ بِالأَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ أَصْلٌ لِلعِلْمِ بِكُلِّ مَعْلُومٍ، فَإِنَّ المَعْلُومَاتِ بِسِوَاهُ - سُبْحَانَهُ - إِمَّا أَنْ تَكُونَ خَلْقًا لَهُ - تَعَالَىٰ - أَوْ أَمْرًا، وَمَصْدَرُ الخَلْقِ وَالأَمْرِ عَنْ أَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، وَهُمَا مُرْتَبِطَانِ بِهَا ارْتِبَاطَ المُقْتَضَىٰ بِمُقْتَضِيهِ، فَمَنْ أَحْصَىٰ أَسْمَاءَهُ كَمَا يَنبَغِي لِلمَخْلُوقِ؛ أَحْصَىٰ جَمِيعَ العُلُومِ؛ لِأَنَّ المَعْلُومَاتِ هِيَ مِنْ مُقْتَضَاهَا وَمُرْتَبِطَةٌ بِهَا»[1].

وَقَالَ أَبُو القَاسِمِ الأَصْبَهَانِيُّ: «فَيَنبَغِي لِلمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْرِفُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ وَتَفْسِيرَهَا؛ فَيُعَظِّمُوا اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَتَزَوَّجَ إِلَىٰ رَجُلٍ أَوْ يُزَوِّجَهُ، أَوْ يُعَامِلَهُ، طَلَبَ أَنْ يَعْرِفَ اسْمَهُ وَكُنْيَتَهُ وَاسْمَ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، وَسَأَلَ عَنْ صَغِيرِ أَمْرِهِ وَكَبِيرِهِ، فَاللهُ - الَّذِي خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا، وَنَحْنُ نَرجُو رَحْمَتَهُ وَنَخَافُ مِنْ سَخَطِهِ - أَوْلَىٰ

(١) يُنظر: «بدائع الفوائد» (١/ ١٧٠).

أَنْ نَعْرِفَ أَسْمَاءَهُ وَتَفْسِيرَهَا»[1].

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: لَقَدْ دَرَجَ سَلَفُ هَذِهِ الأُمَّةِ ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ـ عَلَىٰ الْمَنْهَجِ الأَسْمَىٰ وَالطَّرِيقِ الأَسْنَىٰ، فِي صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَاتَّفَقُوا عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِجَمِيعِ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالإِقْرَارِ بِهَا وَالتَّصْدِيقِ لَهَا، وَإِثْبَاتِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ، وَنَفْيِ مَا نَفَاهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ عَنْ نَفْسِهِ، وَنَفَاهُ عَنْهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيرِ تَشْبِيهٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، كَمَا قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، وَقَالَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم].

يَقُولُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**لِلَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ، وَأَخْبَرَ بِهَا نَبِيُّهُ أُمَّتَهُ، لَا يَسَعُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، رَدُّهَا**»[2].

وَقَالَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**وَلَا يَبْلُغُ الْوَاصِفُونَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ، الَّذِي هُوَ كَمَا**

---

(١) يُنظر: «الحجة في بيان المحجة» (١/ ١٣٤).

(٢) أخرجه محمد بن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٨٣)، وابن قدامة المقدسي في «إثبات صفة العلو» (ص١٢٤).

وَصَفَ نَفْسَهُ، وَفَوْقَ مَا يَصِفُهُ بِهِ خَلْقُهُ»[1].

وَقَالَ الإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: سَمِعْتُ نَعِيمَ بْنَ حَمَّادٍ يَقُولُ: **«لَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولُهُ تَشْبِيهًا»**[2].

ورُوِيَ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ المُبَارَكِ ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ـ أَنَّهم قَالُوا في أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ: **«أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ»**[3].

وَقَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ حِينَ سُئِلَ عَنِ الاسْتِوَاءِ في قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟ قَالَ: **«الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»**[4].

---

(١) يُنظر: «الرسالة» (١/ ٨).

(٢) أخرجه الذهبي في «العُلُو» (ص١٧٢).

(٣) أخرجه الخَلَّال في «السُّنة» (١/ ٢٥٩)، وابن بطة في «الإبانة» (٣/ ٢٤١)، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٤٩).

(٤) أخرجه اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ١٥٠، ١٥١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥).

فَهَذِهِ - إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ - عَقِيدَةُ السَّلَفِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، تَلَقَّاهَا التَّابِعُون، وَتَوَاصَوا بِهَا جِيْلًا بَعْدَ جِيلٍ، مُحَذِّرِينَ مِنْ مُخَالَفَتِهَا، وَالْمَيْلِ عَنْهَا وَالشَّطَطِ[١] فيهَا، وَدَانَ لَهَا أَئِمَّةُ السَّلَفِ وَأَتْبَاعُهُمْ بِإِحِسَانٍ.

كَيْفَ لا؟ وَقَدْ زَكَّاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ! يَقُولُ - سُبحَانَهُ -: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ [البقرة: ١٣٧]. فَالوَاجِبُ عَلَىٰ العِبَادِ السَّيرُ علىٰ مَا سَارُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَىٰ الهُدَىٰ المُسْتَقِيمِ، وَالدِّينِ القَوِيمِ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ: وَمِنْ أَبْرَزِ مَنَاهِجِ السَّلَفِ وَعَقِيدَتِهِمْ فِي هَذَا البَابِ، الإِثْبَاتُ وَالنَّفْيُ، عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ النُّصُوصِ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ النَّقْلُ الصَّحِيحُ الَّذِي لَا يُخَالِفُ العَقْلَ الصَّرِيحَ، أَمَّا إِعْمَالُ العُقُولِ المُجَرَّدَةِ فِي هَذَا البَابِ العَظِيمِ، فَهُوَ مِنَ الإِلْحَادِ المَذْمُومِ.

يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -[٢]:

أَسْمَاؤُهُ أَوْصَافُ مَدْحٍ كُلُّهَا ... مُشْتَقَّةٌ قَدْ حُمِّلَتْ لِمَعَانِ

---

(١) الشَّطَط: البُعْد - وهو المراد هنا - وقيل: النقصان، وقيل: الجور. ينظر: «اللسان» (شطط).

(٢) يُنظر: «القصيدة النونية» بشرح ابن عيسى (٢/ ٢٥١).

إِيَّـاكَ وَالإِلْحَـادَ فِيهَـا إِنَّـهُ كُفْـرٌ مَعَـاذَ اللَّـهِ مِـنْ كُفْـرَانِ
وَحَقِيقَةُ الإِلْحَادِ فيهَا المَيْلُ بالـ إِشْرَاكِ وَالتَّعْطِيـلِ والنُّكْـرَانِ

وَمِـنَ القَوَاعِـدِ المُثْلَىٰ في صِـفَاتِ اللَّـهِ وَأَسـمَائِهِ الحُسْنَىٰ، أَنَّهَـا تَوقِيفِيَّةٌ(١)، لَا تَجُوزُ إِلَّا بِالدَّلِيلِ النَّقْلِيِّ.

لَكنَّهَـا في الحَـقِّ توقِيفيَّـهْ لَنَـا بِـذَا أَدِلَّـةٌ وَفِيَّـهْ(٢)

أُمَّـةَ الإِسْـلَامِ: إِنَّ تَحقِيقَ الإِيمَانِ بِالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، يَقْتَضِي العِلْمَ بِمَعنَاهَا، وَالعَمَلَ بِمُقْتَضَاهَا، وَأَنْ تُرىٰ آثَارُ الإِيمَانِ بِهَا في حَيَاةِ العَبْدِ وَالأُمَّةِ وَاقِعًا مَلْمُوسًا، لَعَلَّ اللَّـهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا؛ وَعَمَلًا مُشَاهَدًا مَحْسُوسًا.

وَهَذِهِ وَقَفَاتٌ في ظِلَالِ بَعْضِ أَسْمَاءِ اللَّـهِ الحُسْنَىٰ، وَقُطُوفٌ مِنْ مَعَانِيهَا، وَشَذَرَاتٌ مِنْ آثَارِهَا.

فَاللهُ: هُو الَّذِي تَأْلَهُهُ القُلُوبُ بِالحُبِّ وَالمَوَدَّةِ وَالتَّعْظِيمِ، وَمَنْ آمَنْ بِهِ اقْتَضَاهُ ذَلِكَ: تَوحِيدُهُ، وَإِفْرَادُهُ بِالعِبَادَةِ، وَالبُعْدِ عَنِ الإِشْرَاكِ بِهِ، فَهَلْ مَنْ تَوَجَّهَ إِلىٰ غَيْرِ اللَّـهِ، وَعَمَدَ إِلىٰ القُبُورِ وَالأَضْرِحَةِ يَسْأَلُهَا مِن

---

(١) معنى توقيفية: أي: لا اجتهاد فيها.

(٢) يُنظر: «العقيدة السَّفَّارِينيَّة» (ص٥٢).

دُونِ اللَّـهِ؛ قَدْ حَقَّقَ الإِيمَانَ بِهَذَا الاسْمِ العَظِيمِ، وَإِنْ تَسَمَّىٰ بِهِ؟!

وَمِنْ أَسْمَائِهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ: فَكُلُّ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نِعَمٍ وَآلَاءٍ فَهِيَ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ الوَاسِعَةِ، فَبِعْثَةُ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالُ الكِتَابِ، وَالأَمْنُ وَالاطْمِئْنَانُ، وَالرَّغَدُ وَالصِّحَّةُ، وَالمَالُ وَالوَلَدُ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالمَطَرُ وَالنَّبَاتُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، فَهُوَ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَرْحَمُ بِهِمْ مِنَ الوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا![1] فَمَا وُجِدَتْ مِنْ نِعْمَةٍ وَلَا دُفِعَتْ مِنْ نِقْمَةٍ، إِلَّا وَهِيَ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ الَّتِي عَمَّتِ الوُجُودَ وَشَمِلَتْ كُلَّ مَوْلُودٍ.

وَهُوَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ السَّمِيعُ البَصِيرُ: الَّذِي لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آل عمران]، يَرَىٰ دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ، عَلَىٰ الصَّخْرَةِ الصَّمَّاءِ، فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ[2] ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر]، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ، قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه].

---

(١) كما في حديث عمر بن الخطاب ﷺ الذي أخرجه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٢) يُنظر: «مدارج السالكين» (٣/ ٢٥٣).

يَا مَنْ يَرَىٰ مَدَّ البَعُوضِ جَنَاحَهَا ... في ظُلْمَةِ اللَّيْلِ البَهِيمِ الأَلْيَلِ
وَيَرَىٰ نِيَاطَ عُرُوقِهَا في نَحْرِهَا ... وَالمُخَّ في تِلْكَ العِظَامِ النُّحَّلِ
وَيَرَىٰ مَكَانَ الدَّمِ في أَعْضَائِهَا ... مُتَنَقِّلًا مِنْ مِفْصَلٍ إِلَىٰ مِفْصَلِ
وَيَرَىٰ مَكَانَ المَشْيِ مِنْ أَقْدَامِهَا ... وَخَطِيطَهَا في مَشْيِهَا المُسْتَعْجِلِ[1]

لَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ لَنَا سِوَاهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ!

أَيْنَ المُبَارِزُونَ بِالمَعَاصِي؟!

أَيَظُنُّونَ أَنَّ اللهَ لا يَرَاهُمْ؟! إِذَا تَوَارَوْا عَنْ عُيُونِ الخَلْقِ، فَهَلْ يَتَوَارَوْنَ عَنْ رُؤْيَةِ الخَالِقِ؟!

إِذَا خَلَوتَ بِرِيبَةٍ في ظُلْمَةٍ ... وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَىٰ الطُّغْيَانِ
فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإِلهِ وَقُلْ لَهَا ... إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي[2]

رَاوَدَ رَجُلٌ امْرَأَةً في الصَّحْرَاءِ عَنْ نَفْسِهَا، فَقَالَ: لَا تَرَانَا إِلَّا الكَوَاكِبُ، فَقَالَتْ: أَيْنَ مُكَوكِبُهَا؟! فَانْصَرَفَ عَنْهَا[3].

---

(١) يُنظر: «الكشَّاف» للزمخشري (١/ ١٤٥)، و«المستطرف في كل فن مستظرف» (٢/ ٢٢٥).

(٢) يُنظر: «نونية القحطاني» (١/ ٢٥).

(٣) أخرج هذه القصة البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٥١١).

يَقُولُ ابْنُ القَيِّم - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

وَهُوَ السَّمِيعُ يَرَىٰ وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا ... فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
وَيَرَىٰ خِيَانَاتِ العُيونِ بِلَحْظِهَا ... وَيَرَىٰ كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأَجْفَانِ[1]

وَلَـمَّا أَرَادَتِ المَرأَةُ أَنْ تَغُشَّ اللَّبَنَ بِالمَاءِ، عَلَىٰ عَهْدِ عُمَرَ ﷺ وَقَالَتْ: إِنَّ عُمَرَ لَا يَرَانَا. قَالَتْ ابنَتُهَا المُؤمِنَةُ: إِذَا كَانَ عُمَرُ لا يرَانَا، فَإِنَّ رَبَّ عُمَرَ يرَانَا[2].

اللَّهُ أَكبَرُ !! إِنَّهَا حَقِيقَةُ الإِحْسَانِ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يرَاكَ[3]، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[الشعراء].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: وَمِنْ أَسْمَائِهِ - سُبْحَانَهُ -: القَوِيُّ القَهَّارُ، الكَبِيرُ الجَبَّارُ: فَالخَلْقُ كُلُّهُمْ - مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَّتُهُمْ - تَحْتَ قُدْرَتِهِ

---

(١) يُنظر: «النونية» بشرح ابن عيسى (٢/ ٢١٥).

(٢) أخرج هذه القصة الآجري في «أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز» (ص٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٧٠/ ٢٥٤)، والبنت هِيَ جدة الخليفة الأموي العادل عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله.

(٣) كما في حديث عمر بن الخطاب ﷺ الذي أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

وَقَهرِهِ، ومَا مِنْ جَبَرُوتٍ إِلَّا وَقَدْ ذَلَّ لِعَظَمَتِهِ وَسَطْوَتِهِ، وَكُلُّ قَوِيٍّ ضَعِيفٍ أَمَامَ قُوَّةِ الجَبَّارِ ـ جَلَّ جَلالُـهُ ـ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾﴾ [البقرة].

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ قُوةً أَرْضِيَّةً ـ غَرْبِيَّةً أَوْ شَرْقِيَّةً ـ قُوَّةٌ لا تُقْهَرُ وَلا تُدْحَرُ، فَلْيُصَحِّحْ إِيمَانَهُ، وَلْيُجَدِّدْ يَقِينَهُ، فَاللَّهُ أَكْبَرُ وَأَقْوَىٰ مِنْ كُلِّ مَالِكٍ، وَمِنْ كُلِّ كَبِيرٍ، سُبْحَانَهُ، أَلَا فَلْيَقَرَّ أَعْيُنًا بِذَلِكَ، المُضْطَهَدُونَ والمَظْلُومُونَ في كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

وَهُوَ القَوِيُّ لَهُ القُوَىٰ جَمْعًا تَعَا ... لَىٰ رَبُّ ذِي الأَكْوَانِ وَالأَزْمَانِ

وَكَذَلِكَ القَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ ... فَالخَلْقُ مَقْهُورونَ بِالسُّلْطَانِ[1]

وَمِنْ أَسْمَائِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ الرَّزَّاقُ: الَّذي عَمَّ بِرِزْقِهِ كُلَّ شَيْءٍ، فَمَا مِنْ دَابَّةٍ في الأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا، مَنِ الَّذي رَزَقَ الحِيتَانَ في البِحَارِ، وَالطُّيُورَ في أَعْلَىٰ الأَوْكَارِ، وَالسِّبَاعَ في مَهَامِهِ القِفَارِ، إِلَّا العَزِيزُ الرَّزَّاقُ الغَفَّارُ؟!!

(١) يُنظر: «النونية» بشرح ابن عيسى (٢/ ٢١٨).

وَلَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا[1]، وَلَوْ اجْتَمَعَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ، إِنْسُهُم وَجِنُّهُمْ، عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعُوا عَنْ أَحَدٍ رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، لَنْ يَسْتَطِيعُوا، لا مَانِعَ لِـمَا أَعْطَىٰ، وَلَا مُعْطِيَ لِـمَا مَنَعَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨ ﴾ [الذاريات].

وَاعْلَمْ أَنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلا تَدْفَعُهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ.

قَالَ ابْنُ القَيِّم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

وَكَذَلِكَ الرَّزَّاقُ مِنْ أَسْمَائِهِ   وَالرِّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَانِ[2]

يَا عَبْدَ اللَّهِ: الجَأْ لِجَنَابِهِ تَجِدْهُ قَرِيبًا مُجِيبًا ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ ﴾ [الحج].

وَمِنْ أَسْمَائِهِ: **الغَفُورُ الكَرِيمُ**: يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا وَإِنْ عَظُمَتْ، وَيَسْتُرُ العُيُوبَ وَإِنْ كَثُرَتْ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم: ٣٢]، وَفِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ عَنْهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ!**

---

(١) كما في حديث جابر رضي الله عنه الذي أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤).

(٢) يُنظر: «النونية» بشرح ابن عيسى (٢/ ٢٣٤).

لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1].

فَيَا أَيُّهَا المُذْنِبُونَ وَالمُفَرِّطُون، البِدَارَ، البِدَارَ، إِلَىٰ حِمَىٰ الكَرِيمِ الغَفَّارِ!!

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

وَهُوَ الغَفُورُ فَلَوْ أُتِيَ بِقُرَابِهَا مِنْ غَيْرِ شِرْكٍ بَلْ مِنَ العِصْيَانِ
لَأَتَاهُ بِالغُفْرَانِ مِلْءَ قُرَابِهَا سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الغُفْرَانِ[2]

وَمِنْهَا: الحَكِيمُ العَلِيمُ: حَكِيمٌ فِي شَرْعِهِ وَقَدَرِهِ، فَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْ خَلْقَهُ سُدَىٰ، وَلَمْ يُشَرِّعْ شَيْئًا لَهْوًا وَلَعِبًا.

العَلِيمُ بِخَلْقِهِ ومَصَالِحِهِمْ، ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤]، فَهُوَ العَلِيمُ وَالنَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ، وَالحَكِيمُ وَالنَّاسُ يَتَّبِعُونَ الهَوَىٰ وَيَجْهَلُونَ، فَمَنْ

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٣٥٤٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣١٥) من حديث أنس ﷺ، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وأخرجه من حديث أبي ذر ﷺ: أحمد في «المسند» (٥/ ١٤٨)، والدارمي في «سننه» (٢٧٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٤١) وصححه.

(٢) يُنظر: «النونية» بشرح ابن عيسى (٢/ ٢٣١).

آمَنَ بِذَلِكَ حَقَّ الإِيمَانِ سَلَّمَ لِشَرْعِ رَبِّهِ، وَوَقَفَ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَىٰ حُكْمِهِ ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾ [الأنعام:١١٤]، ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام:٥٧]، وَلَا عَلَىٰ أَمْرِهِ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]، فَالَّذِينَ يَعْتَرِضُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الشَّرْعِ، إِنَّمَا يُصَادِمُونَ هَذِهِ العَقِيدَةَ، وَالَّذِينَ يُطَالِبُونَ بِإِلْغَاءِ الحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ، وَإِبَاحَةِ المُعَامَلَاتِ الرِّبَوِيَّةِ، يُشَكِّكُونَ فِي حِكْمَةِ أَحْكَمِ الحَاكِمِينَ، وَالَّذِينَ يَعْتَرِضُونَ عَلَىٰ حُكْمِ الإِسْلَامِ فِيمَا يَخُصُّ المَرْأَةَ المُسْلِمَةَ، إِنَّمَا يَطْعَنُونَ فِيمَنْ شَرَعَ ذَلِكَ لَهَا، فَمَنِ الَّذِي أَمَرَهَا بِالحِجَابِ؟ وَمَنِ الَّذِي أَمَرَهَا بِالقَرَارِ فِي البَيْتِ؟ وَمَنِ الَّذِي شَرَعَ لَهَا حُقُوقَهَا وَوَاجِبَاتِهَا؟ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [التين].

إِذًا فَلِمَاذَا، ثُمَّ لِمَاذَا تُثَارُ ـ بَيْنَ الفَيْنَةِ وَالأُخْرَىٰ ـ هَذِهِ القَضَايَا، وَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الثَّوَابِتِ وَالمُسَلَّمَاتِ عِنْدَ أَهْلِ الإِسْلَامِ؟!!

لَقَدْ طَفَحَ الكَيْلُ بِأَقْلَامٍ حَاقِدَةٍ، وَصَرَخَاتٍ مَحْمُومَةٍ؛ تَتَقَاطَرُ أَحْقَادًا عَلَىٰ قِيَمِ الأُمَّةِ وَعِفَّتِهَا وَمُثُلِهَا، بِدَعْوَىٰ التَّحْرِيرِ، وَأَفْكَارٍ زَائِفَةٍ تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ العَلْمَنَةِ المَأْفُونَةِ(١)، وَالعَوْلَمَةِ المُسْتَهْجَنَةِ(٢)؛ تَسْتَهْجِنُ

---

(١) تقدم بيان معناها (ص١٠٠).

(٢) مسْتَهْجَنةٌ: معيبةٌ. يُنظر: «تاج العروس» (هجن).

مُجتَمَعَ الصَّالِحِينَ وَالمُحافِظِينَ، وتَسْخَرُ مِنْ شَرِيعَةِ رَبِّ العَالَمِينَ.

فتبًّا لهَذِهِ الدَّعواتِ الآثِمَةِ !! وَسُحْقًا لهَذِهِ الهُتَافَاتِ الزَّائفَةِ !! ألَا شَاهَتِ[1] الوُجُوهُ!! قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ، حِينَ اعْتَرَضُوا عَلَىٰ شَرْعِ أَحْكَمِ الحَاكِمينَ؛ فَمَهْلًا يَا دُعَاةَ الرَّذِيلَةِ! رُوَيْدَكُمْ يَا أَعْدَاءَ الفَضِيلَةِ! مَاذَا يُرِيدُ هَؤُلاءِ؟! وَلِمَصْلَحَةِ مَنْ يَنْفُثُونَ سُمُومَهَمْ فِي المُجْتَمعَاتِ المُسْلِمَةِ المُحَافِظَةِ؟!

فَأَهْلُ الإِيمَانِ وَالغَيرَةِ يُدْرِكُونَ أَنَّ وَرَاءَ الأَكَمَةِ[2] مَا وَرَاءَهَا! ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف].

وَلَقَدْ جَاءَتْ تَصْرِيحَاتُ وُلاةِ الأَمْرِ - وَفَّقَهُمُ اللَّهُ - بِلَسَمًا يَشْفِي صُدُورَ الغُيَّرِ، وَيَقْطَعُ الطَّرِيقَ أَمَامَ الأَدْعِيَاءِ الأَفَّاكِينَ، وَاللَّهَ نَسْأَلُ أنْ يَحفَظَ بِلادَنا وَبِلادَ المُسْلِمِينَ مِنْ كَيْدِ الكَائِدِينَ، وَأنْ يُوفِّقَ وُلاةَ أَمْرِنَا لِنُصْرَةِ الحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَقَمْعِ البَاطِلِ وَأَهْلِهِ.

---

(١) شَاهَت: قَبُحَت. يُنظر: «اللسان» (شوه).

(٢) الأَكَمَةُ: المَوْضِعُ الَّذِي يَكُونُ أَشَدَّ ارْتِفاعًا مِمَّا حَوْلَه، أو: هي دون الجِبَال، ومن أمثال العرب: (وراءَ الأَكَمَةِ ما وراءَها)، يُقال ذَلِك عند الهُزْءِ بِكُلِّ مَنْ أَخْبَرَ عن نَفْسِه بِمَا لا يُرِيد إِظْهارَه. يُنظر: «تاج العروس» (أكم).

فَاتَّقُوا اللَّـهَ - عِبَادَ اللَّـهَ - وَتَدَبَّرُوا أَسْمَاءَ رَبِّكُمْ وَصِفَاتِهِ، وَحَقِّقُوا الإِيمَانَ بِها عِلْمًا وَعَمَلًا، وَلتَصْطَبِغْ حَياتُكُم بِآثَارِهَا: صَلاحًا وَإِصْلاحًا؛ تَسْعَدُوا في دُنْيَاكُم وآخِرَتِكُم.

أَعُوذُ بِاللَّـهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف].

بَارَكَ اللَّـهُ لي وَلَكُمْ في القُرْآنِ العَظِيمِ، وَنَفَعَني وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيمِ، أَقُولُ قَوْلي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ لِي ولَكُمْ وَلِجَميعِ المُسْلِمِينَ فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحَمْدُ للَّهِ الَّذي تَفَرَّدَ بِكُلِّ كَمالٍ، وَاخْتَصَّ بِأَعْلَىٰ جَلالٍ وَأَبهىٰ جَمالٍ، أَحْمَدُهُ - تَعالىٰ - وَأَشْكُرُهُ، وَأَسْأَلُهُ المَزِيدَ مِنَ الفَضْلِ، وَأَسْأَلُهُ صَلاحَ الحَالِ وَالبَالِ وَالمَآلِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، المُنَزَّهُ عَنِ الأَنْدَادِ وَالنُّظَرَاءِ وَالأَمْثَالِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، كَرِيمُ السَّجَايَا وَشَرِيفُ الخِصَالِ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، خَيرُ صَحْبٍ وَآل، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا تَعَاقَبَ الغُدُوُّ وَالآصَالُ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَآمِنُوا بِأَسْمَائِهِ الحُسْنىٰ وَصِفَاتِهِ العَلِيَّةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَسْمَاءَهُ - سُبْحَانَهُ - لَا يُحْصِيهَا إِلَّا هُوَ - جَلَّ وَعَلَا - كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: **«أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ...»** الحَدِيث،

خَرَّجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[1].

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[2]، فَهَذَا الفَضْلُ العَظِيمُ مُرْتَبِطٌ بِهَذَا العَمَلِ الجَلِيلِ، كَمَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ أَهْلِ العِلْمِ. وَنَقَلَ النَّوَوِيُّ الاتِّفَاقَ عَلَيْهِ[3]، وَقَالَ الخَطَّابِيُّ: «**هُوَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: لِزَيْدٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ أَعَدَّهَا لِلصَّدَقَةِ**»[4].

وَقَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابنُ تَيْمِيَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**تَقْيِيدُهُ بِهَذَا العَدَدِ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر] فَلَمَّا اسْتَقَلُّوهُم قَالَ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، فَلَا يَعْلَمُ أَسْمَاءَهُ إِلَّا هُوَ**»[5].

وَإِلَىٰ هَذَا ذَهَبَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ وَالمُحَقِّقُونَ[6].

---

(١) في «المسند» (١/ ٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٣) يُنظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٧/ ٥).

(٤) نقله عنه ابن الجوزي في «كشف المشكل» (٣/ ٤٣٤)، وابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٢٠).

(٥) يُنظر: «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٨١).

(٦) ينظر: «فتح الباري» (١١/ ٢١٩ـ ٢٢٠).

وَمَعْنَىٰ **أَحْصَاهَا**: أَي حَفِظَهَا وعَرَفَها لَفظًا ومَعنىٰ، وَتَعَبَّدَ اللَّـهَ بهَا وَبِمُقْتَضَاهَا. وَلَا يَعْزُبُ عَنِ البَالِ فِي هَذَا المَجَالِ، فَضْلُ اسْمِ اللَّـهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، فَعَنْ عَبدِ اللَّـهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أبيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَم يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَم يَكُنْ لَهُ كُفوًا أَحد»، فَقَالَ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّـهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**». خَرَّجَهُ أَحْمَدُ[1]، وَأَهْلُ السُّنَنِ[2]، وَالحَاكِمُ[3]، وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِم».

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**»[4].

فَاتَّقُوا اللَّـهَ - عِبَادَ اللَّـهِ - وَحَقِّقُوا الإِيمَانَ بِرَبِّكُم، وَبِأَسْمَائِهِ

---

(١) في «المسند» (٥/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٤٩)، وابن ماجه (٣٧٥٧).

(٣) في «المستدرك» (١/ ٦٨٣).

(٤) أخرجه أبوداود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٢٤)، والنسائي في «الكبرى» (١/ ٣٨٦)، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٥٨).

الحُسْنىٰ، وَصِفَاتِهِ العُلىٰ، وَادْعُوهُ بِهَا، وَحَقِّقُوهَا في حَيَاتِكُم عِلْمًا وَعَمَلًا؛ لِتَرْتَسِمَ آثَارًا عَلىٰ سُلُوكِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، في الخَلْوَةِ والجَلْوَةِ[1]، تَكُونُوا مِنَ المُفْلِحِينَ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ عَلىٰ خَيْرِ مَنْ حَقَّقَ الإِيمَانَ بِالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، أَفْضَلِ الخَلِيقَةِ، وَأَشْرَفِ البَرِيَّاتِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ ـ جَلَّ وَعَلا ـ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

(١) الجَلْوَةُ: الظُّهور أَمَام النَّاس، من جلا يجلو جلاءً: إذا اتضح وانكشف. يُنظر: «اللسان» (جلي).

القسم الرابع:
السُّنَّة والسِّيرة

النُّصْرَةُ وَالدِّفَاعُ فِي التَّأَسِّي وَالاتِّبَاعِ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، لَا يُشَامُ[1] مَكَانًا، وَلَا يُحَدُّ أَوَانًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، نَشَرَ عَلَيْنَا بِسِيرَةِ خَيْرِ الْوَرَىٰ رَحْمَةً وَهُدًى وَأَمَانًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَعَزُّ الْبَرِيَّةِ رَحْمَةً وَحِلْمًا وَحَنَانًا، وَأَسْمَاهَا شَمَائِلَ وَقَدْرًا وَشَأْنًا، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، دُونَ جَنَابِهِ الشَّرِيفِ نُرْهِفُ يَرَاعَةً، وَنُحِدُّ سِنَانًا، وَعَلَى آلِهِ الْأُلَىٰ كَانُوا فِي الدَّيَاجِي رُهْبَانًا، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِخْلَاصٍ يَرْجُو مِنَ الْمَوْلَىٰ غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا لَا يُدَانَىٰ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ مَا يُوصَىٰ بِهِ وَيُسْتَزَادُ، وَأَعْظَمَ مَا يُورَىٰ بِهِ زِنَادُ التَّأَسِّي بِخَيْرِ الْعِبَادِ: تَقْوَىٰ اللَّهِ فِي الْغَيْبِ وَالْإِشْهَادِ، أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ وَتَزَوَّدُوا التَّقْوَىٰ فَإِنَّهَا خَيْرُ الزَّادِ، تَكُونُوا مِنْ نَمِيرِ الصَّلَاحِ خَيْرَ

---

(١) لا يُشَامُ: لا يُرى ولا يُبصر؛ لامْتِدادِهِ وبُعْدِه. يُنظر: «اللسان» (شيم).

وُرَّادِ، وَمِنْ ذُرَىٰ الْفَلَاحِ وَالْعِزَّةِ أَصْدَقَ رُوَّادِ.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ: فِي سَمْعِ الزَّمَانِ، وَبَيْنَ مُقَلِ الْأَكْوَانِ، يَهْتِفُ تَأرِيخُ الْبَشَرِ فِي مَا مَضَى وَغَبَرَ، بِأَعْظَمِ الْبِشَرِ، أَلَا وَهِيَ بِعْثَةِ خَيْرِ الْبَشَرِ، الْبِعْثَةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ لَا زَالَتْ مُضَمَّخَةً[1] بِالنَّبْعَةِ السَّنِيَّةِ، عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ صَلَاةٍ وَأَزْكَىٰ سَلَامٍ وَتَحِيَّةٍ.

لَقَدْ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ الْبَارِي - جَلَّ جَلَالُهُ - أَنْ يَكُونَ هَذَا الرَّسُولُ الْأَطْهَرُ، ذُوالْإِعْجَازِ الْأَظْهَرِ، وَالْهَدْيِ الْأَبْهَرِ، وَالْخُلُقِ السَّنِيِّ الْأَزْهَرِ، الْمُنْقِذَ بَعْدَ اللَّهِ جَلَّ فِي عُلَاهِ، الَّذِي أَحْيَىٰ بِالْوَحْيِ أُمَّةً انْغَمَسَتْ فِي الشَّقَاءِ وَالْعَدَمِ، وَشَقَّ بِهَا مَا اكْتَنَفَ الْأَجْيَالَ مِنْ ضَلَالٍ وَظُلَمٍ. فَوَاعَجَبًا! مَا أُمَّةٌ كَانَتْ تَفْخَرُ بِبَأْوِ[2] الْجَاهِلِيَّةِ، وَرَذَائِلِ الْوَثَنِيَّةِ، تَنْهَبُ الْأَمْوَالَ اغْتِصَابًا، وَتَسْفِكُ الدِّمَاءَ غِلَابًا، أُمَّةٌ غَائِرَةٌ فِي أُمِّيَّتِهَا، مُمَزَّقَةٌ بِأَنَانِيَّتِهَا، مُغْرِقَةٌ كُلَّ الْإِغْرَاقِ فِي هَمَجِيَّتِهَا.

فَجِئْتَ يَا مُنْقِذَ الْإِنْسَانِ مِنْ خَطَرٍ   كَالْبَدْرِ لَـمَّا يُجَلِّي حَالِكَ الظُّلَـمِ

---

(١) الضَّمْخُ: لَطْخُ الجسد بِالطِّيب حتى كأنه يقطر، وفي الحديث: «كان يُضَمِّخُ رأسه بالطيب»، فالتضمخ: التلطخ بالطيب والإكثار منه. يُنظر: «اللسان» (ضمخ).

(٢) البَأْو: الكِبْر والفخر. يُنظر: «اللسان» (بأي).

أَقْبَلْتَ بِالْحَقِّ يَجْتَثُّ الضَّلَالَ فَلَا يَلْقَىٰ عَدُوُّكَ إِلَّا عَلْقَمَ النَّدَمِ[1]

وَأَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَجَلُّ قَوْلُ الْمَوْلَىٰ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

نَعَمْ! إِنَّهُ ذَلِكُمُ الرَّسُولُ الصَّادِقُ الأَمِينُ، وَقُدْوَةُ الْعَالَمِينَ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، كَمَّلَهُ اللَّهُ بِأَبْهَىٰ الشَّمَائِلِ وَأَسْنَىٰ الْمَنَاقِبِ، وَزَكَّاهُ بِالمَحْتِدِ[2] الشَّرِيفِ، وَالْمَجْدِ الثَّاقِبِ، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح]، صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَوْمَضَ بَرْقٌ وَأَضَاءَ، وَمَا عَانَقَتْ كَبِدَ السَّمَاءِ الثُّرَيَّا وَالْجَوْزَاءُ. أَثْنَىٰ عَلَيْهِ اللَّهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ، وَاجْتَبَاهُ عَنْ خَاصَّتِهِ وَأَحْبَابِهِ، وَأَوْلَاهُ شُمَّ الْخَصَائِصِ، وَبَرَّأَهُ مِنَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، قَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَأَدْنَاهُ، وَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ مَا أَوْحَىٰ وَنَاجَاهُ، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]. حَثَّ عَلَى الِاقْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ، وَأَمَرَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ

---

(١) البيتان من قصيدة «السراج المنير» للدكتور: ناصر بن مسفر الزهراني.

(٢) المحْتِدُ: الأصلُ والطبع، والخالص الأصل من كل شيء، وحَتَدْتُهُ تَحتيدًا: اخترته لخلوُصِه وفَضْله. يُنظر: القاموس المحيط» (حتد).

وَنَهْيِهِ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر:٧].

خَفَّفَ عَنْ أُمَّتِهِ وَسَهَّلَ، وَيَسَّرَ فِيمَا يَشُقُّ عَلَيْهَا وَرَفَقَ وَتَمَهَّلَ - بِأَبِي وَأُمِّي هُوَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِيَكُونَ بِأُمَّتِهِ رَؤُوفًا، وَبِالْخَلْقِ بَرًّا عَطُوفًا، فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ(١)، وَغَيْرُهُ(٢).

لَا يَنْتَقِمُ مَعَ الْقُدْرَةِ، وَيَصْبِرُ عَلَى مَا يَشُقُّ وَيَكْرَهُ، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. خَصَّهُ الْبَارِي بِحَوْضِ الْكَوْثَرِ، وَقَمَأَ شَانِئَهُ فَقَالَ: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣ ﴾ [الكوثر]، زَكَّاهُ الْمَوْلَى الْعَظِيمُ فِي قَوْلٍ عَظِيمٍ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ [القلم].

اللَّهُ أَكْبَرُ! فَحَسْبُكَ مِنْ شَمَائِلَ تَهْتِنُ(٣) بِالزَّكَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَتَرُوعُ، وَتَأْتَلِقُ بِالْهُدَىٰ وَالتُّقَىٰ وَتَضُوعُ.

يَكْفِيهِ مِنْ كُلِّ مَدْحٍ مَدْحُ خَالِقِهِ ... فِي طَهَ وَيَسِ ثُمَّ الشَّرْحِ وَالْقَلَمِ

---

(١) في «المسند» (٤/ ٣٣٨) من حديث محجن بن الأدرع السلمي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٠٤) من حديث محجن بن الأدرع السلمي رضي الله عنه.

(٣) تَهْتِنُ: تَصُبُّ، ويُقال للمطر والدمع: هَتَنٌ. يُنظر: «اللسان» (هتن).

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، أَتْبَاعِ سَيِّدِ الْأَنَامِ فِي المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ، وَإِلَى الْعَالَمِ الَّذِي لَفَّتْهُ الْغَوَاشِي الدُّهْمُ مِنَ الِاحْتِرَابِ وَالْعُنْفِ وَالْغِلْظَةِ، وَالْخِدَاعِ وَالْمَكْرِ وَالنِّقْمَةِ، هَاكُمْ أَنْوَارًا مِنْ مِشْكَاةِ شَمَائِلِهِ، وَدُونَكُمْ قَطَرَاتٍ عِذَابٍ مِنْ فُيُوضِ مَكَارِمِهِ، فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. حَيْثُ لَاقَىٰ مِنْ أَعْدَائِهِ مَا تَبْيَضُّ لَهُ النَّوَاصِي، وَتَنْهَدُّ مِنْ هَوْلِهِ الصَّيَاصِي[1]: شَجُّوا رَأْسَهُ الشَّرِيفَ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ، وَأَدْمَوْا عَقِبَهُ، وَأَلْقَوْا سَلَا الْجَزُورِ عَلَىٰ جَسَدِهِ الطَّاهِرِ، وَحَاوَلُوا قَتْلَهُ وَالْقَضَاءَ عَلَيْهِ، فَهَلِ انْتَقَمَ وَاشْتَفَىٰ؟ كَلَّا، فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا النَّبِيِّ الْعَظِيمِ إِلَّا أَنْ صَفَحَ وَدَعَا: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُم لا يَعْلَمُونَ**»[2].

وَفِي مَشْهَدٍ آخَرَ وَضَّاءَ، حِينَمَا دَخَلَ مَكَّةَ فَاتِحًا ظَافِرًا، بَعْدَ أَنْ قَصَدَتْهُ قُرَيْشُ بِكُلِّ جَرِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، مَا كَانَ مِنْهُ - وَهُوَ الْقُدْوَةُ المَنَّانُ الشَّاكِرُ - إِلَّا أَنْ عَفَا وَغَفَرَ لَـمَّا تَمَكَّنَ وَقَدَرَ: «**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ!**»[3]،

---

(١) الصَّياصِي: الحصون، وكل شيء امتنع. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (صيص).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة النبوية» (٢/ ٥٣١)، قال: «حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قام على باب الكعبة...»، فذكره في حديث طويل=

«فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ [يوسف]»[1].

وَهُنَا لَفْتَةٌ . أيها المحبون . وَهِيَ أَنَّ شَمَائِلَ الصَّفْحِ وَالْعَفْوِ وَالْحِلْمِ لَا تَطَّرِدُ مَعَ مَا يَمَسُّ الْأُصُولَ وَالْمُقَدَّسَاتِ، وَيَنَالُ مِنَ الْقِيَمِ وَالْمَبَادِئِ، وَالثَّوَابِتِ وَالْمُسَلَّمَاتِ، كَمَا أَرْشَدَ لِذَلِكَ سَيِّدُ الْبَرِيَّاتِ ـ عَلَيْهِ أَزْكَىٰ الصَّلَوَاتِ وَأَتَمَّ التَّسْلِيمَاتِ ـ فَكَانَ إِذَا انْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ اللَّهِ لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ قَائِمَةٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَمِنْ بَدِيعِ شَفَقَتِهِ، وَعَمِيقِ تَوَاضُعِهِ ـ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ـ حِينَمَا حَضَرَهُ رَجُلٌ فِي مَجْلِسِهِ، وَارْتَجَفَ مِنْ مَهَابَتِهِ، ابْتَدَرَهُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ بِأُمَّتِهِ بِقَوْلِهِ: **«هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»**. أخرجه ابن ماجه[2]، وغيره[3].

تَحْيَىٰ الْقُلُوبُ إِذَا تُتْلَىٰ شَمَائِلُهُ ... كَالْأَرْضِ تَحْيَا إِذَا مَا جَادَهَا الْمَطَرُ

= بسند معضل، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦١) من طريق ابن إسحاق عن قتادة السدوسي مرسلًا، وأخرجه ابن حبان في «الثقات» (٢/ ٥٦).

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠/ ١٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (٣٣١٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢/ ٦٤) من حديث جرير رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٧) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه.

طَابَتْ خَلَائِقُهُ رَاقَتْ فَضَائِلُهُ   جَادَتْ جَوَامِعُهُ إِذْ كُلُّهَا دُرَرُ

كَيْفَ! وَلَمْ يُعْرَفْ عَبْرَ التَّأْرِيخِ المَدِيدِ، بِشَهَادَةِ الْأَعْدَاءِ قَبْلَ الْأَوِدَّاءِ، مَنْ نَالَ العَظَمَةَ الشَّمَّاءَ[1] مِنْ أَطْرَافِهَا، وَالْكَمَالَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ أَكْنَافِهَا، مَا نَالَهُ نَبِيُّنَا وَحُبِيبُنَا وَقُدْوَتُنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، حَيْثُ حَفِظَتْ لَنَا الصُّدُورُ قَبْلَ السُّطُورِ، دَقِيقَ صِفَاتِهِ، وَجَلِيلَ حَالَاتِهِ، وَكُلَّ لَمْحَةٍ مِنْ لَمَحَاتِهِ.

مِنِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ نَشْرُهُ عَطِرٌ   مَا سَارَ بَدْرُ الدُّجَىٰ فِي الْأُفْقِ مُنْتَقِلَا

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَالْحَدِيثُ عَنْ سِيرَةِ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَىٰ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بَعِيدُ المَدَىٰ، عَمِيقُ المَسْقَىٰ، يُشَنِّفُ المَسَامِعَ، وَيُذْرِفُ مِنَ الْمُحِبِّ المَدَامِعَ، فَالْبَصَائِرُ فِي رِيَاضِ مَنَاقِبِهِ كَلِيلَةٌ كَسِيرَةٌ، وَالْأَبْصَارُ دُونَ فَضَائِلِهِ حَسِيرَةٌ قَاصِرَةٌ، ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء].

يَا رَاغِبًا فِي حَصْرِ فَضْلِ مُحَمَّدٍ   خَفِّضْ عَلَيْكَ فَفَضْلُهُ لَا يُحْصَرُ
إِنْ قُلْتَ مِثْلُ الرَّمْلِ أَوْ مِثْلُ الْحَصَىٰ   أَوْ مِثْلُ قَطْرِ الْغَيْثِ قُلْنَا أَكْثَرُ

---

(١) الشَّمَّاءُ: المرتفعة، والشَّمَمُ: ارْتِفاعٌ في الجَبَل، يُقَال: جَبَلٌ أَشَمّ: أي طَوِيل الرَّأْس. يُنظر: «تاج العروس» (شمم).

أَحْبابَ رَسُولِ الْهُدَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ:
وَإِزَاءَ هَٰذِهِ الشَّمَائِلِ النَّبَوِيَّةِ، وَالْمَنَاقِبِ الطَّاهِرَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، خَضَعَ مُنْصِفُو الْغَرْبِ، وَدَانُوا بِالنُّبْلِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْفَضْلِ وَالْعَالَمِيَّةِ لِهَٰذِهِ الشَّخْصِيَّةِ الزَّكِيَّةِ.

يَقُولُ أَحَدُهُم: (إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَجُلٌ عَظِيمٌ حَقًّا، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ شُكِّلَتْ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةٍ مِنْ الدُّوَلِ عَلَى أُسُسِ المَبَادِئِ وَالْأَنْظِمَةِ وَالدَّسَاتِيرِ الَّتِي وَضَعَهَا).

وَقَالَ آخَرُ: (إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُدْعَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ مُنْقِذُ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِثْلَهُ تَوَلَّىٰ زَعَامَةَ الْعَالَمِ الْحَدِيثِ لَنَجَحَ فِي حَلِّ مُشْكِلَاتِهِ، وَأَحَلَّ السَّلَامَ وَالسَّعَادَةَ فِي الْعَالَمِ).

وَيَقُولُ غَيْرُهُ: (لَا رَيْبَ أَنَّ مُحَمَّدًا كَانَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ الْمُصْلِحِينَ، وَيَكْفِيهُ فَخْرًا أَنَّهُ هَدَىٰ أُمَّةً بِرُمَّتِهَا إِلَى نُورِ الْحَقِّ، وَفَتَحَ لَهَا طَرِيقَ الرُّقِيِّ وَالْمَدَنِيَّةِ).

وَقَالَ آخَرَ: (لَمْ يَعْهَدِ التَّأْرِيخُ مُصْلِحًا أَيْقَظَ النُّفُوسَ، وَأَحْيَا الْأَخْلَاقَ، وَرَفَعَ شَأْنَ الْفَضِيلَةِ فِي زَمَنٍ قَصِيرٍ، كَمَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ ﷺ).

اللَّهُ أَكْبَرُ! تِلْكَ هِيَ رِسَالَةُ الْمُنْصِفِينَ مِنَ الْعَالَمِ، نَزُفُّهَا إِلَى الْعَالَمِ، وَلَيْسَ ثَمَّتَ تَعْلِيقٌ، فَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ.

مَعَاشِرَ الْمُحِبِّينَ: وَمَعَ تِلْكَ الْوَمَضَاتِ الْمُشْرِقَاتِ، فَالسِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ الْعَطِرَةُ، مَهْمَا امْتَدَّتْ بِهَا الْآمَادُ، وَطَالَتْ عَلَيْهَا الْآبَادُ، فَسَتَبْقَىٰ عَبِقَةً فِي الصُّدُورِ، مُفَتَّحَةً كَأَكْمَامِ الزُّهُورِ أَبَدَ الدُّهُورِ، وَهِيَ رِسَالَةٌ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ قَاطِبَةً: أَلَّا عُرُوجَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى مَدَارَاتِ الْوِئَامِ، وَصَادِقِ الْوُدِّ وَالسَّلَامِ، وَالْحُبِّ وَالِاحْتِرَامِ، إِلَّا تَحْتَ لِوَاءِ شَمَائِلِهِ، وَفِي سَنَاءِ فَضَائِلِهِ، الَّتِي تَحْتَضِنُ كُلَّ ضَرُورَاتِ الرُّقِيِّ وَالْعَلَاءِ.

وَلَكِنْ وَمَعَ هَذَا الْجَلَالِ وَالْجَمَالِ الْمُتَوَّجِ بِحُسْنِ السَّجَايَا، وَنُبْلِ الْخِصَالِ، وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ مَدَارَاتِ الْكَمَالِ، الَّذِي لَايَزَالُ يُشْرِقُ وَيَلُوحُ، وَيَغْدُو بِهِ كُلُّ مُحِبٍّ وَيَرُوحُ، أَنْكَرَهُ وَشَانَاهُ وَانْتَقَصَهُ وَعَادَاهُ ذَوُو دِخْلَةٍ[1] مَفْضُوحُونَ، وَأَرْبَابُ لُؤْمٍ مَقْبُوحُونَ، طَوَوْا كَشْحَهُمْ[2] عَلَى مُسْتَكِنَّةٍ مِنَ الْحِقْدِ الْأَسْوَدِ لِلْإِسْلَامِ، وَنَبِيِّهِ أَشْرَفِ الْأَنَامِ، فِدَاهُ أَبِي وَأُمِّي وَنَسَبِي وَنَشَبِي[3]؛ حَيْثُ أَدْلَجَ أُولَئِكَ

---

(١) الدِّخْلَةُ: باطن الأمر، يُقال: دخلة الرجل: أي نِيَّتُهُ وخَلَدُه وباطنه. يُنظر: «اللسان» (دخل).

(٢) الكَشْحُ: جانبا البطن، يُقال: طوى كشحه على أمرٍ: إذا أضمره وستره. يُنظر: «اللسان» (كشح).

(٣) النَّشَبُ: المال والعقار. يُنظر: «اللسان» (نشب).

الْأَفَّاكُونَ - لَا كَانُوا - فِي دَيَاجِيرِ التَّطَاوُلِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، فَطَوَّحُوا بِالْأُمَّةِ فِي بُحْرَانِ الْأَسَىٰ اللَّاهِبِ، وَالْغَضَبِ النَّاهِبِ، الَّذِي مَا زَادَهَا بِفَضْلِ اللَّهِ إِلَّا اتِّحَادَ تَمْكِينٍ، وَهَيْبَةً بَيْنَ الْعَالَمِينَ.

أَيَسْخَرُونَ مِنَ الْأَنْوَارِ قَدْ كَشَفَتْ مَجَاهِلَ الظُّلْمِ فَانْزَاحَتْ غَوَاشِيهَا
أَيَهْزَؤُونَ بِهِ شُلَّتْ أَكُفُّهُمُ وَدَمَّرَ اللَّهُ مَا تَجْنِي وَجَانِيهَا(1)

وَلَكِنْ مَهْمَا كَلَحَتِ الْأَحْقَادُ، وَاسْوَدَّتِ الضَّغَائِنُ، فَلَنْ تَرْزَأَ سُطُوعَ الْجَنَابِ الْمُحَمَّدِيِّ نَقِيرًا، وَلَنْ تَنَالَ مِنَ الْمَقَامِ النَّبَوِيِّ فَتِيلًا وَلَا قِطْمِيرًا، أَنَّىٰ ذَلِكَ وَقَدْ قَالَ الْبَارِي - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب].

يَا جَاهِلِينَ عَلَى الْهَادِي وَدَعْوَتِهِ
هَلْ تَجْهَلُونَ مَقَامَ الصَّادِقِ الْعَلَمِ
قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، أَحِبَّةَ خَيْرِ الْأَنَامِ: وَفِي ظِلِّ تَدَاعِيَاتِ تَفْعِيلِ

---

(1) البيتان من شعر الشيخ: محمد بن عايض القرني. يُنْظر: «وَا محمَّداه!» (٤/ ٧١١).

النُّصْرَةِ لِلْحَبِيبِ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ، نَهْتِفُ بِأُمَّتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنْ طِبْتُمْ، طِبْتُمْ، وَطَابَتْ نُصْرَتُكُمْ وَمَسَاعِيكُمْ، وَكَلَّلَ اللَّهُ بِالظَّفْرِ أَمَانِيكُمْ، وَمَحَقَ آثَارَ مَنْ يُعَادِيكُمْ، وَجُزِيتُمْ عَنْ نُصْرَةِ خَلِيلِ اللَّهِ وَمُصْطَفَاهُ، وَحَبِيبِهُ وَمُجْتَبَاهُ، أَعْظَمَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَاهُ، أَلَا فَاثْبُتُوا عَلَى نُصْرَةِ نَبِيِّكُمْ عَلَى الدَّوَامِ، بِلِزُومِ غَرْزِ سُنَّتِهِ، وَالْاِعْتِصَامِ بِمَحَجَّتِهِ وَمِلَّتِهِ، وَالتَّوَارُدِ عَلَى الْوَحْدَةِ وَالْاِئْتِلَافِ، وَنَبْذِ رُعُونَاتِ الْفُرْقَةِ وَالْاِخْتِلَافِ.

تِلْكُمْ - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - النُّصْرَةُ الْحَقِيقِيَّةُ لِخَيْرِ الْبَرِيَّةِ، فَأُمَّتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ - وَمَعَ الْأَسَىٰ الْفَاتِكِ - لَا تَزَالُ أَعَاصِيرُ التَّنَافُرِ وَالتَّنَاحُرِ تَعْصِفُ بِخِيَامِهَا فِي بِقَاعٍ شَتَّىٰ، وَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ مِنَ النُّصْرَةِ مِنْ أَتْبَاعِ الْحَبِيبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُشْهَرَ الْأَسْلِحَةُ تِلْقَاءَ نُحُورِ الْأَحِبَّةِ فِي بَعْضِ الْأَصْقَاعِ، دُونَ ارْتِعَادٍ أَوْ خَوْفٍ أَوْ إِيعَادٍ، أَنَسُوا وَصِيَّتَهُ ﷺ لِأُمَّتِهِ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»؟ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

وَالدَّعْوَةُ لَهْبَىٰ[2] لِلْأُمَّةِ بِعَامَّةٍ عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهَا وَمَشَارِبِهَا، وَتَعَدُّدِ أَطْيَافِهَا وَشَرَائِحِهَا، أَنْ يَنْضَوُوا تَحْتَ رَايَةِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) من حديث جرير رضي الله عنه.

(٢) لَهِبَ الرَّجُلُ لَهَبًا: عطش، فهو لهبان، وهي لَهْبَى. يُنظر: «اللسان» (لَهِبَ).

السُّنَّةِ المُبَارَكَةِ، وَأَنْ يَسْتَلْهِمُوا دُرُوسَ الْوَحْدَةِ وَالِاجْتِمَاعِ مِنْ مَعِينِ السِّيرَةِ الْعَطِرَةِ، وَذَلِكَ مُقْتَضَىٰ تَعْزِيرِهِ وَتَوْقِيرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَنُصْرَتِهِ ﷺ. عَلَىٰ ذَلِكَ فَاسْتَقِيمُوا وَاسْتَمِرُّوا، فِي تَجَافٍ عَنْ آنِيَةِ النُّصْرَةِ المَحْدُودَةِ، وَاحْتِدَامِ الِانْدِفَاعِ وَالِانْفِعَالَاتِ وَالْعَاطِفَةِ المَشْبُوبَةِ، إِبَّانَ رُدُودِ أَفْعَالٍ مَوْقُوتَةٍ. ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف]. وَيَا بُشْرَاكُمْ يَا أَهْلَ النُّصْرَةِ وَالْحُبِّ، قَوْلُهُ ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1]. وَهَا أَنْتُمْ أُولَاءِ ـ وَأَيْمُ اللَّهِ ـ مِمَّنْ أَحَبَّ، فَفَدَىٰ وَائْتَسَىٰ وَذَبَّ.

أَحِبَّةَ الْحَبِيبِ: وَمُقْتَضَىٰ الْحُبِّ وَالِاتِّبَاعِ، وَالنُّصْرَةِ وَالدِّفَاعِ: نَشْرُ سِيرَتِهِ فِي الْفَضَاءَاتِ وَالْأَصْقَاعِ، وَإِهْدَاؤُهَا لِلْعَالَمِ الظَّمِيءِ[2]، نَفْحَةً بِالرَّحْمَةِ وَالْخَيْرِ تَسْرِي، وَوَمْضَةً بِالْهُدَىٰ وَالْحُبِّ تَجْرِي، مُتَوَّجَةً بِالتَّمَسُّكِ الصَّادِقِ بِسُنَّتِهِ، وَالِاقْتِفَاءِ الصَّحِيحِ لِسِيرَتِهِ، بِمَنْهَجٍ لِلْمَحَبَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ يَمْتَازُ بِالِاعْتِدَالِ وَالْوَسَطِيَّةِ، فِي نُزُوعٍ عَنِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الظَّمِيء: العَطْشان. يُنظر: «اللسان» (ظمأ).

الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ، وَالتَّقْصِيرِ وَالْإِطْرَاءِ.

وَمِمَّا يَبْعَثُ فِي الْغُيُرِ الْأَسَىٰ وَالْغُصَصَ، أَنْ يُقْتَصَرَ فُسْطَاطُ[1] السِّيرَةِ الْعَصْمَاءِ، وَرِوَاقُ السُّنَّةِ الشَّمَّاءِ، عَلَى قَبِيلِ السَّرْدِيَّاتِ وَالْقَصَصِ، فِي لَيَالٍ مَعْلُومَةٍ تُحْيَا وَتُخَصُّ، عَطِلَةٍ عَنْ مَوْرِدِ بُرْهَانٍ وَنَصٍّ، أَوْ أَنْ يُصَابَ وَجْهُ السُّنَّةِ الْمُشْرِقِ بِالْكَلَفِ[2]، وَمُحَيَّاهَا الْوَضِيءُ بِبِدَعٍ كَالنَّطَفِ[3]، وَذَلِكَ بِمَا يُقَمِّشُهُ[4] الْمُمَوِّهُونَ فِي خَرِيفِ مَحَبَّتِهِمْ، مِنْ مُحْدَثَاتِ الْمَوَالِدِ، وَتَرَانِيمِ الْقَصَائِدِ، فِي اجْتِمَاعَاتٍ تَعُجُّ بِالْمَآكِلِ وَالْمَوَائِدِ، وَتُرَّهَاتٍ هِيَ لِلسُّنَّةِ السَّنِيَّةِ مَكَائِدُ، وَلِمُحِبِّي السِّيرَةِ الْغَرَّاءِ عَوَائِقُ وَمَكَابِدُ، فَاللَّهُمَّ اتِّبَاعًا لَا ابْتِدَاعًا، وَإِلَى اللَّهِ نَشْكُو اشْتِدَادَ الْكُرْبَةِ، وَعِظَمَ الْغُرْبَةِ لِلسُّنَّةِ وَأَهْلِهَا.

أُمَّةَ الْاِقْتِدَاءِ وَالْاِقْتِفَاءِ: وَمِمَّا يُتَنَوَّرُ مِنَ السِّيرَةِ الشَّرِيفَةِ، وَالشَّمَائِلِ

---

(١) الفُسْطَاطُ: البيت من الشَّعَر، وفسطاط المصر: مجتمع أهله حول جامعه. يُنظر: «اللسان» (فسط).

(٢) الكَلَفُ: حُمْرَةٌ كدِرةٌ تعلو الوجه، وقيل: لون بين السَّواد والحمرة، ويُقال للبهق: الكَلَف. يُنظر: «اللسان» (كلف).

(٣) النَّطَفُ: العيب، ونطفه: لَطَّخه بِعَيْب وقَذَفَه به. يُنظر: «اللسان» (نطف).

(٤) يُقَمِّشُهُ: يجمعه، من القَمْشِ، وهو: جمع الشيء مِنْ هاهنا وهاهنا، وقيل: القمش: الرديء من كل شيء. يُنظر: «اللسان» (قمش).

المَنِيفَةِ، إِعْزَازِ مَنْهَجِ الْاقْتِدَاءِ وَالْاهْتِدَاءِ، فَاللَّوْعَةُ الَّتِي كَانَتْ مُتَوَالِيَةَ الْوَجِيبِ[1]، فِي فُؤَادِ الْحَبِيبِ ﷺ، عَلَى أَنْ تَكُونَ أُمَّتُهُ عَلَىٰ مَوْرِدِ الْهِدَايَةِ وَالْعِزَّةِ وَالسَّدَادِ، وَمَعِينِ السَّعَادَةِ وَالرَّشَادِ، فِي كُلِّ سَكَنَاتِهِ وَخَلَجَاتِهِ، هِيَ الَّتِي يَهِيبُ بِكُمُ الْمُحِبُّ أَنْ تُخَالِطَ قُلُوبَكُمْ، وَأَنْ تَكُونَ نُصْبَ أَعْيُنِكُمْ، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الإحزاب:٢١].

فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنَاتُ وَالْمُؤْمِنُونَ، الْمُقْتَفُونَ لِآثَارِ النَّبِيِّ الْمَيْمُونِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَتْرَىٰ فِي الْخُفُوقِ وَالسُّكُونِ، اتَّخِذُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا، وَمِنْ سِيرَةِ الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ وَالنِّعْمَةِ الْمُسْدَاةِ، تِرْيَاقًا لِأَدْوَائِكُمْ وَعِلَاجًا، وَنِبْرَاسًا لِدُرُوبِ حَيَاتِكُمْ وَهَّاجًا، تَبْلُغُوا ـ لَعَمْرُ اللَّهِ ـ أَعْلَى مَنَازِلِ الْعِزِّ وَتَصْعَدُوا، وَتُفْلِحُوا فِي أُولَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ وَتَسْعَدُوا. ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَبَلَّغَنَا فِيمَا يُرْضِيهِ كُلَّ نِعْمَةٍ وَمِنَّةٍ، وَعَصَمَنَا جَمِيعًا مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ وَفِتْنَةٍ، وَرَفَعَ لِلسُّنَّةِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ مَنَارًا،

---

(١) الوَجِيبُ: الخفقان والاضطراب. يُنظر: «اللسان» (وجب).

وَجَعَلَ كُلَّ الْبِلَادِ لَهَا دَارًا، إِنَّهُ خَيْرُ مَسْؤُولٍ وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِكَافَّةِ المُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوه وَتُوبُوا إِلَيهِ، إِنَّ رَبِّي رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.

الخُطبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحمدُ لِلَّـهِ وَلِيِّ التَّوْفِيقِ وَالْإِصَابَةِ، وَأَهْلِ التَّقْوَىٰ وَالْإِنَابَةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، شَهَادَةً تَجُبُّ عَنِ الْقَلْبِ أَوْصَابَهُ(١)، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا خيرَ مَنْ أَبَانَ بِشَمَائِلِهِ الحَقَّ وَأَصَابَهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ خَيْرِ الْآلِ وَالصَّحَابَةِ، أُوْلِي الْفَضْلِ وَالنَّجَابَةِ، الَّذِينَ اقْتَدَوا بِسِيرَتِهِ، وَنَصَرُوهُ وَعَزَّرُوا جَنَابَهُ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ إِخْوَةَ الْإِيمَانِ، وَلْيَكُنْ مِنْكُمْ بِحُسْبَانٍ، أَنَّ مَحَبَّةَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَى، سَيِّدِ وَلَدِ عَدْنَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَاضِيَةٌ بِمَحَبَّةِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ وَأَرْضَاهُنَّ أَجْمَعِينَ، زَوْجَاتِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَكَذَا آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحَابَتِهِ الْأَبْرَارِ، الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ، فَحُبُّهُمْ جَوَازٌ عَلَى الصِّرَاطِ، وَدَلِيلُ الْإِيمَانِ الْمُورِثِ لِلْبِشْرِ وَالْاغْتِبَاطِ.

---

(١) الوَصَبُ: الوجع والمرض، والجمع: أوصاب. يُنظر: «اللسان» (وصب).

يَقُولُ -عَزَّ اسْمُهُ- فِي تَزْكِيَةِ وَمَدْحِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب]. وَقَدْ أَوْصَىٰ بِهِمْ هُوَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي قَوْلِهِ: «أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلَاثًا»، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[1].

قَالَ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُبَرَّئِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ»[2].

لَا تَعْدُ عَنْ سُنَنِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ... وَالْزَمْ مَحَبَّةَ آلِهِ الْأَطْهَارِ
وَارْفَعْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ رَايَاتِ الْوَلَا ... تَجِدِ الْوِقَايَةَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ

كَمَا تَقْتَضِي مَحَبَّتُهُ وَنُصْرَتُهُ -عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَاةٍ وَأَزْكَى سَلَامٍ- مَحَبَّةَ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ، هُدِيَ إِلَى سَوَاءِ الطَّرِيقِ، وَكَانَ حَلِيفَهُ الْفَلَاحُ وَالتَّوْفِيقُ. يَقُولُ -عَزَّ وَجَلَّ- مُتَرَضِّيًا عَنْ كُلِّ الصَّحْبِ الْخِيَرَةِ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]. وَيَقُولُ ﷺ: «اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي،

---

(١) برقم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: «العقيدة الطحاوية» (ص٥٨).

اللَّـهَ اللَّـهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّـهَ، وَمَنْ آذَى اللَّـهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ[1]، وَالتِّرْمِذِيُّ[2].

يَكْفِيهِمُ أَنَّ خَيْرَ الرُّسْلِ أَكْرَمَهُمْ ... وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَخْيَارِ وَالْبَرَرَةِ

مِنِّي عَلَيْهِمْ سَلَامٌ طَيِّبٌ أَرِجٌ ... مَا أَظْهَرَ الْبَحْرُ مِنْ قَامُوسِهِ

هَذَا وَاعْلَمُوا ـ يَا رَعَاكُمُ اللَّـهُ ـ أَنَّ مِنْ أَجْلَى صُوَرِ النُّصْرَةِ وَأَدْوَمِهَا: كَثْرَةِ صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُم عَلَى الْحَبِيبِ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ، أَلَا فَالْهَجُوا بِالصَّلَاةِ تَتْرَىٰ وَالسَّلَامِ، عَلَى أَزْكَىٰ نَبِيٍّ وَأَعْظَمِ إِمَامٍ، عَلَيْهِ أَكْمَلُ التَّحَايَا الْمُبَارَكَاتِ، مُتَوَالِيَاتٍ فِي الْبَدْءِ وَالْخِتَامِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ الْمَوْلَىٰ الْمَلِكُ الْعَلَّامُ، فَقَالَ قَوْلًا كَرِيمًا يُتْلَىٰ عَلَى الدَّوَامِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

صَلُّوا عَلَى خَيْرِ الْوَرَى تُفْلِحُوا ... فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَهْ

(١) في «المسند» (٥/ ٥٤) من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

(٢) برقم (٣٨٦٢) من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

وَاسْتكْثِرُوا مِنْهَا تنَالُوا البَقَا		فِي جِنَانٍ رِيَاضُهَا نَاضِرَهْ

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ الصَّادِقِ فِيمَا نَطَقَ، وَالخَاتِمِ لِمَنْ سَبَقَ، صَلَوَاتُ رَبِّي تَتْرَى عَلَيْهِ عَلَى الْوِلَا، تَعُمُّ الْأُفُقَ طِيبًا وَمَنْدَلًا، وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَنْصَارِهِ وَخَاصَّتِهِ وَأَحْبَابِهِ، اللَّهُمَّ بَلِّغْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ، وَحَقِّقْ لَهُ كُلَّ مَوْعُودٍ، اللَّهُمَّ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ سُنَّتِهِ، وَالثَّابِتِينَ عَلَى مِلَّتِهِ، وَارْزُقْنَا شَفَاعَتَهُ، وَاحْشُرْنَا تَحْتَ لِوَائِهِ، وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ، وَاسْقِنَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ شَرْبَةً لَا نَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا، يَا جَوَادُ يَا كَرِيمُ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِعِزِّكَ الَّذِي لَا يُرَامُ، وَمُلْكِكَ الَّذِي لَا يُضَامُ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ، أَنْ تُعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ.

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّـهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُه وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنُثْنِي عَلَيْهِ الخَيْرَ كُلَّهُ، اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كَمَا هَدَيْتَنَا لِلإِسْلَامِ، وَمَنَنْتَ عَلَيْنَا بِبِعْثَةِ خَيْرِ الأَنَامِ، لَكَ الحَمْدُ كُلَّ الحَمْدِ لَا مَبْدَأَ لَهُ وَلا مُنْتَهَىٰ، وَاللهُ بِالحَمْدِ أَجْدَرُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، نَصَبَ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ أَعْظَمَ الدَّلائِلِ، وَأَقَامَ عَلَىٰ أُلُوهِيَّتِهِ الآيَاتِ الجَلائِلِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُاللَّـهِ ورَسُولُهُ سَيِّدُ الأَوَاخِرِ وَالأَوائِلِ، المَبْعُوثُ بِأَكْرَمِ السَّجَايَا وَأَشْرَفِ الشَّمَائِلِ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَحَبُّوْهُ مَحَبَّةً تَفُوقُ مَحَبَّةَ النَّفْسِ وَالمَالِ وَالوَلَدِ وَالحَلائِلِ، أُوْلِي المَكْرُمَاتِ وَالفَضَائِلِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَفِي نُصْرَةِ الحَقِّ يُجَاهِدُ وَيُنَاضِلُ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: حِينَمَا يَتَعَاظَمُ رُكَامُ الفِتَنِ فِي الأُمَّةِ، وَتُخَيِّمُ عَلَىٰ سَمَائِهَا الصَّافِيَةِ غُيُومُ الغُمَّةِ، فَيَلْتَبِسُ الحَقُّ بِالبَاطِلِ، وَتَخْفَىٰ مَعَالِمُ الحَقِّ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ أَبْنَاءِ المِلَّةِ، وَيَخْتَلِطُ الهَوَىٰ بِالهُدَىٰ: فَإِنَّ تَقْوَىٰ اللَّـهِ

سُبْحَانَهُ هِيَ الَّتِي تُنِيرُ طَرِيقَ الهِدَايَةِ، وَيُبَدِّدُ نُورُها ظُلُماتِ الجَهْلِ وَالغَوَايَةِ.

ومَنْ وَهَبَهُ اللَّهُ التَّقْوَىٰ، فَقَدْ وَهَبَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ عَلَىٰ دَرْبِ النَّجَاةِ في سَلَامَةٍ مِنَ المُؤَثِّرَاتِ العَقَدِيَّةِ وَالمَنْهَجِيَّةِ، وَفِي بُعْدٍ عَنِ اللَّوْثَاتِ[1] الفِكْرِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ.

وَمَا أَحْوَجَ الأُمَّةَ اليَوْمَ إِلَىٰ أَنْ تُعْمِرَ قُلُوبَ أَبْنَائِهَا بِالتَّقْوَىٰ وَاليَقِينِ؛ لِيَتَحَقَّقَ لَهَا - بِإِذْنِ اللَّهِ - النَّصْرُ وَالتَّمْكِينُ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ: قَضِيَّتُنَا الكُبْرَىٰ الَّتِي يَجِبُ أَلَّا تُنْسَىٰ فِي جَدِيدِ التَّحَدِّيَاتِ، وَفِي تَعَاقُبِ الحَوَادِثِ وَالمُؤَامَرَاتِ، حَيْثُ إِنَّهَا الرَّكِيزَةُ العُظْمَىٰ الَّتِي تُبْنَىٰ عَلَيْهَا الأَمْجَادُ وَالحَضَارَاتُ، بَلْ وَتَتَحَقَّقُ بِهَا التَّطَلُّعَاتُ وَالانْتِصَارَاتُ، وَتَخْرُجُ بِهَا الأُمَّةُ مِنْ دَوَّامَةِ الصِّرَاعَاتِ هِيَ: أَنَّنَا أُمَّةُ عَقِيدَةٍ إِيمَانِيَّةٍ صَافِيَةٍ، وَرِسَالَةٍ عَالَمِيَّةٍ سَامِيَةٍ، أُمَّةُ تَوْحِيدٍ خَالِصٍ لِلَّهِ، وَاتِّبَاعٍ مُطْلَقٍ لِلحَبِيبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ هَذِهِ القَضِيَّةُ الكُبْرَىٰ هِيَ حَدِيثُ المُنَاسَبَةِ وَكُلِّ مُنَاسَبَةٍ، وَالتَّذْكِيرُ بِهَا مَوْضُوعُ السَّاعَةِ وَكُلِّ سَاعَةٍ، إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ.

---

(١) اللُّوْثَةُ واللَّوْثَةُ: التَّلَطُّخُ بِشيءٍ مُفْسِدٍ. يُنظر: «تاج العروس» (لوث).

وَإِنَّ خَيْرَ مَا عُنِيَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَتَحدَّثَ عَنْهُ الْمُصْلِحُونَ: العَقِيدَةُ الإِيمَانِيَّةُ، وَالسُّنَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، وَالسِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ؛ فَهِيَ لِلأَجْيَالِ خَيرُ مُرَبٍّ وَمُؤدِّبٍ، وَأَفْضَلُ مُعَلِّمٍ وَمُهَذِّبٍ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَمْتَعَ لِلمَرْءِ مِنَ التَّحدُّثِ عَمَّنْ يُحِبُّ؛ فَكَيْفَ وَالْمَحْبُوبُ هُوَ حَبِيبُ رَبِّ العَالَمِينَ، وَسَيِّدُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ؛ فَهُوَ مِنَّةُ اللَّهِ عَلَىٰ البَشَرِيَّةِ، وَرَحْمَتُهُ عَلَىٰ الإِنْسَانِيَّةِ، وَنِعْمَتُهُ عَلَىٰ الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ؛ فَبِاللَّهِ، ثُمَّ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَبدِاللَّهِ: قَامَتْ شِرْعَةٌ، وَشُيِّدَتْ دَوْلَةٌ، وَاشْمَخَرَّتْ[1] حَضَارَةٌ، وَأُسِّسَتْ مِلَّةٌ مِنْ مِلَلِ الهُدَىٰ غَرَّاءُ، بُنِيَتْ عَلىٰ التَّوحِيدِ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ نَادَىٰ بِهَا الحُكَمَاءُ وَالعُقَلاءُ.

وَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ نَالَ مِنَ الحُبِّ وَالتَّقْدِيرِ مَا نَالَهُ المُصْطَفَىٰ ﷺ؛ فَبِاسْمِهِ تَلْهَجُ مَلايِينُ الأَلْسِنَةِ، وَلِذِكْرِهِ تَهْتَزُّ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَكِنَّ الجَوْهَرَ فِي ذَلِكَ أَنْ يَتحوَّلَ هَذَا الحُبُّ إِلىٰ مَحْضِ اتِّباعٍ دَقِيقٍ لِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ كَمَا قَالَ الحَقُّ تبارَكَ وَتَعالىٰ مُبيِّنًا مِعْيَارَ المَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

---

(١) اشْمَخَرَّ: طال، والمُشْمَخِرُّ: الجَبَلُ العالِي. يُنظر: «تاج العروس» (شمخر).

إِخْـــوَةَ الْإِيمَـــانِ: وَلَـــمْ تَكُـــنْ حَاجَـةُ الأُمَّـةِ فِي عَـصْرٍ مَـا، إِلَىٰ الاقْتِبَاسِ مِـنْ مِـشْكَاةِ النُّبُـوَّةِ وَمَعْرِفَـةِ الـسِّيرَةِ العَطِـرَةِ - مَعْرِفَـةَ اهْتِـدَاءٍ وَاقْتِدَاء - أَشَدَّ إِلَيْهَـا مِـنْ هَـذَا العَـصْرِ، الَّـذِي تَقَاذَفَـتْ فِيـهِ الأُمَّـةَ أَمْـوَاجُ المِحَـنِ، وَتَـشَابَكَتْ فِيـهِ حَلَقَـاتُ الفِـتَنِ، وَغَلَبَـتْ فِيـهِ الأَهْـوَاءُ، وَاسْتَحْكَمَتِ المَزَاعِمُ وَالآرَاءُ، وَوَاجَهَتْ فِيهِ الأُمَّةُ أَلْوَانًـا مِـنَ التَّـصَدِّي السَّافِرِ، وَالتَّحَدِّي المَاكِرِ، وَالتَّآمُرِ الجَائِرِ، مِنْ قِبَلِ أَعْدَاءِ الإِسْلامِ الَّـذِينَ رَمَـوهُ عَـنْ قَـوْسٍ وَاحِـدَةٍ، وَالَّـذِي تَـوَلَّىٰ كِـبْرَهُ مِـنْهُمْ: مَـنْ لَعَـنَهُمُ اللَّـهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَيَـشُدُّ أَزْرَهُـمُ المَفْتُونُـونَ بِـهِمْ، المُتَأَثِّرُونَ بِمَشَارِبِهِمُ الْعَكِرَةِ، وَأَفْكَارِهِمُ المُظْلِمَةِ النَّكِرَةِ، مِنْ دُعَاةِ العَلْمَانِيَّةِ[1] وَالتَّغْرِيبِ[2].

وَيَزْدَادُ الأَسَىٰ حِينَ يَـجْهَلُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ حَقَائِقَ دِينِهِمْ، وَجَـوْهَرَ عَقِيـدَتِهِمْ، وَيَـسِيرُونَ مَـعَ التَّـيَّارَاتِ الجَارِفَـةِ، دُونَ تَمْحِـيصٍ وَلا تَحْقِيقٍ، أَوْ يَجْمُدُونَ عَلَىٰ مَورُوثَاتٍ مُبْتَدَعَـةٍ، دُونَ تَجْلِيَـةٍ وَلَا تَـدْقِيقٍ،

---

(١) العلمانيّة: فصل الدّين عن الدّولة، وذلك بإقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل، مع اعتبار المصلحة العامة بعيدًا عن الدّين. ينظر: «موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة» (٢/ ٦٨٩).

(٢) التغريب: تيّار فِكري شهير، يرمِي إلى صَبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بِالأسلوب الغربي. ينظر: «موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة» (٢/ ٧٠٨).

وَقَدْ صَحَّ عَنِ المَعْصُومِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ(١).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: يَا أَحْبَابَ رَسُولِ اللَّهِ - عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ - هَذِهِ وَقَفَاتٌ وَمُقْتَطَفَاتٌ مَعَ جَانِبٍ مِنْ أَهَمِّ جَوَانِبِ السُّنَّةِ العَطِرَةِ، وَالسِّيرَةِ المُبَارَكَةِ، ذَلِكُمْ هُوَ جَانِبُ الشَّمَائِلِ النَّبَوِيَّةِ، وَالسَّجَايَا المُحَمَّدِيَّةِ، وَالآدَابِ المُصْطَفَوِيَّةِ؛ فَهِيَ مَعِينٌ ثَرٌّ، وَيَنْبُوعٌ صَافٍ مُتَدَفِّقٌ، يَرْتَوِي مِنْ نَمِيرِهِ(٢) كُلُّ مَنْ أَرَادَ السَّلامَةَ مِنْ لَوْثَاتِ الوَثَنِيَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنْ أَكْدَارِ الجَاهِلِيَّةِ، وَالاسْتِقَامَةَ عَلَى أَزْكَى هَدْيٍ، وَأَلْحَبِ ثَنِيَّةٍ(٣)، بَلْ هِيَ المَنْظُومَةُ المُتَأَلِّقَةُ، وَالكَوْكَبَةُ المُتَلأْلِئَةُ، وَالشَّمْسُ السَّاطِعَةُ، والسَّنَا المُشْرِقُ، والمِشْعَلُ الوَضَّاءُ، الَّذِي يُبَدِّدُ ظُلُمَاتِ الانْحِرَافَاتِ، وَحَنَادِسَ(٤) الخُرَافَاتِ.

وَلَئِنْ فَاتَتْ كَثِيرِينَ رُؤْيَتُهُ ﷺ بِأَبْصَارِهِمْ، فَإِنَّ فِي تَأَمُّلِ شَمَائِلِهِ

---

(١) برقم (١٧١٨)، من حديث عائشة - رضي الله عنها.

(٢) يُقال: مَاءٌ نَمِيرٌ: أي مَاءٌ نَافِعٌ عَذْبٌ. ينظر: «الصحاح» (نمر).

(٣) الثنية: الطريق في الجبل، وألحب ثنية: أوضح طريق. يُنظر: «القاموس المحيط» (ثنى).

(٤) لَيْلَةٌ حِنْدِس: شديدة الظلمة، والجمع: حنادِس. يُنظر: «اللسان» (حندس).

لَعـــزاءً وسُـــلْوَانًا؛ فَـــالمُمْتَثِلُونَ لِـــشَمَائِلِهِ، إِنْ لَمْ يَـــصْحَبُوا نَفْـــسَهُ أَنْفَاسَهُ صَحِبُوا[1].

إِنْ فَـاتَكُمْ أَنْ تَـرَوْهُ بِـالعُيُونِ فَـمَا يَفُـوتُكُمْ وَصْـفُهُ هَـذِي شَـمَائِلُهُ

مُكَمَّلُ الـذَّاتِ فِي خَلْـقٍ وَفِي خُلُـقٍ وَفِي صِـفَاتٍ فَـلا تُحْصَىٰ فَـضَائِلُهُ

إِخْـوَةَ الْعَقِيـدَةِ: إِنَّنَا بِحَاجَةٍ إِلَىٰ تَـجْدِيدِ الوَعْيِ عَـلَىٰ ضَـوءِ الـسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ، وَتَصْحِيحِ المَوَاقِفِ عَلَىٰ ضَوْءِ السِّيرَةِ العَطِرَةِ، وَالوُقُوفِ طَـوِيلًا لِلمُحَاسَبَةِ وَالمُرَاجَعَةِ؛ نُرِيدُ مِنْ مُطَالَعَةِ السُّنَّةِ وَالسِّيرَةِ، مَـا يَزِيـدُ الإِيـمَانَ وَيُزَكِّي السَّرِيرَةَ، ويَعْلُو بِالأَخْلَاقِ وَيُقَوِّمُ المَسِيرَةَ!

يُـخْطِئُ كَثِيرٌ حِينَما يَنظُرُونَ إِلَىٰ الْمُـصْطَفَىٰ ﷺ وَسِـيرَتِهِ، كَـما يَنْظُرُ الآخَـرُونَ إِلَىٰ عُظَمَائِهِـمْ فِي نَـوَاحٍ قَـاصِرَةٍ، مَـحْدُودَةٍ بِعِلْـمٍ أَوْ حِنْكَـةٍ أو عَبْقَرِيَّةٍ؛ فَرَسُولُنَا ﷺ قَدْ جَمَعَ نَوَاحِيَ العَظَمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ كُلَّهَـا، فِي ذَاتِـهِ وَشَمَائِلِهِ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِ، لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ ربًّا فَيُقْصَدُ، وَلَا إِلَهًـا فَيُعْبَدُ، وإِنَّما هُوَ نَبِيٌّ يُطَاعُ وَرَسُولٌ يُتَّبَعُ، خَـرَّجَ البُخَـارِيُّ فِي «صَـحِيحِهِ»؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ؛ إِنَّـمَا أَنَـا**

---

(١) (إِنْ لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَهُ أَنْفَاسَهُ صَحِبُوا) شطر بيت يُنسب لأبي عـامر الحسن بن محمد القومسي. يُنظر: «طبقات الفقهاء الشافعية» (١/ ٣٥٧).

عَبْدٌ؛ فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»[1].

إِنَّ مِنَ المُؤْسِفِ حَقًّا: أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الإِسْلامِ لَمْ يَقْدُرُوا رَسُولَهُمْ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - حَقَّ قَدْرِه، حتَّىٰ وهُمْ يَتوجَّهونَ إِليهِ بالحُبِّ والتَّعْظِيمِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ حُبٌّ سَلْبيٌّ، لَا صَدَىٰ لَهُ فِي وَاقِعِ الحَيَاةِ، وَلَا أَثَرَ لَهُ فِي السُّلُوكِ وَالامْتِثَالِ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: تَأَمَّلُوا هَدْيَهُ وَشَمَائِلَهُ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - فِي جَوَانِبِ الدِّينِ وَالدُّنيا بِأَسْرِهَا:

فَفِي مَجَالِ تَوْحِيدِهِ لِرَبِّهِ: صَدَعَ بِالتَّوحِيدِ، وَدَعَا إِلَيْهِ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً بِمَكَّةَ، وَعَشْرًا بِالمَدِينَةِ؛ كَيْفَ لَا! وَهُوَ المُنَزَّلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ سُبحَانَهُ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام].

وَإِنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ عَلَىٰ مُحِبِّيهِ: أَنْ يُعْنَوْا بِأَمْرِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللَّهِ، الَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا رِسَالَتُهُ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - وَمُحَاذَرَةِ كُلِّ مَا يَخْدِشُ صَحِيحَ المُعْتَقَدِ وَصَفْوَ المُتَابَعَةِ: مِنْ ضُرُوبِ الشِّرْكِيَّات وَالبِدَعِ وَالمُحْدَثَاتِ.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

وَفي مَـجَالِ عُبُودِيَّتِهِ لِرَبِّهِ: قَامَ مِنَ اللَّيلِ حَتَّىٰ تَفطَّرتْ[1] قَدَمَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: تَفعَلُ هَذَا؛ وَقَدْ غَفَرَ اللَّـهُ لكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَيقُولُ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»؛ خَرَّجَهُ الشَّيخَانِ مِنْ حَدِيثِ المُغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه[2].

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَفي مَجَالِ الأَخْلَاقِ: تُلْفُونَهُ مِثَالَ الكَمَالِ في رِقَّةِ القَلْبِ، وَسَمَاحَةِ اليَدِ، وَكَفِّ الأَذَىٰ، وَبَذْلِ النَّدَىٰ، وَعِفَّةِ النَّفْسِ، وَاسْتِقَامَةِ السِّيرَةِ؛ كَانَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلامُ- دَائِمَ البِشْرِ، سَهْلَ الطَّبْعِ، لَيِّنَ الجَانِبِ، لَيْس بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا صَخَّابٍ[3] في الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعفُو وَيَصْفَحُ.

زَانَتْهُ فِي الخُلُقِ العَظِيمِ شَمَائِلٌ ... يُغْرَىٰ بِهِنَّ وَيُولَعُ الكُرَمَاءُ[4]

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَبْلَغُ، ثَنَاءُ رَبِّهِ عَلَيْهِ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

---

(١) فَطَرَ الشيء يفطره وفطَّرَهُ: شَقَّه، وتفطر الشيء: تشقق، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾، أي: انشقت. يُنظر: «اللسان» (فطَرَ).

(٢) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

(٣) الصَّخَبُ: الصياح والجلبة، وشدة الصوت واختلاطه. يُنظر: «اللسان» (صخب).

(٤) من قصيدة «وُلِدَ الهُدَى» للشاعر أحمد شوقي، يُنظر: «ديوانه» (١/ ٣٤).

عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [القلم].

فِيمَا يَقُولُ أَنَسٌ رضي الله عنه: «مَا مَسَسْتُ دِيبَاجًا وَلا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم»(١)، «وَلَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ؛ فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ! قَطُّ، وَلا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟! وَلا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَ كَذَا؟!»(٢).

وَيَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الحَارِثِ رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم»(٣).

وَفِي البُخَارِيِّ، عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ البُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ، فَالتَفَتَ إِلَيهِ صلى الله عليه وسلم فَضَحِكَ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ!!(٤)

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥١٦)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٤١)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣١٤٩).

وَفي الجُمْلَةِ كَانَ ذَا شَفَقَةٍ، وَرَحْمَةٍ شَامِلَةٍ، وَعَطْفٍ سُحُبُهُ هَامِلَةٌ.

تِلْكَ - **لَعَمْرُ الحَقِّ** - عَرَاقَةُ الخِلَالِ، وَسُمُوُّ الخِصَالِ، وَكَرِيمُ الشَّمَائِلِ، وَعَظِيمُ الفَضَائِلِ، فَسُبْحَانَ مَنْ رَفَعَ قَدْرَهُ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ، وَأَعْلَىٰ فِي العَالَمِينَ ذِكْرَهُ!!

وَضَمَّ الإِلَٰهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَىٰ اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي الخَمْسِ المُؤَذِّنُ: أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنَ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ[1]

فَهَلْ مَنْ يَتَغَنَّوْنَ اليَومَ بِسِيرَتِهِ يَقْتَفُونَ أَثَرَهُ فِي هَدْيِهِ وَشَمَائِلِهِ؟!

وَانْظُرُوا - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - إِلَىٰ صَفْحَةٍ أُخْرَىٰ مِنْ صَفَحَاتِ شَمَائِلِهِ فِي القُوَّةِ وَالجِهَادِ، وَالحَمَاسَةِ وَالنَّجْدَةِ: فَقَدْ كَانَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - شُجَاعًا لا يَعْرِفُ الخَوْفَ، مِقْدَامًا لَا يَعْرِفُ التَّرَدُّدَ؛ يَقُولُ أَنَسٌ ﵁: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ؛ وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً، فَانطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوتِ، فَتَلَقَّاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ رَاجِعًا قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَيْهِ، عَلَىٰ فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ، وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: **«لَمْ تُرَاعُوا!!»**[2].

---

(١) الأبيات من قصيدة لحسان بن ثابت ﵁، يُنظر: «ديوانه» (١/ ٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

وَقَـالَ عَـلِيٌّ ﷺ: «كُنَّـا إِذَا احْمَـرَّ الْبَـأْسُ وَلَقِـيَ الْقَـوْمُ الْقَـوْمَ اتَّقَيْنَـا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَمَا يَكُونُ مِنَّا أَحَدٌ أَدْنَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْهُ ﷺ»[1].

وَهَكَـذَا كَـانَ فِي مُعَامَلاتِـهِ، لأَصْـحَابِهِ، وَأَهْـلِ بَيْتِـهِ، وَزَوْجَاتِـهِ، يَقُولُ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًـا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًـا، وَخِيَـارُكُم خِيَـارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ». خَرَّجَهُ أَحْمَدُ[2] وَأَهْلُ السُّنَنِ[3].

وَهَكَـذَا فِي سِيَاسَـةِ الدَّوْلَـةِ الإِسْـلامِيَّةِ، وَفِي عِبَادَتِـهِ لِرَبِّـهِ، وَفِي نَفَقَتِـهِ وَبَذْلِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَىٰ أَدَاءِ رِسَالَتِهِ، وَتَبلِيغِ دَعْوَةِ خَالِقِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَهَاكُمْ - رَعَاكُمْ مَولاكُم - أُنمُوذَجًا عَلَىٰ حِكْمَتِهِ فِي الـدَّعْوَةِ، وَرِفْقِـهِ بِالْمَـدْعُوِّينَ، وَرَحْمَتِـهِ بِالنَّـاسِ مُـسْلِمِينَ وَغَـيْرِ مُـسْلِمِينَ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبيـاء]، وَمُرَاعَاتِـهِ لِحُقُـوقِ

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٥٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (١/ ٢٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٤٣).

(٢) في «المسند» (٤/ ٤٧٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي (١١٦٢) بلفظه، وأخرج شطره الأول: أبو داود (٤٦٨٢)، والدارمي في «سننه» (٢/ ٤١٥)، وابن حبان (٢/ ٢٢٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣)، جميعهم من حديث أبي هريرة ﷺ.

الإِنْسَانِ، بَلْ رِفْقِهِ حَتَّىٰ بِالحَيَوَانِ، فِي وَقْتٍ تَتَغَنَّىٰ فِيهِ حَضَارَةُ اليَوْمِ بِدَوْسِ كَرَامَةِ الإِنْسَانِ، وَرِعَايَةِ أَحَطِّ الحَيَوَانِ، فَاللَّهُ المُسْتَعَانُ.

وَيَتَجَلَّىٰ هَذَا الأُنْمُوذَجُ الرَّائِدُ فِي قِصَّةِ الأَعْرَابِيِّ الَّذِي بَالَ فِي نَاحِيَةِ المَسْجِدِ حِينَ نَهَرَهُ الصَّحَابَةُ ـ رضي اللَّه عنهم ـ فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «**دَعُوهُ وَلَا تُزْرِمُوه**[(1)]»[(2)]، «**إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِين، ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرين**»[(3)]؛ وَأَرشَدَهُ بِرِفْقٍ وَحِكْمَةٍ، وَكَانَتِ النَّتِيجَةُ أَنْ قَالَ الأَعْرَابِيُّ: «**اللَّهُمَّ، ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعنَا أَحَدًا**»[(4)]. مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

وَفِي قِصَّةِ ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ حِينَمَا أُسِرَ وَرُبِطَ بِسَارِيَةِ المَسْجِدِ وَهُوَ مُشْرِكٌ وَسَيِّدُ قَوْمِهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمُرُّ بِهِ وَيقُولُ: «**مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟!**» فَقَالَ: عِنْدِي خَيرٌ يَا مُحَمَّدُ؛ إِنْ تَقْتُلْ؛ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ؛ تُنْعِمْ عَلَىٰ شَاكِرٍ؛ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ، فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ!! فَيَقُولُ ﷺ ـ بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَهُ وَرَفَقَ بِهِ وَأَحْسَنَ مُعَامَلَتَهُ ـ: «**أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ**»؛ فَانطَلَقَ

---

(١) زَرَمَ الشيء يَزْرُمه: قطعه. والمراد هنا: لا تنهروه فتقطعوا عليه بوله. يُنظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، و«اللسان» (زرم).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٥)، ومسلم واللفظ له (٢٨٤) من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ثُمامَةُ، فاغْتَسل ثُمَّ دَخلَ المَسْجِدَ، وَقالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ !! وَاللَّه - يا مُحَمَّدُ - مَا كَان عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ وَجْهٌ أَبغض إِلَيَّ مِنْ وَجهِكَ؛ فَقَدْ أَصْبحَ وَجْهُكَ اليَوْمَ أَحَبَّ الوُجُوهِ كِلِّهَا إِلَيَّ، وَمَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبغض إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ؛ فَأَصْبَحَ دِينُكَ اليَوْمَ أَحبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ، وَوَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلدِكَ؛ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلادِ كلِّهَا إِلَيَّ». خَرَّجَهُ الشَّيخَانِ[1].

اللَّهُ أَكْبَرُ!! لَقَدْ تَجاوَزَ عَنْ جَهْلِهِ وَإِثْمِهِ، وَكَمْ عَفَا عَنْ مِثْلِهِ !! تِلْكَ آثَارُ الدَّعْوَةِ بِالرِّفْقِ وَالرَّحْمَةِ وَالحُسْنَىٰ، وَالبُعْدِ عَنْ مَسَالِكِ العُنْفِ وَالغِلْظَةِ وَالفَظَاظَةِ، وَهُو دَرْسٌ بَلِيغٌ لِلدُّعَاةِ إِلَىٰ اللَّهِ إِلَىٰ قِيامِ السَّاعَةِ.

بَنَيْتَ لَهُمْ مِنَ الأَخْلاقِ رُكْنًا ... فَخَانُوا الرُّكْنَ فانْهَدَمَ اضْطِرَابَا
وكَانَ جَنَابُهُمْ فِيهَا مَهِيبًا ... وَلَلأَخْلاقُ أَجْدَرُ أَنْ تُهَابَا[2]

وَلَـمَّا قِيلَ لَهُ: أَلَا تَدْعُ عَلَىٰ المُشْرِكِينَ !! قَال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا؛ وإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»؛ خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ[3].

---

(١) البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) الأبيات لأحمد شوقي في مدح الرسول ﷺ. يُنظر: «ديوانه» (٢/ ٧٢).

(٣) برقم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة ﵁.

وَقَالَ لهُمْ: «**مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُـمْ؟!**»، قَـالُوا: خَـيْرًا؛ أَخٌ كَـرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَـالَ: «**اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِقَـومِي؛ فَـإِنَّهم لا يَعْلَمُـونَ، اذْهَبُـوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ!**»[1].

أَلَا فَلْتَعْلَمِ الإِنْسَانِيَّةُ قَاطِبةً، وَالبَشَرِيَّةُ جَمْعَاءَ، هَـذِهِ الـصَّفَحَاتِ النَّاصِعَةَ مِنْ رَحْمَةِ الإِسْلامِ، وَرسُولِ الإِسْلَامِ وَالـسَّلامِ ـ عَلَيْـهِ الـصَّلاةُ وَالسَّلَامُ ـ الَّذي يَجِدونَ ذِكْرَ شَمَائِلِهِ فِي تَوْرَاةِ مُوسىٰ وَفِي بِشَارَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلامُ.

وَلْـيَعْلَمْ مَـنْ يَقِـفُ وَرَاءَ الحَمَـلاتِ المُغْرِضَـةِ ضِـدَّ الإِسْـلامِ، وَرَسُولِ الإِسْلامِ، وَأَهْلِ الإِسْـلامِ: مَـا يَفِـيضُ بِـهِ الإِسْـلامُ مِـنْ مَكَـارِمَ وَفَضَائِلَ، وما يَفيضُ بِهِ مِنْ محَاسِنَ وَشَمَائِلَ! وَمَدىٰ البَونِ الـشَّاسِعِ بَـيْنَ عَالَـمِيَّتِهِ الـسَّامِيَةِ، وَعَـولَمَتِهِمُ المَأفُونَـةِ[2]، فِي إِهْـدَارٍ لِلقِـيَمِ الإِنْـسَانِيَّةِ، وَإِزْرَاءٍ بِالمُثُلِ الأَخْلَاقِيَّةِ.

وَهَلْ تُدْرِكُ الأُمَّةُ الإِسْلامِيَّةُ اليَوْمَ، الطَّرِيقَةَ المُثْلَىٰ لِلدَّعْوَةِ إِلَىٰ دِينِهَا،

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٣١)، وقوله ﷺ: «**اللَّهُـمَّ اغْفِـرْ لِقَـومِي؛ فَـإِنَّهم لا يَعْلَمُـونَ**»، قاله في غزوة أحد، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه المتقدم تخريجه (ص١٣١).

(٢) تقدم بيان معناها (ص١٠٠).

وَإِحْيَاءِ سُنَّةِ رَسُولِـهَا ﷺ إِحْيَاءً عَمَلِيًّا حَقِيقِيًّا، لَا صُورِيًّا وَشَكْلِيًّا؟!

إِنَّ حَقًّا عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلَامِ ـ وَهُمُ الْمُؤْتَمَنُونَ عَلَىٰ مِيرَاثِ النُّبُوَّةِ ـ أَنْ تَصْقُلَهُمُ الوَقَائِعُ، وتُرَبِّيَهُمُ التَّجَارِبُ؛ إِذْ لا تَزَالُ الفِتَنُ وَالخُطُوبُ مُدْلَهِمَّةً عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ.

وَإِذَا كَانَتِ الأُمَّةُ فِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الحَرِجَةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا، تَلْهَجُ بِشَمَائِلِ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ ـ وَذَلِكَ مَطْمَحٌ ـ فَهَلْ يَطِيبُ الحَدِيثُ، وَهَلْ يَحْلُو الكَلَامُ، ومُقَدَّسَاتُ الْمُسْلمِينَ يَعِيثُ فِيهَا أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ مِنَ اليَهُودِ الْمُعْتَدِينَ؟!

وَهَا هُمْ يُصَعِّدُون عُدْوَانَهُمْ وَإِرْهَابَهُمْ، وَيَزِيدُونَ فِي إِذْكَاءِ نَارِ الفِتْنَةِ فِي صَلَفٍ وَرُعُونَةٍ عَلَىٰ سَمْعِ العَالَـمِ وَبَصَرِهِ؛ تَحَدِّيًا لَمَشَاعِرِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَسْرَىٰ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، وَثَالِثِ الْمَسْجِدَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، أَقَرَّ اللهُ أَعْيُنَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَكِّ أَسْرِهِ مِنَ اليَهُودِ الغَاصِبِينَ، وَجَعَلَهُ طَلِيقًا عَزِيزًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

كَيْفَ يَجْمُلُ الحَدِيثُ، وَأَعْدَاءُ الْمُسلِمِينَ مِنَ الْمُلْحِدِينَ يُصِرُّونَ عَلَىٰ صَلَفِهِمْ وَعُدْوَانِهِم، ضِدَّ إِخوَانِنَا وحُرُمَاتِنَا فِي الشِّيشَانِ الْمُجَاهِدَةِ؟!

كَيْفَ يَحْلُو الكَلَامُ، وَالهِندُوسُ الوَثَنِيُّونَ يُمْعِنُونَ فِي حِقْدِهِمُ السَّافِرِ ضِدَّ إِخْوَانِنَا وَمَشَاعِرِنَا فِي كِشْمِيرَ الْمُسْلِمَةِ؟!

كَيْفَ وَكَيْفَ؟! وَقَضَايَانا الإِسْلامِيَّةُ مُعَلَّقَةٌ، وَأَوْضَاعُ أُمَّتِنَا مُتَرَدِّيَةٌ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؟!

إِنَّ الأُمَّةَ اليَومَ بِأَمَسِّ الحَاجَةِ - في هَذِهِ اللَّحَظَاتِ الحَاسِمَةِ مِنْ تَأْرِيخِهَا - إِلَىٰ التَّمَسُّكِ الصَّحِيحِ بِدِينِهَا وَسُنَّةِ رَسُولِهَا، في مَحَبَّةٍ وَتَآلُفٍ وَاعْتِصَامٍ، وَفي سَمَاحَةٍ ويُسْرٍ وَوِئَامٍ؛ وَبِذلكَ تَتَحَقَّقُ وَحْدَةُ الصَّفِّ، وَجَمْعُ الشَّمْلِ، وَتَوحيدُ الكَلِمَةِ عَلَىٰ مَنهَجِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ الله.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

بَارَكَ اللَّهُ لي ولَكُمْ في الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَني وَإِيَّاكُم بِمَا فِيهِمَا مِنَ الآيَاتِ وَالحِكْمَةِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وأَسْتَغْفِرُ الله لي وَلَكُم، وَلِجَمِيعِ المُسْلِمينَ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَإِثْمٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي أَبَانَ الطَّرِيقَ، وَأَوْضَحَ المَحجَّةَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَرْسَلَ رُسُلَهُ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللَّهِ حُجَّةٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نبيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ ورَسُولُه، كَسَاهُ مِنْ حُلَلِ النُّبُوَّةِ مَا زَادَهُ مَهابةً وَبَهْجَةً، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ الَّذِينَ فَدَوْهُ بِكُلِّ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ نَفْسٍ ومُهْجَةٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا أَمَّ البَيْتَ زَائِرٌ واعْتَمَرَهُ وحَجَّهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَرَوُّوا[1] قُلُوبَكُم وَأَرْوَاحَكُم مِنْ شَمَائِلِ نَبِيِّكُم ﷺ، وَتَأَمَّلُوا خِصَالَهُ العَظِيمَةَ، وَشَمَائِلَهُ الكَرِيمَةَ، وَارْبِطُوا أَنْفُسَكُم وَنَاشِئَتَكُمْ وأُسَرَكُمْ بِهَا رِبَاطًا مُحْكَمًا وَثِيقًا، يَسْمُو عَنِ التَّخْصِيصِ في أَوْقَاتٍ، وَالتَّعيينِ في مُنَاسَبَاتٍ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ هَدْيِ السَّلَفِ الأَثْبَاتِ، واعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ هَذِهِ الشَّمَائِلَ المُصْطَفَوِيَّةَ،

---

(١) رَوُّوا: تزودوا بالماء، والمقصود هنا: الاستزادة من شمائل المصطفى ﷺ. يُنظر: «اللسان» (روي).

وَالسَّجَايَا النَّبَوِيَّةَ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهَا تَأْثِيرٌ عَمَلِيٌّ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْهَجِ، وَأَثَرٌ تَطْبِيقِيٌّ فِي إِحْكَامِ الْمَسِيرَةِ وَالْبِنَاءِ، فِي عَصْرٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْمُتَغَيِّرَاتُ، وَتَسَارَعَتْ فِيهِ الْمُسْتَجِدَّاتُ، عَبْرَ كَثِيرٍ مِنَ الْقَنَوَاتِ وَالشَّبَكَاتِ، فَالسُّنَّةُ خَيْرُ عَاصِمٍ مِنْ شُرُورِ هَذِهِ الْقَوَاصِمِ.

وَإِنَّ الْأُمَّةَ الْيَوْمَ، بِحَاجَةٍ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ زَمَانٍ مَضَىٰ: إِلَىٰ الِاتِّحَادِ عَلَىٰ مَنْهَجِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ تَتَلَاقَىٰ فِي الْجُهُودِ فِي مَيْدَانٍ وَاحِدٍ نَحْوَ الْهَدَفِ السَّامِي الَّذِي يَسْعَىٰ إِلَيْهِ كُلُّ مُسْلِمٍ؛ لِقِيَادَةِ سَفِينَةِ الْأُمَّةِ إِلَىٰ بَرِّ الْأَمَانِ، وَشَاطِئِ السَّلَامِ، بَعِيدًا عَنْ كُلِّ مَا يُعَكِّرُ صَفْوَ وُرُودِهَا. مَعَ التَّأْكِيدِ وَالتَّذْكِيرِ، أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَىٰ ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ فِي خِدْمَةِ دِينِهِ وَعَقِيدَتِهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، بِحَسَبِ مَكَانِهِ وَمَسْؤُولِيَّتِهِ.

فَأَرُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا، وَسِيرُوا بِخُطًى مُتَوَازِنَةٍ، يُتَوِّجُهَا الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ، الَّذِي مِنْ خِلَالِهِ يُبْنَىٰ الْوَعْيُ الْوَاقِعِيُّ؛ لِتَسْتَأْنِفَ هَذِهِ الْأُمَّةُ دَوْرَهَا الْقِيَادِيَّ وَمَكَانَهَا الرِّيَادِيَّ، فِي مُقَدِّمَةِ الرَّكْبِ، وَلِتَقُودَ الْبَشَرِيَّةَ الْحَيْرَىٰ مَرَّةً أُخْرَى إِلَىٰ مَوَاطِنِ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ؛ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَىٰ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَىٰ،

وَالرَّسُولِ المُجْتَبىٰ، صَاحِبِ الحَوْضِ المَورُودِ، وَاللِّواءِ المَعْقُودِ، وَالمَقَامِ المَحْمُودِ؛ مَنْ:

بَلَــغَ العُــلاَ بِجَلاَلِــهِ　　سَــطَعَ الــدُّجىٰ بِجَمَالِــهِ
حَــسُنَتْ جَمِيــعُ خِــصَالِهِ　　صَــلُّوا عَلَيْــهِ وآلِــهِ

صَلُّوا عَلَيْهِ صَلاةَ مُتَّبِعٍ لَهُ، مُحِبٍّ لَهُ، مُقْتَفٍ آثَارَه، مُتَمَسِّكٍ بِسُنَّتِه؛ فَلَا إِطْرَاءَ وَلا جَفَاء، كَمَا أَمَرُكُم بِذَلِكَ رَبُّكُم جَلَّ وعَلا، فَقَالَ تَعَالىٰ قَــوْلًا كَرِيــمًا، في مُــحْكَمِ التَّنْزِيــلِ، وَأَصْــدَقِ القِيــلِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

الخطبة الأولى:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي أَرْسَلَ رُسُلَهَ بِالبيِّنَاتِ والهُدَىٰ، لِيُخرِجُوا النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلىٰ النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلىٰ صِراطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَه لا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبدُهُ ورسُولُه: نَبِيٌّ شَرحَ اللَّـهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، بَعَثَهُ اللَّـهُ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ، فَأَقَامَ مَعَالِمَ الدِّينِ، وأَرْسَىٰ قَواعِدَ المِلَّةِ. أَتَمَّ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، وأَكْمَلَ بِهِ النِّعْمَةَ فَالخَيْرُ ما جاءَ به، والدِّينُ ما شَرَعَهُ، والحَقُّ مَا التزمَهُ، فصَلَّىٰ اللَّـهُ وسَلَّمَ وبارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ، خَيرِ هَـذِهِ الأُمَّةِ، وَأَتْقَاهَا لله، وَأَحبِّهَا لِرَسُولِهِ ﷺ، وأَكْثَرِهَا اتِّباعًا لَهُ، فرَضِيَ اللَّـهُ عَنهُم وَأَرْضَاهُمْ، وَمَنْ لَزِمَ هَدْيَهُم ودَعَا بدَعوتِهِمْ إِلىٰ يومِ الدِّينِ، مَنْ يُطِعِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَىٰ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: وَصِيَّتِي إِلَيْكُمْ ـ مِنْ هَـذِهِ البُقْعَةِ الطَّاهِرَةِ ـ

تَقْـوَىٰ اللَّـهِ ـ عَـزَّ وجَـلَّ ـ وَالـدَّأْبُ في عِبادَتِـهِ؛ أداءً لِحَقِّـه، وَرَغَبًـا في مَرْضَاتِهِ، وخَوفًا مِنْ عِقَابِـهِ، كَمَا أُوصِيكُمْ وَنَفْسي بِطَاعَـةِ رَسُولِهِ ﷺ وَالْانْقِيَـادِ لأَوَامِرِهِ، وَالبُعْـدِ عَـنْ زَوَاجِرِهِ، ولُـزُومِ سُنَّتِهِ، والتَّعَبُّـدِ لِلَّـهِ بشَرِيعَتِهِ، لِنُحقِّقَ الفوزَ بِالسَّعَادَةِ الأَبَدِيَّةِ.

أُمَّــةَ الْإِســلَامِ: لا غِنىٰ للمُسْلِمِ في حَيَاةٍ قَصِيرَةِ الأَمَدِ، قَلِيلَـةِ المَدَدِ، ضَئِيلَةِ العَـدَدِ، كَثيرَةِ المِحَنِ والفِتَنِ والنَّكَـدِ، عَظِيمَـةِ المَصَائِبِ وَالكَبَدِ أنْ يرسُمَ لِنَفْسِهِ ـ إِنْ رَامَ نَجَاتَهَا ـ مِنهَاجًا سَلِيمًا مِنَ التَّعَثُّرِ، بَعِيـدًا عَنِ الْبَلْبَلَةِ وَالتَّأَثُّر، يَضْمَنُ وُصُولَهُ إِلَىٰ هَدَفِهِ الْـمَنْشُودِ.

فَكَمَا أَنَّ النَّاسَ في أُمُورِ دُنْيَاهُمْ يُعِدُّونَ الخِطَطَ، ويَرسُمُونَ المَنَاهِجَ، لإِدرَاكِ مُبتَغَاهُمْ وَمَا يُؤمِّلُونَ، دُونَ عُقَدٍ وَلَا مَصَاعِبَ، كَذَلِكَ مَنْ أرَادَ سَفَرًا، فَإِنَّه يَجْتَهِدُ غَايتَهُ، وَيَبذُلُ وُسْعَهُ في مَعْرِفَـةِ الطَّرِيقِ وَسَـلامَتِهِ مِنَ المَخَاوِفِ، والوُصُولِ بأَقْصَىٰ سُرْعَةٍ دُونَ مَشَاقٍّ وَلا عَقَبَاتٍ.

فَكَذَلِكُمْ ـ **يَا عِبَـادَ اللَّـهِ** ـ من كَانَ مُسافِرًا إِلَىٰ الآخِـرَةِ، بَاحِثًـا عَـنِ السَّلامةِ والنَّجَاةِ، رَاغِبًا في نَعِيمِ اللَّـهِ وجَنَّتِـهِ، خَائِفًـا مِنْ غَـضَبِهِ ونَـارِهِ، فَأَوْلَىٰ لَهُ أَنْ يَجْتَهِـدَ غَايَـةَ الاجْتِهَـادِ في مَعْرِفَـةِ الطَّرِيـقِ المُوَصِّـلِ إِلَىٰ اللَّـهِ، دُونَ زَيْغٍ وَلا ضَلَالٍ، خَشْيَةَ أَنْ يَفْجَأَهُ الأَجَلُ، فيَلْقَىٰ ربَّهُ عَلَىٰ غيرِ هُدًىٰ

مِنَ اللَّـهِ، وَلَا أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ.

وَلَا خِيَارَ لِلْمُسْلِمِ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ - لا سِيَّمَا مَعَ كَثْرَةِ الفِتَنِ، وَغَلَبَةِ الاخْتِلَافِ وَالهَوىٰ، وَشُيُوعِ مَظَاهِرِ المُخَالَفَةِ لِلْكِتَابِ والسُّنَّةِ - أَنْ يَسِيرَ فِي حَيَاتِهِ مُلتزِمًا بِكِتَابِ اللَّـهِ وسُنَّةِ رسُولِهِ ﷺ، مُقْتَفِيًا آثَارَ سَلَفِ هَذِهِ الأُمَّةِ، مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ، مِنْ أَهْلِ القُرُونِ الثَّلاثَةِ المُفَضَّلَةِ، المَشْهُودِ لَهَا بِالخَيْرِيَّةِ مِنْ رَسُولِ الهُدىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَلَـمَّا كَادَتْ مَعَالِمُ هَذَا المَنْهَجِ تَخفَىٰ، وَأَوْشَكَتْ دَلَائِلُهُ أَنْ تُمحَىٰ، وَآثَارُهُ أَنْ تَنْدَثِرَ، ومَعَارِفُهُ أَنْ تَلْتَبِسَ، كَانَ لِزَامًا - وَقَدْ حَزَبَ الأَمْرُ - أَنْ يُذَكَّرَ المُسْلِمُونَ لِيَتَحَقَّقُوا بِهِ، فَيَعُودَ لَهُمْ سَالِفُ عِزِّهِمْ، وَغَابِرُ مَجدِهِمْ، وَسَابِقُ حَضَارَتِهِمْ، فَلَنْ يَصْلُحَ أَمْرُ آخِرِ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلُحَ بِهِ أَوَّلُهَا.

فَالمُسْلِمُونَ اليَومَ - لِغَلَبَةِ الجَهْلِ بِدِينِ اللَّـهِ، وَقِلَّةِ البَصِيرَةِ بِسُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ - مُحتَاجُونَ لِتَأْصِيلٍ عِلْمِيٍّ وَعَمَلِيٍّ، وتَقْعِيدٍ شَرْعِيٍّ يَكُونُ مُنطَلَقًا لِلعَمَلِ المُثمِرِ، وَالجُهْدِ البَنَّاءِ المُتَوَازِنِ، الَّذي يُوصِلُهُم إِلَىٰ اللَّـهِ، دُونَ مُخَالَفَةٍ وَلا مُجَاوَزَةٍ، لاسِيَّما في قَضَايَا الاعْتِقَادِ وَالاتِّبَاعِ.

وَمِنَ الخُطُوطِ العَرِيضَةِ وَالمَعَالِمِ الرَّئِيْسَةِ فِي هَذَا المَنْهَجِ

والطَّرِيقِ، المَعَالمُ المُهِمَّةُ الآتِيةُ:

المَعْلَمُ الأَوَّلُ: وَعْيُ المُسْلِمِ العَمِيقُ بِرِسَالَتِهِ في الحَيَاةِ، أَلا وَهِيَ: عُبُودِيَّتُهُ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَعْيًا يَسْرِي في رُوحِهِ وَقَلْبِهِ، سَرَيَانَ الدَّمِ في جَسَدِهِ، فَلَا يَغْفُلُ عَنْ تَحْقِيقِهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا يَعْزُبُ عَنِ العَمَلِ بِهَا سَاعَةً مِنْ لَيلٍ أو نَهَارٍ؛ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

المَعْلَمُ الثَّانِي: أَنَّ هَذِهِ العِبَادَةَ قَائِمَةٌ عَلَىٰ شَرْطَيْنِ رَئِيسَيْنِ، وَأَصْلَيْنِ عَظِيمَيْنِ، لَا تُقْبَلُ إِلَّا بَتَحْقِيقِهِمَا، وَهُمَا: الإِخْلَاصُ لِلَّهِ، وَالمُتَابَعَةُ لِرَسُولِهِ ﷺ.

أَمَّا الأَوَّلُ: فَمُقْتَضَاهُ أَن يَعْمَلَ العَبْدُ العَمَلَ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، وَلَا يُدَنِّسُهُ شِرْكٌ وَلَا رِيَاءٌ وَلَا سُمْعَةٌ، يَقُولُ اللَّهُ - تَعَالَىٰ -: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف]، فالمُسْلِمُ رَهِينُ عَقِيدَةٍ صَافِيَةٍ، وَأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، وَعِبَادَةٍ خَالِصَةٍ، وَرُوحٍ مُتَسَامِيَةٍ.

وأَمَّا الثَّانِي: فيَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ المُسْلمُ في أَقْوَالِهِ وأَفْعَالِهِ، وفي أَعْمَالِهِ

وَأَحْوَالِهِ، وَتحرُّكَاتِهِ وتصرُّفاتِهِ، مُترَسِّمًا خُطَىٰ النَّبيِّ ﷺ، صَائِنًا نَفْسَهُ عَنْ شَوَائِبِ الابْتِدَاعِ وَالتَّزيُّدِ فِي دِينِ اللَّهِ، وَعندَ البُخَارِيِّ[1] وَمُسْلِمٍ[2] قولُهُ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فهُوَ رَدٌّ» وَعِنْدَ مُسلمٍ[3]: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أَمرُنا فهُو رَدٌّ».

تَلَا الفُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَولَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، فَقَالَ: «أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، فَإِنَّ العَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا، لَمْ يُقبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا، لَمْ يُقبَلْ»[4].

المَعْلَمُ الثَّالِثُ: مَنَاطُ الهِدَايَةِ وَالصَّلَاحِ، وَالْفَوْزِ وَالسَّعَادَةِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب]، وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]، وَرَوَىٰ الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» أَنَّهُ

---

(١) برقم (٢٦٩٧) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

(٢) برقم (١٧١٨) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

(٣) برقم (١٧١٨) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٥)، ويُنظر: «جامع العلوم والحكم»(ص١٣).

ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ قَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا ـ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ـ كِتَابُ اللَّهِ»[1]، وفي رِوَايَةٍ: «كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّتِي»[2].

أَمَّا النُّصُوصُ المُلْزِمَةُ بطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَلَا تَكَادُ تَخْفَىٰ عَلَىٰ كُلِّ ذِي بَصِيرَةٍ.

المَعْلَمُ الرَّابِعُ: أَنَّ لُزُومَ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاقْتِفَاءَ أَثَرِهِ، وَالوُقُوفَ عِنْدَ هَدْيِهِ، هُوَ الضَّمَانَةُ الأَكِيدَةُ لِنَجَاةِ الأُمَّةِ، وَانْتِشَالِهَا مِنْ حَمَمِ الفِتَنِ، وَالنَّأْيِ عَنْ جَهَامَةِ[3] المُحْدَثَاتِ وَالضَّلَالَاتِ؛ وَلِذَا فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ـ وَهُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ بِأُمَّتِهِ ـ شَدِيدُ الحِرْصِ عَلَىٰ أَنْ تَنْطَبِعَ سُنَّتُهُ المُبَارَكَةُ، فِي قُلُوبِ أُمَّتِهِ؛ إِذْ كَانَ لَهِجَ[4] الأَمْرِ بِذَلِكَ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ لَا تَكَادُ تَخْفَىٰ عَلَىٰ المُسْلِمِ.

المَعْلَمُ الخَامِسُ وَالمُهِمُّ: أَنَّ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ ﷺ دِينٌ يَدِينُ اللَّهَ بِهِ

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٩).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٣)، والدارقطني في «سننه» (٤/ ٢٤٥)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١١٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) جَهَامَةُ: غِلْظَةٌ وَسَمَاجَة، يُقال: جَهمَه: أي: استقبله بوجه كريه. يُنظر: «اللسان» (جهم).

(٤) تقدم شرحها (ص١٥).

كُلِّ مُسْلِمٍ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ وَاجِبٌ لا خِيَارَ فِيهِ، فَهُوَ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ - إِمَامُنا وَقُدْوَتُنا وَسَيِّدُنَا وَحَبِيبُنَا، وَحُبُّهُ يَفُوقُ حُبَّ النَّفْسِ وَالأَهْلِ والمَالِ وَالوَلَدِ، يَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ - في الحَدِيثِ الصَّحِيحِ، عَنْ أَنسٍ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١)، بَيْدَ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تُقَاسَ مَحَبَّتُهُ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ﷺ - بِمِقْيَاسِ الشَّرْعِ، وتُوزَنَ بِمِيزَانِ النَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَمِعْيَارِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَشَتَّانَ بَيْنَ المَحبَّةِ الحَقِيقِيَّةِ الصَّادِقَةِ، وَبَيْنَ المَحبَّةِ المُدَّعَاةِ المُزَيَّفَةِ، وَفَصْلُ ما بينَهُما: تَحقِيقُ المُتَابَعَةِ للمَحْبُوبِ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾[آل عمران: ٣١].

وَأَمَّا المَحبَّةُ المُدَّعَاةُ، فَهِيَ القَائِمَةُ عَلَىٰ المَبانِي دُونَ المَعَانِي، وَالمَظَاهِرِ دُونَ الجَوَاهِرِ، وَالادِّعَاءِ دُونَ العَمَلِ وَالمُتَابَعَةِ، وَذِكْرَيَاتِ المُناسَباتِ في أَيَّامٍ ولَيَالٍ مَعْلُومَاتٍ، دُونَ اتِّبَاعٍ مَدَىٰ الحَيَاةِ إِلَىٰ المَمَاتِ.

فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيُّها المُحِبُّ: مِنْ أَيِّ الفَرِيقَيْنِ أَنْتَ؟

صَوَّرَ العَلَّامَةُ ابنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - هَذينِ الفَرِيقَيْنِ بِقَوْلِهِ:

أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الحَبِيْبِ وَتَدَّعِي … حُبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ أَيْنَ المَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ
شَرْطُ المَحبَّةِ أَنْ تُوافِقَ مَنْ تُحِبُّ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ بِلا عِصْيَانِ
فَإِذا ادَّعَيْتَ لَهُ المَحَبَّةَ مَعْ خِلَا فِكَ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانِ[1]

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: بِهَذِهِ المَعَالِمِ الوَاضِحَةِ، وَالرَّكَائِزِ الظَّاهِرَةِ، فِي قَضِيَّتَيِ الاعْتِقَادِ وَالاتِّبَاعِ، يَسْتَطِيعُ كُلُّ ذِي بَصِيرَةٍ، وَيَتَأَهَّلُ كُلُّ ذِي عَقْلٍ رَشِيدٍ، أَرَّقَتْهُ مُجَافَاةُ السُّنَّةِ، أَنْ يَحكُمَ عَلَىٰ مَا جَدَّ فِي حَيَاةِ النَّاسِ اليَومَ، وَمَا أُحْدِثَ فِي مُجْتَمَعَاتِهِم، فَيَدْفَعَهُ ذَلِكَ إِلَىٰ التَّمَسُّكِ الصَّحِيحِ بِالْكِتَابِ والسُّنَّةِ، فَفِيهِمَا السَّلَامَةُ وَالْعِصْمَةُ، بَعِيدًا عَنْ مَظَاهِرِ الجَفَاءِ أَوِ الْغُلُوِّ.

وَمَا أَحَقَّ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ! وَقَدِ انْسَرَبَتْ[2] بِهِمُ السُّبُلُ، وعَمَّ بَيْنَهُمُ التَّنَازُعُ، وَبَعُدَتْ بِهِمُ الشُّقَّةُ وَأَبْعَدُوا النُّجْعَةَ أَنْ يَعُودُوا لِتَأْرِيخِهِمُ الْأَغَرِّ[3]، وَمَاضِيهِمُ الْأَفْيَحِ[4]، فَلَهُمْ فِيهِ المَنْبَعُ الَّذِي لَا يَنْضَبُ، وَالمَعِينُ الَّذِي لَا يَأْسَنُ[5]، وَمَا أَحْوَجَهُم لِلْفَهْمِ النَّقِيِّ لِسُنَّةِ

(١) يُنظر: «القصيدة النونية» مع شرح ابن عيسى (٢/ ٢٦٤).

(٢) انْسَرَبَت: جرَت، يُقال: سرب الماء: إذا جرى. يُنظر: «اللسان» (سرب).

(٣) الأَغَرُّ: الحسن، وقيل: هو الأبيض من كل شيء. يُنظر: «الصحاح» (غرر).

(٤) تقدم شرحها (ص٢٩).

(٥) يَأْسَنُ: يتغير، والماء الآسن: الذي تغيرت ريحه، وقيل: الذي لا يشربه أحد لنتنه.
يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن»، و«اللسان» (أسن).

نَبِيِّهِمْ ﷺ وَسِيرَتِهِ، وَمُرَاجَعَةِ أنفُسِهِم قَبْلَ أَنْ تُطَوِّحَ بِهِمْ حَيَاةُ البُعْدِ عَنِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، إِنْ غُلوًّا وَإِفرَاطًا، وَإِنْ تَضييعًا وتَفريطًا.

فَإِلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ جَدِيدٍ - **يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ** - فَفِيهِمَا - وَاللَّهِ - الحَلُّ النَّاجِحُ، والدَّوَاءُ النَّاجِعُ[1] لِكُلِّ الْمُشْكِلَاتِ وَالْمُعْضِلَاتِ، وَلَنْ تَجْتَمِعَ الكَلِمَةُ، وتَتَوَحَّدَ الصُّفُوفُ، وَتَصْلُحَ الشُّعُوبُ، ويَسْعَدَ الْعِبَادُ، وَتَأْمَنَ البِلَادُ إِلَّا بِذَلِكَ، وَذَلِكَ وَعْدُ اللَّهِ الَّذِي لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّه كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا.

---

(١) تقدم شرحها (ص٧٣).

الخطبة الثانية:

الحَمْدُ لِلَّـهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، ونَعُوذُ بِالله مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الزَّيغِ وَالضَّلالِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ ورَسُولُهُ، تَرَكَنَا عَلَىٰ المَحجَّةِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهارِهَا، لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلا هَالِكٌ، فَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أمَّا بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢].

إِخْوَةَ العَقِيدَةِ وَالإِيمَانِ: إِنَّ فَصْلَ مَا بَيْنَ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُنَافِقِيْنَ - إِذَا دُعُوا إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ واتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ -: أَنَّ المُنَافِقِيْنَ يَقُولُونَ آمَنَّا ثُمَّ يُعرِضُونَ، وأَمَّا المُؤْمِنُونَ فَيَسْمَعُونَ ويُطِيعُونَ، وَقَد ذَكَرَ اللَّهُ مَنْهَجَ الفَرِيقَينِ، فَقَالَ - سُبحَانَهُ - عَنِ المُنَافِقِينَ: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور]، وَيَقُولُ عَنْ مَنْهَجِ المُؤْمِنِيْنَ فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١ ﴾ [النور].

فَلْنتَّقِ اللَّهَ - يا عِبادَ اللَّهِ - وَلْنَسْمَعْ وَلْنُطِعْ لِلَّهِ ورَسُولِهِ ﷺ، وَلْنَحْذَرْ كُلَّ الحَذَرِ مِنَ المُخالَفَةِ، فَإِنَّ عُقْباهَا الفِتنَةُ وَالعَذابُ الأَلِيمُ، عِياذًا بِاللَّهِ. وَإِنَّهُ لَمِنْ بابِ عِرفانِ الحَقِّ لِأَهْلِهِ، وَشُكْرِ المُنعِمِ المُتفَضِّلِ - جَلَّ وَعَلَا -: أَنَّ هَذِهِ البِلادَ المُبارَكَةَ، انْبَثَقَ[1] مِنها فَجْرُ الإِسْلامِ، وبَزَغَتْ مِنها شَمْسُ الرِّسالَةِ - فَهِيَ مَهْبطُ الوَحْيِ، وَمَنْبَعُ الهُدَىٰ، وَقِبلَةُ المُسْلِمِينَ - قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيها فَبَوَّأَ قادَتَها لِلدَّعْوَةِ إِلَىٰ الكِتابِ وَالسُّنَّةِ، في كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِمْ، ثَبَّتَهُمْ اللَّهُ عَلَىٰ الحَقِّ، وزَادَهُمْ مِنَ الهُدَىٰ وَالخَيْرِ إِنَّهُ جَوادٌ كَرِيمٌ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى الهَادِي إِلَى أَقْوَمِ السُّنَنِ، كَما أَمَرَكُم المَوْلَىٰ ذُو الرَّحْمَةِ وَالمِنَنِ، وَذَلِكَ في أَصْدَقِ القِيلِ وَأَحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾ [الأحزاب].

---

(١) يُقال: انبَثَقَ الفجرُ، أي: أقبل ممتدًّا في الشرق، وانبَثَقَ السَّيْلُ عليهم، أي: أقبل ولم يحتسبوهُ. يُنظر: «اللسان» (بثق).

القسم الخامس:
العبادات

مِعْرَاجُ المُؤْمِن

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّـهِ، نَحْمَدُكَ رَبِّي وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ، وَنعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّـهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأشْهَدُ أَلَّا إِلهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، سُبحَانك رَبَّنا، لَكَ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ، جعَلْتَ الصَّلَاةَ عِمادَ الدِّينِ، وَعِصَامَ اليَقِينِ، وسَلْوَىٰ الطَّائِعِينَ، وَقُرَّةَ عُيُونِ المُؤْمِنِينَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّـهِ وَرَسُولُهُ، ومُصْطَفَاهُ وخَليلُهُ، أَفْضَلُ البَرِيَّةِ، وَسَيِّدُ البَشَرِيَّةِ، إِمَامُ المتَّقِينَ، وَقُدْوَةُ المُصَلِّينَ الخَاشِعِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم وبَارِكْ عَلىٰ الرَّحْمَةِ المُهدَاةِ وَالنِّعمَةِ المُسْدَاةِ، نبيِّنَا مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ اللَّـهِ، وَعَلىٰ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ وَاهْتَدَىٰ بِهُدَاهُ إِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّـهَ رَبَّ العَالَمِيْنَ، وَكُونُوا بِدِيْنِكُمْ مُسْتَمْسِكِينَ، وَعَلىٰ عَمُودِهِ مُحَافِظِينَ، وَفِيهِ خَاشِعِيْنَ خَاضِعِيْنَ، تَسْلُكُوا سَبِيْلَ المُفلِحِيْنَ، وَهذا ـ وَأَيْمُ اللَّـهِ ـ غَايَةُ العَامِلِينَ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: يَحْتَاجُ الإِنْسَانُ فِي خِضَمِّ مَشَاغِلِ الحَيَاةِ الدُّنيَوِيَّةِ، وَمَا تُفرِزُهُ الحَضَارَةُ المَادِّيَّةُ مِنْ مُشكِلاتٍ نَفسِيَّةٍ وَتَوتُّرَاتٍ عَصَبيَّةٍ، يحتَاجُ حَاجَةً مُلِحَّةً إِلىٰ مَا يُنَفِّسُ عَنْ مَشَاعِرِهِ، وَيُخَفِّفُ مِنْ لَأْوَائِهِ[1] وَمَصَائِبِهِ، وَيَبْعَثُ فِي نَفْسِهِ الطُّمَأْنِينَةَ القَلْبِيَّةَ وَالرَّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ، بَعِيدًا عَنْ العُقَدِ وَالاكْتِئَابِ، وَالقَلَقِ وَالاضْطِرَابِ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يَجِدَ الإِنْسَانُ ذَلِكَ إِلَّا فِي ظِلِّ الإِسْلَامِ وَعِبَادَاتِهِ العَظِيمَةِ، الَّتِي تُمَثِّلُ دَوَاءً رُوحِيًّا نَاجِعًا لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الأَدْوِيَةِ المَادِّيَّةِ.

إِخْوَةَ الْإِيْمَانِ: وَتَحُلُّ بِالأُمَّةِ حَوَادِثُ وَبَلايَا، وَتُصَابُ بِكَوَارِثَ وَرَزَايَا، تَشْغَلُهَا عَنْ قَضَايَاهَا الأَصْلِيَّةِ وَثَوابتِهَا الشَّرْعِيَّةِ، وَتَمُرُّ بِالأُمَّةِ المُنَاسَبَاتُ وَالمَوَاسِمُ، فَتَأْخُذُ حَقَّهَا مِنَ التَّذْكِيرِ بِهَا وَالْاِهْتِمَامِ لَهَا، غَيْرَ أَنَّ حَدِيْثَ المُنَاسَبَةِ - وَكُلِّ مُنَاسَبَةٍ - مَوْسِمٌ عَظِيمٌ، وَمَنْهَلٌ عَذْبٌ كَرِيمٌ، يَتَكَرَّرُ كُلَّ يَومٍ خَمسَ مَرَّاتٍ، وكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي غَفْلَةٍ عَنْ تَحْقِيْقِ آثَارِهِ، وَالتَّنْوِيهِ بِمَكَانَتِهِ وَأَسْرَارِهِ، وَالعِنَايَةِ بِحِكَمِهِ وَأَحْكَامِهِ، يَقُولُ ﷺ: **«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُم يَغتَسِلُ مِنهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمسَ مَرَّاتٍ، هَلْ**

---

(١) اللَّأْوَاءُ هي: الشِّدَّةُ، يُقال: أَصابَتْهم لأْواءُ ولَولاءُ، كُلّها الشدَّةُ، وتكونُ اللَّأْوَاءُ من شدَّةِ المَرَضِ. ينظر: «تاج العروس» (لأي)

يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شيءٌ. قَالَ: «**فَذَلكَ مَثَلُ الصَّلواتِ الخَمْسِ يمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**»، متفق عليه[1].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ: نَتيجَةَ انبِعَاثِ كَثيرٍ مِنَ النَّاسِ وَارْتِمَائِهِمْ فِي أَحْضَانِ الدُّنيَا، والتَّنَافُسِ في جَمْعِ حُطَامِهَا، وَانشِغَالِ القُلُوبِ وَالهِمَمِ بِهَا، وَنِسْيَانِ الدَّارِ الحَقِيقِيَّةِ، وَالغَفْلَةِ عَنِ العَمَلِ لَهَا في هَذَا الصِّرَاعِ والاحْتِدَامِ الحَيَاتِيِّ، تَنَاسَىٰ بَعْضُهُم مَكَانَةَ هَذِهِ العِبَادَةِ العَظِيمَةِ، فَلَمْ يُبَالُوا بِهَا، وَلَمْ يَكْتَرِثُوا بِإِقَامَتِهَا، وَصَدَقَ فِيهِمْ قَوْلُ الحَقِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم].

وَصِنفٌ آخَرُ يُؤدِّيهَا، وَلَكِنْ مَعَ الوُقُوعِ في الخَلَلِ، وَالاسْتِمرَارِ في الزَّلَلِ، يُصَلُّونَ وَلَكِنْ لا تُرَىٰ آثَارُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِم، لَا يَتَأَدَّبُونَ بآدَابِهَا، وَلَا يَلْتَزِمُونَ بِأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، صَلَاتُهُمْ صُورِيَّةٌ شَكْلِيَّةٌ؛ لإِخْلالِهِمْ بِلُبِّهَا ورُوحِهَا وخُشُوعِهَا، يُصَلُّونَ جَسَدًا بِلَا رُوحٍ، وَبَدَنًا بِلَا قَلْبٍ، وَحَرَكَاتٍ بِلا مَشَاعِرَ وَأَحَاسِيسَ، صَلاتُهمْ مَرْتَعٌ للوَسَاوِسِ والهَوَاجِسِ، يَأْتِي الشَّيطَانُ أَحَدَهُم وَهُوَ في صَلَاتِهِ، فَيَجْعَلُهُ يَصُولُ

---

(1) أخرجه البخاري (٥٢٨)، ومسلم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَيَجُولُ بِفِكْرِهِ فِي مَجَالاتِ الدُّنيا، يَتَحَرَّكُ وَيَتَشَاغَلُ، وَيَسْتَطِيْلُ وَيَتَثَاقَلُ، وَيَلْتَفِتُ بِقَلْبِهِ وَبَصَرِهِ إِلَىٰ حَيْثُ يُرِيْدُ، فَيَنفَتِلُ مِنْ صَلاتِهِ وَلَمْ يَعْقِلْ مِنْهَا إِلَّا قَلِيْلًا، بَلْ لَعَلَّ بَعْضَهُمْ لَا يَعْقِلُ مِنْهَا شَيْئًا.

ثُمَّ لا تَسْأَلْ عَنِ الأَحْوَالِ وَسَيِّئِ الفِعَالِ، وَقَبِيْحِ الخِصَالِ بَعْدَ الصَّلاةِ: فُحْشٌ فِي القَولِ، وَإِسَاءَةٌ فِي الفِعْلِ، وأَكْلٌ لِلْحَرَامِ، وَتَعَسُّفٌ فِي الأَخْلَاقِ، وَاجْتِرَاحٌ[1] للسَّيِّئَاتِ، وَإِصْرَارٌ عَلَىٰ المَعَاصِيَ والمُنكَرَاتِ، وربَّمَا تَسَاءَلَ بَعضُهُم: أَلَمْ يَقُلِ الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَذِهِ الآيةِ؟ فَنحْنُ نُؤَدِّي الصَّلاةَ، وَلكِنْ لا أَثَرَ لهَا فِي حَيَاتِنَا، وَلا ثَمَرَةَ لهَا فِي وَاقِعِنَا، وَتَغْيِيرِ أَحْوَالِنَا، وَتَحَسُّنِ مَنَاهِجِنَا، وَصَلاحِ سَائِرِ جَوَانِبِ حَيَاتِنا؟

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: إِنَّ الصَّلاةَ الَّتِي يُرِيْدُهَا الإِسْلَامُ هِيَ الَّتِي تُمَثِّلُ المِعْرَاجَ الرُّوحِيَّ لِلمُؤْمِنِ، حَيْثُ تَعْرُجُ بِهِ رُوحُهُ كُلَّمَا قَامَ مُصَلِّيًا فِي فَرِيضَةٍ أَو نَافِلَةٍ، مُنتَقِلَةً مِنْ عَالَمِ المَادَّةِ الَّذِي سَبَا، وَفَرَّقَ النَّاسَ أَيْدِي سَبَا

(١) اجْتَرَحَ الشيء: اكتسبه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجاثية:٢١]، أي: اكتسبوها. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» (جرح).

إِلَىٰ عَـالَمِ الـسُّمُوِّ والطُّهْـرِ وَالـصَّفَاءِ والنَّقَـاءِ، وَفي ذَلـكَ مَـصْدَرُ الـسَّعَادَةِ والـسُّرُورِ، وَمبعَـثُ الطُّمَأْنِينَـةِ وَالْحُبـورِ، وَالنَّبعِ الجَيَّـاشِ[1] لِكُـلِّ عَمَـلٍ صَالحٍ مَبرُورٍ، وَكَانَ ذَلِكَ دَيْدَنُ الأَنبِيَاءِ جَمِيعًـا، وَهَكَـذَا كَـانَ المُصْطَفَىٰ القُدْوَةُ ﷺ: «إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّىٰ»، خَرَّجَـهُ الإِمَـامُ أَحْمَـدُ[2] وَأَبُـو دَاودَ[3] مِنْ حَدِيثِ حُذَيفَةَ رضي الله عنه.

مَعَاشِــرَ المُـسْـلِمِينَ: الـصَّلَاةُ غِـذَاءُ القُلُـوبِ، وَزَادُ الأَرْوَاحِ، مُنَاجَـاةٌ وَدُعَـاءٌ، خُـضُوعٌ وَثَنَـاءٌ، وَتَـذَلُّلٌ وَبُكَـاءٌ، وَتَوسُّـلٌ وَرَجَـاءٌ، وَاعْتِصَامٌ وَالتِجَاءٌ، وَتَواضَعٌ لِكِبرِيَاءِ اللَّـهِ، وَخُضُوعٌ لِعَظَمَتِهِ، وَانطِرَاحٌ بَـيْنَ يَدَيْـهِ، وَانكِسَارٌ وَافْتِقَـارٌ إِلَيْـهِ، تَـذَلُّلٌ وَعُبُودِيَّةٌ، وَتقَـرُّبٌ وَخُـشُوعٌ لِـجَنَابِ الرُّبُوبِيَّةِ، إِنَّها مَلْجَأُ المُسْلِمِ، وَمَلَاذُ المُؤْمِنِ، فِيْهَـا يَـجِـدُ البَلْـسَمَ الشَّافِي، وَالدَّوَاءَ الكَافِي، وَالغِذَاءَ الوَافِي، إِنَّهَا خَيْرُ عُدَّةٍ وَسِلَاحٍ، وَأَفْضَلُ جُنَّـةٍ وَكِفَـاحٍ، وَأَعْظَـمُ وَسِيْلَةٍ للـصَّلَاحِ وَالفَـلَاحِ والنَّجَـاحِ، تُنْشِئُ في النُّفُوسِ، وَتُذْكِي في الضَّمَائِرِ قُوَّةً رُوحِيَّةً، وَإِيمَانًا رَاسِخًا، وَيَقِينًـا عَمِيقًـا،

---

(١) جَاشَتِ العَيْنُ: فَاضَتْ بالدُّمُوعِ، وجَاشَ الوَادِي يَجِيشُ جَيْشًا: زَخَرَ وامتَـدَّ جِـدًّا. يُنظر: «تاج العروس» (جيش).

(٢) في المسند (٥/ ٣٨٨).

(٣) برقم (١٣١٩).

وَنُورًا يُبَدِّدُ ظُلُماتِ الفِتَنِ، وَيُقَاوِمُ أَعْتَىٰ المُغْرِيَاتِ وَالمِحَنِ، وَكَمْ فِيهَا مِنَ الأَسْرَارِ، وَالحِكَمِ وَالمَقَاصِدِ وَالغَايَاتِ، الَّتِي لا يَعْقِلُها كَثِيرٌ مِمَّنْ يُؤَدِّيهَا، فَمَا أَعْظَمَ الأَجْرَ، وَأَوْفَرَ الحَظَّ، لِمَنْ أَدَّاهَا عَلَىٰ الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ.

أَخْرَجَ الإِمَامُ أَبُو دَاودَ فِي سُنَنِهِ(١) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ، كَانَ لَهُ عَلَىٰ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ**».

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ: لَا تَخْفَىٰ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ مَكَانَةُ الصَّلاةِ فِي دِينِ اللهِ، وَمَنْزِلَتُهَا فِي شَرْعِ اللهِ، فَهِيَ عَمُودُ الإِسْلَامِ، وَالفَاصِلُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ، وَمَنْزِلَتُهَا فِي الإِسْلَامِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ، فَكَمَا أَنَّهُ لا حَيَاةَ لِمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ، فَكَذَلِكَ لَا دِينَ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ، وَنُصُوصُ الشَّرْعِ فِي ذَلِكَ مُتَضَافِرَةٌ(٢) بِحَمْدِ اللَّهِ.

وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ بِهَذِهِ الأَهَمِّيَّةِ وَالخُطُورَةِ، فَإِنَّ الَّذِي تَأْسَى لَهُ النَّفْسُ، وَيَتَأَلَّمُ لَهُ القَلْبُ، أَنَّهُ لا يَزَالُ فِي عِدَادِ المُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ الإِسْلَامِ مَنْ لَا يَرْفَعُ

---

(١) برقم (٤٢٥) من حديث عبادة بن الصامت ﵁.

(٢) مُتَضافِرة: مجتمعة، يُقال: تَضافَرَ القَوْمُ على فُلانٍ: إذا تَعاوَنوا وتَجَمَّعُوا عليه. يُنظر: «تاج العروس» (ضفر).

رَأسًا بِهَا، وَلَا يَخفقُ قلبُه لهَا!! فَمَا بَالُ أقْوَامٍ يَعِيشُونَ بَينَ ظَهْرَانَيِ المُسْلِمِينَ، قَدْ خَفَّ مِيزَانُ الصَّلاةِ عِنْدَهُم، وطَاشَ مِعيارُهَا، بَلْ لَرُبَّمَا تَعدَّىٰ الأَمرُ إِلَىٰ مَا هُو أفظَعُ مِنْ ذلِكَ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ!

قُلُوبُهُمْ عَنِ الله نَافِرَةٌ، وَأعْمَالُـهُمْ في شَرَكِ الغَفْلَةِ وَالقَسْوَةِ حَائِرَةٌ، فَهَلْ يَنتَهِي أُولَئِكَ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ سَخَطُ الله، وَتُعَاجِلُهُم المَنِيَّةُ وَهُمْ عَلَىٰ هَذِهِ الحَالِ السَّيِّئَةِ؟

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ المُصَلُّونَ: لِتَهْنِكُمُ الصَّلاةُ! وَيَا بُشْرَىٰ لَكُمْ مَا شَرَحَ اللَّهُ صُدُورَكُم لِهَذِهِ الفَرِيضَةِ العَظِيمَةِ! وَهَنِيئًا لَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ وَفَضْلُهِ العَاجِلِ وَالآجِلِ؛ لِقِيَامِكُمْ بِهَذَا الوَاجِبِ الشَّرْعِيِّ العَظِيمِ!

وَلَكِنْ أَيُّهَا المُصَلُّونَ: لِتَعْلَمُوا أَنَّ لِلصَّلاةِ المَقْبُولَةِ شُرُوطًا وَأَركَانًا وَوَاجِبَاتٍ وَآدَابًا لابُدَّ مِنَ الوَفَاءِ بِهَا، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ مَسَائِلَ مُهِمَّةً، وَأَخْطَاءً شَائِعَةً في هَذِهِ الفَرِيضَةِ، يَحْتَاجُ المُصَلُّونَ مَعْرِفتَهَا.

وَقَدْ وَرَدَ عِنْدَ أَحْمَدَ[1]: «**إِنَّ أَسْوَأَ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «**لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلاَ سُجُودَهَا**». كَمَا وَرَدَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ**

---

(١) في «المسند» (٥/ ٣١٠) من حديث أبي قتادة ﷺ.

مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا»(١). وَهَذَا يَدْعُو المُسلِمَ المُصَلِّيَ إِلَىٰ أَنْ يَنتَبِهَ لِشَأْنِ صَلَاتِهِ؛ حَتَّىٰ لَا يَخْسَرَ الثَّوَابَ، وَيَبُوءَ بِالعِقَابِ، مُتَعَهِّدًا طَهَارَتَهَا وَشُرُوطَهَا وَأَرْكَانَهَا وَوَاجِبَاتِهَا، مُجْتَهِدًا فِي الخُشُوعِ فِيهَا، فَهُو لُبُّهَا وَرُوحُهَا.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: لَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ المُؤْمِنِينَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِم، وَوَصَفَهُمْ بِالخُشُوعِ لَهُ فِي أَجَلِّ عِبَادَاتِهِمْ، وَرَتَّبَ عَلَىٰ ذَلِكَ الفَوْزَ وَالفَلَاحَ، فَقَالَ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون]، قَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «أَيْ: قَدْ فَازُوا وَسَعِدُوا وَحَصَلُوا عَلَىٰ الفَلَاحِ»(٢).

وَقَالَ ابنُ رَجَبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَأَصْلُ الخُشُوعِ: هُوَ لِينُ القَلْبِ وَرِقَّتُهُ وَسُكُونُهُ وَخُضُوعُهُ وَانْكِسَارُهُ وَحُرْقَتُهُ، فَإِذَا خَشَعَ القَلْبُ تَبِعَهُ خُشُوعُ جَمِيعِ الجَوَارِحِ لِأَنَّهَا تَابِعَةٌ لَهُ»(٣).

وَقَدْ رَأَىٰ بَعضُ السَّلَفِ رَجُلًا يَعبَثُ بِلِحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ:

(١) أخرجه أبو داود (٧٩٦)، وأحمد (٤/ ٣٢١) من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٣٩).

(٣) يُنظر: «الخشوع في الصلاة» (ص١٧).

«**لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذا لَخَشَعَتْ جَوارِحُهُ**». رُوِيَ ذَلِكَ عَنْ حُذَيفَةَ ﷺ[(١)]، وَسَعيدِ بنِ المُسَيِّبِ ﷺ[(٢)]، وَيُروَىٰ مَرْفُوعًا، لَكِنْ بِإِسْنَادٍ لا يَصِحُّ[(٣)].

وفي مَعْنَىٰ الخُشُوعِ في الصَّلاةِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ أَبي طَالِبٍ ﷺ: «**هُوَ الخُشُوعُ في القَلْبِ، وَأَنْ تُلِينَ كنفَكَ لِلمَرْءِ المُسْلِمِ، وَأَنْ لَا تَلتفِتَ في صَلاتِكَ يَمينًا وَلا شِمالًا**»[(٤)].

وَعَنْ ابنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنهُما - في قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ** ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون]، قَالَ: «**خَائِفُونَ سَاكِنُونَ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ١٩٤).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤١٩)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ١٩٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٢٦٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٨٦).

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٢١٠) مرفوعًا من حديث أبي هريرة ﷺ. قال الحافظ العراقي: «فيه سليمان بن عمرو، مجمع على ضعفه». يُنظر: «طرح التثريب في شرح التقريب» (٢/ ٣٣٣).

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٠٣)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٢٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٩٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢٧٩).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣).

وَعَنِ الحَسَنِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ قَالَ: «**كَانَ الخُشُوعُ فِي قُلُوبِهِمْ فَغَضُّوا بِذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ، وَخَفَضُوا الجَنَاحَ**»(١).

وَقَالَ ابنُ سِيرِينَ: «**كَانُوا يَخْفِضُونَ أَبْصَارَهُم إِلَىٰ مَوْضِعِ سُجُودِهِمْ**»(٢).

وَحُكِيَ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي فِي مَسْجِدِ البَصْرَةِ، فَسَقَطَ حَائطُ المَسْجِدِ، ففَزِعَ أَهْلُ السُّوقِ لِـهَدَّتِهِ فَما الْتَفَتَ، وَلَمَّا هُنِّئَ بِسَلامَتِهِ عَجِبَ! وَقَالَ: مَا شَعُرْتُ بِهِ(٣).

هَذَا هُوَ مَنْهَجُ السَّلَفِ ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ـ الَّذِينَ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ تَسْتَشْعِرُ رَهْبَةَ المَوقِفِ فِي الصَّلاةِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ؛ فَتَسْكُنُ وَتخشَعُ، فَيَسْرِي الخُشُوعُ مِنْهَا إِلَىٰ جَمِيعِ الجَوَارِحِ وَكُلِّ الحَرَكَاتِ وَالمَلامِحِ، وَيَغْشَىٰ أَروَاحَهُمْ جَلالُ اللَّهُ وعَظَمَتُهُ وَهُمْ يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَخْتَفِي مِنْ أَذْهَانِهِم جَمِيْعُ الشَّوَاغِلِ عِنْدَمَا يَشْتَغِلُونَ بِمُنَاجَاةِ الجَبَّارِ ـ جَلَّ جَلالُهُ ـ وَيَتَوَارَىٰ عَنْ حِسِّهِمْ فِي تِلْكَ الحَالَةِ كُلُّ مَا حَوْلَهُم؛ فَيَتَطَهَّرُ وُجْدَانُهمْ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَيَنْفُضُونَ عَنْهُمْ كُلَّ شَائِبَةٍ، وَتَتَوَارَىٰ أَمَامَ لَذِيْذِ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٣٨٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٩١).

مُناجاتِـهِم كُـلُّ نائِبَـةٍ، وَعِنْدَئـذٍ تَتَـضاءَلُ المادِيّـاتُ، وَتَتَلاشَـىٰ جَمِيعُ الدُّنْيوِيّاتِ، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ الصَّلاةُ راحَةً قَلْبِيَّةً، وَطُمَأْنِينَةً نَفسِيَّةً، وَقُرَّةَ عَـيْنٍ حَقِيقَـةً، كَـما قـالَ النَّبِـيُّ ﷺ في الحَـدِيثِ الَّـذِي رَواهُ الإمـامُ أَحْمَدُ[1] وَالنَّسائِيُّ[2] عَنْ أَنَسٍ ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ». وَمَا أَعْظَمَ ذَلِكَ، وما أَجَلَّهُ!

وَكَانَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ لِبِلالٍ ﷺ: «يا بِلالُ، أَقِمِ الصَّلاةَ، أَرِحْنا بِها». رَواهُ أَحْمَدُ[3] وَأَبُو داود[4].

اللَّـهُ أَكْـبَرُ! إِنَّـهَا الرَّاحَةُ الدَّائِمَةُ لِلنُّفُوسِ المُطْمَئِنَّةِ؛ لِكَيْ تَشْعُرَ مِنْ خِلالِ إِقامَتِها أَنَّها تُناجِي مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ المُصَلِّيَ حِيْنَما يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ إِنَّما هُوَ تَعْظِيمٌ لِلَّـهِ، وَإِذا وَضَعَ اليُمْنَىٰ عَلَىٰ اليُسْرَىٰ، فَهُوَ ذُلٌّ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلاهُ، كَما سُئِلَ الإِمامُ أَحْمَدُ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ ـ عَنِ المُراد بِذَلكَ فَقالَ: «هُوَ ذُلٌّ بَيْنَ يَدَي عَزِيزٍ»[5]، وَإِذا رَكَعَ فَهُوَ إِقْرارٌ بِعَظَمَةِ

---

(١) في «المسند» (٣/ ٢٨٥).

(٢) في «المجتبى» (٧/ ٦١).

(٣) في «المسند» (٥/ ٣٦٤) من حديث رجلٍ ـ لم يُسَم ـ من أصحاب رسول الله ﷺ.

(٤) واللفظ له برقم (٤٩٨٥) من حديث رجل ـ لم يُسَم ـ من أصحاب رسول الله ﷺ.

(٥) أخرجه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٨٤).

اللَّـهِ، وَإِذَا سَجَدَ فَهُوَ تَوَاضُعٌ أَمَامَ عُلُوِّ اللَّـهِ.

وَهكَذَا يَكُونُ الْمُسْلِمُ فِي صَلَاتِهِ، يُوَثِّقُ الصِّلَةَ بِمَوْلَاهُ؛ لِيَفُوزَ بِوَعْدِ اللَّـهِ الَّذِي لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ(١) عَنْ عُثْمَانَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**».

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُصَلُّونَ: إِنَّ الْمُصَلِّيَ حَقًّا مَنْ يُقِيمُ الصَّلَاةَ كَامِلَةَ الْفَرَائِضِ وَالأَرْكَانِ، مُسْتَوْفِيَةَ الشُّرُوطِ وَالْوَاجِبَاتِ وَالآدَابِ، يَسْتَغْرِقُ فِيهَا الْقَلْبُ، وَيَتَفَاعَلُ مِنْ خِلَالِهَا الْوُجْدَانُ، وَيُحَافِظُ عَلَيْهَا مُحَافَظَةً تَامَّةً قَدْرَ الطَّاقَةِ، يَبْعَثُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَلْبٌ يَقِظٌ، وَشُعُورٌ صَادِقٌ، وَإِحْسَاسٌ مُرْهَفٌ، وَضَمِيرٌ حَيٌّ، فَيَنْصَرِفُ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَىٰ الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ الْخُشُوعَ فِيهَا إِنَّمَا يَحْصُلُ لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا، وَآثَرَهَا عَلَىٰ غَيْرِهَا، وَهَذِهِ دَرَجَةٌ تُحَلِّقُ بِالْمُصَلِّي فِي مَصَافِّ الأَخْيَارِ الأَبْرَارِ.

وَمَنْزِلَةُ الْخُشُوعِ مِنَ الصَّلَاةِ - **يَا رَعَاكُمُ اللَّـهُ** - كَمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ

---

(١) برقم (٢٢٨).

الجَسَدِ، فالَّذي يَجْعَلُ الصَّلاةَ مَرْتَعًا للتَّفْكِيرِ في أُمُورِ دُنياهُ، وَمَحِلًّا للهَوَاجِسِ في مَشَاغِلِهِ، قَلْبُهُ في كُلِّ وَادٍ، وهَمُّهُ في كُلِّ مَكَانٍ، يَخْتَلِسُ الشَّيطَانُ مِنْ صَلَاتِهِ بكَثْرَةِ التِفَاتِهِ، وَعَبَثِهِ بمَلَابِسِهِ وَيدِهِ، وَرِجْلِهِ وَجوَارِحِهِ، وَرُبَّمَا أَخَلَّ بِطُمَأْنِينَتِهَا، وَلَمْ يَعِ مَا قَرَأَ فِيهَا، فَيُخْشَىٰ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِ صَلاتُهُ، فَقَدْ وَرَدَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ[1] وَغَيْرِهِ[2]: أَنَّ صَلَاةَ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ، تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوبُ الخَلِقُ[3]، ثُمَّ يُرْمَىٰ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا، عِياذًا بِالله.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: إِنَّهُ لَـمَّا طَالَ بِالنَّاسِ الأَمَدُ، وَقَسَتْ قُلُوبُهم، وَأَسَاؤُوا فَهْمَ شَعَائِرِ الإِسْلامِ، أَصْبَحْتَ تَرىٰ مَنْ يُخِلُّ بِبَعْضِ الشُّرُوطِ وَالأَرْكَانِ والواجِبَاتِ، فلَمْ تَعْمَلِ الصَّلاةُ عَمَلَهَا في قُلُوبِ النَّاسِ، ولَمْ تُؤَثِّرْ في حَيَاتِهِمْ، فَهُنَاكَ مَنْ يُؤَدِّيها، وَلكِنْ لا تَنهَاهُ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنكَرِ، وَلا تَمْنَعُهُ مِمَّا يَخْدِشُ العَقِيْدَةَ أَوْ يُخَالِفُ السُّنَّةَ، أَو يُنَاقِضُ مَبَادِئَ الإِسْلامِ، وَلا تَمْنَعُهُ مِنْ تَعَاطِي الرِّبَا، واقْتِرَافِ الزِّنىٰ وَالرِّشْوَةِ وَالغِشِّ، وَشُرْبِ المُسْكِرَاتِ، وتَعَاطِي المُخَدِّرَاتِ، أو التَّساهُلِ في

(١) في «المعجم الأوسط» (٣/ ٢٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/ ١٤٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) الخَلِقُ: البَالي، خَلِقَ وَأَخْلَقَ إِخْلاقًا واخْلَوْلَقَ: بلي. يُنظر: «اللسان» (خلق).

حُقوقِ العِبَادِ والوَقيعَةِ في أَعْرَاضِهِمْ، ومَا إِلَىٰ ذَلكَ مِنَ المُحرَّمَاتِ. هَلْ أُولئكَ قَد أقَامُوا الصَّلاةَ وَأَدَّوْا حَقَّها؟

وَاللهِ لَوْ فَعلُوا ذَلِكَ لانْتَهَوْا عَنْ كُلِّ مُحَرَّمٍ، وأقْلَعُوا عَنْ كُلِّ مَا يُخالِفُ شَرْعَ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ، وَلَـٰكنَّهُ إِضَاعَةُ جَوهَرِ الصَّلاةِ، ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!

خَرَّجَ التِّرمِذِيُّ(١) مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: **«أَنَّ أَوَّلَ عِلْمٍ يُرفَعُ مِنَ النَّاسِ: الخُشُوعُ، فيُوشِكُ أَنْ تَدخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلا تَرَىٰ فيه رَجُلًا خَاشِعًا»**. فاللَّهُ المُستَعَانُ.

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ: مَا هِيَ حَالُنَا اليَوْمَ مَعَ هَذهِ الفَرِيْضَةِ العَظِيمَةِ؟ أَجْسَادٌ تَهْوِي إِلَىٰ الأَرْضِ، وَقُلُوبٌ غَافِلَةٌ هَامِدَةٌ، وأَفْئِدَةٌ مُتعلِّقَةٌ بِالدُّنْيَا، وَهِمَمٌ مُرْتَكِسَةٌ(٢)، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ.

فَهَلْ مِنْ عَوْدَةٍ صَادِقَةٍ ـ **أَيُّهَا المُسْلِمُونَ** ـ إِلَىٰ تَرسُّمِ خُطَىٰ المُصْطَفَىٰ ﷺ في هَذهِ الفَرِيضَةِ العَظِيمَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ فَرَائضِ الإِسْلامِ؟

---

(١) برقم (٢٦٥٣).

(٢) مُرْتَكِسَةٌ: مردودة، يُقال: رَكَسْتُ الشيء وأَرْكَسْتُه: إذا رددته ورجعته، والرَّكس: قلب الشيء على رأسه. يُنظر: «اللسان» (ركس).

فتكُونَ الأَنيسَ المُؤنِسَ، وَالمُغيثَ المُنجِدَ إذَا حَزبَتْنَا الأُمُورُ، وَهَذا مَا كَانَ عَلَيْهِ شَأنُ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛ لِتَعُودَ لِلأُمَّةِ قُوَّتُها وَهَيْبَتُها، بَعْدَ أَنْ مُنِيَتْ بِنكْسَةٍ خَطِرَةٍ أَفْقَدَتها كَثيْرًا مِنْ مُقوِّمَاتِها الَّتِي تَجْعَلُها مُتَماسِكَةً قَوِيَّةً.

أَلا مَا أَحْرَىٰ الأُمَّةَ، وَهِيَ تَتَجَرَّعُ غُصَصَ الهَزَائِمِ، أَنْ تَتَحَرَّىٰ الأَسْبَابَ وَالدَّوَافِعَ؛ لِتَقُومَ بالتَّغَلُّبِ عليهَا، وَإِنَّها وَاجِدَةٌ في شَعَائِرِ الإِسْلامِ ـ وَأعظَمُهَا الصَّلاةُ ـ مَا يَكُونُ سَبَبًا في صَقْلِ الأَفْرادِ، وَتَهْذِيْبِ المُجْتَمَعَاتِ، وَصَلَاحِ الأَحْوَالِ، وَالقَضَاءِ عَلَىٰ أَسْبَابِ الضَّعْفِ وَالهَزِيمَةِ، وَخَواءِ الرُّوحِ المَعْنَوِيَّةِ في الأُمَّةِ، واللهُ المُعِينُ وَالنَّصِيرُ!

نَحْنُ الَّذِينَ إذَا دُعُوا لِصَلاتِهِمْ وَالحَرْبُ تَسْقِي الأَرْضَ جَامًا أَحْمَرَا
جَعَلُوا الوُجُوهَ إِلَى الحِجَازِ فَكَبَّرُوا في مَسْمَعِ الرُّوحِ الأَمِينِ فَكَبَّرَا[1]

أَلا فَلْنَتقِ اللَّهَ ـ يَا عِبَادَ اللَّهِ ـ في أُمُورِنَا عَامَّةً وَفي صَلَاتِنَا خَاصَّةً، فَإِنَّ حَظَّ المَرْءِ مِنَ الإِسْلامِ عَلَىٰ قَدْرِ حَظِّهِ مِنَ الصَّلَاةِ.

وَلْنُفَكِّرْ في حَالِنَا: مَاذَا جَنَيْنَا مِنْ جَرَّاءِ التَّهَاوُنِ بِشَعَائِرِ الإِسْلَامِ كُلِّهِ وَلاسِيَّما الصَّلاةُ، إِنَّ أُمَّةً لا يَقِفُ أفرادُهَا بَيْنَ يَدَي اللَّهِ في الصَّلاةِ

---

(١) الأبيات من قصيدة (شكوى) للشاعر محمد إقبال، يُنْظر: «دِيوانه» (١/ ٩٥).

لِطَلَبِ الفَضْلِ وَالخَيرِ مِنهُ، لَجَدِيرَةٌ أَلَّا تقِفَ ثَابتَةً في مَوَاقِفِ الخَيرِ والوَحْدَةِ، وَالنَّصْرِ وَالقُوَّةِ؛ لأَنَّ هَذِهِ كُلَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَإذا أَصْلَحْنَا مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَنا وَبَيْنَ النَّاسِ.

وَإِنَّ أُمَّةً لا يُعَفِّرُ أَبْنَاؤُهَا وُجُوهَهُمْ فِي التُّرَابِ، وَيُمرِّغُونَ جِبَاهَهُمْ فِي الأَرْضِ؛ تَعْظِيمًا لِخَالِقِهِمْ، وَإِعْلانًا لِلعُبُودِيَّةِ التَّامَّةِ لَهُ، لَحرِيَّةٌ أَنْ لَا تَثْبُتَ أَمَامَ التَّحدِّيَاتِ والمُتَغيِّرَاتِ، وَأن تَذُوبَ في خِضَمِّ[1] المُغرِيَاتِ والابْتِلَاءَاتِ، وَسُيُولِ المِحَنِ والبَلايَا، وَأنْ تَغْرَقَ في مُسْتَنْقَعَاتِ الفِتَنِ والرَّزَايَا، وَإِنَّ مَرَدَّ تَرَدِّي كَثيرٍ مِنَ الأَوْضَاعِ فِي شَتَّىٰ البِقَاعِ؛ لِتَرَدِّي أَبْنَائِهَا في أَوْدِيَةِ المُخَالَفَاتِ، وَعَدَمِ القِيَامِ بِمَا هُوَ مِنْ أَوْجَبِ الوَاجِبَاتِ، أَلا وَهُوَ الصَّلاةُ، فَإِلَىٰ اللَّهِ المُشتكىٰ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا باللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ!!

وَاللَّهُ المَسْؤُولُ، أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَ المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ، وَيَرْزُقَهُم الفِقْهَ في دِينِهِ وَالبَصِيرَةَ فِيهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُم مُحَافِظِينَ عَلَىٰ شَعَائِرِ دِينِهِمْ، مُعَظِّمِينَ لَهَا، قَائِمِينَ بِعَمُودِهَا عَلَىٰ خَيْرِ وَجْهٍ، إِنَّه جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ

(١) الخِضَمُّ: الجمع الكثير. يُنظر: «اللسان» (خضم).

وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ [البقرة]، بَارَكَ اللَّهُ لي ولَكُمْ في القُرآنِ العَظِيمِ، ونَفَعَني وَإِيَّاكُم بهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ.

أقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلجَمِيعِ المُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوه وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا غفُورًا.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحمدُ لِلَّـهِ جعَلَ لِكُلِّ شَيءٍ عِمادًا، وَجعَلَ الصَّلاةَ لَنا ذُخْرًا وَزادًا، وَأشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَحدَهُ فَلا شُرَكاءَ وَلا أَنداداً، وَأشهَدُ أَنَّ نبيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَكمَلُ الأُمَّةِ إيمانًا وَصَلاةً، وَأعظَمُها عِبادَةً وَجِهادًا، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، صَلاةً وَسَلامًا تَامَّيْنِ مُتلازِمَيْنِ لا نُحْصِيْهِمَا أَعْدَادًا، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْباعِهِ، إِلىٰ يَومِ يُبْعَثُ النَّاسُ زُرَافَاتٍ[1] وفُرَادىٰ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَعَظِّمُوا شَعَائِرَ دِينِكُمْ، وَاسْتَحْضِرُوا فِيهَا عَظَمَةَ بَارِئِكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - وَفَرِّغُوا قُلُوبَكُمْ مِنَ الشَّوَاغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ، والعَلائِقِ المَادِّيَّة، وَأَقِيمُوا صَلَاتَكُمْ بقُلُوبٍ حَاضِرَةٍ خَاشِعَةٍ، مُنِيبَةٍ ضَارِعَةٍ.

وَاعْلَمُوا - يَا رَعَاكُم اللَّهُ - أَنَّ أَجَلَّ مَا يُعِينُ عَلىٰ ذَلِكَ: حُضُورُ القَلْبِ فِيْهَا، وَاسْتِشْعَارُ عَظَمَةِ وجَلالِ الخَالقِ - جَلَّ وَعَلَا - وَتَفريغُ

---

(١) الزُّرَافَة: الجماعة، والزُّرَافَات: الجماعات. يُنظر: «تاج العروس» (زرف).

الْقُلُوبِ مِنَ الصَّوَارِفِ عَنِ اللَّـهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ، وَالتَّخَفُّفُ مِنْ شَوَاغِلِ الدُّنيَا، وَعِمَارَةُ الْقُلُوبِ بِالإِيمَانِ، وَسَدُّ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ الإِنسَانِ.

ومِمَّا يُعِينُ العَبْدَ عَلَىٰ ذَلكَ أَيْضًا: قَصْرُ النَّظَرِ عَلَىٰ مَوْضِعِ السُّجُودِ، ووَضْعُ اليَدِ اليُمنىٰ عَلَىٰ اليُسْرىٰ حَالَ القِيامِ، وَالتَّدَبُّرُ فِيما يَقْرَأُ مِنَ القُرآنِ، وَفيما يُرَدِّدُ مِنَ الأَدْعِيَةِ، وَعَدمُ الالتِفَاتِ، ومُرَاعَاةُ الطُّمَأْنِيْنَةِ، وَالحَذَرُ مِنَ العَجلَةِ وَالعَبَثِ وَالحَرَكَةِ. وعَلَيْهِ اتِّبَاعُ الإِمَامِ في حَرَكَاتِه وسَكَنَاتِه، وانتِقَالاتِهِ، كُلُّ ذَلكَ مَعَ توفِيقِ الله -عزَّ وجَلَّ- مِنَ الأَسْبَابِ الَّتي تُعينُ المُسلِمَ عَلىٰ إِقَامَةِ الصَّلاةِ كَما شَرَعَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ وَسَنَّ رَسُولُه ﷺ، فَعَلىٰ المُسلِمِ أَنْ يُرَوِّضَ نَفْسَهُ عَلىٰ ذلكَ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللَّـهِ: إِنَّ مِنَ الظَّواهِرِ الجَدِيْرَةِ بِالمُعَالَجَةِ - وَالَّتي لَهَا أَثَرٌ كَبيرٌ في انْصِرَافِ المُصَلِّينَ عَنِ الخُشوعِ في الصَّلاةِ - ما قَذفَتْ به المَدَنِيَّةُ المُعَاصِرَةُ مِنْ وَسَائِلِ الاتِّصَالِ الحَدِيثَةِ، كالهَوَاتِفِ المُتَنَقِّلَةِ الَّتي يُلِيَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَصْطَحِبُونَهَا فِي صَلَوَاتِهِم وَمَسَاجِدِهِم، وَهِي تُسبِّبُ أذىً وإِزْعَاجًا لِلْمُصَلِّينَ، فَأَيُّ خُشُوعٍ عِنْدَ هَذَا المُصَلِّي - عَفَا اللَّـهُ عَنهُ - الَّذي يَقطَعُ حَلَاوَةَ إِقبَالِهِ عَلىٰ رَبِّهِ، وَلَذيذَ مُنَاجَاتِهِ لِخَالِقِهِ، رَنِينُ هَاتِفِهِ المُتكَرِّرِ؟! وَبَعْضُهُ بِنَغَمٍ مُحَرَّمٍ، فَيَشْغَلُ نَفْسَهُ وَيُؤْذِي غَيْرَهُ، فَهَلْ هَـٰؤُلاءِ الَّذينَ جَاؤوا إِلىٰ المَسْجِدِ مُصْطَحِبِينَ هَـٰذِهِ الأَجْهِزَةَ مَفْتُوحَةً

جَاؤوا مُصَلِّينَ أَمْ مَاذَا؟

أَلَا فَلْيَتَّقِ اللَّـهَ أُولَئِكَ فِي صَلَاتِهِمْ، وَلْيَحْذَرُوا مِنْ إِيْذَاءِ إِخْوَانِهِمُ المُصَلِّينَ، وَهَتْكِ حُرْمَةِ بُيُوتِ اللَّـهِ، وَمَتَىٰ عَلِمَ اللَّـهُ مِنْ عَبْدِهِ الرَّغْبَةَ فِي الخَيْرِ وفَّقَهُ لَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ.

وَلَوْ أَنَّ المُسْلِمِيْنَ اليومَ، أَدَّوا هَذِهِ الصَّلَاةَ كَمَا سَنَّ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ مِنَ الخُشُوعِ وَالسَّكِيْنَةِ وَالرِّقَّةِ وَالوَقَارِ؛ لَكَانَتْ ـ بِتَوفيقِ اللَّـهِ ـ انْطِلَاقَةً جَادَّةً لِإِصْلَاحِ أَوْضَاعِهِمْ، وَتَغْيِيرِ أَحْوَالِهِمْ، وَسَلَامَةِ مُجْتَمَعَاتِهِمْ، وَطَرِيقًا إِلَىٰ النَّصْرِ عَلَىٰ أَعْدَائِهِم، وَتَحْقِيقِ مَا يَصْبُونَ إِلَيْهِ فِي دُنيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ؛ لأَنَّ فِي تَطْبِيقِ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ السِّلَاحَ القَوِيَّ، وَالدِّرْعَ الوَاقِيَ لِكُلِّ مَكْرُوهٍ؛ لأَنَّ الدَّافِعَ إِلَيْهِ: قُوَّةُ الإِيمَانِ، وَصِدْقُ اليَقِينِ، وَحُسْنُ الاقْتِدَاءِ، وَالشَّوقُ إِلَىٰ الآخِرَةِ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّـهَ ـ عِبَادَ اللَّـهِ ـ وَاحْرِصُوا عَلَىٰ إِقَامَةِ صَلَاتِكُمْ، فَإِنَّهَا نُورٌ لَكُمْ فِي الأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ، وَإِنَّ المُتأمِّلَ فِي آيَاتِ التَّنزِيلِ لَيجِدُ أَنَّ الأَمْرَ بِالصَّلاةِ يَأتِي دَائمًا بِأُسْلُوبِ الإِقَامَةِ، وَفِي ذَلِكَ زِيَادَةُ مَعَانٍ عَلَىٰ مُجَرَّدِ الأَدَاءِ؛ لأَنَّ الإِقَامَةَ تَعْنِي الإِتْمَامَ وَالعِنَايَةَ الحِسِّيَّةَ وَالرُّوحِيَّةَ، وَإِنَّ مَسْؤُولِيَّةَ المُصَلِّيْنَ لَعَظِيمَةٌ بِالنِّسبَةِ إِلَى أَنفُسِهِم،

تَعاهُدًا لها وَعِنايَةً بها، وبالنِّسبَةِ إلى غَيرِهِمْ مِنْ مَعَارِفَ وَأقَارِبَ وَأبناءٍ وَجِيرَانٍ مِنْ حَيثُ أَمْرِهِمْ وَنُصْحِهِمْ في هَذَا المَوْضُوعِ العَظِيمِ، كَما قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه:١٣٢].

وَعَلىٰ أئمَّةِ المَسَاجِدِ دورٌ كَبيْرٌ في ذَلِكَ؛ لأَنَّهُمْ يَضْطَلِعُونَ بمُهِمَّةٍ كُبرَىٰ، فَعَليهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِها؛ عِنَايَةً وَتفْقِيْهًا بِأحْكَامِهَا وَحِكَمِها عَلىٰ حَسْبِ قَوْلِ المُصْطَفىٰ ﷺ فِيما خَرَّجَهُ البُخاريُّ[١]: «صَلُّوا كَما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي».

وَلا بُدَّ مِنْ تَحْقِيْقِ التَّعاوُنِ بَينَ الأَئِمَّةِ وَالمَأمُومِينَ؛ وذَلِكَ بِقيَامِ كُلٍّ برِسَالتِهِ لتتَحقَّقَ النَّتَائِجُ المَرجُوَّةُ بإِذْنِ اللَّهِ.

هَذا، وصَلُّوا وسَلِّمُوا - رَحِمَكُم اللَّهُ - عَلىٰ خَيرِ مَنْ أقَامَ الصَّلاةَ، صَاحِبِ المَقَامِ المَحْمُودِ، والحَوْضِ المَوْرُودِ، واللِّوَاءِ المَعْقُودِ، كَما أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ الرَّبُّ المَعبُودُ، فَقَالَ - تعَالىٰ - قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

---

(١) برقم (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

أَرِحْنَا بِهَا

الخُطبة الأولى:

الحَمْدُ لِلَّهِ الكَبِيْرِ المُتَعَالِ أَحْمَدُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ وَأَعُوْذُ بِهِ مِنْ أَحْوَالِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلالِ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً تَنفَعُ صَاحِبَهَا فِي الحَالِ وَالمَآلِ وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ سَائِرِ الصَّحْبِ وَالْآلِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا يَسَّرَ لَكُمْ مِنَ الأَحْكَامِ وَمَا امْتَنَّ بِهِ عَلَيكُمْ مِنْ نِعَمٍ عِظَامٍ فَقَدْ شَرَعَ اللَّهُ لَكُمْ ـ **يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ** ـ مِنَ الشَّرَائِعِ أَيْسَرَهَا عَمَلًا وَأَسْهَلَهَا فِعْلًا وَأَعظَمَهَا ثَوَابًا وَأَعَمَّهَا خَيْرًا وَمِنْ أَجَلِّ هَذِهِ الفَرَائِضِ: فَرِيْضَةُ الصَّلاةِ الَّتِي فُرِضَتْ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ خَمسِينَ صَلاةً ثُمَّ خُفِّفَتْ ـ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَتَيسِيرًا وَرَحْمَةً ـ إِلَىٰ خَمْسِ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيلَةِ فَهِيَ خَمْسٌ فِي العَدَدِ وَخَمْسُونَ فِي الأَجْرِ.

وَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضْلِهَا مَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي (صَحِيحِهِ) عَنْ

عُثْمَانَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنِ امْرِئٍ مُسلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فيُحْسِنَ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤتَ كَبِيرَةٌ وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»[1].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْهُ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الخَطَايَا»[2].

هَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ! مِمَّا وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ المُقِيمِينَ هَذِهِ الفَرِيضَةَ عَلَىٰ وَجْهِهَا الشَّرْعِيِّ أَمَّا الَّذِينَ نُكِسُوا عَلَىٰ رُؤوسِهِمْ وَأَعْرَضُوا عَنْ أَمْرِ الله وَرَسُولِهِ وَتَرَكُوا هَذِهِ الشَّعِيرَةَ وَفُتِنُوا بِزَيْفِ حَضَارَةِ الكُفَّارِ وَبَرِيقِهَا الخَادِعِ؛ فَلَا أَفْظَعَ وَأَعْظَمَ مِنْ خُرُوجِهِمْ مِنْ دَائِرَةِ الإِسْلَامِ؛ لِمَا رَوَىٰ الإِمَامُ مُسْلِمٌ[3] عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ

(١) تقدم تخريجه (ص١٩٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٨١).

(٣) برقم (٨٢).

رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ**».

وَلِـمَا رَوَىٰ الإِمَـامُ أَحْمَـدُ[1] وَأَهْـلُ الـسُّنَنِ[2] عَـنْ بُرَيْـدَةَ ﷺ قَـالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْـنَهُم الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**».

فَهَلْ يَرْضَىٰ عَاقِلٌ أَنْ يُورِدَ نَفْسَهُ مَوارِدَ الكَافِرِينَ؟ هَلْ يُرِيْدُ أَحَدٌ أَنْ يكُونَ مَصِيرُهُ غَيًّا وَوَيْلًا وَسَقَرًا[3]؟

ثُمَّ هَلْ تَعْلَمُونَ - **إِخْـوَةَ الْإِسْـلَامِ** - مَاذَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ كُفْرِ تَـارِكِ الصَّلَاةِ فِي الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ؟

أَمَّا فِي الحَيَاةِ فَلَا يُصَاحَبُ وَلَا يُسَاكَنُ وَلَا يُزَوَّجُ المُسْلِمَةَ وَإِذَا مَـاتَ - تَارِكًا لَهَا - فَلَا يُغَسَّلُ، وَلَا يُصَلَّىٰ عَلَيْهِ وَلَا يُـدْفَنُ فِي مَقَـابِرِ المُسْلِمِينَ وَلَا

(١) في «المسند» (٥/ ٣٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي في «الكبرى» (١/ ٢٠٨)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وابن حبان (٤/ ٣٠٥).

(٣) سَقَر: اسم عَلَم لنار الآخرة - نعوذ بالله منها - وقيل: سميت النَّارُ سَقَرا؛ لأنها تذيب الأجسام والأرواح، وهو مأخوذ من قولهم: سَقَرَتْهُ الشمس، أي: أذابته وأصابه منها ساقور، والساقور - أيضًا - حديدة تُحمى ويُكْوى بها الحمار. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للرَّاغب، و«اللسان» (سقر).

يرِثُهُ أقارِبُهُ المُسْلِمُونَ بَلْ يُعامَلُ مَعامَلَةَ المُرْتَدِّينَ عِياذًا باللَّهِ!

أَمَّا الَّذينَ يُصلُّونَهَا ولَكِنْ لا يَحْضُرُونَ الجَماعَةَ إمَّا تهاوُنًا وكَسَلًا وَإمَّا ترَخُّصًا وبَحْثًا عَنِ المَعاذِيرِ؛ فَهَؤُلاءِ عَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ وَقَدْ عَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِوَعِيْدِ اللَّهِ ورَسُولِهِ وَحُرِمُوا مِنَ المَنافِعِ الجَمَّةِ وَالمَصالِحِ العَظِيمَةِ الَّتِي قَصَدَ الشَّارِعُ إلِيْهَا وتَركُوا الثَّوابَ والأَجْرَ الكَبِيرَ الَّذِي رُتِّبَ علَيْهَا.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّ الصَّلاةَ مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ الطَّهَارَةِ الشَّرْعِيَّةِ فَلَا صَلاةَ إِلَّا بِهَا وَقَدْ ذَكَرَهَا اللَّهُ في آيَتَي النِّساءِ وَالمَائِدَةِ وبَيَّنَها قَوْلًا وَفِعْلًا رَسُولُنَا ﷺ، وَعلَيْهِ، فَلْيُعْلَمْ أَنَّ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ العَوَامِّ الجَهَلَةِ مِنَ التَّساهُلِ في الوُضُوءِ وَالغُسْلِ أَو التَّيَمُّمِ مَعَ وُجُودِ المَاءِ، وَإِنْ كَانَ فِي الْبَحْثِ عَنْهُ عَناءٌ، فَإِنَّهُ مُنافٍ لِلشَّرْعِ وَصاحِبُهُ مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ لِلْإِثمِ والرَّدِ.

ولَـمَّا اسْتَحكَمَ ضَعْفُ الإيمانِ فِي نُفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَهامُوا فِي حُبِّ الدُّنيا والتنافُسِ فِيهَا، وَتجافُوا عَنْ آثارِ النُّبوَّةِ وَقَلَّتْ رَغْبَتُهُمْ في الدَّارِ الآخِرَةِ، أَصْبَحُوا يُؤَدُّونَ هَذِهِ الصَّلاةَ عَلىٰ غَيْرِ وَجْهِهَا الشَّرْعِيِّ؛ حَتَّىٰ ابْتُلِيَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بهَدْمِ بَعْضِ أَرْكَانِهَا - كَالطُّمَأْنِينَةِ مَثَلًا - وَأَصْبَحَ يُحاكِي الرِّيحَ فِي سُرْعَتِهِ وَالغُرابَ في نَقْرِهِ.

وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ المُسِيءَ فِي صَلَاتِهِ - لِعَدَمِ اطْمِئْنَانِهِ فِيهَا - بِإِعَادَةِ الصَّلَاةِ وَقَالَ لَهُ - ثَلَاثًا -: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»[1]. فَهَلْ يُحِبُّ مُسْلِمٌ أَنْ يُتعِبَ وَيُجْهِدَ بَدَنَهُ وَيَبُوءَ بِالخَسَارَةِ وَالإِثْمِ؟

وَهُنَا أَمْرٌ مِنَ الصَّلَاةِ هُوَ رُوحُهَا وَلُبُّهَا وَقَدْ عَزَّ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ المُصَلِّينَ؛ لِطُولِ الأَمَدِ، وَقَسْوَةِ القُلُوبِ، وَاسْتِحْكَامِ الدُّنْيَا فِي النُّفُوسِ، فَأَصْبَحَ كَثِيرٌ مِنَ المُصَلِّينَ لَا تُرَىٰ آثَارُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا يَتَسَاءَلُ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وَهَا نَحْنُ نُصَلِّي وَلَٰكِنْ لَا يَتَوَرَّعُ كَثِيرٌ مِنَ المُصَلِّينَ عَنِ ارْتِكَابِ المُحَرَّمَاتِ وَمُقَارَفَةِ الفَوَاحِشِ وَالتَّسَاهُلِ فِي الوَاجِبِ؟ وَلَا رَيْبَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَدَمِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ كَمَا شَرَعَ اللَّهُ وَسَنَّ رَسُولُهُ ﷺ، وَمِنْ أَدَاءِ الصَّلَاةِ جَسَدًا بِلَا رُوحٍ أَوْ عَلَىٰ أَنَّهَا عَادَةٌ يَفْعَلُهَا النَّاسُ.

وَلَوْ صَلَّىٰ المُصَلُّونَ الصَّلَاةَ الشَّرْعِيَّةَ، وَأَقَامُوهَا وَفْقَ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاسْتَحْضَرُوا الخُشُوعَ وَالرَّهْبَةَ القَائِمَيْنِ عَلَىٰ حُضُورِ القَلْبِ بَيْنَ يَدَي اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - مَعَ صَفَاءِ النَّفْسِ، وَالسُّمُوِّ الرُّوحِيِّ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لَنفَعَتْ وَأَثَّرَتْ وعَمِلَتْ عَمَلَهَا في قُلُوبِ النَّاسِ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ وَصَارَتْ أَكْبَرَ عَوْنٍ عَلَىٰ أُمُورِ الدُّنيَا وَالدِّينِ وَاللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٥]، وَلَكَانَتْ خَيْرَ رَافِدٍ لانحِسَارِ كَثِيرٍ مِنَ المُنْكَرَاتِ وَالمُحَرَّمَاتِ.

وَقَدْ رَتَّبَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الفَلَاحَ للمُؤْمِنِينَ وَجَعَلَ أُولَىٰ صِفَاتِهِمُ: الخُشُوعَ في الصَّلَاةِ قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون].

وَحَدِّثْ - اليَوْمَ وَلا حَرَجَ - عَنْ خُشُوعِ المُصَلِّينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الصَّلاةَ مَحِلًّا لِلْهَوَاجِسِ وَالخَوَاطِرِ وَمَرْتَعًا لِلأَفْكَارِ وَالوَسَاوِسِ وَلَا مُخَلِّصَ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا شِدَّةُ الإِقْبَالِ عَلَىٰ اللَّهِ وَصِدْقُ اللَّجَإِ إِلَيْهِ وَإِحْضَارُ القَلْبِ وَانكِسَارِهِ وَرِقَّتِهِ وَلِينِهِ وَحُرْقَتِهِ وَالتَّخَلُّصُ مِنْ مَشَاغِلِ الدُّنْيَا وَالاِسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ وَالاسْتِعَاذَةُ بِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: يَا مَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِأَداءِ الصَّلاةِ مَعَ الجَمَاعَةِ اعْلَمُوا أَنَّ لِلصَّلاةِ مَعَ الجَمَاعَةِ ضَوَابِطَ وَقَواعِدَ:

أَهَمُّهَا: الاِقْتِدَاءُ التَّامُّ بِالإِمَامِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ في الحَدِيثِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ

عَنْ أَنَسٍ ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ»[1] فَلَا تَجُوزُ مُسَابَقَتُهُ، لَا فِي خَفْضٍ وَلَا رَفْعٍ وَلَا تَكْبِيرٍ وَلَا رُكُوعٍ، وَلَا سُجُودٍ وَلَا تَسْلِيمٍ وَفَاعِلُ ذَلِكَ مُعَرَّضٌ لِبُطْلَانِ صَلَاتِهِ وَأَيُّ شَيْءٍ يَجْنِيهِ مِنْ عَمَلِهِ هَذَا سِوَى إِرْضَاءِ الشَّيْطَانِ وَاتِّبَاعِ وَسَاوِسِهِ؟

وَمِنْهَا: العِنَايَةُ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ وَإِقَامَتِهَا فَإِنَّ تَسْوِيَتَهَا مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[2].

فَاتَّقُوا اللَّهَ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - وَأَقِيمُوا دِينَكُمْ أَقِيمُوهُ عَلَى الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ، مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَلَا زِيَادَةٍ وَمِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ وَلَا تَفْرِيطٍ وَإِيَّاكُمْ وَالتَّسَاهُلَ فِي أَدَائِهِ وَالتَّقْصِيرَ فِي أَدَاءِ السُّنَّةِ فِيهِ وَالتَّشْدِيدَ فِي مَا فِيهِ سَعَةٌ وَمَنْدُوحَةٌ[3] وَقُومُوا بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ تِجَاهَ مَنْ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَهْلِ وَالأَبْنَاءِ وَالبَنَاتِ فَإِنَّهُمْ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ أَلْزِمُوهُمْ بِأَدَائِهَا تَابِعُوهُمْ وَتَفَقَّدُوهُمْ عِنْدَهَا؛ امْتِثَالًا لأَمْرِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، وَاقْتِدَاءً بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨)، ومسلم (٤١١).

(٢) كما في حديث أنس ﷺ الذي أخرجه ابن ماجه (٩٩٣).

(٣) النَّدْحُ: ما اتَّسعَ من الأَرضِ، والمَنْدُوحةُ: السَّعَة. يُنظر: «تاج العروس» (ندح).

وَالصَّالِحينَ مِنْ عِبادِ اللَّهِ يقُولُ ـ تعَالىٰ ـ عَنْ إبراهِيمَ ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وَعَنْ إسْمَاعِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [مريم:٥٥]، وَأمَرَ مُحَمَّدًا ﷺ بقَوْلِهِ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه:١٣٢].

أُمَّةَ الإسْلَامِ: نِداءٌ مِنْ هَذا المَكَانِ المُبارَكِ إلىٰ المُسْلِمِينَ في كُلِّ مَكانٍ: بِأنْ يَتَّقُوا اللَّهَ في إسْلامِهِمْ وَيُقِيمُوا عَمُودَهُ وَهُو الصَّلاةُ فَلَا حَظَّ في الإسْلامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ.

وَنِداءٌ للقَابِعِينَ في بُيُوتِهِم، المُتَشَبِّهينَ بِنِسَائِهِمْ، وَالَّذِين لَا يَحْضُرونَ الصَّلاةَ مَعَ الجَماعَةِ، وَآثَرُوا التَّسَمُّرَ أمَامَ القَنَواتِ وَالشَّبَكَات: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَيحذَرُوا فِتْنَةَ الدُّنيا وَيَحْذَرُوا تَهْدِيدَهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في قَوْلِهِ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم] وَيَتَذَكَّرُوا مَصِيرَهُمْ وَالحِسابَ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلَنْ تَقِفَ الأُمَّةُ أَمامَ أَعدائِها صَفًّا وَاحِدًا؛ إلَّا إذَا وَقفتْ أمَامَ رَبِّهَا في صُفُوفِ صَلاتِهَا. وَلَـمَّا اشْتَدَّ عَنَتُ الكُفَّارِ

وَصَلَفُهُمْ[1] أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِيَامِ اللَّيْلِ لِمَا فِي الصَّلَاةِ مِنْ زَادٍ رُوحِيٍّ كَبِيرٍ يُعِينُ عَلَىٰ مُوَاجَهَةِ أَشَدِّ الأَعْبَاءِ، وَمُقَارَعَةِ أَعْتَىٰ الأَعْدَاءِ.

وَدَعْوَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ الْمُصَلِّينَ! أَنْ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ عَلَىٰ وَجْهِهَا الشَّرْعِيِّ بِتَمَامِ الطَّهَارَةِ وَالْخُشُوعِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَسَائِرِ الأَرْكَانِ وَالوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ؛ عَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ: **«صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»**[2].

وَنَصِيحَةُ مُشْفِقٍ إِلَىٰ كُلِّ مُغْتَرٍّ بِنَفْسِهِ مُضَيِّعٍ لِفَرْضِهِ لَاسِيَّمَا مِنَ الشَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَيُؤَدُّوا هَذِهِ الفَرِيضَةَ؛ فَالآجَالُ مَحْدُودَةٌ وَالأَنْفَاسُ مَعْدُودَةٌ وَاليَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

---

(١) الصَّلَفُ: قِلَّة الخَيْر، والزيادة على المقدار مع تكبر، والصَّلِفُ: المُبْغِض. ينظر: «اللسان» (صلف).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٩٩).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلصَّلَاةِ مُكَمِّلَاتٍ وَمُتَمِّمَاتٍ تَسُدُّ خَلَلَهَا وَتَجْبُرُ نَقْصَهَا.

وَمِنْ ذَلِكَ: الْمُحَافَظَةُ عَلَىٰ السُّنَنِ الرَّوَاتِبِ فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا؛ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ كَمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ[1] عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَمِنْهَا: الْمُحَافَظَةُ عَلَىٰ النَّوَافِلِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ وَالوَتْرِ قَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل].

وَمِنْهَا: الأَذْكَارُ الشَّرْعِيَّةُ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ ثَبَتَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

---

(١) برقم (٧٢٨)، ولفظه: «ما مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ».

عِظَمُ أَجْرِ قَائِلِهَا وَأَثَرُهَا العَمِيْق عَلَىٰ قَلْبِهِ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد].

وَمِنْ هَذِهِ الأَذْكَارِ: الاسْتِغْفَارُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ عَلَىٰ الصِّفَةِ الشَّرْعِيَّةِ كَمًّا وَكَيْفًا فَقَدْ وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ(١) وغَيرِهِ(٢) أَنَّ مَنْ قَالَهَا دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ؛ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ.

وَاحْذَرُوا مَا أَحْدَثَهُ النَّاسُ فِي الصَّلَاةِ مِنَ البِدَعِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ كَالجَهْرِ بِالنِّيَّةِ - مَثَلًا - فَإِنَّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ.

وَمِنْهَا: الأَذْكَارُ الجَمَاعِيَّةُ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّهَا خِلَافُ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

---

(١) برقم (٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وقال تَمَامَ المِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٠٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٤١)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٧١)، ومالك في «الموطأ» (١/ ٢١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَمِـمَّا يَحْسُنُ التَّنْبِيهُ لَهُ: أَنَّ المَرْأَةَ المُسْلِمَةَ حَالَ صَلَاتِهَا فِي مَسَاجِدِ اللَّـهِ؛ يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَلْتَزِمَ الحِجَابَ الشَّرْعِيَّ فِي وَجْهِهَا وَكَفَّيْهَا وَتَحْذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِنَ التَّبَرُّجِ بِالزِّينَةِ وَإِبْدَائِهَا وَمُزَاحَمَةِ الرِّجَالِ وَالتَّطَيُّبِ، وَلَبْسِ المَلَابِسِ الْمُرِيبَةِ؛ فَتَرْجِعَ مَأْزُورَةً غَيْرَ مَأْجُورَةٍ وَالعِيَاذُ بِاللَّـهِ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُم اللَّهُ - عَلَىٰ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْأَنَامِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ الْـمَلِكُ الْعَلَّامُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلًا كَرِيمًا - فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، وَأَصْدَقِ الْقِيلِ -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

رَمَضَانُ: جَلَالُ أَوْصَافٍ، وَوَقْفَةُ انْتِصَافٍ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، أَحْمَدُ رَبِّي مِنَ الحَمْدِ أَكْمَلَهُ وَأَوْفَاهُ، وَأَشْكُرُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ شَرَعَ لَنَا الصِّيَامَ؛ تَحقِيقًا لِتَقْوَاهُ، وَحِصْنًا مَكِينًا دُونَ مَا يُسْخِطُهُ وَيَأْبَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ عَبْدٍ مُنِيبٍ أَوَّاهٍ، مُخْبِتٍ بِجَوَارِحِهِ وَنُهَاهُ، وَجِلٍ أَنْ يَرَاهُ رَبُّهُ حَيثُ نَهَاهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَمُصْطَفَاهُ، خَيْرُ مَنْ صَامَ يَومَهُ، وَقَامَ لَيلَهُ حَتَّىٰ تَفَطَّرَتْ قَدَمَاهُ، فَصَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ البَالِغِينَ مِنْ كَمَالِ النَّفْسِ مُنْتَهَاهُ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ وَتَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ وَاهْتَدَىٰ بِهُدَاهُ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ الاسْتِمْسَاكَ بِالتَّقْوَىٰ خَيرُ مَطِيَّةٍ وَمَنجَاةٍ، وَبُلُوغَهَا - لَدَىٰ البَرَرَةِ - أَفْضَلُ أُمْنِيَّةٍ مُرْتَجَاةٍ، هِيَ زَادُ الرُّوحِ، وَقُوتُ القُلُوبِ، وَبِهَا يُسْتَجْلَبُ المَرْغُوبُ، وَيُؤْمَنُ المَرْهُوبُ، وَتُسْتَدْفَعُ الخُطُوبُ، وَهِيَ خَيرُ مَا يُبَلِّغُ لِرِضَىٰ عَلَّامِ الغُيُوبِ.

أيُّها المُسلِمُونَ: في غَمْرَةِ المَادِّيَّاتِ، وَامْتِزَاجِ الشُّبُهَاتِ بِالشَّهَوَاتِ، تَجِمُّ[1] النَّفْسُ في رِحْلَتِهَا إِلَىٰ اللَّـهِ وَالدَّارِ الآخِرَةِ، وَيَعْتَوِرُهَا الفُتُورُ، وَتَتَخَلَّلُها الرَّتَابَةُ وَالقُصُورُ، وَلِحِكمَةٍ بَالِغَةٍ خصَّ البَارِي - جَلَّتْ حِكْمَتُهُ - هَـذِهِ الأُمَّـةَ بِمَوَاسِمَ لِلطَّاعَاتِ، وَأَزْمِنَـةٍ لِلقُرُبَاتِ، وَفُرَصٍ لِلخَيرِ سَانِحَاتٍ، مَنِ اهْتَبَلَهَا[2] وَأَنْضَىٰ[3] فِيهَا رَاحِلَةَ جَسَدِهِ؛ نَالَ الفَوْزَ وَالسَّعَادَةَ، وَبَلَغَ مَرْضَاةَ بَارِئِهِ وَزِيَادَةً، وَمَنْ تَغَافَلَ عَنْهَا وَلَهَا؛ تَصَرَّمَ[4] حَبلُ يَقِينِهِ وَوَهَىٰ، وَالنَّاسُ في ذَٰلِكَ بَيْنَ مَرْحُومٍ وَمَحْرُومٍ.

إِخْـوَةَ الإِيمَـانِ: وَمِـنْ أَجَـلِّ هَـذِهِ الأَزْمِنَـةِ المُبَارَكَـةِ، مَا مَنَّ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَيْكُمْ بِبُلُوغِهِ وَمُوَافَاتِهِ، وَأَنْتُمْ تَرْفُلُونَ[5] في ثِيَابٍ مِنَ الخَيرِ ضَافِيَةٍ، وَحَيَاةٍ آمِنَةٍ صَافِيَةٍ، إِنَّهُ شَهْرُ القُرْآنِ وَالفُرْقَانِ، شَهْرُ الصِّيَامِ وَالقِيَامِ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة:١٨٥]. هَا أَنْتُم أُوْلَاءِ

---

(١) تَجِمُّ: تستريح، وفي الحديث: «فقد جموا»، أي: استراحوا. يُنظر: «اللسان» (جمم).

(٢) اهْتَبَلَهَا: اغتنمها، الاهتبال: الاغتنام، يُنظر: «اللسان» (هبل).

(٣) يُقال: أَنْضَى فلان الدابة: إذا أتعبها وهزلها. يُنظر: «القاموس المحيط» (نضا).

(٤) التَّصَرُّم: التقطع. يُنظر: «اللسان» (صرم).

(٥) تَرفُلون: تتبخترون، رَفَلَ إزاره: إذا أسبله وتبختر فيه. يُنظر: «اللسان» (رفل).

تَتَضَوَّعُونَ[1] أَرِيجَ[2] أَيَّامِهِ العَاطِرَةِ، وَتَحْيَوْنَ لَيَالِيهِ الزُّهْرِ الغَامِرَةَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ أَغَرٌّ، هُوَ: رَوْضَةٌ بِالخَيرِ غَنَّاءُ، وَمَوْرِدٌ بِالبِرِّ وَالهُدَىٰ مِعْطَاءُ، وَمِشْعَلٌ بِالمَكْرُمَاتِ وَالهِبَاتِ لَألْاءُ.

فِي رَمَضَانَ: قُلُوبٌ أَنِسَتْ بِجَنْبِ الرَّحِيمِ الغَفَّارِ، وَأَلْسِنَةٌ لَهَجَتْ بِالتَّوبَةِ وَالدُّعَاءِ، وَالحَمْدِ وَالاسْتِغْفَارِ، نُفُوسٌ سَعِدَتْ بِالتِّلاوَةِ وَالتَّسْبِيحِ، وَتَأَلَّقَتْ بِالتَّهَجُّدِ وَالتَّرَاوِيحِ، دَأْبُهَا الخُضُوعُ وَالخُشُوعُ، وَمَحَاجِرُ أَسْهَدَهَا التَّفْرِيطُ، فَأَرْسَلَتْ أَحَرَّ الدُّمُوعِ؛ كُلُّ ذَلِكَ طَاعَةً لِلَّهِ وَابْتِغَاءً لِمَرَاضِيهِ.

وَلَكَمْ يُغْبَطُ المُوَفَّقُونَ عَلَىٰ تَذَوُّقِهِمْ حَلَاوَةَ الطَّاعَةِ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ، وَتَحْلِيقِهِمْ بِجَنَاحَي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ فِي كُلِّ أَوْقَاتِهِمْ وَحَالَاتِهِمْ. وَلَنْ يَقْدُرَ قَدْرَ هَذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ وَأَسْرَارَهُ، إِلَّا مَنْ أَنَارَ اللَّهُ بَصِيرَتَهُ، وَأَيْقَظَ حِسَّهُ، وَزَكَّىٰ نَفْسَهُ.

فَيَا لِلَّهِ! هَلْ يَسْتَقِلُّ بِوَصْفِ هَذَا الضَّيْفِ الكَرِيمِ المُبَارَكِ، أَفْصَحُ

---

(١) تَتَضَوَّعون: تتنشَّقون، يُقال: تَضَوَّع منه رائحة: تنشقها. يُنظر: «تاج العروس» (ضوع).

(٢) الأَرْجُ والأَرِيْجُ: توهُّج الريح الطَّيِّب. يُنظر: «اللسان» (أرج).

لِسَانٍ؟! أَوْ يُتَرجِمُ عَنْ أَفْضَالِهِ وَخَيرَاتِهِ أَسَاطِينُ البَيَانِ؟! كَلَّا!!

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ: إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ لَيُمَثِّلُ جَامِعَةً شَمَّاءَ[1] لِلخَيْرِ وَالبِرِّ، وَمَدْرَسَةً فَيْحَاءَ للحِلْمِ وَالصَّبرِ، وَمَنَارَةً قَعْسَاءَ[2] للإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، وَسُلَّمًا لِتَآلُفِ الأُمَّةِ وَتَعَاطُفِهَا وَتَمَاسُكِهَا. يُزَكِّي الأَرْوَاحَ، وَيَحْدُوهَا إِلَىٰ بِلَادِ الأَفْرَاحِ، وَيَسُلُّ سَخَائِمَ[3] النُّفُوسِ وَأَمْرَاضَ القُلُوبِ، وَيُرَبِّي الإِرَادَاتِ الوَاهِنَةَ عَلَىٰ الحَزْمِ وَالتَّصْمِيمِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا بِالتَّحَرُّرِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَالْانْعِتَاقِ مِنَ الْاسْتِرْسَالِ فِي الرَّغَبَاتِ وَالمَلَذَّاتِ.

وَتِلْكَ هِيَ الحِكْمَةُ العَظِيمَةُ مِنْ تَذْيِيلِ آيَةِ الصَّوْمِ بِالوَمْضَةِ الرَّائِعَةِ مِنْ وَمَضَاتِ الأُسْلُوبِ القُرْآنِي البَدِيعِ، فِي قَوْلِهِ سُبحَانَهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، أَي: إِنَّ ثَمَرَةَ جُوعِ البُطُونِ، وَظَمَإِ الهَوَاجِرِ[4] هِيَ التَّقْوَىٰ، وَكَفَىٰ بِهَا عُرْوَةً وُثْقَىٰ.

---

(١) تقدم شرحها (ص١٣٣).

(٢) قَعساء: ثابتة قوية مُمتَنِعَة. يُنظر: «تهذيب اللغة» (قعس).

(٣) سَخَائِم: جمع سَخِيْمَة، وهي: الحقد والضغينة، ومنه قوله ﷺ: «**وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**». ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر»، و«اللسان» (سخم).

(٤) الهَوَاجِرُ: جمع هَاجِرَة: وهي نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر. يُنظر: «اللسان» (هجر).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الصَّائِمُونَ: وَممَّا يَندُّ فِيهِ الفَهْمُ لَدَىٰ بَعْضِ الصَّائِمِينَ - وَهُوَ يُخَالِفُ حِكْمَةَ الصَّومِ، وَيُجافي أَصْلَ مَشْرُوعيَّتِهِ - قُصُورُ فَهْمِهِم هَذِهِ الشَّعيرَةِ العَظيمَةِ، وَحَصْرُهَا في الإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ والمُفْطِرَاتِ الحِسِّيَّةِ، مُسْتَرسِلِينَ في اقْتِرَافِ الآثَامِ، سَائِمِينَ[1] جَوارِحَهُم في مَرَاتِعِ الغِيبَةِ وَالنَّميمَةِ، وَالبَغْيِ والبُهْتَانِ، والذُّنُوبِ والعِصْيَانِ.

وَمَنْ كَانَ هَذا شَأْنُهُ في أَوقَاتٍ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ النَّفسُ فيهَا إِلَىٰ التَّزكيَةِ الرُّوحِيَّةِ، والتَّصفِيَةِ النَّفْسِيَّةِ، والتَّزوُّدِ إِلَىٰ الدَّارِ الآخِرَةِ «**فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ**»، كما صحَّ بذلك الخَبرُ عَن سَيِّدِ البَشَرِ ﷺ عِندَ البُخَارِيِّ[2] وغيرِه[3].

مَعَاشِرَ الصَّائِمِينَ: هَاهِيَ العَشْرُ الأُولَىٰ مِنْ رَمضَانَ قَدْ تَصَرَّمَتْ، وَعَشْرُهُ الثَّانية - عَشْرُ المَغْفِرَةِ - قَدْ ازْدَلَفتْ لسَاحتنا وتشَوَّفَتْ،

---

(١) أَسَمْتُ الإبل: إذا أخليتها ترعى، والسَّائِمةُ: كل ماشية تُرسل ترعى ولا تُعلف. والمقصود هنا: أنهم أطلقوا جوارحهم في المحرمات. يُنظر: «اللسان» (سوم).

(٢) برقم (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٣٦٢)، والترمذي (٧٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (٢/ ٢٣٨)، وابن حبان (٨/ ٢٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفِئامٌ مِنْ أَبْناءِ الأُمَّةِ لَا يَزالُونَ فِي غَفْلَتِهِم سَادِرِينَ[1]، وَعَنِ الخَيرَاتِ والقُرُبَاتِ مُحْجِمِينَ غَيرَ مُبَادِرِينَ، بَلْ إِنَّ الشَّهْرَ أَوشَكَ أَنْ يَنْتَصِفَ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ نَفسِهِ لَمْ يَنْتَصِفْ !! إِنَّ النَّفْسَ لَتَأْسَىٰ وَتَلْتَاعُ، أَنْ تَرَىٰ أَقوامًا - لَا سِيَّمَا مِنَ الشَّبَابِ وَالفَتَيَاتِ - يَقْطَعُونَ النَّهَارَ بِالنَّومِ مِلْءَ الأَجْفَانِ والأَحْدَاقِ، وَيقطَعُونَ اللَّيلَ بِذَرْعِ الطُّرُقَاتِ وَالأَسْوَاقِ، مُطْلِقِينَ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ.

عَجبًا لِهَؤُلَاءِ!! أَيْنَ آثَارُ الصَّوْمِ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ؟؟ أَمَا قَالَ المَوْلَىٰ سُبحَانَهُ: ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾ [الأنعام:١٢٠]، أَيْنَ دَوْرُ الرِّقَابَةِ الْأُسَرِيَّةِ، وَالرِّعَايَةِ الْأَبَوِيَّةِ؟ أَمَا آنَ لِلْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ أَنْ تَلِينَ فِي شَهْرِ الْقُرْآنِ، وَلِزَوَاجِرِ الْقُرْآنِ!!؟ ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد:١٦].

وَيْكَأَنَّ غُثَائِيَّةَ[2] الأُمَّةِ قَدْ اسْتَمرَؤوا[3] مَخَازِيَ بَعْضِ الفَضَائِيَّاتِ

---

(١) السَّادِرُ: الذي لا يهتم بشيء ولا يبالي. يُنظر: «اللسان» (سدر).

(٢) الغُثَاءُ: الهالك البالي من أوراق الشجر الذي إذا خرج السيل رأيته مخالطًا زبده. يُنظر: «اللسان» (غثا).

(٣) اسْتَمْرَؤوا: استساغوا. يُنظر: «اللسان» (مرأ).

وَسُعَارَهَا[1] وصَغَارَهَا في شَهْرِ البُطُولةِ والعِفَّة، والعِزَّةِ والكَرَامَةِ، فَلَمْ يبالُوا بِذَلِكَ بَالَة!!

وَيْحَهُمْ! إِنْ لَمْ يَتوبُوا إِلىٰ اللَّـهِ ويَؤوبُوا إِلىٰ فِقْهِ حِكَمِ الصِّيام، وَلَذَّةِ المُنَاجَاةِ في التَّهجُّدِ وَالقِيَامِ، لَمُتَبَّرٌ[2] مَا هُمْ فِيهِ مِنْ فِكْرٍ مُنهَزِمٍ وَسُلُوكٍ مُنْخَرِمٍ، واللَّـهُ المُسْتَعَانُ.

فَيَا بُغَاةَ الخَيرِ هَلُمُّوا أَقْبِلُوا، ويَا بُغَاةَ الشَّرِّ كُفُّوا وأَقْصِرُوا، لابدَّ -وَقَدْ تفاقَمَتِ الشُّرُورُ جَرَّاءَ العَوْلَمَةِ وَالانفِتَاحِ- مِنَ العِنَايَةِ بِالثَّوَابِتِ وَالتَّمَسُّكِ بالأُصُولِ، وَإِعْزَازِ جَانِبِ الحِسْبَةِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، فهُوَ طَوْقُ النَّجَاةِ وَصِمَامُ الأَمَانِ؛ لِمَا يُرْهِقُ المُجتمعاتِ مِنْ قَتَرٍ[3] وأَحزَانٍ.

أُمَّـةَ الْقُـرْآنِ: وَمِنْ مَآثِرِ هَـذَا الشَّهْرِ الْغَفِيْرَةِ: ذَلِكُمُ الِارتِبَاطُ الْوَثِيقُ بَيْنَ رَمَضَانَ وَالْقُرْآنِ، حَيْثُ انْبَثَقَ نُورُ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ رَفِيعَةِ الذِّكْرِ، عَظِيمَةِ الْقَدْرِ، هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، فِي هَـذِهِ اللَّيْلَةِ السَّنِيَّةِ

---

(١) سُعَارُهُم: شَرُّهُم. يُنظر: «اللسان» (سعر).

(٢) التَّبَارُ: الهلاك، مُتَبَّرٌ مَا هُم فيه، أي: مُكَسَّر مُهْلَك. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للرَّاغب (تبر).

(٣) القَتَر: ضيق العيش. يُنظر: «اللسان» (قتر).

اتَّصَلَ نُورُ السَّماءِ بالأَرْضِ، وأُنْزِلَ الْقُرْآنُ الْمُعْجِزَةُ الْخَالِدَةُ عَلَىٰ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَالْكَوْنُ مِنْه تَبَسُّمٌ وَضِيَاءٌ، قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة]، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠]، أَيْ: فَخْرُكُمْ وَشَرَفُكُمْ، كَيْفَ لَا!؟ وَهُوَ الْمَلَاذُ عِنْدَ الْفِتَنِ، وَالْمُنقِذُ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْمِحَنِ، لَقَدْ أَحْيَىٰ اللَّهُ بِهَٰذَا الْقُرآنِ مَوَاتَ الْأُمَمِ، وَأَنْقَذَ عَقَائِدَهَا وَأَخْلَاقَهَا مِنْ مَهَاوِي الْعَدَمِ، حَرَّرَ الْعَقْلَ الْإِنسَانِيَّ مِنْ قُيُودِ الْأَوْهَامِ، وَأَطْلَقَهُ بَاحِثًا بِنُورِ الْعِلْمِ فِي الْأَكْوَانِ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

فَلَا عَجَبَ ـ **عِبَادَ اللَّهِ** ـ أَنْ تَأَلَّقَتْ أَرْقَىٰ مَدَنِيَّةٍ عَرَفَتْهَا الْإِنْسَانِيَّةُ، وَأَرْوَعَ حَضَارَةٍ عَرَفَهَا التَّأْرِيخُ، حَضَارَةَ الْعَدْلِ وَالْفَضَائِلِ، والصِّدْقِ وَالسَّلَامِ، وَأَعْلَىٰ الْمَكَارِمِ، وَالَّتِي لَنْ تَتَحَقَّقَ لِأَرْقَىٰ الْأُمَمِ حَضَارَةً وَتِقَانَةً، إِلَّا إِذَا اقْتَبَسَتْ مِنْ أُصُولِهِ، وَسَارَتْ عَلَىٰ شُعَاعِ هَدْيِهِ وَنُورِهِ.

وَلَئِنْ جَالَ الْغَيُورُ بِالنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ ـ وَمَا لَفَّهَا مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ، وَالتَّرَدِّي فِي سَرَادِيبِ الذِّلَّةِ وَالضَّعْفِ وَالْمَهَانَةِ ـ لَعَلِمَ يَقِينًا أَنَّ مَرَدَّ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَىٰ هَجْرِ الْقُرْآنِ، وَنَبْذِ الْعَمَلِ

بِأَحْكَامِهِ وَآدَابِهِ ظِهْرِيًّا، وَالتَّجَافِي عَنْ التَّحَاكُمِ وَالرَّدِّ إِلَيْهِ.

فاتَّقوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وتَوارَدُوا عَلَىٰ كِتَابِ رَبِّكُمْ، شُعُوبًا وَدُوَلًا، شَبَابًا وَشِيبًا، عُلَمَاءَ وعَامَّةً، تِلَاوَةً وتَدبُّرًا، تَعَلُّمًا وتَفقُّهًا، وَعمَلًا وَتَخَلُّقًا، مُلْتَمِسِينَ فِيهِ الشِّفَاءَ لِأَدْوَائِكُمْ، وَالْكَبْحَ لِأَهْوَائِكُمْ، وَاقِفِينَ عَلَىٰ مَوَاطِنِ الْهِدَايَةِ الَّتِي هَدَتْ وَأَسْعَدَتْ أَسْلَافَكُمْ، سَاعَتَئِذٍ تَسْتَعِيدُونَ مَجْدَكُمْ الْغَابِرَ التَّلِيدَ[1]، وَعِزَّكُمُ الْعَتِيدَ، وَتَسْتَرِدُّون - بِإِذْنِ اللَّهِ - قُدْسَكُمُ الْفَقِيدَةَ، وَأَرَاضِيكُمُ السَّلِيبَةَ.

خَرَّجَ الْإِمَامُ مُسلمٌ فِي (صَحِيحِهِ)[2]: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»**؛ ولِهَذَا ضَرَبَ السَّلَفُ أَرْوَعَ النَّمَاذِجِ فِي الْعِنَايَةِ بِالْقُرْآنِ فِي شَهْرِ الْقُرْآنِ، وَفِي خَتْمِهِ كَثِيرًا، يَقُول الْإِمَامُ الزُّهْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: **«إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ إِنَّمَا هُوَ شَهْرُ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ»**[3] وَلَـمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ تَرَكَ الْإِمَامُ مَالِكُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَجَالِسَ الْحَدِيثِ وَالْعِلْمِ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ الْقُرْآنِ.

---

(١) تقدم شرحها (ص٧٣).

(٢) برقم (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ١١٠).

أَلَا مَا أَحْوَجَ الْخَلَفَ لِلسَّيْرِ عَلَىٰ مَنْهَجِ السَّلَفِ؛ لِيَتَحَقَّقَ لَهُمْ صَلَاحُ الْحَالِ وَالْمَآلِ!

أُمَّةَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ: وَنَعْطِفُ بِكُمْ -يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ- إِلَىٰ التَّذْكِيرِ بِيَوْمٍ أَغَرٍّ مِنْ أَيَّامِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الْخَوَالِدِ، تَحَقَّقَ فِيهِ نَصْرٌ مُؤَزَّرٌ، وَفَتْحٌ مُبِينٌ، غَيَّرَ وِجْهَةَ التَّأْرِيخِ، وَغَدَا غُرَّةً فِي جَبِينِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَبُطُولَاتِهَا، إِنَّهُ يَوْمُ الْفُرْقَانِ، الَّذِي فَرَّقَ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، يَوْمَ الْتَقَىٰ الْجَمْعَانِ، جَمْعُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، وَجَمْعُ الْكُفْرِ وَالْأَوْثَانِ، فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، فَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَهُمْ قِلَّةٌ فِي ذِلَّةٍ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، عَلَىٰ جَيْشِ الْكُفْرِ الْعَرَمْرَمِ(١).

فَكَمْ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ التَّأْرِيخِيَّةِ مِنْ مَوَاقِعَ لِلْعِبَرِ، وَمَكَامِنَ لِلْعِظَاتِ لِلْمُدَّكِرِ، مَا يَجِبُ أَنْ نَسْتَلْهِمَهُ وَنَتَبَصَّرَهُ، سِيَّمَا وَقَدْ أَحْدَقَتْ بِنَا الْفِتَنُ وَادْلَهَمَّتْ، وَتَسَوَّرَتْنَا الْمِحَنُ وَعَمَّتْ، وَنَجَمَتْ لَوْثَاتٌ فِكْرِيَّةٌ مَارِقَةً عَنِ الْمِلَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَدَاعَىٰ عَلَىٰ أُمَّتِنَا شُذَّاذُ الْآفَاقِ، وَضِئْضِئُهُمْ(٢)،

---

(١) العَرَمْرَمُ: الجيش الكبير. ينظر: «مختار الصحاح» (عرم).

(٢) الضِئْضِئ: أصل الشيء ومعدنه. يُنظر: «غريب الحديث» لابن سلام. (ضأضأ).

فِي خَرْقٍ سَافِرٍ لِلْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ، يُتَرْجِمُ عَنْ ذَلِكَ بِجَلَاءٍ: صَلَفُهُمُ[1] السَّافِرِ عَلَىٰ ثَرَىٰ فِلِسْطِينَ الْمُجَاهِدَةِ، تَقْتِيلًا وتَشْرِيدًا، وَهُمْ بِذَلِكَ يُقَدِّمُونَ لِلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ رِسَالَةً مُسَطَّرَةً بِأَحْرُفٍ سَوْدَاءَ كَالِحَةٍ، أَنَّهُمْ أَرْبَابُ الْإِرْهَابِ الدُّوَلِيِّ بِلَا مُنَازِعٍ، وَأَعْدَاءُ السَّلَامِ الْعَالَمِيِّ. وَمَا الْأَوْضَاعُ فِي بِلَادِ الرَّافِدَيْنِ بِأَحْسَنَ حَالًا مِنْ أُخْتِهَا، وَهَكَذَا فِي سَلَاسِلِ جِرَاحَاتِ أُمَّتِنَا الْمَنْكُوءَةِ[2] فِي بَعْضِ الْبِلَادِ الْأُخْرَىٰ الْمَنْكُوبَةِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَمِنْ مَوَاقِفِ التَّأَمُّلِ وَالِاعْتِبَارِ، فِي أُولَىٰ مَوَاقِفِ الْعِزَّةِ وَالِانْتِصَارَاتِ وَالْفُتُوحَاتِ، أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ الْجِدِّ وَالْمُصَابَرَةِ، وَالْعَزْمِ وَالْمُثَابَرَةِ وَالِانْتِصَارَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ قُوَّةَ الْإِيمَانِ، وَصِحَّةَ الْمُعْتَقَدِ، فَوْقَ الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ، ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ثَالِثُهَا: أَنَّ نَصْرَ اللَّهِ لَا يُسْتَجْلَبُ إِلَّا بِنُصْرَةِ دِينِهِ، قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَمَعَ مَا تَقَرَّرَ مِنْ حُرْمَةِ الشَّهْرِ الْكَرِيمِ، شَهْرِ

---

(١) تقدم شرحها (ص٢٠٨).

(٢) تقدم شرحها (ص٢٩).

الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ، وَشَهْرِ الْمَغْفِرَةِ وَالرَّحَمَاتِ، فَلَا تَزَالُ صُدُورٌ غَلَتْ مَرَاجِلُهَا[1] بِالبَغْضَاءِ وَالْحَسَدِ - وَعُقُولٌ انحَرَفَتْ عَنْ سَوَاءِ الْدِّينِ وَالرَّشَدِ - قَدْ رَكِبَتْ مَتْنَ الْغُلُوِّ والْجَهْلِ، تُحَاوِلُ زَعْزَعَةَ أَمْنِ هَذِهِ الدِّيَارِ الْآمِنَةِ، وَتَنْشُرُ الْفَسَادَ وَالْإِجْرَامَ فِي رُبَاهَا الْحَالِمَةِ، فَانْتَهَكَتْ حُرْمَةَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَامْتَشقَتْ[2] أَيْدِيهَا أَعْمَالَ الْإِرْهَابِ، وَالْعُنْفِ وَالتَّفْجِيرِ، وَأَفْعَالَ الْإِجْرَامِ وَالْإِفْسَادِ وَالتَّدْمِيرِ، فَكَانَ سَعْيُهُمْ فِي وَبَالٍ، وَشَأْنُهُمْ فِي سِفَالٍ، بِمَنِّ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، حَيْثُ رُدَّ كَيْدُهُمْ، وَأُحبطَ مَكْرُهُمْ، وَكَانَ لَهُمْ بَوَاسِلُ الْأَرْصَادِ بِالْمِرْصَادِ.

أَلَا فَلْيَعْلَمْ كُلُّ دَعِيٍّ مَأْفُونٍ[3]، سَلَكَ مَسَالِكَ الْإِجْرَامِ، لَاسِيَّمَا فِي الشَّهْرِ الْكَرِيمِ، وَالْبَلَدِ الْحَرَامِ - الَّذِي يَأْمَنُ فِيه كُلُّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ الطَّيْرُ وَالْحَيَوَانُ وَالشَّجَرُ وَالنَّبَاتُ وَالْجَمَادُ، فَكَيْفَ بِالْمُسْلِمِ - أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - فَاضِحُهُ لَا مَحَالَةَ، وَحَافِظُ هَذِهِ الدِّيَارَ الْمُبَارَكَةَ مِنَ الْكَائِدِينَ الْمُفْسِدِينَ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج].

---

(١) المَرَاجِل: جمع مِرجَل؛ وهو: الإناء الذي يُغلى فيه الماء. يُنظر: «اللسان» (مرجل).

(٢) امْتَشَقَ الشَّيءَ: أخذه بخفَّةٍ، أو: اختطفه واختلسه. يُنظر: «اللسان» (مشق).

(٣) تقدم بيان معناها (ص١٠٠).

وَهَيْهَاتَ أَنْ يَكُونَ إِصْلَاحٌ مُرْتَجَىٰ، بِإِثَارَةِ الشَّغَبِ وَالْفَوْضَىٰ، وَسُلُوكِ مَسَالِكِ الْعُنْفِ، وَحَمْلِ السِّلَاحِ، وَزَعْزَعَةِ الْأَمْنِ وَالْإِنْتِحَارِ بِأَخِرَةٍ.

نَسْأَلُ اللَّهَ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ، لَاسِيَّمَا فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَالزَّمَنِ الْحَرَامِ، فَرُحْمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ، واللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ! وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الرَّدَىٰ بَعْدَ الْهُدَىٰ!

وَمَنْ تَفَطَّنَ لِآثَارِ تِلْكَ النَّابِتَةِ النَّشَازِ، اسْتَشْعَرَ أَهَمِّيَّةَ الْعِنَايَةِ بِالْجِيلِ، وَتَرْبِيَةِ النَّشْءِ عَلَىٰ مَنْهَجِ الْوَسَطِيَّةِ وَالْاِعْتِدَالِ، وَتِلْكَ مَسْؤُولِيَّةٌ مُهِمَّةٌ، مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَالْأُسْرَةِ وَالْمَدْرَسَةِ، وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ؛ لِيُؤَدِّيَ كُلٌّ دَوْرَهُ التَّرْبَوِيَّ؛ صَلَاحًا وإِصْلَاحًا، وَاللَّهُ الْمَسْؤُولُ أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ، وَيُعْلِيَ كَلِمَتَهُ، وَيَحْفَظَنَا وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، إِنَّهُ خَيْرُ مَسْؤُولٍ وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي ولَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحَمْدُ لِلَّـهِ الَّـذِي يَسَّرَ مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ؛ لِلْيُسْرىٰ، وَمَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ؛ لِلْعُسْرىٰ، وَأَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلـهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَـهُ، أَوْجَـبَ الزَّكَـاةَ لِإِغَاثَـةِ الْـمُحْتَاجِ وَالْـمَلْهُوفِ، وَدَفْعًـا لِلنَّوائِـبِ وَالصُّرُوفِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّـهِ وَرَسُولُهُ، أَجْـوَدُ النَّاسِ بِالنَّدىٰ وَالْـمَعْرُوفِ، صَلَّىٰ اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَعَلَىٰ آلِه وَصَحْبِهِ الْبَاذِلِينَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْدِيهِمْ كُلَّ الصُّنُوفِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُـوا اللَّـهَ أَيُّهَـا الْـمُسـلِمُونَ، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّـهُ - أَنَّ مَنْ صَامَ حَقًّا، وَقَامَ لِلَّـهِ صِدْقًا، رَقَّ قَلْبُه، وَلَانَ طَبْعُهُ، وَحَلَّقَتْ فِي مَدَارَاتِ الطُّهْرِ رُوحُهُ، وَأُرْهِفَتْ أَحَاسِيسُهُ، وَجَاشَتْ بِالْبَذْلِ نَفْسُهُ، وَفَاضَتْ بِالْعَطَاءِ كَفُّهُ، فاغْتَنِمُوا - وَفَّقَكُمُ اللَّـهُ - هَـذَا الشَّهْرَ لِلْاِسْتِجَابَةِ لِثَالِـثِ أَرْكَانِ الدِّينِ، أَلَا وَهُوَ الزَّكَاةُ، فَإِنَّمَا هِـيَ قَرِينَـةُ الصَّلَاةِ فِي كِتَابِ اللَّـهِ، وَهِيَ فِي الْـمُجْتَمَعِ - لَعَمْرُ الْـحَقِّ - مُوَاسَاةٌ وَتَـرَاحُمٌ وَتَلَاحُـمٌ وَنَـمَاءٌ، لَاجِبَايَـةٌ وَإِعْنَـاتٌ وَعَنَـاءٌ، قَـالَ سُـبْحَانَهُ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أَلَا فَجُودُوا أَيُّهَا الْكُرَمَاءُ النُّبَلَاءُ،

مِمَّا أَفَاضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، وَابْسُطُوا بِالنَّوَالِ وَالعَطَاءِ الأَيَادِيَ، لِتُبَدِّدُوا بِذَلِكَ هُمُومَ الْمَدِينِينَ، وَعَوَزَ الْمُحْتَاجِينَ، وَخَصَاصَةَ الْمَكْرُوبِينَ، وَلِتَفُوزُوا بِأَغْلَى الْمِنَنِ: مَرْضَاةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ وَعَدَ ـ سُبْحَانَه ـ الْمُنْفِقِينَ بِالْخَلَفِ الْجَزِيْلِ، فَقَالَ ـ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ـ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ].

يُذَكِّرُ بِذَلِكَ ـ **أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ** ـ فِي الْوَقْتِ الَّذِي اشْتَدَّتْ فِيهِ الْحَمَلَاتُ الضَّارِيَةُ عَلَى أُمَّتِنَا، وَشُوِّهَتِ الأَعْمَالُ الْخَيْرِيَّةُ وَالإِغَاثِيَّةُ، مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَفُتَّ[1] فِي الْأَعْضَادِ، وَلَا يُثَبِّطَ الْهِمَمَ وَالْعَزَائِمَ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ ذَلِكَ تَحْتَ مَظَلَّةٍ مَأْمُونَةٍ، وَجِهَاتٍ مَوْثُوقَةٍ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي التَّنَافُسِ فِي الْخَيْرِ، وَالتَّسَابُقِ إِلَيهِ أُسْوَةً حَسَنَةً فِي نَبِيِّكُمْ ﷺ، حَيْثُ **«كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»**[2].

---

(١) يَفُتُّ: يَدُقُّ الشيء ويكسره حتَّى يصير فتيتًا، ويُقال: فَتَّ في عَضُدِه: إذا أوهن قُوَّتَه وأساء إليه. يُنظر: «معجم مقاييس اللغة» (فت).

(٢) أخرجه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما.

بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ، وَأَخْلَفَ عَلَيْكُمْ خَيْرًا، وَوَقَى أُمَّتَنَا الْفِتَنَ وَالغَوَائِلَ[1]، وَالشُّرُورَ وَالْقَلَاقِلَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُم اللَّهُ - عَلَىٰ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ - سَيِّدِ الأَنَامِ، خَيْرِ مَنْ صَلَّىٰ وَصَامَ، وَأَفْضَلِ مَنْ تَهَجَّدَ لِلَّهِ وَقَامَ - كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ الْمَلِكُ الْعَلَّامُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

(١) الغَوَائِلُ: الدَّواهي والمهالك. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للرَّاغب، و«القاموس المحيط» (غول).

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الْمُمَجَّدِ، خَلَقَ الْبَرِيَّةَ مِنْ عَدَمٍ وَأَوْجَدْ، وَهَدَانَا إِلَىٰ السَّبِيلِ الْأَقْوَمِ الْأَرْشَدِ فَيَا بُشْرَىٰ لِمَنْ يَسْعَىٰ لِمَرْضَاةِ رَبِّهِ وَيَجْهَدُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً لَا يُعَادِلُهَا تِبْرٌ وَلَا عَسْجَدٌ[1]، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ مَنْ صَامَ وَقَامَ وتَهَجَّدَ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمنْ تَبِعَهُ مِنْ صَفْوَةِ الْمَلَإِ، فَفَازَ بِالْجِنَانِ الْعُلَا وَأَمْجَدَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا أَتَاهُمْ بِالْخَيْرَاتِ بَاغٍ وَأَنْجَدَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَىٰ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّ التَّقْوَىٰ مِرْقَاةُ النَّجَاةِ، وَمِشْكَاةُ الْهُدَاةِ، وَأَزْكَىٰ بِضَاعَةٍ مُرْتَجَاةٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَخَيْرُ ذُخْرٍ عُدَّ لِلْمُلِمَّاتِ، وَهَا هِيَ قَدْ تَدَانَتْ لَكُمْ دَوَاعِيهَا، فَيَا فَوْزَ وَاعِيهَا! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

---

(١) العَسْجَدُ: الذهب، وقيل: اسم جامع للجوهر كله. يُنظر: «اللسان» (عسجد).

﴿وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: مُنْذُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ، قَدَّرَ الْبَارِئُ - جَلَّ وَعَلَا - الْمَنَازِلَ فَحَبَانَا بِشَهْرٍ كَرِيمٍ ذِي خَيْرٍ عَمِيمٍ، وَضَيْفٍ مُبَجَّلٍ أَثِيرٍ، هَفَتْ لَهُ الأَشْوَاقُ، وَتَلَقَّتْهُ بِالْعَبَرَاتِ الأَحْدَاقُ، شَهْرٌ أَرْسَلَ أَنْوَارَهُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ الْمُؤْمِنَةِ الرَّضِيَّةِ، فَغَشِيَ أَقْطَارَهَا بِالتَّقْوَىٰ وَالْحُبُورِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهَا مِنْ نَفَحَاتِهِ فَجَلَّلَهَا بِالرَّشَدِ الطَّهُورِ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾[البقرة:١٨٥]، فِي رَمَضَانَ نُورُ الْإِيمَانِ يُشِعُّ وَيُضِيءُ، وَنَفَحَاتُ الْوَحْيِ الْمُبَارَكَاتُ تَمْضِي وَتَجِيءُ، فَالْأَوْقَاتُ بِالطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ مَعْمُورَةٌ، وَالْأَرْوَاحُ بِالطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ بَهِجَةٌ مَغْمُورَةٌ، الْأَجْسَادُ عَنْ شَهَوَاتِهَا وَمَلَذَّاتِهَا تَخَلَّتْ، وَالْأَرْوَاحُ بِحُلَى الْقُرُبَاتِ تَوَشَّتْ وَتَحَلَّتْ وَلِلْخَيْرِ الْجَمِيمِ[١] شَمَّرَتْ وَتَجَلَّتْ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ بِمَقَاصِدِهِ وَخَصَائِصِهِ، وَعَبَقِ ذِكْرَيَاتِهِ، لَهُوَ مَبْعَثُ عِزِّنَا، وَمَنَاطُ فَخْرِنَا، وَمَرْفَأُ جِدِّنَا وَمَجْدِنَا، تَضَمَّنَ الْبُطُولَاتِ وَالْفُتُوحَاتِ، وَتَنَزُّلَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، فِيهِ عُلُوُّ الْأَمْجَادِ،

(١) الجميم: الكثير من كل شيء. يُنظر: «اللسان» (جمم).

وَالظُّهُورُ عَلَىٰ قُوَىٰ الشِّرْكِ وَالطُّغْيَانِ، مَهْمَا أَجْلَبُوا بِالْخَيْلِ وَالْعَتَادِ.

وَفِي الْجُمْلَةِ ـ يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ ـ هُوَ مَوْسِمٌ لِتِجَارَةٍ مَعَ اللَّهِ رَابِحَةٍ وَفُرْصَةٌ ـ لِرَفْعِ الدَّرَجَاتِ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ ـ مُوَاتِيَةٌ سَانِحَةٌ، مَنْ ضَيَّعَهَا فَقَدْ أَدْنَىٰ بَخْسَهُ(١)، وَأَشْقَىٰ الْمَحْرُومُ نَفْسَهُ.

أَمَا كَانَ بَيْنَنَا أَتْرَابٌ(٢) أُسْلِمُوا لِلتُّرَابِ؟ كَانُوا كَالشُّمُوسِ بَيْنَنَا والْأَقْمَارِ، قَدْ طَوَاهُمُ الْبَوَارُ(٣) إِلَىٰ دَارِ الْقَرَارِ!!

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ فُرْسَانُ الْكَلَامِ، وَحُذَّاقُ النِّثَارِ(٤) وَالنِّظَامِ، يَصِفُونَ لَيَالِيَهُ الزُّهْرِ البَاهِرَةِ، وَآلَاءَ أَيَّامِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، بَلْ مَا لَا يَكَادُ يُحْصَىٰ مِنْ صُنُوفِ الْخَيْرِ وَدُرُوبِ الْهُدَىٰ؟! وَلَا تَسَلْ عَنْ غُرَّةِ(٥) جَبِينِهِ: لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: ذَلِكُمْ هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ وَذَلِكُمْ فَحْوَاهُ(٦)

---

(١) بَخَسَهُ يبخَسُهُ بَخْسًا: نقصهُ وظلَمهُ. يُنظر: «اللسان» (بخس).

(٢) التِّرْبُ: المماثل في السن، والجمع: أتراب. ينظر: «القاموس المحيط» (ترب).

(٣) البَوَارُ: الهلاك. ينظر: «اللسان» (أبر).

(٤) النِّثَارُ: الكلام المنثور. يُنظر: «اللسان» (نثر).

(٥) الغُرَّةُ من كلِّ شيءٍ: أَوَّله وأكرمه. يُنظر: «تاج العروس» (غرر).

(٦) فحوى الكلام: ما ظهر للفهم من مطاوي الكلام، والمراد هنا: جَوْهَرُهُ. ينظر: «مقاييس اللغة» (فحو).

وَمَبْنَاهُ. وَإِنَّ الْغَيُورَ لَيَتَسَاءَلُ فِي لَهْفٍ لَهِيفٍ: هَلِ اسْتَطَاعَتْ أُمَّتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ أَنْ تَعِيَ حَقِيقَةَ الصَّوْمِ بِكُلِّ مَلَامِحِهَا وَدَلَائِلِهَا، مِنْ وَشْيٍ[1] لِلنَّقْلِ، وَجَلَاءٍ لِلْعَقْلِ، وَصَفَاءٍ فِي الْقَلْبِ، وَأُنْسٍ لِلرُّوحِ، وَوَعْيٍ مُقْتَرِنٍ بِالتَّقْوَىٰ، وَعِلْمٍ مُتَّصِلٍ بِمَخَافَةِ الْمَوْلَىٰ - جَلَّ وَعَلَا - هَلْ أَدْرَكْنَا أَنَّ لِشَهْرِ رَمَضَانَ نُورًا يَجْدُرُ أَنْ تَسْتَضِيءَ بِهِ النُّفُوسُ وَالْقُلُوبُ؟ فَتُثَبِّتَ الْأُمَّةُ أَقْدَامَهَا عَلَىٰ طَرِيقِ التَّغْيِيرِ، بِوَعْيٍ لَا تَشُوبُهُ رَغَبَاتٌ، وَبِثَبَاتٍ لَا يُعَكِّرُهُ ارْتِجَالٌ وَثَبَاتٍ! أَمْ أَنَّ حَظَّنَا مِنْ رَمَضَانَ هُوَ الِاسْمُ الْمَعْرُوفُ وَالزَّمَنُ الْمَأْلُوفُ وَصِلَةُ الْمُنَاسَبَةِ الْمُنْبَتَّةِ عَنِ الْوَاقِعِ وَالْحَالِ حِينَ تُشْرِقُ الشَّمْسُ أَوْ يُطِلُّ الْهِلَالُ.

وَيَا للهِ! كَمْ نَسْعَدُ وَنَغْتَبِطُ بِشَهْرِ رَمَضَانَ حِينَ نَجْعَلُ مِنْهُ دَوْرَةً زَمَنِيَّةً خَيِّرَةً قَوِيَّةً؟ تَقُودُنَا إِلَىٰ تَحْقِيقِ الذَّاتِ، وَالنُّصْرَةِ عَلَىٰ الْمُعْتَدِينَ بِيَقِينٍ وَثَبَاتٍ، وَمَا أَعْظَمَهُ حِينَ ذَاكَ خَيْرًا يُصْنَعُ، وَدَرَجَةً أَثِيلَةً[2] تُنَالُ.

أُمَّةَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ: وَمِمَّا يُؤْسَىٰ لَهُ - فِي شَهْرِ الْغُفْرَانِ، وَالْعِتْقِ

---

(١) وَشْيُ الشيء: تحسينه وتهذيبه. وَشَى الثَّوبَ: نَمْنَمَهُ وَنَقَشَهُ وَحَسَّنَهُ. يُنظر: «اللسان» (وشي).

(٢) يُقال: مَجْدٌ أَثِيلٌ، أي: مُتَأَصِّلٌ فِي الشَّرَفِ. فالأثيل: كل شيء له أصل قديم. ينظر: «اللسان» (أثل).

مِنَ النِّيرَانِ - أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْـمُسْلِمِينَ - هَدَاهُمُ اللَّهُ - طَاشَتْ عَنْ أَفْهَامِهِمْ كَثِيرٌ مِنْ حَقَائِقِ الصَّوْمِ وَمَضَامِينِهِ وَمَرَامِيهِ، فَحَبَسُوا الْجَوْفَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَحَسْبُ، وَرَاحُوا يُطْلِقُونَ فِي الْـمُحَرَّمَاتِ الْبَصَرَ، وَلَمْ يَصُونُوهُ عَنْ فُضُولِ النَّظَرِ، وَتَقَحَّمُوا حِمَىٰ اللِّسَانِ، وَلَمْ يَرْعَوُوا[1] عَنِ النَّمِيمَةِ وَالْغِيبَةِ وَالْبُهْتَانِ، وَاللَّغْوِ وَهُجْرِ الْقَوْلِ وَالْهَذَيَانِ.

وَمَنْ تَوَافَىٰ عَلَىٰ هَذَا الشَّأْنِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ - كَانَ كَمَنْ شَادَ قَصْرًا وَهَدَمَ مِصْرًا؛ خَرَّجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»[2] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»**، وَيُطَوِّحُ بِكَ الشَّجَنُ[3] وَالشَّجَىٰ، حِينَ تَسْمَعُ عَنْ فِئَامٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ قَدْ غَدَوْا أَحْلَاسَ[4] اللَّذَّةِ، يَكْرَعُونَ[5] مِنْ صَرَىً[6] بَعْضِ الْفَضَائِيَّاتِ

---

(١) لم يَرْعَوُوا: لم يكفوا ولم ينزجروا. يُنظر: «اللسان» (رعي).

(٢) برقم (١٩٠٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) الشَّجَن: الهمُّ والحزن. ينظر: «اللسان» (شجن).

(٤) يُقال: فلان من أحلاس البلاد: إذا لم يزايلها من حُبِّه إياها، والمراد بـ(أحلاس اللذة) أي: مولعين باللذة وملازمين لها. يُنظر: «اللسان» (حلس).

(٥) يُقال: يَكْرَعُ الماء: إذا تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بِكَفَّيه ولا بإناء. يُنظر: «اللسان» (كرع).

(٦) الصَّرَىٰ: ما طال مُكْثُهُ ففسد وَأَسِن. يُنظر: «الصحاح» (صَرَى).

الْمُسِفَّةِ، فِي قَرَمٍ[1] وسُهوم[2]، ويرمِّدُون أَبْصَارَهُمْ - فِي نَهَمٍ - بِقتَامِها[3] الْأَدْفَرِ[4] - عِياذًا باللَّهِ - أَلَمْ يَعْلَمْ هَؤُلاَءِ أَنَّ هَذِهِ الْفَضائِيَّاتِ الْحَوَاطِمَ[5]، شِرَاعٌ يَدْفَعُ سَفِينَتَنَا لِمَا فِيهِ حَتْفُ شَبَابِنا وَفَتياتِنَا وَجُرْثُومَةٌ خَطِيرَةٌ تُصَدِّعُ وَادِيَ فَضَائِلِنَا وَعِفَّتِنَا.

أَلَا فَلْيَتَّقِ اللَّه - فِي شَهْرِ التَّنْزِيلِ وَالتَّرْتِيلِ - الَّذِينَ نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ حُدَاةً[6] لِلْغَرائِزِ وَالشَّهَوَاتِ فِي بَيْدَاءِ الْحَيَاةِ، يُلْهِبُونَهَا إذا سَكَنَتْ، ويُضْرِمُونَهَا إِنْ خَمَدَتْ - يَا وَيْحَهُمْ! - لَا العَبْرَةَ أَرَاقُوا، وَلاَ عَلَى زَوَاجِرِ الْقُرْآنِ أَفَاقُوا! أَلاَ فَلْنَعُدْ جَمِيعًا إِلَى رِبَاطِ الْفَضَائِلِ وَالطُّهْرِ وَالْعَفَافِ، فَنَحْزِمَ بِهِ أُمُورَنَا، وَنُوَثِّقَ بِهِ رَوَابِطَنَا، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الحِزَامُ

---

(١) القَرَمُ: شِدَّة الشَّهوة. يُنظر: «اللسان» (قرم).

(٢) السُّهُومُ: مصدر (سَهَمَ)، وسهم الرجل: تغير لونه عن حاله لعارضٍ من همٍ أو هُزالٍ. والسُّهامُ: الضُّمُور والتَّغَيُّر. يُنظر: «اللسان» (سَهَمَ).

(٣) الْقَتَامُ: الْغُبَارُ الأَسْوَدُ، يُقال: ارتفع القتام حتى خفيت الأعلام. ينظر: «الصحاح» (قتم).

(٤) الدَّفَرُ: النتن. ينظر: «اللسان» (دفر).

(٥) الحَواطِمُ: التي تكسر الدِّين وتحطِم الهُدى والرَّشاد. يُنظر: «اللسان» (حطم).

(٦) الحُدَاةُ: الرعاة، الذين يَسُوُّقون الإِبِل بالغِنَاء. يُنظر: «اللسان» (حدا).

الطِّبْيَيْنِ[1]، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

أُمَّـةَ الْقُـرْآنِ: وَمِنْ خَصَائِصِ هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ تَرْتِيلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ ﴾ [القدر]، نَعَمْ! نَزَلَتِ الآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ فَأَنَارَتِ الدُّنْيَا، وَكَانَتْ غَارِقَةً فِي لُجَّةِ[2] الظَّلَامِ، غَيَّرَتِ الْجَهْلَ وَالْهَمَجِيَّةَ، إِلَىٰ قِمَّةِ الْحَيَاةِ الإِنْسَانِيَّةِ، فِي عَدْلٍ شَامِلٍ، وَعِلْمٍ نَافِعٍ، وَوَعْيٍ مُتَكَامِلٍ، وَأَرْوَىٰ هَذَا الْكِتَابُ الْمُبِينُ الْعَالَمَ بِمَائِهِ، وَمَا مَاؤُهُ إِلَّا الْخَيْرُ الْمَحْضُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، وَالصَّلَاحُ وَالنَّفْعُ وَالسَّعَادَةُ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَالْمُضِيُّ بِهَا فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ وَالنُّورِ. أَعْجَزَتْ كَلِمَاتُه الْبُلَغَاءَ، وكَاعَ[3] دُونَ نَظْمِهَا الفُصَحَاءُ، فَأَلْفَاظُهُ وَمَعَانِيهِ إِلَيْهَا الْمُنْتَهَىٰ، وَبَلَاغَتُهُ حَيَّرَتْ أُولِي الْأَلْبَابِ وَالنُّهَىٰ: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ [هود].

---

(١) تقدم بيان معناها (ص٣٠).

(٢) لُجَّة الشيء: معظمه. يُنظر: «تاج العروس» (لجج).

(٣) يُقال: كَاعَ عن الشَّيْءِ أي: هابه وجبن عنه؛ كقولنا: كاع عن تسلُّق الجبل. ينظر: «اللسان» (كيع).

فَهَلْ تَعِي الْأُمَّةُ دَوْرَهَا تُجَاهَ كِتَابِ رَبِّهَا فِي أَفْضَلِ شُهُورِهَا، خُصُوصًا فِي هَذَا الْمُنْعَطَفِ الْخَطِيرِ، وَهَذِهِ الْحِقْبَةِ التَّأْرِيخِيَّةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا، وَفِي هَذِهِ الْآوِنَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِيهَا شِرْذِمَةٌ مِنْ شُذَّاذِ الْآفَاقِ - مَبَاءَةَ[1] كُلِّ خِسَّةٍ وَلُؤْمٍ - رَمَىٰ بِهِمْ حِقْدُهُمُ الْأَسْوَدُ اللَّامَحْدُودُ، وَكَيْدُهُمُ الْأَحْمَرُ الْمُتَفَاقِمُ، لِمُعَارَضَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالتَّطَاوُلِ عَلَىٰ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْأَحْكَامِ الْقُدْسِيَّةِ، وَالْجَنَابِ الْمُحَمَّدِيِّ، فِي هَرْطَقَاتٍ[2] يَزْعُمُونَ أَنَّهَا (الْفُرْقَانُ الْحَقُّ)، وَ مَا هِيَ إِلَّا (الْفُرْقَانُ الْخَلَقُ[3]): ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف]، ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة].

وَلَيْسَ بِدْعًا أَنْ يُؤَلِّفَ الْقَوْمُ مَا أَلَّفُوا، وَأَنْ يَرْتَكِبُوا مِنَ الِافْتِرَاءَاتِ وَالْخُزَعْبِيلَاتِ مَا ارْتَكَبُوا، فَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا، وَكَتَمُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ، وَحَرَّفُوا التَّوْرَاةَ وَبَدَّلُوهَا، كَيْفَ لَا!؟ وَقَدْ

---

(١) باء إلى الشيء: رجع إليه، والمباءة: المرجع. يُنظر: «اللسان» (بوأ).

(٢) هرطقات: جمع هَرْطَقَةً، وهي كلمة يونانية، يُعنى بها: الْبِدَعُ الْمُخَالِفَةُ لأُصُولِ الدِّينِ. ينظر: «ويكيبديا ـ الموسوعة الحرة» (هرطق).

(٣) تقدم بيان معناها (ص١٩١).

فَضَحَ اللَّـهُ خَلائِقَهُـمْ وَنِيَّاتِهِمْ، وَلَمْ يُغَـادِرِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً مِمَّـا تَنْطَوِي عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ مِنَ الْخُبْثِ وَالْـمَكْرِ إِلاَّ أَوْضَحَهَا وَجلاَّهَا: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة]، وَإِنَّ مَا أَتَوْهُ مِنْ أَبَاطِيلَ، وَمَا افْتَرَوْهُ مِنْ تَضْلِيلٍ، لأَنْزَلُ رُتْبَةً مِنْ أَنْ يُتَنَاوَلَ بِرَدٍّ أَوْ نِقَاشٍ، فِي هَذَا الْـمَكَانِ الأَقْدَسِ، **«فَلَيَبْلُغَنَّ هَذَا الدِّينُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ»**(١)، وَلَكِنْ عَلَيْنا أَنْ نُدْرِكَ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ إِصَابَتَنَا - وَمَا هُمْ بِبَالِغِينَ - فِي مُقَدَّسَاتِنَا وَثَوَابِتِنَا، وَكِتَابِنَا الَّذِي أَيْقَنُوا أَنَّـهُ حَيَاتُنَـا وَنَجَاتُنَـا، وَأَنَّا بِهِ صِرْنَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَأَنَّهُ النُّورُ وَالضِّيَاءُ لِلْعَالَـمِينَ.

وَلَعَلَّ هَذِهِ الصَّوَاعِقَ وَالرُّعُودَ، نَجْنِي مِنهَا - بِإِذْنِ اللَّـهِ - يَانِعَ الثَّمَرِ وَالْـوُرُودِ، فَتُـوقِظَ فِينَـا الاِسْتِمْسَاكَ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْخَالِـدِ، وَالاِعْتِصَامَ بِأَحْكَامِهِ وَأَوَامِرِهِ، وَأَنْ نَتَوَاصَىٰ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهِ فِي شُؤُونِنَا كَافَّـةً: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧].

مَعَاشِـرَ الصَّـائِمِينَ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٣٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ١٨١) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

[الأحزاب:٢١]، وَإِنَّ مِنْ كَمالِ هَدْيِهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ: الْبَذْلَ وَالْإِنْفَاقَ، قَالَ الْإِمَامُ الْمَاوَرْدِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مُنِحَ ﷺ مِنَ السَّخَاءِ وَالْجُودِ، حَتَّىٰ جَادَ بِكُلِّ مَوْجُودٍ، وَآثَرَ بِكُلِّ مَطْلُوبٍ وَمَحْبُوبٍ»[١].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن]، وَمَا الْإِنْفَاقُ وَالإِحْسَانُ - فِي هَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ الْمَيْمُونِ - لِلْمُعْوِزِينَ[٢] والْمُعْسِرِينَ والْمَدِينِينَ، إِلَّا دَلِيلُ حُبٍّ شَفِيفٍ، وَإِيمَانٍ مُزْهِرٍ رَفِيفٍ[٣]، يَحْمِلُ النَّفْسَ عَلَىٰ الْمَشَاعِرِ الرَّقِيقَةِ الْحَانِيَةِ، فَتَسْرِي فِي الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ كَالرِّيحِ الرُّخَاءِ[٤]، فَتُبْذَلَ فِي نَدَاوَةٍ وَرَخَاءٍ، فَمُدُّوا أَيْدِيَكُمْ لِإِخْوَانِكُمْ بِالْعَطَاءِ، تَحُوزُوا مَرْضَاةَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

وَإِنَّا - أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ - إِذْ نَقْرَعُ مَعَكُمْ بَابَ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ، وَنُشْرِعُ

---

(١) يُنظر: أعلام النبوة (ص٣٠٢).

(٢) رَجُلٌ مُعْوِزٌ: أي: فَقِيرٌ، مُحْتَاجٌ. يُنظر: «أساس البلاغة» (عوز).

(٣) رَفِيفٌ: لامع متلألئ. يُنظر: «أساس البلاغة» (عوز).

(٤) الرُّخَاءُ من الريح: اللينة السريعة، لا تزعزع شيئًا، وفي التنزيل: ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن»، و«اللسان» (رخى).

دُونَكُمْ قَنَاةَ الْحُبِّ وَاللُّطْفِ؛ لَنَقُولُ: شَاهَتْ وُجُوهُ الشَّانِئِينَ[1] عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ وَالْإِغَاثِيَّةِ، الَّتِي يَفُوحُ شَذَاهَا فِي هَذِهِ الدِّيَارِ الْمُبَارَكَةِ.

وَلَسْتُمْ - يَا بُغَاةَ الْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ - الَّذِينَ تَفُلُّ فِي هِمَمِكُمْ وَعَزَائِمِكُمْ الْأَرَاجِيفُ[2] وَالِافْتِرَاءَاتُ، وَالْأَكَاذِيبُ وَالْمُثَبِّطَاتُ[3]، وَلَا يُنَافِي هَذَا ضَبْطَ الْمَوَارِدِ وَالْمَصَارِفِ وَتَرْشِيدَهَا، وَإِنَّنَا لَنَحْمَدُ اللَّهَ أَنَّ الْهَيْئَاتِ الْمَوْثُوقَةَ كَثِيرَةٌ، وَالْمُؤَسَّسَاتِ الْأَمْنِيَّةَ عَدِيدَةٌ، فَلَا تُمْسِكْ - يَا مُحِبُّ - الْكَفَّ، لَعَلَّكَ عَنِ النَّارِ تُذَادُ وَتُكَفُّ، بِمَنِّ اللَّهِ وَكَرَمِهِ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَإِنَّكُمْ إِذْ تَعِيشُونَ شَرَفَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَتَنْعَمُونَ بِطِيبِ الْمَقَامِ وَوَارِفِ الْأَمَانِ، فِي هَذِهِ الْأَجْوَاءِ الْعَبِقَةِ[4] الْأَرِيجَةِ، وَالْجِوَاءِ[5] الْمُنَشَّرَةِ الْبَهِيجَةِ، لَا مَعْدَىٰ لَنَا عَنْ تَذَكُّرِ إِخْوَانِنَا

---

(١) تقدم بيان معناها (ص١٠١).

(٢) الأَرَاجيف: الأخبار الكاذبة السيئة. ينظر: «اللسان» (رجف).

(٣) يُقال: مُثَبِّطٌ لِلْعَزَائِمِ، أي: مُحْبِطُهَا، مَنْ لاَ يُشَجِّعُ عَلَى القِيَامِ بِشَيْءٍ. ينظر: «اللسان» (ثبط).

(٤) يُقال: رجُلٌ عَبِقٌ وامرأة عَبِقَةٌ: إذا تطَيَّبا بأدنى طيبٍ لم يَذْهَبْ عنهما أيامًا. يُنظر: «القاموس المحيط» (عبق).

(٥) الجِوَاء: الفرجة التي بين محلة القوم، وسط البيوت. يُنظر: اللسان (جوا).

الْـمَكْلُومِينَ[1] بِحَسْرَةٍ تَكْوِي أَكْبَادَ الْغَيُورِينَ، وَتُدْمِي أَفْئِدَةَ الْـمُلْتَاعِينَ[2]، فِي أُولَىٰ الْقِبْلَتَيْنِ، وَمَسْرَىٰ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، حَيْثُ يَسُومُهُمْ جَلَاوِزَةُ[3] الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ ـ دُونَ حَسِيبٍ أَوْ رَقِيبٍ ـ الْقَهْرَ وَالتَّدْمِيرَ، وَالْقَصْفَ وَالتَّفْجِيرَ، وَمَا لاَ يَخْطُرُ بِبَالٍ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ، فَهَلْ تُحَرِّكُ الْأَشْلَاءُ وَالدِّمَاءُ، وَبُكَاءُ الْيَتَامَىٰ، وَصرَخَاتُ الْأَيَامَىٰ تَحْتَ أَنْقَاضِ الْبُيُوتِ، وَلَوْعَةُ الْأَرَامِلِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَحُزْنُ الْـمُلْتَاعِينَ فِي الْـمُخَيَّمَاتِ، دُعَاة السَّلَامِ، وَمُحَارِبِي الْإِرْهَابِ، وَالْـمُدَافِعِينَ عَنْ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ!؟ وإِنَّ ذَلِكَ الْهَوْلَ ـ وَبَعْضُهُ يَكْفِي ـ عَلَىٰ أَيْدِي هَٰؤُلَاءِ الْآثِمِينَ الْـمُحْتَلِّينَ الْغَاصِبِينَ، مُدَبَّرٌ فِي تَحَدٍّ جَهِيرٍ لِلْقَرَارَاتِ الدُّوَلِيَّةِ، وَاسْتِطَالَةٍ رَعْنَاءَ عَلَىٰ مَوَاثِيقِ الشَّرَفِ الْعَالَـمِيَّةِ، وَنَقْضٍ غَيْرِ مَسْبُوقٍ لِلْعُهُودِ وَالْـمُبَادَرَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ.

لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ سِيطَ مِنْ دَمِهَا   فَجْعٌ وَوَلْعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ[4]

---

(١) الكَلْم: الجرح، ومكلوم، أي: مجروح. ينظر: «تهذيب اللغة» (كلم).

(٢) يُقال: قَلْبٌ مُلْتَاعٌ، أي: مُحْتَرِقٌ مِنْ شَوْقٍ أَوْ هَمٍّ. يُنظر: «اللسان» (لوع).

(٣) جَلَاوِزَةٌ: جمع جِلواز، وهو الشرطي. يُنظر: «تاج العروس» (جلز).

(٤) من قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير بن أبي سلمى في مدح النبي ﷺ. يُنظر: «ديوانه» (ص١٠٩).

إِنَّا نُنَاشِدُ - بِاسْمِ الْـمُسْلِمِينَ الصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ - الْـمُنَظَّمَاتِ الْعَالَـمِيَّةَ، وَالْهَيْئَاتِ الدُّوَلِيَّةَ، وَالْجَمْعِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ وَالْإِنْسَانِيَّةَ لِلتَّحَرُّكِ الْعَاجِلِ الْفَوْرِيِّ لِوَقْفِ الْعُدْوَانِ الْوَحْشِيِّ الْـمُتَغَطْرِسِ[1] الْأَرْعَنِ[2] فِي أَرْضِ فِلَسْطِينَ وَالْأَقْصَىٰ، وَالِالْتِزَامِ بِمَوَاثِيقِ شَرَفٍ دُوَلِيَّةٍ تَمْنَعُ الظُّلْمَ وَالْعُدْوَانَ، وَتَعْمَلُ عَلَىٰ حِمَايَةِ الْعُزَّلِ الْأَبْرِيَاءِ الصَّائِمِينَ، مِنْ إِرْهَابِ الْـمُعْتَدِينَ، وَعُدْوَانِ الظَّالِمِينَ، مَعَ تَحْقِيقِ فَحْوَىٰ الْقَرَارَاتِ، وَالْعُهُودِ الَّتِي ضَمِنَتْ سَلَامَتَهُمْ وَوَحْدَةَ أَرَاضِيهِمْ، وَمَنْعَ الظُّلْمِ وَالِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ مُقَدَّسَاتِ الْـمُسْلِمِينَ، بَلْ وَالْأَقَلِّيَّاتِ الْـمُضْطَهَدَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّنَا فِي مُوَاجَهَةِ هَـٰذِهِ الْـمَآسِي اللَّافِحَةِ[3]، لَنَتَطَلَّعُ بِلَهَفٍ إِلَىٰ صَلَاحِ الْأَحْوَالِ، وَاسْتِتْبَابِ الْأَمْنِ، وَفُشُوِّ الرَّخَاءِ وَالِاسْتِقْرَارِ فِي بِلَادِ الرَّافِدَيْنِ الْجَرِيحَةِ، حَيْثُ الدَّمَارُ يَلْتَهِمُ

---

(١) التَّغَطْرُس: الإعجاب بالشيء، والتطاول على الأقران. يُنظر: «اللسان» (غطرس).

(٢) تقدم بيان معناها (ص٩٢).

(٣) يُقال: شَمْسٌ لافِحَةٌ، أي: مُحْرِقَةٌ، وبَرْدٌ لافِحٌ، أي: قَارِسٌ. يُنظر: «اللسان» (لفح).

الْعَجَزَةَ وَالْأَطْفَالَ، وَالنِّسَاءَ وَالرِّجَالَ. وَالْأَمَلُ أَنْ تَتَوَلَّىٰ أَطْيَافُ الْبِلَادِ دَفَّةَ الْأُمُورِ وَانْتِظَامَهَا، سِيَادَةً وَاسْتِقْلَالًا، فِي تَجَافٍ لِلْقُوَىٰ الظَّالِمَةِ وَالتَّدَخُّلَاتِ الْغَاشِمَةِ، فَهَلْ تَنْزِعُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ -وَذَلِكَ وَشَلٌ[1] مِنْ جِرَاحِهَا الثَّاعِبَةِ[2]- زِمَامَ التَّغْيِيرِ لِتُنْقِذَ نَفْسَهَا، وَتَسْتَعِيدَ عِزَّتَهَا وَمَجْدَهَا، وَتُجَنِّبَ الْأَجْيَالَ الْقَادِمَةَ، ذُلَّ الدُّنْيَا وَجَحِيمَ الْآخِرَةِ؟! وَكَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَامِلِينَ الْمُخْلِصِينَ لِصَلَاحِ مُجْتَمَعِهِمْ وَعِزِّ أُمَّتِهِمْ.

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سُبُلَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ صَفْوَةِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ، بِرَحْمَتِكَ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ، أَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

---

(١) الوَشَل: الماءُ القليل يتحلَّب من جبل أو صخرة ولا يَتَّصِل قطرهُ، والجمع: أوشال. يُنظر: «اللسان» (وشل)، والمراد هنا: أن هذا قليل من جراح الأمة الكثيرة.

(٢) يُقال: ثَعَبَ الماءَ والدمَ يثعبهُ ثَعْبًا، أي: فَجَّرَهُ. يُنظر: «اللسان» (ثعب).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيِّ التَّوْفِيقِ وَالْفَلَاحِ، بَاسِطِ النَّعْمَاءِ لِلشَّاكِرِينَ بِالْغُدُوِّ وَالرَّوَاحِ، تَزَكَّتْ لَهُ الْقُلُوبُ، فَسَعِدَتْ بِالطُّمَأْنِينَةِ وَالِانْشِرَاحِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً نَسْتَبِينُ بِهَا الْحَرَامَ مِنَ الْمُبَاحِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْجُودِ وَالْبَذْلِ وَالسَّمَاحِ، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، أَهْلِ التُّقَىٰ وَالصَّلَاحِ، الْمُسَارِعِينَ فِي الْخَيْرِ كَسَوَافِي[1] الرِّيَاحِ، وَالتَّابعينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّقْوَىٰ خَيْرُ زَادٍ فِي الْعَوَاقِبِ، وَكَافِيَتُكُمْ - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنْ شَرِّ كُلِّ غَاسِقٍ[2] وَوَاقِبٍ، فَاعْمُرُوا بِهَا أَوْقَاتَكُمْ، قَبْلَ ذِهَابِ الْفُرَصِ، وَدُنُوِّ الْآجَالِ وَالْغُصَصِ.

---

(١) سَفَا في مشيه وطيرانه يسفو سُفُوًّا: أسرع. فسوافي الرياح سرعتها. يُنظر: «اللسان» (سفي).

(٢) الغَاسِقُ: الليل إذا غاب الشَّفق واشتدَّت ظُلْمته، والقمر إذا أظلم بالخسوف. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للرَّاغب، و«الصحاح» (غسق).

إِخْـوَةَ الْإِيمَـانِ: إِنَّ مِـمَّا يَجْدُرُ بِالصَّائِمِ الْعِنَايَةُ بِهِ، وَالِاهْتِمَامُ: فِقْـهَ الصِّيَامِ، فَلْنَعْطِفْ بِكُمْ - **يَا رَعَاكُمُ اللَّـهُ** - عَلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْ فِقْـهِ الـصِّيَامِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَعْرِفَةُ الْـمُفَطِّرَاتِ الَّتِي تُفْسِدُ الصَّوْمَ وَتُبْطِلُهُ:

وَمِنْهَـا: مُطْلَـقُ الْأَكْـلِ وَالـشُّرْبِ، عَـنْ طَرِيـقِ الْفَـمِ أَوِ الْأَنْـفِ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَـالَىٰ -: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧]، والـسَّعُوطُ[١] فِي الْأَنْـفِ بِمَنْزِلَـةِ الْأَكْـلِ وَالـشُّرْبِ؛ لِقَوْلِـهِ ﷺ: **«وَبَـالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»**، خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ[٢] وَالتِّرْمِذِيُّ[٣].

الثَّانِي مِنَ الْـمُفَطِّرَاتِ: مَا كَـانَ بِمَعْنَىٰ الْأَكْـلِ وَالـشُّرْبِ: كَـالْإِبَرِ الْـمُغَذِّيَةِ الَّتِي تَنُوبُ عَنِ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ، فَإِذَا تَنَاوَلَهَـا الـصَّائِمُ؛ أَفْطَـرَ، وَأَمَّا الَّتِي لَا تُغَذِّي، فَلَا تُفَطِّرُ - إِنْ شَـاءَ اللَّـهُ - سَـوَاءٌ تَنَاوَلَهَـا عَـنْ طَرِيـقِ الْعُرُوقِ أَمِ الْعَضَلَاتِ، وَمِثْلُهَا الْقَطْرَةُ فِي الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ، فَـلَا تُفَطِّـرُ عَـلَىٰ الصَّحِيحِ مِنْ قَوْلَيِ الْعُلَمَاءِ، وَالْأَحْوَطُ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا لَيْلًا.

---

(١) السَّعُوطُ: الدَّوَاء يُدْخَلُ في الأنف. يُنظر: «اللسان» (سعط).

(٢) برقم (١٤٢) من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه.

(٣) برقم (٧٨٨) من حديث لقيط بن صبرة رضي الله عنه.

الْـمُفَطِّرُ الثَّالِثُ: الْـجِماعُ فِي نَهارِ رَمَضانَ، وَإِثْمُهُ عَظِيمٌ، وَفِعْلُهُ شَنِيعٌ وَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ لَزِمَهُ مَعَ الْقَضاءِ، الْكَفَّارَةَ الْـمُغَلَّظَةَ، وَهِيَ عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [المجادلة: ٤].

الْـمُفَطِّرُ الرَّابِعُ: إِنْزالُ الْـمَنِيِّ بِرَغْبَةٍ وَاخْتِيارٍ، كَمَنْ عَمَدَ إِلَىٰ التَّقْبِيلِ وَاللَّمْسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ، وَإِذَا كانَ الإِنْزالُ عَنِ احْتِلامٍ، فَإِنَّهُ لاَ يُفَطِّرُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - تَجاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَها ما لم تَعْمَلْ أو تَكَلَّمْ بِهِ»**. خَرَّجَهُ الْبُخارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢).

الْـمُفَطِّرُ الْـخامِسُ: التَّقَيُّؤُ عَمْدًا؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: **«مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ وهو صائِمٌ فَلَيْسَ عليه قَضاءٌ، وَإِنْ اسْتَقاءَ فَلْيَقْضِ»**. خَرَّجَهُ أَبُو داوُدَ(٣) وَالتِّرْمِذِيُّ(٤) وَمَعْنَىٰ ذَرَعَهُ: أَيْ: غَلَبَهُ.

الْـمُفَطِّرُ السَّادِسُ: إِخْراجُ الدَّمِ بِالْحِجامَةِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: **«أَفْطَرَ**

---

(١) برقم (٦٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) برقم (٢٣٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) برقم (٧٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ». خَرَّجَهُ أَحْمَدُ[1] وَأَهْلُ السُّنَنِ[2]، وَأَمَّا خُرُوجُ يَسِيرِ الدَّمِ - لِتَحْلِيلٍ أَوْ جُرْحٍ وَرُعَافٍ - فَلَا يُفَطِّرُ.

الْمُفَطِّرُ السَّابِعُ: نُزُولُ دَمِ الْحَيْضِ أَوْ النُّفَاسِ، فَإِنَّهُ يُفَطِّرُ، وَلَوْ قَبْلَ الْغُرُوبِ بِلَحَظَاتٍ.

تِلْكُمْ - **رَحِمَكُمُ اللَّهُ** - أُصُولُ الْمُفَطِّرَاتِ، فَصُونُوا - **عِبَادَ اللَّهِ** - صَوْمَكُمْ عَنِ النُّقْصَانِ وَالْبُطْلَانِ، ثُمَّ اعْلَمُوا - **يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ** - أَنَّكُمْ تَسْتَقْبِلُونَ الْعَشْرَ الْأَوَاسِطَ مِنْ رَمَضَانَ - عَشْرَ الْمَغْفِرَةِ - فَخُذُوا بِأَسْبَابِ الْغُفْرَانِ، مِنْ حُسْنِ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ، وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَمُلَازَمَةِ التَّوْبَةِ، وَالْإِلْحَاحِ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ.

تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ وَالْقِيَامَ، وَأَدَامَ عَلَيْنَا الْخَيْرَاتِ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَيَّامِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ. أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَىٰ الْهَادِي الْأَمِينِ: نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

---

(١) في المسند (٢/ ٣٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٦٧)، والنسائي في «الكبرى» (٢/ ٢١٦)، وابن ماجه (١٦٨٠) من حديث ثوبان ﷺ، وأخرجه الترمذي (٧٧٤) من حديث خديج بن رافع ﷺ.

الخُطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّه نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوْبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوْذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، جَعَلَ بَيْتَهُ الحَرَامَ لِلْنَّاسِ أَمْنًا وَمَثَابَةً، وَزَادَهُ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيْفًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ أَعْظِمْ بِهِ فِي الرِّسَالَةِ المُسْتَطَابَةِ[1]، وَالدَّعْوَةِ المُسْتَجَابَةِ! وَأَكْرِمْ بِهِ فِي العُبُوْدِيَّةِ وَالإِنَابَةِ! صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ أُولِي الطُّهْرِ وَالفَضْلِ وَالإِصَابَةِ، وَأَصْحَابِهِ ذَوِي التُّقَىٰ وَالنَّخْوَةِ وَالنَّجَابَةِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا شَدَّ حَاجٌّ إِلَىٰ الْبَيْتِ رِكَابَهُ، وَمَا بَزَغَ نَجْمٌ وَهَطَلَتْ سَحَابَةٌ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيْرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، وَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، أُوْصِيكُمْ

---

(١) مُسْتَطَابَةٌ: أي مُتَقَبَّلَة؛ لحسنها وطُهرِهَا، فأكثر ما يرد الطيب بمعنى: الطاهر. يُنظر: «اللسان» (طيب).

وَنفسِي بتقْوَىٰ اللَّـهِ ـ تبارَكَ وَتَعالَىٰ ـ وَالشُّكرِ لَهُ ـ جَلَّ وَعَلا ـ عَلَىٰ جزِيلِ النَّعْماءِ وَتَرادُفِ الآلاءِ، وَعَلَىٰ وَجْهٍ أَخصَّ، وَأَنْتُمْ تعِيشُوْنَ هَـذِهِ الأَيَّامَ شَرَفَ الزَّمانِ، وَشَرَفَ المكَانِ، وَشَرَفَ المُناسَبَةِ.

مَعاشِرَ الْإِخْوَةِ فِي اللَّهِ ـ حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّـهِ ـ إِيحَاءَاتُ المُنَاسَبَةِ تَقْتَضِي إِضَاءَاتٍ حَوْلَ محَاوِرِ الشَّرَفِ الثَّلاثَةِ المُتَأَلِّقَةِ: شَرَفِ المكَانِ، وَشَرَفِ الزَّمَانِ، وَالمُنَاسَبَةِ، وَيَأْتِي فِي طَلِيْعَةِ هَـذِه المَحَاوِرِ وَصَدَارَتِهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِمِحْوَرِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّذِي تَجْتَمِعُ حَوْلَهُ هَذِهِ الأَيَّامِ، ذَلِكُمْ هُوَ البَيْتُ الحَرَامُ، حَيْثُ يَلْتَئِمُ شَمْلُ الحَجِيْجِ، وَيَنْتَظِمُ عِقْدُهُمْ فِي رِحَابِهِ.

يَقُوْلُ اللَّـهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ﴾ [آل عمران]، وَيَقُوْلُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة:٩٧]، لَقَدْ ظَلَّ البَيْتُ الحَرَامُ عَبْرَ التَّأْرِيخِ، وَعَلَىٰ مَرِّ القُرُوْنِ طَوْدًا شَامِخًا، وَصَرْحًا بَاذِخًا[١] لَا يَرِيْمُ[٢]، تَبِيْدُ الدُّوَلُ وَتَنْدَرِسُ الحَضَارَاتُ، وَتُحْفَظُ مَكَّةُ بِحِفْظِ اللَّـهِ رَمْزًا لِلْإِيْمَانِ، وَمَوْئِلًا

(١) بَاذِخًا: عَالِيًا. يُنظر: «اللسان» (بذخ).

(٢) يَرِيْمُ: يبرح. يُنظر: «اللسان» (ريم).

لِلْعَقِيْدَةِ، وَمَصْدَرًا لِلدَّعْوَةِ، وَمَرْكَزًا لِلْأُخُوَّةِ، وَمُنْطَلَقًا لِأَعْظَمِ حَضَارَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ انْبَثَقَتْ مِنْ تِلْكَ الرُّبَىٰ وَالْبِطَاحِ، حَتَّىٰ بَدَّلَتْ وَجْهَ التَّأْرِيخِ، وَخَلْخَلَتْ صُرُوْحَ الوَثَنِيَّةِ، وَحَطَّمَتْ عُرُوْشَ الجَاهِلِيَّةِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ! بِمَكَّةَ عَبَقُ[1] الذِّكْرَيَاتِ الخَالِدَةِ، وَشَذَىٰ[2] البُطُوْلَاتِ المَاجِدَةِ، **مَكَّةُ المُكَرَّمَةُ: جَمَالُ الدُّنْيَا، وَزِيْنَةُ الأَرْضِ، وَمَنَارَةُ الدَّعْوَةِ وَالتُّقَىٰ، وَوَاسِطَةُ العِقْدِ المُتَلَأْلِئِ الوَضَّاءِ فِي هَامَةِ هَٰذِهِ الأُمَّةِ.**

فَوَاجِبُ المُسْلِمِيْنَ جَمِيْعًا ـ لَاسِيَّمَا مِنَ الحُجَّاجِ وَالمُعْتَمِرِيْنَ ـ أَنْ يَرْعَوا لَهَا قُدْسِيَّتَهَا، وَأَنْ يَحْفَظُوا لَهَا أَمْنَهَا وَنِظَامَهَا، وَيَحْذَرُوا الإِلْحَادَ فِيْهَا، فَقَدْ قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج].

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ: أَمَّا المُنَاسَبَةُ فَيَا لَهَا مِنْ مُنَاسَبَةٍ! مَا أَعْظَمَهَا! وَفَرِيْضَةٍ، مَا أَسْمَاهَا وَأَكْرَمَهَا! وَفُرْصَةٍ، مَا أَزْكَاهَا وَأَشْرَفَهَا! فَالحَجُّ مَوْسِمٌ عَظِيْمٌ تَتَجَلَّىٰ فِيْهِ أَعْظَمُ المَقَاصِدِ، وَتَتَحَقَّقُ فِيْهِ أَكْبَرُ

---

(١) تقدم بيان معناها (ص٢٣٨).

(٢) الشَّذْوُ: المِسْكُ، والشَّذَى: كِسَرُ العود الذي يُتطيب به. يُنظر: «تاج العروس» (شذو).

المَنافِعِ، وَقَدْ قَالَ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي سِيَاقِ آيَاتِ الحَجِّ: ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج:٢٨]، فَفِي الحَجِّ مِنَ المَنَافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ مَا يَشْحَذُ[1] هِمَمَ أَهْلِ الإِيْمَانِ، وَيَسْتَنْهِضُ عَزَائِمَهُمْ، حَيْثُ لَمْ يَرْضَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - لِمَنْ أَتَىٰ بِهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ ثَوَابًا إِلَّا الجَنَّةَ. رَوَىٰ البُخَارِيُّ[2] وَمُسْلِمٌ[3] مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللَّهِ ﷺ: «**الحَجُّ المَبْرُوْر لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ**»، وَفِيْهِمَا[4] عَنْهُ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**».

أَلَا مَا أَعْظَمَهَا مِنْ مَكْرُمَاتٍ! وَمَا أَسْعَدَهَا مِنْ لَحَظَاتٍ! تَعِيْشُهَا الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ فِي هَذِهِ الأَوْقَاتِ، وَيَا لَهَا مِنْ مَوَاقِفَ إِيْمَانِيَّةٍ مَا أَرْوَعَهَا! وَمِنْ مَشَاعِرَ فَيَّاضَةٍ مَا أَبْدَعَهَا! وَلْيَهْنأ لَكُمْ يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ مَا أَنْتُمْ فِيْهِ مِنْ لَحَظَاتٍ مُبَارَكَاتٍ، حَيْثُ تُسْكَبُ العَبَرَاتُ، وَتَتَنَزَّلُ

(١) يَشْحَذُ: يقوي. انظر: «اللسان» (شحذ).

(٢) برقم (١٧٧٣).

(٣) برقم (١٣٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠).

الرَّحَمَاتُ، وَيَا بُشْرَىٰ لَكُمْ ـ يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ ـ حُصُوْلُ المَأْمُوْلِ بِأَدَاءِ خَامِسِ الأُصُوْلِ!!

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِنَّ عَلَىٰ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ ـ وَهِيَ تَعِيْشُ هَذَا المَوْسِمَ العَظِيْمَ ـ أَنْ تَسْعَىٰ وَتَدْأَبَ بِجِدٍّ وَإِخْلَاصٍ لِلْخُرُوْجِ مِنَ المِحَنِ وَالمَصَائِبِ الَّتِي ابْتُلِيَتْ بِهَا، فَطَالَمَا بَكَىٰ البَاكُوْنَ، وَتَحَدَّثَ الغَيُوْرُوْنَ عَنِ الأَحْوَالِ المُزْرِيَةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا أُمَّتُنَا الإِسْلَامِيَّةُ، أَمَا آنَ لَنَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ أَنْ نَأْخُذَ مِنْ هَذَا التَّجَمُّعِ الإِسْلَامِيِّ العَظِيْمِ، الدُّرُوْسَ وَالْعِبَرَ فِي الوَحْدَةِ وَالتَّضَامُنِ، وَالبُعْدِ عَنِ الفُرْقَةِ وَالتَّشَاحُنِ؟ وَهُوَ يَجْمَعُ المُسْلِمِيْنَ وَإِنْ بَعُدَتْ دِيَارُهُمْ، وَنَأَتْ أَقْطَارُهُمْ، وَتَبَايَنَتْ أَلْسِنَتُهُمْ وَلُغَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفَتْ أَلْوَانُهُمْ وَجِهَاتُهُمْ، يَجْمَعُهُمْ عَلَىٰ دِيْنٍ وَاحِدٍ، وَمَنْهَجٍ وَاحِدٍ، فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَزَمَانٍ وَاحِدٍ، وَهَدَفٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّهُمْ لَيُمَثِّلُوْنَ أَصْدَقَ وَأَنْبَلَ صُوْرَةٍ لِإِذَابَةِ الفَوَارِقِ، فِي دُعَائِهِمْ وَتَضَرُّعِهِمْ، وَخُشُوْعِهِمْ، وَدُمُوْعِهِمْ.

وَلْيَكُنْ فِي هَذَا الجَمْعِ الحَاشِدِ المَهِيْبِ، الانْطِلَاقَةُ الكُبْرَىٰ لِحَلِّ مُشْكِلَاتِ الأُمَّةِ المُتَأَزِّمَةِ ضَعْفًا وَمَهَانَةً، وَاخْتِلَافًا وَفُرْقَةً، مِنْ هَذَا المَكَانِ المُبَارَكِ: مَهْبِطِ الوَحْيِ، وَمَنْبَعِ الرِّسَالَةِ، الَّذِي انْطَلَقَتْ مِنْهُ عَقِيْدَةُ التَّوْحِيْدِ، وَدَعْوَةُ الإِسْلَامِ، وَرِسَالَةُ الخَيْرِ وَالسَّلَامِ؛ لِتَعُمَّ جَمِيْعَ الأَصْقَاعِ

وَالأَنَام، وَبِذَلِكَ تَتَحَقَّقُ أَكْبَرُ مَنَافِعِ الحَجِّ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ لِمَا تُؤَكِّدُهُ هَذِهِ الفَرِيْضَةُ مِنْ مَعَانِي العَالَمِيَّةِ الحَقَّةِ، الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَبْرُزَ لِلتَّأْكِيْدِ عَلَىٰ هُوِيَّةِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَتَعْمِيْقِ فَهْمِهَا بِثَوَابِتِهَا، وَالنُّهُوْضِ بِدَوْرِهَا فِي عَالَمِ اليَوْمِ الَّذِي يَمُوْجُ فِي ظِلِّ عَوْلَمَةٍ مَفْضُوْحَةٍ قَلِيْلَةِ الأَثَرِ، ضَعِيْفَةِ الفَاعِلِيَّةِ، بِالنَّظَرِ لِمَا تَتَمَيَّزُ بِهِ هَذِهِ الفَرِيْضَةُ مِنْ عُمْقِ المَقَاصِدِ، وَقُوَّةِ التَّأْثِيْرِ، مِمَّا يَتَطَلَّبُ الْعَمَلَ بِجِدٍّ وَإِخْلَاصٍ؛ لِتَحْقِيْقِ آمَالِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَطُمُوْحَاتِهَا، وَالقَضَاءِ عَلَىٰ هُمُوْمِهَا وَمُشْكِلَاتِهَا.

وَإِنَّهَا ـ وَاللَّهِ ـ لَرِسَالَةٌ عَظِيْمَةٌ، وَأَمَانَةٌ جَسِيْمَةٌ فِي عُنُقِ كُلِّ حَاجٍّ، يُمَثِّلُ لَبِنَةً فِي هَذَا المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ الكَبِيْرِ، فَيُنَاصِفُهُ آمَالَهُ وَآلَامَهُ، وَيُشَارِكُهُ أَفْرَاحَهُ وَأَتْرَاحَهُ[1].

أَلَا مَا أَمَسَّ حَاجَةَ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ اليَوْمَ، وَهِيَ تُوَاجِهُ أَعْتَىٰ التَّحَدِّيَاتِ، وَأَبْشَعَ المُؤَامَرَاتِ، مَا أَحْوَجَهَا، وَهِيَ تَجْتَمِعُ هَذِهِ الأَيَّامَ فِي رِحَابِ البَلَدِ الحَرَامِ، وَتَلْتَفُّ حَوْلَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقِبْلَةٍ وَاحِدَةٍ، تَتَلَاشَىٰ فِي ظِلِّهَا فَوَارِقُ اللُّغَةِ وَالأَلْوَانِ وَالأَجْنَاسِ وَالْبُلْدَانِ، فِي وَحْدَةٍ مُتَكَامِلَةٍ تَجْمَعُ الشَّعَائِرَ وَالمَشَاعِرَ، وَمَنْظُوْمَةٍ مُتَأَلِّقَةٍ تُرَبِّي القُلُوْبَ وَالْقَوَالِبَ، مَا

---

(١) أَتْرَاحَهُ: أحزانه، التَّرَحُ: ضد الفرح، وهو الحزن. يُنظر: «اللسان» (ترح).

أَحْوَجَهَا أَنْ تَسْتَلْهِمَ الدُّرُوْسَ وَالْعِبَرَ، وَتَسْتَجْلِيَ الحِكَمَ وَالآثَارَ مِنْ هَذِهِ الفَرِيْضَةِ العَظِيْمَةِ، وَتَسْتَيْقِنَ يَقِيْنًا لَا يَعْتَرِيْهِ شَكٌّ، بِأَنَّهُ لَا يَلُمُّ وَيَجْمَعُ شَتَاتَنَا، وَيُوَحِّدُ صُفُوْفَنَا إِلَّا الاِجْتِمَاعُ عَلَىٰ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ لَا ثَانِيَ لَهَا، هِيَ: رَايَةُ الإِسْلَامِ عَلَىٰ ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّهُ لَابُدَّ مِنْ إِعْدَادِ العُدَدِ، وَتَنْسِيْقِ الخُطَطِ، وَتَوْحِيْدِ المَنَاهِجِ، وَالعَمَلِ لِكُلِّ مَا فِيْهِ صَلَاحُ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِيْنَ؛ تَحْقِيْقًا لِكَلِمَةِ التَّوْحِيْدِ، وَتَوْحِيْدِ الكَلِمَةِ عَلَيْهَا. وَإِنَّ وَاجِبَ القَادَةِ - وَالعُلَمَاءِ، وَالدُّعَاةِ، وَالزُّعَمَاءِ، وَالمَعْنِيِّيْنَ بِقَضَايَا التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيْمِ: مِنْ حَمَلَةِ الأَقْلَامِ، وَرِجَالِ الإِعْلَامِ، وَالمُهْتَمِّيْنَ بِالْفِكْرِ وَالرَّأْيِ وَالإِصْلَاحِ فِي ذَلِكَ - عَظِيْمٌ، كَمَا أَنَّ وَاجِبَ الدُّوَلِ الإِسْلَامِيَّةِ - فِي مَجَالِ تَوْعِيَةِ حُجَّاجِهَا، وَاضْطِلَاعِهَا بِتَوْجِيْهِهِمْ شَرْعِيًّا وَسُلُوْكِيًّا وَأَمْنِيًّا وَاجْتِمَاعِيًّا، وَتَحْذِيْرِهِمْ مِنْ كُلِّ مَا يُعَكِّرُ صَفْوَ الحَجِّ وَأَمْنَ الحَجِيْجِ - كَبِيْرٌ وَكَبِيْرٌ.

فَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، يَا مَنْ تَجَشَّمْتُمُ الصِّعَابَ، وَرَكِبْتُمُ المَشَاقَّ، تُرِيْدُوْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ: اعْقِدُوا الْعَزْمَ عَلَىٰ الأَخْذِ بِمَنَافِعِ هَذِهِ الْفَرِيْضَةِ الْعَظِيْمَةِ، الَّتِي تَعْجَزُ مُؤْتَمَرَاتُ الدُّنْيَا وَاجْتِمَاعَاتُهَا وَلِقَاءَاتُهَا أَنْ تُحَقِّقَ، وَلَو شَيْئًا يَسِيْرًا مِنْ مَنَافِعِهَا، أَوْ تُقَارِبُهَا فِي أَهَمِّيَّتِهَا وَمَكَانَتِهَا زَمَانًا وَمَكَانًا، فَوَائِدَ وَآثَارًا، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنِ اسْتِغْلَالِهَا لِتَرْوِيْجِ شِعَارَاتٍ، أَوْ

تَوْزِيْعِ مَنْشُوْرَاتٍ تُخَالِفُ شَرْعَ اللَّهِ، أَوْ إِقْحَامِهَا فِي مُهَاتَرَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ، أَوْ شِعَارَاتٍ جَاهِلِيَّةٍ.

حَقِّقُوا الْعَقِيْدَةَ الصَّحِيْحَةَ - يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ - وَأَخْلِصُوا التَّوْحِيْدَ لِلَّهِ، فَهُوَ الْقَائِلُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الحج:٢٦]، وَيَقُوْلُ جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ ﷺ فِي سِيَاقِ حَجَّةِ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ: **«أَهَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّوْحِيْدِ»**[١]. وَهَا هِيَ التَّلْبِيَةُ الْمُجَلْجِلَةُ تَنْطَلِقُ عَبْرَ حَنَاجِرِكُمُ النَّدِيَّةِ، لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ.. تُدَوِّي بِهَا جِبَالُ مَكَّةَ وَشِعَابُهَا، وَتُجَلْجِلُ بِهَا بِطَاحُهَا وَفِجَاجُهَا.

فَاحْذَرْ - **أَخِي الْحَاجَّ الْكَرِيْمَ** - مِنَ الشِّرْكِيَّاتِ وَالْبِدَعِ وَالْخُرَافَاتِ، وَالشِّعَارَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلْإِسْلَامِ، فَمَاذَا يُغْنِي التَّمَسُّحُ بِالْأَمَاكِنِ جُدْرَانًا وَسُتُوْرًا؟ وَمَاذَا يُجْدِي التَّعَلُّقُ بِالْمَوَاضِعِ تُرَابًا وَصُخُوْرًا؟ جَدِّدُوا التَّوْبَةَ إِلَىٰ اللَّهِ مِنْ ذُنُوْبِكُمْ، تَذَكَّرُوا - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَنْتُمْ تَعِيْشُوْنَ فِي طُمَأْنِينَةِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ - حَرَسَهُمَا اللَّهُ - أَنَّ لَهُمَا أَخًا ثَالِثًا يَسْتَصْرِخُكُمْ بَعْدَ مَا طَالَ أَسْرُهُ فِي أَيْدِي شِرْذِمَةٍ صُهْيُوْنِيَّةٍ، وَحَفْنَةٍ يَهُوْدِيَّةٍ، مِنْ شُذَّاذِ الْآفَاقِ وَحُثَالَةِ الْعَالَمِ، ذَلِكُمْ هُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَىٰ الْمُبَارَكُ: أُوْلَىٰ الْقِبْلَتَيْنِ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

وَمَسْرَىٰ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ - أَقَرَّ اللَّـهُ الأَعْيُنَ بِفَكِّ أَسْرِهِ، وَأَثْلَجَ الصُّدُوْرَ بِقُرْبِ تَحْرِيْرِهِ - وَإِنَّنَا - بِاسْمِ جُمُوْعِ حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّـهِ الحَرَامِ - نُنَاشِدُ صُنَّاعَ الْقَرَارِ، وَقَادَةَ الْعَالَمِ، بِوَقْفِ نَزِيْفِ الدَّمِ الْمُسْلِمِ الْمُهْرَاقِ عَلَىٰ ثَرَىٰ فِلِسْطِيْنَ.

تَذَكَّرُوا - يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّـهِ - وَأَنْتُمْ تَنْعَمُوْنَ بِالأَمْنِ وَالأَمَانِ وَالرَّاحَةِ وَالاطْمِئْنَانِ - مَآسِيَ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِيْنَ فِي الْعَقِيْدَةِ فِي بِقَاعٍ شَتَّىٰ مِنَ الْعَالَمِ، حَيْثُ يَعِيْشُوْنَ حَيَاةَ الْقَتْلِ وَالتَّشْرِيْدِ، وَالخَوْفِ وَالتَّنْكِيْدِ. مَا هِيَ أَحْوَالُ إِخْوَانِكُمْ فِي الأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ فِلِسْطِيْنَ؟ مَا هِيَ أَخْبَارُهُمْ فِي كَشْمِيْرَ وَالشِّيْشَانِ؟ فَلَا تَنْسَوْهُمْ مِنْ دَعَوَاتِكُمْ وَمَا تَجُوْدُ بِهِ أَنْفُسُكُمْ.

أَيَّتُهَا الضُّيُوْفُ الْمَجِيْدَةُ، وَالوُفُوْدُ الْعَتِيْدَةُ: أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ لِلَّـهِ وَحْدَهُ، حَقِّقُوا الْمُتَابَعَةَ لِرَسُوْلِكُمْ ﷺ الْقَائِلِ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»[1]، وَالْقَائِلِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ[2] مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا - تَأَدَّبُوا بِآدَابِ الإِسْلَامِ أَثْنَاءَ قِيَامِكُمْ بِالْمَنَاسِكِ، تَخَلَّقُوا مَعَ

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه، وفيه: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ**».

(٢) تقدم تخريجه (ص١٥٠).

إِخْـوَانِكُمُ الحُجَّـاجِ بِـالْأَخْلَاقِ الْعَالِيَـةِ، وَالْآدَابِ الْـسَّامِيَةِ، بِـالْكَلِمَاتِ الْطَّيِّبَـةِ النَّدِيَّـةِ، وَالْأَفْعَـالِ الحَمِيْـدَةِ الزَّكِيَّـةِ، احْـذَرُوا إِيْـذَاءَ إِخْـوَانِكُمْ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَمُزَاحَمَتَهُمْ فِي الحَرَمِ، وَفِي المَطَافِ، وَعِنْـدَ الْأَبْـوَابِ، وَفِي المَشَاعِرِ وَالطُّرُقَاتِ.

تَذَكَّرُوا بِاجْتِمَاعِكُمْ هَذَا، يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِيْنَ وَالْآخِرِيْنَ، وَتَفَقَّهُوا فِي أَحْكَامِ المَنَاسِكِ، وَاسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ عَمَّا يُشْكَلُ عَلَيْكُمْ، وَصُونُوا حَجَّكُمْ عَنِ النَّوَاقِضِ وَالنَّوَاقِصِ، وَإِيَّاكُمْ وَالرَّفَثَ وَالْفُسُوْقَ وَالمَعَاصِيَ وَالجِدَالَ بِالْبَاطِلِ، وَاعْمَلُوا جُهْدَكُمْ عَلَىٰ بِرِّ حَجِّكُمْ: بِبَذْلِ السَّلَامِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَكَثْرَةِ الطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ المَعَاصِي وَالْآثَامِ.

الْتَزِمُوا الهُدُوْءَ وَالنِّظَامَ، تَفَرَّغُوا لِأَدَاءِ مَنَاسِكِكُمْ فَلَقَدْ وُفِّرَتْ لَكُمْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - أَفْضَلُ الإِمْكَانَاتِ، وَهُيِّئَتْ لَكُمْ سَائِرُ الخَدَمَاتِ - وَلِلَّهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ - كُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ، ثُمَّ مَا يَبْذُلُهُ وُلَاةُ الْأَمْرِ فِي بِلَادِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ مِمَّنْ لَهُمْ - بِحَمْدِ اللَّهِ - قَدَمُ صِدْقٍ فِي رِعَايَتِهِمَا، عِنَايَةً وَتَطْهِيْرًا، وَاهْتِمَامًا وَتَطْوِيْرًا - وَفَّقَهُمُ اللَّهُ وَأَخْلَصَ أَعْمَالَهُم لِوَجْهِهِ الْكَرِيْمِ، وَجَعَلَ مَا يُقَدِّمُوْنَهُ لِلْحُجَّاجِ فِي مَوَازِيْنِ أَعْمَالِهِمْ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ - فَمَا عَلَيْكُمْ إِلَّا الِانْقِطَاعُ التَّامُّ لِحَجِّكُمْ، وَالْعَمَلُ عَلَىٰ إِكْمَالِ مَنَاسِكِكُمْ.

أَعُوْذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن

﴿فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة].

تَقبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنكُمْ، وَجَعَلَ حَجَّكُمْ مَبْرُوْرًا، وَسَعْيَكُمْ مَشْكُوْرًا، وَذَنْبَكُمْ مَغْفُوْرًا، وَيَسَّرَ لَكُمْ أُمُوْرَكُمْ، وَأَعَانَكُمْ عَلَىٰ إِتْمَامِ مَنَاسِكِكُمْ وَأَعَادَكُمْ إِلَىٰ بِلَادِكُمْ سَالِمِيْنَ غَانِمِيْنَ، مَأْجُوْرِيْنَ غَيْرَ مَأْزُوْرِيْنَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ.

أَقُوْلُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِكَافَّةِ الْمُسْلِمِيْنَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوْهُ، وَتُوْبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِيْنَ غَفُوْرًا.

الخُطبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِكُلِّ أُمَّةٍ مُنْسَكًا، وَجَعَلَ لَهُمْ إِلَىٰ الخَيْرِ طَرِيْقًا وَمَسْلَكًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِ وَاقْتَفَىٰ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوا اللَّهَ - يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ - وَاجْتَهِدُوا فِي الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ، فَأَنْتُمْ فِي أَفْضَلِ مَكَانٍ تُضَاعَفُ فِيْهِ الحَسَنَاتُ، فَاعْرِفُوا لِهَذَا المَكَانِ حُرْمَتَهُ، وَلِهَذَا الحَرَمِ قَدَاسَتَهُ، لَا تُدَنِّسُوْهُ بِالمَعَاصِي وَالمُنْكَرَاتِ، وَعَظِّمُوا شَعَائِرَ رَبِّكُمْ وَحُرُمَاتِهِ ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠]. ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج].

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ: يُتَوِّجُ شَرَفَ المُنَاسَبَةِ وَالمَكَانِ، شَرَفُ الزَّمَانِ، فَأَنْتُمْ تَعِيْشُوْنَ أَشْرَفَ الأَزْمِنَةِ: الأَشْهُرَ الحُرُمَ، وَأَشْهُرَ الحَجِّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، فَإِيَّاكُمْ وَظُلْمَ النَّفْسِ فِيْهَا بِالمَعَاصِي وَالمُحَرَّمَاتِ. كَمَا تَنْعَمُوْنَ بِأَيَّامِ عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ، الَّتِي يَكُوْنُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيْهَا أَحَبَّ إِلَىٰ

اللهِ مِنَ الْعَمَلِ فِي غَيْرِهَا، بَلْ وَلَا يَعْدِلُهُ عَمَلٌ فِي سِوَاهَا إِلَّا مَنْ خَرَجَ لِلْجِهَادِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْخَبَرُ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ[1] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ!! فَانْتَهِزُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - هَذِهِ الأَيَّامَ الْمُبَارَكَةَ فِي الْقُرُبَاتِ وَالطَّاعَاتِ: مِنَ الذِّكْرِ وَالتَّكْبِيرِ وَالدُّعَاءِ وَنَحْوِهِ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْحُجَّاجُ وَالْمُقِيمُونَ.

فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الثَّامِنِ اسْتُحِبَّ لِلْحُجَّاجِ أَنْ يَتَوَجَّهُوا إِلَىٰ مِنَىٰ، وَيَبِيتُوا بِهَا لَيْلَةَ عَرَفَةَ، كَمَا يُسْتَحَبُّ صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ لِغَيْرِ الْحُجَّاجِ، وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ، حَيْثُ وَرَدَ أَنَّهُ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ سَنَتَيْنِ - سَنَةٍ مَاضِيَةٍ وَسَنَةٍ بَاقِيَةٍ - كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**»[2]، كَمَا يُسْتَحَبُّ التَّقَرُّبُ إِلَىٰ اللهِ بِذَبْحِ الْأَضَاحِي اتِّبَاعًا لِسُنَّةِ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ[3].

---

(١) برقم (٩٦٩).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢).

(٣) كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ضَحَّىٰ اشْتَرَى كَبْشَيْنِ سَمِينَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، فَإِذَا صَلَّىٰ وَخَطَبَ أُتِيَ بِأَحَدِهِمَا وَهُوَ =

اللَّـهُ أَكْبَرُ! يا لَهُ مِنْ فَضْلٍ عَظِيْمٍ، مِنْ رَبٍّ رَحِيْمٍ، وَمَوْلًى كَرِيْمٍ، فَحَذَارِ مِنَ التَّفْرِيْطِ - رَحِمَكُمُ اللَّـهُ - فِي هَذِهِ الْفُرَصِ الْعَظِيْمَةِ مَكَانًا وَزَمَانًا وَمُنَاسَبَةً، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمَارَةُ الْحِرْمَانِ. وَمَعَ مَا تُمَثِّلُهُ هَذِهِ الْمَحَاوِرُ مِنْ تَشْرِيْفٍ، فَإِنَّهَا تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا مَعَانِي الْمَسْؤُوْلِيَّةِ وَالتَّكْلِيْفِ، نَسْأَلُ اللَّـهَ أَلَّا يَحْرِمَنَا وَإِيَّاكُمْ فَضْلَهُ وَثَوَابَهُ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا وَإِيَّاكُمْ سَخَطَهُ وَعِقَابَهُ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ.

أَلَا وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّـهُ - أَنَّ مِنْ خَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيْكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ: كَثْرَةَ صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالنِّعْمَةِ الْمُسْدَاةِ، خَيْرِ مَنْ حَجَّ وَاعْتَمَرَ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْأَغَرِّ، فَقَالَ تَعَالَى قَوْلًا كَرِيْمًا: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا** ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

= قَائِمٌ فِي مُصَلَّاهُ، فَذَبَحَهُ بِنَفْسِهِ بِالْمُدْيَةِ، ثُمَّ يَقُوْلُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَنْ أُمَّتِي جَمِيعًا مِمَّنْ شَهِدَ لَكَ بِالتَّوْحِيدِ، وَشَهِدَ لِي بِالْبَلَاغِ**»، ثُمَّ يُؤْتَى بِالآخَرِ فَيَذْبَحُهُ بِنَفْسِهِ، فيقول: «**هذا عن مُحَمَّدٍ وَآلِ محمد**»، فَيُطْعِمُهُمَا جَمِيعًا الْمَسَاكِينَ، وَيَأْكُلُ هُوَ وَأَهْلُهُ مِنْهُمَا. أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٩١)، والبزار في «مسنده» (٩/ ٣١٨)، والطبراني في «الكبير» (٩٢٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٢٥٩).

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الخَيْرَ كُلَّهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَرَعَ المَنَاسِكَ لِعِبَادِهِ رَحْمَةً بِهِمْ وَإِسْعَادًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، وَلَاذَ بِمَوْلَاهُ خُضُوعًا لَهُ وَانْقِيَادًا، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ أَطْهَرِ الوَرَىٰ سِيَرًا، وَأَزْكَاهُمْ مَحْتِدًا، وَأَثْبَتِهِمْ فُؤَادًا، وَصَحْبِهِ الخِيَرَةِ: أَشَدِّ الْأُمَّةِ تَآلُفًا وَوِدَادًا، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَرْجُو فَلَاحًا وَرَشَادًا، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا يَزْدَادُ ازْدِيَادًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - وَأُوصِيكُمْ - حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ - بِتَقْوَىٰ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَإِنَّ التَّقْوَىٰ خَيْرُ الزَّادِ، وَبِهَا صَلَاحُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، فِي المَعَاشِ وَالمَعَادِ، وَهِيَ الطَّرِيقُ المُبَلِّغُ لِرِضَىٰ رَبِّ العِبَادِ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: هَا قَدْ دَارَ فَلَكُ الزَّمَانِ دَوْرَتَهُ، وَحَلَّتْ بِالْأُمَّةِ

الإِسْلَامِيَّةِ مُنَاسَبَةٌ عَظِيْمَةٌ، وَأَظَلَّتْهَا مَوَاسِمُ بِالْخَيْرَاتِ عَمِيْمَةٌ. تَبَدَّىٰ لَنَا هِلَالُ شَهْرِ ذِيْ الحِجَّةِ الحَرَامِ، لِيَسْكُبَ فِي قُلُوْبِنَا نُوْرًا مِنْ أَنْوَارِهِ، وَلِيُتْرِعَ[1] أَرْوَاحَنَا بِفَيْضٍ مِنْ حِكَمِهِ وَأَسْرَارِهِ، أَيَّامٌ قَلَائِلُ، وَأُمَّتُنَا الإِسْلَامِيَّةُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ، مِنْ أَدَاءِ فَرِيْضَةِ الحَجِّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، الرُّكْنِ الخَامِسِ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُيَسِّرَ لِحُجَّاجِ بَيْتِهِ الحَرَامِ، وَيُعِيْنَهُمْ عَلَىٰ أَدَاءِ مَنَاسِكِهِمْ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ.

أَيُّهَا الحُجَّاجُ المَيَامِيْنُ: قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ، طِبْتُمْ وَطَابَ مَمْشَاكُمْ، وَحَقَّقَ البَارِئُ سُؤْلَكُمْ وَمُنَاكُمْ، تَشْرُفُ بِكُمْ بِلَادُ الحَرَمَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - فَخِدْمَتُكُمْ تَاجُ فَخَارٍ يَتَلَأْلَأُ عَلَىٰ صُدُوْرِ أَهْلِهَا، وَوِسَامُ شَرَفٍ يَتَأَلَّقُ فِي عِقْدِ جِيْدِ أَبْنَائِهَا، وَإِنَّ الشَّوْقَ إِلَىٰ هَذَا البَيْتِ العَتِيْقِ، وَالانْعِطَافَ إِلَىٰ هَذِهِ العَرَصَاتِ المُقَدَّسَةِ، وَالنُّزُوْعَ[2] إِلَىٰ هَذِهِ المَشَاهِدِ المَنِيْفَةِ[3]، وَالبِقَاعِ الشَّرِيْفَةِ، إِذَا عَايَنَهَا المُحِبُّ المُعَنَّىٰ تَبَدَّدَتْ لَدَيْهِ كُلُّ

---

(١) يُتْرِعُ: يملأ، يُقال: حوض تَرِعٍ ومُتْرَعٍ، أي: مملوء. يُنظر: «اللسان» (ترع).

(٢) النُّزُوْع: الحنين والاشتياق. يُنظر: «اللسان» (نزع).

(٣) مَنِيْفٌ: عالٍ مُشْرِفٌ، ناف الشيء نوفًا: ارتفع وأشرف. يُنظر: «اللسان» (نوف).

المَشَاقِّ وَالْلَّأْوَاءِ[1]:

فَحَـــيَّهَلًا إِنْ كُنْــــتَ ذَا هِمَّــــةٍ
حَدَا بِكَ حَادِي الْشَّوْقِ فَاطْوِ الْـمَرَاحِلَا
وَقُـلْ لِـــمُنَادِي حُـبِّهِمْ وَرِضَــاهُمْ
إِذَا مَــا دَعَــا: لَبَّيْــكَ أَلْفًــا كَــوَامِلَا[2]

وَلَقَدْ خَالَطَكُمْ ذَلِكَ النَّفْحُ الإِيْمَانِيُّ وَزَايَلْتُمُوْهُ، كَيْفَ لَا؟ وَالمَسْجِدُ الحَرَامُ نُصْبَ الأَعْيُنِ قُرَّةً، وَمِلْءَ الْقُلُوْبِ إِجْلَالًا وَمَسَرَّةً، فَحَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ قَاصِدٍ لَهُ، شُكْرُ الْبَارِي عَلَىٰ مَا أَسْدَاهُ، وَحَمْدُهُ عَلَىٰ مَا خَصَّهُ بِهِ وَأَوْلَاهُ، وَمِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ، أَدَاءُ هَذِهِ الْفَرِيْضَةِ، وَإِتْمَامُهَا كَمَا شَرَعَ اللَّهُ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦].

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ: هَا أَنْتُمْ أُوْلَاءِ - بِحَمْدِ الله - فِي رِحَابِ الحَرَمَيْنِ الْشَّرِيْفَيْنِ، تَعِيْشُوْنَ أَجْوَاءً مُفْعَمَةً[3] بِالرُّوْحَانِيَّةِ فِي أَجَلِّ مُنَاسَبَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ، فَلِلَّهِ دَرُّكُمْ! مِنْ إِخْوَةٍ مُتَوَادِّيْنَ مُتَرَاحِمِيْنَ، وَأَحِبَّةٍ

---

(١) اللَّأْوَاءُ: الشدَّةُ وضِيقُ المَعِيشَةِ. يُنظر: «تاج العروس» (لأي).

(٢) يُنظر: «زاد المعاد» (٣/ ٧٥)، و«مدارج السالكين» (٣/ ٧).

(٣) مُفْعَمَةٌ: مملوءة. يُنظر: «اللسان» (فعم).

عَلَىٰ رِضْوَانِ اللَّـهِ مُتَآلِفِيْنَ مُتَعَاوِنِيْنَ، وَصَفْوَةٍ لِنَسَائِمِ الْإِيْمَانِ مُتَعَرِّضِيْنَ، ذَوَتْ[1] فِي جَلِيْلِ مَقْصِدِكُمْ زِيْنَةُ الْأَثْوَابِ، وَعِزَّةُ الْأَنْسَابِ، وَزَخَارِفُ الْأَلْقَابِ وَالْأَحْسَابِ، قَالَ - تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ وَعَمَّتْ نَعْمَاؤُهُ -: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [الحج].

وَتَأَمَّلُوا - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - الْأُسْلُوْبَ التَّنْكِيْرِي فِي سِيَاقِ الْاِمْتِنَانِ، وَهِيَ صِيْغَةٌ مِنْ صِيَغِ الْعُمُوْمِ؛ لِتَعُمَّ مَنَافِعَ الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَفِي هَذِهِ الْمَوَاكِبِ الْحَبِيْبَةِ، وَالْحُشُوْدِ الْمُبَارَكَةِ الْمُنِيْبَةِ، الَّتِي اتَّحَدَتْ زَمَانًا وَمَكَانًا، شَعَائِرَ وَمَشَاعِرَ، يَعْقِدُ الْإِسْلَامُ - وَفِي أَحْكَمِ مَا يَكُوْنَ الْعَقْدُ - بِإِحْدَىٰ مَنَافِعِ الْحَجِّ الْجُلَّىٰ، مَنَاطَ الْوَحْدَةِ الْجَمَاعِيَّةِ، وَالرُّوْحِيَّةِ الصَّلْبَةِ، الَّتِي تَنْحَسِرُ دُوْنَهَا كُلُّ الْمِحَنِ وَالْمَآسِي الَّتِي ارْتَكَسَتْ فِيْهَا أُمَّتُنَا، قَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء]، وَلَئِنْ تَبَصَّرَ الْمُسْلِمُوْنَ أَحْوَالَهُمْ فِي هَذَا الْمُنْعَطَفِ الْخَطِرِ مِنْ تَارِيْخِ أُمَّتِهِمْ، لَأَيْقَنُوا بِأَنَّ مَا لَحِقَهُمْ

---

(١) ذَوَتْ: ذَبلتْ ويبست. يُنظر: «تاج العروس» (ذوى).

مِنْ ذُلٍّ وَهَوَانٍ، وَمَا لَفَّهُمْ مِنْ لُغُوْبٍ وَضَنَىٰ، فِي كَثِيْرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ، إِنَّمَا يَعُوْدُ إِلَىٰ تَمَزُّقِ رَوَابِطِهِمْ، وَتَقَوُّضِ قَوَاعِدِهِمْ وَضَوَابِطِهِمْ.

وَمَا شَعِيْرَةُ الحَجِّ - **أَيُّهَا الحُجَّاجُ الأَمَاجِدُ** - فِي مَجْمَعِهَا الْعَتِيْدِ، وَجَوْهَرِهَا وَمَظْهَرِهَا الْفَرِيْدِ، إِلَّا دَعْوَةٌ لِلْمُسْلِمِيْنَ إِلَىٰ وُجُوْبِ الْوَحْدَةِ وَالاِتِّحَادِ، وَثَنْيٌ لَهُمْ عَمَّا مُنُوا بِهِ فِي هَذِهِ الحِقْبَةِ المُعَاصِرَةِ مِنْ تَنَافُرٍ وَتَنَاثُرٍ. لَقَدْ آنَ الأَوَانُ أَنْ تَجْعَلَ أُمَّةُ الإِسْلَامِ مِنْ هَذَا الـمَوْسِمِ الإِسْلَامِيِّ فُرْصَةً لِاجْتِمَاعِهَا، وَمُنَاسَبَةً لِاتِّحَادِهَا، بَعْدَمَا فَرَّقَتْهَا الْفِتَنُ وَالْأَهْوَاءُ، وَشَتَّتَتْهَا المِحَنُ وَالْأَدْوَاءُ، وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُوْلُ: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات:١٠]، وَيَقُوْل - سُبْحَانَهُ -: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ [آل عمران:١٠٣].

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ - ضُيُوْفَ الرَّحْمَٰنِ -: وَكُبْرَىٰ الْقَضَايَا الَّتِي ارْتَكَزَ عَلَيْهَا رُكْنُ الحَجِّ الرَّكِيْنُ، وَقَامَتْ عَلَيْهَا جَمِيْعُ الطَّاعَاتِ وَالْعِبَادَاتِ، هِيَ تَجْرِيْدُ التَّوْحِيْدِ، الَّذِي هُوَ حَقُّ اللَّهِ عَلَىٰ الْعَبِيْدِ، وَإِفْرَادُهُ - سُبْحَانَهُ - بِالْعِبَادَةِ دُوْنَ سِوَاهُ، وَنَبْذُ الشِّرْكِ وَمَا ضَاهَاهُ.

فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ أَعْنِي طَرِيْقَ الحَقِّ وَالإِيْمَانِ[1]

فَصَلَاحُ الْعَقِيْدَةِ سَبَبٌ لِكُلِّ صَلَاحٍ، يَقُوْلُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وَمَنْ تَدَبَّرَ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَجَدَ كُلَّ صَلَاحٍ فِي الْأَرْضِ سَبَبُه تَوْحِيْدُ اللَّهِ وَعِبَادَتُهُ، وَطَاعَةُ رَسُوْلِهِ ﷺ، وَكُلَّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ وَفِتْنَةٍ وَبَلَاءٍ وَتَسْلِيْطِ عَدُوٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُوْلِ ﷺ، وَالدَّعْوَةُ إِلَىٰ غَيْرِ اللَّهِ»[2]، وَأَعْظَمُ مَقَاصِدِ الحَجِّ تَوْحِيْدُ الله فِي الْعَقِيْدَةِ وَالمَنْهَجِ، وَالإِذْعَانُ لَهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ، وَالتَقَرُّبُ لَهُ بِالْعَجِّ وَالثَّجِّ[3].

وَمَا كَلِمَاتُ التَّلْبِيَةِ المُشْرِقَةُ الْعِذَابُ، الَّتِي تَصْطَفِقُ[4] لَهَا أَصْدَاءُ الرِّحَابِ الطَّاهِرَةِ، إِلَّا رَمْزُ التَّوْحِيْدِ وَالإِيْمَانِ، وَعُنْوَانُ الخُضُوْعِ

---

(١) يُنظر: «النونية» بشرح ابن عيسى (٢/ ٢٥٨).

(٢) يُنظر: «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٢٥).

(٣) كما في حديث أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ أَنَّ النبي ﷺ سُئِلَ: أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ؟ قال: «الْعَجُّ وَالثَّجُّ». أخرجه الترمذي (٨٢٧)، وابن ماجه (٢٩٢٤)، والدارمي في «سننه» (٢/ ٤٩). والعَجُّ: رَفْعُ الصَّوْتِ بِالتَّلْبِيَةِ، والثَّجُّ: سَيلَانُ دَمِ الهَدْيِ والأَضاحِي. يُنظر: «غريب الحديث» لابن سلام (١/ ٢٧٩).

(٤) تَصْطَفِقُ: تَضْطَرِبُ، يُقال: اصْطَفَقَ المجلس بالقوم: إذا ضاق بهم واضطرب. يُنظر: «تاج العروس» (صفق).

وَالإِذْعَانِ، وَقَدْ وَصَفَ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّـهِ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا ـ إِهْلَالَ النَّبِيِّ ﷺ قَائِلًا: «**فَأَهَلَّ رَسُوْلُ اللَّـهِ ﷺ بِالتَّوْحِيْدِ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَيْكَ، لَبَيْكَ لَا شَرِيْكَ لَكَ لَبَّيْكَ**»[1]. وَلِأَجْلِ التَّوْحِيْدِ رُفِعَتْ قَوَاعِدُ هَذَا الْبَيْتِ الْمُعَظَّمِ، قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا** ﴾ [الحج:٢٦]، وَمَعَ تَقَرُّرِ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَكَوْنِ الْحَجِّ يَنْهَىٰ عَنِ الشِّرْكِيَّاتِ وَلَوْثَاتِهَا، وَوُضُوْحِهِ وُضُوْحَ الشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ، إِلَّا أَنَّ الْبَعْضَ لَا يَفْتَأُ يَشُوْبُ هَذَا التَّوْحِيْدَ بِمَا يُكَدِّرُ صَفَاءَهُ، وَيَخْدِشُ بَهَاءَهُ، فَهَلْ تُجْدِي شَيْئًا الاسْتِغَاثَةُ بِالْمَقْبُوْرِ، وَسُؤَالُهُ قَضَاءَ الْحَاجَاتِ وَدَفْعَ الشُّرُوْرِ؟ لَعَمْرُ اللهِ! إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ أَبْطَلِ الْبَوَاطِلِ، قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ تَبْكِيْتًا لِهَؤُلَاءِ: ﴿ **قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾** ﴾ [الإسراء].

وَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلَامِ عُمُومًا، وَقَاصِدِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ خُصُوصًا، أَنْ يَكُوْنُوا مَثَلًا عَالِيًا فِي إِسْلَامِ الْوَجْهِ للهِ، وَإِفْرَادِهِ بِخَالِصِ التَّوْحِيْدِ، وَصِدْقِ الْعُبُوْدِيَّةِ، مَعَ التَّمَسُّكِ الْوَثِيْقِ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالْتِزَامِ

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٥٣).

مَنْهَجِ الإِسْلَامِ الحَقِّ فِي الاِعْتِدَالِ وَالْوَسَطِيَّةِ، كَمَا قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]، وَالتَّحَلِّي بِجَمِيلِ الْأَخْلَاقِ وَالمَزَايَا، وَكَرِيمِ الشَّمَائِلِ وَالسَّجَايَا.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: الحَجُّ مَشْهَدٌ جَلِيْلٌ مَهِيبٌ مِنْ مَشَاهِدِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَجْتَمِعُ فِيْهِ المُسْلِمُوْنَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَإِنَّ النَّاظِرَ فِي أَحْوَالِ الحَجِيْجِ يَقِفُ عَلَىٰ صُوْرَةٍ جَلِيَّةٍ، تَحْكِي وَاقِعَ الْأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِحُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مِنَ المُنْطَلَقَاتِ المُهِمَّةِ أَنْ تَسْتَثْمِرَ الْأُمَّةُ هَذِهِ المُنَاسَبَةَ الْعَظِيْمَةَ لِإِصْلَاحِ وَاقِعِهَا فِي جَمِيْعِ جَوَانِبِهِ، فَإِنَّ المُسْتَقْرِئَ لِأَحْوَالِهَا يَرْجِعُ بِالْأَسَىٰ لِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا فِي كَثِيْرٍ مِنْ أَوْضَاعِهَا، حَيْثُ انْدَرَسَتْ جُمْلَةٌ مِنْ مَعَالِمِ الشَّرِيْعَةِ حِيْنَمَا كَدَّرَتْهَا شَوَائِبُ الضَّلَالَةِ وَالهَوَىٰ، فَانْفَرَطَ عِقْدُ وَحْدَتِهَا، وَتَفَرَّقَتْ بِهَا السُّبُلُ وَالْآرَاءُ، وَتَجَارَتْ بِهَا المِحَنُ وَالأَهْوَاءُ، وَذَرَّ قَرْنُ الْفِتْنَةِ فِي كَثِيْرٍ مِنْ مُجْتَمَعَاتِهَا، وَتَكَلَّمَتِ الرُّوَيْبِضَةُ، وَتَنَامَىٰ فِكْرُ الْغُلُوِّ وَالإِرْهَابِ، وَلَمْ تَسْلَمِ الْبِلَادُ الآمِنَةُ مِنْ غَوَائِلِ الْعُنْفِ وَالإِرْعَابِ.

وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ ـ وَمِمَّا يَزِيْدُ الْفِتَنَ فِتَنًا ـ افْتِتَانُ كَثِيْرٍ مِنْ أَبْنَائِهَا بِالْعَوْلَمَةِ المُعَاصِرَةِ، الَّتِي لَمْ تَكْتَفِ بِتَرْوِيْجِ ثَقَافَاتٍ وَأَنْمَاطٍ سُلُوْكِيَّةٍ مُجَرَّدَةٍ، بَلْ تَجَاوَزَتْ ذَلِكَ إِلَىٰ اخْتِرَاقِ الْعُقُوْلِ وَالْأَفْكَارِ، بِالمَبَادِئِ المَادِّيَّةِ،

الَّتِي تُعْرِضُ عَنْ هِدَايَاتِ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيَّةِ، مِمَّا يَكْشِفُ بِجَلَاءٍ عَنْ مَدَىٰ التَّقْلِيْدِ وَالتَّبَعِيَّةِ، الَّتِي تَنْخُرُ فِي جَسَدِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَتَحُوطُهَا بِالْضَّعْفِ وَالخَوَرِ وَالانْهِزَامِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الحَجَّ فُرْصَةٌ لِلتَّذْكِيْرِ بِأَنَّ مَدَارَ صَلَاحِ الْأُمَّةِ، وَسَعَادَتِهَا، وَعِزَّتِهَا، وَرِيَادَتِهَا، عَلَىٰ قُوَّةِ تَمَسُّكِهَا بِعَقِيْدَتِهَا وَثَوَابِتِهَا.

أَلَا مَا أَرْوَعَ شَأْنَ الْحَجِيْجِ حِيْنَمَا يُعَبِّرُوْنَ عَنْ عُبُوْدِيَّتِهِمْ لِرَبِّهِمْ بِالْتِزَامِهِمْ بِأَمْرِهِ! وَمَا أَحْسَنَ حَالَهُمْ وَهُمْ يَهْتِفُوْنَ بِحُبِّهِمْ لِرَسُوْلِهِ ﷺ بِمُتَابَعَةِ سُنَّتِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي المَنَاسِكِ وَغَيْرِهَا! وَمَا أَجَلَّ تَعْبِيْرَهُمْ عَنِ الإِيْمَانِ، بِتَكَبُّدِ المَشَاقِّ؛ لِيُؤَدُّوا المَنَاسِكَ عَلَىٰ وَجْهِهَا الشَّرْعِيِّ! وَمَا أَجْمَلَ شِعَارَهُمْ حِيْنَ يُلَبُّوْنَ للهِ بِالتَّوْحِيْدِ!

أَمَا وَالَّذِي حَجَّ المُحِبُّوْنَ بَيْتَهُ   وَلَبُّوا لَهُ عِنْدَ المُهَلِّ وَأَحْرَمُوا

دَعَاهُمُ فَلَبَّوْهُ رِضًا وَمَحَبَّةً   فَلَمَّا دَعَوْهُ كَانَ أَقْرَبَ مِنْهُمُ(١)

وَنَحْسَبُ أَنَّ نُفُوسَ إِخْوَانِنَا الحُجَّاجِ مُقْبِلَةٌ عَلَىٰ الطَّاعَةِ، مُتَقَرِّبَةٌ إِلَىٰ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، مُتَخَلِّيَةٌ عَنْ كُلِّ الشِّعَارَاتِ، مُبْتَعِدَةٌ عَنِ المُزَايَدَاتِ وَالمُهَاتَرَاتِ، مُحَاذِرَةٌ كُلَّ اللَّوَثَاتِ وَالمُخَالَفَاتِ، مُلْتَزِمَةٌ بِكَافَّةِ التَّوْجِيْهَاتِ

---

(١) يُنظر: «القصيدة الميمية» للعلامة ابن قيم الجوزية - شرح عراقي (ص١٥٧).

وَالتَّعْلِيمَاتِ؛ لِذَلِكَ كَانَ هَذَا المَقَامُ مِنْ أَعْظَمِ المَقَامَاتِ الَّتِي يَتَأَكَّدُ فِيهَا التَّنَادِي بِالصَّلَاحِ وَالإِصْلَاحِ، عَلَىٰ مَنْهَجِ النَّجَاحِ وَالْفَلَاحِ، المُتَمَثِّلِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ الله.

فَيَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ، وَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، يَا جُمُوعَ الطَّائِفِيْنَ بِكَعْبَةِ اللَّهِ، الْقَائِمِيْنَ حَوْلَ بَيْتِ اللَّهِ، الرَّاكِعِيْنَ السَّاجِدِيْنَ فِي حَرَمِ اللَّهِ، يَا مَنْ أَتَيْتُمْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيْقٍ، وَاجْتَمَعْتُمْ فِي أَرْجَاءِ هَذَا البَيْتِ الْعَتِيْقِ، هَذِهِ قِبْلَتُكُمْ قِبْلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَبِأَيِّ مُسَوِّغٍ شَرْعِيٍّ تَخْتَلِفُوْنَ؟ وَبِأَيِّ مُقْتَضًى عِلْمِيٍّ تَتَفَرَّقُوْنَ؟ وَبِأَيِّ مُوْجِبٍ مَنْطِقِيٍّ تَتَنَازَعُوْنَ؟ وَأَنْتُمْ أَمَامَ قِبْلَتِكُمْ تَجْتَمِعُوْنَ، وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ إِلَيْهَا تَتَوَجَّهُوْنَ، وَشَطْرَهَا تُيَمِّمُوْنَ، أَمَا تَعْلَمُوْنَ وَتُوْقِنُوْنَ أَنَّ فِي مُخَالَفَتِكُمْ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ - مِنَ الاِعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعًا - ذَهَابَ رِيْحِكُمْ، وَضَيَاعَ هَيْبَتِكُمْ، وَتَسْلِيطَ عَدُوِّكُمْ عَلَيْكُمْ!!

أَيُّهَا المَاثِلُوْنَ بَيْنَ يَدِي اللَّهِ، المُيَمِّمُوْنَ وُجُوْهَكُمْ شَطْرَ حَرَمِ اللَّهِ! أَلَمْ يَأْنِ الأَوَانُ أَنْ تَتَوَحَّدُوا فَلَا تَتَنَافَرُوا؟! وَتَهُبُّوا إِلَىٰ قَضَايَاكُمْ فَلَا تَتَخَاذَلُوا؟! وَلَيْسَ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جَدْوَىٰ تَسْتَنْقِذُكُمْ مِمَّا أَلَمَّ بِكُمْ.

أَيُّهَا المُعَظِّمُوْنَ لِحُرُمَاتِ اللَّهِ! أَمَا تَعْلَمُوْنَ أَنَّ حُرْمَةَ هَذَا الْبَيْتِ

عِنْدَ اللَّهِ عَظِيْمَةٌ، وَأَنَّ حُرْمَةَ دَمِ المُسْلِمِ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْهُ عِنْدَ اللَّهِ! إِنَّ المُعظِّمِيْنَ لِهَذَا الْبَيْتِ حَقًّا، هُمْ مَنْ يُعَظِّمُوْنَ حُرْمَةَ دِمَاءِ المُسْلِمِيْنَ، وَيَصُوْنُوْنَ حُرُمَاتِهِمْ، وَيَذُوْدُوْنَ عَنْهَا بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيْعُوْنَ، يَتَتَرَّسُوْنَ بِقُلُوْبِهِمْ، وَيَتَحَصَّنُوْنَ بِأَرْوَاحِهِمْ، وَيَفْتَدُوْنَهُمْ بِفَلَذَاتِ أَكْبَادِهِمْ، أَوْ يَهْلِكُوْنَ دُوْنَ أَنْ يُخْلَصَ إِلَيْهَا بِمَكْرٍ أَوْ كَيْدٍ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَبِيْحُهَا أَوْ يُعِيْنُ عَلَيْهَا، أَوْ يَسْكُتُ وَيَتَغَاضَىٰ عَنْ مُرْتَكِبِيْهَا! أَلَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا المَوْقِفِ الْعَظِيْمِ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»(١)؟ أَلَمْ يَقُلْ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(٢)؟ فَضَرَبَ بَعْضُنَا رِقَابَ بَعْضٍ، وَأَعْمَلَ فِي إِخْوَانِهِ خُرُوْجًا وَتَكْفِيْرًا، وَفِي مُجْتَمَعِهِ إِفْسَادًا وَتَفْجِيْرًا، وَفِي وَطَنِهِ تَخْرِيْبًا وَتَدْمِيْرًا، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ!!!

يَا أَيُّهَا المُحْرِمُوْنَ المُحَرِّمُوْنَ لِأَكْنَافِ هَذَا الحَرَمِ الطَّاهِرِ، أَلَسْتُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) من حديث جرير رضي الله عنه.

تَسْأَلُوْنَ عَنْ أَكْنَافِ[1] شَقِيْقِهِ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ المُبَارَكِ؟ أَوَلَيْسَتْ أَكْنَافُهُ هُنَاكَ تُسْتَبَاحُ!؟ أَوَلَيْسَ يَعِيْشُ سَلِيْبًا مَهِيْضَ[2] الجَنَاحِ؟ وَلَكِنْ مَعَ كُلِّ ذَلِكَ فَالتَّفَاؤُلُ عَظِيْمٌ بِانْبِلَاجِ[3] نُوْرِ الْصَّبَاحِ! فَهَلْ مِنْ تَحَرُّكٍ جَادٍّ لِإِزَالَةِ دَنَسِ الْغَاصِبِيْنَ، وَرِجْسِ المُعْتَدِيْنَ المُحْتَلِّيْنَ؟ يَا أُمَّةَ الْشَّهَادَةِ وَالْخَيْرِيَّةِ عَلَىٰ الْعَالَمِيْنَ.

فَإِذَا كَانَتْ تَنْهَمِرُ مِنْكُمْ هُنَا الدُّمُوْعُ بِالْبُكَاءِ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هُنَاكَ تَنْهَمِرُ مِنْ أَجْسَادِهِمْ شَلَّالَاتُ الدِّمَاءِ، وَشَتَّانَ بَيْنَ دُمُوْعٍ مُنْهَمِرَةٍ، وَذَوَاتٍ فِي الدِّمَاءِ مُنْغَمِرَةٍ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ!!

فَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، إِنَّنَا نُنَاشِدُكُمُ اللَّهَ أَنْ تَكُوْنُوا فِي طَلِيْعَةِ الْأُمَّةِ إِلَىٰ إِصْلَاحِ أَحْوَالِهَا، وَفِي الْصَّدَارَةِ إِلَىٰ اسْتِقَامَةِ أَوْضَاعِهَا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، وَلْتَسْتَقْبِلُوا أَيَّامَكُمْ بِصَفْحَةٍ نَاصِعَةٍ، مُفْعَمَةٍ بِجَلَائِلِ الأَعْمَالِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ صَلَاحِ الحَالِ، وَرَفْعِ الْبَلَاءِ، الْإِلْحَاحَ عَلَىٰ اللهِ بِالْدُّعَاءِ،

---

(١) أَكْنَافُ: جمع كَنَف، وهو الجانب والظل والناحية. يُنظر: «اللسان» (كنف).

(٢) مَهِيْضُ: مكسور. انظر: «اللسان» (هيض).

(٣) تقدم بيان معناها (ص٨٦).

فَادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُم مُوْقِنُوْنَ بِالْإِجَابَةِ، وَخُصُّوا إِخْوَانَكُمْ الْمُسْتَضْعَفِيْنَ فِي الْأَرْضِ الْمُبَارَكَةِ فِلَسْطِيْنَ، وَفِي بِلادِ الرَّافِدَيْنِ وَغَيْرِهَا، بِمَزِيْدٍ مِنَ الدَّعَوَاتِ الصَّالِحَاتِ، فَلَعَلَّ وَعَسَىٰ:

عَسَىٰ وَعَسَىٰ مِنْ قَبْلِ وَقْتِ التَّفَرُّقِ
إِلَىٰ كُلِّ مَا تَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ تَرْتَقِي
فَيُجْبَرُ مَكْسُوْرٌ وَيُقْبَلُ تَائِبٌ
وَيُعْتَقُ خَطَّاءٌ وَيَسْعَدُ مَنْ شَقِي(١)

ومَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ - فَضْلًا مِنْهُ - بِأَنْ يُعِيْدَهُ مِنْ ذُنُوْبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، كَيْفَ يُسَوِّدُ صَفَحَاتَهُ فِي مُسْتَقْبَلِ أَيَّامِهِ، وَيَسْتَقْبِلُ حَيَاتَهُ بِمَسَاخِطِ اللَّهِ، وَالجُرْأَةِ عَلَىٰ حُدُوْدِهِ؟

أَلَا فَلْنُقْلِعْ عَنْ كُلِّ أَمْرٍ مُحَرَّمٍ، وَلْنَتَحَلَّ بِكُلِّ خَيْرٍ وَفَضِيْلَةٍ، وَلْنَحْذَرْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَرَذِيْلَةٍ، فَإِنَّهُ بِمَجْمُوْعِ مُخَالَفَاتِ الأَفْرَادِ، وَبِمُجْمَلِ تَهَاوُنِ الْمُجْتَمَعَاتِ، نَزَلَ بِالْأُمَّةِ مَا نَزَلَ، وَلَكِنْ لَا يَأْسَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَلَا قُنُوْطَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَإِنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.

---

(١) يُنظر: «لطائف المعارف» (ص٣٨٨).

تِلْـكَ ـ أَيُّهَـا المُؤْمِنُـونَ ـ قَبَسَاتٌ مِـنْ سِرَاجِ الحَـجِّ الْوَهَّـاجِ، وَإِضَاءَاتٌ لِلْحَجِيْجِ وَذِكْرَىٰ وَمِنْهَاجٌ. وَإِنَّهُ لَخَلِيْقٌ بِالأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ تَعِيْشُ مَرْحَلَةً مِنْ أَخْطَرِ مَرَاحِلِهَا التَّأْرِيخِيَّةِ، أَنْ تَسْتَلْهِمَ مِـنْ هَـذِهِ الْفَرِيْـضَةِ دُرُوْسَ الْوَحْـدَةِ وَالْعِـزَّةِ وَالإِبَـاءِ، وَمَعَـانِيَ الأُلْفَـةِ وَالإِخَـاءِ، وَالمَوَدَّةِ وَالْصَّفَاءِ، وَالمَحَبَّةِ وَالنَّقَاءِ، وَإِنْ شَطَّتْ بِهِمُ الْدِّيَارُ، وَاخْتَلَفَتْ بَيْنَهُمُ اللُّغَاتُ وَنَأَتِ الأَمْصَارُ؛ إِذِ الحَجُّ ـ وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ مَنَافِعَ وَعِبَرٍ، وَحِكَمٍ أَغْلَىٰ مِنَ الْدُّرَرِ ـ دَوَاءٌ لِعِلَلِ الأُمَّةِ وَأَدْوَائِهَا، وَمُقَاوَمَةٌ لِتَيَّارَاتِ النِّزَاعَاتِ وَالْشِّقَاقِ فِيْهَا، كَمَا أَنَّهُ خَيْرُ مَنْهَلٍ تَصْدُرُ عَنْهُ الأُمَّةُ؛ لِتَرْسِيْخِ مُقَوِّمَاتِهَا وَأُصُوْلِ عِزَّتِهَا، الَّتِي تُشْرِقُ بِهَا شَمْسُهَا مِنْ جَدِيْدٍ.

فَاللَّـهَ اللَّـهَ حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّـهِ! فِي تَعْظِيْمِ هَـذِهِ الْشَّعِيْرَةِ، كَمَا شَرَعَ اللَّـهُ: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج]، وَأَدَائِهَا كَمَا سَنَّ المُصْطَفَىٰ رَسُوْلُ اللَّـهِ ﷺ، القَائِلُ فِيمَا أَخْرَجَهُ الْشَّيْخَانِ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»[1]، وَالحَذَرَ! مِنْ تَعْرِيْضِهَا لِلنَّوَاقِضِ وَالنَّوَاقِصِ فِي أَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، وَآدَابِهَا وَمُسْتَحَبَّاتِهَا، وَسَائِرِ أَحْكَامِهَا. وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ الْقَصْدِ وَهُوَ الهَادِي إِلَىٰ سَوَاءِ الْسَّبِيْلِ، أَعُوْذُ

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٥٤).

بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة:١٩٧].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْوَحْيَيْنِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، أَقُوْلُ مَا سَلَفْ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي وَلَكُمْ فِي رَحْمَتِهِ عِوَضًا عَنْ كُلِّ خَلَفٍ، وَتُوْبُوا إِلَىٰ اللهِ جَمِيْعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُوْنَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ، وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ، إِنَّ رَبِّي رَحِيْمٌ وَدُوْدٌ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لِلَّهِ خَصَّ مَوْسِمَ الحَجِّ بِمَزِيْدٍ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ وَكَامِلُ الصِّفَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُوْلُهُ المَبْعُوْثُ بِالهُدَىٰ وَالْبَيِّنَاتِ، وَأَحْكَامِ الحَجِّ النَّيِّرَاتِ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الهُدَاةِ الْتُّقَاةِ، وَالْتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَرْجُو الْفَوْزَ بِأَعْلَىٰ الجَنَّاتِ، وَالْنَّجَاةَ مِنْ مَهَاوِي الْدَّرَكَاتِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيْرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَطِيْعُوْهُ، وَازْدَلِفُوا إِلَيْهِ بِالْشُّكْرِ وَلَا تَعْصُوْهُ، لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ المُبَارَكَةِ، وَالْأَمْكِنَةِ المُقَدَّسَةِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: وَمِنْ فَضْلِ الله - سُبْحَانَهُ - وَجَزِيْلِ نَعْمَائِهِ، مَا نَعِيْشُهُ مِنْ عَبَقِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْغُرِّ الْفَاضِلَةِ، الْعَشْرِ الْأُوَلِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ، الَّتِي عَظَّمَ اللَّهُ شَأْنَهَا، وَرَفَعَ قَدْرَهَا، وَأَقْسَمَ بِهَا فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ المُبِينِ، فَقَالَ - جَلَّ جَلَالُه -: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر]، قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: **«المُرَادُ بِهَا: عَشْرُ ذِي الحِجَّةِ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ**

وَالخَلَفِ ـ رَحِمَهُمُ اللَّـهُ ـ »[1] وَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ [الحج:٢٨].

وَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»[2] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللَّـهِ ﷺ: **«مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّـهِ مِنْ هَـذِهِ الأَيَّامِ الْعَشْرِ»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّـهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ؟ قَالَ: **«وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»**.

اللَّـهُ أَكْبَرُ! يَالَهُ مِنْ فَضْلٍ عَظِيْمٍ، وَمَوْسِمٍ بِالْخَيْرَاتِ عَمِيْمٍ، فَيُسْتَحَبُّ فِي هَـذِهِ الْعَشْرِ الْمُبَارَكَةِ الإِكْثَارُ مِنْ جَمِيْعِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَخَاصَّةً التَّكْبِيْر، فَقَدْ رَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ[3] مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله ﷺ: **«فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيْلِ وَالتَّكْبِيْرِ وِالتَّحْمِيْدِ»**. قَالَ البُخَارِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ ـ: **«وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ يَخْرُجَانِ لِلسُّوْقِ وَيُكَبِّرَانِ، فَيُكَبِّرُ النَّاس**

---

(١) يُنظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٠٦).

(٢) برقم (٩٦٩).

(٣) في «المسند» (٢/ ١٣١).

بِتَكْبِيْرِهِمَا»[1]، **اللَّـهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّـهِ الحَمْدُ.**

فَبَادِرُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُوْنَ إِلَىٰ انْتِهَازِ هَذِهِ الْفُرَصِ الثَّمِيْنَةِ، فَإِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ قَلَائِلُ، لَكِنَّمَا الْأَعْمَالُ وَالْأُجُوْرُ فِيْهَا جَلَائِلُ.

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّـهِ الْحَرَامِ: اقْضُوا هَذِهِ الْأَيَّامَ الْمُبَارَكَةَ مُشْتَغِلِيْنَ بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الثَّامِنِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ اسْتُحِبَّ لِلْحُجَّاجِ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَىٰ مِنَىٰ، فَيُصَلُّوا بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ، وَيَبِيْتُوا بِهَا لَيْلَةَ التَّاسِعِ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ التَّاسِعِ تَوَجَّهُوْا إِلَىٰ عَرَفَاتٍ، فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ وَقَفُوْا بِهَا الْمَوْقِفَ الْعَظِيْمَ، مُشْتَغِلِيْنَ بِالذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، فَمَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّـهُ فِيْهِ عَبِيْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، يَقُوْلُ ﷺ: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ**»[2].

---

(١) يُنظر: «صحيح البخاري» (٢/ ٢٠): كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

فَإِذَا غَرَبَتْ الشَّمْسُ، ازْدَلَفُوا إِلَىٰ المُزْدَلِفَةِ، وَبَاتُوا بِهَا لَيْلَةَ الْعِيْدِ، وَفِي صَبِيْحَةِ يَوْمِ الْعِيْدِ يَرْمِي الحُجَّاجُ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، ثُمَّ يُكْمِلُوْنَ بَقِيَّةَ المَنَاسِكِ مِنَ الذَّبْحِ وَالحَلْقِ أَوِ التَّقْصِيْرِ وَالطَّوَافِ، قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج]، وَيَنْبَغِي عَلَىٰ الحُجَّاجِ أَنْ يَتَفَقَّهُوا فِي أَحْكَامِ المَنَاسِكِ، وَيَسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ عَمَّا يُشْكِلُ عَلَيْهِمْ، قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل]، تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَ الحُجَّاجِ حَجَّهُمْ، وَجَعَلَهُ حَجًّا مَبْرُوْرًا، وَسَعْيًا مَشْكُوْرًا، وَذَنْبًا مَغْفُوْرًا، وَأَعَادَهُمْ إِلَىٰ أَوْطَانِهِمْ بِأَعْظَمِ الأُجُوْرِ، وَأَهْنَىٰ السُّرُوْرِ، إِنَّهُ خَيْرُ مَسْؤُوْلٍ وَأَكْرَمُ مَأْمُوْلٍ.

هَذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ عَلَىٰ النَّبِيِّ المُصْطَفَىٰ وَالرَّسُوْلِ المُجْتَبَىٰ، خَيْرِ مَنْ أَدَّىٰ المَنَاسِكَ وَأَوْضَحَهَا لِكُلِّ نَاسِكٍ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ المَوْلَىٰ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ فِي مُحْكَمِ قِيْلِهِ، وَأَصْدَقِ تَنْزِيْلِهِ، فَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ قَوْلًا كَرِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

القِسْمُ السَّادِسُ:
الأَخْلاقُ والسُّلُوك

الخُطْبَةُ الأُولَى:

الحَمْدُ للَّـهِ الْكَبِيرِ المتَعَالِ، تَفَرَّدَ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَتَفَضَّلَ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِجَزِيلِ النَّوَالِ، وَتَنَزَّهَ عَنِ الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ، أَحْمَدُهُ - تَعَالَىٰ - حَمْدًا يَسْتَدْعِي مَزِيدَ الْأَفْضَالِ، بِيَدِهِ الخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الحَمْدُ فِي كُلِّ آنٍ، وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَأَشْكُرُهُ - سُبْحَانَهُ - شُكْرًا يَتَجَدَّدُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، فَكَمْ مَنَحَ مِنْ نَعْمَاءَ، وَدَفَعَ مِنْ بَأْسَاءَ، فَنسْأَلُهُ - سُبْحَانَهُ - أَنْ يُوزِعَنَا[1] شُكْرَ نِعَمِهِ، وَأَنْ يُثَقِّلَ مَوَازِينَنَا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ذُو الْعَظَمَةِ وَالجَلَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُاللَّـهِ وَرَسُولُهُ، المَنْعُوتُ بِكَرِيمِ السَّجَايَا، وَشَرِيفِ الخِصَالِ، صَلَّىٰ اللَّـهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيرِ صَحْبٍ وَآلٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يومِ المآلِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّـهَ - عِبَادَ اللَّـهِ - فَإِنَّ مَنِ اتَّقَىٰ اللَّـهَ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ

---

(١) يُوزِعَنَا: يلهمنا، أوزعه الشيء: ألهمه إياه، يُنظر: «اللسان» (وزع).

عَلَيهِ كَفَاهُ، وَمَنْ لَاذَ بِهِ حَفِظَهُ وَحَمَاهُ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ رِسَالَةُ خَيرٍ وَبِرٍّ وَسَلَامٍ، وَمَبادِئُهُ مَبَادِئُ عَدْلٍ وَحُبٍّ وَوِئَامٍ، فَمَا عَرَفَتِ الْبَشَرِيَّةُ دِينًا خَيرًا مِنْهُ، وَلَا جَرَّبَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ نِظَامًا أَحْسَنَ مِنْهُ وَأَكْمَلَ، وَأَفْضَلَ مِنْهُ وَأَشْمَلَ، لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ! مَبادِئُهُ تَيسِيرٌ لَا تَعْسِيرٌ، وَتَبْشِيرٌ لَا تَنْفِيرٌ، خَيرٌ كُلُّهُ، وَعَدْلٌ كُلُّهُ، وَرَحْمَةٌ كُلُّهُ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء].

مِنْ قَوَاعِدِهِ: رَفْعُ الْحَرَجِ، وَمِنْ مَنْهَجِهِ: إِصْلَاحُ الْعِوَجِ، وَمِنْ مَقَاصِدِهِ: إِصْلَاحُ أَحْوَالِ الْعِبَادِ فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ الْإِصْلَاحِ، وَحِمَايَةُ النَّاسِ مِنْ طُرُقِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ. مُعَامَلَتُهُ: حِلْمٌ وَحِكْمَةٌ، رِفْقٌ وَصَبْرٌ، أَنَاةٌ وَتَثَبُّتٌ، نِظَامٌ وَانْضِبَاطٌ. يَدْرَأُ الْمَفَاسِدَ، وَيَجْلِبُ الْمَصَالِحَ، وَيُقَلِّلُ الْخِلَافَ، وَيَحُثُّ عَلَىٰ الْجَمَاعَةِ وَالْإِئْتِلَافِ، وَيَمْنَعُ شُيُوعَ الْفَوضَىٰ، وَيَحْرِصُ عَلَىٰ اسْتِتْبَابِ الْأَمْنِ، وَيَسُدُّ بَابَ الْفِتَنِ، وَيُوصِدُ طَرِيقَ الْإِحَنِ[1] وَالْمِحَنِ.

يَزْجُرُ أَبْنَاءَهُ عَنِ الْعُنْفِ وَالْقَسْوَةِ، وَالْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ، وَالشِّدَّةِ

(١) الإِحَنُ: جمع إِحْنَةٍ، وهي: الحقد والضِّغن. يُنظر: «اللسان» (أحن).

وَالْفَظَاظَةِ[1]. رَبَّىٰ الْإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ عَلَىٰ التَّوَادُدِ وَالتَّرَاحُمِ، وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّفَاهُمِ، وَالتَّرَابُطِ وَالتَّلَاحُمِ: فِي تَعَامُلٍ رَفِيقٍ، وَتَرَابُطٍ وَثِيقٍ، وَتَفَاعُلٍ رَقِيقٍ، وَنِظَامٍ دَقِيقٍ.

وَلِهَذَا، كَانَ الْمُجْتَمَعُ الْإِسْلَامِيُّ: مُجْتَمَعَ مَحَبَّةٍ وَصَفَاءٍ، وَمَوَدَّةٍ وَإِخَاءٍ، وَطُهْرٍ وَنَقَاءٍ، وَسَلَامَةٍ وَهَنَاءٍ، لَا يَعْرِفُ الْحِقْدَ وَالْبَغْضَاءَ، وَالْعُنْفَ وَالشَّحْنَاءَ، يَسُودُ أَبْنَاءَهُ رِفْقٌ وَلَطَافَةٌ، خُلُقٌ وَبَشَاشَةٌ، فِي كَفٍّ لِلْأَذَىٰ، وَبَذْلٍ لِلنَّدَىٰ، كَلِمَةٌ حَادِيَةٌ، وَابْتِسَامَةٌ حَانِيَةٌ تَفْتَحُ الْقُلُوبَ، وَتَهَشُّ لَهَا النُّفُوسُ، وَتَأْسِرُ الْمَشَاعِرَ، وَتَسْلِبُ الضَّمَائِرَ، فَتَتَطَلَّعُ الْأُمَّةُ إِلَىٰ مُجْتَمَعٍ أَفْضَلَ، وَتَجَاوُبٍ أَمْثَلَ، وَإِصْلَاحٍ أَشْمَلَ، وَتَنْشُدُ مَنْزِلَةً أَبْهَىٰ، وَحَالًا أَزْهَىٰ، يُحَقِّقُ مَصَالِحَ الْأُمَّةِ: رُعَاةً وَرَعِيَّةً، حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ.

إِخْوَةُ الْإِسْلَامِ: وَإِذَا كَانَ السَّعْيُ لِإِصْلَاحِ مَا تَفَاقَمَ مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَّةِ، وَمَا تَصَدَّعَ مِنْ بُنْيَانِ الْمُجْتَمَعَاتِ، مَطْلَبَ كُلِّ غَيُورٍ عَلَىٰ دِينِهِ، فَإِنَّ هُنَاكَ مَبْدَأً عَظِيمًا، وَمَنْهَجٌ قَوِيمٌ، يُعْتَبَرُ بَلْسَمًا شَافِيًا، وَحَلًّا كَافِيًا، وَأَمْرًا وَافِيًا، وَدَوَاءً نَاجِعًا، وَعِلَاجًا نَافِعًا، لَا يَتَأَتَّىٰ الْوُصُولُ إِلَىٰ الْمَأْمُولِ،

(١) الفَظَاظَةُ: مصدر فَظَّ، أي: قسا وأساء، فهو: فَظٌّ. والفَظُّ: الجافي المسيء. يُنظر: «اللسان» (فظظ).

إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ، وَإِذَا أُهْمِلَ وَتُرِكَ ؛ جَرَّ الْمُجْتَمَعَ إِلَىٰ بَلَاءٍ خَطِيرٍ، وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ، وَيَتَمَثَّلُ ذَلِكَ المَبْدَأُ فِي مَسْلَكٍ رَشِيدٍ، وَمَنْهَجٍ سَدِيدٍ، ذَلِكُمْ هُوَ: مَبْدَأُ الرِّفْقِ فِي الْأُمُورِ، فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فِي السُّلُوكِ وَالمُعَامَلَاتِ، فِي الْأَخْلَاقِ وَالتَّصَرُّفَاتِ، فِي الدَّعْوَةِ وَالْحِسْبَةِ، فِي الْإِصْلَاحِ وَالتَّرْبِيَةِ، فِي الْبَيتِ وَالْأُسْرَةِ، فِي السُّوقِ وَالمَدْرَسَةِ، فِي الْحُكْمِ عَلَىٰ النَّاسِ جَمَاعَاتٍ وَأَفْرَادًا، بَلْ فِي حَالَتَي السِّلْمِ وَالْحَرْبِ. يَحْتَاجُ إِلَيهِ الرَّاعِي مَعَ الرَّعِيَّةِ، وَالرَّعِيَّةُ مَعَ الرُّعَاةِ، وَالمُرَبِّي مَعَ مُرَبِّيهِ، وَالدَّاعِيَةُ مَعَ مَدْعُوِّيهِ، وَالْقَاضِي وَالمُوَظَّفُ مَعَ مُرَاجِعِيهِ، وَالْعَالِمُ مَعَ تَلَامِيذِهِ، وَالمُدَرِّسُ مَعَ طُلَّابِهِ، وَالْأَبُ مَعَ أَبْنَائِهِ، وَالزَّوجُ مَعَ زَوجِهِ.

وَهَكَذَا كُلُّ مُسْلِمٍ مَعَ إِخْوَانِهِ المُسْلِمِينَ، الْأَقْرَبِينَ وَالْأَبْعَدِينَ، بَلْ حَتَّىٰ مَعَ الْبَهَائِمِ الْعَجْمَاوَاتِ، فَمَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيءٍ إِلَّا شَانَهُ، كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْخَبَرُ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ - عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَالرِّفْقُ وَالْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ وَالْحِكْمَةُ، خِلَالٌ حَثَّ عَلَيهَا الْإِسْلَامُ، لِمَا

---

(١) برقم (٢٥٩٤).

لَـهَا مِنْ آثَارٍ عَظِيمَةٍ عَلَىٰ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالْأُمَّـةِ، فَـالرِّفْقُ يُحَبِّبُ فِـيكَ الرَّفِيقَ، وَيُدْنِي مِنْكَ الصَّدِيقَ.

إِذَا نَـزَلَ الرِّفَـاقُ وَأَنْـتَ مِمَّـنْ بِـلَا رِفْـقٍ بَقِيتَ بِـلَا رَفِيـقِ

وَالْعُنْـفُ يُبْعِـدُكَ عَـنِ الـصَّوَابِ، وَيَجُـرُّ عَلَيْـكَ اللَّـومَ وَالْعِتَـابَ، وَيُفْقِدَكَ الصِّحَابَ وَالْأَحْبَابَ. وَمَـاذَا تَجْنِي مِنْ وَجْهٍ عَبُوسٍ، وَقَلْبٍ يَبُـوسٍ؟! تُرْغِـي[1] وَتُزْبِـدُ[2]، وَتُقَـرِّبُ وَتُبْعِـدُ، وَلَا تَحْـرِقُ إِلَّا قَلْبَـكَ. تَصَرُّفٌ أَحْمَقُ، وَقَولٌ أَخْرَقُ، وَتَعَامَلٌ فَظٌّ!! مَاذَا يَجْنِي الإِنْسَانُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا النَّدَامَةَ وَالمَلَامَةَ، وَحِرْمَانَ الخَيرِ وَالاسْتِقَامَةِ؟! وَالْعِيَاذُ بِاللَّـهِ، رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[3] عَـنْ جَرِيرٍ ﵁ قَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْـخَيرَ كُلَّهُ»**.

فَالرِّفْقُ جِمَاعُ الخَيرِ، وَطَرِيقُ مَحَبَّةِ الخَلْقِ، وَالْوُصُولِ إِلَىٰ الْحَقِّ وَرِضَىٰ الرَّبِ ـ تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ رَوَىٰ الشَّيخَانِ عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا ـ أَنَّ النَّبِيَ ﷺ قَـالَ: **«إِنَّ اللَّـهَ رَفِيـقٌ يُحِبُّ الرِّفْـقَ، وَيُعْطِي عَـلَىٰ الرِّفْـقِ مَـا**

---

(١) تُرْغِي: أي: تُكثر الكلام بِرَفْع الصَّوت، دون فائدة. يُنظر: «اللسان» (رغا).

(٢) تُزْبِدُ: تَغْضَبُ، يُقال: تَزَبَّدَ الإنسان: إذا غضب وظهر على صماغيه زبدتان. يُنظر: «اللسان» (زبد).

(٣) برقم (٢٥٩٢).

لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ»[1]، وَمَا أَظَلَّتِ السَّمَاءُ وَأَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ، أَكْثَرَ رِفْقًا، وَأَعْظَمَ حِلْمًا، مِنَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ وَالْحَبِيبِ الْمُجْتَبَىٰ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَمْ لَاقَىٰ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ وَتَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّهِ؟ وَلَكِنَّهُ صَاحِبُ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ، الْمَوصُوفِ فِي كِتَابِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ** ... ﴾ [آل عمران:١٥٩]. الْآيَة، فَمَعَ شِدَّةِ أَذَىٰ قَومِهِ لَهُ، وَرَدِّهِمْ عَلَيهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِرِسَالَتِهِ، بَلْ تَعَدَّىٰ الْأَمْرُ إِلَىٰ رَشْقِهِ بِالْحِجَارَةِ، وَإِدْمَاءِ عَقِبَيهِ، وَكَسْرِ رَبَاعِيَّتِهِ، وَإِغْرَاءِ السُّفَهَاءِ بِهِ، وَوَضْعِ سَلَىٰ الْجَزُورِ عَلَىٰ جَسَدِهِ الطَّاهِرِ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَمُحَاوَلَةِ قَتْلِهِ؛ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَقُولَ فِي أَشَدِّ الْكُرُبَاتِ - وَهُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ بِأُمَّتِهِ -: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَومِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»**[2].

اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهُ الْمَنْهَجُ عَبْرَ الْقُرُونِ، وَمُرُورِ الْأَعْوَامِ وَالسِّنِينَ، وَاخْتِلَافِ الْأَعْصَارِ وَالْأَمْصَارِ، وَاخْتِلَافِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ، لَيسَ عَنْهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٤، ٦٩٢٧) مختصرًا، ومسلم (٢٥٩٣) واللفظ له.

(٢) تقدم تخريجه (ص١٣١).

خَلاصٌ وَلَا مِنهُ مَناصٌ. وَيوم فَتحِ مَكَّةَ، ظَنَّ أَعْداؤُهُ أَنَّهُ سَيقْتُلُ وَيَنْتَقِمُ، وَيَأْتِي بِأَمْرٍ غَشِمٍ، فَقَالَ: «ما تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟!»، قَالُوا: خَيرًا؛ أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ!»[1]، «لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف]»[2]

وَفَتَحْتَ مَكَّةَ وَالْقُلُوبَ بِحِكْمَةٍ ... يَحْنُو لَهَا السَّيفُ الصَّقِيلُ[3] وَيَحْفِدُ[4]

وَأَتَاكَ قَومُكَ خَائِفِينَ وَكُلُّهُمْ ... يَخْشَونَ بَطْشَكَ حُرُّهُمْ وَالأَعْبُدُ

فَصَفَحْتَ عَنْهُمْ وَالسَّمَاحَةُ وَالنَّدَىٰ ... وَالجُودُ وَالإِحْسَانُ عِنْدَكَ سَرْمَدُ[5]

عَلَيهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ، هَـٰذِهِ سِمَاتُ أَهْلِ الْقُلُوبِ الشَّفِيقَةِ، وَالْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ، وَالأَفكَارِ النَّيِّرَةِ، وَهِيَ فِي الرِّجَالِ تُدرَجُ فِي سُلَّمِ الكَمَالِ عَقْلاً وَرَزَانَةً، بَعِيدًا عَنِ المَسَالِكِ الطَّائِشَةِ، وَالتَّصَرُّفَاتِ الحَمْقَاءِ،

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٣١).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٣٢).

(٣) صَقَلَ الشيء يَصْقِله صَقْلًا فهو مَصْقُول وَصَقِيلٌ: جَلَّاه. يُنظر: «اللسان» (صقل).

(٤) يَحْفِدُ: يُسرع. يُنظر: «اللسان» (حفد).

(٥) سَرْمَد: دائم لا ينقطع. يُنظر: «اللسان» (سرمد).

فَكَمْ سَبَّبَ ذَلِكَ مِنَ المَعَارِكِ الَّتِي تَتَبَذَّلُ فِيهَا الْأَعْرَاضُ، وَتَعْدُو فِيهَا الشَّتَائِمُ عَلَىٰ الْحُرُمَاتِ المَصُونَةِ، وَلَا مُسَوِّغٌ لِذَلِكَ إِلَّا التَّعَجُّلُ وَالِانْدِفَاعُ. وَمِلَاكُ النَّجَاةِ: تَغْلِيبُ الْحِلْمِ عَلَىٰ الْغَضَبِ، وَالرِّفْقِ عَلَىٰ الْعُنْفِ، وَالْأَنَاةِ عَلَىٰ التَّعْجِيلِ، وَمَتَىٰ اجْتَمَعَ فِي فَرْدٍ عُنْفٌ وَعَجَلَةٌ؛ ضَرَّ نَفْسَهُ وَأَوكَسَهَا، وَجَنَىٰ عَلَىٰ مُجْتَمَعِهِ، وَأُمَّتَهُ أَرْكَسَهَا.

إِنَّ الْعُنْفَ فِي الْإِنْسَانِ دَلِيلُ نَقْصٍ وَنَزَقٍ[1]، وَفِي الْأُمَّةِ طَرِيقٌ لِفَسَادٍ كَبِيرٍ، وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ. الْعُنْفُ يُوغِرُ الصُّدُورَ، وَلَا يَحُلُّ الْمُشْكِلَ مِنَ الْأُمُورِ، وَهُوَ فِي مَجَالِ الْإِصْلَاحِ وَالدَّعْوَةِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالْحِسْبَةِ، أَشَدُّ وَأَعْظَمُ.

أَرْسَلَ اللَّهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَونَ: مُدَّعِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْمُتَعَدِّي عَلَىٰ مَقَامِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَرَسَمَ ـ جَلَّ فِي عُلَاهِ ـ مَنْهَجًا يُلْتَزَمُ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه].

يَقُولُ شَيخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيمِيَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «مَنْ أَمَرَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلِيمًا بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، عَلِيمًا بِمَا يَنْهَىٰ

---

(١) سبق بيان معناها (ص٤٩).

عَنْهُ، رَفِيقًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ، رَفِيقًا فِيمَا يَنْهَىٰ عَنْهُ، حَلِيمًا فِيمَا يَأْمُرُ بِهِ، حَلِيمًا فِيمَا يَنْهَىٰ عَنْهُ، فَالْفِقْهُ قَبْلَ الْأَمْرِ، وَالرِّفْقُ عِنْدَ الْأَمْرِ، وَالْحِلْمُ بَعْدَ الْأَمْرِ»[1]، كَمَا يَنْبَغِي لِلدَّاعِيَةِ وَالْمُحْتَسِبِ، أَنْ يَعْرِفَ قَوَاعِدَ الشَّرِيعَةِ، وَمَقَاصِدَ الْإِسْلَامِ، بَادِئًا بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ، آخِذًا بِالْأَصْلَحِ فَالْأَصْلَحِ، فَإِذَا كَانَ أَمَامَهُ مَصْلَحَتَانِ؛ قَدَّمَ أَعْلَاهُمَا، وَإِذَا رَأَىٰ مَصْلَحَةً عَامَّةً، وَأُخْرَىٰ خَاصَّةً، قَدَّمَ الْعَامَّةَ، وَإِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ الْمَصْلَحَةِ وَالْمَفْسَدَةِ، وَتَكَافَأَتَا، قَدَّمَ دَرْءَ الْمَفَاسِدِ - وَفِيهِ الْمَصْلَحَةُ - عَلَىٰ جَلْبِ الْمَصَالِحِ، وَإِذَا تَعَارَضَتْ مَفْسَدَتَانِ، أَخَذَ بِأَدْنَاهُمَا؛ يَتَغَيَّىٰ فِي مُوَازَنَتِهِ الرِّفْقَ وَالسَّمَاحَةَ. أَمَّا إِلْقَاءُ الْقَوْلِ أَوِ الْفِعْلِ عَلَىٰ عَوَاهِنِهِ[2] دُونَ نَظَرٍ فِي الْعَوَاقِبِ، فَلَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي شَيْءٍ، وَلَا مِنَ الرِّفْقِ فِي قَبِيلٍ.

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَصْحِيحِ الْمَنَاهِجِ، وَضَبْطِ الْمَوَاقِفِ، وَتَعْدِيلِ الْمَسَارَاتِ، وَضَبْطِ الْعَوَاطِفِ وَالِانْفِعَالَاتِ، وَتَهْذِيبِ الْحَمَاسَةِ، وَالتَّحَلِّي بِالصَّبْرِ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «**وَمَنْ تَأَمَّلَ عَلَىٰ مَا جَرَىٰ لِلْإِسْلَامِ مِنَ الْفِتَنِ صِغَارِهَا وَكِبَارِهَا، رَآهَا مِنْ إِضَاعَةِ هَٰذَا الْأَصْلِ،**

---

(١) يُنظر: «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٦٧).

(٢) ألقى الكلام على عَوَاهِنِهِ: أي: لم يتدبره، وقيل: إذا لم يُبَلْ أصاب أم أخطأ، وقيل: إذا تهاون به، وقيل: إذا قاله من قبيحه وحسنه. يُنظر: «اللسان» (عهن).

وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَىٰ الْمُنْكَرِ، فَطَلَبَ إِزَالَتَهُ، فَتَوَلَّدَ مِنْهُ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ»[1].

وَلِهَذَا، لَا عَجَبَ - **أَيُّهَا الْإِخْوَةُ** - أَنْ نَرَىٰ أُنَاسًا دَاخَلَهُمُ الْيَأْسُ؛ فَانْفَتَلُوا قَبْلَ مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ، وَفَهِمُوا دُرُوبَ الإِصْلَاحِ، عَلَىٰ أَنَّهَا مُوَاجَهَةٌ وَمُنَاطَحَةٌ، فَحَصَلَ بِذَلِكَ مِنَ الْفِتَنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

إِنَّ مَصْلَحَةَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالتَّلَاحُمَ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَالْقِيَادَاتِ، مَصْلَحَةٌ رَاجِحَةٌ، وَإِنَّ سُلُوكَ مَسَالِكَ الْإِثَارَةِ، وَشُيُوعَ النَّقْدِ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، يَخْرِقُ سِيَاجَ الْوَحْدَةِ، وَيَبْذُرُ بُذُورَ الْفُرْقَةِ وَالْفِتْنَةِ، وَيُجَرِّئُ الْأَغْرَارَ عَلَىٰ اقْتِحَامِ هَيْبَةِ الْوِلَايَةِ وَمَكَانَةِ الْإِمَامَةِ.

وَلَقَدْ ضَلَّ أَقْوَامٌ اتَّخَذُوا طَرِيقَ الْعُنْفِ مِنْهَاجًا لِلدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ، وَأَيُّ إِصْلَاحٍ حَصَلَ جَرَّاءَهُ عَبْرَ التَّأْرِيخِ؟ أَمَا سَطَّرَ فِي تَأْرِيخِ الْأُمَّةِ، مَنْ جَرَّبَ هَٰذِهِ الْمَسَالِكَ؟ فَهَلْ جَنَتْ مِنْهَا الْأُمَّةُ إِلَّا شُيُوعَ الْقَتْلِ، وَسَفْكَ الدِّمَاءِ، وَإِثَارَةَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ، وَفَتْحَ السُّجُونِ وَالْمُعْتَقَلَاتِ؟! أَفَلَا يَعْتَبِرُ آخِرُ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ بِأَوَّلِهِمْ، وَيُرَاجِعُوا أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَبِينُوا طُرُقَ الْإِصْلَاحِ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ ذَوِي النَّظَرِ السَّدِيدِ، وَالْمَنْهَجِ الرَّشِيدِ، وَالتَّجْرِبَةِ الْمُتَّئِدَةِ الطَّوِيلَةِ؟

---

(١) يُنظر: «إعلام الموقعين» (٣/ ٤).

لَقَدْ صَحَّ وَاسْتَقَامَ لَدَىٰ الْعُقَلَاءِ، أَنَّ الْعُنْفَ لَا يُولِّدُ إِلَّا عُنْفًا مِثْلَهُ، وَأَشَدَّ مِنْهُ. وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَحَلُّ الْأُمُورِ بِالرِّفْقِ وَالتُّؤَدَةِ وَالْحِكْمَةِ مَطْلَبٌ مُلِحٌّ؛ لِتَحْقِيقِ مَصَالِحِ الْأُمَّةِ مِنَ الرُّعَاةِ وَالرَّعِيَّةِ، وَلَا يُنَافِي الْحَزْمَ وَضَبْطَ الْأُمُورِ، وَالْحَكِيمُ مَنْ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا.

وَوَضْعُ النَّدَىٰ فِي مَوضِعِ السَّيفِ بِالْعُلَا

مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيفِ فِي مَوضِعِ النَّدَىٰ[(١)]

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَإِذَا كُنَّا نَعِيشُ فِي زَمَنٍ رَفَعَ الْعُنْفُ فِيهِ عَقِيرَتَهُ[(٢)]، وَتَوَارَىٰ الرِّفْقُ عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ، فَإِنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ أَوَّلُ مُسَعِّرٍ لِهَاتِيكَ النِّيرَانِ؛ إِذْ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا لُغَةَ الْعُنْفِ بِجَمِيعِ أَصْنَافِهِ، لَا تَسْمَعُ إِلَّا قَتْلًا وَتَشْرِيدًا، وَتَعْذِيبًا وَاغْتِيَالًا، أَسْلِحَةً فَتَّاكَةً، وَحُرُوبًا مُدَمِّرَةً. تَابِعُوا مَا يَجْرِي فِي الْبُوسْنَةِ وَالْهَرْسَكِ، وَمَا يَدُورُ فِي مَوَاضِعَ شَتَّىٰ.

وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ عَبْرَ تَأْرِيخِهِ الطَّوِيلِ، أَرْفَقُ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ، وَأَوْثَقُ الْبَرِيَّةِ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّفْقِ، لَمْ يَغْدُرُوا فِي حَرْبٍ، وَلَمْ يَخْدَعُوا فِي عَهْدٍ؛ لَمْ يُمَثِّلُوا، وَلَمْ يَقْتُلُوا شَيخًا وَلَا وَلِيدًا وَلَا امْرَأَةً، بِشَهَادَةِ الْأَعْدَاءِ قَبْلَ

---

(١) مِنْ شِعْرِ أبي الطيب المتنبي، يُنظر: «العَرْف الطَّيِّب في شرح ديوان أبي الطَّيِّب» (٢/ ١٨٣).

(٢) سبق بيان معناها (ص٩٩).

الْأَصْـدِقَاءِ. وَأَمَّـا مَوْجَـاتُ الْإِرْهَـابِ الَّتِـي يُلْـصِقُهَا أَعْـدَاءُ الْإِسْـلَامِ بِالْإِسْلَامِ، فَالْإِسْلَامُ مِنْهَا بَرَاءٌ، لَكِنْ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَنْ لَا يَكُونُـوا سَبَبًا فِي اسْتِفْزَازَاتِ الأَعْدَاءِ. وَمَهْمَا الْتَمَسَ النَّاسُ عُذْرًا، فَإِنَّ الْحَقَّ أَبْلَـجُ، إِذْ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ أَنْ لَا يَسْلُكُوا مَسَالِكَ الْعُنْفِ، لَا فِي مُوَاجَهَةِ الْحُكُومَاتِ وَلَا غَيرِهَا، وَكَمْ يَلْتَفُّ حَولَ النَّبْتَةِ الطَّيِّبَةِ طُفَيلِيَّاتٌ ضَارَّةٌ تَذْهَبُ بِنَضَارَتِهَا، وَقَدْ تُودِي بِهَا، وَتُورِدُهَا مَوَارِدَ الْعَطَبِ.

فَاتَّقُوا اللَّـهَ - أَيُّهَـا الْمُسْلِمُونَ - وَتَحَلَّوا بِالثَّوَابِتِ، وَاحْذَرُوا جَدِيدَ النَّوَابِتِ، رِفْقًا رِفْقًا - أَيُّهَـا الْمُسْلِمُونَ - فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ!! تَحَقَّقُوا الْمَصَالِحَ لِأَنْفُسِكُمْ، وَمُجْتَمَعِكُمْ، وَأُمَّتِكُمْ.

أَعُـوذُ بِاللَّـهِ مِـنَ الـشَّيطَانِ الـرَّجِيمِ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت]. نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ كِتَابِهِ، وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، أَقُولُ قَولِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، أَعَادَ وَأَبْدَىٰ، وَأَنْعَمَ وَأَسْدَىٰ، أَحْمَدُهُ - تعَالَىٰ - وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي لَا نُحْصِي لَهَا عَدًّا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِرْغَامًا لِمَنْ كَفَرَ بِهِ عِنَادًا وَجَحْدَا، شَهَادَةً أَدَّخِرُهَا لِيَومِ المَعَادِ عَهْدَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَكْرِمْ بِهِ رَسُولًا وَأَنْعِمْ بِهِ عَبْدَا! صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَكْسَبَهُمْ شَرَفًا وَمَجْدَا، وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ بِأَقْوَمِ سَبِيلٍ وَأَهْدَىٰ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوهُ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ، وَالْزَمُوا الرِّفْقَ فِي كُلِّ أَحْوَالِكُمْ، فَهُوَ مِنَ الثَّوَابِتِ الْأَزَلِيَّةِ الَّتِي لَا يَصِحُّ التَّفْرِيطُ فِيهَا فِي أَيِّ وَقْتٍ مِنَ الْأَوقَاتِ، وَلَا يَظُنَّنَّ ظَانٌّ أَنَّ الرِّفْقَ مَعْنَاهُ تَرْكُ الْأُمُورِ فِي أَعِنَّتِهَا، دُونَ سَعْيٍ لِلْإِصْلَاحِ، كَلَّا! كَمَا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي التَّجَاوُزَ وَالتَّعَادِي.

وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ   كِلَا طَرَفَي قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمُ[1]

بَلْ يَكُونُ الرِّفْقُ أَحْيَانًا عَينُ الحَزْمِ، فَقَتْلُ القَاتِلِ رِفْقٌ بِالمُجْتَمَعِ:

فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ رَاحِمًا   فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَىٰ مَنْ يَرْحَمُ[2]

لَـٰكِنَّ الخُطُورَةَ كُلَّ الخُطُورَةِ، أَنْ يَصْدُرَ الْعُنْفُ عَنْ مَنْهَجِيَّةٍ مُتَبَنَّاةٍ، وَطَرِيقَةٍ مُتَّبَعَةٍ.

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الرِّفْقِ - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - الرِّفْقَ فِي الحُكْمِ عَلَىٰ مُعْتَقَدَاتِ النَّاسِ وَمَقَاصِدِهُمْ، وَكَمْ يَسُوؤُكَ مِنْ مُحْتَرِفِي تِجَارَةِ النَّقْدِ، مِمَّنْ يَقَعُونَ فِي النِّيَّاتِ، وَيَحْكُمُونَ عَلَىٰ المَقَاصِدِ بِجَرَّةِ قَلَمٍ، أَو كَلِمَةٍ عَامَّةٍ، فَيُصَنِّفُونَ فُلَانًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَفُلَانًا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فِي أَيِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَيلٍ أَو نَهَارٍ، وَلَا يَتَوَرَّعُونَ عَنِ الحُكْمِ بِالتَّضْلِيل وَالتَّجْهِيلِ عَلَىٰ مَقَامَاتِ الرِّجَالِ، لَاسِيَّمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ.

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الرِّفْقِ: الرِّفْقَ فِي الْأُمُورِ الْأُسَرِيَّةِ وَالتَّرْبِيَةِ الْبَيتِيَّةِ، فَمَا كَثُرَتِ المُشْكِلَاتُ، وَمَا عَمَّ الشِّقَاقُ وَالطَّلَاقُ وَالفِرَاقُ، إِلَّا بِسَبَبِ الْعُنْفِ، وَمُجَانَبَةِ الرِّفْقِ فِي الْأُمُورِ، وَأَحَقُّ النَّاسِ بِالرِّفْقِ: وُلَاةُ أَمْرِ

---

(١) البيت لأبي سليمان الخطابي، يُنظر: كتابه «العزلة» (ص٩٨).

(٢) البيت لأبي تمام الشاعر المشهور، يُنظر: «ديوانه» (ص٢٠٧).

الْمُسْلِمِينَ، فِي مَعْرِفَةِ قَدْرِهِمْ وَمَكَانَتِهِمْ، وَمَعْرِفَةِ جَمِيلِهِمْ وَالدُّعَاءِ لَهُمْ، وَعَدَمِ الْخَوضِ فِي أَعْرَاضِهِمْ. وَالرِّفْقُ بِالْعُلَمَاءِ: فِي الْاِعْتِزَازِ بِهِمْ وَالِاعْتِذَارِ لَهُمْ، وَمَعْرِفَةِ سَبْقِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، وَأَهْلِ الْحِسْبَةِ فِي عَدَمِ تَضْخِيمِ أَخْطَائِهِمْ، وَمَعْرِفَةِ جُهُودِهِمْ، فَهُمْ - بِإِذْنِ اللَّهِ - الْجُنَّةُ الْوَاقِيَةُ، وَالدِّعَامَةُ الرَّاسِخَةُ الْبَاقِيَةُ. وَالأَقَارِبُ فِي صِلَتِهِمْ، وَالْأَيتَامُ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيهِمْ، وَهَكَذَا الْعُمَّالُ وَالْخَدَمُ، فِي عَدَمِ ظُلْمِهِمْ وَبَخْسِهِمْ حُقُوقَهُمْ، فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ أَصْحَابُ الْمُؤَسَّسَاتِ وَالشَّرِكَاتِ، الَّذِينَ يَظْلِمُونَ الْعُمَّالَ وَلَا يُؤَدُّونَ لَهُمْ حُقُوقَهُمْ. وَإِذَا كَانَ الرِّفْقُ بِالْحَيَوَانِ، قَدْ بَلَّغَ الْإِنْسَانَ مَنْزِلَةَ التَّنَعُّمِ بِالْجِنَانِ، فَمَا بَالُكُمْ بِالرَّحْمَةِ وَالرِّفْقِ بِبَنِي الْإِنْسَانِ؟!

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَازْدَانُوا بِالرِّفْقِ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ، وَلَاسِيَّمَا التَّرْبَوِيُّونَ وَالدُّعَاةُ وَالْمُصْلِحُونَ، وَالْآبَاءُ وَالْمُحْتَسِبُونَ. كَانَ اللَّهُ فِي عَونِ الْجَمِيعِ، وَرَزَقَهُمْ صَلَاحَ الْحَالِ وَالْمَآلِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

هَـٰذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ - جَلَّ فِي عُلَاهُ - فَقَالَ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

كَلَّا أَنْ نَقْوَىٰ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَتَبَ الرَّحْمَةَ لِعِبَادِهِ المُتَّقِينَ، أَحْمَدُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ وَأَشْكُرُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ وَأَتُوبُ إِلَيهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِينُ، أَلْزَمَ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ، فَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِي أَصْلَحَ بِالْتَّقْوَىٰ قُلُوبَ المُسْلِمِينَ، فَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ حَقَّقُوا التَّقْوَىٰ، فَصَارُوا الْفَرِيقَ الْأَسْعَدَ الْأَعَزَّ الْأَقْوَىٰ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَومِ يُحْشَرُ المُتَّقُونَ إِلَىٰ الرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا، فَيَتَبَوَّؤُونَ مِنَ الجَنَّةِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ، طَابَتْ مَقَامًا وَوِرْدًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ فَإِنَّ تَقْوَاهُ سُبْحَانَهُ هِيَ الرُّكْنُ الْأَقْوَىٰ، وَالذُّخْرُ الْأَبْقَىٰ، وَبِهَا نَسْمُو فِي مَدَارِجِ الْإِيمَانِ وَالْعَلْيَاءِ وَنَرْقَىٰ.

عِبَادَ اللَّهِ: التَّقْوَىٰ تِلْكُمُ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ، وَالْعِبَارَةُ الْقَوِيمَةُ،

وَالْكَلِمَةُ الجَامِعَةُ، وَالْوَصِيَّةُ النَّافِعَةُ، إِنَّهَا كَلِمَةٌ وَجِيزَةُ المَبْنَىٰ، لَـٰكِنَّهَا عَظِيمَةُ المَعْنَىٰ، مَفْهُومُهَا نَيِّرٌ وَاسِعٌ، وَمَدْلُولُهَا مُبَارَكٌ شَاسِعٌ. وَقَدْ زَخَرَ بِذِكْرِهَا، وَالْأَمْرِ بِهَا وَالْحَثِّ عَلَيْهَا، وَذِكْرِ صِفَاتِ أَهْلِهَا وَثَمَرَاتِهَا وَنَتَائِجِهَا فِي الْعَاجِلِ وَالآجِلِ، كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ.

هَـٰذِهِ الْكَلِمَةُ طَالَمَا تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا عَلَىٰ اللِّسَانِ، وَقَرَعَ صَدَاهَا الْآذَانَ، أَوصَىٰ بِهَا اللَّـهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَرَسُولُهُ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي أَرَّقَتِ الْعُبَّادَ، وَأَسْهَدَتِ الزُّهَّادَ، وَكَثِيرًا مَا يُوصِي بِهَا الْعُلَمَاءُ وَالْخُطَبَاءُ وَالْمُصْلِحُونَ، وَلَـٰكِنْ ـ وَيَا لِلْأَسَفِ ـ صَمَّتْ آذَانُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنْ قَبُولِهَا وَتَحْقِيقِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا، حَتَّىٰ أَصْبَحَ الْأَخْذُ بِهَا فِي دُنْيَا الْوَاقِعِ عَزِيزَ الْـمَنَالِ، وَتَطْبِيقُهَا ضَيِّقَ الْـمَجَالِ.

لَو عَقَلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَومَ أَبْعَادَ هَـٰذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَسَبَرُوا[1] أَغْوَارَهَا، وَعَلِمُوا عُمْقَ مَعْنَاهَا، وَعَمِلُوا بِمُقْتَضَاهَا؛ لَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهُمْ، وَصَلُحَتْ أَوضَاعُهُمْ، وَزَكَتْ نُفُوسُهُمْ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّـهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَسِيرَةِ سَلَفِ هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ ـ رَحِمَهُمُ اللَّـهُ ـ وَمَا الْتَّأْرِيخُ الْإِسْلَامِيُّ عَبْرَ الْقُرُونِ، إِلَّا شَاهِدُ صِدْقٍ عَلَىٰ ذَلِكَ.

---

(١) سَبَرُوا: نظروا مقداره وأبعاده. يُنظر: «اللسان» (سبر).

إِخْـوَةَ الْإِسْـلَامِ: وَلِأَهَمِّيَّةِ هَـٰذِهِ الْقَضِيَّةِ -وَارْتِبَاطِهَا الْوَثِيقِ بِسُلُوكِ الْمُسْلِمِ، وَعِلَاقَتِهِ بِرَبِّهِ، وَتَقْصِيرِ النَّاسِ فِيهَا- آثَرْتُ أَنَّ نَعِيشَ فِي ظِلَالِ التَّقْوَىٰ: مَعَانِيهَا وَنُصُوصِهَا، وَصِفَاتِ أَهْلِهَا وَإِيحَاءَاتِهَا، آثَارِهَا وَثَمَرَاتِهَا، نَشُمُّ عَبِيرَهَا، وَنَمْتَصُّ رَحِيقَهَا، وَنَرْتَوِي مِنْ نَمِيرِهَا[1]؛ لَعَلَّ فِي ذَلِكَ دَفْعًا لِسُلُوكِ سَبِيلِ التَّقْوَىٰ، وَاللَّحَاقِ بِرَكْبِ الْمُتَّقِينَ.

أُمَّةَ الدِّينِ وَالتُّقَىٰ: التَّقْوَىٰ فِي الِاشْتِقَاقِ اللُّغَوِيِّ تَعْنِي: الْحَذَرَ وَالصِّيَانَةَ، وَالْحِفْظَ وَالْحِمَايَةَ، وَفِي الْمَدْلُولِ الشَّرْعِيِّ: عِبَارَةٌ عَنْ: كَمَالِ تَوَقِّي الْإِنْسَانِ عَمَّا يَضُرُّهُ يومَ الْقِيَامَةِ، بِأَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَينَ عَذَابِ اللَّـهِ وِقَايَةً، وَذَلِكَ بِفِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ الَّتِي تَسْتَوجِبُ رِضَىٰ اللَّـهِ وَثَوَابَهُ، وَاجْتِنَابِ الْمَنْهِيَّاتِ الَّتِي تَجْلِبُ غَضَبَ اللَّـهِ وَعِقَابَهُ.

وَلِلْسَّلَفِ -رَحِمَهُمُ اللَّـهُ- أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ فِي بَيَانِ مَدْلُولِهَا، يَقُولُ عَبْدُاللَّـهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «**تَقْوَىٰ اللَّـهِ: أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَىٰ، وَيُذْكَرَ فَلَا يُنْسَىٰ، وَيُشْكَرَ فَلَا يُكْفَرَ**»[2].

---

(١) سبق بيان معناها (١٥٠).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٧٢٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ١٠٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٣٨).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «التَّقْوَىٰ هِيَ: الخَوفُ مِنَ الجَلِيلِ، وَالْعَمَلُ بِالْتَّنْزِيلِ، وَالْقَنَاعَةُ بِالْقَلِيلِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِيَومِ الرَّحِيلِ».

وَقَد سَأَلَ عُمَرُ رضي الله عنه أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ رضي الله عنه عَنِ التَّقْوَىٰ، فَقَالَ لَهُ: «أَمَا طَرَقْتَ طَرِيقًا ذَا شَوكٍ؟ قَالَ: بَلَىٰ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: اجْتَهَدْتُ وَشَمَّرْتُ، قَالَ: فَذَلِكَ التَّقْوَىٰ»(١).

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «تَمَامُ التَّقْوَىٰ: أَنْ يَتَّقِيَ الْعَبْدُ رَبَّهُ حَتَّىٰ يَتَّقِيَهُ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ، وَحَتَّىٰ يَتْرُكَ بَعْضَ مَا يَرَاهُ حَلَالًا خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ حَرَامًا»(٢).

وَقَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: «التَّقْوَىٰ: أَنَّ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ»(٣).

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِالعَزِيزِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «لَيسَ تَقْوَىٰ اللَّهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ، وَلَا بِقِيَامِ اللَّيلِ، وَالتَّخْلِيطِ فِيمَا بَينَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ تَقْوَىٰ اللَّهِ:

---

(١) يُنظر: «التذكرة» لابن الجوزي (ص١٢٣)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٤١).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢/ ١٩)، وفي «الرقائق» (ص١٩).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ١٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٩٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٤).

تَرْكُ مَا حَرَّمَ اللَّـهُ، وَأَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّـهُ»[1].

وَلِلَّـهِ دَرُّ الْقَائِلِ[2]:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ... وَكَبِيرَهَا ذَاكَ التُّقَىٰ
وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوقَ أَرْ ... ضِ الشَّوكِ يَحْذَرُ مَا يَرَىٰ
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَىٰ

وَجِمَاعُ الْقَولِ: أَنَّ تَقْوَىٰ اللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ: الْقِيَامُ بِالأَوَامِرِ، وَاجْتِنَابُ الزَّوَاجِرِ، فِعْلُ الطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ، وَالبُعْدُ عَنِ المَعَاصِي وَالخَطِيئَاتِ، إِتْيَانُ الفَرَائِضِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ والمَكْرُوهَاتِ، **«وَلَنْ يَبْلُغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ التَّقْوَىٰ حَتَّىٰ يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ، حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ»**[3].

تِلْكُمْ هِيَ التَّقْوَىٰ ـ **يَا عِبَادَ اللَّـهِ** ـ صَلَاحٌ فِي الْقَلْبِ، حَسَاسِيَةٌ فِي الْضَّمِيرِ، شَفَافِيَةٌ فِي الشُّعُورِ، خَشْيَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ، وَخَوفٌ دَائِمٌ، وَحَذَرٌ

---

(١) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (ص٣٥١)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٥/ ٢٣٠).

(٢) هو: عبد الله بن جعفر بن المعتز الشاعر والخليفة العباسي. يُنظر: «ديوانه» (ص٤٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٥١)، وابن ماجه (٤٢١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٣٣٥) من حديث عطية السعدي رضي الله عنه.

دائِبٌ، وَتَوقٍّ لِأَشْوَاكِ طَرِيقِ الحَيَاةِ الَّذِي تَتَجَاذَبُهُ أَشْوَاكُ الرَّغَبَاتِ وَالرَّهَبَاتِ، وَالشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَالمَطَامِعِ وَالمَطَامِحِ، وَالمَخَاوِفِ وَالوَسَاوِسِ، وَغَيْرِهَا.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: لَقَدْ زَخَرَ كِتَابُ اللَّهِ بِذِكْرِ التَّقْوَىٰ، حَتَّىٰ وَرَدَتْ هَـٰذِهِ الْكَلِمَةُ بِتَصَارِيفِهَا المُخْتَلِفَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِي نَحْوِ سِتِّينَ وَمَائَتَي مَرَّةٍ، بَلْ لَا يَكَادُ المُسْلِمُ يَقْرَأُ فِي الكِتَابِ العَزِيزِ، إِلَّا وَيَجِدُ فِيهِ الأَمْرَ بِالتَّقْوَىٰ، بَلْ لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ التَّقْوَىٰ وَصِيَّةً لِخَلْقِهِ كُلِّهِمْ، أَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، فَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:١٣١]، كَمَا كَانَتْ وَصِيَّةُ رُسُلِ اللَّهِ ـ عَلَيهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ لِأَقْوَامِهِمْ، فَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ كُلٍّ مِنْهُمْ قَوْلَهُ لِقَومِهِ: ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء].

وَفِي مِشْكَاةِ السُّنَّةِ العَطِرَةِ قَالَ ﷺ ـ حِينَمَا سُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ ـ قَالَ: «**تَقْوَىٰ اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**»، أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ[1]،

---

(١) برقم (٢٠٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَفِي وَصِيَّتِهِ لِأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ ﷺ: «**أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللَّـهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ**»، أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ(١).

وَقَدْ جَاءَتْ سُنَّةُ الْمُتَّقِينَ بِالحَضِّ عَلَيْهَا، وَحَثِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ التَّحَلِّي بِهَا، وَكَثِيرًا مَا يَسْتَفْتِحُ ﷺ خُطَبَهُ وَوَصَايَاهُ لِبُعُوثِهِ وَسَرَايَاهُ، بِالتَّرْغِيبِ فِي تَقْوَىٰ اللَّـهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالتَّخَلُّقِ بِهَا، وَيَا نِعْمَتِ الْوَصِيَّةُ تِلْكَ!!

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ - أُمَّةَ التَّقْوَىٰ -: لَيسَتِ التَّقْوَىٰ بِالتَّسَمِّي أَو التَّمَنِّي، وَلَٰكِنْ هُنَاكَ صِفَاتٌ وَعَلَامَاتٌ جَاءَتْ فِي كِتَابِ اللَّـهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ لِأَهْلِ التَّقْوَىٰ؛ فَمِنْهَا: الإِيمَانُ بِاللَّـهِ وَالْقِيَامُ بِأَرْكَانِهِ، وَتَطْبِيقُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، وَالتَّحَلِّي بِآدَابِهِ: مِنَ البَذْلِ وَالإِنْفَاقِ، وَكَظْمِ الْغَيظِ وَالْعَفْوِ وَالإِحْسَانِ، وَذِكْرِ اللَّـهِ، وَالاسْتِغْفَارِ، وَعَدَمِ الْإِصْرَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَالْصَّبْرِ وَالْعَدْلِ وَالْصِدْقِ، وَتَعْظِيمِ شَعَائِرِ اللَّـهِ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِمَّا دَلَّ عَلَيهِ كِتَابُ اللَّـهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ.

فَشَأْنُ الْتَّقْوَىٰ، شَأْنُ المِصْبَاحِ المُنِيرِ، الَّذِي يُضِيءُ أَقْطَارَ نَفْسِ الْمُسْلِمِ فِي الْعِبَادَةِ الخَاشِعَةِ، وَالْمُعَامَلَةِ الصَّادِقَةِ الوَادِعَةِ، وَالشُّمُولِ الوَاعِي فِي حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ.

---

(١) في «المسند» (٣/ ٨٢).

تِلْكَ نَماذِجُ مِنْ صِفَاتِ المُتَّقِينَ وَخِصَالِهِمُ الحَمِيدَةِ، الَّتِي تَمَسَّكَ بِهَا المُسْلِمُونَ فِي الْعُصُورِ المُبَارَكَةِ؛ فَحَقَّقَ اللَّهُ عَلَىٰ أَيدِيهِمْ صَلَاحَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ. وَحِينَما يُطَالِعُ المُسْلِمُ هَـٰذِهِ الحَقَائِقَ وَالصِّفَاتِ، يَظُنُّ نَفْسَهُ يَسْرَحُ فِي عَالَمِ الخَيَالِ، أَو يُحَلِّقُ فِي أُفقٍ مِنَ المِثَالِيَّةِ الْبَعِيدَةِ المَنَالِ، لَاسِيَّما إِذَا مَا الْتَفَتَ بِالمُقَابِلِ إِلَىٰ وَاقِعِ المُسْلِمِينَ الْيَومَ، وَاقِعِهِمُ المَرِيرِ فِي تَحْقِيقِ هَـٰذِهِ المَعَانِي السَّامِيَةِ، وَالصِّفَاتِ الْعَالِيَةِ، وَالمَنَاقِبِ الْغَالِيَةِ الَّتِي أَوشَكَتْ - بِهَـٰذَا المَفْهُوم - أَنْ تَكُونَ مَفْقُودَةً فِي حَيَاةِ النَّاسِ الْيَوْمَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!

وَاتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَىٰ اللَّهِ مَا ... جَاوَرَتْ قَلْبَ امْرِئٍ إِلَّا وَصَلْ
لَيسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا ... إِنَّما مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ الْبَطَلْ[1]

يَا إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: يَا مَنْ يُرِيدُونَ سُلُوكَ سَبِيلِ التَّقْوَىٰ، إِنَّهُ لَا طَرِيقَ لِلتَّقْوَىٰ، إِلَّا بِسُلُوكِ سُنَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالسَّيرِ عَلَىٰ مَا سَارَ عَلَيهِ سَلَفُ هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ. إِنَّ تَقْوَىٰ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - تَقْتَضِي تَحْقِيقَ التَّوحِيدِ وَتَصْحِيحَ الْعَقِيدَةِ، فَلَا شِرْكَ وَلَا وَثَنِيَّةَ وَلَا بِدْعَةَ، لَا قَتْلَ وَلَا زِنَا، لَا سَرِقَةَ وَلَا رِبَا، لَا لَهْوَ وَلَا خَنَا، لَا مَعَاصِيَ وَلَا رَدَىٰ، فَأَينَ حَقِيقَةُ

---

(١) يُنظر: «لامية ابن الوردي» بشرح مسعود القناوي (ص٣٥، ٣٦).

التَّقْوَىٰ مِمَّنْ أَعْرَضُوا عَنِ الطَّاعَاتِ، وَارْتَكَبُوا الْمُحَرَّمَاتِ، وَبَارَزُوا اللَّهَ بِالْمَعَاصِي وَالْخَطِيئَاتِ؟

فَلْنَتَّقِ اللَّهَ - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - فِي شُؤُونِ دُنْيَانَا وَأُخْرَانَا، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ كُلٌّ مِنَّا فِي نَفْسِهِ وَمَنْ تَحْتَ يَدِهِ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِي أُسَرِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ. إِنَّهُ لَا صَلَاحَ لِأَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بِتَحْقِيقِ تَقْوَىٰ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - إِنَّ مُشْكِلَاتِ الْأُمَّةِ الَّتِي اسْتَعْصَىٰ عِلَاجُهَا، وَتَأَزَّمَ أَمْرُهَا، سَتَجِدُ الْحَلَّ النَّاجِعَ، وَالشِّفَاءَ الْعَاجِلَ، إِذَا حَقَّقَ أَهْلُهَا وَأَبْنَاؤُهَا تَقْوَىٰ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَتِلْكَ هِيَ الْعَاقِبَةُ الْمَحْمُودَةُ الْمُشْرِقَةُ، الَّتِي قَرَّرَتْهَا الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ١٣٢﴾ [طه]، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف].

إِنَّ مَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُعَاصِرَةَ، وَالدُّوَلَ الْمُجَاوِرَةَ مِنْ بَلَاءٍ وَشَرٍّ، وَحُرُوبٍ وَفِتَنٍ، وَمَجَاعَاتٍ وَأَمْرَاضٍ، إِنَّمَا هُوَ جَزَاءُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ تَقْوَىٰ اللَّهِ، وَوَقَعَ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَقَدْ قَالَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٩٦﴾ [الأعراف].

فَهَلْ مِنْ رَجْعَةٍ - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - إِلَىٰ تَحْقِيقِ التَّقْوَىٰ؟ هَلْ مِنْ يَقَظَةٍ

ـ **يَا أُمَّةَ الْإِسْلَام** ـ تُبيِّنُ أَنَّ أَمْرَاضَ عَصْرِنَا مِنْ وَاقِعِ نُفُوسِنَا، وَإِغْفَالِ قُلُوبِنَا مِنْ تَقْوَىٰ اللَّهِ؟ يَا أَيُّهَا الشَّبَابُ الْمُعْرِضُ عَنْ صَلَاحِ قَلْبِهِ وَتَقْوَىٰ رَبِّهِ، هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ؟ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ تَحْقِيقِ تَقْوَىٰ اللَّهِ بِالْتِزَامِ شَرْعِ اللَّهِ فِي الْعَفَافِ وَالسِّتْرِ وَالْحِجَابِ؟ وَعَدَمِ الِانْسِيَاقِ وَرَاءَ الدَّعَوَاتِ الْأَفَّاكَةِ، الَّتِي تُرْدِي بِكُنَّ فِي التَّبَابِ[1]. إِنَّهُ لَيَجْدُرُ بِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ أَلَّا تَتَرَدَّدَ قِيدَ مِيلٍ فِي الْأَخْذِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ، فَتَتَوَارَدَ عَلَىٰ قُلُوبٍ عَامِرَةٍ بِالْيَقِينِ، عَامِرَةٍ بِالتَّقْوَىٰ، وَإِنَّهَا لَفَاعِلَةٌ ذَلِكَ ـ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ـ وَلَو كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ.

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ التَّقْوَىٰ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُتَّقِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتُّقَىٰ، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ، اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَولَاهَا.

أَقُولُ قَولِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، فَهُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ.

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٦).

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

الحَمْدُ لِلَّـهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا لا يُحَدُّ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا لا يُعَدُّ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّـهَ - عِبَادَ اللَّـهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلتَّقْوَىٰ ثَمَرَاتٍ مُبَارَكَةً، وَآثَارًا عَظِيمَةً، تَعُودُ عَلَىٰ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ وَالأُمَّةِ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، **فَمِنْ ثَمَرَاتِهَا: الْعِزَّةُ**، قَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ** ﴾ [البقرة:٢٨٢]، **وَالْفَلاحُ**: ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٨٩** ﴾ [البقرة]، **وَمَحَبَّتُهُ - تَعَالَىٰ - وَمَعِيَّتُهُ وَوِلايَتُهُ**: ﴿ **فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٧٦** ﴾ [آل عمـــران]، ﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩٤** ﴾ [البقرة]، ﴿ **وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ١٩** ﴾ [الجاثية]، **وَالْفُرْقَانُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ**، وَتَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ وَمَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۗ** ﴾ [الأنفـال:٢٩]، ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ**

مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق]، ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الطلاق].

وَجِمَاعُ الْقَوْلِ: أَنَّ تَقْوَىٰ اللَّهِ تَضْمَنُ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر]، لَهُمْ فِيهَا: «مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ»[1].

أَفَلَا يَكُونُ ذَلِكَ حَافِزًا لِأَصْحَابِ الْهِمَمِ الْقَعْسَاءِ[2]، وَمَهْوَىٰ لِأَهْلِ الذُّنُوبِ وَالْأَسْوَاءِ: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ ـ جَلَّ فِي عُلَاهُ ـ فَيَسِيرُوا عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللَّهِ، وَبَصِيرَةٍ مِنْ هُدَاهُ، وَكَفَىٰ بِتَقْوَاهُ فِي الْخَيْرِ وَالْبِرِّ مِرْقَاةً، وَلِلْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ عِصْمَةً وَمَنْجَاةً.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَىٰ إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقُدْوَةِ الْمُتَّقِينَ، كَمَا أَمَرَكُمُ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ، فِي الْقَوْلِ الْمُبِينِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) سبق بيان معناها (ص٢١٥).

الخُطبَةُ الأُولَى:

الحَمْدُ لِلَّـهِ، أَلْزَمَنَا سَبِيلَ الحَقِّ وَالهُدَىٰ، وَجَنَّبَنَا أَسْبَابَ الشَّرِّ وَالرَّدَىٰ، أَحْمَدُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَذَّرَنَا مِنِ اتِّبَاعِ الهَوَىٰ، وَهَوَىٰ بِصَاحِبِ الهَوَىٰ حَتَّىٰ غَوَىٰ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ عَظِيمٍ، وَمَولًى كَرِيمٍ، وَرَبٍّ رَحِيمٍ، عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوَىٰ!! وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، النَّبِيُّ المُجْتَبَىٰ، وَالرَّسُولُ المُصْطَفَىٰ، بَلَّغَ رِسَالَةَ اللَّـهِ فَمَا ضَلَّ وَمَا غَوَىٰ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم]. صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ الشُّرَفَاءِ، وَأَصْحَابِهِ النُّجَبَاءِ، وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَىٰ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ ـ **عِبَادَ اللَّهِ** ـ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ، فَتَقْوَىٰ اللَّهِ سَبَبٌ لِلْهُدَىٰ، وَأَمَانٌ مِنَ الرَّدَىٰ، مَنِ اتَّقَىٰ اللَّهَ حَقَّ التَّقْوَىٰ؛ جَعَلَهُ رَقِيبَهُ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَىٰ، وَفِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُ، وَيَلْفِظُ وَيَهْوَىٰ.

عِبَادَ اللَّهِ: دَاءٌ لَا كَالْأَدْوَاءِ، وَمَرَضٌ شَدِيدُ الْفَتْكِ وَالْبَلَاءِ، مَرَضٌ خَطِيرٌ، وَدَاءٌ كَبِيرٌ، وَشَرٌّ مُسْتَطِيرٌ، مَا تَحَكَّمَ فِي فَرْدٍ إِلَّا أَشْقَاهُ وَأَضَلَّهُ، وَلَا فِي مُجْتَمَعٍ إِلَّا شَتَّتَهُ وَأَزَلَّهُ، كَمْ صَدَّ عَنِ الحَقِّ، وَكَمْ أَضَلَّ مِنَ الخَلْقِ، وَكَمْ أَفَاتَ مِنْ فَضِيلَةٍ، وَأَوقَعَ فِي رَذِيلَةٍ!! مَتَىٰ وَقَعَ فِي الْقَلْبِ؛ وَرَّثَهُ الظُّلْمَةَ وَالْقَسْوَةَ وَالثَّلبَ[1]، بَلْ إِنَّ صَاحِبَهُ مُشَبَّهٌ فِي مُحْكَمِ الْكِتَابِ بِالْكَلْبِ: ﴿ **وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ** ﴾ [الأعراف:١٧٦].

ذَلِكُمْ - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - هُوَ: دَاءُ الْهَوَىٰ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: الْهَوَىٰ فِي أَصْلِهِ: مَيلُ الطَّبْعِ إِلَىٰ مَا يُلَائِمُهُ، وَانسِيَاقُ النَّفْسِ إِلَىٰ مَا تَشْتَهِي حِسًّا وَمَعْنًى، وَالإِنْسَانُ بِطَبْعِهِ يَهْوَىٰ وَلَا بُدَّ، لَـٰكِنَّهُ مُطَالَبٌ أَنْ يَكُونَ هَوَاهُ عَلَىٰ وَفْقِ شَرْعِ اللَّهِ، وَعَلَىٰ مُقْتَضَىٰ حُدُودِ اللَّهِ، فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»[2].

---

(١) الثَّلبُ: شِدَّةُ اللَّوم. يُنظر: «اللسان» (ثلب).

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٢)، والبيهقي في «المدخل إلى السنن =

وَلَـمَّا كَانَ الْهَوَىٰ ـ فِي الْغَالِبِ ـ يَجْنَحُ بِصَاحِبِهِ، وَيُودِي بِهِ إِلَىٰ الْهَـوَىٰ؛ جَاءَتِ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ بِذَمِّهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْـهُ، وَبَيَانِ سُـوءِ عَاقِبَتِـهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ الْحَمِيـدَةَ لِـمَنْ كَبَحَ جِمَاحَ هَـوَاهُ، وَأَمْسَكَ بِلِجَامِ مَيلِهِ وَمُشْتَهَاهُ، وَضَبَطَهُ بِضَوَابِطِ النَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَالعَقْلِ السَّلِيمِ الصَّرِيحِ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات].

إِخْـوَةَ الْإِسْـلَامِ: الْهَوَىٰ مَا خَالَطَ أَمْرًا إِلَّا أَفْسَدَهُ، وَلَا قَارَنَ سَيِّئًا إِلَّا أَكْسَدَهُ، كَمْ أَفْسَدَ مِنْ عَقِيـدَةٍ، وَكَـمْ أَبْطَـلَ مِـنْ عِبَادَةٍ، وَكَـمْ أَغْشَىٰ بَصَرًا وَأَظْلَـمَ فِكْـرًا، وَكَـمْ أَورَثَ ذَمًّـا وَأَجْلَـبَ غَـمًّا، وَأَعْقَـبَ ذَلِـكَ ذُلًّا وَأَلْزَمَ عَارًا، وَسَبَّـبَ دَمَارًا وَأَتْبَعَ شَنَارًا[1]، وَأَصْلَىٰ نَـارًا!! قَـالَ عَبْـدُ اللَّـهِ ابْنُ الْمُبَارَكِ ـ رَحِمَهُ اللَّـهِ ـ:

= الكـبرى» (١/ ١٨٨)، والخطيـب في «تـاريخ بغـداد» (٤/ ٣٦٨)، وصـححه النـووي في «الأربعـين النوويـة»، وتعقبـه الحـافظ ابـن رجـب في «جـامع العلـوم والحكم» (ص٣٨٧، ٣٨٨)، وقال: «الحديث لا يصح». وقـال الـشيخ محمـد بـن صـالح العثيمـين ـ رحمـه الله ـ في «شرح الأربعـين النوويـة» (٤٢٦): «لكـن معنـى الحديث ـ بغض النظر عن إسناده ـ صحيح».

(١) الشَّنَارُ: أقبح العيب والعار. يُنظر: «السان» (شنر).

وَمِـنَ الْـبَلَاءِ وَلِلْـبَلَاءِ عَلَامَـةٌ ... أَلَّا يُـرَىٰ لَـكَ عَـنْ هَـوَاكَ نُـزُوعُ

الْعَبْدُ عَبْدُ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهَا ... وَالْـحُرُّ يَـشْبَعُ تَـارَةً وَيَجُـوعُ[1]

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ: إِنَّ صَاحِبَ الْهَوَىٰ يُلْقِي نَفْسَهُ فِي الْمَهَالِكِ، وَيَرْمِي بِهَا فِي أَسْوَإِ الْمَدَارِكِ، وَلَو زَالَ عَنْهُ رَينُ[2] الْهَوَىٰ؛ لَعَلِمَ أَنَّهُ شَقِيَ مِنْ حَيثُ قَدَّرَ السَّعَادَةَ، وَاغْتَمَّ مِنْ حَيثُ ظَنَّ الْفَرَحَ، وَتَأَلَّمَ مِنْ حَيثُ أَرَادَ اللَّذَّةَ، فَهُوَ كَالطَّائِرِ الْمَخْدُوعِ بِحَبَّةِ الْقَمْحِ فِي الْفَخِّ، لَا هُوَ نَالَ الْحَبَّةَ، وَلَا هُوَ تَخَلَّصَ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ، وَقَدْ قِيلَ: «الْهَوَىٰ كَمِينٌ لَا يُؤْمَنُ»[3]، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْهَوَىٰ؛ لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ»[4]، وَقَالَ ابْنُ الْجَوزِيِّ: «الْهَوَىٰ يَسْرِي بِصَاحِبِهِ فِي فُنُونٍ، وَيُخْرِجُهُ مِنْ دَائِرَةِ الْعَقْلِ إِلَىٰ دَائِرَةِ الْجُنُونِ»[5].

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٢/ ٤٦٨)، وأبو طاهر الأصفهاني في «معجم السفر» (ص٢٢٨).

(٢) الرَّيْنُ: الغطاء، وكُلُّ ما غطَّى شيئًا فقد ران عليه. يُنظر: «اللسان» (رين).

(٣) يُنظر: «روضة المحبين» (ص٤٦٩).

(٤) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ١٢٠).

(٥) يُنظر: «ذم الهوى» (ص١٦).

إِنَّ الهَوَانَ هُوَ الهَوَىٰ قُلِبَ اسْمُهُ ... فَإِذَا هَوِيتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانَا[1]

وَصَاحِبُ الْعَقْلِ السَّدِيدِ، وَالرَّأْيِ الرَّشِيدِ، يَأْنَفُ لِنَفْسِهِ مِنْ ذُلِّ طَاعَةِ الْهَوَىٰ، وَيَسْعَىٰ إِلَىٰ التَّخَلُّصِ مِنْ سُلْطَانِهِ، وَالتَّحَرُّرِ مِنْ رِبْقَةِ[2] شَيطَانِهِ . وَأَسْفَهُ النَّاسِ رَأْيًا، وَأَنْقَصُهُمْ عَقْلًا، وَأَقَلُّهُمْ مُرُوءةً؛ مَنْ أَسْلَسَ قِيَادَهُ لِهَوَاهُ، فَغَدَا بِهِ يَقُولُ، وَبِهِ يَصُولُ وَيَجُولُ، وَعَلَىٰ ضَوئِهِ يَثْبُتُ أَوْ يَحُولُ، مِنْ أَجْلِهِ يُوَالِي، وَمِنْ أَجْلِهِ يُعَادِي، وَعَلَىٰ إِيعَازِهِ يُحِبُّ وَيُبْغِضُ. يَزِنُ النَّاسَ، وَيَحْكُمْ عَلَىٰ الرِّجَالِ، وَيَقِيسُ أَقْدَارَ الفُضَلَاءِ مِنْ خِلَالِ هَوَاهُ النَّزِقِ، وَرَأْيِهِ المَدْخُولِ، وَفِكْرِهِ الضَّيِّقِ.

وَآفَةُ الْعَقْلِ الهَوَىٰ فَمَنْ عَلَا ... عَلَىٰ هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا[3]

يَقُولُ مُعَاوِيَةُ ﵁: «**المُرُوءَةُ: تَرْكُ اللَّذَّةِ، وَعِصْيَانُ الهَوَىٰ**»[4].

---

(١) يُنظر: «ذم الهوى» (ص٣٣).

(٢) الرِّبْقُ: حبل فيه عدة عُرى، تُشد به البُهْم، والواحدة من العرى: رِبْقَة. ينظر: «مختار الصحاح» (ربق).

(٣) البيت لمحمد بن الحسين بن دريد. يُنظر: «مَفَاتِح المَقْصُورة» (ص١٢٦)، و«العقد الفريد» (٢/ ١٠٥).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقل وفضله» (ص٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠١)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٢).

أَلا قَاتَلَ اللَّـهُ الْهَوَىٰ! فَكَمْ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي الْآثَامِ، وَيُوقِعُهُ فِي الْحَرَامِ وَالْإِجْرَامِ!! مَا أَخْطَرَهُ مِنْ آفَةٍ، وَمَا أَشْنَعَهُ مِنْ دَاءٍ، وَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ بَلاءٍ!! يَقْلِبُ الْخَيرَ شَرًّا، وَالْحَقَّ بَاطِلًا، وَالشِّرْكَ تَوحِيدًا، وَالسُّنَّةَ بِدْعَةً، وَالْبِدْعَةَ سُنَّةً، وَالْعَدْلَ جَوْرًا. وَيُرِيكَ السَّلِيمَ وَهُوَ سَقِيمٌ، وَفِي الحَدِيثِ عن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «**حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ**»(١).

وَأَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان]، ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية].

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «**هُوَ الْمُنَافِقُ لَا يَهْوَىٰ شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ**»(٢)، وَقَالَ رَجُلٌ لِلْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: يَا أَبَا سَعِيدٍ، أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**جِهَادُكَ هَوَاكَ**»(٣).

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٣٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٩٤).

(٢) أخرجه الفريابي في «صفة المنافق» (ص٦٠)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٧).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٣).

وَقَالَ شَيخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيمِيَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «جِهَادُ النَّفْسِ وَالهَوَىٰ أَصْلُ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالمُنَافِقِينَ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ جِهَادِهِمْ حَتَّىٰ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيهِمْ»[1].

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «اتِّبَاعُ الهَوَىٰ يُغْلِقُ عَنِ الْعَبْدِ أَبْوَابَ التَّوفِيقِ، وَيَفْتَحُ عَلَيهِ أَبْوَابَ الخُذْلَانِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ»[2]، وَقَالَ أَيضًا: «إِنَّ أَصْلَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ وَالحَسَدِ بَينَ النَّاسِ، مِنِ اتِّبَاعِ الهَوَىٰ، فَمَنْ خَالَفَ هَوَاهُ أَرَاحَ قَلْبَهُ وَبَدَنَهُ وَجَوَارِحَهُ، فَأَرَاحَ وَاسْتَرَاحَ»[3].

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبَزَّارُ[4] وَأَبُو نُعَيمٍ فِي «الحِلْيَةِ»[5] بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ».

وَقَدْ كَانَ الْهَوَىٰ شِعَارَ الْكُفَّارِ، وَدِثَارَ الظَّلَمَةِ الْفُجَّارِ، يَقُولُ ـ سُبْحَانَهُ ـ عَنْهُمْ: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾﴾ [محمد]، وَيَقُولُ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم﴾ [الروم:٢٩]، وقال ـ سبحانه ـ:

---

(١) عزاه له ابن القيم في «روضة المحبين» (ص٤٧٨).

(٢) يُنظر: «روضة المحبين» (ص٤٧٩).

(٣) يُنظر: «روضة المحبين» (ص٤٨٢).

(٤) في «مسنده» (٨/ ٢٩٥).

(٥) (٢/ ١٦٠).

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص]، ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف]، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ ﴾ [الأنعام:١١٩].

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﵁: «**مَا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ إِلَٰهٌ يُعْبَدُ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ هَوًى مُتَّبَعٌ**»[1]، وَقَدْ خَافَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ أُمَّتِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ المَكِينِ عَلى دِينِهَا وَدُنْيَاهَا، يَقُولُ أَبُو الدَّرْدَاءِ ﵁: «**إِذَا أَصْبَحَ الرَّجُلُ اجْتَمَعَ هَوَاهُ وَعَمَلُهُ، فَإِنْ كَانَ عَمَلُهُ تَبعًا لِهَوَاهُ؛ فَيَوْمُهُ يَومُ سُوءٍ، وَإِنْ كَانَ هَوَاهُ تَبعًا لِعَمَلِهِ؛ فَيَومُهُ يَومُ خيرٍ، وَبِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدُ هَمِّهِ وَهَوَاهُ**»[2]، وَقِيلَ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ: بِمَ نِلْتَ مَا نِلْتَ؟ قَالَ: «**بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَعِصْيَانِ الْهَوَىٰ**»[3].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: لَا يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَىٰ الوُقُوعِ فِي المَعَاصِي إِلَّا الْهَوَىٰ،

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٥٠٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١١٨).

(٢) أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص٢٢).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقل وفضله» (ص٧٠).

وَأَخْطَرُ الْهَوَىٰ مَا كَانَ فِي قَضَايَا الِاعْتِقَادِ، وَأَبْوَابِ أُصُولِ الدِّينِ؛ فَالْكُفْرُ وَالْإِلْحَادُ وَالشِّرْكُ، وَالْخُرَافَةُ وَالْبِدَعُ وَالْمُحْدَثَاتُ، وَالتَّعْطِيلُ وَالتَّأْوِيلُ، وَالْخُرُوجُ عَلَىٰ الْوُلَاةِ، كُلُّ ذَٰلِكَ سَبَبُهُ الْهَوَىٰ؛ وَلِذَٰلِكَ سُمِّيَ الْمُبْتَدِعَةُ: أَهْلَ الْأَهْوَاءِ.

وَالَّذِينَ يُعَطِّلُونَ الْحُكْمَ بِالشَّرِيعَةِ، وَيَحْكُمُونَ بِالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ، إِنَّمَا دَفَعَهُمْ إِلَىٰ ذَٰلِكَ الْهَوَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية]، ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة:٤٨]، وَأَوْلَىٰ النَّاسِ بِمُجَانَبَةِ الْهَوَىٰ: الْوُلَاةُ وَالْحُكَّامُ؛ عَدْلًا فِي الرَّعِيَّةِ، وَحُكْمًا بِالسَّوِيَّةِ، يَقُولُ - تَعَالَىٰ -: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

وَالْعُلَمَاءُ وَالْمُفْتُونَ يَجِبُ عَلَيهِمْ أَنْ يُحَاذِرُوا الْهَوَىٰ، فَلَا يُحِلُّوا حَرَامًا وَلَا يُحَرِّمُوا حَلَالًا، وَالْقُضَاةُ الَّذِينَ يَحْكُمُونَ فِي دِمَاءِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، يَجِبُ عَلَيهِمْ أَنْ يَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ، فَلَا يَحْمِلُهُمُ الْهَوَىٰ عَلَىٰ الْجَوْرِ فِي الْأَحْكَامِ، وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ فِي الْقَضَايَا. وَالْمُوَظَّفُونَ

وَالمَسْؤُولُونَ عَنْ قَضَايَا المُسْلِمِينَ فِي أُمُورِهِمُ المَالِيَّةِ وَالإِدَارِيَّةِ، يَجِبُ عَلَيهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ، وَيُنْصِفُوا النَّاسَ، فَلَا يُقَدِّمُوا غَنِيًّا لِغِنَاهُ، وَلَا وَجِيهًا لِجَاهِهِ، وَيَحْرِمُوا الضُّعَفَاءَ، فَيُقَدِّمُوا مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّأْخِيرَ، وَيُؤَخِّرُوا مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّقْدِيمَ، وَيُحِلُّوا مِقْيَاسَ الْهَوَىٰ مَحَلَّ الْكَفَاءَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالدِّيَانَةِ.

وَالْهَوَى - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - هُوَ الَّذِي آلَ بِالْأُمَّةِ إِلَىٰ الْأَوضَاعِ الْمَأْسَاوِيَّةِ، وَالْخِلَافَاتِ الجَانِبِيَّةِ، وَآلَ بِالْعَالَمِ إِلَىٰ سِيَاسَاتٍ ثَعْلَبِيَّةٍ: تُضَيِّعُ الْحُقُوقَ، وَتَعْبَثُ بِالْمُصْطَلَحَاتِ، وَتُسَيِّرُ الشُّعُوبَ عَلَىٰ أَهْوَاءِ أَعْدَاءِ الْأُمَّةِ، وَتَجْعَلُ مِنْ عَدُوِّ الْأَمْسِ صَدِيقَ الْيَوم.

وَالْمُسْتَقْرِئُ لِلتَّأْرِيخِ، يَجِدُ أَنَّهُ مَا حَلَّ بِالْأُمَّةِ - بَعْدَ الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ - وَمَا أَصَابَهَا مِنْ فِتَنٍ وَمِحَنٍ إِلَّا وَالْهَوَىٰ سَبَبُهَا، فَتَفَرَّقَتِ الْأُمَّةُ شِيَعًا وَأَحْزَابًا، يُضَلِّلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَقْتُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَالْيَومَ تَعِيشُ الْأُمَّةُ فِي زَمَانٍ قَدْ ضَرَبَ الْهَوَىٰ فِيهِ أَطْنَابَهُ[1]، وَدَكَّ مَنِيعَ التَّجَرُّدِ وَأَصَابَهُ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا نَرَىٰ وَنُشَاهِدُ، مِنِ اتِّبَاعٍ لِلْأَهْوَاءِ، وَإِعْجَابٍ بِالْآرَاءِ! مِنْ أَجْلِهَا يَكُونُ الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ، وَالْحُبُّ وَالْعِدَاءُ،

---

(١) الأَطْنَابُ: جمع طُنُبٍ: وهو حبل طويل. يُنظر: «اللسان» (طنب).

وَالْمَنْعُ وَالْعَطَاءُ. وَكَمْ يَقْبُحُ ذَلِكَ حِينَمَا يَكُونُ فِي صُفُوفِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، وَالْمُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ الْخَيرِ وَالدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ!! فَيَقِيسُ بَعْضُهُمْ بِمِقْيَاسٍ جَائِرٍ، وَيَزِنُ بِمِيزَانٍ طَائِشٍ، يَتَّهِمُ النَّوَايَا، وَيُسِيءُ تَأْوِيلَ الْمَقَاصِدِ، وَيَحْكُمُ بِالْفَهْمِ الْمُجَرَّدِ عَلَىٰ مَا يَقْرَأُ وَيَسْمَعُ، وَيُحَمِّلُ الْأَلْفَاظَ مَا لَا تَحْتَمِلُ.

إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ الْعِلْمُ خَيرًا ... فَخَيرٌ مِنْهُ أَنْ لَو قَدْ جَهِلْتَا
وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ ... فَلَيتَكَ ثُمَّ لَيتَكَ مَا فَهِمْتَا[1]

حَتَّىٰ شُوِّهَتْ صُورَةُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْخَيرِ فِي الْأُمَّةِ، وَنُظِرَ إِلَيهِمْ بِمِنْظَارِ الْهَوَىٰ؛ تَضْخِيمًا لِلْهَنَاتِ[2]، وَتَتَبُّعًا لِلْعَثَرَاتِ، وَجَحْدًا لِلْحَسَنَاتِ، وَغِيبَةً وَحَزَازَاتٍ، وَفُرْقَةً وَخِلَافَاتٍ، وَمَا تِلْكَ إِلَّا بِضَاعَةُ الْعَاطِلِينَ الْفَارِغِينَ، وَإِلَّا فَأَهْلُ الْخَيرِ وَالْحَصَافَةِ[3] وَالْمُرُوءَةِ، وَالْعَقْلِ وَالْكِيَاسَةِ، لَا يَسْلُكُونَ هَٰذِهِ الْمَسَالِكَ، بَلْ يَلْتَمِسُونَ الْمَعَاذِيرَ، وَيَحْمِلُونَ

---

(١) الأبيات لأبي إسحاق الإلبيري. يُنظر: «ديوانه» (ص٢٧).

(٢) الهَنَاتُ: الخَصْلَةُ السَّيِّئة، وقِيل: ما يُسْتَقْبَحُ ذِكْرُه وقِيل: الشُّرور والفَسَاد، وفي حديث عرفجة ﷺ: «ستكون هناةٌ وهناةٌ»، أي: شدائد وأمور عظام. يُنظر: «تاج العروس» (هنو).

(٣) الحَصَافة: رَجَاحَة العقل وحِكْمَته. يُنظر: «اللسان» (حصف).

أَهْلَ الخَيرِ عَلَىٰ أَحْسنِ المَحامِلِ، وَيدْرَؤُونَ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلَا يُوغِرُونَ الصُّدُورَ، وَلَا يَبُثُّون الْفُرْقَةَ وَالْفِتْنَةَ وَالشُّرُورَ، وَلَا يَتحَزَّبُونَ لِمَذْهَبٍ، وَلَا يَتَعَصَّبُونَ لِمَشْرَبٍ. **أَيْنَ الْخَوفُ مِنَ اللَّهِ؟! وَأَيْنَ الْعِلْمُ وَتَحْقِيقُ المُتَابَعَةِ وَالْبَصِيرَةُ؟! وَأَيْنَ الْفِقْهُ فِي مَسَائِلِ الاجْتِهَادِ؟! وَأَيْنَ الرَّحَابَةُ فِي قَبُولِ وِجْهَةِ النَّظَرِ الأُخْرَىٰ؟! بَلْ أَيْنَ الْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ؟** ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء]، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [المائدة:٨].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: إِنَّهُ لَا مُخَلِّصَ مِنْ دَاءِ الْهَوَىٰ، إِلَّا دَوَاءُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْهُدَىٰ، وَالرُّجُوعِ إِلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ النُّبَلَاءِ، وَذَوِي التَّمَرُّسِ المَسْؤُولِ وَالْبَصِيرَةِ، وَتَأْلِيفِ الْقُلُوبِ عَلَىٰ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَالْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ المُتَجَرِّدِينَ، وَالحَذَرِ مِنْ مَصَايِدِ الشَّيَاطِينِ، يَتْلُو ذَلِكَ: الْعَزِيمَةُ وَالصَّبْرُ، وَقُوَّةُ النَّفْسِ، وَمَعْرِفَةُ عَوَاقِبِ الأُمُورِ، وَسَلَامَةُ الصُّدُورِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ كُلِّهِمْ، فِي مَنْأَىٰ عَنِ الْحِزْبِيَّةِ الضَّيِّقَةِ الْبَغِيضَةِ، وَالْعَصَبِيَّةِ المَحْدُودَةِ لِرَأْيٍ وَجَمَاعَةٍ، وَالْوَلَاءُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ، وَلَاءً عَامًّا قَائِمًا عَلَىٰ الحُبِّ وَالْإِنْصَافِ، وَالْبُعْدِ عَنِ التَّعَصُّبِ

المَقِيتِ، وَالتَّحزُّبِ المِتْلَافِ.

وَتعَرَّ مِنْ ثَوبَينِ مَنْ يَلْبَسْهُمَا ... يَلْقَ الرَّدَىٰ بِمَذَمَّةٍ وَهَوَانِ
ثَوبٌ مِنَ الجَهْلِ المُرَكَّبِ فَوقَهُ ... ثَوبُ التَّعَصُّبِ بِئْسَ ذَا الثَّوبَانِ
وَتَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرَ حُلَّةٍ ... زِينَتْ بِهِ الْأَعْطَافُ وَالْكِتْفَانِ(١)

وَالعَاقِلُ مِنَ الرِّجَالِ، مَنْ يَقَابِلُ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ، وَالْجَهْلَ وَالْأَذَىٰ، بِالصَّفْحِ وَالْحِلْمِ وَالْغُفْرَانِ، وَلَا يُقَابِلُ مَنْ عَصَىٰ اللَّهَ فِيهِ، بِأَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُطِيعَهُ فِيهِ، وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ!

نَسْأَلُ اللَّهَ - تَعَالَىٰ - بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ، أَنْ يَسْلُكَ بِنَا سَبِيلَ الْهُدَىٰ، وَيُعِيذَنَا مِنْ شَرِّ الْهَوَىٰ، وَمِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَخْلَاقِ، وَالْأَهْوَاءِ وَالْأَدْوَاءِ، وَأَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَنَا مِنَ الْغِلِّ وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ، وَأَنْ يَجْمَعَهَا عَلَىٰ الْمَحَجَّةِ الْبَيضَاءِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ. أَقُولُ قَولِي هَٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

---

(١) يُنظر: «القصيدة النونية» بشرح ابن عيسى (١/ ١٢٤).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الحَمْدُ لِلَّـهِ، لَهُ الحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَهُ الخَلْقُ كُلُّهُ، وَإِلَيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّـهُ، عَلَانِيَتُهُ وَسِرُّهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّـهِ وَرَسُولُه، صَلَّىٰ اللَّـهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، مَشَاعِلِ الْهُدَىٰ، وَمَصَابِيحِ الدُّجَىٰ، وَمَنْ بِدَعْوَتِهِمْ دَعَا، وَبِطَرِيقَتِهِمُ اهْتَدَىٰ، وَلِمَنْهَجِهِمُ اقْتَفَىٰ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّـهَ - عِبَادَ اللَّـهِ - ﴿ وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٨١].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّـهِ: إِنَّ مَا تُعَايِنُهُ الْأُمَّةُ مِنْ مُشْكِلَاتٍ، وَمَا يُقَرِّحُهَا مِنْ أَزَمَاتٍ وَمُعْضِلَاتٍ، فَإِنَّمَا مَرَدُّهُ الْهَوَىٰ، خُذُوا - عَلَىٰ سَبِيلِ الْمِثَالِ - الْجَانِبَ الْمُتَعَلِّقَ بِالْأُسْرَةِ: فَإِذَا دَخَلَ الْهَوَىٰ فِي أُمُورِ الْأُسْرَةِ، صَدَّعَ بُنْيَانَهَا، وَهَدَّمَ أَرْكَانَهَا، فَكَمْ كَانَ الْهَوَىٰ دَاءً دَوِيًّا فِي تَشْتِيتِ الْأُسَرِ وَتَشْرِيدِ الْأَبْنَاءِ، يَأْتِي الزَّوجُ وَقَدِ اسْتَبَدَّ بِهِ الْهَوَىٰ فَيَظْلِمُ الزَّوجَةَ، وَيَمْنَعُهَا حُقُوقَهَا، وَيُسِيءُ عِشْرَتَهَا، بَلْ لَرُبَّمَا اتَّهَمَهَا فِي عِرْضِهَا وَشَرَفِهَا،

وَسَمِعَ فِيهَا أَقْوَالَ الْمُغْرِضِينَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - غَيرَ مُكْتَرِثٍ أَلَّا يَعْدِلَ بَينَ زَوجَاتِهِ وَأَولَادِهِ، وَتَأْتِي الزَّوجَةُ صَاحِبَةُ الْهَوَىٰ فَتُسِيءُ عِشْرَةَ زَوجِهَا، وَتَسْتَهِينُ بِحُقُوقِهِ، وَلَا تَقُومُ بِوَاجِبَاتِهَا تِجَاهَهُ، فَتَتَحَوَّلُ الْأُسْرَةُ إِلَىٰ جَحِيمٍ لَا يُطَاقُ، وَلَو أَنَّ كُلًّا تَخَلَّىٰ عَنِ الْهَوَىٰ وَسَلَكَ سُبُلَ الْهُدَىٰ؛ لَسَادَتِ الْمَحَبَّةُ وَالْوِئَامُ أَرْجَاءَ الْأُسْرَةِ، وَرَفْرَفَتْ رَايَاتُ الْخَيرِ وَالسَّلَامِ عَلَىٰ رُبُوعِهَا، وَسَلِمَتْ مِنْ عَوَاصِفِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَالشِّقَاقِ، وَالْخِلَافِ وَالْفِرَاقِ وَالطَّلَاقِ.

وَالْمَرْأَةُ الَّتِي تُجَاهِرُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَتَنْبُذُ الْحِجَابَ وَالْعَفَافَ وَالْحِشْمَةَ، وَتَفْتِنُ عِبَادَ اللَّهِ، مُتَّبِعَةٌ لِهَوَاهَا، وَمُخَالِفَةٌ لِهُدَاهَا.

وَالْمُتَعَاطُونَ لِلْمُسْكِرَاتِ، وَالْمُدْمِنُونَ لِلْمُخَدِّرَاتِ، وَالْمُهَدِّدُونَ لِأَمْنِ الْمُجْتَمَعِ، بِإِحْدَاثِ الْجَرَائِمِ وَالسَّرِقَاتِ، هُمْ صَرْعَىٰ لِأَهْوَائِهِمْ.

الْمُضَيِّعُونَ لِلْجُمَعِ وَالْجَمَاعَاتِ، وَالْمُتَتَبِّعُونَ لِلشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ، وَالْمُتَسَاهِلُونَ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْقِيَامِ بِوَاجِبِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللَّهِ: عَبِيدٌ لِلْهَوَىٰ وَأَسْرَىٰ.

الْمُسْتَسْلِمُونَ لِلشَّائِعَاتِ، وَالْمُصَدِّقُونَ لِلْأَكَاذِيبِ وَالْمَنْشُورَاتِ، وَالْمُنْخَدِعُونَ بِدُعَاةِ الْفِتْنَةِ مِنْ أَهْلِ الْهَوَىٰ، الطَّاعِنِينَ فِي الْعُلَمَاءِ وَالْوُلَاةِ: إِنَّمَا يُشْبِعُونَ هَوَىً فِي نُفُوسِهِمْ.

الْمُتَحَذْلِقُونَ بِالْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ: إِنَّمَا يَقُومُونَ بِذَلِكَ؛ لِتَحْقِيقِ هَوًى فِي نُفُوسِهِمْ، فَكَمْ حَكَمُوا عَلَى النَّاصِحِ الْحَكِيمِ، بِالْمُدَاهَنَةِ وَالتَّزَلُّفِ وَالنِّفَاقِ!

وَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ لِلشَّمْسِ أَعْيُنٌ ... سِوَاكِ تَرَاهَا فِي مَغِيبٍ وَمَطْلَعِ
وَسَامِحْ عُيُونًا أَطْفَأَ اللَّهُ نُورَهَا ... بِأَهْوَائِهَا لَا تَسْتَفِيقُ وَلَا تَعِي(١)

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ: النَّاسُ فَرِيقَانِ: أَهْلُ هُدًى، وَأَهْلُ هَوًى، فَأَهْلُ الْهُدَى: مِيزَانُهُمُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَمِنْهَاجُهُمْ مِنْهَاجُ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ. وَأَهْلُ الْهَوَى: يَخْبِطُونَ خَبْطَ عَشْوَاءَ، وَيَضِلُّونَ فِي أَوْدِيَةِ الْأَهْوَاءِ وَالْآرَاءِ.

يَجِبُ أَنْ تَتَرَبَّى الْأُمَّةُ عَلَى أَخْذِ الْحَقِّ مِنْ يَنْبُوعِهِ الثَّرَّارِ(٢): كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يُوَضِّحُهُ عُلَمَاءُ رَبَّانِيُّونَ، وَجَهَابِذَةٌ رَاسِخُونَ، فَلَا تَغْلُو فِي أَشْخَاصٍ، وَلَا تَتَعَصَّبُ لِأَفْرَادٍ أَوْ جَمَاعَاتٍ،

---

(١) يُنظر: «الصواعق المرسلة» (٣/ ١٢٠٠).

(٢) الثَّرَّارُ: الواسع الغزير. يُنظر: «اللسان» (ثرر).

وَلَا يُجَدِّلُهَا[1] هَوًى مُطْبِقُ!!

وَأَحْدَاثُ الْأُمَّةِ دُرُوسٌ وَعِبَرٌ، وَلَٰكِنْ لَا حِيلَةَ فِي مَنْ مَنَعَهُ هَوَاهُ أَنْ يَعْتَبِرَ، وَمَنْ أَصَرَّ عَلَىٰ الْهَوَىٰ بَعْدَ التَّحْذِيرِ مِنَ الْهَوَىٰ، فَلَا حِيلَةَ فِيهِ وَإِنْ طَارَ فِي الْهَوَا، بَلْ لَرُبَّمَا حَكَّمَ الْهَوَىٰ، فِيمَا يَسْمَعُ وَيَرَىٰ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّهُ لَا أَقْطَعَ لِلْهَوَىٰ، مِنَ التَّجَرُّدِ، وَإِحْسَانِ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ عَامَّةً، فَضْلًا عَنْ عُلَمَائِهِمْ وَدُعَاتِهِمْ وَرُعَاتِهِمْ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَتَبِعَهُ، وَبَاتَ عِنْدَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، وَلَمْ يَرَهُ كَثِيرَ صَومٍ وَلَا صَلَاةٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيتَ، غَيرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غِشًّا وَلَا غِلًّا وَلَا حِقْدًا عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسِدُ أَحَدًا عَلَىٰ خَيرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَٰذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ».

---

(١) الجَدْلُ: الصَّرْع. والجَدَالَةُ: الأَرْض، وجَدَّلَه: صَرَعهُ على الجَدالة، أي: على الأرض. يُنظر: «اللسان» (جدل).

خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ(١) وَغَيْرُهُ(٢).

وَإِنِّي لَعَلَىٰ ثِقَةٍ وَأَمَلٍ، أَنْ يَكُونَ هَـٰذَا الْكَلَامُ دَاعِيًا إِلَىٰ الْمُحَاسَبَةِ، وَالْمُرَاجَعَةِ، وَالِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ الْحَقِّ بِإِذْنِ اللَّـهِ، وَبِذَلِكَ يَتَشَخَّصُ الدَّاءُ، وَنَتَبَيَّنُ الدَّوَاءَ، وَتَجْتَمِعُ الْأُمَّةُ عَلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ، وَتُطْرَحُ الْآرَاءُ وَالْأَهْوَاءُ، مِيزَانُهَا كِتَابُ اللَّـهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَاللَّـهُ الْمُسْتَعَانُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّـهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ!!

هَـٰذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّـهُ ـ عَلَىٰ الْهَادِي الْبَشِيرِ، وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، فَقَالَ ـ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

---

(١) في «المسند» (٣/ ١٦٦). قال الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ٨٦٢): «رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين».

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٢١٥)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٢٨٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٦٤).

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ - جَلَّ مِنْ رَبٍّ وَتَعَالَىٰ مِنْ إِلَٰهٍ - هُوَ - سُبْحَانَهُ - رَبُّ كُلِّ شَيءٍ وَمَلِيكُهُ وَمَولَاهُ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، وَمِنْكَ الْفَرَجُ، وَإِلَيكَ الْمُشْتَكَىٰ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، عَالِمُ السِّرِّ وَالنَّجْوَىٰ، وَالمُؤَمَّلُ لِكَشْفِ كُلِّ بَلْوَىٰ، وَرَفْعِ كُلِّ لَأْوَا - سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ - لَيسَ فِي الْكَونِ رَبٌّ سِوَاهُ فَيُدْعَىٰ، وَلَيسَ فِي الْوُجُودِ إِلَٰهٌ غَيرُهُ فَيُرْجَىٰ، وَلَيسَ فِي المَلَإِ حَكَمٌ غَيرُهُ فَتُرْفَعُ إِلَيهِ الشَّكْوَىٰ. وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَقُدْوَتَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُاللَّهِ وَرَسُولُهُ: النَّبِيُّ المُصْطَفَىٰ، وَالرَّسُولُ المُجْتَبَىٰ، وَالحَبِيبُ المُرْتَضَىٰ، بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ فَمَا ضَلَّ وَمَا غَوَىٰ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيهِ وَعَلَىٰ آلِهِ أَنْوَارِ الهُدَىٰ، وَصَحْبِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَىٰ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَىٰ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: خَيرُ الْوَصَايَا، وَصِيَّةُ رَبِّ الْبَرَايَا ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا

﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ [النساء:١٣١]، **فَاتَّقُوا اللَّهَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ -** فَبِالتَّقْوَىٰ الْعِصْمَةُ مِنَ الفِتَنِ، وَالسَّلَامَةِ مِنَ المِحَنِ. يَقُولُ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: **«اتَّقُوا الْفِتَنَ بِالتَّقْوَىٰ»**، فَقِيلَ لَهُ: أَجْمِلْ لَنَا التَّقْوَىٰ، فَقَالَ: **«أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللَّهِ تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ، عَلَىٰ نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَخْشَىٰ عَذَابَ اللَّهِ»**(١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مُنْذُ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلِيقَةَ، وُجِدَ الصِّرَاعُ بَيْنَ الْقُوَىٰ، صِرَاعٌ يَسْتَهْدِفُ أَعْمَاقَ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَيُؤَثِّرُ فِي كِيَانِ الْبَشَرِيَّةِ، وَإِذَا كَانَتِ الْحُرُوبُ وَالْأَزَمَاتُ، وَالْكَوَارِثُ وَالنَّكَبَاتُ، تَسْتَهْدِفُ بِأَسْلِحَتِهَا الْفَتَّاكَةِ الْإِنْسَانَ، مِنْ حَيْثُ جَسَدُهُ وَبِنَاؤُهُ، فَإِنَّ هُنَاكَ حَرْبًا سَافِرَةً مُسْتَتِرَةً تَتَوَالَدُ عَلَىٰ ضِفَافِ الْحَوَادِثِ وَالْمُلِمَّاتِ، وَتَتَكَاثَرُ فِي زَمَنِ التَّقَلُّبَاتِ وَالْمُتَغَيِّرَاتِ، وَهِيَ أَشَدُّ ضَرَاوَةً وَأَقْوَىٰ فَتْكًا؛ لِأَنَّهَا تَسْتَهْدِفُ الْإِنْسَانَ، مِنْ حَيْثُ مُثُلُهُ وَعَطَاؤُهُ وَقِيَمُهُ وَنَمَاؤُهُ.

أَتَدْرُونَ - **يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ** - مَا هِيَ هَـٰذِهِ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ؟ إِنَّهَا حَرْبُ الشَّائِعَاتِ، الَّتِي تُعَدُّ مِنْ أَخْطَرِ الْحُرُوبِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْأَوْبِئَةِ

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٩٩).

النَّفْسِيَّةِ، بَلْ مِنْ أَشَدِّ الْأَسْلِحَةِ تَدْمِيرًا وَأَعْظَمِهَا وَقْعًا وَتَأْثِيرًا، وَلَيس مِنَ المُبَالَغَةِ فِي شَيْءٍ، إِذَا عُدَّتْ ظَاهِرَةً اجْتِمَاعِيَّةً عَالَمِيَّةً، لَهَا خُطُورَتُهَا الْبَالِغَةُ، عَلَىٰ الْمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَنَّهَا جَدِيرَةٌ بِالتَّشْخِيصِ وَالْعِلَاجِ، وَحَرِيَّةٌ بِالتَّصَدِّي وَالِاهْتِمَامِ؛ لِاسْتِئْصَالِهَا وَالتَّحْذِيرِ مِنْهَا، وَالتَّكَاتُفِ لِلْقَضَاءِ عَلَىٰ أَسْبَابِهَا وَبَوَاعِثِهَا؛ حَتَّىٰ لَا تَقْضِي عَلَىٰ الرُّوحِ المَعْنَوِيَّةِ فِي الْأُمَّةِ، الَّتِي هِيَ عِمَادُ نَجَاحِ الْأَفْرَادِ، وَأَسَاسُ أَمْنِ وَاسْتِقْرَارِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَرَكِيزَةُ بِنَاءِ أَمْجَادِ الشُّعُوبِ وَالْحَضَارَاتِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: الْمُسْتَقْرِئُ لِلتَّأْرِيخِ الْإِنْسَانِيِّ يَجِدُ أَنَّ الشَّائِعَاتِ وُجِدَتْ حَيْثُ وُجِدَ الْإِنْسَانُ، بَلْ إِنَّهَا عَاشَتْ وَتَكَاثَرَتْ فِي أَحْضَانِ كُلِّ الْحَضَارَاتِ، وَمُنْذُ فَجْرِ التَّأْرِيخِ، وَالشَّائِعَةُ تُمَثِّلُ مَصْدَرَ قَلَقٍ فِي الْبِنَاءِ الِاجْتِمَاعِيِّ، وَالِانْتِمَاءِ الْحَضَارِيِّ، لِكُلِّ الشُّعُوبِ وَالْبِيئَاتِ، وَلَـمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ اتَّخَذَ المَوقِفَ الْحَازِمَ مِنَ الشَّائِعَاتِ، وَأَصْحَابِهَا؛ لِـمَا تَنْشُرُ وَتَبُثُّ بَيْنَ أَفْرَادِ الْمُجْتَمَعِ مِنْ آثَارٍ سَلْبِيَّةٍ عَلَىٰ تَمَاسُكِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَتَلَاحُمِ أَبْنَائِهِ، وَسَلَامَةِ لُحْمَتِهِ، وَالْحِفَاظِ عَلَىٰ بَيضَتِهِ[1]، بَلْ لَقَدْ عَدَّ الْإِسْلَامُ ذَلِكَ

---

(١) بَيْضَةُ الشيءِ: أصله. وفي الحديث: «**وَلَا تُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ**»، يريد جماعتهم وأصلهم. يُنظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، و«اللسان» (بيض).

سُلُوكًا مَرْذُولًا مُنَافِيًا لِلْأَخْلَاقِ النَّبِيلَةِ، وَالسَّجَايَا الْكَرِيمَةِ، وَالْمُثُلِ الْعُلْيَا الَّتِي جَاءَتْ بِهَا وَحَثَّتْ عَلَيْهَا الشَّرِيعَةُ الْغَرَّاءُ مِنَ: الِاجْتِمَاعِ، وَالمَحَبَّةِ وَالمَوَدَّةِ، وَالْإِخَاءِ، وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّرَاحُمِ وَالتَّعَاطُفِ وَالصَّفَاءِ، وَهَلِ الشَّائِعَةُ إِلَّا نَسْفٌ لِتِلْكَ الْقِيَمِ، وَمِعْوَلُ هَدْمٍ لِهَٰذِهِ الْمُثُلِ؟

كَمَا حَذَّرَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْغِيبَةِ وَالْوَقِيعَةِ، فِي الْأَعْرَاضِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ وَ«**النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**»[1]، وَهَلِ الشَّائِعَةُ إِلَّا كَذَلِكَ؟ وَأَمَرَ بِحِفْظِ اللِّسَانِ، وَأَبَانَ خُطُورَةَ الْكَلِمَةِ، وَحَرَّمَ الْقَذْفَ، وَالْإِفْكَ، وَتَوَعَّدَ مُرَوِّجِي الْفَحْشَاءَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾[النور:١٩].

وَحَثَّ عَلَىٰ التَّثَبُّتِ وَالتَّبَيُّنِ فِي نَقْلِ الْأَخْبَارِ، يَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾[الحجرات]، قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: (فَتَثَبَّتُوا)[2]، وَأَخْبَرَ - سُبْحَانَهُ - أَنَّ الْإِنْسَانَ مَسْؤُولٌ أَمَامَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَمُحَاسَبٌ عَنْ كُلِّ جَلِيلٍ وَصَغِيرٍ: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾[ق]،

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: «السبعة في القراءات» (ص٢٣٦)، و«حجة القراءات» (٢٠٩).

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء].

وَالشَّائِعَاتُ مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ سُوءِ الظَّنِّ بِالْمُسْلِمِينَ، وَاللَّـهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ**»(١).

كَمَا نَهَىٰ الْإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ أَنْ يُطْلِقُوا الْكَلَامَ عَلَىٰ عَوَاهِنِهِ، وَيُلْغُوا عُقُولَهُمْ عِنْدَ كُلِّ شَائِعَةٍ، وَتَفْكِيرَهُمْ عِنْدَ كُلِّ زَائِفَةٍ، أَو يَنْسَاقُوا وَرَاءَ كُلِّ نَاعِقٍ، وَيُصَدِّقُوا قَوْلَ كُلِّ دَعِيٍّ مَارِقٍ، أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»، وَفِي رِوَايَةٍ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا**»(٣).

وَسَدًّا لِلْبَابِ أَمَامَ الْوُشَاةِ الْمُغْرِضِينَ، وَنَقَلَةِ الشَّائِعَاتِ الْمُتَرَبِّصِينَ، وَمَنْعًا لِرَوَاجِ الشَّائِعَةِ وَالْبَلَاغَاتِ الْكَيْدِيَّةِ الْمُغْرِضَةِ، وَالْأَخْبَارِ الْمُلَفَّقَةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في مقدمة «صحيحه» برقم (٥) من حديث حفص بن عاصم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٩٩٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

المَكْذُوبَةِ، عَلَىٰ الْبُرَءَاءِ الْغَافِلِينَ، يَقُولُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»[1] عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟»** قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: **«الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَءَاءِ الْعَنَتَ»**.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: إِذَا كَانَ فِي دُنْيَا النَّبَاتِ طُفَيْلِيَّاتٌ تَلْتَفُّ حَوْلَ النَّبْتَةِ الصَّالِحَةِ لِتُفْسِدَ نُمُوَّهَا، فَإِنَّ الشَّائِعَاتِ وَمُرَوِّجِيهَا أَشَدُّ وَأَنْكَىٰ؛ لِمَا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ خَلْخَلَةِ الْبُنَىٰ التَّحْتِيَّةِ لِلْمُجْتَمَعِ وَتَصْدِيعِ بُنْيَانِهِ، فَكَمْ تَجَنُّوا عَلَىٰ أَبْرِيَاءَ، وَأَشْعَلُوا نَارَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ الْأَصْفِيَاءِ، وَكَمْ نَالُوا مِنْ عُلَمَاءَ وَعُظَمَاءَ، وَكَمْ هَدَمَتِ الشَّائِعَةُ مِنْ وَشَائِجَ[2]، وَتَسَبَّبَتْ فِي جَرَائِمَ، وَفَكَّكَتْ مِنْ أَوَاصِرَ وَعَلَاقَاتٍ، وَحَطَّمَتْ مِنْ أَمْجَادٍ وَحَضَارَاتٍ، وَكَمْ دَمَّرَتْ مِنْ أُسَرٍ وَبُيُوتَاتٍ، وَأَهْلَكَتْ حَوَاضِرَ وَمُجْتَمَعَاتٍ!!! بَلْ لَرُبَّ شَائِعَةٍ أَثَارَتْ فِتَنًا وَبَلَايَا، وَحُرُوبًا وَرَزَايَا، وَأَذْكَتْ نَارَ حُرُوبٍ عَالَمِيَّةٍ، وَأَجَّجَتْ أُوَارَ[3] مَعَارِكَ دَولِيَّةٍ، وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا كَلَامٌ، وَرُبَّ كَلِمَةٍ

---

(١) (ص١١٩).

(٢) الوَشَائِجُ: جمع وَشِيْجَة، وهي ما يُربطُ ويُشَدُّ به بين شيئين، يُقال: رَحِمٌ وَشِيْجَةٌ: أي مشتبكة متصلة. يُنظر: «اللسان» (وشج).

(٣) الأُوارُ: شدة لفح النار ووهجها، يُقال: يوم ذو أُوَار: أي ذو سموم وحرٍ شديد.=

مَاتَتْ فِي مَهْدِهَا، وَرُبَّ مَقَالَةِ شَرٍّ أَشْعَلَتْ فِتَنًا؛ لِأَنَّ حَاقِدًا ضَخَّمَهَا وَنَفَخَ فِيهَا.

عِبَادَ اللَّهِ: مُرَوِّجُ الشَّائِعَةِ لَئِيمُ الطَّبْعِ، دَنِيءُ الْهِمَّةِ، مَرِيضُ النَّفْسِ، مُنْحَرِفُ التَّفْكِيرِ، صَفِيقُ الْوَجْهِ، عَدِيمُ الْمُرُوءَةِ، ضَعِيفُ الدِّيَانَةِ، يَتَقَاطَرُ خِسَّةً وَدَنَاءَةً، قَدْ تَرَسَّبَ الْغِلُّ فِي أَحْشَائِهِ، فَلَا يَسْتَرِيحُ فَتَّانٌ فَتَّاكٌ سَاعٍ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ، يَجُرُّ الْفِتَنَ لِلْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، حَتَّىٰ يُزْبِدَ(١) وَيُرْغِيَ(٢)، وَيُفْسِدَ وَيُؤْذِيَ.

إِنَّهُ عُضْوٌ مَسْمُومٌ، ذُو تَجَاسُرٍ مَذْمُومٍ، وَبَذَاءٍ(٣) مَحْمُومٍ، يَسْرِي سَرَيَانَ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ، يَتَلَوَّنُ كَالْحِرْبَاءِ، وَيَنْفُثُ سُمُومَهُ كَالْحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ(٤)، دَيدَنُهُ الْإِفْسَادُ وَالْهَمْزُ، وَسُلُوكُهُ الشَّرُّ وَاللَّمْزُ، وَعَادَتُهُ الْخُبْثُ وَالْغَمْزُ، لَا يَفْتَأُ إِثَارَةً وَتَشْوِيشًا، وَلَا يَنْفَكُّ كَذِبًا وَتَحْرِيشًا، وَلَا يَبْرَحُ تَقَوُّلًا وَتَهْوِيشًا، فَكَمْ وَكَمْ حَصَلَتْ مِنْ جِنَايَةٍ عَلَىٰ الْمُؤَهَّلِينَ

=يُنظر: «اللسان» (أور).

(١) يُزْبِدُ: سبق شرحها (ص٢٨٥).

(٢) يُرْغِي: سبق شرحها (ص٢٨٥).

(٣) البَذَاءُ: الفُحْشُ، والبَذِيء: الفاحش. يُنظر: «اللسان» (بذا).

(٤) الرَّقْطَاءُ: دويبة خبيثة، إذا دبَّت على طعام سمَّته. يُنظر: «اللسان» (رقط).

الْأَكْفِيَاءِ، بِسَبَبِ شَائِعَةِ دَعِيٍّ مَأْفُونٍ[1] ذِي لِسَانٍ شِرِّيرٍ، أَو قَلَمٍ أَجِيرٍ، فِي سُوءِ النِّيَّةِ وَخُبْثِ الطَّوِيَّةِ[2]، وَأُولَئِكَ سِرٌّ لِلنَّزِيفِ الدَّائِمِ فِي أَجْسَادِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَمُنْذُ فَجْرِ التَّارِيخِ وَالشَّائِعَاتُ تُنْشِبُ مَخَالِبَهَا فِي جَسَدِ الْعَالَمِ كُلِّهِ، لَاسِيَّمَا فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ، يُرَوِّجُهَا ضِعَافُ النُّفُوسِ، وَالْمُغْرِضُونَ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّيَانَةِ، وَيَتَوَلَّى أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ عَبْرَ التَّأْرِيخِ - لَاسِيَّمَا الْيَهُودُ: قَتَلَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَنَقَضَةُ الْعُهُودِ - كِبْرَ الشَّائِعَاتِ، بُغْيَةَ هَدْمِ صَرْحِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالنَّيْلِ مِنْ أَصْحَابِهَا، وَالتَّشْكِيكِ فِيهَا، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ شَائِعَتِهِمْ حَتَّى الْأَنْبِيَاءُ - عَلَيهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ - فَقَدْ تَعَرَّضُوا لِجُمْلَةٍ مِنَ الِافْتِرَاءَاتِ وَالْأَرَاجِيفِ ضِدَّ رِسَالَتِهِمْ، تَظْهَرُ جِهَارًا وَتَحْتَ جُنْحِ الظَّلَامِ، وَخَلْفَ السُّتُورِ أَحْيَانًا ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة].

فَهَذَا ابْنُ مَرْيَمَ - عَلَيهِ السَّلَامُ - تُشَكِّكُ الشَّائِعَاتُ الْمُغْرِضَةُ فِيهِ، وَفِي أُمِّهِ الصِّدِّيقَةِ: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ

---

(١) سبق شرحها (ص ١٠٠).

(٢) الطَّوِيَّةُ: الضمير. يُنظر: «اللسان» (طوى).

بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم]، وَالْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ، يُوسُفُ - عَلَيهِ السَّلَامُ - ابْنُ يَعْقُوبَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ، نَمُوذَجٌ مِنْ نَمَاذِجِ الطُّهْرِ وَالنَّقَاءِ ضِدَّ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةِ الَّتِي تَمَسُّ الْعِرْضَ وَالشَّرَفَ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف].

وَالسِّيرَةُ الْعَطِرَةُ لِرَسُولِ الْهُدَىٰ ﷺ أُنْمُوذَجٌ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ نَمَاذِجَ حَيَّةً لِتَأْرِيخِ الشَّائِعَةِ، وَالْمَوْقِفِ السَّلِيمِ مِنْهَا، فَقَدْ رُمِيَتْ دَعْوَتُهُ الْمُبَارَكَةُ بِالشَّائِعَاتِ مُنْذُ بُزُوغِهَا، فَرُمِيَ بِالسِّحْرِ وَالْجُنُونِ، وَالْكَذِبِ وَالْكَهَانَةِ. وَتَفَنَّنَ الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ مَرَدُوا[1] عَلَىٰ النِّفَاقِ، فِي صُنْعِ الْأَرَاجِيفِ الْكَاذِبَةِ، وَالِاتِّهَامَاتِ الْبَاطِلَةِ، ضِدَّ دَعْوَتِهِ ﷺ، وَلَعَلَّ مِنْ أَشْهَرِهَا قِصَّةَ الْإِفْكِ، تِلْكَ الْحَادِثَةُ الَّتِي كَشَفَتْ عَنْ شَنَاعَةِ الشَّائِعَاتِ، وَهِيَ تَتَنَاوَلُ بَيتَ النُّبُوَّةِ الطَّاهِرِ، وَتَتَعَرَّضُ لِعِرْضِ أَكْرَمِ الْخَلْقِ عَلَىٰ اللَّهِ، وَعِرْضِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه وَعِرْضِ الصِّدِّيقَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَعِرْضِ صَفْوَانَ بنِ الْمُعَطِّلِ رضي الله عنه، وَتَشْغَلُ هَٰذِهِ الشَّائِعَةُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ شَهْرًا كَامِلًا، وَالْمُجْتَمَعُ الْإِسْلَامِيُّ يَصْطَلِي بِنَارِ تِلْكَ الْفِرْيَةِ، وَيَتَعَذَّبُ

---

(١) مَرَدُوا: مَرَنُوا واسْتَمَرُّوا. يُنظر: «اللسان»، و«تاج العروس» (مرد).

ضَمِيرُهُ، وَتَعْصِرُهُ الشَّائِعَةُ الْهَوجَاءُ، وَلَولا عِنَايَةُ اللَّهِ، لَعَصَفَتْ بِالْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ.

حَتَّىٰ فَصَلَ الْوَحْيُ الْمُبَارَكُ فِي تِلْكَ الْمَأْسَاةِ الْفَظِيعَةِ، وَرَسَمَ الْمَنْهَجَ الْوَضَّاءَ لِلْمُسْلِمِينَ عَبْرَ الْعُصُورِ، لِلْمَوقِفِ الْوَاجِبِ اتِّخَاذُهُ عِنْدَ حُلُولِ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةِ ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النور]، إِلَىٰ قَوْلِهِ - سُبْحَانَهُ -: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور].

تَقُولُ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «**فَمَكَثْتُ شَهْرًا لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَومٍ**»[1]، حَتَّىٰ بَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْ فَوقِ سَبْعِ سَمَٰوَاتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِغْلَالُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ لِحَادِثِ مَوتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَخَذُوا يَشُنُّونَ الْحَرْبَ النَّفْسِيَّةَ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ عَنْ طَرِيقِ

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

الشَّائِعَاتِ المُغْرِضَةِ، زَاعِمِينَ أَنَّ الْإِسْلَامَ قَدِ انْتَهَىٰ وَلَنْ تَقُومَ لَهُ قَائِمَةٌ، حَتَّىٰ أَثَّرَ ذَٰلِكَ عَلَىٰ بَعْضِ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَظَلَّ النَّاسُ فِي اضْطِرَابٍ حَتَّىٰ هَيَّأَ اللَّهُ الصِّدِّيقَ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فَحَسَمَ المَوقِفَ بِتَذْكِيرِ الْأُمَّةِ بِقَولِ الْحَقِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَتَتَطَوَّرُ الشَّائِعَاتُ بِتَطَوُّرِ الْعُصُورِ، وَيُمَثِّلُ عَصْرُنَا الْحَاضِرُ عَصْرًا ذَهَبِيًّا لِرَوَاجِ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِتَطَوُّرِ التِّقَانَاتِ، وَكَثْرَةِ الْوَسَائِلِ الْإِعْلَامِيَّةِ المَحْمُومَةِ، فِي صُورَةٍ مِنْ صُوَرِ الْإِرْهَابِ النَّفْسِيِّ، وَالتَّحْطِيمِ المَعْنَوِيِّ، لَهُ دَوَافِعُهُ المَشِينَةُ، وَأَغْرَاضُهُ المَشْبُوهَةُ، ضِدَّ عَقِيدَةِ الْأُمَّةِ، وَمُثُلِهَا وَثَوَابِتِهَا وَقِيَمِهَا.

إِنَّهَا أَلْغَامٌ مَعْنَوِيَّةٌ، وَقَنَابِلُ نَفْسِيَّةٌ، وَرَصَاصَاتٌ طَائِشَةٌ، تُصِيبُ أَصْحَابَهَا فِي مَقْتَلٍ، وَتَفْعَلُ فِي غَرَضِهَا مَا لَا يَفْعَلُهُ الْعَدُوُّ بِـ(مُخَابَرَاتِهِ) وَ(طَابُورِهِ) الخَامِسِ، مُرَكِّزَةً عَلَىٰ شَائِعَاتِ الْخَوفِ، وَإِثَارَةِ الْقَلَقِ وَالرُّعْبِ، وَزَرْعِ بُذُورِ الْفِتْنَةِ، وَإِثَارَةِ الْبَلْبَلَةِ، لَاسِيَّمَا فِي أَوقَاتِ الْأَزَمَاتِ، يُوَافِقُ ذَلِكَ فَرَاغٌ عِنْدَ المُتَلَقِّي وَفُضُولٌ، وَبَطَالَةٌ

وَخُمُولٌ، فَتَسْرِي الشَّائِعَةُ فِي النَّاسِ مَسْرَىٰ الْهَوَاءِ، وَتَهِيجُ فِيهِمْ هَيَجَانَ الْبَحْرِ الْمُتَلَاطِمِ.

وَتَكْمُنُ خُطُورَتُهَا أَنَّهَا سِلَاحٌ جُنُودُهُ مُغَفَّلُونَ أَغْرَارٌ، سَحَرَتْهُمُ الشَّائِعَاتُ بِبَرِيقِهَا الْخَادِعِ، فَأَصْبَحُوا يُرَدِّدُونَهَا كَالْبَبَّغَاوَاتِ، دُونَ أَنْ يُدْرِكُوا أَنَّهُمْ أَدَوَاتٌ يُسْتَخْدَمُونَ لِمَصَالِحِ أَعْدَائِهِمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

وَكَمْ كَانَ لِلشَّائِعَاتِ آثَارُهَا السَّلْبِيَّةِ عَلَىٰ الرَّأْيِ الْعَامِّ، وَصُنَّاعِ الْقَرَارِ فِي الْعَالَمِ، وَكَمْ كَانَتْ سَبَبًا فِي أَنْ يَصْرِفَ الْأَعْدَاءُ جَبْهَةَ الْأُمَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ عَنْ مُشْكِلَاتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ، لِإِغْرَاقِهَا فِي مُشْكِلَاتٍ مُفْتَعَلَةٍ، عِلَاوَةً عَلَىٰ تَمْزِيقِ الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْعَمَلِ عَلَىٰ تَفْتِيتِ الْجَبْهَةِ الدَّاخِلِيَّةِ.

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ: الشَّائِعَاتُ جَرِيمَةٌ ضِدَّ أَمْنِ الْمُجْتَمَعِ، وَصَاحِبُهَا مُجْرِمٌ فِي حَقِّ دِينِهِ وَمُجْتَمَعِهِ وَأُمَّتِهِ، مُثِيرٌ لِلْفَوْضَىٰ وَالِاضْطِرَابِ فِي الْأُمَّةِ، وَقَدْ يَكُونُ شَرًّا مِنْ مُرَوِّجِ الْمُخَدِّرَاتِ، فَكِلَاهُمَا يَسْتَهْدِفُ الْإِنْسَانَ، لَكِنَّ الِاسْتِهْدَافَ الْمَعْنَوِيَّ أَخْطَرُ وَأَعْتَىٰ، وَإِنَّكَ لَتَأْسَفُ أَشَدَّ الْأَسَفِ، مِمَّنْ يَتَلَقَّىٰ الشَّائِعَاتِ الْمُغْرِضَةَ، وَكَأَنَّهَا حَقَائِقُ مُسَلَّمَةٌ.

يَجْلِسُ أَحَدُهُمُ السَّاعَاتِ الطِّوَالَ أَمَامَ أَجْهِزَةِ الشَّبَكَاتِ الْمَعْلُومَاتِيَّةِ بِوَجْهِهَا الْكَالِحِ، وَمَا يُعْرَفُ بِشَبَكَةِ (الْإِنْتَرْنِتْ) عَبْرَ مَوَاقِعِهَا الْمَشْبُوهَةِ،

فَيُلَطِّخُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ مِنَ الشَّائِعَاتِ البَاطِلَةِ، وَتَلْفِيقِ التُّهَمِ الصَّفِيقَةِ[1]، مِمَّا تَجْفُلُ[2] الْقُلُوبُ مِنْ مُجَرَّدِ سَمَاعِهِ، وَتَتَحَرَّجُ النُّفُوسُ الْمُؤْمِنَةُ مِنْ مُطَالَعَتِهِ، فَضْلًا عَنِ الْبَوحِ بِهِ، وَحَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهُ!

وَمَا دَرَىٰ هَـٰؤُلَاءِ الْجُبَنَاءُ، خَفَافِيشُ الظَّلَامِ، أَنَّهُمْ أَدَوَاتٌ فِي أَيدِي مَا يُعْرَفُ بِـ(اللُّوبِيِّ) الصُّهْيُونِيِّ الْعَالَمِيِّ ضِدَّ أَمْنِ الْأُمَّةِ، وَمُجْتَمَعَاتِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنَّهُ يُخْشَىٰ مِمَّنْ أَدْمَنَ النَّظَرَ فِيهَا أَنْ يَخْسَرَ دِينَهُ، وَدُنْيَاهُ، وَآخِرَتَهُ، وَأَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيهِ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، فَيَنْحَرِفَ عَنْ جَادَّةِ الصَّوَابِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَهَلْ يَجُوزُ لَنَا، وَيَلِيقُ بِنَا نَحْنُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ أَنْ نَتَخَلَّىٰ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ثَوَابِتِنَا، أَو أَنْ نَظُنَّ غَيرَ الْخَيْرِ بِأَحَدٍ مِنْ عُلَمَائِنَا وَفُضَلَائِنَا، بِمُجَرَّدِ وِشَايَةٍ كَاذِبَةٍ أَو شَائِعَةٍ مُغْرِضَةٍ؟ أَينَ عُقُولُنَا وَتَفْكِيرُنَا؟ بَلْ أَينَ دِينُنَا وَإِيمَانُنَا أَنْ نَتَلَقَّفَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ شِعَارِ: قَالُوا، وَزَعَمُوا؟! فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! وَمِنْ هُنَا تَدْرِكُونَ - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - خُطُورَةَ هَـٰذِهِ الْحَرْبِ ضِدَّ دِينِ الْأُمَّةِ وَأَمْنِهَا وَمُجْتَمَعِهَا، مِمَّا يَتَطَلَّبُ ضَرُورَةَ التَّصَدِّي لَهَا وَأَهَمِّيَّةَ مُكَافَحَتِهَا، وَالتَّخْطِيطِ لِاسْتِئْصَالِ جُرْثُومَتِهَا، حَتَّىٰ لَا تَقْضِيَ عَلَىٰ الْبَقِيَّةِ

---

(١) الصَّفِيقَةُ: الغليظة المَتِينة. يُنظر: «اللسان» (صفق).

(٢) تَجْفُلُ: تنزعج، والجافل: المنزعج. يُنظر: «اللسان» (جفل).

الْبَاقِيَةِ مِنْ تَمَاسُكِ الْمُجْتَمَعِ، وَتَلَاحُمِ أَفْرَادِهِ.

وَوَاجِبُ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَدُعَاتِهَا، وَطُلَّابِ الْعِلْمِ مِنْهَا وَشَبَابِهَا كَبِيرٌ وَعَظِيمٌ، فَإِنَّهُمْ مُسْتَهْدَفُونَ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُدْرِكُوا أَبْعَادَ الْمُؤَامَرَةِ، وَأَلَّا يَكُونُوا مَيْدَانًا خَصْبًا لِرَوَاجِهَا وَانْتِشَارِهَا بَيْنَهُمْ، وَأَنْ يَحْرِصُوا عَلَىٰ التَّثَبُّتِ وَالتَّبَيُّنِ، وَأَنْ يَحْذَرُوا مَسَالِكَ التَّأْوِيلِ وَالْهَوَىٰ، وَاتِّبَاعَ الْمُتَشَابِهِ. وَأَنْ يَقِفُوا فِي الْأَحْدَاثِ بِعِلْمٍ، وَحُسْنِ ظَنٍّ، وَبَصِيرَةٍ، وَنَظَرٍ ثَاقِبٍ، بَعِيدًا عَنْ إِيغَارِ الصُّدُورِ، وَبَثِّ الشُّرُورِ، مُعْتَصِمِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ مَنْهَجِ سَلَفِ الْأُمَّةِ ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَالْأُمَّةُ مُطَالَبَةٌ ـ كُلٌّ فِي مَجَالِهِ ـ لِلْقَضَاءِ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي لَهَا آثَارُهَا الْمُدَمِّرَةُ ضِدَّ أَمْنِ الْأُمَّةِ، وَاسْتِقْرَارِ الْمُجْتَمَعِ. كَمَا أَنَّ عَلَىٰ الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ، وَالْأُسْرَةِ وَالْمَدْرَسَةِ، وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، دَوْرًا كَبِيرًا فِي الْحِفَاظِ عَلَىٰ سَلَامَةِ الْمُجْتَمَعِ مِنْ سُعَارِهَا وَأَخْطَارِهَا، بَدْءًا بِالْوَعْيِ وَتَقْوِيَةِ الْوَازِعِ الْإِيمَانِيِّ، وَتَبَيُّنِ الْحَقَائِقِ وَنَشْرِهَا، وَعَدَمِ التَّسَاهُلِ فِي نَقْلِ الْكَلَامِ، وَبَثِّ الْأَنْبَاءِ، لَاسِيَّمَا فِي أَوْقَاتِ الْأَزَمَاتِ، وَعَدَمِ التَّهْوِيلِ وَالْإِثَارَةِ وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّعْلِيقَاتِ وَالتَّحْلِيلَاتِ الْمَشْبُوهَةِ، وَإِيجَادِ صِيغَةٍ وَآلِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ لِلْحِوَارِ الْحَضَارِيِّ وَالْمَوْقِفِ السَّلِيمِ فِي الْأَحْدَاثِ وَالْمُتَغَيِّرَاتِ، وَاخْتِلَافِ الظُّرُوفِ وَالْمُسْتَجِدَّاتِ، بِإِخْلَاصٍ وَصِدْقٍ وَشَفَافِيَّةٍ، دُونَ تَزْيِيفٍ

وَالْتِوَاءٍ؛ دَفْعًا لِلرُّوحِ المَعْنَوِيَّةِ، وَبُعْدًا عَنِ الْخَوَرِ وَالْعُنْفِ وَالِانْهِزَامِيَّةِ، كَمَا قَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُم بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوه وَتُوبُوا إِلَيهِ إِنَّه كَانَ حَلِيمًا غَفَّارًا.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُبْدِعِ الْكَائِنَاتِ وَبَارِئِ النَّسَمَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَزِيلِ الْعَطَايَا وَالْهِبَاتِ، وَوَاهِبِ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ، أَمَرَ بِالصِّدْقِ، وَحَرَّمَ الْكَذِبَ وَالشَّائِعَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُاللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ الْبَرِيَّاتِ، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْفَضْلِ وَالْمَكْرُمَاتِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ دِينَكُمُ الْإِسْلَامِيَّ الْحَنِيفَ، رَسَمَ الْمَنْهَجَ الصَّحِيحَ لِمُوَاجَهَةِ أَخْطَارِ الشَّائِعَاتِ، قَاصِدًا مِنْ ذَلِكَ بِنَاءَ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ الْمُتَمَاسِكِ، فَأَقَامَ الضَّمَانَاتِ الْوَاقِيَةَ، وَالْحَصَانَاتِ الْكَافِيَةَ، الَّتِي تَحُولُ دُونَ مَعَاوِلِ الْهَدْمِ وَالتَّخْرِيبِ، وَمُسْتَنْقَعَاتِ التَّرْوِيجِ وَالتَّأْلِيبِ، أَنْ تَتَسَلَّلَ إِلَيهِ أَو تُؤَثِّرَ عَلَيهِ فِي غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِ الْوَعْيِ وَالصَّلَاحِ، فَتَتَأَثَّرَ حَبَّاتُ عِقْدِهِ النَّاصِعِ، وَتَتَشَتَّتَ لَبِنَاتُ بِنَائِهِ الْمُحْكَمِ، فَلَا يَقْوَىٰ عَلَىٰ التَّصَدِّي لِعَاتِيَاتِ الْعَوَاصِفِ وَالْفِتَنِ، وَتَلَاطُمَاتِ أَمْوَاجِ الْمِحَنِ، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْرَقَ السَّفِينَةُ أَو يَتَغَيَّرَ مَسَارُهَا الصَّحِيحُ، أَو تَحْدُثَ فِيهَا الشُّرُوخُ

وَالْخُرُوقُ، فَتُطَوِّحَ بِهَا بَعِيدًا عَنْ شَاطِئِ السَّلَامَةِ، وَسَاحِلِ النَّجَاةِ.

وَإِنَّ مِنْ أَوْلَى الْخُطُوَاتِ فِي مُوَاجَهَةِ حَرْبِ الشَّائِعَاتِ: تَرْبِيَةُ النُّفُوسِ عَلَى الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ وَالتَّثَبُّتِ فِي الْأُمُورِ، فَالْمُسْلِمُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ آذَانًا لِكُلِّ نَاعِقٍ، بَلْ عَلَيْهِ التَّحَقُّقُ وَالتَّبَيُّنُ، وَطَلَبُ الْبَرَاهِينِ الْوَاقِعِيَّةِ، وَالْأَدِلَّةِ الْمَوْضُوعِيَّةِ، وَالشَّوَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ، وَبِذَلِكَ يَسُدُّ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْأَدْعِيَاءِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ خَلْفَ السُّتُورِ، وَيَلُوكُونَ بِأَلْسِنَتِهِمُ التُّهَمَ الْبَاطِلَةَ ضِدَّ كُلِّ مُصْلِحٍ وَمُحْتَسِبٍ وَغَيُورٍ.

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ، اسْتِنْكَارَ تِلْكَ الْحَمَلَاتِ الْإِعْلَامِيَّةِ الْمُغْرِضَةِ، وَالشَّائِعَاتِ وَالْأَرَاجِيفِ الْبَاطِلَةِ، الَّتِي يَتَأَثَّرُ بِهَا الَّذِينَ حُرِمُوا مَنَاعَةً تَدْفَعُ عُدْوَانَ الْمَرَضِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَصَالَةُ الْفِكْرِ، وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ الَّذِي يَكْشِفُ زَيْفَ كُلِّ بَاطِلٍ دَخِيلٍ، ضِدَّ عَقِيدَتِنَا وَشَرِيعَتِنَا، وَضِدَّ بِلَادِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ يَشْرُفُونَ بِالْانْتِسَابِ إِلَى هَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ. وَإِنَّ الطَّعْنَ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَعُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ لَيسَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ أَشْخَاصَهُمْ وَأَعْيَانَهُمْ، وَإِنَّمَا مَا يَحْمِلُونَهُ مِنْ عَقِيدَةٍ وَمَنْهَجٍ. وَإِنَّ الْحَمَلَاتِ الْمَسْعُورَةِ ضِدَّ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ - أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهَا وَحَفِظَ لَهَا أَمْنَهَا وَإِيمَانَهَا - لَنْ تَهُزَّ مِنْ ثَوَابِتِهَا، وَلَنْ تَكُونَ تِلْكَ الدَّسَائِسُ سَبَبًا - بِإِذْنِ اللَّهِ - فِي التَّنَازُلِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ عَقِيدَتِهَا وَمَوَاقِفِهَا، فَلَا مُسَاوَمَةَ

عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ مُثُلِنَا وَقِيَمِنَا.

وَإِنَّ السُّؤَالَ المُلِحَّ: مَاذَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ؟ وَمَنْ يَقِفُ وَرَاءَهُمْ؟ وَلِمَصْلَحَةِ مَنْ يَدُوكُونَ بِمَا لَا يَعْرِفُونَ، وَيَهْرِفُونَ[1] بِمَا لَا يُجِيدُونَ؟

وَلَنْ يَضُرَّ الْبَحْرَ أَمْسَىٰ زَاخِرًا ... أَنْ رَمَىٰ فِيهِ غُلَامٌ بِحَجَرْ[2]

أَلَا فَلْنَتَّقِ اللَّهَ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَلْنَقُمْ بِوَاجِبِنَا تُجَاهَ دِينِ اللَّهِ تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا وَدَعْوَةً وَإِصْلَاحًا، فَمَا أَحْوَجَ الْعَالَمَ إِلَىٰ فَهْمِ الصُّورَةِ الصَّحِيحَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ! وَلْنَكُنْ صَفًّا وَاحِدًا أَمَامَ أَعْدَائِنَا، وَلْنَسِرْ عَلَىٰ مَنْهَجِيَّةٍ صَحِيحَةٍ تُحَقِّقُ المَصَالِحَ وَتَدْرَأُ المَفَاسِدَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - عَنْ أُمَّتِنَا وَمُجْتَمَعَاتِنَا. وَمَا أَحْرَىٰ أَنْ تُسَاهِمَ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ الْمُعَاصِرَةِ فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ! وَلْنَتَلَاحَمْ مَعَ وُلَاةِ أَمْرِنَا وَعُلَمَائِنَا أَمَامَ طُوفَانِ الْفِتَنِ، وَلَا نَقْبَلُ فِيهِمْ قَولَ الْوُشَاةِ الْمُغْرِضِينَ.

وَمَا أَشَدَّ حَاجَةَ الْأُمَّةِ - وَقَدْ ذَرَّتِ[3] الْفِتَنُ بِقَرْنِهَا وَاسْتَشْرَفَتْ

---

(١) هَرَفَ الرجلُ: هَذَى، وهرف بفلان: جاوز القَدْر في الثناء عليه إلى شِبْهِ الهذيان. فالهَرْفُ: الإطناب في المدح، ومن أمثلة العرب: «لا تهرف بما لا تعرف». يُنظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ٢١٩).

(٢) يُنظر: «ديوان الأخطل» (ص١٣٦).

(٣) ذَرَّتِ الفِتَنُ: ظهرت كما ذَرَّت الشمس ذرورًا، أي: ظهرت أول شروقها، وذَرَّت=

بِزِمَامِهَا - إِلَىٰ أَدِلَّةٍ مَهَرَةٍ يَقُودُونَ سَفِينَتَهَا إِلَىٰ شَاطِئِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ!
فَإِنَّهُ إِذَا كَثُرَ المَلَّاحُونَ أُغْرِقَتِ السَّفِينَةُ ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ ﴾ [يوسف].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَىٰ النَّبِيِّ الْأَوَّابِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ المَوْلَىٰ الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ فَقَالَ - تَعَالَىٰ - قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب].

= الأرض النبت: أطلعته. يُنظر: «اللسان»، والقاموس المحيط» (ذرر).

القِسمُ السّابعُ:

القَضايا الاجتماعيّة

الخُطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَنَسْتَلْهِمُهُ الرُّشْدَ وَالتَّوْفِيقَ لِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَخَلِيلُهُ: سَيِّدُ الْأَنَامِ، وَبَدْرُ التَّمَامِ، حَطَّمَ اللَّهُ بِهِ الْأَصْنَامَ، وَأَظْهَرَ بِهِ الشَّرِيعَةَ، وَأَبَانَ الْأَحْكَامَ، وَحَرَّمَ الْخَبَائِثَ وَالآثَامَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ السَّادَةِ الأَعْلَامِ، وَأَصْحَابِهِ الْبَرَرَةِ الْكِرَامِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فَإِنَّ تَقْوَاهُ -سُبْحَانَهُ- الْعُرْوَةُ الَّتِي لَيْسَ لَهَا انْفِصَامٌ، وَالْجَذْوَةُ الَّتِي تَسْتَضِيءُ بِهَا الْقُلُوبُ وَالأَفْهَامُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّهُ مُنْذُ أَنْ بَزَغَ فَجْرُ الإِسْلَامِ الْمُشْرِقُ، وَانْبَثَقَ نُورُ الإِيمَانِ الْمُتَلَأْلِئُ الْوَضَّاءُ، وَهُوَ يَلْقَىٰ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ صُنُوفًا مِنَ التَّحَدِّيَاتِ، وَأَلْوَانًا مِنَ الْهَجَمَاتِ، تُمَثِّلُ الصِّرَاعَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فِي مَعْرَكَةٍ دَائِمَةٍ، مُتَنَوِّعَةِ الصُّوَرِ وَالْأَسَالِيبِ، تَرْمِي إِلَىٰ الظُّهُورِ حِينًا، وَإِلَىٰ الْخَفَاءِ أَحْيَانًا أُخْرَىٰ، وَتَتَنَوَّعُ سَاخِنَةً تَارَةً وَبَارِدَةً أُخْرَىٰ، عَسْكَرِيَّةً مَرَّةً، وَفِكْرِيَّةً وَخُلُقِيَّةً مَرَّاتٍ شَتَّىٰ، بِمَكْرٍ وَتَآمُرٍ، وَحِقْدٍ وَعِدَاءٍ سَاخِنٍ.

يُرِيدُونَ الْقَضَاءَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَتَمْزِيقَ وَحْدَتِهِمْ، وَاسْتِئْصَالَ شَأْفَتِهِمْ، وَتَدْمِيرَ قُوَّتِهِمْ، وَإِدَالَةَ دَوْلَتِهِمْ، وَإِلْغَاءَ هُوِيَّتِهِمْ، وَالِاسْتِيلَاءَ عَلَىٰ مُقَدَّرَاتِهِمْ. وَلَنْ يَهْدَأَ لَهُمْ بَالٌ، وَلَنْ يَقِرَّ لَهُمْ قَرَارٌ، وَلَنْ تَلِينَ لَهُمْ قَنَاةٌ، مَا دَامَ لِلْإِسْلَامِ كَيَانٌ، وَلِلْمُسْلِمِينَ صَوْلَةٌ وَجَوْلَةٌ؛ حَتَّىٰ يُطْفِئُوا هَـٰذَا النُّورَ، وَيَقْضُوا عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَكُلِّ مَا يَمُتُّ لَهُ بِصِلَةٍ، قَضَاءً مُبْرَمًا.

يَقُولُ الْحَقُّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: لَقَدْ مُلِئَ الإِسْلَامُ - عَبْرَ تَأْرِيخِهِ الْمَدِيدِ - بِمَا لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحْصَىٰ مِنَ الدَّسَائِسِ وَالْمُؤَامَرَاتِ، عَلَىٰ اخْتِلَافِ الطُّرُقِ وَالشِّعَارَاتِ، وَتَبَايُنِ الأَقْطَارِ وَالنَّزَعَاتِ. وَفِي هَٰذَا الْعَصْرِ، نَرَىٰ وَنَسْمَعُ ضُرُوبًا مِنَ الْغَزْوِ الْعَسْكَرِيِّ وَالْفِكْرِيِّ وَالأَخْلَاقِيِّ، وَصُنُوفًا مِنَ الْحُرُوبِ النَّفْسِيَّةِ وَالْعُدْوانِ الْمَادِّيِّ؛ فَالأَعْدَاءُ لَمْ يَكُفُّوا وَلَنْ يَكُفُّوا، وَلاَ يَزَالُونَ مَاضِينَ إِلَىٰ أَهْدَافِهِمُ الْخَبِيثَةِ، بِوَسَائِلَ جَدِيدَةٍ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ التَّحَدِّيَاتِ، وَضُرُوبٍ مَنْ نَشْرِ الشَّهَوَاتِ والشُّبُهَاتِ، وَأَلْوَانٍ مِنَ الْمُفْتَرَيَاتِ الَّتِي تُوَاكِبُ تَطَوّرَ الْعَصْرِ السَّرِيعِ. وَلَمْ يَكْتَفُوا بِالْكَلَامِ، بَلِ انتَقَلُوا إِلَىٰ التَّحَدِّي السَّافِرِ، وَالْهُجُومِ الشَّرِسِ، وَالتَّدَخُّلِ الْقَذِرِ.

وَكَانَ أَنْ تَسَرَّبُوا عَبْرَ الْحُصُونِ، وَتَسَلَّلُوا إِلَىٰ عَدَدٍ مِنَ الثُّغُورِ، وَلَمْ يَكْتَفُوا بِالْعَمَلِ خَلْفَ السُّتُورِ، فِي حَبْكٍ لِلْمُؤَامَرَاتِ، وَإِحْكَامٍ لِلتَّحَدِّيَاتِ، وَتَخْطِيطٍ رَهِيبٍ، وَتَنْسِيقٍ عَجِيبٍ، وَلَكِنْ يَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال]، وَلَيْسَ مَا قَامَتْ وَتَقُومُ بِهِ الصُّهْيُونِيَّةُ الْعَالَمِيَّةُ الْمَاكِرَةُ، وَالصَّلِيبِيَّةُ الْحَاقِدَةُ، بِخَافٍ عَلَىٰ كُلِّ ذِي لُبٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة].

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَلَـمَّا فَشِلَ الْأَعْدَاءُ فِي السَّيْطَرَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ عَلَىٰ بِلَادِ الْإِسْلَامِ، عَمِلُوا جَاهِدِينَ عَبْرَ الْـحُرُوبِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَشَنِّهَا عَلَىٰ بِلَادِ الْـمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِنْ أَخْطَرِ وَسَائِلِهِمْ، وَأَشْرَسِ تَحَدِّيَاتِهِمْ: قِيَامُهُمْ بِشَنِّ حَرْبِ الْـمُسْكِرَاتِ وَالْـمُخَدِّرَاتِ، وَتَصْدِيرِهَا لِبِلَادِ الْـمُسْلِمِينَ، وَتَدْمِيرِ شَبَابِهِمْ، وَقَتْلِ رُجُولَتِهِمْ، وَاغْتِيَالِ طُمُوحَاتِهِمْ، حَتَّىٰ تَتِمَّ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهِمْ دُونَ هَوَادَةٍ. فَكَانَ لَابُدَّ مِنَ التَّصَدِّي لِهَٰذَا الْـخَطَرِ الْعَظِيمِ، وَالشَّرِّ الْفَادِحِ الْـجَسِيمِ، بِالتَّذْكِيرِ وَالتَّوْجِيهِ؛ حَتَّىٰ تَسْلَمَ الْأُمَّةُ مِنْ شُرُورِ هَٰذِهِ الْآفَاتِ الْـخَبِيثَةِ، وَالْأَدْوَاءِ الْـخَطِرَةِ الْـمُرَوِّعَةِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: لَـمَّا كَانَتِ الْـمُسْكِرَاتُ وَالْـمُخَدِّرَاتُ، تَقْضِي عَلَىٰ الْـمَدَارِكِ، بَلْ تَقْضِي عَلَىٰ الْفَرْدِ فِي أَعَزِّ مَا يَمْلِكُ وَهُوَ عَقْلُهُ، وَبِالتَّالِي تَقْضِي عَلَىٰ دِينِهِ، وَصِحَّتِهِ وَسُلُوكِهِ، وَتَقْضِي عَلَىٰ الْـمُجْتَمَعَاتِ بِالْإِخْلَالِ بِأَمْنِهَا، وَجَلْبِ الْفَسَادِ وَالْفَوْضَىٰ إِلَيْهَا، وَتَدَهْوُرِ اقْتِصَادِهَا، وَإِعَاقَةِ تَنْمِيَتِهَا، وَتَفَكُّكِ أُسَرِهَا، وَتَفَاقُمِ الْـجَرَائِمِ فِيهَا، وَانْتِشَارِ الْعُنْفِ وَالْإِرْهَابِ بَيْنَ أَبْنَائِهَا؛ فَهُمْ بَيْنَ سِكِّيرٍ عِرْبِيدٍ[1]، وَثَمِلٍ مُجْرِمٍ عَنِيفٍ

(١) عِرْبِيد: صِفَةٌ لِلسِّكِّيرِ وَهُوَ يَتَمَايَلُ يَمِيناً وَشِمَالاً وَيُؤْذِي النَّاسَ فِي سُكْرِهِ. يُقَال: عِرْبِيدٌ فِي سُلُوكِهِ، أي: سَيِّءُ السُّلُوكِ وَالأَخْلَاقِ. ينظر: «اللسان» (عربد).

عَنِيدٍ، لاَ يَعْرِفُ لِلَّـهِ حَقًّا، وَلاَ لِـمُجْتَمَعِهِ وَزْنًا، وَلاَ لِلْفَضَائِلِ وَالْقِيَمِ طَرِيقًا؛ لِذَلِكَ كُلِّهِ؛ وَلِـمَا لِلْمُسْكِرَاتِ وَالْـمُخْدِّرَاتِ مِنْ عَوَاقِبَ وَخِيمَةٍ، وَأَضْرَارٍ خَطِيرَةٍ، وَشُرُورٍ مُسْتَطِيرَةٍ عَلَىٰ الأَفْرَادِ وَالْـمُجْتَمَعَاتِ، عَلَىٰ الدِّينِ وَالصِّحَّةِ وَالْعَقْلِ وَالْـمَالِ وَالسُّلُوكِ، جَاءَ تَحْرِيمُهَا فِي كِتَابِ اللَّـهِ وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة].

وَرَوَىٰ الإِمَامُ أَحْمَدُ[1] وَأَبُو دَاوُدَ[2] عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَا - قَالَتْ: «**نَهَىٰ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ**».

فَهِيَ - **يَا عِبَادَ اللَّـهِ** - أُمُّ الْخَبَائِثِ[3]، وَرَأْسُ الشُّرُورِ، وَكَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، مُتَعَاطِيهَا مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ لِوَعِيدِ اللَّـهِ، وَلَعْنَتِهِ وَغَضَبِهِ[4].

---

(١) في المسند (٦/ ٣٠٩).

(٢) برقم (٣٦٨٦).

(٣) كما في حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي أخرجه النسائي في «الكبرى» (٣/ ٢٢٨)، وابن حبان (١٢/ ١٦٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ٢٨٧).

(٤) كما في حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ الخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيه**». أخرجه أبو داود (٣٦٧٤).

الْمُدْمِنُ مُفْسِدٌ لِدِينِهِ وَبَدَنِهِ، جَانٍ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأُسْرَتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ، عَابِثٌ بِكَرَامَتِهِ، وَجَوْهَرِ إِنْسَانِيَّتِهِ، سَاعٍ إِلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، صَائِلٌ مُتَمَرِّدٌ عَلَىٰ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ، وَهُوَ عُضْوٌ مَسْمُومٌ فِي الْمُجْتَمَعِ، إِذَا اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُ، وَتَطَايَرَ شَرَرُهُ؛ أَصَابَهُ بِالْخَرَابِ وَالدَّمَارِ، وَمَتَىٰ غَابَ عَقْلُ الْمُدْمِنِ نَسِيَ رَبَّهُ: فَتَرَكَ الصَّلَاةَ، وَقَدْ يَقْتُلُ، وَقَدْ يَزْنِي وَيَقَعُ عَلَىٰ مَحَارِمِهِ ـ والعياذ بالله ـ بَلْ قَدْ يَسُبُّ الدِّينَ.

وَكَمْ أَحْدَثَتِ الْخَمْرُ مِنْ بَغْضَاءَ، وَكَمْ زَرَعَتْ مِنْ عَدَاوَةٍ، وَكَمْ فَرَّقَتْ مِنِ اجْتِمَاعٍ، وَكَمْ ضَيَّعَتْ مِنْ أُمَّةٍ، وَكَمْ أَهَاجَتْ مِنْ حُرُوبٍ، وَكَمْ شَتَّتَتْ مِنْ أُسَرٍ، وَكَمْ فَرَّقَتْ بَيْنَ رَجُلٍ وَزَوْجَتِهِ، وَأَبٍ وَوَلَدِهِ، وَمُحِبٍّ وَمُحِبِّهِ.

وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ: الْمُسْكِرَاتُ وَالْمُخَدِّرَاتُ: دَاءُ الْمُجْتَمَعَاتِ وَسَرَطَانُ الْأُمَمِ.

فَأَمْرُ هَٰذِهِ آثَارُهُ الْخَطِيرَةُ، وَهَٰذَا جَزَاءُ مُتَعَاطِيهِ عِنْدَ اللهِ، وَتِلْكَ حَالُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَيْفَ تَطِيبُ نَفْسُ عَاقِلٍ ـ فَضْلاً عَنْ مُسْلِمٍ ـ بِتَنَاوُلِهِ، بَلْ بِوُجُودِهِ فِي مُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمِينَ؟ إِنَّهُ لَعَجِيبٌ حَالُ مَنْ يَسْمَعُ هَٰذِهِ الْآفَاتِ، وَيَعْلَمُ أَحْوَالَ مَنْ يَتَعَاطَىٰ الْمُسْكِرَاتِ وَالْمُخَدِّرَاتِ، وَمَا يَقَعُونَ فِيهِ مِنَ الْقَبَائِحِ الَّتِي هِيَ مَسْخٌ لِلدِّينِ وَالْعَقْلِ

وَالصِّحَّةِ، وَمَا صَارَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ مِنْ أَخَسِّ حَالَةٍ، وَأَقْذَرِ صِفَةٍ، وَأَفْظَعِ مُصَابٍ.

لاَ يَتَأَهَّلُونَ لِخِطَابٍ، وَلاَ يَمِيلُونَ إِلَىٰ صَوَابٍ، وَلاَ يَهْتَدُونَ إِلَّا إِلَىٰ خَوَارِمِ الْمُرُوءَاتِ، وَهَوَادِمِ الْكَمَالاَتِ، وَفَوَاحِشِ الْخَطِيئَاتِ وَالضَّلاَلاَتِ، ثُمَّ مَعْ هَٰذِهِ الْعَظَائِمِ، وَتِلْكَ الْقَوَاصِمِ، يُصِرُّ بَعْضُ الْجَهلَةِ عَلَىٰ أَنْ يَنْدَرِجَ فِي زُمْرَتِهِمُ الْخَاسِرَةِ، وَفِرْقَتِهِمُ الْحَائِرَةِ، مُتَعَامِيًا عَمَّا يُصِيبُ وُجُوهَهُمْ مِنَ الْغَبَرَةِ، وَمَا يَعْتَرِيهَا مِنَ الْقَتَرَةِ، مُتَغَافِلًا عَمَّا حَلَّ بِهِمْ - بَعْدَ النَّضَارَةِ - مِنَ النُّحُولِ، وَمَا تَمَكَّنَ مِنْهُمْ مِنَ الذُّبُولِ. وَلَكِنْ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يَسْعَىٰ فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ؟! نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ زَيْغِ الْقُلُوبِ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَلَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ عِنْدَ هَٰذَا الْحَدِّ، فَنَحْنُ فِي هَٰذَا الْعَصْرِ أَمَامَ مُؤَامَرَاتٍ خَطِيرَةٍ، وَشَبَكَاتٍ وَعِصَابَاتٍ إِجْرَامِيَّةٍ، وَهَجَمَاتٍ شَرِسَةٍ، وَمُخَطَّطَاتٍ عُدْوَانِيَّةٍ حَاقِدَةٍ، يَشُنُّهَا أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبِلَادِهِمْ، فَلَجَؤُوا بِشَتَّىٰ الْوَسَائِلِ إِلَىٰ مُحَارَبَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ اسْتَخْدَمُوا طُرُقًا مَاكِرَةً، وَأَسْلِحَةً فَتَّاكَةً خَفِيَّةً، هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ أَخْطَرُ مِنَ الْمَدَافِعِ وَالصَّوَارِيخِ؛ لأَنَّهَا تَقْضِي عَلَىٰ الْأُمَّةِ، فِي أَعَزِّ مَا تَمْلِكُ؛ تَقْضِي عَلَىٰ الْعُقُولِ، وَتُلَوِّثُ الأَفْكَارَ، وَتَغْزُو الْمَبَادِئَ،

وَتَهْدِمُ الْـمَعْنَوِيَّاتِ، إِنَّهَا مِعْوَلٌ لِهَدْمِ أَخْلَاقِ عُدَّةِ الْأُمَّةِ، وَقَلْبِهَا النَّابِضِ، وَشُرْيَانِهَا الْـمُتَدَفِّقِ مِنْ شَبَابِهَا: سَوَاعِدِ بِنَائِهَا، وَعُدَّةِ مُسْتَقْبَلِهَا، وَرِجَالِ غَدِهَا، وَبُنَاةِ حَضَارَتِهَا.

فَالْوَعْيَ الْوَعْيَ! ـ يَا شَبَابَ الْـمُسْلِمِينَ ـ أَمَامَ مَا يُحَاكُ ضِدَّكُمْ مِنْ مُؤَامَرَاتٍ، وَمَا يُجْلَبُ إِلَيْكُمْ مِنْ تَحَدِّيَاتٍ، لَقَدْ أَجْلَبَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَأَشْيَاعُهُمْ مِنْ ضِعَافِ النُّفُوسِ، وَعَدِيمِي الْـمُرُوءَةِ، وَمُشِيعِي الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ، الْـمُحَارِبِينَ لِلَّـهِ وَرَسُولِهِ، الْـمُؤْذِينَ لِعِبَادِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، بِالتَّرْوِيجِ لِآفَةِ الْـمُخَدِّرَاتِ الْـمُدَمِّرَةِ، تِلْكَ الْـجَرِيمَةُ الْـخَطِيرَةُ الَّتِي تُمَثِّلُ مُشْكِلَةَ الْعَصْرِ الْـحَاضِرِ وَكَفَىٰ؛ لأن مِنْ وَرَائِهَا دُعَاةَ الْـجَرِيمَةِ وَالْـمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، الَّذِين أَشَاعُوا هَـٰذَا السُّمَّ الزُّعَافَ، وَالْوَبَاءَ الْفَتَّاكَ، وَسَقَوْهُ أَبْنَاءَ الْـمُسْلِمِينَ كَأْسًا مُتْرَعَةً(١).

لَقَدْ فَشَتْ هَـٰذِهِ الْـجَرِيمَةُ فِي الْـمُجْتَمَعَاتِ فُشُوًّا رَهِيبًا، وَبَلَغَتْ مَبْلَغًا عَظِيمًا، وَحَطَّمَتِ الْأَرْقَامَ الْقِيَاسِيَّةَ، وَالإِحْصَاءَاتِ الْـمُذْهِلَةَ مِنَ الْـمُدْمِنِينَ، وَتُطَالِعُنَا الإِحْصَاءَاتُ أَنَّ نِصْفَ شَبَابِ الْـمُجْتَمَعِ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ يَتَعَاطَوْنَ الْـخُمُورَ وَالْـمُخَدِّرَاتِ، وَقَدْ دَعَتْ

---

(١) يُقال: تَرِع الشيء إذا امتلأ، وكأسٌ مُتْرَعَةٌ، أي: ممتلئة. ينظر: «اللسان» (ترع).

هَـٰذِهِ الإِحْـصَاءَاتُ الْـمُذْهِلَةُ دُوَلَ الْعَـالَمِ بِأَسْرِهَـا لِـمَنْعِ التَّعَامُـلِ بِالْـمُخَدِّرَاتِ تَعَاطِيًا وَبَيْعًا، تَنَاوُلًا وَتَرْوِيجًا، زِرَاعَـةً وَإِنْتَاجًـا، وَوَضَـعَتْ لِذَلِكَ، الْعُقُوبَاتِ الصَّارِمَةِ؛ لِـحِمَايَةِ مُجْتَمَعَاتِهَـا مِـنْ هَـٰذَا الْوَبَاءِ الْفَتَّاك، وَهَـٰذَا الْبَلَاءِ الْـمُدَمِّرِ.

وَقَـدْ تَفَـنَّنَ أَعْـدَاءُ الْإِسْـلَامِ بِتَـصْدِيرِ هَـٰذَا الْوَبَـاءِ إِلَىٰ مُجْتَمَعَـاتِ الْـمُسْلِمِينَ، فَأَلْبَسُوهُ شَتَّىٰ الْأَلْبِسَةِ، وَسَمَّوْهُ بِالْأَسْمَاءِ الْبَرَّاقَةِ، وَنَوَّعُوهُ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً جَذَّابَةً، وَمَهْمَا يَكُنِ الْأَمْرُ فَالطَّرِيقُ وَالْـهَدَفُ وَاحِدٌ، الْكُلُّ لَهُ آثَارُهُ وَعَوَاقِبُهُ السَّيِّئَةُ عَلَىٰ الْفَرْدِ وَالْـمُجْتَمَعِ.

وَكَـمْ كَانَـتِ الْـمُسْكِرَاتُ وَالْـمُخَدِّرَاتُ سَبَبًا لِأَمْـرَاضِ الْقَلْـبِ، وَتَصَلُّبِ الشَّرَايِينِ، وَاعْـتِلَالِ الْـجِهَازِ الْـهَضْمِيِّ وَالتَّنَفُّسِيِّ وَالتَّنَاسُلِيِّ، وَإِتْلَافِ خَلَايَا الْـمُخِّ، وَتَدْمِيرِ الْـمَرَاكِزِ الْعَصَبِيَّةِ لَدَىٰ الْإِنْسَانِ، فَيُصْبِحُ شَخْصًا مُعْتَلًّا، شَبَحًا مُخِيفًا، مُشَوَّشَ التَّفْكِيرِ، قَلِقًـا غَـيْرَ مُتَـوَازِنٍ، وَتَقِـلُّ قُوَاهُ الْعَقْلِيَّةُ، فَيَهْذِي بِـمَا لَا يَـدْرِي، وَيَهْـرِفُ[1] بِـمَا لَا يَعْـرِفُ، وَيُصَابُ بِالْـهَلْوَسَةِ وَالْـهِسْتِيرِيَا، فَتَسُوءُ عِلَاقَتُهُ مَعَ أُسْرَتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ.

وَلَقَـدْ أَثْبَتَـتِ الدِّرَاسَـاتُ، أَنَّـهُ كُلَّـمَا زَادَتْ ظَـاهِرَةُ اسْـتِعْمَالِ

---

(١) سبق بيان معناها (ص٣٤٣).

الْـمُخَدِّرَاتِ فِي مُجْتَمَعٍ مِنَ الْـمُجْتَمَعَاتِ، ارْتَفَعَتْ مُعَدَّلَاتُ أَخْطَرِ الْـجَرَائِمِ الْأَمْنِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، كَمَا ثَبَتَ أَنَّ نِسْبَةَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ بِالْـمِائَةِ، مِنْ حَوَادِثِ السَّيَّارَاتِ، الَّتِي يَمُوتُ بِسَبَبِهَا الْأَبْرِيَاءُ، وَتُخَلِّفُ وَرَاءَهَا الْعَدِيدَ مِنَ الْـمَآسِي، يَرْجِعُ السَّبَبُ فِي وُقُوعِهَا إِلَىٰ اسْتِعْمَالِ السَّائِقِينَ لِلْمُخَدِّرَاتِ وَالْـمُسْكِرَاتِ؛ حَيْثُ تُسَبِّبُ لَهُمُ الرُّعُونَةَ وَالتَّهَوُّرَ.

وَعَلَىٰ الَّذِين يَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ الْـمُبَالَغَةِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَعَرَّفُوا عَلَىٰ مَنْ فِي السُّجُونِ، وَمَا يُعْرَضُ فِي الْـمَحَاكِمِ، وَمَنْ يُعَالَجُ فِي الْـمُسْتَشْفَيَاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَيَقْرَؤُوا الإِحْصَاءَاتِ، الَّتِي تُهَدِّدُ الْبَشَرِيَّةَ، فَكَمْ مِنْ مَلَايِينِ الْـحُبُوبِ وَالْـمُخَدِّرَاتِ تُجْلَبُ يَوْمِيًّا لِلْفَتْكِ بِأَجْيَالِ الْـمُسْلِمِينَ.

الْأَمْرُ خَطِيرٌ - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - وَلَا يَسَعُ مُسْلِمًا التَّغَاضِي عَنْهُ وَالسُّكُوتُ عَلَيْهِ، وَكَيْفَ يَسْكُتُ الْـمُسْلِمُونَ، وَهُمْ يُقَادُونَ عَنْ طَرِيقِ هَٰذَا الْوَبَاءِ إِلَىٰ هُوَّةٍ سَحِيقَةٍ، لَا يَعْلَمُ مَدَاهَا إِلَّا اللَّهُ؟!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَحِينَمَا نَبْحَثُ عَنْ أَسْبَابِ تَفَشِّي هَٰذِهِ الْـجَرِيمَةِ، وَلَاسِيَّمَا فِي مُحِيطِ الشَّبَابِ، نَجِدُ أَنَّ:

أَوَّلُهَا: ضَعْفُ الْوَازِعِ الدِّينِيِّ، وَتَدَنِّي مُسْتَوَىٰ التَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

لَدَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْأَجْيَالِ.

وَمِنْهَا: الْـخَوَاءُ وَالْفَرَاغُ الْكَبِيرُ، وَالتَّقْلِيدُ الْأَعْمَىٰ، وَجُلَسَاءُ السُّوءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ، مِمَّا يُجَسِّدُ الْـمَسْؤُولِيَّةَ - أَوَّلًا، وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ - عَلَىٰ الْأُسْرَةِ، وَعَلَىٰ وَلِيِّ الْأَمْرِ فِيهَا؛ لِذَلِكَ فَإِنِّي أُذَكِّرُ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ بِضَرُورَةِ رِعَايَةِ الْأَبْنَاءِ، وَحُسْنِ تَرْبِيَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ، وَمُرَاقَبَةِ تَحَرُّكَاتِهِمْ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ، وَشَغْلِ أَوْقَاتِ فَرَاغِهِمْ بِمَا يَنْفَعُهُمْ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأُحَذِّرُهُمْ مِنْ مَغَبَّةِ إِهْمَالِ ذَلِكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم].

وَإِنَّنِي أُنَاشِدُ كُلَّ مَسْؤُولٍ أَنْ يَتَحَمَّلَ مَسْؤُولِيَّتَهُ تُجَاهَ دِينِهِ، وَمُجْتَمَعِهِ وَبِلَادِهِ، وَأَنْ يَكُونَ عَيْنًا سَاهِرَةً عَلَىٰ جَلْبِ الْـمَصَالِحِ لِـمُجْتَمَعِهِ، وَدَرْءِ الْـمَفَاسِدِ عَنْ بِلَادِهِ، وَأَنْ يَسُودَ بَيْنَ الْـمُسْلِمِينَ - أَفْرَادٍ وَهَيْئَاتٍ، شُعُوبٍ وَحُكُومَاتٍ - التَّعَاوُنُ؛ لِلْقَضَاءِ عَلَىٰ هَٰذَا الْوَبَاءِ الْعُضَالِ؛ وَالتَّبْلِيغُ عَنْ أَهْلِهِ، وَأَخُصُّ بِالذِّكْرِ: الْأَعْيَانَ وَالْوُجَهَاءَ، وَالدُّعَاةَ وَالْعُلَمَاءَ، وَحَمَلَةَ الْقَلَمِ، وَالْـمَعْنِيِّينَ بِشُؤُونِ تَوْجِيهِ الشَّبَابِ، وَتَرْبِيَتِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ؛ لِيُسَخِّرُوا كُلَّ طَاقَاتِهِمْ، وَيَبْذُلُوا كَافَّةَ إِمْكَانَاتِهِمْ، لِـمُحَاصَرَةِ هَٰذَا الشَّبَحِ

الْـمُخِيفِ، وَالْأَخْطَبُوطِ الْـمُرْعِبِ.

كَـمَا أَنَّ عَـلَىٰ وَسَـائِلِ الْإِعْـلَامِ ـ مَرْئِيِّهَـا وَمَـسْمُوعِهَا وَمَقْرُوئِهَـا ـ النَّصِيبَ الْأَكْبَرَ مِنْ تَبْصِيرِ الْأَجْيَالِ بِمُخَطَّطَاتِ الْأَعْدَاءِ؛ لِلْمَكْرِ بِهِمْ وَاغْتِيَالِ أَخْلَاقِهِمْ، عَنْ طَرِيقِ هَـٰذَا الْوَبَاءِ وَغَيْرِهِ.

أَمَّا الَّذِين تَوَرَّطُوا، وَسَارُوا فِي طَرِيقِ الِانْتِحَارِ الْبَطِيءِ، فَإِنَّنَا نُنَادِيهِمْ نِدَاءَ الْـمَوَدَّةِ وَالإِشْفَاقِ، أَنْ يَكُفُّوا عَنْ هَـٰذَا الْبَلَاءِ، فَكَفَاهُمْ شُرُورًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ، وَأُسَرِهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ، وَبِلَادِهِمْ، وَمَنْ تَابَ؛ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

أَلَا وَإِنَّ أَهَمَّ طُرُقِ الْوِقَايَةِ وَالْعِلَاجِ مِنْ دَاءِ الْـمُخَدِّرَاتِ: تَثْبِيتُ الْعَقِيدَةِ، وَتَقْوِيَةُ الْإِيمَانِ بِالْقُلُوبِ؛ حَتَّىٰ تَشْعُرَ بِالطُّمَأْنِينَةِ وَالْأَمَانِ، وَتَحْصِينُ الشَّبَابِ بِالتَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَوِيَّةِ، فِي الْأُسْرَةِ وَالْـمَدْرَسَةِ وَالْـمُجْتَمَعِ، وَالْعِنَايَةُ بِالتَّوْعِيَةِ الْـمُكَثَّفَةِ، وَالتَّعَاوُنُ الْبَنَّاءُ بَيْنَ أَفْرَادِ الْـمُجْتَمَعِ وَهَيْئَاتِهِ.

كَذَلِكَ لَابُدَّ مِنْ إِحْلَالِ الْعُقُوبَاتِ الرَّادِعَةِ بِمَنْ يَسْعَوْنَ فَسَادًا فِي مُجْتَمَعَاتِ الْـمُسْلِمِينَ، مِنَ الْـمُهَرِّبِينَ وَالْـمُرَوِّجِينَ، بِالتَّشْهِيرِ بِهِمْ، وَإِظْهَارِ سُوءِ صَنِيعِهِمْ، وَإِقَامَةِ حُكْمِ اللَّهِ فِيهِمْ.

وَإِنَّنَا لَنَحْمَدُ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ وَفَّقَ هَٰذِهِ الْبِلَادَ الْمُبَارَكَةَ، بِاتِّخَاذِ الْجَزَاءِ الرَّادِعِ، وَعَمَلِ الدَّوَاءِ النَّاجِعِ، الْمُسْتَمَدِّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ لِلْقَضَاءِ عَلَىٰ هَٰذَا الشَّرِّ، وَمُعَاقَبَةِ أَهْلِهِ.

وَإِنَّنَا لَنَدْعُو كُلَّ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ - بَلْ كُلَّ الْعَالَمِ - أَنْ تَحْذُوَ حَذْوَهَا فِي مُحَارَبَةِ هَٰذَا الْوَبَاءِ، فَلَقَدْ أَخَذَتْ بِالْبَلْسَمِ(١) الشَّافِي، وَالْحَلِّ الْحَاسِمِ، وَجَنَتْ ثِمَارَهُ، وَتَذَوَّقَتْ آثَارَهُ الطَّيِّبَةَ، أَمْنًا وَأَمَانًا - بِحَمْدِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ.

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَانْفَعْنَا بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

---

(١) بَلْسَمٌ: جِنْسُ شَجَرِ القَرْنِيَّاتِ يَسِيلُ مِنْ فُرُوعِهَا عُصَارَةٌ بَلْسَمِيَّةٌ، صَمْغِيَّةٌ، تُسْتَخْدَمُ فِي الطِّبِّ وَتُضَمَّدُ بِهَا الْجِرَاحُ. ينظر: «اللسان».

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الْحَمْدُ لِلَّـهِ الَّذِي أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، وَشَرَّفَنَا بِاتِّبَاعِ سَيِّدِ الْـمُرْسَلِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلِيُّ الْـمُتَّقِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّـهِ وَرَسُولُهُ، الصَّادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ، صَلَّىٰ اللَّـهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحَابَتِهِ الْغُرِّ الْـمَيَامِينِ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّـهَ - عِبَادَ اللَّـهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّـهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّـهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ.

عِبَادَ اللَّـهِ: صَفْحَةٌ أُخْرَىٰ مِنْ صَفَحَاتِ الْكَيْدِ لِلْإِسْلَامِ، تَتَمَثَّلُ فِي تَشْكِيكِ الْـمُسْلِمِينَ فِي ثَوَابِتِهِمْ، وَثَلْبِهِمْ فِي عَقِيدَتِهِمْ، وَقَدْ بَعُدَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، وَمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللَّـهُ - وَمِنْ ذَلِكَ: مَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ أَنَّ لِبَعْضِ الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ خُصُوصِيَّةً

عَلَىٰ غَيْرِهَا، مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ سُنَّةٍ.

وَمِنْ هَٰذَا: مَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ النَّاسِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ، مِنْ أَنَّ لَهُ خَاصِّيَّةً عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ، فَيَأْتُونَ فِيهِ أُمُورًا مُحْدَثَةً، وَيَعْتَقِدُونَ فِيهِ اعْتِقَادَاتٍ خَاطِئَةً، وَيُخَصِّصُونَهُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ لَيْسَ عَلَيْهَا دَلِيلٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلاَ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلَا هَدْيِ السَّلَفِ الصَّالِحِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَتَخْصِيصُ شَهْرِ رَجَبٍ - أَوْ بَعْضِ أَيَّامِهِ وَلَيَالِيهِ - بِصِيَامٍ أَوْ قِيَامٍ أَوْ نَحْوِهِمَا، أَمْرٌ مُحْدَثٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، قَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «**لَمْ يَرِدْ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَجَبٍ، وَلَا صِيَامِهِ، وَلَا فِي صِيَامِ شَيْءٍ مِنْهُ مَعَيَّنٍ، وَلَا فِي قِيَامِ لَيْلَةٍ مَخْصُوصَةٍ حَدِيثٌ صَحِيحٌ يَصْلُحُ لِلْحُجَّةِ**»[1]، وَلَهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - رِسَالَةٌ قَيِّمَةٌ فِي ذَلِكَ، وَنَحْوَ قَوْلِهِ هَٰذَا، قَالَ عُلَمَاءُ الْإِسْلَامِ الْمُحَقِّقُونَ، كَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، وَالْعَلَّامَةِ ابْنِ الْقَيِّمِ، وَالْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ، وَالْإِمَامِ النَّوَوِيِّ، وَالشَّوْكَانِيِّ، وَغَيْرِهِمْ - رَحِمَهُمُ اللهُ جَمِيعًا. فَبِأَيِّ دَلِيلٍ - بَعْدَ ذَلِكَ - يَحْتَجُّ مَنْ يَفْعَلُ هَٰذِهِ الْمُحْدَثَاتِ؟

أَلاَ فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ، وَاتَّبِعُوا

---

(١) يُنظر: «تبيين العجب بما ورد في فضل رجب» (ص٢).

هَدْي نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَاحْذَرُوا الْوقُوعَ فِي كُلِّ مَا يُخَالِفُ السُّنَّةَ.

فَخَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَىٰ الْهُدَىٰ

وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَدَائِعُ(١)

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: أَلَا وَإِنَّ مِمَّا يَنْبَغِي التَّحَدُّثُ بِهِ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -: مَا مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا فِي هَٰذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ نُزُولِ الْغَيْثِ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوزِعَنَا شُكْرَهَا قَوْلًا وَعَمَلًا، وَاعْتِقَادًا بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْوَلِيُّ - جَلَّ وَعَلَا - بِإِنْزَالِ الْغَيْثِ.

وَأَمَا مَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ الْعَامَّةِ مِنْ أَنَّ لِلْأَنْوَاءِ وَالْكَوَاكِبِ تَأْثِيرًا فِي ذَلِكَ، فَهَٰذَا مِمَّا يَخْدِشُ الْعَقِيدَةَ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - يَقُولُ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»(٢).

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -. وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ عُمُومِ نِعَمِهِ وَآلَائِهِ، وَاسْتَعِينُوا بِهَا عَلَىٰ ما يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، لَا عَلَى مَا يُسْخِطُهُ وَيَأْبَاهُ.

---

(١) يُنظر: «ولاية الله والطريق إليها» للشوكاني (ص٣٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣٨)، ومسلم (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّـهُ ـ عَلَىٰ الرَّحْمَةِ الْـمُهْدَاةِ، وَالنِّعْمَةِ الْـمُسْدَاةِ، نَبِيِّكُمْ مُـحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللَّـهِ، كَمَا أَمَرَكُمْ رَبُّكُـمْ ـ جَلَّ فِي عُـلَاهُ ـ فَقَـالَ ـ عَـزَّ مِنْ قَائِلٍ ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، مُكَوِّرِ النَّهَارِ عَلَىٰ اللَّيْلِ، وَمُكَوِّرِ اللَّيلِ عَلَىٰ النَّهَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، خَلَقَ الْأَمْصَارَ، وَعَمَرَ الْأَرْضَ بِالدِّيَارِ، وَبَاعَدَ بَيْنَ الْأَقْطَارِ، وَكَتَبَ عَلَىٰ النَّاسِ الْأَسْفَارَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْمُصْطَفَىٰ الْمُخْتَارُ، خَيْرُ مَنْ حَلَّ وَارْتَحَلَ، وَمَكَثَ وَانْتَقَلَ، وَسَارَ وَنَزَلَ، وَأَقَامَ وَسَافَرَ، وَسَكَنَ وَهَاجَرَ، أَقَامَ فَكَانَ الْخَيْرُ فِي إِقَامَتِهِ، وَرَحَلَ فَكَانَ الظَّفَرُ فِي رِحْلَتِهِ، دَلَّنَا عَلَىٰ الْخَيْرِ فِي سَفَرِنَا وَحَضَرِنَا، وَإِقَامَتِنَا وَظَعَنِنَا، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَىٰ آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، وَمَنِ اهْتَدَىٰ بِهَدْيِهِ وَسَارَ عَلَىٰ أَثَرِهِ، وَاقْتَدَىٰ بِهِ فِي حَضَرِهِ وَسَفَرِهِ، مَا تَعَاقَبَ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ - **عِبَادَ اللَّهِ** - وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي كُلِّ مَا نَأْتِي وَنَذَرُ، وَالِاسْتِجَابَةِ لَهُ - سُبْحَانَهُ - فِي كُلِّ مَا نَهَىٰ وَأَمَرَ، وَلُزُومِ تَقْوَاهُ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ.

فَالْـمُوَفَّقُ مِنْ عِبادِ اللَّهِ حَيْثُ ما كَانَ وَحَلَّ، وَأَيْنَمَا وُجِدَ وَارْتَحَلَ، فَإِنَّهُ يَضَعُ التَّقْوَىٰ شِعَارَهُ، وَطَاعَةَ اللَّهِ دِثَارَهُ، لاَ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا مَكَانٌ دُونَ مَكَانٍ، وَلاَ زَمَانٌ دُونَ زَمَانٍ، وَإِنَّمَا شِعَارُهُ: **«اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»**(١).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَتَىٰ مَا اسْتَمْسَكَتِ الْأُمَّةُ بِعَقِيدَتِهَا وَمَبَادِئِهَا؛ صَلَحَتْ أَحْوَالُهَا، وَاسْتَتَبَّتْ أَوْضَاعُهَا، وَتَلاَشَتْ عَنْ مُجْتَمَعَاتِهَا الظَّوَاهِرُ الْـمُخَالِفَةُ لِدِينِهَا، وَمَتَىٰ فَرَّطَتْ فِي إِسْلَامِهَا ـ وَأَرْخَتِ الزِّمَامَ لِأَبْنَائِهَا، يَخْبِطُونَ خَبْطَ عَشْوَاءَ فِي أَفْكَارٍ دَخِيلَةٍ، وَمَنَاهِجَ هَزِيلَةٍ، وَثَقَافَاتٍ مُسْتَوْرَدَةٍ وَهَجِينَةٍ غَيْرِ أَصِيلَةٍ، وَانْفِتَاحٍ عَلَىٰ الْعَالَمِ دُونَ ضَوَابِطَ شَرْعِيَّةٍ، وَآدَابٍ مَرْعِيَّةٍ ـ تَفَشَّتْ بَيْنَهَا الظَّوَاهِرُ الْـمُخَالِفَةُ لِلشَّرِيعَةِ، الَّتِي تَتْرُكُ آثَارًا سَلْبِيَّةً عَلَىٰ أَفْرَادِهَا وَمُجْتَمَعِهَا، وَتَحْتَاجُ إِلَىٰ التَّصَدِّي وَالْعِلَاجِ مِنْ قِبَلِ الْغُيُرِ عَلَيْهَا، وَالْـمُهْتَمِّينَ بِشُؤُونِهَا وَأَوْضَاعِهَا.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: قَضِيَّةٌ مُهِمَّةٌ وَخَطِيرَةٌ، وَظَاهِرَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ مُؤَرِّقَةٌ وَكَبِيرَةٌ، جَدِيرَةٌ بِرَسْمِ الْـخِطَطِ وَالْـمَنَاهِجِ، وَإِعْدَادِ الْعُدَدِ

---

(١) جزء من حديث أبي ذر ﷺ، الذي أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٥٣)، والدارمي في «سننه» (٢/ ٤١٥)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٤٥).

وَالْـبَرَامِجِ، لِتَأْصِيلِهَا وَالْعِنَايَـةِ بِهَـا، وَبَـذْلِ مَزِيـدٍ مِـنَ الْـجُهْدِ حِيَالَهَـا وَالِاهْتِمَامِ بِهَا: تِلْكُمْ هِيَ مَا يَحْصُلُ فِي مِثْلِ هَـٰذِهِ الْأَيَّامِ مِنْ كُلِّ عَامٍ؛ حِينَ تَـشْتَدُّ حَـرَارَةُ الـصَّيْفِ، وَيُلْقِـي بِـسَمُومِهِ اللَّافِـحِ، عَـلَىٰ بَعْـضِ أَقْطَـارِ الْـمَعْمُورَةِ، مِمَّـا يَحْمِـلُ كَثِيرًا مِـنَ النَّاسِ عَـلَىٰ الْـهُرُوبِ إِلَىٰ الْـمَصَايِفِ وَالْـمُنْتَزَهَاتِ، وَالْفِرَارِ إِلَىٰ الشَّوَاطِئِ وَالْـمُنْتَجَعَاتِ، وَالْعَزْمِ عَـلَىٰ الـسَّفَرِ وَالسِّيَاحَةِ، وَشَدِّ الْأَحْزِمَةِ لِلْتَنقُّلِ وَالرَّحَلَاتِ.

تَذْهَبُ إِلَىٰ الْـمَطَارَاتِ فَتَجِدُ أَرْتَـالًا مِـنَ الْبَشَرِ، وَفِئَامًـا مِـنَ النَّـاسِ يُـسَابِقُونَ الـرِّيحَ، وَيُنَافِـسُونَ الْآلَاتِ فِي الـسُّرْعَةِ وَالتَّـشْغِيلِ، قَـدْ حَمَلُـوا حَقَائِبَهُمْ، وَنَقَلُوا أَغْرَاضَهُمْ، وَأَعَدُّوا عُدَّتَهُمْ لِأَسْفَارٍ كَثِيرَةٍ، وَرَحَـلَاتٍ طَوِيلَـةٍ، اشْرَأَبَّـتْ أَعْنَـاقُهُمْ، وَتَطَلَّعَـتْ أَنْفُـسُهُمْ إِلَىٰ سِـيَاحَةٍ أَثِـيرَةٍ[1]، وَتَنَقُّلَاتٍ مُثِيرَةٍ، مَعَ تَبَايُنٍ فِي حَقِيقَـةِ أَسْفَارِهِمْ، وَاخْتِلَافٍ فِي آرَائِهِـمْ وَأَفْكَارِهِمْ.

وَيَتَمَلَّكُـكَ الْعَجَـبُ! وَأَنْـتَ تَقْـرَأُ عَـنِ الـسَّفَرِ وَالْـمُـسَافِرِينَ الْإِحْـصَاءَاتِ الْـمُذْهِلَةَ، وَالْأَرْقَـامَ الْـهَائِلَةَ، وَلَا يَنْتَهِـي عَجَبُـكَ وَأَنْـتَ تَرَىٰ تِلْكَ الْوُفُودَ، وَقَدْ أُقْفِلَتِ الْـحُجُوزَاتُ، وَتَزَاحَمَـتْ عَـلَىٰ الْبَوَّابَـاتِ،

(١) أَثِيرَةٌ: مُفَضَّلَةٌ، يُقَال: آثره عليه، أي: فَضَّلَه. يُنظر: «اللسان» (أثر).

وتَسارَعَتْ لِامْتِطَاءِ المَرْكَبَاتِ! وكُلُّ مَا يَسْتَهوِيهِمْ هُوَ: تَحْقِيقُ الرَّغَبَاتِ، بَلْ لَعَلَّ بَعْضَهُمْ يَنْسَىٰ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ عَقِيدَتَهُ وَأَخْلاقَهُ، فَيَجْعَلُهَا فِي عِدادِ الْمُخَلَّفِينَ، وَلا يَمْنَحُهَا تَأْشِيرَةَ السَّفَرِ مَعَهُ، فَيَنْزِعُ رِداءَ التَّقْوَىٰ وَجِلْبَابَ الْحَيَاءِ قَبْلَ أَنْ يُطَاوِلَ الْفَضَاءَ.

وَفِي خِضَمِّ هَٰذِهِ الْمَشَاهِدِ، وَدَوَّامَةِ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ وَالْأَحْوَالِ، وَحَيْثُ إِنَّ الإِجَازَةَ الصَّيْفِيَّةَ هِيَ الْوَقْتُ الَّذِي يَحْلُو فِيهِ السَّفَرُ، وَتَعْذُبُ فِيهِ الرَّحَلَاتُ، وَتُرْفَعُ فِيهِ عَصَا الْحِلِّ وَالتَّرْحَالِ، وَالتَّحَرُّكِ وَالِانْتِقَالِ، تَعَالَوْا - **يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ** - لِنَضَعَ هَٰذِهِ الْقَضِيَّةَ عَلَىٰ الْمِيزَانِ الشَّرْعِيِّ، وَنَعْرِضَهَا عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، مَعَ إِلْمَاحَةٍ إِلَىٰ وَاقِعِ بَعْضِ النَّاسِ فِيهَا، وَبَيَانِ الْآثَارِ السَّلْبِيَّةِ، عِنْدَ غِيَابِ الضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، فِي هَٰذِهِ الْقَضِيَّةِ الْوَاقِعِيَّةِ، وَلِنُذَكِّرَ أَنْفُسَنَا وَإِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ بِبَعْضِ الْوَصَايَا النَّافِعَةِ، وَالْمَلَامِحِ الْمَاتِعَةِ، الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَذَكَّرَهَا الْمُسَافِرُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ، وَالْمُرْتَحِلُونَ فِي تَنَقُّلَاتِهِمْ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَحْجُرُ عَلَىٰ أَتْبَاعِهِ أَنْ يُرَوِّحُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، أَوْ يُدْخِلُوا السُّرُورَ عَلَىٰ أَهْلِيهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَأَنْ يَتَحَرَّوْا الْوَسَائِلَ الْمُبَاحَةَ فِي ذَلِكَ شَرْعًا، فَالتَّرْفِيهُ الْبَرِيءُ، وَالتَّرْوِيحُ الْمُبَاحُ،

لاَ غَضَاضَةَ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ فِيهِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ مَطْلُوبًا أَحْيَانًا؛ لِأَغْرَاضٍ شَرْعِيَّةٍ، وَأَهْدَافٍ عَلِيَّةٍ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ تَرْفِيهٍ وَتَرْوِيحٍ فِي حُدُودِ مَا هُوَ مُبَاحٌ شَرْعًا، أَمَا أَنْ يُسْتَغَلَّ ذَلِكَ فِي اللَّهْوِ والْعَبَثِ فِيمَا يُضْعِفَ الْإِيمَانَ، وَيَهُزُّ الْعَقِيدَةَ، وَيَخْدِشُ الْفَضِيلَةَ، وَيُوقِعُ فِي الرَّذِيلَةِ، وَيَقْضِي عَلَىٰ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ وَالْمُثُلِ، فَلَا وَكَلَّا!

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ السَّفَرَ مُبَاحٌ بِأَصْلِ الشَّرْعِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ مَطْلُوبًا لِأَغْرَاضٍ شَرْعِيَّةٍ، قَالَ الثَّعَالِبِيُّ - يَرْحَمُهُ اللَّهُ - : «**مِنْ فَضَائِلِ السَّفَرِ: أَنَّ صَاحِبَهُ يَرَىٰ مِنْ عَجَائِبِ الْأَمْصَارِ، وَبَدَائِعِ الْأَقْطَارِ، وَمَحَاسِنِ الْآثَارِ: مَا يَزِيدُهُ عِلْمًا بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، وَيَدْعُوهُ شُكْرًا عَلَىٰ نِعَمِهِ**»[1]، وَقَدْ قِيلَ:

لَا يُصْلِحُ النُّفُوسَ إِذَا كَانَتْ مُدْبِرَةً
إِلَّا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالِ

***

سَافِرْ تَجِدْ عِوَضًا عَمَّنْ تُفَارِقُهُ
وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ

---

(١) ينظر: «الغرر السافر» للزركشي (ص٢٩١) (ضمن مجلة الحكمة ـ العدد العاشر).

إِنِّي رَأَيْتُ وُقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ
إِنْ سَالَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِبِ
وَالْأُسْدُ لَوْلَا فِرَاقُ الْأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ
وَالسَّهْمُ لَوْلَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصِبِ
وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً
لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ(١)

لَكِنَّ السَّفَرَ فِي الْإِسْلَامِ لَهُ حُدُودٌ مَرْعِيَّةٌ، وَضَوَابِطُ شَرْعِيَّةٌ:

مِنْهَا: أَنْ يَكُونَ السَّفَرُ فِي حُدُودِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ الْمُحَافِظَةِ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ إِلَىٰ بِقَاعٍ مَوْبُوأَةٍ، وَمُسْتَنْقَعَاتٍ مَحْمُومَةٍ، وَأَمَاكِنَ مَشْبُوهَةٍ: فَلَا، مَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ ضَرُورَةٌ، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ، وَهَلْ يُلْقَى بِالْحَمَلِ الْوَدِيعِ، فِي غَابَاتِ الْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ، وَالسِّبَاعِ الضَّارِيَةِ؟!

وَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ شُرُوطًا ثَلَاثَةً لِجَوَازِ السَّفَرِ إِلَىٰ بِلَادِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ:

أَوَّلُهَا: أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ دِينٌ يَدْفَعُ بِهِ الشَّهَوَاتِ.

ثَانِيهَا: أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ عِلْمٌ يَدْفَعُ بِهِ الشُّبُهَاتِ.

---

(١) من ديوان الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ (ص١٨).

ثَالِثُهَا: الضَّرُورَةُ الشَّرْعِيَّةُ، كَعِلَاجٍ وَنَحْوِهِ.

فَيَا أَيُّهَا الْمُسَافِرُونَ: هَلَّا سَأَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ، إِلَىٰ أَيْنَ تُسَافِرُونَ؟! وَلِمَاذَا تُسَافِرُونَ؟! أَفِي طَاعَةِ اللَّهِ أَسْفَارُكُمْ، أَمْ إِلَىٰ مَعْصِيَتِهِ ارْتِحَالُكُمْ؟ فَإِذَا كَانَ سَفَرُكُمْ طَاعَةً لِلَّهِ، فِي مَنْأَىٰ عَمَّا يُسْخِطُ اللَّهَ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَامْضُوا عَلَىٰ بَرَكَةِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ سَفَرُكُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَفِي غَيْرِ طَاعَتِهِ وَرِضَاهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ! فَإِنَّهُ يَرَاكُمْ، وَمُطَّلِعٌ عَلَيْكُمْ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء].

أَيُّهَا الْمُسَافِرُونَ: اجْعَلُوا سَفَرَكُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَنْوُونَ فِي أَسْفَارِكُمُ الْمَعْصِيَةَ، فَنُعِيذُكُمْ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْتُمْ مَدْعُوُّونَ إِلَىٰ الرُّجُوعِ عَنْهَا أَوْ تُغَيِّرُوا هَـٰذِهِ النِّيَّةَ السَّيِّئَةَ، مَدْعُوُّونَ إِلَىٰ التَّوْبَةِ وَالْأَوْبَةِ؛ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

أَخِي الْمُسَافِرَ: إِنَّ الْمُسْلِمَ الْحَقَّ هُوَ مَنْ أَعْمَلَ فِكْرَهُ، وَأَخَذَ مِنْ أَحْدَاثِ النَّاسِ الْعِبْرَةَ، فَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ سَافَرُوا طَلَبًا لِاقْتِرَافِ الْحَرَامِ! وَبَحْثًا عَنِ الْمَعَاصِي وَقَبِيحِ الْآثَامِ؛ فَكَانَ جَزَاؤُهُمُ الْخَيْبَةَ وَالْخُسْرَانَ! وَالنِّقْمَةَ مِنَ الْمَلِكِ الدَّيَّانِ، أَصَابَتْهُمُ الْأَمْرَاضُ الْمُسْتَعْصِيَةُ، وَانْتَقَلَتْ إِلَيْهِمُ الْجَرَاثِيمُ الْمُعْدِيَةُ، بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ،

وَبِمَا اقْتَرَفُوا مِنْ مَعْصِيَةِ بَارِئِهِمْ.

أَتَفْرَحُ بِالذُّنُوبِ وَبِالْمَعَاصِي ... وَتَنْسَىٰ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي[1]

إِخْوَتِي الْمُسَافِرُونَ: تَحَلَّوْا بِآدَابِ السَّفَرِ قَبْلَ سَفَرِكُمْ، وَفِي أَثْنَائِهِ وَعِنْدَ رُجُوعِكُمْ، قَدِّمُوا الِاسْتِخَارَةَ وَالِاسْتِشَارَةَ عَلَىٰ السَّفَرِ، وَلَا تَنْسَوْا أَذْكَارَ وَسُنَنَ السَّفَرِ، وَحُسْنَ اخْتِيَارِ الرَّفِيقِ، وَتَفَقُّدَ الْمَرْكَبَةِ، وَالْأَخْذَ بِوَسَائِلِ السَّلَامَةِ وَالْأَمَانِ، وَعَدَمَ تَجَاوُزِ السُّرْعَةِ النِّظَامِيَّةِ، فَإِنَّ فِي الْحَوَادِثِ لَعِبَرًا، وَلَا تُغْفِلُوا حَقَّ الطَّرِيقِ، وَالْمُحَافَظَةَ عَلَىٰ الْبِيئَةِ، وَاجْعَلُوا سَفَرَكُمْ دِرَاسَةً فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَقِرَاءَةً وَتَدَبُّرًا فِي دَفْتَرِ الْكَوْنِ، وَتَفَكُّرًا فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ، وَعَظِيمِ خَلْقِهِ، وَبَدِيعِ صُنْعِهِ.

تِلْكَ الطَّبِيعَةُ قِفْ بِنَا يَا سَارِي ... حَتَّىٰ أُرِيكَ بَدِيعَ صُنْعِ الْبَارِي

فَالْأَرْضُ حَوْلَكَ وَالسَّمَاءُ اهْتَزَّتَا ... لِرَوَائِعِ الْآيَاتِ وَالْآثَارِ[2]

---

(١) يُنظر: «الزهر الفائح في ذِكْرِ مَنْ تَنَزَّه عن الذنوب والقبائح» لابن الجزري (ص٩٦)، قال مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ: «رأيت عتبة الغلام في يوم شديد البرد، وهو يرشح عرقًا، فقلت له: ما الذي أوقفك في هذا الموضع؟ فقال: يا سيدي هذا موضع عصيت الله فيه»، وأنشد يقول:

أَتَفْرَحُ بِالذُّنُوبِ وَبِالمَعَاصِي ... وَتَنْسَىٰ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي

وَتَأْتِي الذَّنْبَ عَمْدًا لَا تُبَالِي ... وَرَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْكَ حَاصِي

(٢) الأبيات لأحمد شوقي، يُنظر: «ديوانه» (١/ ١٨٢).

أَيُّهَا الْمُسَافِرُونَ: وَلَـمَّا كَانَ السَّفَرُ قِطْعَةً مِنَ الْعَذَابِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ الْـمُصْطَفَىٰ الْأَوَّابُ، فِيمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا[1]، جَعَلَ اللَّـهُ لَهُ رُخَصًا تُيَسِّرُهُ؛ مِنَّةً مِنْهُ وَرَحْمَةً، فَاحْرِصُوا عَلَىٰ الْأَخْذِ بِرُخَصِ السَّفَرِ **«إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ»**[2]، وَاقْتَفُوا هَدْيَ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي السَّفَرِ. وَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِهِ قَصْرُ الرُّبَاعِيَّةِ رَكْعَتَيْنِ، وَإِذَا اشْتَدَّ السَّفَرُ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرَيْنِ وَالْعِشَاءَيْنِ، وَكَانَ يَقْتَصِرُ عَلَىٰ صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ وَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي الرَّاتِبَةَ إِلَّا الْوِتْرَ وَسُنَّةَ الْفَجْرِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُمَا حَضَرًا وَلَا سَفَرًا[3]، وَرَخَّصَ لِلْمُسَافِرِ أَنْ يَمْسَحَ عَلَىٰ الْـخُفَّيْنِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا[4]، وَنَهَىٰ

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عَنْ النبي ﷺ قال: «**السَّفَرُ قِطْعَةٌ من الْعَذَابِ**». أخرجه البخاري (١٨٠٤)، ومسلم (١٩٢٧).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٩١)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ١٤٠) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

(٣) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٤٢) عن عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قالت: «أَمَّا ما لم يَدَعْ صَحِيحًا وَلاَ مَرِيضًا في سَفَرٍ وَلاَ حَضَرٍ غَائِبًا وَلاَ شَاهِدًا - تَعْنِي النبي ﷺ - فَرَكْعَتَانِ قبل الْفَجْرِ». وأخرج الخطيب البغدادي نحوه في «تاريخه» (٦/ ٢٨٤).

(٤) كما في حديث علي بْنِ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه أنه سُئل عن المسح على الخفين، فقال: «جَعَلَ رسول اللَّـهِ ﷺ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ». أخرجه مسلم (٢٧٦).

الْـمَرْأَةَ أَنْ تُسَافِرَ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، خَرَّجَهُ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيْهِمَا[1].

أَخِي الْـمُسَافِرَ: تَجَنَّبِ الْـمَحَاذِيرَ الشَّرْعِيَّةَ، وَالْـمَنَاهِيَ الدِّينِيَّةَ، الَّتِي نَهَانَا عَنْهَا اللَّـهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ـ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَحَذَّرَنَا مِنْهَا رَسُولُهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ.

تَجَنَّبِ الشِّرْكَ بِاللَّـهِ، فَلَا تَخَفْ إِلَّا اللَّـهَ، وَلَا تَرْجُ إِلَّا اللَّـهَ، لَا تُسَافِرْ إِلَىٰ الْأَضْرِحَةِ أَوِ الْقُبُورِ، وَلَا تَدْعُ أَحَدًا مِنْ دُونِ اللَّـهِ.

إِيَّاكَ وَالرِّيَاءَ، اجْتَنِبِ الرِّبَا وَالْمُرَابِينَ، وَلَا تَقْرَبِ الزِّنَىٰ، إِنَّهُ مِنْ أَقْبَحِ الْأُمُورِ، وَأَعْظَمِ الْآثَامِ وَالشُّرُورِ، قَالَ اللَّـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء]، الزِّنَىٰ يُورِثُ الْفَقْرَ وَالْـمَرَضَ، وَيُؤْذِنُ بِالْغَضَبِ وَالسَّخَطِ، يُعَرِّضُ صَاحِبَهُ لِلْهَلَاكِ وَالثُّبُورِ، وَالْوَيْلِ وَالشُّرُورِ!

حَذَارِ مِنَ الْخُمُورِ وَالْمُسْكِرَاتِ، فَإِنَّهَا خَرَابٌ لِلدِّينِ، وَدَمَارٌ لِلْعَقْلِ، إِتْلَافٌ لِلصِّحَّةِ، بَغِيضَةٌ إِلَىٰ الرَّحْمَٰنِ، رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، ضَعْفٌ فِي الدِّينِ وَالْإِيمَانِ.

---

(١) كما في حديث ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ أَنَّ النبي ﷺ قال: «**لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مع ذِي مَحْرَمٍ**». أخرجه البخاري ـ واللفظ له(١٠٨٦)، ومسلم (١٣٣٨).

أَخِي الْحَبِيبَ: لَا تَتَعَامَلْ بِالْحَرَامِ، وَلاَ تُتَاجِرْ فِيمَا يُسْخِطُ الْمَلِكَ الْعَلاَّمَ، لا يَكُنْ كَسْبُكَ إِلاَّ الْحَلاَلَ مِنَ الأَمْوَالِ، ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلى السَّمَاءِ: يا رَبِّ يا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ!!». رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[1].

أَخِي الْمُسَافِرَ: تَنَحَّ عَنِ الَّذِينَ أُتْرِعَتْ قُلُوبُهُمْ بِحُبِّ الشَّهَوَاتِ، وَلاَ تُرَافِقِ الَّذِين خَلَتْ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ مُرَاقَبَةِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ: مِنَ النَّاسِ مَنْ يُطْلِقُ لِنَفْسِهِ وَأُسْرَتِهِ العِنَانَ فِي السَّفرِ إِلَىٰ بِلَادٍ مَوْبُوءَةٍ؛ لِيَفْتِنَ نَفْسَهُ بِالشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ، وَالأَفْعَالِ الآثِمَةِ، وَالْمَظَاهِرِ الْمُخْزِيَةِ، وَالأَعْمَالِ الْمُرْدِيَةِ، فِي مَوَاخِيرِ الفُجُورِ والزِّنَىٰ، وَحَانَاتِ الغَيِّ والْخَنَىٰ، فِي دَهَالِيزِ الْمَيْسِرِ وَالْقِمَارِ، وَفِي مُسْتَنْقَعَاتِ الْعَارِ وَالشَّنَارِ[2]، بَعِيدًا عَنْ أَنْظَارِ الْخَيِّرِينَ، وَأَهْلِ

(١) برقم (١٠١٥).

(٢) سبق بيان معناها (ص٣١٠).

الْفَضْلِ الْـمُصْلِحينَ، فَاحْذَرْ مَوَاقِعَ الزَّلَلِ، وَأَمَاكِنَ الْـخَطَأِ وَالْـخَطَلِ[1].

فَيَا مَنْ أَخْفَيْتَ نَوَايَاكَ فِي سَفَرِكَ عَنِ الْبَشَرِ، يَا مَنْ قَصَدْتَ مَكَانًا لاَ تَقَعُ فِيهِ تَحْتَ عَيْنٍ أَوْ نَظَرٍ، أَلاَ تَخْشَىٰ سَطْوَةَ رَبِّ الْبَشَرِ؟ وَأَنْتَ تُبَارِزُهُ بِالْقَبَائِحِ، وَتُعَامِلُهُ بِالْفَضَائِحِ، تَذَكَّرْ مَا كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ حَيْثُ يَقُولُ:

إذا ما خَلَوْتَ الدَّهْرَ يومًا فلا تَقُلْ: خَلَوْتُ ولكنْ قُلْ: عليَّ رقيبُ
ولا تَحْسَبَنَّ اللَّـهَ يَغْفُلُ ساعةً وَلاَ أَنَّ ما تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ[2]

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: إِنَّ سَفَرَ الْمُسْلِمِ لِدِيَارِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ ـ لِغَيْرِ غَرَضٍ شَرْعِيٍّ، وَأَمْرٍ دِينِيٍّ، تَرَجَّحَتْ مَصْلَحَتُهُ، وَظَهَرَتْ فَائِدَتُهُ ـ لَهُوَ ضَرَرٌ مَحْضٌ عَلَىٰ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالعِرْضِ؛ فَإِنَّهُ ـ مَعَ مَا يُظَنُّ مِنْ مُعَاقَرَةٍ لِأَنْوَاعِ الْفَوَاحِشِ وَالْـمُنْكَرَاتِ، وَتَضْيِيعٍ لِلْفَرَائِضِ وَالْوَاجِبَاتِ ـ مُخَاطَرَةٌ بِالنَّفْسِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ، بِتَعْرِيضِهَا لِـمَوَاطِنِ الرِّيَبِ وَالشُّبُهَاتِ، وَأَمَاكِنِ الْـهَلَكَاتِ، وَبُؤَرِ الدَّرَكَاتِ، هَـٰذَا فَضْلًا عَمَّا يُحِيطُ بِالْـمَرْءِ مِنْ أَخْطَارِ لُصُوصِ الْقُلُوبِ، وَسَارِقِي الْـجُيُوبِ، وَالْغَفْلَةِ عَنْ رَقَابَةِ عَلاَّمِ الْغُيُوبِ.

---

(١) الخَطَلُ: الحمق والعجلة. يُنظر: «اللسان» (خطل).

(٢) يُنظر: «حلية الأولياء» (٩/ ٢٢٠)، و«تاريخ بغداد» (٥/ ٢٠٥).

أَلاَ فَلْيَتَـذَكَّرْ هَـٰؤُلَاءِ وَأُولَـٰئِكَ، الْـمَوتَ وَالْفَنَـاءَ، وَلْيَـشْعُرُوا بِمَـآسِي إِخْوَانِنَـا الْـمُسْلِمِينَ الْبُرَآءِ، فِي فِلَسْطِينَ وَكَـشْمِيرَ وَالشِّيشَانَ وَكُوسُوفَا!!

إِخْـوَةَ الْإِسْـلَامِ: وَإِنَّ مِمَّـا يَتَـذَرَّعُ بِـهِ بَعْـضُ النَّـاسِ لِلـسَّفَرِ وَالرَّحَلَاتِ، دَعْوَاهُمُ الِاصْطِيَافَ وَالسِّيَاحَةَ، وَمَا أَدْرَاكُمْ مَا السِّيَاحَةُ؟! لَفْظَـةٌ بَرَّاقَـةٌ، وَعِبَـارَةٌ أَخَّـاذَةٌ، لَهَـا دَلَالَتُهَـا الـشَّرْعِيَّةُ، فَكَـمْ كَـانَ أَسْـلَافُنَا يَجُوبُـونَ الْأَرْضَ شَرْقًـا وَغَرْبًـا، جِهَـادًا فِي سَـبِيلِ اللَّـهِ، وَدَعْـوَةً إِلَىٰ دِينِ اللَّـهِ، بِأَقْوَالِهِمْ، وَأَفْعَالِـهِمْ، وَسُلُوكِهِمْ، وَحُسْنِ تَعَامُلِهِمْ؛ نعم، لِاسْتِثْمَارِ السِّيَاحَةِ فِي هَـٰذَا الْـمَقْصِدِ الشَّرْعِيِّ! إِنَّنَا جَمِيعًا مَعَ الـسِّيَاحَةِ بِمَفْهُومِهَا النَّقِيِّ، الْـمُنْضَبِطِ بِالضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْآدَابِ الْـمَرْضِيَّةِ.

غَيْرَ أَنَّهُ مِمَّا يَبْعَثُ عَلَىٰ الْأَسَىٰ: أَنَّ فِي الأُمَّـةِ مُنْهَزِمِينَ كُثُرًا، عَبُّوا مِنْ ثَقَافَةِ الْغَيْرِ عَبًّا، وَاتَّخَذُوا الْـحَيَاةَ لَهْوًا وَلَعِبًا، وَظَنُّوا ـ وَبِئْسَ مَا ظَنُّوا ـ أَنَّ السَّفَرَ وَالسِّيَاحَةَ لاَ يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ إِلاَّ بِأَيَّامٍ سَوْدَاءَ، وَلَيَالٍ حَمْرَاءَ، وَمُجَانَبَةٍ لِلْحَيَاءِ؛ إِنَّ الْوُلُوغَ فِي هَـٰذِهِ الْـمِيَاهِ الْعَكِرَةِ، وَالِانْـسِيَاقَ وَرَاءَ أَمْـرَاضِ الْأُمَـمِ الْـمُعَاصِرَةِ، وَأَدْوَاءِ الْـمُجْتَمَعَاتِ الْـمُنْحَرِفَةِ، وَإِفْرَازَاتِهَـا الْـمُنْتِنَةِ، لَا يُمْكِـنُ أَنْ يَقْبَلَـهُ ذَوُو النُّفُـوسِ

الْـمُطْمَئِنَّةِ، وَالْـمُجْتَمَعَاتِ الْـمُحَافِظَةِ.

نَعَمْ! لِسِيَاحَةِ التَّأْثِيرِ لَا التَّأَثُّرِ، وَالاعْتِزَازِ لَا الاِبْتِزَازِ، وَالْفَضِيلَةِ لَا الرَّذِيلَةِ، وَالثَّبَاتِ لَا الانْفِلَاتِ؛ كَيْفَ؟ وَقَدْ ثبت ـ بِمَا لَا يَدَعُ مَجَالاً لِلشَّكِّ ـ أَنَّ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ يَسْتَهْدِفُونَ أَبْنَاءَ الْـمُسْلِمِينَ السَّائِحِينَ، لِلْوَقِيعَةِ بِهِمْ، وَالنَّيْلِ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ، وَعَقِيدَتِهِمْ؛ عَنْ طَرِيقِ الْغَزْوِ الْفِكْرِيِّ، وَالْفَسَادِ الْأَخْلَاقِيِّ، وَيَسْتَغِلُّونَ كَثِيرًا مِنَ السَّائِحِينَ اقْتِصَادِيًّا وَخُلُقِيًّا، وَيَجُرُّونَهُمْ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، إِلَىٰ حَيْثُ الْـخَنَا(١) وَالْفُجُورِ، والْـمُخَدِّرَاتِ وَالْـخُمُورِ، بَلْ قَدْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ مُتَنَكِّرًا لِدِينِهِ وَمُجْتَمَعِهِ، وَبِلَادِهِ وَأُمَّتِهِ!! **أَيْنَ الْعُقُولُ الْحَصِيفَةُ(٢)، عَنِ الْإِحْصَاءَاتِ الْـمُذْهِلَةِ مِنْ مَرْضَىٰ (الْـهِرْبِزِ)(٣) وَ(الْإِيدزِ)(٤)، وَمِنْ عِصَابَاتِ**

---

(١) الخَنَا: الفحش. يُنظر: «اللسان» (خنا).

(٢) الحَصِيفُ: المحكم العقل والجيّد الرأي. ينظر: «الصحاح» (حصف).

(٣) **الهربز**: من أخطر الأمراض الجنسية؛ نظراً لسرعة العدوى به، فهو ينتقل عن طريق التلامس والاحتكاك المباشر بالمريض، أو استعمال أدواته الخاصة. يُنظر: «ويكيبيديا ـ الموسوعة الحرة» (هربس).

(٤) **الإيدز**: هو: مرض فَقْدِ المناعة المكتسبة، وهو الوباء الآتي من فساد الأخلاق، حيث يعد نتاجًا للممارسات الجنسية المحرمة، كما أنه ينتقل بعد ذلك من المصاب إلى غيره عن طريق الدم. يُنظر: «ويكيبيديا ـ الموسوعة الحرة» (إيدز).

وَشَبَكَاتِ التَّرْوِيجِ لِلْمُسْكِرَاتِ وَالْـمُخَدِّرَاتِ؟!

إِنَّنَا نُنَاشِدُ الْـمُسَافِرِينَ وَالسَّائِحِينَ: أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَفِي أُسَرِهِمْ، وَمُجْتَمَعِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ، وَنُذَكِّرُكُمْ قَبْلَ أَنْ تَرْفَعُوا أَقْدَامَكُمْ: فَكِّرُوا أَيْنَ تَضَعُوهَا ؟! **فَمَنْ مَشَىٰ غِرَّةً فِي مَوضِعٍ زَلَقَا.**

نَعَمْ! سَافِرُوا لِلْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ، وَالدَّعْوَةِ وَالإِصْلَاحِ؛ فَلاَ غَضَاضَةَ عَلَيْكُمْ، وَكُونُوا مُمَثِّلِينَ لِبَلَادِكُمُ الْإِسْلَامِيَّةِ، مُظْهِرِينَ لِدِينِكُمْ دَاعِينَ إِلَىٰ مَبَادِئِهِ السَّمْحَةِ السَّوِيَّةِ، حَيْثُ يَتَخَبَّطُ الْعَالَمُ بَحْثًا عَنْ دِينٍ يَكْفُلُ لَهُ الْـحُرِّيَّةَ وَالسَّلَامَةَ، وَلَنْ يَجِدَهُ إِلاَّ فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ!

فَكُونُوا ـ **أَيُّهَا الْمُسَافِرُونَ** ـ خَيْرَ سُفَرَاءَ لِدِينِكُمْ وَبِلَادِكُمْ، مَثِّلُوا الْإِسْلَامَ أَحْسَنَ تَمْثِيلٍ، حَذَارِ أَنْ يَفْهَمَ الْعَالَمُ عَنِ الْـمُسْلِمِينَ وَشَبَابِهِمْ: أَنَّهُمْ أَرْبَابُ شَهَوَاتٍ، وَصَرْعَىٰ مَلَذَّاتٍ، **بَلْ تَرْجِمُوا لَهُمْ بِسُلُوكِكُمْ، وَعَبِّرُوا بِأَخْلَاقِكُمْ: أَنَّكُمْ حَمَلَةُ رِسَالَةٍ، وَأَرْبَابُ أَعْلَىٰ هَدَفٍ وَأَشْرَفِ غَايَةٍ، وَأَصْحَابُ شَخْصِيَّةٍ فَذَّةٍ، وَشَرِيعَةٍ خَالِدَةٍ، وَدِينٍ يَرْعَىٰ الْعَقِيدَةَ وَالْقِيَمَ، وَيُعَانِقُ الْـحَيَاةَ عَنْ طَرِيقِ الْـحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَالسَّمَاحَةِ وَالسَّلَامِ، وَيَبْحَثُ عَمَّا يَكْفُلُ لِلْعَالَمِ الرُّقِيَّ وَالتقدُّمَ وَالْـحَضَارَةَ.**

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّحْذِيرُ مِنْهُ - بَرَاءَةً لِلذِّمَّةِ وَنُصْحًا لِلْأُمَّةِ - مَا تَعْمَدُ إِلَيْهِ بَعْضُ الشَّرِكَاتِ، وَالْمُؤَسَّسَاتِ السِّيَاحِيَّةِ، مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ السَّفَرِ إِلَىٰ بِلَادٍ مَوْبُوءَةٍ، وَإِظْهَارِهَا بِدِعَايَاتٍ مُزَرْكَشَةٍ، وَإِعْلَانَاتٍ مُزَخْرَفَةٍ، ظَاهِرُهَا الرَّحْمَةُ، وَبَاطِنُهَا الْعَذَابُ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّ الْمُسْلِمَ مُرْتَبِطٌ بِإِسْلَامِهِ، وَإِيمَانِهِ، وَأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ، يَكُونُ شُعُورُهُ مَعَ شُعُورِ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ؛ يَتَذَكَّرُ أَحْوَالَهُمْ وَمَآسِيَهُمْ، لَاسِيَّمَا الَّذِين يَعِيشُونَ حَيَاةَ الْقَتْلِ وَالتَّشْرِيدِ وَالاضْطِهَادِ؛ فَهَلْ مِنَ الْإِحْسَاسِ بِشُعُورِهِمْ إِهْمَالُ قَضَايَاهُمْ؟! أَيْنَ الْأَحَاسِيسُ الْمُرْهَفَةُ، وَالْمَشَاعِرُ الْفَيَّاضَةُ؟! فَأُنَاسٌ يُفَكِّرُونَ بِأَحْوَالِ إِخْوَانِهِمْ فِي الْعَقِيدَةِ: يَهْتَمُّونَ بِمُقَدَّسَاتِ الْأُمَّةِ، وَمَا يَمُرُّ بِهِ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَىٰ الْمُبَارَكُ، وَمَا تَضِجُّ بِهِ فِلَسْطِينُ الْمُسْلِمَةُ، وَالشِّيشَانُ الصَّامِدَةُ، وَكَشْمِيرُ الْمُجَاهِدَةُ، وَآخَرُونَ كَثِيرُونَ يُفَكِّرُونَ فِي قَضَاءِ إِجَازَاتِهِمْ فِي مُنْتَجَعَاتٍ مَا؛ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ! فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة].

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا وَارْفَعْنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي سُنَّةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَثَبِّتْنَا عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَجِرْنَا مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ،

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعاظَمَ مَلَكُوتُهُ فَاقْتَدَرَ، وَعَزَّ سُلْطَانُهُ فَقَهَرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرَنَا بِتَقْوَاهُ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ فِي الْمَحْشَرِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةِ الْغُرَرِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا اتَّصَلَتْ عَيْنٌ بِنَظَرٍ، وَأُذُنٌ بِخَبَرٍ، وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، **«وَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ»**[1].

أَلَا وَإِنَّ مِنَ التَّحَدُّثِ بِنِعَمِ اللَّهِ، وَشُكْرِ آلائه ـ سُبْحَانَهُ ـ مَا حَبَا اللَّهُ بِهِ بِلَادَنَا الطَّيِّبَةَ الْمُبَارَكَةَ ـ حَرَسَهَا اللَّهُ ـ مِنْ مُقَوِّمَاتٍ شَرْعِيَّةٍ، وَتَأْرِيخِيَّةٍ، وَحَضَارِيَّةٍ؛ تَجْعَلُهَا مُؤَهَّلَةً لِتَكُونَ بَلَدَ السِّيَاحَةِ النَّظِيفَةِ النَّقِيَّةِ؛

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي في «الكبرى» (١/ ٢٩٦)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٦)، وابن حبان (٥/ ٤٥٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

فَهِيَ - بِإِذْنِ اللَّـهِ - قَادِرَةٌ عَلَىٰ إِعْطَاءِ مَفْهُومٍ صَحِيحٍ، وَوَجْهٍ مُشْرِقٍ لِلسِّيَاحَةِ، الَّتِي خُيِّلَ لِبَعْضِ الْـمُفْتُونِينَ، أَنَّهَا: صِنَاعَةُ الْفُجُورِ وَالِانْحِلَالِ، وَالْفِسْقِ وَالضَّلَالِ.

أَوَلَيْسَ اللَّـهُ قَدْ مَنَّ عَلَىٰ بِلَادِنَا بِالْـحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، مَهْوَىٰ أَفْئِدَةِ الْـمُسْلِمِينَ، وَمَحَطِّ أَنْظَارِهِمْ فِي الْعَالَـمِينَ؟! شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ فِيهَا ظَاهِرَةٌ، وَأَنْوَارُ التَّوْحِيدِ فِي سَمَائِهَا بَاهِرَةٌ؛ **أَوَ لَيْسَتْ بِلَادُنَا تَنْعَمُ - بِحَمْدِ اللَّـهِ - بِالْأَجْوَاءِ الْـمُمْتِعَةِ الْـمُتَنَوِّعَةِ، وَالْأَمَاكِنِ الْـخَلَّابَةِ الْـمُتَعَدِّدَةِ، الَّتِي تُشَكِّلُ مَنْظُومَةً مُتَأَلِّقَةً، وَمَجْمُوعَةً مُتَكَامِلَةً، يَقِلُّ نَظِيرُهَا فِي الْعَالَمِ؛ فَمِنَ الْبِقَاعِ الْـمُقَدَّسَةِ، إِلَىٰ الشَّوَاطِئِ الْـجَمِيلَةِ، وَالْبِيئَةِ النَّظِيفَةِ، السَّلِيمَةِ مِنْ أَمْرَاضِ الْـحَضَارَةِ الْـمَادِّيَّةِ، وَإِفْرَازَاتِهَا الْـحِسِّيَّةِ،** إِلَىٰ الْـجِبَالِ الشُّمِّ الشَّاهِقَةِ، ذَاتِ الْـمَنْظَرِ الْـجَمِيلِ، وَالْـهَوَاءِ الْعَلِيلِ، وَالْأَوْدِيَةِ الْـخَلَّابَةِ، وَالْأَمَاكِنِ الْـجَذَّابَةِ؛ فَمُرُورًا بِالْـمَصَايِفِ الْـجَمِيلَةِ، وَالصَّحَارِي الْـمُمْتَدَّةِ ذَاتِ الرِّمَالِ الذَّهَبِيَّةِ الْعَجِيبَةِ، يَتَنَقَّلُ الْـمَرْءُ فِي رَوَابِيهَا، وَيَتَنَزَّهُ فِي نَوَاحِيهَا، يَسْعَدُ فِي أَجْوَائِهَا، وَيُسَافِرُ إِلَىٰ أَنْحَائِهَا.

وَلَا بَأْسَ بِإِدْخَالِ الْفَرَحِ عَلَىٰ الْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ، فِي سَفَرٍ مُبَاحٍ

فِي مُحِيطِهَا الْـمُبَارَكِ، أَوِ اصْطِحَابِهِمْ فِي عُمْرَةٍ إِلَىٰ بَيْتِ اللَّـهِ الْحَرَامِ، أَوْ زِيَارَةٍ إِلَىٰ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ فِي سِيَاحَةٍ مَشْرُوعَةٍ بَرِيئَةٍ، تُوصَلُ فِيهَا الْأَرْحَامُ، وَتَحْصُلُ فِيهَا الرَّاحَةُ وَالسِّيَاحَةُ وَالِاسْتِجْمَامُ، مَعَ الْـمُحَافَظَةِ عَلَىٰ الْخَيْرِ وَالْفَضِيلَةِ، وَالْبُعْدِ عَنْ أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالرَّذِيلَةِ.

وَأَهَمُّ مِنْ هَـٰذِهِ الْمُقَوِّمَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالْحِسِّيَّةِ: الْمُقَوِّمَاتُ الْـمَعْنَوِيَّةُ، وَالْـمُمَيِّزَاتُ الشَّرْعِيَّةُ، وَالْخَصَائِصُ الْإِسْلَامِيَّةُ، وَالْآدَابُ الْأَصِيلَةُ الْعَرَبِيَّةُ، الَّتِي تَحْكِي عَبَقَ التَّأْرِيخِ، وَالْحَضَارَةِ الْـمُعَطَّرَةِ بِالْإِيمَانِ، النَّدِيَّةِ بِالْـمُرُوءَةِ وَالْإِحْسَانِ.

فِي بِلَادِنَا ـ بِحَمْدِ اللَّـهِ ـ السِّيَاحَةُ الرُّوحَانِيَّةُ، وَالنُّزْهَةُ الرَّبَّانِيَّةُ، وَالْـمُتْعَةُ الْإِيمَانِيَّةُ؛ فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَبْدِلُ بَعْضُ النَّاسِ، الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، فِي تَأْثِيرَاتٍ عَقَدِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ، وَانْحِرَافَاتٍ أَخْلَاقِيَّةٍ وَسُلُوكِيَّةٍ، وَمَخَاطِرَ أَمْنِيَّةٍ، وَأَمْرَاضٍ صِحِّيَّةٍ وَوَبَائِيَّةٍ، مِمَّا لَا يَخْفَىٰ أَمْرُهُ عَلَىٰ ذَوِي الْـحِجَا[1]، وَلَا يَغِيبُ عَنْ أُولِي النُّهَىٰ!!

وَبِذَلِكَ يَتَحَقَّقُ ـ لِمَنْ يَنْشُدُونَ الطُّهْرَ وَالعَفَافَ، وَالْفَضِيلَةَ وَالنَّقَاءَ،

---

(١) الحِجَا: العقل والفطنة. يُنظر: «تاج العروس» (حجو).

وَالْخَيْرَ وَالْحَيَاءَ - التَّمَتُّعُ بِأَجْوَاءٍ سِيَاحِيَّةٍ مُبَاحَةٍ، وَيُسَدُّ الطَّرِيقُ أَمَامَ الْأَبْوَاقِ النَّاعِقَةِ، وَالْأَقْلَامِ الْحَاقِدَةِ، الَّتِي تَسْعَىٰ لِجَرِّ هَـٰذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ إِلَىٰ مَا يُفْقِدُهَا خَصَائِصَهَا وَمُمَيِّزَاتِهَا، وَيَخْدِشُ أَصَالَتَهَا وَثَوَابِتَهَا؛ فَمَاذَا يُرِيدُ هَـٰؤُلَاءِ؟ وَمَاذَا يَقْصِدُ أُولَئِكَ؟!

فَلْنَشْكُرِ اللَّـهَ عَلَىٰ نِعَمِهِ وَآلَائِهِ، وَلْنُحَافِظْ عَلَيْهَا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ.

حَفِظَ اللَّـهُ لِهَـٰذِهِ الْبِلَادِ عَقِيدَتَهَا وَقِيَادَتَهَا، وَأَمْنَهَا وَإِيمَانَهَا، وَحَمَاهَا مِنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وَأَخِيرًا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسَافِرُونَ - إِذَا قَضَىٰ أَحَدُكُمْ نُهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ، فَلْيَعُدْ إِلَىٰ أَهْلِهِ: «آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»[1].

وَخِتَامًا، نَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّـهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ، نَسْتَوْدِعُ اللَّـهَ دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ، وَنَسْأَلُ اللَّـهَ أَنْ يَحْفَظَنَا وَإِيَّاكُمْ فِي الْحِلِّ وَالتَّرْحَالِ، وَأَنْ يُعِيدَكُمْ إِلَىٰ أَهْلِكُمْ سَالِمِينَ غَانِمِينَ، إِنَّهُ خَيْرُ مَسْؤُولٍ وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٢) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَىٰ خَيْرِ مَنْ أَقَامَ وَسَافَرَ، وَجَاهَدَ وَهَاجَرَ، النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ، وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَىٰ، إِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَأَفْضَلِ الْمُقِيمِينَ وَالْمُسَافِرِينَ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلاً كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

القِسمُ الثَّامِنُ:

مَعالِمُ وَرَكائِزُ في المنهج

حرب المفاهيم

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَنَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ، وَنُثْني عَلَيْكَ الخَيْرَ كُلَّهُ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، القُلُوبُ لَكَ مُفْضِيَةٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَكَ عَلانِيَةٌ، الحَلالُ مَا أَحْلَلْتَ، وَالحَرَامُ مَا حَرَّمْتَ، وَالدِّينُ مَا شَرَعْتَ، وَالخَلْقُ خَلْقُكَ، وَالأَمْرُ أَمْرُكَ، تُطَاعُ فَتَشْكُرُ وَتُعْصَىٰ فَتَغْفِرُ، أَقْرَبُ شَهِيدٍ، وَأَدْنَىٰ حَفِيظٍ، حُلْتَ دُونَ النُّفُوسِ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي، وَكَتَبْتَ الآثَارَ، وَنَسَخْتَ الآجَالَ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّطِيفُ الخَبِيرُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الهَادِي البَشِيرُ، وَالسِّرَاجُ المُنِيرُ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ أُولِي الفَهْمِ المُسْتَنِيرِ، وَصَحْبِهِ ذَوِي الجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَومِ المَصِيرِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَإِنَّهَا

نِعْمَتِ الوَصِيَّةُ، وَأَهْلُهَا خَيْرُ البَرِيَّةِ، مَنْ حَقَّقَهَا: حَقَّقَ المَرَاتِبَ العَلِيَّةَ وَالمَطَالِبَ السَّنِيَّةَ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَاسْتَوَىٰ عِنْدَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا تِبْرُهَا[1] وَتُرَابُهَا، وَعَذْبُهَا وَعَذَابُهَا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: تَمُرُّ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ، وَتكِرُّ الشُّهُورُ وَالأَعْوامُ، وَلَا تَزَالُ أُمَّةُ الإِسْلامِ تَتَجَرَّعُ المَآسِيَ وَتَعِيشُ الفِتَنَ، وَتَعْصِفُ بِهَا الابْتِلَاءاتُ وَأَمْوَاجُ المِحَنِ، وَإِذَا كَانَتْ فِتَنُ هَذَا الزَّمَانِ قَدْ تَتَابَعَتْ، وَمِحَنُ العَصْرِ قَدْ تَنَوَّعَتْ وَتَكَاثَرَتْ كَسَيْلِ سَمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، فَإِنَّ أَشَدَّ هَذِهِ الفِتَنِ خَطَرًا، وَأَعْظَمَهَا أَثَرًا، وَأَكْثَرَهَا ضَرَرًا، فِتْنَةُ العُقُولِ وَالفُهُومِ؛ بِصَرْفِهَا عَنْ مُرَادِ اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَمُرَادِ رَسُولِهِ ﷺ، وَمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: المُتَأَمِّلُ فِي مَسِيرَةِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَبْرَ تَأرِيخِهَا الطَّوِيلِ، يَجِدُ أَنْوَاعًا مِنَ الانْحِرَافَاتِ الخَطِيرَةِ مُنِيَتْ بِهَا هَذِهِ الأُمَّةُ، غَيْرَ أَنَّ انْحِرَافَ المَفَاهِيمِ هُوَ الخُلَاصَةُ المُرَّةُ الَّتِي آلَ إِلَيْهَا

---

(١) التِّبْر: تَقَدَّم مَعْناها (ص٢١٨).

الانْحِرَافُ التَّارِيخِيُّ بِرُمَّتِهِ.

وَلَئِنْ ظَنَّ بَعْضُ الغُيَّرِ أَنَّ مَا أَصَابَ الأُمَّةَ مِنْ أَرْزَاء، هُو إِفْرَازُ الانْحِرَافَاتِ السُّلُوكِيَّةِ المُتفَشِّيَّةِ بَيْنَ ظَهْرَانِيهَا، فَإِنَّه مِنَ المُؤكَّدِ أَنَّ الانْحِرَافَ الأَخْطَرَ، بِلَا مُوارَبَةٍ[1] الَّذِي رُزِئَتْ بِهِ أُمَّتُنَا عبْرَ التَّأرِيخِ، هُوَ الِانْحِرَافُ فِي الأَفْكَارِ وَالمَفَاهِيمِ، فَقَدْ يَجِدُ الدَّاعِيَةُ رَجُلَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا مُنْحَرِفُ السُّلُوكِ، مُسْتَقِيمُ المَفَاهِيمِ، وَالآخَرُ مُنْحَرِفٌ فِي السُّلُوكِ وَالمَفَاهِيمِ، فَسَيَبْذُلُ جُهْدًا يَسِيرًا مَع الأَوَّلِ لِصِحَّةِ مَفَاهِيمِهِ، بَيْنَمَا سَيَبْذُلُ جُهْدًا أَكْبَرَ مَعَ الآخرِ؛ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ أَوَّلًا إِلَىٰ تَصْحِيحِ مَفَاهِيمِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَصْحِيحِ سُلُوكِهِ، وعَلَىٰ قَدْرِ سُقْمِ العَقْلِ، وبَلَادَةِ الفَهْمِ، يَكُونُ البُعْدُ عَنِ الحَقِّ وَمَسَاقِطِهِ.

وَتِلْكَ هِيَ الحَقِيقَةُ المُرَّةُ فِي حَالِ كَثِيرٍ مِنْ أَبْنَاءِ أُمَّتِنَا اليَومَ، فَلَقَدْ تَجَاوَزَ الانْحِرَافُ مَرْحَلَةَ السُّلُوكِ، وَبَلَغَ ذِرْوَتَهُ فِي المَفَاهِيمِ الرَّئِيسَةِ لِهَذَا الدِّينِ القَوِيمِ، لِذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ الغَرَابَةِ أَنْ تَعِيشَ أُمَّتُنَا شِدَّةَ الكُرْبَةِ، وَحَالَةَ الغُرْبَةِ، الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا المُصْطَفَىٰ ﷺ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عِنْدَ

---

(١) المُوَارَبَةُ: مأخوذة من الإرب وهو الدهاء، فيُقال: تَكَلَّمَ دُونَ مُوَارَبَةٍ، أي: دُونَ مُخَادَعَةٍ، بِصَرَاحَةٍ وَوُضُوحٍ. ينظر: «اللسان» (ورب).

مُسْلِمٍ[1] وَغَيْرِهِ[2] : «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ» .

وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا الَّتِي   لَهَا صَارَتِ الأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكَّمُ[3]

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: قَضِيَّةُ الفَهْمِ الصَّحِيحِ، قَضِيَّةٌ مِنْ أَهَمِّ القَضَايَا الَّتِي يَنْبَغِي الْعِنَايَةُ بِهَا، لَاسِيَّمَا فِي أَوْقَاتِ الفِتَنِ ؛ إِذْ بِهَا تَتَفَاوتُ مَرَاتِبُ الخَلْقِ فِي إِصَابَةِ الحَقِّ، وَلِذَلِكَ اخْتَصَّ اللَّهُ نَبِيَّهُ سُلَيْمَانَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِالفَهْمِ، مَعَ ثَنَائِهِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ دَاوُدَ بِالعِلْمِ وَالحُكْمِ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩].

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ لأَبِي مُوسَىٰ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي كِتَابِهِ إِلَيْهِ : «الفَهْمَ الفَهْمَ فِيمَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ»[4].

وَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: «أَوْ فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ»[5] .

---

(١) برقم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٢٠٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) يُنظر: «القصيدة الميمية» لابن قيم الجوزية، و«مدارج السالكين» (٣/ ٢٠١).

(٤) أخرجه الدارقطني (٤/ ٢٠٦)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٥٠)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٣٢/ ٧١).

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٤٧) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ ﷺ: **«كَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ أَعْلَمَنَا بِهِ»**[1] أي: بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَدَعَا النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ - لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنْ يُفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ، وَيُعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ[2]، وَتِلْكَ مَرْتَبَةٌ فَوقَ مَرْتَبَةِ العِلْمِ المُجَرَّدِ.

يَقُولُ الإِمَامُ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: **«صِحَّةُ الفَهْمِ وحُسْنُ القَصْدِ، مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَىٰ عَبْدِهِ، بَلْ مَا أُعْطِيَ عَبْدٌ عَطَاءً بَعْدَ الإِسْلَامِ أَفْضَلَ وَلَا أَجَلَّ مِنْهُمَا، بَلْ هُمَا سَاقَا الإِسْلَامِ، وَقِيَامُهُ عَلَيْهِمَا، وَبِهِمَا يَأْمَنُ العَبْدُ طَرِيقَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، الَّذِينَ فَسَدَ قَصْدُهُمْ، وَطَرِيقَ الضَّالِّينَ الَّذِينَ فَسَدَتْ فُهُومُهُمْ، وَيَصِيرُ مِنَ المُنْعَمِ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ حَسُنَتْ أَفْهَامُهُمْ وَقُصُودُهُمْ، وَهُمْ أَهْلُ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، الَّذِينَ أُمِرْنَا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَنَا صِرَاطَهُمْ فِي كُلِّ صَلَاةٍ.**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦) بدون (به) و(٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٦٦)، وابن حبان (١٥/ ٥٣١)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ١١٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦١٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٨٣) من حديث ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - وأخرج البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧) بعضه.

وَصِحَّةُ الفَهْمِ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّـهُ في قَلْبِ العَبْدِ، يُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالفَاسِدِ، وَالحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالهُدَىٰ وَالضَّلَالِ، وَالغَيِّ وَالرَّشَادِ».

ثُمَّ قَالَ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ ـ: «وَلَا يَتَمَكَّنُ المُفْتِي وَلَا الحَاكِمُ مِنَ الفَتْوَىٰ وَالحُكْمِ بِالحَقِّ إِلَّا بِنَوْعَيْنِ مِنَ الفَهْمِ:

أَحَدُهُمَا: فَهْمُ الوَاقِعِ وَالفِقْهُ فِيهِ.

وَالثَّانِي: فَهْمُ الوَاجِبِ في الوَاقِعِ، وَهُوَ فَهْمُ حُكْمِ اللَّـهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ في هَذَا الوَاقِعِ، ثُمَّ يُطَبِّقُ أَحَدَهُمَا عَلَىٰ الآخَرِ»، إِلَىٰ أَنْ قَالَ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ ـ: «وَمَنْ تَأَمَّلَ الشَّرِيعَةَ وَقَضَايَا الصَّحَابَةِ وَجَدَهَا طَافِحَةً بِهَذَا، وَمَنْ سَلَكَ غَيْرَ هَذَا، أَضَاعَ عَلَىٰ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ، وَنَسَبَهُ إِلَىٰ الشَّرِيعَةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّـهُ بِهَا رَسُولَهُ ﷺ»(١). انْتَهَىٰ كَلَامُهُ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: المُسْتَقْرِئُ لِحَوَادِثِ التَّأْرِيخِ، يَجِدُ أَنَّ ارْتِكَاسَ(٢) المَفَاهِيمِ وَرَاءَ كُلِّ مِحْنَةٍ بُلِيَتْ بِهَا هَذِهِ الأُمَّةُ، بَلِ البَشَرِيَّةُ قَاطِبَةً، وَهَلْ أُبْلِسَ إِبْلِيسُ وَقُتِلَ هَابِيلُ، وَافْتَرَقَ أَهْلُ الكِتَابِ، وَافْتَرَقَتْ هَذِهِ الأُمَّةُ،

---

(١) يُنظر: «إعلام الموقعين» (١/ ٨٧ ـ ٨٨).

(٢) الارتكاس مصدر ارْتَكَسَ، أي: الارتداد، والانتكاس. ينظر: «اللسان» (ركس).

وَأُرِيقَتْ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَعْدَاؤُهم إِلَّا بِسَبَبِهَا؟!

وَهَلِ الَّذِينَ سَفَكُوا دَمَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَالحُسَيْنِ وَابْنِ الزُّبَيْرِ وَابْنِ جُبَيْرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِين ـ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَادَاتِ الأُمَّةِ إِلَّا بِذَلِكَ؟! وَمَا الَّذِينَ أُرِيقَتْ عَلَيْهِمُ الدِّمَاءُ فِي فِتْنَةِ أَبِي مُسْلِمٍ! وَهَلِ الَّذِينَ جَرَّدُوا الإِمَامَ أَحْمَدَ بَيْنَ العَقَابَيْنِ[1]، وَضُرِبَ بِالسِّيَاطِ، حَتَّىٰ عَجَّتِ الخَلِيقَةُ إِلَىٰ رَبِّهَا، وَخَلَّدُوا خَلْقًا فِي السُّجُونِ، وَسَلَّطُوا سُيُوفَ التَّتَارِ عَلَىٰ دِيَارِ الإِسْلَامِ، وَمَهَّدُوا لِطَوَائِفِ الإِلحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ، وَالنِّفَاقِ وَالخَوَارِجِ، وَالفِرَقِ الضَّالَّةِ، إِلَّا بِسَبَبِ سُوءِ الفَهْمِ؟!

وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَّرُوا فِي فَهْمِهَا فَأُتُوا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي العِرْفَانِ[2]

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبَارِحَة! فَهَا هِيَ الصِّرَاعَاتُ العَالَمِيَّةُ، وَالتَّحَدِّيَاتُ الدُّوَلِيَّةُ، تَنْطَلِقُ مِنْ سُقْمِ المَفَاهِيمِ.

وَهَلْ عَوَاصِفُ الغَزْوِ الفِكْرِيِّ وَالعَقَدِيِّ وَالأَخْلَاقِيِّ وَالإِعْلَامِيِّ المُعَاصِرِ، إِلَّا حَرْبُ مَفَاهِيمَ؟!

وَهَلْ فَرْضُ أَنْمَاطٍ ثَقَافِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ، وَإِمْلَاءُ اتِّجَاهَاتٍ إِصْلَاحِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ

---

(١) العَقَابَان: خشبتان يُقام الرجلُ بينهما للجلد. يُنظر: «اللسان» (عقب).

(٢) ينظر: «القصيدة النونية» بشرح ابن عيسى (٢/ ٦٢).

بِاسْمِ العَوْلَمَةِ، وَالانْفِتَاحِ وَالحُرِّيَّةِ، إِلَّا مَعْرَكَةُ مَفَاهِيمَ؟!

وَهَلْ كَيْلُ التُّهَمِ إِلَىٰ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِدَعْوَىٰ الإِرْهَابِ، وَعَدَمُ مُرَاعَاةِ حُقُوقِ الإِنْسَانِ، وَمُصَادَرَةُ الحُرِّيَّاتِ، وَإِقْصَاءُ مَنَاهِجِ الحَقِّ وَالعَدْلِ وَالسَّلَامِ، وَالنَّيْلُ مِنَ القِيَمِ وَالمُثُلِ النَّبِيلَةِ، وَالكَيْلُ فِي القَضَايَا الإِسْلَامِيَّةِ بِمِكْيَالَيْنِ، إِلَّا صِرَاعُ مَفَاهِيمَ؟!

وَإِنْ تَعْجَبُوا - **يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ** - فَعَجَبٌ تَحْوِيلُ المَفَاهِيمِ الخَاطِئَةِ - بِفِعْلِ الإِعْلَامِ المُوَجَّهِ المُضَادِّ - إِلَىٰ حَقَائِقَ مُسَلَّمَةٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ المُتَلَقِّينَ!! فَمَفْهُومُ الإِرْهَابِ - مَثَلًا - لَا يَكُونُ مُحَارَبًا إِلَّا إِذَا كَانَ خَطَأً مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الإِسْلَامِ، لَكِنَّ سَحْقَ المُقَدَّرَاتِ، وَالعَبَثَ بِالمُقَدَّسَاتِ، بِحَرْبِ المَجَازِرِ وَالمُجَنْزَرَاتِ، وَالقَنَابِلِ الذَّكِيَّاتِ، مِنَ العَدُوِّ الصُّهْيُونِيِّ الغَاشِمِ ضِدَّ إِخْوَانِنَا فِي فَلَسْطِينَ، لَا يُعَدُّ ذَلِكَ إِرْهَابًا بِإِفْكِهِمْ، بَيْنَمَا الدِّفَاعُ عَنْ الحُقُوقِ المَشْرُوعَةِ فِي الأَرْضِ، وَالحِفَاظُ عَلَىٰ الدِّينِ وَالعِرْضِ، يُعَدُّ إِرْهَابًا بِزَعْمِهِمْ!! فَلَيْسَ بَعْدَ هَذَا تَلَاعُبٌ بِالمَفَاهِيمِ!

وَإِذَا كَانَ هَذَا غَيْرَ مُسْتَغْرَبٍ مَعَ الخَصْمِ، فِي عَصْرٍ بَحَّتْ فِيهِ بَعْضُ حَنَاجِرِ المُنْهَزِمِينَ فِكْرِيًّا مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا، أَمَامَ مَا يُسَمَّىٰ بِـ«الآخَرِ»، فَإِنَّ صُدُورَ آثَارِ المَفَاهِيمِ فِي الاخْتِلَافِ بَيْنَ أَهْلِ الإِسْلَامِ، وَتَحْوِيلَهَا إِلَىٰ صِرَاعَاتٍ دَمَوِيَّةٍ لَأَمْرٌ يَبْعَثُ عَلَىٰ الغَرَابَةِ!

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: وَلَعَلَّ أَخْطَرَ حُرُوبِ المَفَاهِيمِ الَّتِي بُلِيَتْ بِهَا الأُمَّةُ، المَفَاهِيمُ العَقَدِيَّةُ فِي تَحْقِيقِ مَعْنَىٰ الشَّهَادَتَيْنِ، وَتَوْحِيدِ العِبَادَةِ، وَالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَالقَضَاءِ وَالقَدَرِ، وَالوَلَاءِ وَالبَرَاءِ، وَالشِّرْكِ، وَالتَّوَسُّلِ، وَالتَّبَرُّكِ، وَالشَّفَاعَةِ، وَالوَلَايَةِ، وَالجَمَاعَةِ، وَالتَّكْفِيرِ، وَالغُلُوِّ، وَالمَحَبَّةِ، وَالخَصَائِصِ النَّبَوِيَّةِ، وَالمَوْقِفِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمَا يَكُونُ فِي اليَوْمِ الآخِرِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

كَمَا أَنَّ مَفَاهِيمَ العِبَادَاتِ وَالمُعَامَلَاتِ، وَالعُقُودِ وَالقَضَاءِ، وَتَمْيِيزِ الأَحْكَامِ، وَالنَّظْرَةِ إِلَىٰ الإِنْسَانِ وَالكَوْنِ وَالحَيَاةِ، وَعِمَارَةِ الأَرْضِ، إِضَافَةً إِلَىٰ مَفَاهِيمِ الدَّعْوَةِ وَالحِسْبَةِ وَالجِهَادِ، وَقَضَايَا الفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ وَالحُرِّيَّةِ، وَقَضَايَا الشَّبَابِ وَالمَرْأَةِ وَالحِجَابِ، وَالحِوَارِ وَالإِصْلَاحِ، وَالنَّوَازِلِ وَالمُسْتَجَدَّاتِ المُعَاصِرَةِ، كُلُّ هَذِهِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَأْصِيلٍ شَرْعِيٍّ لِلمَفَاهِيمِ الصَّحِيحَةِ، وَفِقْهٍ وَاقِعِيٍّ يُعْنَىٰ بِمَا يُسَمِّيهِ أَهْلُ العِلْمِ -كَالشَّاطِبِيِّ وَغَيْرِهِ- فِقْهَ المَآلَاتِ[1]، وَكَذَا فِقْهُ الأَوْلَوِيَّاتِ[2]، وَفِقْهُ

---

(١) يُنظر: مقدمة «الموافقات» للشاطبي.

(٢) فقه الأولويات، أي: وضع كل شيء في مرتبته، فلا يُؤخر ما حقه التقديم، ولا يُقدم ما حقه التأخير. يُنظر: «فقه الأولويات» لمحمد الوكيلي (ص١٥).

المَرْحَلَةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا الأُمَّةُ مِنْ حَيْثُ القُوَّةُ وَالضَّعفُ(١)، كَمَا نَصَّ عَلَىٰ ذَلِكَ شَيْخُ الإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ فِي عِنَايَةٍ بِالنُّصُوصِ، وَضَبْطٍ لِلاسْتِدْلَالِ، وَصِحَّةٍ فِي الاسْتِنْبَاطِ، وَحُسْنِ تَوْظِيفٍ لِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ وَقَوَاعِدِ الفِقْهِ فِيهَا(٢).

إِنَّهَا دَعْوَةٌ صَادِقَةٌ لِتَصْحِيحِ المَفَاهِيمِ الخَاطِئَةِ عَنْ دِينِنَا وَشَرِيعَتِنَا، تَبْدَأُ أَوَّلًا مِنْ أَنْفُسِنَا نَحْنُ ـ أَهْلَ الإِسْلامِ ـ وَإِخْوانِنَا، فِي تَصْحِيحِ عَقِيدَتِنَا وَتَصَوُّرَاتِنَا وَمَفَاهِيمِنَا، ثُمَّ مَعَ غَيْرِنَا، فِي تَصْحِيحِ صُورَةِ الإِسْلَامِ المُشَوَّهَةِ ـ مَعَ شَدِيدِ الأَسَفِ ـ لَدَىٰ كَثِيرٍ مِنْ شُعُوبِ العَالَمِ.

لابُدَّ مِنْ تَصْحِيحِ مَنْهَجِ التَّلَقِّي فِي الفَهْمِ لِهَذَا الدِّينِ القَوِيمِ، الَّذِي أَصَابَهُ خَلَلٌ ذَرِيعٌ عِنْدَ فِئَامٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ اخْتَلَطَتْ عِنْدَهُمُ

---

(١) وهو ما يُعرف بفقه الموازنات، أي: الموازنة بين المصالح والمصالح، والمفاسد والمفاسد، والمفاسد والمصالح. يُنظر: مقدمة «الموافقات» للشاطبي.

(٢) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «ولهذا لايَجُوزُ إِنْكَار المُنكَرِ بما هو أنكر منه». يُنظر: «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٤٧٢).

ويقول الإمام ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «فإن الشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا وَأَسَاسُهَا على الحِكَمِ وَمَصَالِحِ العِبَادِ في المَعَاشِ وَالمَعَادِ، وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَمَصَالِحُ كُلُّهَا، وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا». يُنظر: «إعلام الموقعين» (٣/ ٣).

الأَفْهَامُ؟ وَدَاخَلَهَا الخَلْطُ وَاللَّبْسُ وَالإِيهَامُ، وَعُزِلَتْ عَنْ نُورِ الوَحْيِ، وَمِشْكَاةِ سُنَّةِ سَيِّدِ الأَنَامِ، وَكَرَعَتْ[1] مِنْ آسِنِ الضَّلَالَاتِ وَالأَوْهَامِ، وَخَيَّمَ عَلَيْهَا فُسْطَاطُ الأَبَاطِيلِ وَالإِظْلَامِ، حَتَّىٰ تَوَارَتْ المَفَاهِيمُ الصَّحِيحَةُ فِي أَنْفَاقٍ مُظْلِمَةٍ مِنَ المَفَاهِيمِ الغَرِيبَةِ، وَغَرِقَتْ كَثِيرٌ مِنْ أَشْرِعَةِ المَنَاهِجِ السَّلِيمَةِ فِي بِحَارٍ وَمُسْتَنْقَعَاتِ المَنَاهِجِ السَّقِيمَةِ، مِمَّا يَتَطَلَّبُ مِنْ رُبَّانِ سَفِينَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ ـ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالعَقْلِ وَالدَّعْوَةِ وَالإِصْلَاحِ ـ العَمَلَ بِجِدٍّ فِي إِصْلَاحِ المَفَاهِيمِ، وَرَبْطِ الأُمَّةِ بِمَفَاهِيمِ خَيْرِ القُرُونِ، عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ.

يَقُولُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ: «**وَآرَاؤُهُمْ لَنَا ـ يَعْنِي: الصَّحَابَةَ ــ رَضِي اللهُ عَنْهُم ـ أَحْمَدُ، وَأَوْلَىٰ لَنَا، مِنْ آرَائِنَا عِنْدَنَا لِأَنْفُسِنَا**»[2].

وَيَقُولُ الإِمَامُ أَحْمَدُ ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ: «**حُبُّهُمْ ـ أَي: الصَّحَابَةُ رَضِي اللهُ عَنْهُم ـ سُنَّةٌ، وَالدُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ، وَالاقْتِدَاءُ بِهِمْ وَسِيلَةٌ، وَالأَخْذُ بِآثَارِهِمْ فَضِيلَةٌ**»[3].

(١) سبق بيان معناها (ص٢٣٢).

(٢) يُنظر: «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص١١٠).

(٣) يُنظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠)، ونُقل عن ابن مسعود في «العقيدة» (١/ ٨١).

وَيَقُولُ الإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ : «**يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ نَاظِرٍ فِي الدَّلِيلِ الشَّرْعِيِّ مُرَاعَاةُ مَا فَهِمَ مِنْهُ الأَوَّلُونَ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي العَمَلِ بِهِ، فَهُوَ أَحْرَىٰ بِالصَّوَابِ، وَأَقْوَمُ فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ**»[1] .

وَلَئِنْ طَالَبَ كُلٌّ بِتَصْحِيحِ مَفَاهِيمِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ الفَيْصَلَ فِي ذَلِكَ، فَهْمُ السَّلَفِ الصَّالِحِ ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ـ وَاللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشُّورَىٰ: ١٠].

وَيَقُولُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء].

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ **عِبَادَ اللَّهِ** ـ وَتَمَسَّكُوا جَمِيعًا بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاتَّحِدُوا عَلَىٰ فَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ، تَسْعَدُوا وَتُفْلِحُوا فِي دُنْيَاكُم وَأُخْرَاكُم.

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالقُرْآنِ العَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ العَظِيمَ الجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ، وَلِسَائِرِ المُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا.

---

(١) يُنظر: «الموافقات» (٣/ ٧٧).

الخُطبةُ الثّانيةُ:

الحَمْدُ لِلَّهِ ذِي العِزَّةِ وَالاقْتِدَارِ، رَفَعَ شَأْنَ أَهْلِ العِلْمِ وَالحِكْمَةِ الأَخْيَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَدَ المُتَّقِينَ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ التُّقَاةِ الأَطْهَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَرْجُو الآخِرَةَ خَيْرَ الدَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

اتَّقُوا اللَّهَ ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ وَاسْلُكُوا مِنَ الحَقِّ كُلَّ دَرْبٍ رَشِيدٍ، وَمِنْ مَسَالِكِ النُّهَى كُلَّ صِرَاطٍ سَدِيدٍ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: وَحَتَّىٰ لَا تَخْتَلِطَ المَفَاهِيمُ، يَنْبَغِي تَشْخِيصُ الدَّاءِ، وَوَصْفُ الدَّوَاءِ.

فَمِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ اخْتِلَالِ المَفَاهِيمِ: الجَهْلُ، وَاتِّبَاعُ الهَوَىٰ، وَالتَّعَصُّبُ، وَالتَّحَزُّبُ المَقِيتُ، وَإِيثَارُ الدُّنْيَا، وَطَلَبُ مَحْمَدَةِ الخَلْقِ، وَضَعْفُ الإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، وَاللَّهْثُ وَرَاءَ حُبِّ الظُّهُورِ وَالشُّهْرَةِ.

كَمَا أَنَّ مِنْهَا تَرْكَ المُحْكَمَاتِ، وَاتِّبَاعَ المُتَشَابِهِ، وَتَصَيُّدَ الشَّوَاذِّ مِنَ المَسَائِلِ، وَتَقَفُّرَ(١) غَرِيبَ العِلْمِ.

---

(١) التَّقَفُّر: تَقَفَّرَ الأثَر، وقَفَرَهُ: إذا تَتَبَّعَهُ واقْتَفَاه. يُنظر: «الصحاح» (قفر).

أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحَيهِمَا[1] عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللَّهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**» .

وَرَوَىٰ الدَّارِمِيُّ[2] وَاللَّالَكَائِيُّ[3] وَغَيْرُهُمَا[4] عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «**إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ القُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ**» .

وَهَاكَ ـ **يَا رَعَاكَ اللَّهُ** ـ سِلْسِلَتَهُمُ الذَّهَبِيَّةَ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ، وَالأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ، وَالأَوْزَاعِيِّ وَاللَّيْثِ وَالسُّفْيَانَيْنِ، وَأَئِمَّةِ الحَدِيثِ، وَشَيْخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ، وَإِمَامِ الدَّعْوَةِ الإِصْلَاحِيَّةِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا.

كَمَا أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ اخْتِلَالِ المَفَاهِيمِ وَفَجَاجَتِهَا، عَدَمَ الرُّجُوعِ إِلَىٰ أَهْلِ العِلْمِ المُعْتَبَرِينَ، يَقُولُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء:٨٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) في «سننه» (١/ ٦٢).

(٣) أخرجه اللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٢٣).

(٤) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٤١٩).

وَحَدَاثَةُ السِّنِّ مَظِنَّةُ سُوءِ الفَهْمِ فِي الغَالِبِ، وَحَدِّثْ وَلَا حَرَجَ عَنِ التَّأْوِيلَاتِ الفَاسِدَةِ.

وَاليَوْمَ فِي عَصْرِ الإِعْلَامِ وَالفَضَائِيَّاتِ، وَثَوْرَةِ الثَّقَافَاتِ وَالمَعْلُومَاتِ، تَوَلَّتْ فَضَائِيَّاتٌ تَدَّعِي الحُرِّيَّةَ وَالِاسْتِقْلَالَ؛ تَغْشِيَةَ الفِطَرِ السَّلِيمَةِ، وَالتَّشْكِيكَ فِي المَفَاهِيمِ الصَّحِيحَةِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ، وَالطَّعْنَ فِي رُمُوزِهَا، وَالتَّلَاسُنَ الكَلَامِيَّ، وَالتَّرَاشُقَ الإِعْلَامِيَّ، وَالتَّنَقُّصَ لِثَوَابِتِ الأُمَّةِ وَمُسَلَّمَاتِهَا، وَالتَّعَرُّضَ بِالنَّقْدِ وَالثَّلْبِ[1] وَالمُحَاكَمَةَ لِفُضَلَائِهَا وَعُظَمَائِهَا - وَلِكُلِّ قَوْمٍ وَارِثٌ - مِمَّا يُثِيرُ البَلْبَلَةَ، وَيُشَكِّكُ فِي المُسَلَّمَاتِ، وَيَنْشُرُ الفَوْضَىٰ الفِكْرِيَّةَ، وَيَهْدِمُ البُنَىٰ الصَّحِيحَةَ لِفِكْرِ الأُمَّةِ وَمَوْرُوثِهَا الحَضَارِيِّ.

أَمَّا العِلَاجُ - **يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ** - فَيَكْمُنُ فِي حُسْنِ القَصْدِ، وَالتَّحَرِّي الحَقِّ، وَتَقْوَىٰ الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ - وَالوُقُوفِ حَيْثُ وَقَفَ الأَسْلَافُ، «**فَإِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا**»[2]، وَإِلَّا فَفِتَنُ المَفَاهِيمِ بَحْرٌ سَحِيقٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، فَكَمْ مِنْ فَاتِنٍ فِيهَا بِعِلْمٍ، وَمَفْتُونٍ عَنْهَا بِتَقْلِيدٍ، وَقَدْ جَمَعَ هَذَا الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ كَثِيرًا مِنْ صُوَرِ المَفَاهِيمِ الخَاطِئَةِ، وَمَا

---

(١) سبق بيان معناها (ص٣٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦١٢) من قول عمر بن عبد العزيز - رحمه الله.

اجْتَمَعَتْ في عَصْرٍ كَاجْتِمَاعِهَا وَتَوَارُدِهَا في هَذَا الْعَصْرِ، حَتَّىٰ قَلَّ الفِقْهُ فِيهَا، وَعَظُمَتِ المُجَاهَدَةُ لَـهَا.

وَمَا ذَلِكُمْ إِلَّا لأَنَّ أَصْحَابَ المَفَاهِيمِ الخَاطِئَةِ يَرَوْنَ الصَّوَابَ حِكْرًا عَلَىٰ أَنْفُسِهِم: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [فاطر:٨]. وَكَمْ وَصَفُوا أَهْلَ المَفَاهِيمِ الصَّحِيحَةِ، وَالحُجُورِ[١] الحَصِيفَةِ، بِالأَوْصَافِ الشَّنِيعَةِ! فَرَمَوْهُمْ بِالمُجَسِّمَةِ[٢] وَالحَشْوِيَّةِ[٣] وَالوَهَّابِيَّةِ[٤] بِأُخْرَةٍ، وَكَمْ عِيبَتِ الأَقْوَالُ الصَّحِيحَةُ

---

(١) الحُجُور: جمعُ حِجْر وهو العقل ؛ لأنه يحجر صاحبه. يُنظر: «اللسان» (حجر).

(٢) المُجَسِّمَةُ : الذين يشبهون الله - تعالى - بخلقه، فيجعلون له جسمًا. وقد أطلق أهل التعطيل هذا الوصف على أهل السنة؛ لأنهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه من الصفات. قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إنَّ لفظ الجِسْم والعَرَض والمتحيز ونحو ذلك ألفاظ اصطلاحية، وقد قَدَّمنا غير مرة أنَّ السَّلف والأئمة لم يتكلموا بذلك في حق الله، لا بنفي ولا بإثبات، بل بَدَّعوا أهل الكلام بذلك، وذَمُّوهم غاية الذَّمِّ». يُنظر: «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ١٠٠).

(٣) الحَشْوِيَّة : مصطلح ينبز به المعطلةُ أَهْلَ السُّنة (مثبتي الصفات)، وأول من نطق به هو عمرو بن عبيد المعتزلي، إذ قال: عبد اللَّـه بن عمر، حشوي. يُنظر: «بيان تلبيس الجهمية» (١/ ٢٤٤).

(٤) الوهَّابية: نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وهو مصطلح روَّج=

بِالأَفْهَامِ السَّقِيمَةِ. وَمَا عَلَىٰ المَرءِ إِلَّا نَحْتُ القَوَافِـي مِـنْ مَقَاطِعِهَـا، وَمَـا عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَفْهَمِ البَشَرُ!

حَتَّـىٰ خُيِّـلَ لِـبَعْضِ المُنْهَـزِمِينَ، أَنْ لَا امْتِطَـاءَ لِـصَهْوَةِ[1] التَّقَـدُّمِ وَالحَضَارَةِ إِلَّا بِالتَّمَرُّدِ عَلَىٰ الدِّينِ، وَالنَّيْلِ مِنْ قِيَمِهِ وَمَفَاهِيمِـهِ وَالمَسَاسِ بِثَوَابِتِهِ، وَالمُطَالَبَةِ بِإِخْضَاعِ مُسَلَّمَاتِهِ وَمُـحْكَمَاتِهِ لِلنَّظَـرِ وَالحِـوَارِ، فَظَـنَّ بَعْضُهُمْ الإِفْسَادَ إِصْلَاحًا: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة]، وَقَدْ قَالَ قَائِلُهُمْ عَنْ نَبِيِّ اللَّـهِ وَكَلِيمِـهِ، مُوسَىٰ - عَلَيْـهِ السَّلَامُ -: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [غافر].

فَمَهْلًا مَهْلًا أَيُّهَا المَفْتُونُونَ! وَرُوَيْدَكُمْ رُوَيْدَكُمْ أَيُّهَا المُنْهَزِمُونَ!

=له المتربِّصون بالدعوة السَّلفية؛ يَدَّعون أنها مذهبًا جديدًا، أو طريقة مبتدعة، يُلبِّسون على العوام والجهال بذلك. وما هي إلا امتداد وتجديد لما كان عليه سلف الأمة، فهي دعوة مُباركة لاقتفاء أثر السلف الصالح - رضوان الله عليهم - والسَّير على منوالهم.

(١) صهوة كل شيء أعلاه. ينظر: «اللسان» (صها).

وَعَلَىٰ رِسْلِكُمْ[1] أَيُّهَا الخَائِضُونَ فِي أُمُورِ الشَّرِيعَةِ، فَاعْطُوا القَوْسَ بَارِيهَا، وَحَنَانَيْكُمْ[2] أَيُّهَا المُخَالِفُونَ! فَهَا قَدْ بَرِحَ الخَفَاءُ، وَتَبَيَّنَ الحَقُّ وَانْجَلَىٰ، وَظَهَرَ الحَقُّ وَاعْتَلَىٰ، وَوُضِعَتِ المَفَاهِيمُ فِي صَحِيحِ مَجَارِيهَا، وَحَادَ السَّالِكُ عَنِ الشَّطَطِ فِي مَرَامِيهَا، وَلَمْ يَبْقَ لِمُعَانِدٍ مُسْتَمْسَكٌ، وَلَا لِمُجَادِلٍ مُسْتَعْصَمٌ.

وَلَنْ يُخْرِجَ الأُمَّةَ - مِنْ وَهْدَتِهَا وَيُنْقِذَهَا مِنْ جَدِيدِ صِرَاعَاتِهَا - إِلَّا عَوْدَتُهَا الجَادَّةُ لِتَصْحِيحِ مَفَاهِيمِهَا فِي أَنْفُسِهَا أَوَّلًا، ثُمَّ عِنْدَ غَيْرِهَا ثَانِيًا، مُسْتَثْمِرَةً وَسَائِلَ العَصْرِ وَتِقَانَتِهِ فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ، قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ دَاؤُهَا وَيَسْتَحِيلَ دَوَاؤُهَا. وَلَنْ يَكُونَ - بِإِذْنِ اللَّهِ - فِي المُقَابِلِ إِغْرَاقٌ فِي التَّشَاؤُمِ، يُوحِي بِاسْتِحَالَةِ القُدْرَةِ عَلَى مُوَاجَهَةِ هَذَا الإِعْصَارِ مِنَ التَّحَدِّيَاتِ.

وَلَنَا عِبْرَةٌ أَيُّ عِبْرَةٍ، تَتْبَعُهَا لَوْعَةٌ وَعَبْرَةٌ، فِي أَسَاطِينِ[3] المَفَاهِيمِ المَغْلُوطَةِ عَبْرَ التَّأْرِيخِ ، الَّذِينَ نَدِمُوا عَلَىٰ مَا قَدَّمُوا، وَاعْتَرَفُوا بِحَيْرَتِهِمْ وَاضْطِرَابِهِمْ، فَأَرْوَاحُهُم فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهِمْ، وَحَاصِلُ دُنْيَاهُمْ أَذَىٰ

(١) على رِسْلِكُمْ: أي اتئدوا ولا تعجلوا. يُنظر: «اللسان» (رسل).

(٢) حَنَانَيكُم: أي تحنَّنوا مرة بعد أخرى. يُنظر: «اللسان» (حنن).

(٣) سبق بيان معناها (ص١٨).

وَوَبَالٌ[1]، وَآخَرُ قَدْ طَافَ المَعَاهِدَ كُلَّهَا، وَسَيَّرَ طَرْفَهُ بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ، فَلَمْ يَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَىٰ ذَقَنٍ، أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ[2].

---

(١) كحال صاحب التفسير محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي، المعروف بالفخر الرازي، فقد كان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول: «من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز». وقد نظم في بيان فساد ما عليه أهل الكلام والتعطيل:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ العُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

يُنظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٧٣)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ٨١)، و«شرح الطحاوية» لابن أبي العز (ص٢٧٧).

(٢) وقد نظم في ذلك شعرًا، فقال:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ المَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلاَّ وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

وقد قيل: إن هذين البيتين لأبي بكر محمد بن باجه المعروف بابن الصانع، وقيل إنهما لابن سينا. انظر: «مقدمة الملل والنحل»، و«وفيات الأعيان» (٤/ ٢٧٤)، ونسبهما ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص٢٢٨) لأبي عبد الله الشهرستاني، وقد رد عليه الأمير الصنعاني قائلاً:

لَعَلَّكَ أَهْمَلْتَ الطَّوَافَ بِمَعْهَدِ الرَّ ... سُولِ وَمَنْ لَاقَاهُ مِنْ كُلِّ عَالِمِ
فَمَا حَارَ مَنْ يَهْدِي بِهَدْيِ مُحَمَّدٍ ... وَلَسْتَ تَرَاهُ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

انظر: حاشية «درء التعارض» (١/ ١٥٩)، وحاشية «منهاج السنة النبوية» (٥/ ٢٧٠).

فَيَا هَؤُلَاءِ وَيَا أُولئك، وَيحْكُمْ ! البِدَارَ البِدَارَ ! قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَىٰ سَيِّدِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَأَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الوَسَطِيَّةُ والاعتِدَالُ بينَ الانتحالِ والامتثالِ

الخُطبةُ الأُولَى:

الحَمْدُ لِلَّـهِ تَفَرَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالأُلُوهِيَّةِ كَمالًا، وَاخْتَصَّ بِالأَسْمَاءِ الحُسْنَىٰ وَالصِّفَاتِ العُلَىٰ جَلالًا، أَحْمَدُهُ ـ تَعالَىٰ ـ وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ سَوابِغِ نِعَمِهِ إِفْضالًا، وَجَزِيلِ عَطائِهِ نَوالًا، وَأَسْأَلُهُ المَزِيدَ مِنْ فَضْلِهِ دُعاءً وَابْتِهالًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرَ بِالتَّمَسُّكِ بِالإِسْلامِ وَسَطِيَّةً وَاعْتِدالًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنا مُحَمَّدًا عَبْدُاللَّـهِ وَرَسُولُهُ المَبْعُوثُ بِأَوْسَطِ شَرِيعَةٍ وَأَكْمَلِها خِلالًا، صَلَّىٰ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، أَكْرِمْ بِهِم صَحْبًا وَأَنْعِمْ بِهِم آلًا! وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسانٍ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا يَتْرَىٰ غُدُوًّا وَآصالًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ ـ **أَيُّهَا النَّاسُ** ـ وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللَّـهِ ـ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ ـ تَحَلَّوْا بِها أَقْوالًا وَأَفْعالًا، فَكَمْ أَوْرَثَتْ خَشْيَةً وَابْتِهالًا، وَتَوَّجَتْ جَمالًا، وَشَرَّفَتْ خِصالًا، وَوَقَتْ زَيْغًا وَضَلالًا، وَأَصْلَحَتْ حالًا وَمآلًا!!

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مِنَ الحَقائِقِ وَالمُسَلَّماتِ، لَدَىٰ ذَوِي البَصائِرِ

وَالحِجَىٰ: أَنَّهُ بِقَدْرِ تمَسُّكِ الأُمَمِ بِمُمَيِّزَاتِهَا الحَضَارِيَّةِ، وَالْتِزَامِ الشُّعُوبِ بِثَوَابِتِهَا وَخَصَائِصِهَا القِيَمِيَّةِ، بِقَدرِ مَا تُحقِّقُ الأَمجَادَ التَّارِيخِيَّةَ، وَالعَطَاءَاتِ الإِنْسَانِيَّةَ.

وَلَئِنْ بَرَزَتْ في عَالَمِنَا المُعَاصِرِ صُوَرٌ وَظَوَاهِرُ مِنَ الانْحِرَافَاتِ، تُهَدِّدُ الأَمْنَ الدَّوْلِيَّ، وَتُعَرِّضُ السَّلامَ العَالَمِيَّ لِلخَطَرِ وَعَدَمِ الاسْتِقْرَارِ، فَإِنَّ مَرَدَّ ذَلِكَ إِلَىٰ التَّفْرِيطِ بِالمَبَادِئِ الحَضَارِيَّةِ، وَالتَّهَاوُنِ بِالمُثُلِ وَالقِيَمِ الإِنْسَانِيَّةِ.

وَمَنْ يُجِيلُ النَّظَرَ في جَوَانِبِ عَظَمَةِ هَذَا الدِّينِ ـ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّه بِهِ، وَهَدَانَا إِلَيْهِ ـ يَجِدُ أَنَّ هُنَاكَ سِمَةً بَارِزَةً، وَمِيْزَةً ظَاهِرَةً، كَانَتْ سَبَبًا في تَبَوُّءِ هَذِهِ الأُمَّةِ مَكَانَتَهَا المَرْمُوقَةَ بَيْنَ الأُمَمِ، وَمَنْحِهَا مُؤَهِّلاتِ القِيَادَةِ وَالرِّيَادَةِ لِلبَشَرِيَّةِ، وَمُقَوِّمَاتِ الشَّهَادَةِ عَلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً!!

لَعَلَّكُمْ ـ يَا رَعَاكُمُ اللَّه ـ أَدْرَكْتُمْ مَا هَذِهِ المِيْزَةُ الحضارِيَّة ؟ إِنَّهَا سِمَةُ «الاعْتِدَالِ وَالوَسَطِيَّةِ»، الَّتي تُجَلِّي صُوَرَ سَمَاحَةِ الإِسْلامِ، وَتُبْرِزُ مَحَاسِنَ هَذَا الدِّينِ، وَرِعَايَتِهِ لِلمُثُلِ الأَخْلاقِيَّةِ العُلْيَا، وَالقِيَمِ الإِنْسَانِيَّةِ الكُبرَىٰ؛ يَقُولُ الحَقُّ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

وَلَـمَّا كَانَ مِنَ الضَّرُورَةِ بِمَكَانٍ، تَحْدِيدُ هَذَا المُصْطَلحِ وَتَفْسِيرُهُ عَلَىٰ

ضَوْءِ المَصَادِرِ الشَّرْعِيَّةِ؛ مَنْعًا للخَلْطِ في المَفَاهِيمِ، وَاللَّبْسِ في التَّصَوُّرِ، وَحَتَّىٰ نَقِفَ عَلَىٰ حَقِيقَةِ الوَسَطِيَّةِ وَمجَالاتِهَا؛ لِتَظْهَرَ الصُّورَةُ المُشْرِقَةُ لِسَمَاحَةِ هَذَا الدِّينِ، في الوَقْتِ الَّذِي اشْتَدَّتْ فِيهِ الحَمْلَةُ عَلَىٰ الإِسْلامِ، وَرُمِيَ أَتْبَاعُهُ بِمُصْطَلَحَاتٍ مُوهِمَةٍ، وَأَلْفَاظٍ مُغْرِضَةٍ؛ لِتَشْوِيهِ صُورَتِهِ وَالتَّنفِيرِ مِنْهُ؛ تَصَيُّدًا لأَخْطَاءِ بَعْضِ المُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِ، في زَمَنٍ قُلِبَتْ فِيهِ الحَقَائِقُ، وَنُكِسَتْ فِيهِ المَقَايِيسُ، وَبُلِيَ بَعْضُ أَهْلِ الإِسْلامِ بِمُجَانَبَةِ هَذَا المَنْهَجِ الوَضَّاءِ؛ فَعَاشُوا حَيَاةَ الإِفْرَاطِ أَوالتَّفْرِيطِ، وَسَلَكُوا مَسْلَكَ الغُلُوِّ أَوْ الجَفَاءِ؛ **«وَدِينُ اللَّهِ: وَسَطٌ بَيْنَ الغَالِي فِيهِ وَالجَافِي عَنْهُ»**[1]. وَ**«المُنْبَتُّ**[2] **لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَىٰ»**[3].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَلَقَدْ عُنِيَ عُلَمَاءُ الإِسْلَامِ بِبَيَانِ حَقِيقَةِ الوَسَطِيَّةِ ـ الوَارِدَةِ في آيَةِ سُورَةِ البَقَرَةِ[4] ـ وَهِيَ لا تَخْرُجُ عَنْ مَعْنَيَيْنِ مَشْهُورَيْنِ يُؤَدِّيَانِ مَعْنًى وَاحِدًا، أَوْرَدَهُمَا الحَافِظَانِ ابنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ كَثِيرٍ

---

(١) أخرجه الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١١٤٢) من قول الخطيب البغدادي.

(٢) المُنْبَتُّ: الذي عطب مركوبه من شدة السير. يُنظر: «اللسان» (بتت).

(٣) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (١/ ٥٧) رقم (٧٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) آية رقم (١٤٣).

رَحِمَهُمَا اللَّهُ[1]:

أَوَّلهما: ﴿ وَسَطًا ﴾ أَيْ: خِيَارًا عُدُولًا؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [القلم]، وَقَولُ الْقَائِلِ:

هُمُو وَسَطٌ يَرْضَىٰ الأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالي بِمُعْظَمِ[2]

وَالثَّاني: أَنَّهُم وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَي الإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ.

وَهَذَا في سِيَاقِ الامْتِنَانِ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ.

وَالوَسَطِيَّةُ - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - مَنْهَجُ سَلَفِ هَذِهِ الأُمَّةِ؛ يَقُولُ شَيْخُ الإِسْلامِ ابنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّه -: «**فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، بَلْ هُمْ وَسَطٌ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ**»[3].

وَيَقُولُ الإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ - رَحِمَهُ اللَّه -: «**إِنَّ الشَّرِيعَةَ جَارِيَةٌ فِي**

---

(١) يُنظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ١٩١).

(٢) هذا البيت منسوب لزهير بن أبي سلمى. في: «تفسير الطبري» (٢/ ٦)، و«تفسير القُرطبي» (٢/ ١٤٨)، ولم أقف عليه في ديوانه!

(٣) يُنظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٦٨).

التَّكْلِيفِ بِمُقْتَضَاهَا عَلَىٰ الطَّرِيقِ الوَسَطِ العَدْلِ، الآخِذِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ بِقِسْطٍ لا مَيْلَ فِيهِ؛ فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ كُلِّيَّةٍ شَرْعِيَّةٍ، فتأَمَّلْهَا تَجِدْهَا حَامِلَةً عَلَىٰ التَّوَسُّطِ وَالاعْتِدَالِ، وَرَأَيْتَ التَّوَسُّطَ فِيهَا لائِحًا، وَمَسْلَكَ الاعْتِدَالِ وَاضِحًا، وَهُوَ الأَصْلُ الَّذِي يُرْجَعُ إِلَيْهِ، وَالمَعْقِلُ الَّذِي يُلْجَأُ إِلَيْهِ»[1].

وَيَقُولُ الإِمَامُ العِزُّ بْنُ عَبْدِالسَّلامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وعلىٰ الجُمْلَةِ: فَالأَوْلَىٰ بِالمَرْءِ أَلَّا يَأْتِيَ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ إِلَّا بِمَا فِيهِ جَلْبُ مَصْلَحَةٍ، أَوْ دَرْءُ مَفْسَدَةٍ، مَعَ الاِعْتِقَادِ المُتَوَسِّطِ بَيْنَ الغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ»[2].

وَيَقُولُ الإِمَامُ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «مَا مِنْ أَمْرٍ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْغَتَانِ: إِمَّا إِلَىٰ غُلُوٍّ، وَإِمَّا إِلَىٰ تَقْصِيرٍ، وَالحَقُّ وَسَطٌ بَيْنَ ذَلِكَ»[3].

إِخْوَةَ العَقِيدَةِ: وَتَتَجَلَّىٰ وَسَطِيَّةُ الإِسْلَامِ فِي مَجَالَاتِهِ كلِّها:

فَفِي مَجَالِ الاعْتِقَادِ: جَاءَ الإِسْلامُ وَسَطًا بَيْنَ المِلَلِ؛ فَلَا إِلْحَادَ

---

(١) يُنظر: «الموافقات» (٢/ ١٦٣).

(٢) يُنظر: «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (٢/ ١٧٨).

(٣) يُنظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٤٩٦).

وَلَا وَثَنِيَّةَ، بَلْ عُبُودِيَّةٌ خَالِصَةٌ للَّـهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالأُلُوهِيَّةِ، **وَكَذَا فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ**: وَسَطٌ بَينَ أَهْلِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّعْطِيلِ، **وَفِي القَضَاءِ وَالقَدَرِ**: وَسَطٌ بَيْنَ نُفَاةِ القَدَرِ، وَالمُغَالِينَ فِيهِ القَائِلِينَ: إِنَّ العَبْدَ مَجْبُورٌ عَلَىٰ فِعْلِهِ، **وَفِي مَسْأَلَةِ الإِيمَانِ**: وَسَطٌ بَيْنَ مَنْ جَفَوْا فَأَخَّرُوا الأَعْمَالَ وَأَرجَؤُوهَا عَنْ مُسَمَّىٰ الإِيمَانِ، وَبَيْنَ مَنْ غَلَوْا فَأَخْرَجُوا مِنْ دَائِرَةِ الإِيمَانِ مَنْ عَمِلَ بَعْضَ المَعَاصِي.

وَيُلْحَقُ بِذَلِكَ: الحُكْمُ بِالتَّكْفِيرِ، فَأَهْلُ الحَقِّ لَا يُكَفِّرُونَ بِالذُّنُوبِ مَا لَمْ تُسْتَحَلَّ؛ كَمَا لَمْ يَجْعَلُوا المُذْنِبَ كَامِلَ الإِيمَانِ، بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ، فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ. **وَفِي بَابِ النُّبُوَّةِ وَالوَلَايَةِ وَالصَّحَابَةِ**: تَوَسُّطٌ، فَلَا غُلُوَّ فِيهِم، غُلُوَّ مَنِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ، وَلَا جَفَاءَ كَمَا جَفَتِ اليَهُودُ: فَفَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ، وَأَهْلُ الإِسْلَامِ الحَقِّ يَتَوَسَّطُونَ، فَيُؤْمِنُونَ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّـهِ - عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَكُتُبِهِ، وَيُحِبُّونَ أَوْلِيَاءَهُ، وَيَتَرَضَّوْنَ عَنْ صَحَابَتِهِ، رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

إِخْوَةَ الإِيمَانِ: وَثَمَّتَ مَجَالٌ آخَرُ تَتَأَلَّقُ فِيهِ وَسَطِيَّةُ هَذِهِ الأُمَّةِ، **فِي مَجَالِ العِبَادَةِ وَمُرَاعَاةِ مُقْتَضَيَاتِ الفِطْرَةِ**، وَالتَّنَاسُقِ البَدِيعِ بَيْنَ مُتَطَلَّبَاتِ الرُّوحِ وَالجَسَدِ، بِلَا غُلُوٍّ: فِي التَّجَرُّدِ الرُّوحِيِّ، وَلَا فِي

الإِرْتِكَاسِ المَادِّيِّ، فَلَا رَهْبَانِيَّةَ وَلَا مَادِّيَّةَ، بَلْ تَنَاسُقٌ وَاعْتِدَال عَلَىٰ حَدِّ قَولِهِ - سُبْحَانَهُ - : ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]، وَقَدْ رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ[١]، وَأَنْكَرَ عَلَىٰ مَنْ حَرَمَ نَفْسَهُ طَيِّبَاتِ الدُّنيا قَائِلًا: «**أَمَا إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي**»[٢].

وَعِنْدَ مُسْلِمٍ[٣] وَغَيْرِهِ[٤]: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**».

وَعِنْدَ البُخَارِيِّ[٥]: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ من الدُّلْجَةِ**».

---

(١) كما في حديث عائشة - رضي اللَّه عنها - وفيه: قال ﷺ: «**يا عُثْمانُ أَرَغْبَةً عَنْ سُنَّتي؟**»، فَقَالَ: لَا واللَّهِ يا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ، قال: «**فإني أَنَامُ وَأُصَلِّي، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ، فَاتَّقِ اللَّه يا عُثْمانُ**». أخرجه أحمد في «المسند»(٦/ ٢٦٨).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) برقم (٢٦٧٠) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٠٨)، وأحمد في «المسند»(١/ ٣٨٦) من حديث عبداللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) برقم (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَهكَذَا نَأَىٰ الإِسْلَامُ بِأَتْبَاعِهِ عَنِ الكَبَوَاتِ وَالنَّبَوَاتِ[1]، وَالهَزَّاتِ وَالهَفَوَاتِ، الَّتِي تُخِلُّ بِغَايَةِ الوُجُودِ الإِنْسَانِيِّ، وَتَضَيِّعُ حُقُوقَ الإِنْسَانِ، وَتُفَرِّطُ فِي تَحْقِيقِ التَّوَازُنِ بَيْنَ مُتَطَلَّبَاتِ رُوحِهِ وَجَسَدِهِ؛ حَيْثُ تَأَرْجَحَتْ كَثِيرٌ مِنَ النُّظُمِ المَادِّيَّةِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ فِي المَدَنِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، الَّتِي تَنْطَلِقُ مِنْ نَظَرَاتٍ وَمُقْتَضَيَاتٍ مَادِّيَّةٍ صِرْفَةٍ؛ حَتَّىٰ تَنَادَىٰ عُقَلاؤُهُمْ وَمُنْصِفُوهُمْ بِالحَاجَةِ إِلَىٰ دِينٍ يُحَقِّقُ التَّوَازُنَ بَيْنَ الرَّغَبَاتِ، وَالتَّنَاسُقَ بَيْنَ المُتَطَلَّبَاتِ، وَيَرْتَفِعُ بِالبَشَرِيَّةِ إِلَىٰ مُسْتَوَىٰ إِنْسَانِيَّتِهَا، وَتَحْقِيقِ قِيَمِهَا وَمُثُلِهَا، وَيَنْتَشِلُهَا مِمَّا تُعَانِي مِنْهُ: مِنْ بُؤْسٍ وَطُغْيَانٍ وَشَقَاءٍ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: وَمِنَ المَجَالاتِ المُهِمَّةِ، الَّتِي تَبْرُزُ فِيهَا وَسَطِيَّةُ هَذِهِ الأُمَّةِ: **مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّشْرِيعِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، وَمَنَاهِجِ النَّظَرِ وَالاسْتِدْلالِ**؛ فَتَوَسَّطَتِ الشَّرِيعَةُ فِي هَذِهِ المَجَالاتِ بَينَ اليَهُودِ الَّذِينَ حُرِّمَ عَلَيْهِمْ كَثِيرٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَبَيْنَ قَومٍ اسْتَحَلُّوا حَتَّىٰ المُحَرَّمَاتِ، إِذِ الحُكْمُ بِالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، حَقُّ اللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

---

(١) النَّبَوَاتُ: جمع نَبْوَةٍ، يُقال: نَبَا الشيء عنه، إذا تجافى وتباعد. يُنظر: «الصحاح» (نبو).

وَفي مَنْهجِ النَّظَرِ وَالاسْتِنْبَاطِ: وَازَنَ الإِسْلَامُ بَيْنَ مَصادِرِ التَّلَقِّي وَالمَعْرِفَةِ، وَوَافَقَ بَيْنَ صَحِيحِ المَنْقُولِ وَصَرِيحِ المَعْقُولِ، وَعَالَمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَإِعْمَالِ النُّصُوصِ وَرِعَايَةِ المَقَاصِدِ، وَاسْتِجْلاءِ القَوَاعِدِ وَحِكَمِ الشَّرِيعَةِ وَأَسْرَارِهَا، وَوَازَنَ بَيْنَ تَحْقِيقِ المَصَالِحِ وَدَرْءِ المَفَاسِدِ.

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ: وَفي مَجَالِ الأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ: مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الوَسَطِيَّةِ في هَذَا الدِّينِ، بَيْنَ الجُنُوحِ إِلَىٰ المِثَالِيَّةِ وَالوَاقِعِيَّةِ، تُزَكِّي المَشَاعِرَ، وَتُهَذِّبُ الضَّمَائِرَ، وَتَسْمُو بِالتَّفْكِيرِ وَالشُّعُورِ، وَتُوَازِنُ بَيْنَ مُتَطَلَّبَاتِ الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ، وَإِعْمَالِ العَقْلِ وَالعَاطِفَةِ ،في تَرْبِيَةٍ مُتَوَازِنَةٍ، وَتَنْسِيقٍ مُتَّسِقٍ بَدِيعٍ، عَلَىٰ ضَوْءِ المَنْهَجِ النَّبَوِيِّ : «**إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا؛ فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**»، خَرَّجَهُ البُخَارِيُّ(١)، وأَحْمَدُ(٢).

وَفي النِّظَامِ الاقْتِصَادِيِّ: وَازَنَ الإِسْلَامُ بَيْنَ حُرِّيَّةِ الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ؛ فَيَحْتَرِمُ المِلْكِيَّةَ الفَرْدِيَّةَ، وَيُقِرُّهَا وَيُهَذِّبُهَا ؛ بِحَيْثُ لا تَضُرُّ بِمَصْلَحَةِ المُجْتَمَعِ ؛ فَجَاءَ الإِسْلامُ وَسَطًا بَينَ (رَأسِمالِيَّةٍ)(٣) تُتْخِمُ الفَرْدَ

---

(١) برقم (١٩٦٨) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٢) في «المسند» (٦/ ٢٨٦) بنحوه، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها.

(٣) الرأسمالية: نظام اقتصادى ذو فلسفة اجتماعية وسياسية يقوم على أساس إشباع =

عَلَىٰ حِسَابِ الجَمَاعَةِ، وَ(اشْتِرَاكِيَّةٍ)[1] تُلْغِي حُقُوقَ الأَفْرَادِ وَتَمَلُّكَهُمْ بِحُجَّةِ: مَصْلَحَةِ الجَمَاعَةِ .

وَفِي مَجَالِ الإِنْفَاقِ: تَتَحَقَّقُ الوَسَطِيَّةُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾ [الفرقان].

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «هُوَ الحَسَنَةُ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ»[2]، وَالمُرَادُ: أَنَّ الإِسْرَافَ سَيِّئَةٌ، وَالتَّقْتِيرَ سيِّئَة، وَالحَسَنَةُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ ؛ فَخَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُهَا.

= حاجات الإنسان الضرورية والكمالية وتحكُّم أصحاب رؤوس الأموال في مقدَّرات الشعوب. يُنظر: «ويكيبديا ـ الموسوعة الحرة» (رأسمالية).

(١) الاشتراكية: هي نظام اجتماعي تُلغى فيه الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج، بحجة إزالة الفوارق بين الطبقات، فلا فرق فيها بين مجتهد وكسول، ومبدع وبليد، مخالفة بذلك المنهج الرباني المتمثل في قوله تعالى: ﴿ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ ﴾ [الزخرف:٣٢]. يُنظر: «ويكيبديا ـ الموسوعة الحرة» (اشتراكية).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٠٩).

وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ   كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمُ[1]

وَهَكَذَا فِي مَجَالِ الْحُرِّيَّةِ بَيْنَ الفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ؛ حُرِّيَةُ الرَّأْيِ وَالفِكْرِ وَالسُّلُوكِ وَغَيْرِهَا: جَعَلَ الإِسْلامُ ضَوابِطَ شَرْعِيَّةً لِهَذِهِ الْحُرِّيَّةِ؛ بِحَيْثُ تَكُونُ ضِمْنَ دَائِرَةِ الْمَشْرُوعِ، وَمُجَانَبَةِ الْمَمْنُوعِ.

أُمَّةُ الْوَسَطِيَّةِ: وَفِي النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ: جَاءَ الإِسْلَامُ مَنْهَجًا وَسَطًا بَيْنَ النُّظُمِ، مُبَيِّنًا حُقُوقَ الرَّاعِي وَالرَّعِيَّة، حَاضًّا عَلَىٰ الْعَدْلِ وَالقِسْطِ، مُعْلِيًا قِيَمَ الحَقِّ وَالأَمْنِ وَالسَّلامِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ بِالمَعْرُوفِ، مُتَرَسِّمًا المَنْهَجَ الشُّورِيَّ المُتَكَامِلَ، سَابِقًا شِعَارَاتِ (الدِّيمُقْرَاطِيَّاتِ)[2] المُعَاصِرَةِ، إِلَىٰ تَحْقِيقِ مَنَافِعِ البِلَادِ وَالعِبَادِ، فِي بُعْدٍ عَنِ الاضْطِرَابِ وَالفَوْضَىٰ، مُحَاذِرًا (الدِّكْتَاتورِيَّةَ)[3] فِي الحُكْمِ، والاسْتِبْدَادَ فِي الرَّأْيِ، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) البيت لأبي سليمان الخطابي، يُنظر: كتابه «العزلة» (ص٩٨).

(٢) سَبَقَ مَعْنَاها (ص٨١).

(٣) الدِّكْتَاتُورِيَّة: نِظام الحُكم الذي يُهَيْمِن عليه الدِّكتاتور، فيَتَّبِع فيه سِيَاسَة التَّسلُّط والتَّحكم بالدَّولة وبالأفْراد. ينظر: «معجم المصطلحات الفقهية والقانونية» (ص١٦٧).

وَمِمَّا يُجَلِّي وَسَطِيَّةَ الإِسْلَامِ: شُمُولُه وَجَمْعُهُ بَيْنَ الأَصَالَةِ وَالْمُعَاصَرَةِ، وَتَمَيُّزُهُ بِالثَّبَاتِ وَالْمُرُونَةِ، وَحُسْنِ التَّعَامُلِ مَعَ الْمُتَغَيِّرَاتِ، وَوَضْعِ الضَّوَابِطِ لِلاجتهَادِ فِي النَّوَازِلِ، وَاسْتِيعَابِ الْمُسْتَجِدَّاتِ؛ فَهُوَ بِثَوَابِتِهِ وَأُصُولِهِ يَسْتَعْصِي عَلَىٰ التَّمَيُّعِ وَالذَّوَبَانِ، وبِمُرُونَتِهِ يُوَاكِبُ التَّطَوُّرَ بِلَا جُمُودٍ وَلا تَحَجُّرٍ، بَلْ يَبْنِي الحَيَاةَ عَلَىٰ القَوَاعِدِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالنَّوَامِيسِ المَرْعِيَّةِ، الَّتِي تَسْتَجِيبُ لِحَاجَاتِ الأُمَّةِ فِي مُخْتَلَفِ الظُّرُوفِ وَالأَحْوَالِ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

وَبَعْدُ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - فَقُصَارَىٰ القَوْلِ: أَنَّ وَسَطِيَّةَ الإِسْلَامِ شَامِلَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّ أُمُورِ الدِّينِ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، بَلْ إِنَّهَا وَجْهٌ مِنْ وُجُوهِ الإِعْجَازِ فِيهِ وَصَلَاحِيَّتِهِ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَبِهَذِهِ الوَسَطِيَّةِ تَعْظُمُ مَسْؤُولِيَّةُ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَدَورُهَا العَالَمِيُّ، فَهِيَ أُمَّةُ الوَسَطِيَّةِ وَالشَّهَادَةِ: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، شَهَادَةً تُصَانُ فِيهَا الحُقُوقُ، وتَتَحَقَّقُ العَدَالَةُ، وتُحْفَظُ الكَرَامَةُ، وَتُبْنَىٰ الحَضَارَةُ المُعَاصِرَةُ، بَعْدَ أَنْ شَقِيَ العَالَمُ بِأَلْوَانٍ مِنَ الصِّرَاعَاتِ، وَأُنْهِكَتِ البَشَرِيَّةُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الصِّدَامَاتِ، وتَقَاذَفَتِ الإنسانية أَمْوَاجٌ مِنَ الأَنْظِمَةِ

وَالأَهْوَاءِ، وَمُزِّقَتْ كِيَانَاتُهَا فِي رِحْلَةٍ مُنهِكَةٍ مِنَ الضَّياعِ، وَهُوَّةٍ سَحِيقَةٍ من الفَنَاءِ، وبُؤْرَةٍ عَميقَةٍ مِنَ التِّيهِ والعَدَمِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَلْوَانٍ مِنَ الصَّلَفِ وَالتَّطَرُّفِ، وَالأُحَادِيَّةِ فِي الرَّأْيِ، وَالشَّطَطِ فِي الرُّؤَىٰ وَالمَواقِفِ.

وَلَئِنْ آلَ حَالُ العَالَمِ إِلَىٰ مَا نَرَاهُ اليَومَ مِنْ تَسَلُّطٍ وصِرَاعٍ حَضَارِيٍّ مُرْعِبٍ: فَإِنَّ الأَمَلَ - بَعْدَ اللَّهِ - فِي أُمَّةِ الوَسَطِيَّةِ وَالاعْتِدَالِ، أَنْ تَنْهَضَ مِنْ عَثْرَتِهَا، وتُفِيقَ مِنْ غَفْلَتِهَا، وتَجْمَعَ مِنْ شَتَاتِهَا، بَعْدَ أَنْ التَاعَتْ[1] طَوِيلًا، جَرَّاءَ جُنُوحِ بَعْضِ أَبْنَائِهَا وَالمَحْسُوبِين عَلَيْهَا عَنْ مَنْهَجِ الوَسَطِيَّةِ فِي مَجَالاتٍ عَقَدِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ، وسُلُوكِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ وَإِعْلَامِيَّةٍ، وَأَصْبَحَ بَعضُ أبنائِهَا يقْتَاتُ مِنْ فُتَاتِ مَوَائِدِ الغَرْبِ، فِي لَوْنٍ مِنْ أَلْوَانِ التَّطَرُّفِ الفِكْرِيِّ، يُقَابِلُهُ رُدُودُ أَفْعَالٍ مُخَالِفَةٍ فِي الرَّأْيِ، مُعَاكِسَةٍ فِي الاِتِّجَاهِ، فَلَرُبَّمَا سَلَكَتْ مَسْلَكَ التَّجَاوُزِ وَالشَّطَطِ، مَعَ تَضْخِيمٍ إِعلامِيٍّ مَفْضُوحٍ، حَتَّىٰ وُصِمَ الإِسْلامُ بِأَخْطَاءِ هَذَا، وَتَقْصِيرِ ذَاكَ.

وَمِنَ المُقَرَّرِ لَدَىٰ النَّصَفَةِ: أَنَّ خَطَأَ الفَرْدِ فِي تَطْبِيقِ نَظَامٍ مَا، لَيْسَ عَيبًا فِي النِّظَامِ نَفْسِهُ، فَأَيْنَ المِصْدَاقِيَّةُ وَالمَوضُوعِيَّةُ وَالوَاقِعِيَّةُ؟

---

(١) الْتَاعَت: احترقت، يُقال: قَلْبٌ مُلْتَاعٌ، أي: مُحْتَرِقٌ مِنْ شَوْقٍ أَوْ هَمٍّ. يُنظر: «اللسان» (لوع).

فَيَا مَنْ تَصِمُونَ الإِسْلامَ بِالتَّطَرُّفِ وَالإِرْهَابِ! هَذَا هُوَ الإِسْلامُ فِي وَسَطِيَّتِهِ وَسَمَاحَتِهِ، وَيُسْرِهِ وَاعْتِدَالِهِ، وَجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ.

فَأَيْنَ هَذَا مِنَ الحَمْلَاتِ المَسْعُورَةِ عَبْرَ وَسَائِل إِعْلَامِيَّةٍ مَأْجُورَةٍ، مِنَ التَّطَرُّفِ الصُّهْيُونِيِّ العَالَمِيِّ، الَّذِي يَبْرُزُ مِنْ خِلَالِ شَلَّالَاتِ الدَّمِ المُسْلِمِ المُتَدَفِّقِ عَلَىٰ ثَرَىٰ فِلَسْطِينَ المُجَاهِدَةِ؟!

وَأَيْنَ هَذَا مِنَ التَّطَرُّفِ الهُنْدُوسِيِّ الوَثَنِيِّ عَلَىٰ رُبَىٰ كَشْمِيرَ الصَّامِدَةِ؟!

وَأَيْنَ هُوَ مِنَ التَّطَرُّفِ الإِلْحَادِيِّ عَلَىٰ أَرْضِ كُوسُوفَا وَالشِيشَانَ المُسلِمَةِ؟!

وَأَيْنَ هَذا مِنَ المُتلاعِبِينَ بِالمُصْطَلَحَاتِ، الذِينَ أَصْبَحَ عِنْدَهُمُ المُتَطَرِّفُ ـ فِي قَتْلِ المُسْلِمِينَ وَظُلْمِهِمْ وإِرْهَابِهِمْ ـ: رَجُلَ أَمْنٍ وَسَلامٍ، وَالمَظْلُومُونَ المُطَالِبُونَ بِحُقُوقِهِمُ الشَّرْعِيَّةِ، المُقَاوِمُونَ لِلاحْتِلالِ ضِدَّ عَقِيدَتِهِم وَبِلادِهِم: إِرْهَابِيِّينَ مُتَطَرِّفِينَ، فِي شِنْشِنَةٍ[1] مَعْرُوفَةٍ مِنْ أَخْزَم[2]؟! فَاللَّهُ المُسْتَعَانُ!

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٠٠).

(٢) سبق بيان معناها (ص١٠٠).

أَلا مَا أَحْوجَ الأُمَّةَ إلىٰ سُلُوكِ مَنْهَجِ الوَسَطِيَّةِ، في عِلَاجِ كَثِيرٍ مِنَ الإنحرَافَاتِ في شَتَّىٰ المَجَالاتِ، وَهَذَا كُلُّه يُلْقِي علىٰ كَوَاهِلِ عُلَماءِ الشَّرِيعَةِ، وَدُعَاةِ الإِصْلاحِ في الأُمَّةِ، المَسْؤوليَّةَ الكُبرَىٰ أمَامَ الله، ثُمَّ أَمَامَ الأُمَّةِ وَالأَجْيَالِ الَّتي تَنْشُدُ سَبِيلَ الخَلَاصِ مِنْ إفْرَازَاتٍ تُجَاوِزُ مَنْهَجَ الوَسَطِيَّةِ المُتَأَلِّقَ. وكَانَ اللَّه في عَوْنِ العَامِلِينَ المُخْلِصِينَ لِدِينِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ!!

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

نَفَعَني اللَّه وَإِيَّاكُم بِالقُرْآنِ العَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِينَ، أَقُولُ مَا سَلَفَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّه العَظِيمَ الجَلِيلَ لي وَلَكُمْ وللمُسْلمينَ كَافَّةً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ ؛ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا.

الخُطبةُ الثانيةُ:

الحَمْدُ لِلَّـهِ، مَنَّ عَلَيْنَا فَجَعَلَنَا أُمَّةً وَسَطًا، أَحْمَدُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ جَلَّ أَنْ يَقُولَ سَقَطًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، تَقَدَّسَ أَنْ يَقْضِيَ لَغَطًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُاللَّـهِ وَرَسُولُهُ، الْمُنْزَلُ عَلَيْهِ قَوْلُ رَبِّهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨﴾ [الكهف]، صَلَّىٰ اللَّه وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَلَكُوا مَنْهَجًا وَسَطًا، فَلَا تَجَاوُزَ وَلَا شَطَطًا، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَحَثَّ فِي نُصْرَةِ الدِّين فَخَطا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّـهَ ـ عِبَادَ اللَّـهِ ـ وَتَحَلَّوا بِالْمَنْهَجِ الْوَسَطِ كَمَا شَرَعَ اللَّـهُ، وَاسْتَقِيمُوا عَلَىٰ الْوَسَطِيَّةِ كَمَا سَنَّ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ، وَسَارَ عَلَىٰ ذَلِكَ سَلَفُكُمْ الصَّالِحُ عَلَيْهِمْ رِضْوَانُ اللَّـهُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّـهِ: وَلَمْ تَقِفْ وَسَطِيَّةُ الإِسْلَامِ عَلَىٰ أُمُورِ العِبَادَاتِ: مِنْ طَهَارَةٍ وَصَلَاةٍ، وَنَحوِهَا فَحَسْبُ، بَلْ تَعَدَّتْهَا إِلَىٰ العَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ، وَاللِّبَاسِ وَالطَّعَامِ وَالنَّومِ وَغيرِهَا، فِي تَنْظِيمٍ شَامِلٍ لِشَتَّىٰ مَنَاحِي الحَيَاةِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ: وَثَمَّتَ مَجَالٌ آخَرُ بَرَزَتْ فِيهِ وَسَطِيَّةُ هَذِهِ الأُمَّةِ في جَانِبٍ مِنْ أَهَمِّ جَوانِبِهَا، أَلَا وَهُوَ الجَانِبُ المُتعَلِّقُ بِالمَرْأَةِ، فَجَاءَتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ الغَرَّاءُ وَالمَرْأَةُ مَظْلُومَةٌ بَيْنَ جَاهِلِيَّتَيْنِ، فكَرَّمَتهَا، وَحَفِظَتْ حُقُوقَها، وَسَمَتْ بِهَا أَنْ تَكُونَ أَجِيرَةً، وَصَانَتْهَا مِنَ الوُقُوعِ في مُسْتَنقعَاتِ الرَّذِيلَةِ، وَكَفَلَتْ لَهَا حُرِّيَّتَهَا الشَّرْعِيَّةَ، وَنَأَتْ بِهَا عَنْ مَسَالِكِ التَّحَرُّرِ مِنَ القِيَمِ، وَالهُبوطِ إِلَىٰ بَرَاثِنِ الإِبَاحِيَّةِ وَالانْحِلالِ، وَالانْسِلاخِ مِنَ الفَضَائِلِ، وَسُلُوكِ مَسَالِكِ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ وَالاخْتِلاطِ.

غَيْرَ أَنَّ ثَمَّتَ مَلْحَظًا أَخِيرًا مُهِمًّا، وَهُوَ أَنَّ الوَسَطِيَّةَ في الإِسْلَامِ لَا تَخْضَعُ لِلأَهْوَاءِ وَالرَّغَبَاتِ، فَلَيْسَتْ تَنَصُّلًا مِنَ الثَّوابِتِ وَالمُقَوِّمَاتِ، وَلَا تَمَرُّدًا عَلَىٰ المَبَادِئِ وَالغَايَاتِ، وَإِنَّمَا تُضْبَطُ بِضَوابِطِ الشَّرِيعَةِ.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَحْمِلُ عَلَىٰ كُلِّ مُلْتَزِم بِدِينِهِ، لَاسِيَّمَا مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ وَالحِسْبَةِ وَالإِصْلاحِ، وَيَصِفُهُمْ بِالتَّزَمُّتِ وَالغُلُوِّ، فمَنْ يَلْتَزِمُ بِالسُّنَّةِ - بَاطِنًا وَظَاهِرًا - فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُتَحَجِّرٌ مُتَشَدِّدٌ، وَمَنْ يَدْعُو إِلَىٰ الإِسْلَامِ غَالٍ مُتَنَطِّعٌ، والغُيَّرُ عَلَيْهِ: رَجْعِيُّونَ مُتَأَخِّرُون.

أَمَّا المُنْهَزِمُونَ المُتفَلِّتُونَ مِنَ المُثُلِ - المُفَرِّطُونَ بِالقِيَمِ، المُتَلاعِبُونَ بِالثَّوابِتِ وَالمَبَادِئِ - فَهَؤُلاء عِنْدَهُمْ مُتَمَتِّعُونَ بِسَعَةِ الأُفُقِ، مُتَحَرِّرُونَ

مُتَنَوِّرُونَ، مُنْفَتِحُونَ عَلَىٰ الآفَاقِ المُعَاصِرَةِ، وَاقِعيُّونَ في النَّظَرِ وَالسُّلُوكِ!!

ولَعَمْرُ الحَقِّ! إِنَّ هَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّطَرُّفِ المَحْمُومِ، وَالفِكْرِ المَسْمُومِ، في مُقَابِلِ التَّطَرُّفِ المَذْمُومِ!! مِمَّا يَحْمِل طُلاَّبَ الوَسَطِيَّةِ عَلىٰ الاعْتِدَالِ بَيْنَ ذَيْنِكَ الطَّرَفَيْنِ.

وَالدَّعْوةُ مُوجَّهَةٌ مِنْ بِلَادِ الوَسَطِيَّةِ حِسًّا وَمَعنَىٰ، مَكَانًا وَزمَانًا، وَعَقِيدَةً وَمِنْهَاجًا ـ زادَهَا اللَّه خَيرًا وَهُدَىٰ وَتوفيقًا ـ إِلىٰ أن يَفِيءَ العَالَمُ إِلىٰ ظِلالِ هَذِهِ الوَسَطِيَّةِ المُتَأَلِّقَةِ؛ لِيُحَقِّقَ لِنَفْسِهِ وَلِمَنْ حَوْلَهُ الخَيرَ وَالسَّلامَ، لِيَعِيشَ النَّاسُ في أَمْنٍ وَأَمَانٍ، وَإِخَاءٍ وَوِئَامٍ، وَلِتَنبثِقَ إِشْرَاقَةُ الحُبِّ وَالتَّرَاحُمِ، وَالأُلْفَةِ وَالتَّلاحُمِ بَيْنَ العِبَادِ: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُم اللَّه ـ عَلىٰ إِمَامِ الحَنيفيَّةِ، المَبْعُوثِ بِالاعْتِدَالِ وَالوَسَطِيَّة؛ كَمَا أَمركُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُم رَبُّ البَرِيَّةِ، فَقَالَ تَعَالىٰ في مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ وَأَصْدَقِ قِيلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

الخطبة الأولى:

الحَمْدُ لِلَّـهِ تَقْصُرُ دُونَ مِدْحَتِهِ صُنُوفُ النُّعُوتِ ثَنَاءً وَأَوْصَافًا، نَحْمَدُهُ ـ تعالىٰ ـ وَنشْكُرُهُ أَنْ جعَلَنَا أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَسْبغَ عَلَيْنَا مِنْ وَافِرِ آلائِهِ عَطَاءً وَأَلطَافًا، وَأَوْجَبَ عَلَيْنَا التَّآخِي اعْتِصَامًا وَائتِلافًا، وَحَرَّمَ الفُرْقَةَ بيننا تَنَازُعًا وَاختِلافًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، توعَّدَ بِالخَسَارِ أَهْلَ الأَهْوَاءِ زَيْغًا وَإِرْجَافًا، وبَسَطَ يَدَيْهِ بِالمَغْفِرَةِ لِمَنْ أَنَابَ إِلَيْهِ افْتِقَارًا وَاعْتِرَافًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّـهِ وَرَسُولُهُ، أَفضَلُ الخَلِيقَةِ مُحْتِدًا[1] وَأَعْرَاقًا، صَلَّىٰ اللَّـهُ عَلَيهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ خِيَارِ هَذِهِ الأُمَّةِ خَلَفًا وَأَسْلَافًا، وَالتَّابِعينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَرْجُو مِنَ اللَّـهِ قُرْبًا وَازْدِلَافًا، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ ـ **عِبَادَ اللَّـهِ** ـ وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللَّـهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَإِنَّ التَّقْوَىٰ هِيَ الحَبْلُ الأَقْوَىٰ لِلفَوْزِ بِجَنَّةِ المَأْوَىٰ، تَربطُ عَلىٰ القُلُوبِ سَاعَةَ

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٢٩).

المِحَنِ، وَتُنِيرُ الدُّروبَ أَوْقَاتَ الأَزَمَاتِ وَالفِتَنِ، مَنْ عَمَرَتِ التَّقْوَىٰ قَلْبَه، سَلِمَتْ طَوِيَّتُهُ مِنَ الضَّغَنِ، وهُدِيَ إِلَىٰ خَيرِ سَبيلٍ وَأَقْوَمِ سَنَنٍ.

أَيُّهَا المُسْلِمُون: لا يَجِدُ النَّاظِرُ فِي تَأْرِيخِ أُمَّتِنَا عَنَاءً فِي الوُقُوفِ عَلَىٰ تَمَيُّزِ حَضَارَتِهَا، وَتَحَقُّقِ قِيَادَتِهَا وَسِيادَتِهَا، وَرِيَادَتِهَا عَلَىٰ العَالَمِ بِأَسْرِهِ، أَحْقَابًا مِنَ الزَّمَانِ، وَرَدْحًا مِنَ الدَّهْرِ، ومَرَدُّ تِلْكَ الغَلَبَةِ وَذَيَّاكَ العُلُوِّ إِلَىٰ الْاعْتِصَامِ بِالْوَحْيَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَلُزُومِ قَاعِدَةِ الوَحْدَةِ وَالْإِئْتِلَافِ، وَنَبْذِ الفُرْقَةِ وَالْاخْتِلَافِ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ ـ سُبحَانَهُ ـ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء].

كَمَا لَا يَلْقَىٰ المُتَأَمِّلُ فِي وَضْعِهَا الرَّاهِنِ عَنَاءً فِي القَوْلِ: إِنَّ أُمَّتَنَا أَظَلَّهَا زَمَانٌ حَالِكٌ بِالغَوائِلِ[1] وَالمُدْلَهِمَّاتِ! مِنْ سَيْرٍ فِي حَرَّةٍ كَأْدَاءٍ[2]، تَتناوشُهَا نِصَالُ أَعْدَاءٍ أَلِدَّاءَ، وَتَرْمُقُهَا مُقَلٌ حَاسِدَةٌ، وَأَحْدَاقٌ حَاقِدَةٌ، أَضْمَرتِ الْكَيْدَ وَالعَدَاءَ، مَعَ مَا تُعَانِيهِ مِنْ شَتَاتٍ ذَاتِيٍّ، وَنُفُورٍ دَاخِلِيٍّ، وَصِرَاعٍ بَينِيٍّ، وَفَهْمٍ آحَادِيٍّ لِكَثِيرٍ مِنَ القَضَايَا، وَطُفُوِّ أَفْكَارٍ مُنحَرِفَةٍ هَدَّامَة، وَظُهُورِ فِئَامٍ مَرَقَتْ عَنْ صَفِّ المِلَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فَلَمْ يَزِدْ ذَلِكَ فِي

---

(١) سبق بيان معناها (ص٢٢٧).

(٢) كَأْدَاءُ: شاقة صعبة. يُنظر: «اللسان» (كأد).

جَسَدِ الأُمَّةِ إِلَّا أَوصَابًا[1] وتَفْرِيقًا وَجُروحًا وَتَمزِيقًا، وَللَّـهِ - سُبْحَانَهُ - في ذَلِكَ كُلِّهِ، الحِكْمَةُ البَالِغَةُ! كَمَا قَالَ - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وَكَمْ لِلمِحَنِ وَالأَزَمَاتِ مِنْ شَأنٍ عَرِيضٍ في صَقْلِ الأُمَمِ وَرُقِيِّهَا! وَلَكِنْ كُلُّ يومٍ يَمْضِي مِنْ حَيَاةِ الأُمَّةِ لَا تُشَخِّصُ فِيهِ عِلَلَهَا، وَلَا تَأخُذُ فيهِ بِأَسْبَابِ النُّهُوضِ مِنْ كَبوَتِهَا، لَيُؤَخِّرُهَا أَمَدًا بَعِيدًا، وَيزِيدُ مِنْ تَمَكُّنِ اليَأسِ وَالقُنُوطِ لَدَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الشَّرَائِحِ وَالأَوْسَاطِ في جَدْوَىٰ تَمَاثُلِهَا للشِّفَاءِ، وَاسْتِئْنَافِ تَسَنُّمِهَا[2] لِذُرَىٰ العَلْيَاءِ.

أُمَّـةَ الْإِسْلَامِ: وَهَذِهِ وَقْفَةُ تَذْكِيرٍ لِتَثْبِيتِ أَهَمِّ المَعَالِمِ عَلَىٰ جَنَبَاتِ طَرِيقِ النَّهْضَةِ الوَاعِيَةِ، الَّتِي يَنبغِي أَنْ يَنْتَهِجَهَا أَهْلُ الحَقِّ، تكُونُ بَيَانًا لِلآسِي، وَتَذْكِرَةً لِلنَّاسِي، وَتَعْلِيمًا لِلْجَاهِلِ، وَتَنْبِيهًا لِلذَاهِلِ، وَإِسْهَامًا في لَـمِّ الشَّتَاتِ، وَذَمِّ الفُرْقَـةِ وَالانْبِتَـاتِ[3]، وَالنَّـأيِ بِالأَحِبَّـةِ عَـنْ وَحَرِ[4] الصُّدُورِ، وَدَرَنِ المَقَاصِدِ وَبَوَاعِثِ الشُّرُورِ .

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٤٢).

(٢) تَسَنُّمِهَا: اعتلائها. يُنظر: «اللسان» (سنم).

(٣) الإِنْبِتَاتُ: الانقطاع. يُنظر: «اللسان» (بتت).

(٤) الوَحْرُ: - بسكون وفتح - الغيظ والحقد. يُنظر: «اللسان» (وَحَرَ).

إِخْـوَةَ الْإِيمَـانِ: إِنَّ شَرِيعَتَنَا الغَرَّاءَ قَصَدَتْ إِلَىٰ الأُلْفَةِ وَالوِفَـاقِ، وَنَـأَتْ عَـنْ مَـسَالِكِ التَّنَـازُعِ والافْـتِرَاقِ، وَنَـادَتْ بِالمَحَبَّـةِ وَالإِخَـاءِ، وَحَضَّتْ عَلَىٰ التَّسَامُحِ وَالتَّرَاحُمِ، وَالتَّنَاصُرِ وَالتَّلاحُمِ، سِيَّمَا بَيْنَ أَهْلِ الحَقِّ: أَهلِ المَشْرَبِ الوَاحِدِ، وَالمَنْهَجِ الوَاحِدِ.

وَالكِتَابُ وَالسُّنَّةُ زَاخِرَانِ بِالبَرَاهِينِ المُشْرِقَةِ عَلَىٰ تِلْكَ الصِّفَاتِ المُتَوَهِّجَةِ، بِكُلِّ مَعَانِي الغَايَاتِ السَّامِيَةِ، يَقُولُ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَفِي ذَلِكَ امْتِنَانٌ بِتَغْيِيرِ الحَالِ المُشَتَّتِ الشَّنِيعِ، إِلَىٰ الحَالِ المُنْتَظِمِ البَدِيعِ، وَمِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ وَإِشْرَاقَاتِهَا قَوْلُهُ ﷺ فِيمَا صَحَّ عِنْدَ أَحْمَدَ[١] وَالتِّرْمِذِيِّ[٢]: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَومَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، المُوطَّؤُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ**»[٣].

---

(١) في «المسند» (٤/ ١٩٣) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

(٢) برقم (٢٠١٨) بنحوه من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) وأصله عند البخاري (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٢١) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وفيه: «**إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا**».

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ: مَنْ كَتَمَ دَاءَهُ أَسْهَدَهُ وَأَضْنَاهُ، وَأَضْجَرَهُ وَعَنَّاهُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَدْوَاءِ ـ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُشَخَّصَ فِي عُنْفُوَانِ الْأَسَىٰ وَاللَّوْعَةِ ـ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ وَحْشَةٍ وَتَنَافُرٍ، وَجَفَاءٍ وَتَغَايُرٍ، بَلَغَ حَدَّ التَّجْرِيحِ وَالتَّحْذِيرِ، وَالتَّسْفِيهِ وَالتَّشْهِيرِ، مِنْ قِبَلِ أَهْلِ الْمِلَّةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، مِمَّنْ سَلَكَ سَبِيلَ الْحَقِّ عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَسُلُوكًا، وَمِمَّنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ الْخَيْرِ وَالْغَيْرَةِ عَلَىٰ الْحُرُمَاتِ، الْحَرِيصِينَ عَلَىٰ سَلَامَةِ الْأُمَّةِ مِنَ التَّعَثُّرِ وَالِانْزِلَاقِ، الْوَجِلِينَ عَلَىٰ وَحْدَةِ الصَّفِّ مِنَ التَّصَدُّعِ وَالِانْشِقَاقِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَإِنَّ مِنَ الْمَصَائِبِ الْفَادِحَةِ الَّتِي جَازَتْ سَدِيدَ الْحِكْمَةِ، وَانْتَهَكَتْ مِنَ الْأَمَاجِدِ الْحُرْمَةَ، أَنْ يَتَطَاوَلَ بَعْضُ أَهْلِ الْمِلَّةِ الْوَاحِدَةِ عَلَىٰ مَقَامَاتِ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَجِلَّاءِ، وَالدُّعَاةِ النُّبَلَاءِ؛ حَطًّا مِنْ أَقْدَارِهِمْ، وَوَقِيعَةً فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَإِيضَاعًا خِلَالَهُمْ، وَنَزْعًا لِلثِّقَةِ وَالْمَرْجِعِيَّةِ مِنْهُمْ.

وَإِنَّ الرَّزِيَّةَ لَتَعْظُمُ حِينَ يَكُونُ ذَلِكَ عَلَىٰ قَصْدِ الِازْدِرَاءِ وَالتَّشْهِيرِ، وَالثَّلْبِ وَالتَّعْيِيرِ، عَبْرَ قَنَوَاتٍ سَيَّارَةٍ: مِنْ صُحُفٍ وَمَجَلَّاتٍ، وَفَضَائِيَّاتٍ وَشَبَكَاتٍ، بِكُلِّ تَخَلٍّ عَنِ التَّوَرُّعِ وَالتَّأَثُّمِ، قَالَ ﷺ ـ مُحَذِّرًا وَمُتَوَعِّدًا ـ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ**

يَتَّبِع اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّـهُ عَوْرَتَـهُ يَفْضَحْهُ وَلَـوْ فِي جَوفِ بَيْتِهِ»، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ[1] وَأَبُو دَاودَ[2] وَالتِّرْمِذِيّ[3].

وَقَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ ـ رَحِمَهُ اللَّـه ـ : «الوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ العِلْمِ، وَلاسِيَّمَا أَكَابِرُهُمْ، مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ»[4].

وَقَالَ مَالِكُ بنُ دِينَارٍ: «كَفَىٰ بِالمَرْءِ شَرًّا أَنْ لا يَكُونَ صَالِحًا، وَهُوَ يَقَعُ فِي الصَّالِحِينَ»[5].

فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ مِنْ أَهْلِ المِلَّةِ الوَاحِدَةِ ـ هَدَاهُمُ اللَّهُ ـ مَنْ تَكُونُ غَايَةُ دُنْيَاهُ، وَأَكْبَرُ هَمِّهِ وَمُنَاهُ، تَتَبُّعَ العَثَرَاتِ، وَتَصَيُّدَ الزَّلَّاتِ، وَالنَّفْخَ فِي الهَنَاتِ، وَالتَّشْهِيرَ بِهَا عَبْرَ المَجَالِسِ وَالمُنْتَدَيَاتِ، لَا يَفْتَؤُونَ هَمْزًا، وَلَا يَنْفَكُّونَ لَمْزًا، وَلَا يَبْرَحُونَ غَمْزًا، دَيْدَنُهُمُ التَّشْوِيشُ، وَمَطِيَّتُهُمُ التَّحْرِيشُ، وَسَجِيَّتُهُمُ الإِثَارَةُ وَالتَّهْوِيشُ، قَامُوسُهُمْ سُوءُ الظَّنِّ، وَمَفَاهِيمُهُمُ الأَذَىٰ وَالمَنُّ، يُبَادِرُونَ بِالاتِّهَامِ، وَيَسْتَعْجِلُونَ بِالجَفَاءِ

---

(١) في «المسند» (٤/ ٤٢٠) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

(٢) برقم (٤٨٨٠) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

(٣) برقم (٢٠٣٢) من حديث ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما.

(٤) يُنظر: «الرد الوافر» (ص١٩٧).

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٥٦/ ٤٣٠).

وَالاصْطِلامِ[1]، يُكْثِرُونَ الوَقِيعَةَ وَالعِتَابَ، وَلَا يَتورَّعُونَ عَنِ الشَّتَائِمِ وَالسِّبَابِ، وَيَطْعَنُونَ فِي الخَواصِرِ، وَيُصَوِّبُونَ سِهَامَهُمْ تِلْقَاءَ القَفَا.

إِذَا رَأَوْكَ فِي نِعْمَـةٍ حَسَدُوْكَ، وَإِنْ تَوَارَيتَ عَنْهُمُ اغْتَابُوكَ، إِنْ يَسْمَعُوا هَفْوَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا، وَمَا عَلِمُوا مِنْ صَالِحٍ كَتَمُوا. يَعْمَلُونَ لَيْلَ نَهَارَ عَلَىٰ الحَطِّ مِنَ الأَقْدَارِ، وَالنَّيْلِ مِنَ الكَفَاءَاتِ، وَتَشْوِيهِ صُورَةِ البُرَآءِ الأَخْيَارِ النُّزَهَاءِ. يَتَحَرَّكُونَ كَالخَفَافِيشِ فِي الظَّلَامِ، وَيَعْمَلُونَ خَلْفَ الكَوَالِيسِ، تَنَكَّرَتْ مِنْهُمُ الوُجُوهُ، وَتَغَيَّرَتِ القَسَمَاتُ، وَاصْفَرَّتِ السِّمَاتُ. فِي الرَّخَاءِ أَحِبَّةٌ أَخِلَّاءُ، وَفِي الشِّدَّةِ أَعداءٌ أَلِدَّاءُ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الأَقْرِبَاءُ وَالأَصْفِيَاءُ، لَا يَلْتَمِسُونَ المَعَاذِيرَ، وَيَسْعَوْنَ لإِسْقَاطِ أَهْلِ الفَضْلِ وَالمَشَاهِيرِ، يَبُثُّونَ عَنْهُمُ الشَّائِعَاتِ، وَيَخْتَلِقُونَ ضِدَّهُمُ الوِشَايَاتِ، فَسُبْحَانَ رَبِّي العَظِيمِ!

أَلَا يَخَافُونَ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ؟! إِلَىٰ اللَّهِ المُشْتَكَىٰ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!! وَيَتحَرَّوْنَ لِذَلِكَ بَعضَ المَوَاقِعِ العَنْكَبُوتِيَّةِ، بَلْ سَمِّها الثُّعْبَانِيَّةَ الفَتَّاكَةَ، زَاعِمِينَ بَيَانَ الحَقِّ وَالإِصْلَاحِ، وَالوَاقِعُ أَنَّهُمْ مِثْلُ الذُّبَابِ يُرَاعِي مَوْضِعَ العِلَلِ، وَلا يُبَالُونَ أَنْ يَكُونَ جَمْعُهُم مِنْ

---

(١) الإِصْطِلَامُ: القطع. يُنظر: «اللسان» (صلم).

قَالَةِ السُّوءِ وَالمَجَاهِيلِ، أَوْ مِنْ ثَنَايَا مُؤَلَّفَاتٍ لَمْ يَطَأْهَا قَلَمُ التَّنْقِيحِ، وَلَمْ يَخُطَّهَا يَرَاعُ[1] النَّسْخِ وَالتَّوْضِيحِ.

وَعَلَىٰ إِثْرِ تِلْكَ الأَوْهَامِ وَالهَفَوَاتِ، الَّتِي تَقْبَلُ التَّأْوِيلَ وَالاغْتِفَارَ فِي غَزِيرِ حَسَنَاتِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ، يَكُونُ الوَلَاءُ وَالبَرَاءُ، وَالهَجْرُ وَالجَفَاءُ، وَالوُدُّ وَالعِدَاءُ، عَبْرَ التَّصْنِيفِ وَالتَّعَصُّبِ، وَالتَّحَيُّزِ وَالتَّحَزُّبِ، وَيُشْغَلُ بِذَلِكَ طَلَبَةُ العِلْمِ وَالنَّاشِئُونَ فِيهِ، وَالمُثَقَّفُونَ وَالمُصْلِحُونَ، وَيَتَلَقَّفُهَا فِي كُلِّ الأَصْقَاعِ الشَّانِئُونَ وَالمُغْرِضُونَ. وَتُهْدَرُ مَلَكَاتٌ وَأَوْقَاتٌ، بَيْنَ رَادٍّ وَمَرْدُودٍ عَلَيْهِ، بِكَلِمَاتٍ جَارِحَةٍ، وَعِبَارَاتٍ قَاسِيَةٍ مُسِفَّةٍ، وَقَذَائِفَ كَأَنَّهَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ، تَشِي بِسُوءِ الدِّخْلَةِ[2] وَالمَأْرَبِ، ضَارِبَةً بِعِفَّةِ اللِّسَانِ وَنَزَاهَةِ النَّفْسِ كُلَّ مَضْرَبٍ، كَانَ الأَوْلَىٰ صَرْفَهَا شَطْرَ الفِرَقِ المُنْحَرِفَةِ، المُنَاوِئَةِ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، السَّاعِيَةِ فِي تَقْوِيضِ أَمْنِهِمْ، وَخَلْخَلَةِ صَفِّهِمْ.

وَإِنِّي أُعِيذُ الأَصْفِيَاءَ وَطُلَّابَ الخَيْرِ وَشُدَاتَهُ، أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِصِفَةِ فِرْقَةٍ ضَالَّةٍ، حَذَّرَنَا مِنْهَا المَعْصُومُ ﷺ فِيمَا أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ[3]: «قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٨).

(٢) سبق بيان معناها (ص١٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، ومسلم (١٠٦٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

القُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ».

وَمِنَ الوَمَضاتِ اللَّطِيفَةِ للقَاضِي إِياسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، الَّذِي سَارَ مَثَلًا في الفِطْنَةِ وَالذَّكَاءِ، مَا أَوْرَدَهُ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَنْ سُفْيَانَ ابْنِ حُسَيْنٍ قَالَ: «ذَكَرْتُ رَجُلًا بِسُوءٍ عِنْدَ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَنَظَرَ فِي وَجْهِي وَقَالَ: أَغَزَوْتَ الرُّومَ؟ قُلْتُ: لَا! قَالَ: السِّنْدَ وَالهِنْدَ وَالتُّرْكَ؟ قُلْتُ: لَا! قَالَ: أَفَسَلِمَ مِنْكَ الرُّومُ وَالسِّنْدُ وَالهِنْدُ وَالتُّرْكُ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْكَ أَخُوكَ المُسْلِمُ؟! قَالَ: فَلَمْ أَعُدْ بعدَهَا أَبَدًا»[1].

وقَالَ ابنُ سِيرِينَ - رَحِمَه اللَّه -: «ظُلْمٌ لِأَخِيكَ، أَنْ تَذْكُرَ مِنهُ أَسْوَأَ مَا تَعْلَمُ، وَتَكْتُمَ خَيرَهُ»[2].

وقَالَ ابنُ المُبارَكُ: «المُؤمِنُ يَلْتَمِسُ المَعَاذِيرَ، وَالمُنَافِقُ يَتَتَبَّعُ الزَّلاتِ»[3].

وَقَالَ آخَرُ: «المُسْلِمُ يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ، وَالمُنافِقُ يَهْتِكُ وَيَفْضَحُ»[4].

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٣١٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ١٨).

(٢) ينظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٢٣/ ٢٢)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٢٤٥).

(٣) يُنظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٧٧).

(٤) يُنظر: «جامع العلوم والحِكَم» (ص٨٢)، والقائل هو: الفضيل بن عياض - رحمه الله.

وَهَذَا فِي حَقِّ آحَادِ المُسْلِمِينَ وَعَوَامِّهِمْ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالفَضْلِ، وَالخَيْرِ وَالدَّعْوَةِ، وَقَضَىٰ سَحَابَةَ عُمُرِهِ عَالِمًا مُحَقِّقًا، أَو دَاعِيًا مُتَأَلِّقًا، أو كَانَ مِنْ ذَوِي الهَيْئَاتِ وَالمُرُوءَاتِ؟! فَإِنَّ إِمْسَاكَ اللِّسَانِ عَنْهُمْ، وَصَوْنَهُمْ عَنِ الرَّشْقِ وَالتَّوهِينِ، آكَدُ وَأَوْجَبُ.

أَنْصَارَ السُّنَّةِ وَدُعَاتَهَا: وَفِي سَتْرِ الزَّلَّةِ، وَسَدِّ البَادِرَةِ وَالخَلَّةِ، مَا وَرَدَ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: «**لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ صَدَرَتْ مِنْ أَخِيكَ سُوءً وَأَنتَ تَجِدُ لَهَا فِي الخَيْرِ مَحْمَلًا**»(١).

وعَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ قَالَ: «**لَيْسَ مِنْ عَالِمٍ وَلَا شَرِيفٍ، وَلَا ذِي فَضْلٍ، إِلَّا وَفِيهِ عَيْبٌ، وَلَكِنْ مَنْ كَانَ فَضْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ نَقْصِهِ، ذَهَبَ نَقْصُهُ لِفَضْلِهِ**»(٢).

وَمِنَ الكَلَامِ الذَّهْبِيِّ لِلْإِمَامِ الذَّهْبِيِّ فِي تَرْجَمَةِ الحَافِظ مُحَمَّد بن نَصْرٍ، قَولُهُ ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ: «**وَلَوْ أَنَّا كُلَّمَا أَخْطَأَ إِمَامٌ فِي اجْتِهَادِهِ فِي آحَادِ المَسَائِلِ، خَطَأً مَغْفُورًا لَهُ، قُمْنَا عَلَيْهِ، وَبَدَّعنَاهُ، وَهَجَرْنَاهُ، لَمَا سَلِمَ مَعَنَا**

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مداراة الناس» (ص٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٣٢٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٦٠).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١١/ ١٧٠)، والخطيب البغدادي في «الكفاية في علم الرواية» (ص٧٩).

ابنُ نَصْرٍ وَلا ابنُ مَنْدَهْ، وَلا مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنهُما، واللهُ هُـو هَـادِي الْـخَلْقَ إِلىٰ الْـحَقِّ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَنعُوذُ باللَّـهِ مِنَ الهَوىٰ وَالفَظَاظَةِ»[1].

وَهُنَا صَرْخَةُ تَحذِيرٍ، وَتَنْبيهٍ وَتَنْذِيرٍ لأَهْـلِ الإِسْـلامِ، أَنْ كَفَانَـا جَفَاءً وَاخْتِلافًا، وَحَيَّهَلا اعْتِصَامًا وَتَـجُرُّدًا وَائتِلَافًا: مَـاذَا دَهَانَـا، وَعَجِيبُ أَمْرُنَا ذَا الزَّمَانَـا!!؟

وَمُرَادُ النُّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَىٰ فِيهِ وأَنْ نَتَفَـانَىٰ[2]

وَلِوسَائِلِ الإِعلامِ المُؤْتَمَنَةِ عَلىٰ الأَفْكَارِ وَالأَقْلام: أَنْ تَتَّقِيَ اللَّـهَ في صِدْقِ الكَلِمَةِ، وَانتِقَاءِ النَّشْرِ، وعُمْقِ الطَّرْحِ، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ خَطَّ سَـوَادًا في بَيَاضٍ، نُشِرَ لَهُ، فَوَضَعَ وَخَبَّ في أَعْرَاضِ الفُضَلَاءِ وَالعُلَمَاءِ وَالنُّبَلَاءِ، وَلَيْسَ هُوَ مِـنْ طِـرَازِهِمْ وَلا مِـنْ عِلْمِهِـمْ، في قَبيـلٍ أَوْ دَبِـيرٍ؛ حَتَّـىٰ غَـدَا الثَّلْبُ وَالسَّلْبُ مَرْكَبًا وَطِيئًا، وَسَابِلَةً[3] لِـمَنْ تَعرِفُ وَتُنْكِـرُ!! فَكَلَّا ثُـمَّ كَلَّا لِلتَّعقُّبَاتِ وَالرُّدُودِ الرَّعْنَاءِ، الَّتـي تُثِيرُ كَـوامِنَ النُّفُـوسِ وَالـشَّحْنَاءَ، وَتُورِي زِنَادَ الكَوَامِنِ وَالبَغْضَاءِ.

---

(١) يُنظر: «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٤٠).

(٢) يُنظر: «شرح ديوان المتنبي» جمع عبدالرحمن البرقوقي (ص٣٧٢).

(٣) سَابِلَةٌ: مسلوكة. يُنظر: «اللسان» (سبل).

وَرَحِمَ اللَّهُ امْرأً عَرَفَ قَدْرَ العُلَمَاءِ وَقَدْرَ نَفْسِهِ، وَتَابَ مِمَّا خَطَّتْهُ يَدُهُ فِي طِرْسِهِ[1]، وَلْيَكِلْ شَأْنَ النَّقْدِ وَالتَّقْوِيمِ، إِلَىٰ مَنْ رَسَخَتْ فِي العِلْمِ أَقْدَامُهُمْ، وَأَتْقَنُوا ضَوَابِطَ النَّقْدِ وَالحِوَارِ، وَقَامُوا عَلَىٰ آدَابِ الخِلَافِ وَقَوَاعِدِهِ خَيْرَ قِيَامٍ، **وَهَلْ يَمْلِكُ مِيزَانَ الاعْتِدَالِ فِي نَقْدِ المَنْهَجِ وَالرِّجَالِ، إِلَّا العُلَمَاءُ الأَفْذَاذُ، الَّذِينَ تُنَاخُ بِعِلْمِهِمُ الرِّحَالُ، وَتُحْدَىٰ[2] بِمَنَاقِبِهِمْ وَفَضَائِلِهِمُ المَطَايَا وَالآمَالُ!**

يَقُولُ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ: **«الكَلَامُ فِي العُلَمَاءِ مُفْتَقِرٌ إِلَىٰ العَدْلِ وَالوَرَعِ»**[3].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ السَّاحَةَ العِلْمِيَّةَ، وَالحَلَائِبَ الدَّعْوِيَّةَ، وَالمُنْتَدَيَاتِ المَعْرِفِيَّةَ وَالحِوَارِيَّةَ، وَوَحْدَةَ الأُمَّةِ المُفَكَّكَةِ، فِي ظَمَإٍ هَائِلٍ لِتَرْسِيخِ حَقَائِقِ التَّآخِي الوَرِيفِ، وَالتَّنَاصُحِ الشَّفِيفِ، المُرتَكِزَيْنِ عَلَىٰ الصِّدْقِ وَالإِنْصَافِ وَالتَّوَاضُعِ، وَالحِرْصِ عَلَىٰ إِظْهَارِ الحَقِّ دُونَ زُخْرُفٍ فِي القَوْلِ مُمَوَّهٍ، أَو بَاطِنٍ بِالحَسَدِ مُشَوَّهٍ.

---

(١) الطِرْسُ: الكتاب. يُنظر: «اللسان» (طرس).

(٢) تُحْدَىٰ: تساق. يُنظر: «اللسان» (حدا).

(٣) يُنظر: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٤٨).

وَمِنْ الرَّوَائِعِ الزَّاخِرَةِ فِي أَدَبِ أَسْلَافِنَا عِنْدَ الاخْتِلَافِ، وَحِفَاظِهِمْ عَلَىٰ المَودَّةِ وَالصَّفَاءِ، وَالإِذْعَانِ للحَقِّ حَيثُ استَبانَ وكَانَ، دُونَ تَمَعُّر أو تَنَقُّصٍ أَو اسْتِعْلاءٍ، مَا أوردَهُ الذَّهبيُّ في (سِيَرِه) عَنِ الحَافِظِ أَبي مُوسَىٰ الصَّدَفِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: **«مَا رَأيْتُ أَعْقَلَ مِنَ الشَّافِعِيِّ! نَاظَرْتُهُ يَوْمًا في مَسْأَلَةٍ ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقِيَنِي فَأَخَذَ بِيَدِي ـ تَأَمَّلُوا يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ أَلا مَا أَزْكَاهُ مِنْ أَدَبٍ!! ـ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوسَىٰ! أَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا وَإِنْ لَمْ نَتَّفِقْ فِي مَسْأَلَةٍ؟!»**[1].

علَّق الذَّهبيُّ قَائلًا: **«هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ كَمَالِ عَقْلِ هَذَا الإِمَامِ، وَفِقْهِ نَفْسِهِ، فَمَا زَالَ النُّظَرَاءُ يَخْتَلِفُونَ»**[2]. انتهىٰ كَلامُهُ ـ رَحِمَهُ اللَّه.

أَلَا مَا أَحْوَجَنَا إِلَىٰ مِثْلِ هَذِهِ الأَفْهَامِ وَالعُقُولِ، وَذَاكَ السَّمْتِ وَالهَدْيِ، وَتِلْكَ المَنْهَجِيَّةِ وَالإِصَابَةِ، لَا كَثْرَةُ الهَذَرِ[3] وَالاسْتِرْسَالِ فِي الطُّعُونِ، وَلَيْسَ العَهْدُ بِبَعِيدٍ عَنْ سِيرَةِ أَئِمَّتِنَا وَعُلَمَائِنَا، رَحِمَ اللَّهُ أَمْوَاتَهُم وَوَفَّقَ أَحْيَاءَهُمْ.

---

(١) يُنظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٦).

(٢) يُنظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٧).

(٣) الهَذَرُ: الهذيان. يُنظر: «اللسان» (هذر).

فَيَا أَهْلَ السُّنَّةِ المَيَامِينَ، حَنَانَيْكُمْ بِبَعْضِكُمْ حَنَانَيْكُمْ! وَلُطْفًا لُطْفًا بِإِخْوَانِكُم، وَرِفْقًا رِفْقًا بِالعُلَمَاءِ وَالدُّعَاةِ، وَأَهْلِ الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالإِصْلَاحِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا، «فَإِنَّ المُنْبَتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ وَلا ظَهْرًا أَبْقَى»[1].

وَرَحِمَ اللَّهُ امْرأً أَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ فَبَادَرَ بِاتِّهَامِهَا، وَأَنْصَفَ إِخْوَانَهُ فَحَفِظَ وُدَّهُمْ، وَأَحَبَّ الخَيْرَ وَالإِصَابَةَ لَهُمْ، وَلَمْ يُعِنِ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمْ.

إِنَّ مِنَ النُّبْلِ وَالشَّجَاعَةِ مُوَاجَهَةَ إِخْوَانِكَ بِأَخْطَائِهِمْ - إِنْ حَصَلَتْ - وَإِنَّ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَاللُّؤْمِ وَالخِسَّةِ، الطُّعُونَ الخَلْفِيَّةَ، وَبَثَّ الكَوَامِنِ النَّفْسِيَّةِ، وَتَغْلِيبَ النَّظَرَاتِ الحِزْبِيَّةِ، وَالاحْتِكَامَ إِلَيْهَا فِي تَقْوِيمِ أَهْلِ الفَضْلِ، فَلا يَعْرِفُ الفَضْلَ لِأَهْلِ الفَضْلِ إِلَّا ذَوُوه.

وَلْيَكُن مِلْءَ دَوَاخِلِكُمْ، وَشُغْلَ جَوَارِحِكُم، قَولُ الحَقِّ - سُبْحَانَهُ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩]. وَحَيَّهَلا بِالنَّقْدِ العِلْمِيِّ البَنَّاءِ، وَالحِوَارِ المُؤَصَّلِ النَّزِيهِ، وَلكِنْ مِنَ المُؤَهَّلِينَ وَالأَكْفَاءِ، حِوَارًا هَادِفًا، وَنُصْحًا

(١) سبق تخريجه (ص٤١١).

بنَّاءً، تحفُّهُ مشاعِرُ الوُدِّ، وترُفُّهُ نسائِمُ الإِنْصافِ، قَدْ خلا مِنَ الهوىٰ والعصبيَّةِ، وعرِيَ عَنِ التَّصْنيفِ والحِزْبيَّةِ، وساعةَ إذٍ، ستكْتالُ لكُمْ أُمَّتُكُمْ جزيلَ الدُّعاءِ والثَّناءِ، واللهُ وحْدَهُ المُسْتعانُ، وسُبْحانهُ القائِلُ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد].

بارَكَ اللَّهُ لي ولكُمْ في القُرْآنِ والسُّنَّةِ، ونفعني وإيَّاكُمْ بما فيهما مِنَ الآياتِ والحِكْمةِ، أقولُ قولي هذا، وأسْتغْفِرُ اللَّهَ العظيمَ الجليلَ لي ولكُمْ، ولِوالِديَّ ووالِديْكمْ، ولجميعِ المُسْلمينَ والمُسْلماتِ، مِنْ جميعِ الذُّنوبِ والخطيئاتِ، فاسْتغْفِروهُ وتوبُوا إليْهِ، إنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحيمُ.

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

الحَمْدُ لِلَّـهِ الوَاحِدِ الخَلَّاقِ، أَمَرَنَا بِالتَّآلُفِ وَالوِفَاقِ، وَنَهَانَا عَنْ سُبُلِ التَّفَرُّقِ وَالشِّقَاقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً تَمْلَأُ النَّفْسَ مِنَ الخَشْيَةِ وَالإِشْفَاقِ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً وَسَلَامًا تَامَّيْنِ كَامِلَيْنِ، مَا تَعَاقَبَ أُفُولٌ وَإِشْرَاقٌ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَئِمَّةِ الهُدَىٰ بِاتِّفَاقٍ، وَمَنْ تَبِعَهم بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ التَّلَاقِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّـهَ - عِبَادَ اللَّـهِ - وَلْيَكُن مِنكُمْ بِحُسْبَانٍ لَا يَرِيمُ[1]، أَنَّ أُمَّتَكُم الإِسْلَامِيَّةَ فِي أَشَدِّ مَا تَكُونُ حَاجَةً إِلَىٰ التَّوَاصِي بِالحَقِّ، وَالتَّجَرُّدِ مِنَ الهَوَى، وَالتَّوَافُرِ عَلَىٰ الكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، البَانِيَةِ الهَادِيَةِ، الَّتِي تَشِعُّ مِنْهَا الخَشْيَةُ وَالتَّقْوَىٰ، وَإِحْسَانِ الظَّنِّ بِالبُرَآءِ الأَتْقِيَاءِ، وَالالْتِفَافِ حَوْلَ الوُلَاةِ وَالعُلَمَاءِ، بِوَثِيقِ العُرَىٰ فِي عَمِيقِ مِصْدَاقِيَّتِهِمْ، وَمَكِينِ مَرْجِعِيَّتِهِم، مَعَ التَّرَاصِّ صَفًّا وَاحِدًا كَالبُنْيَانِ المَرْصُوصِ، ضِدَّ التَّيَّارَاتِ الجَارِفَةِ، وَالأَفْكَارِ المَسْمُومَةِ القَاتِلَةِ، الَّتِي لَا تَزَالُ عَقَابِيلُهَا[2] تُؤَرِّقُ النُّفُوسَ، وَتُزَعْزِعُ أَمْنَ المُجْتَمَعِ.

---

(١) سبق بيان معناها (ص٢٤٧).

(٢) العَقَابِيلُ: بقايا العلة والعداوة. يُنظر: «اللسان» (عقبل).

وَإِنَّ الصُّدُوفَ عَنْ هَذَا المَهْيَعِ[1] الوَارِفِ[2]، وَفِي هَذِهِ الآوِنَةِ تَحْدِيدًا، وَادِّعَاءَ الاخْتِلافَ فِيمَا يَسُوغُ فِيهِ الخِلافُ، وَالانْشِغَالَ بِالعُيُوبِ وَالمَثَالِبِ، وَبُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ، وَأَخْطَرُ مِنْ ذَلِكَ: المَسَاسُ بِالثَّوابِتِ، وَالتَّعَدِّي عَلَىٰ الأُصُولِ؛ لِيُعَدُّ عُقُوقًا للأُمَّةِ، وَتَخَاذُلًا عَنْ نُصْرَتِهَا، وَعِلاجِ قَضَايَاهَا المُهِمَّةِ وَالمُلِحَّةِ. وَإِنَّ مِنَ العَارِ وَالحَمَاقَةِ أَنْ يَنْشَغِلَ الأَخُ بِأَخِيهِ، وَالعَدُوُّ يَتفرَّجُ مِنْ حَوْلهم! وَلَيْسَ هَذَا الطَّرْحُ والتَّوَاصِي - وَأَيْمُ اللَّهِ - للخَطَإِ إِقْرَارًا أَوْ عَلَىٰ بَاطِلٍ إِصْرَارًا، وَلَكِنَّهُ عَيْنُ الحِكْمَةِ، وَتَحْقِيقِ المَصَالِحِ للأُمَّةِ، وَدَرْءِ المَفَاسِدِ عَنْهَا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: وَلِكَيْ نَحْمَدَ السُّرَىٰ[3]، وَنَسْعَدَ بِتَبَاشِيرِ انْبلَاجِ الصَّبَاحِ، وَبِقَطْعِ دَابِرِ التَّنَافُرِ وَالتَّنَاثُرِ، وَبَتْرِ دَاءِ التَّشَهِّي بِلَمْزٍ وَهَمْزٍ وَغَمْزِ الأَمَاجِدِ، وَدَحْرِ كَيْدِ المُفْسِدِينَ الَّذِينَ يُرَنِّقُونَ[4] سَلْسَالَ وَحْدَتِنَا وَشُمُوخِنَا، عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَتَنَادَىٰ - نَحْنُ الدُّعَاةَ وَالعُلَمَاءَ، وَأَهْلَ الحِسْبَةِ وَالأُدَبَاءَ، وَأَرْبَابَ الفِكْرِ وَالأَقْلَامِ، وَالثَّقَافَةِ وَالإِعْلَامِ - إِلَىٰ الشُّعُورِ

---

(١) المَهْيَعُ: الطريق الواضح. يُنظر: «اللسان» (هيع).

(٢) سبق بيان معناها (ص٢٤).

(٣) السُّرىٰ: السير ليلاً. يُنظر: «اللسان» (سير).

(٤) يُرَنِّقُونَ: يُكَدِّرُون. يُنظر: «اللسان» (رنق).

بِرُوحِ الجَسَدِ الوَاحِدِ، الَّذِي «إِنْ اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ»[1]؛ حِمَايَةً لِلسَّفِينَةِ مِنَ الإِغْرَاقِ بِأَيْدِي أَقْوَامٍ سَفُهَتْ أَحْلَامُهُمْ، وَارْتَكَسَتْ - فِي حَمْأَةِ التَّبْدِيعِ وَالتَّفْسِيقِ وَالتَّكْفِيرِ - أَقْدَامُهُمْ، بَلْ تَعَدَّىٰ الأَمْرُ إِلَىٰ حَمْلِ السِّلَاحِ وَالتَّفْجِيرِ، وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَالتَّدْمِيرِ!

فَسَفِينَةُ الأُمَّةِ كُلُّهَا لَا تَرْسُو إِلَّا عَلَىٰ جُودِيِّ[2] الأَمْنِ وَالإِيمَانِ، فِي مَنْأَىٰ عَنْ مِطْرَقَةِ الجَهْلِ وَسِنْدَانِ الهَوَىٰ:

فَيَا سَاهِيًا فِي غَمْرَةِ الجَهْلِ وَالهَوَىٰ
صَرِيعَ الأَمَانِي عَنْ قَرِيبٍ سَتَنْدَمُ
أَفِقْ قَدْ دَنَا اليَوْمُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ
سِوَىٰ جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضَرَّمُ[3]

وَهَيْهَاتَ أَنْ تَجْنِيَ بَعْضُ الأَقْلَامِ ثَمَرًا يَانِعًا، فِي عَلْقَمِ النَّيْلِ مِنْ ثَوَابِتِ الأُمَّةِ، أَوِ التَّمَرُّغِ فِي أَوْحَالِ الوَقِيعَةِ بِرُمُوزِهَا، تَحْتَ أَيِّ دَعْوَىٰ عَرِيضَةٍ.

عِبَادَ اللَّهِ: وَالدَّعْوَةُ مُوَجَّهَةٌ مِنْ مِنْبَرِ المَسْجِدِ الحَرَامِ - حِفَاظًا عَلَىٰ الأُمَّةِ، وَأَمْنِ المُجْتَمَعِ - إِلَىٰ الفَارِّينَ مِنْ وَجْهِ العَدَالَةِ، وَالمَطْلُوبِينَ أَمْنِيًّا، أَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) جُودِي: جبل. يُنظر: «اللسان» (جود).

(٣) من «القصيدة الميمية» لابن القيِّم، يُنظر: «طريق الهجرتين» (ص٩٥).

يُبادِرُوا إِلىٰ تَسْلِيمِ أَنْفُسِهِمْ؛ لِيَحْكُمَ فِيهِمْ شَرْعُ اللَّهِ المُطَهَّرُ، وَحُكْمُهُ العَادِلُ، وَفِي ذَلِكَ تَحْقِيقُ الخَيْرِ لَهُم، وَلأُسَرِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ فِي العَاجِلِ وَالآجِلِ. وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ، تَلَقَّىٰ مَا أُنِيطَ بِهِ مِنْ أَمَانَةٍ وَمَسْؤولِيَّةٍ بِعَزْمٍ صَادِقٍ، وَبَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ، فَلَنْ تُعْجِزَهُ الأَوْهَامُ عَنِ الوُصُولِ إِلىٰ الحَقِّ وَالحَقِيقَةِ، وَلَنْ يُثْنِيَهُ الدَّيْجُورُ[1] عَنْ مُوَاصَلَةِ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ وَالعُبُورِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ، وَهُوَ الهَادِي إِلىٰ سَوَاءِ السَّبِيلِ!

هَذَا، وَأَسْأَلُ اللَّه ـ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ، وَعَمَّتْ نِعْمَتُهُ ـ أَنْ يُدِيمَ عَلَيْنَا نِعْمَةَ الأَمْنِ وَالإِيمَانِ، فَضْلًا وَجُودًا ومَنًّا، لَا بِاكْتِسَابٍ مِنَّا، إِنَّهُ جَوادٌ كَرِيمٌ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، عَلىٰ حَبِيبِ الحَقِّ، وَشَفِيعِ الخَلْقِ، الهَادِي البَشِيرِ، وَالسِّرَاجِ المُنِيرِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ المَوْلَىٰ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ فَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

---

(١) سبق بيان معناها (ص٣٨).

القسم التاسع:
بصائر في الأحداث والنوازل

صرخة نذير
في التحذير من فاقرة التكفير

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّـهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ، الْمُتَفَرِّدِ بِالْمُلْكِ وَالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ حَمْدًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرَ مُعْتَرِفٍ بِالْعَجْزِ عَنْ شُكْرِ نَعْمَائِهِ وَالتَّقْصِيرِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، تَعَالَىٰ عَنِ الشَّرِيكِ وَالشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ، سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ! لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّـهِ وَرَسُولُهُ الْهَادِي الْبَشِيرُ، وَالسِّرَاجُ الْمُنِيرُ، أَبَانَ لِأُمَّتِهِ خُطُورَةَ الْكَلِمَةِ، وَحَذَّرَهَا مِنَ الْمُجَازَفَةِ فِي التَّكْفِيرِ، صَلَّىٰ اللَّـهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِ بَيْتِهِ الْمَخْصُوصِينَ بِالتَّطْهِيرِ، وَصَحَابَتِهِ النَّمَاذِجِ الْعُلْيَا فِي الْجِدِّ وَالْإِخْلَاصِ وَالتَّشْمِيرِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْمَرْجِعِ وَالْمَصِيرِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا عِبَادَ اللَّـهِ: عَيْشُ الدَّعَةِ الْغَزِيرُ، وَالْخَيْرُ الْوَفِيرُ، وَالرِّزْقُ الْكَثِيرُ، ثَمَرَةُ تَقْوَىٰ الْمَوْلَىٰ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ، فَاتَّقُوا اللَّـهَ ـ رَحِمَكُمُ اللَّـهُ ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ ﴾ [الحديد].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَا يَرْتَابُ الْغَيُورُونَ عَلَىٰ أَحْوَالِ الْأُمَّةِ، أَنَّهَا تَعِيشُ زَمَنَ طُوفَانِ الْفِتَنِ، وَأَنَّ وَاقِعَهَا الْمَرِيرَ يَعُجُّ بِفِتَنٍ عَمْيَاءَ، وَدَوَاهٍ دَهْيَاءَ، قَدِ انْعَقَدَ غَمَامُهَا، وَادْلَهَمَّ[1] ظَلَامُهَا، غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ فِتْنَةً فَاقِرَةً[2]، وَبَلِيَّةً ظَاهِرَةً، فِتْنَةً امْتُحِنَ الْمُسْلِمُونَ بِهَا عَبْرَ التَّأْرِيخِ، فِتْنَةً عَانَتْ مِنْهَا الْأُمَّةُ طَوِيلًا، وَذَاقَتْ مِنْ مَرَارَتِهَا كَأْسًا وَبِيلًا[3]، وَتَجَرَّعَتْ غُصَصَهَا رَدْحًا[4] مِنَ الزَّمَنِ، فِتْنَةً طَالَ لَيْلُهَا وَأَرْخَىٰ سُدُولَهُ بِشَتَّىٰ هُمُومِهَا، وَتَبَدَّتْ بِكَلْكَلِهَا[5] وَغُمُومِهَا.

كَمْ نَجَمَ عَنْهَا مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ! وَتَنَاثُرِ الْأَشْلَاءِ، وَحَلَّ جَرَّاءَهَا مِنْ نَكَبَاتٍ وَأَرْزَاءٍ، وَبِالْجُمْلَةِ فَهِيَ مُحِيطٌ مَلْغُومٌ، وَمَرْكَبٌ مَثْلُومٌ[6]،

---

(١) ادْلَهَمَّ: كثف سواده. يُنظر: «اللسان» (دهم).

(٢) الفَاقِرَةُ: الداهية الكاسرة للفِقَارِ. يُنظر: «اللسان» (فقر).

(٣) وَبِيلًا: شديدًا. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» (وبل).

(٤) سبق بيان معناها (ص٧٤).

(٥) الكَلْكَلُ: الصدر من كل شيء. يُنظر: «اللسان» (كلل).

(٦) سبق بيان معناها (ص٤٠).

وَمُسْتَنْقَعٌ مَحْمُومٌ، وَخَطَرٌ مَحْتُومٌ، زَلَّتْ فِيهَا أَقْدَامٌ، وَضَلَّتْ فِيهَا أَفْهَامٌ، وَبِالتَّالِي فَهِيَ جَدِيرَةٌ بِالتَّذْكِيرِ، حَفِيَّةٌ بِالتَّفْكِيرِ، قَمِينَةٌ[1] بِالتَّبْصِيرِ، بَلْ بِصَرْخَةِ نَذِيرٍ، وَصَيْحَةِ تَحْذِيرٍ، حَتَّىٰ لَا تَتَجَدَّدَ فَوَاجِعُ الْأُمَّةِ فِي الْعُنْفِ وَالتَّدْمِيرِ، وَالْإِرْهَابِ وَالتَّفْجِيرِ.

أَجْزِمُ - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ يَخْفَىٰ عَلَىٰ شَرِيفِ عِلْمِكُمْ أَنَّهَا الظَّاهِرَةُ الْجَدِيرَةُ بِالتَّنْدِيدِ وَالنَّكِيرِ، وَالِاسْتِئْصَالِ وَالتَّغْيِيرِ، إِنَّهَا فِتْنَةُ التَّكْفِيرِ!! وَنَاهِيكَ بِهَا مِنْ فِتْنَةٍ! تُوَلِّدُ فِتَنًا.

هِيَ مِحْنَةٌ لَا بَلْ سَتَغْدُو مِنْحَةً فَضْلَ الْكَرِيمِ الْقَادِرِ الْمَنَّانِ

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: الْمُجَازَفَةُ بِالتَّكْفِيرِ شَرٌّ عَظِيمٌ، وَخَطَرٌ جَسِيمٌ، كَمْ أَذَاقَ الْأُمَّةَ مِنَ الْوَيْلَاتِ، وَوَبِيلِ الْعَوَاقِبِ وَالنِّهَايَاتِ، لَا يُسَارِعُ فِيهِ مَنْ عِنْدَهُ أَدْنَىٰ مُسْكَةٍ مِنْ وَرَعٍ وَدِيَانَةٍ، أَوْ شَذْرَةٍ[2] مِنْ عِلْمٍ، أَوْ ذَرَّةٍ مِنْ رَزَانَةٍ[3]، تَتَصَدَّعُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَتَفْزَعُ مِنْهُ النُّفُوسُ، وَتَرْتَعِدُ مِنْ خَطَرِهِ الْفَرَائِصُ.

---

(١) قَمِينَةٌ: جديرة وخليقة. يُنظر: «اللسان» (قمن).

(٢) الشَّذْرَةُ: القطعة الصغيرة من الذَّهب. يُنظر: «تاج العروس» (شذر).

(٣) الرَّزَانَةُ: الوقار. يُنظر: «اللسان» (رزن).

يَقُولُ الْإِمَامُ الشَّوْكَانِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وَهَا هُنَا تُسْكَبُ الْعَبَرَاتُ، وَيُنَاحُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِمَا جَنَاهُ التَّعَصُّبُ فِي الدِّينِ، عَلَىٰ غَالِبِ الْمُسْلِمِينَ، مِنَ التَّرَامِي بِالْكُفْرِ، لَا لِسُنَّةٍ، وَلَا لِقُرْآنٍ، وَلَا لِبَيَانٍ مِنَ اللَّهِ، وَلَا لِبُرْهَانٍ، بَلْ لِـمَا غَلَتْ بِهِ مَرَاجِلُ الْعَصَبِيَّةِ فِي الدِّينِ، وَتَمَكَّنَ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ مِنْ تَفْرِيْقِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ لَقَّنَهُمْ إِلْزَامَاتِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ بِمَا هُوَ شَبِيهُ الْهَبَاءِ فِي الْهَوَاءِ، وَالسَّرَابِ بِقِيعَةٍ، فَيَا لِلَّهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ مِنَ هَٰذِهِ الْفَاقِرَةِ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ فَوَاقِرِ الدِّينِ، وَالرَّزِيَّةِ الَّتِي مَا رُزِئَ بِمِثْلِهَا سَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ!!

إِلَىٰ أَنْ قَالَ ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ: وَالْأَدِلَّةُ ـ الدَّالَّةُ عَلَىٰ وُجُوبِ صِيَانَةِ عِرْضِ الْمُسْلِمِ وَاحْتِرَامِهِ ـ تَدُلُّ بِفَحْوَىٰ الْخِطَابِ عَلَىٰ تَجَنُّبِ الْقَدْحِ فِي دِيْنِهِ بِأَيِّ قَادِحٍ، فَكَيْفَ إِخْرَاجُهُ عَنِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَىٰ الْمِلَّةِ الْكُفْرِيَّةِ؟! فَإِنَّ هَٰذِهِ جِنَايَةٌ، لَا تَعْدِلُهَا جِنَايَةٌ، وَجُرْأَةٌ لَا تُمَاثِلُهَا جُرْأَةٌ! وَأَيْنَ هَٰذَا الْمُجْتَرِئُ عَلَىٰ تَكْفِيرِ أَخِيهِ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: **«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ»**(١)، وَقَوْلِهِ ﷺ: **«سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»**(٢)، وَقَوْلِهِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ﷺ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ»؟![1]. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّه[2].

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَلِهَوْلِ هَٰذِهِ القَاصِمَةِ، جَاءَتِ النُّصُوصُ الزَّاجِرَةُ عَنْ هَٰذَا المَرْتَعِ الْوَخِيمِ، وَالمَسْلَكِ المَشِينِ، يَقُولُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء:٩٤]، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ»[3].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[4] مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ».

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: «السَّيل الجرَّار» (٤/ ٥٨٤، ٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري مختصرًا (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) واللفظ له.

(٤) برقم (٦١).

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ[1] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: قَالَ: **«مَنْ رَمَىٰ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ»**.

وَعَلَىٰ هَٰذَا الْمَنْهَجِ النَّاصِعِ الْوَضِيءِ سَارَ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَرَّجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ[2]، وَالطَّبَرَانِيُّ[3]، وَغَيْرُهُمَا[4] عَنْ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ: **«سَأَلْتُ جَابِرًا ـ وَهُوَ مُجَاوِرٌ بِمَكَّةَ ـ: هَلْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مُشْرِكًا؟ فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ! وَفَزِعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ: هَلْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَافِرًا؟ قَالَ: لَا!»**.

وَعَلَىٰ هَٰذَا الْمَسْلَكِ الْمُشْرِقِ اللَّأْلَاءِ، سَارَ السَّلَفُ الصَّالِحُ ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ـ فَوَضَعُوا لِهَٰذَا الْحُكْمِ أُصُولًا وَشُرُوطًا وَضَوَابِطَ، وَرَسَمُوا لَهُ حَالَاتٍ وَمَوَانِعَ، لَابُدَّ مِنْ مُرَاعَاتِهَا وَالتَّثَبُّتِ فِيهَا؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِخُطُورَتِهَا وَدِقَّتِهَا، وَأَهَمُّهَا: أَنَّ التَّكْفِيرَ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ وَمَحْضُ حَقِّ اللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ وَرَسُولِهِ ﷺ.

---

(١) برقم (٦٠٤٧، ٦١٠٥) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٢) في «المسند» (٣/ ٣٨٩) عن أبي الزبير بنحوه.

(٣) في «الأوسط» (٧/ ٢٣٠).

(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٤/ ٢٠٧)، وابن أبي زمنين في «رياض الجنة» (ص٢٢٠).

يَقُولُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ بِالنَّصِّ يَثْبُتُ لَا بِقَوْلِ فُلَانِ

مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَاكَ ذُو الْكُفْرَانِ[1]

يَقُولُ الْإِمَامُ الطَّحَاوِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وَلَا نُكَفِّرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ»[2].

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «إِنَّ بَابَ التَّكْفِيرِ وَعَدَمِ التَّكْفِيرِ بَابٌ عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ وَالْمِحْنَةُ فِيهِ، وَكَثُرَ فِيهِ الِافْتِرَاقُ، وَتَشَتَّتَتْ فِيهِ الْأَهْوَاءُ وَالْآرَاءُ، وَتَعَارَضَتْ فِيهِ دَلَائِلُهُمْ، فَالنَّاسُ فِيهِ عَلَىٰ طَرَفَيْنِ وَوَسَطٍ ـ ثُمَّ قَالَ: ـ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَعْظَمِ الْبَغْيِ أَنْ يُشْهَدَ عَلَىٰ مُعَيَّنٍ، أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لَهُ، وَلَا يَرْحَمُهُ، بَلْ يُخَلِّدُهُ فِي النَّارِ»[3].

وَقَالَ الْغَزَالِيُّ[4]: «وَالَّذِي يَنْبَغِي: الِاحْتِرَازُ عَنِ التَّكْفِيرِ، مَا وُجِدَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَإِنَّ اسْتِبَاحَةَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ مِنَ الْمُصَلِّينَ إِلَىٰ الْقِبْلَةِ، الْمُصَرِّحِينَ بِقَوْلِ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، خَطَأٌ، وَالْخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ

---

(١) يُنظر: «القصيدة النونية» بشرح ابن عيسى (٢/ ٤١٢).

(٢) يُنظر: «العقيدة الطحاوية» (ص٤٠).

(٣) يُنظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٥٥ـ ٣٥٧).

(٤) في كتابه «التفرقة بين الإيمان والزندقة»، كما في «فتح الباري» (١٢/ ٣٠٠).

كَافِرٍ فِي الْحَيَاةِ أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَأِ فِي سَفْكِ دَمٍ لِمُسْلِمٍ».

وَقَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ: أَنَّهُ لَا يُكَفَّرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا يُكَفَّرُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ وَغَيْرُهُمْ»(١).

وَيَقُولُ الْقَرَافِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «كَوْنُ أَمْرٍ مَا كُفْرًا، أَيَّ أَمْرٍ كَانَ، لَيْسَ مِنَ الْأُمُورِ الْعَقْلِيَّةِ، بَلْ هُوَ مِنَ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ، فَإِذَا قَالَ الشَّارِعُ فِي أَمْرٍ مَا: هُوَ كُفْرٌ، فَهُوَ كُفْرٌ»(٢).

وَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «فَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ لَا يُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ الْمُخَالِفُ يُكَفِّرُهُمْ؛ إِذِ الْكُفْرُ حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُعَاقِبَ بِمِثْلِهِ، كَمَنْ كَذَبَ عَلَيْكَ، وَزَنَىٰ بِأَهْلِكَ، لَيْسَ لَكَ أَنْ تَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَتَزْنِيَ بِأَهْلِهِ؛ لِأَنَّ الْكَذِبَ وَالزِّنَىٰ حَرَامٌ لِحَقِّ اللَّهِ تَعَالَىٰ، وَكَذَلِكَ التَّكْفِيرُ حَقُّ اللَّهِ، فَلَا يُكَفَّرُ إِلَّا مَنْ كَفَّرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»(٣).

وَقَالَ الشَّيْخُ الْمُجَدِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِالْوَهَّابِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وَبِالْجُمْلَةِ

---

(١) يُنظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١/ ١٥٠).

(٢) يُنظر: «الفروق» (٤/ ٢٩٨).

(٣) يُنظر: «الرد على البكري» (ص٣٨١).

فَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ أَلَّا يَتكَلَّمَ فِي هَـٰذِهِ المَسْأَلَةِ إِلَّا بِعِلْمٍ وَبُرْهَانٍ مِنَ اللَّهِ، وَلْيَحْذَرْ مِنْ إِخْرَاجِ رَجُلٍ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمُجَرَّدِ فَهْمِهِ وَاسْتِحْسَانِ عَقْلِهِ، فَإِنَّ إِخْرَاجَ رَجُلٍ مِنَ الإِسْلَامِ، أَوْ إِدْخَالَهُ، مِنْ أَعْظَمِ أُمُورِ الدِّينِ، وَقَدِ اسْتَزَلَّ الشَّيْطَانُ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي هَـٰذِهِ المَسْأَلَةِ».

اللَّهُ أَكْبَرُ! ذَلِكُمْ هُوَ وَرَعُ السَّلَفِ فِي هَـٰذَا البَابِ، فَكَيْفَ يَسُوغُ بَعْدَ هَـٰذِهِ النُّقُولِ كُلِّهَا، لِمَنْ لَمْ يَبْلُغْ فِي مِقْدَارِ عِلْمِهِمْ وَفَضْلِهِمْ نَقِيْرًا[1] وَلَا قِطْمِيْرًا[2]، وَكَانَ هَمُّهُ التَّدْلِيْسَ وَالتَّلْبِيْسَ، أَنْ يَتَجَاسَرَ بِإِطْلَاقِ الحُكْمِ بِالْكُفْرِ الصُّرَاحِ فِي حَقِّ إِخْوَانِهِ المُسْلِمِينَ، جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا ـ عِيَاذًا بِاللَّهِ عِيَاذًا!

أَوَ مَا عَلِمَ هَؤُلَاءِ؟ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ التَّسَرُّعِ فِي التَّكْفِيرِ مِنْ أُمُورٍ خَطِيرَةٍ، مِنِ اسْتِحْلَالِ الدَّمِ وَالمَالِ، وَمَنْعِ التَّوَارُثِ، وَفَسْخِ النِّكَاحِ، وَتَحْرِيمِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ دَفْنِهِ فِي مَقَابِرِ المُسْلِمِينَ، مَعَ مَا يَسْتَوْجِبُهُ

---

(١) النَّقِيرُ: نكتة في ظهر النواة منها تنبت النخلة. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن»، و«اللسان» (نقر).

(٢) القِطْميرُ: القشرة الدقيقة التي على النواة بين النواة والتمر. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن»، و«اللسان» (قطمر). والمقصود هنا: أن علمهم ليس بشيء نسبة إلى علم السلف ـ رحمهم الله.

مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ ـ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! ـ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَزْبُورٌ[1] فِي مَظَانِّهِ.

فَلَا جَرَمَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ، أَنْ يَقِفَ الشَّرْعُ مِنْهُ مَوْقِفًا صَارِمًا يَسُدُّ الطَّرِيقَ عَلَىٰ أَحْفَادِ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ: وَحَرْقُوصِ بْنِ زُهَيْرٍ[2]، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ ضِئْضِئِهِ مِمَّنْ يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، بَلْ يُوَزِّعُونَ صُكُوكَ جَهَنَّمَ عَلَىٰ الْخَلِيقَةِ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَمِنَ الضَّوَابِطِ الْمُهِمَّةِ فِي هَٰذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْخَطِيرَةِ، أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يُكَفَّرُ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوِ اعْتِقَادٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَتُزَالَ عَنْهُ الشُّبْهَةُ.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: **«فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُكَفِّرَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَخْطَأَ وَغَلَطَ، حَتَّىٰ تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَتُبَيَّنَ لَهُ الْمَحَجَّةُ، وَمَنْ ثَبَتَ إِسْلَامُهُ بِتَعْيِينٍ لَمْ يَزُلْ عَنْهُ ذَلِكَ بِالشَّكِّ، بَلْ لَا يَزُولُ إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ»**[3].

---

(١) مَزْبُورٌ: مكتوب، والزَّبْر: الكتابة. يُنظر: «اللسان» (زبر).

(٢) أحد رؤوس الخوارج، من بني تميم. تُنظر ترجمته في: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٢/ ٤٩).

(٣) يُنظر: «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٦٦).

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَجِبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْفَاعِلِ، وَالْإِطْلَاقِ وَالتَّعْيِينِ، وَتَنْزِيلِ النُّصُوصِ عَلَىٰ الْوَقَائِعِ وَالْأَشْخَاصِ.

جَاءَ فِي «مَجْمُوعِ الْفَتَاوَىٰ»[1] مَا نَصُّهُ: **«فَإِنَّ نُصُوصَ الْوَعِيدِ الَّتِي فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَنُصُوصَ الْأَئِمَّةِ بِالتَّكْفِيرِ وَالتَّفْسِيقِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، لَا يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ مُوجِبِهَا فِي حَقِّ الْمُعَيَّنِ، إِلَّا إِذَا وُجِدَتِ الشُّرُوطُ، وَانْتَفَتِ الْمَوَانِعُ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ»**.

وَمِنْهَا: أَنَّ الْكُفْرَ نَوْعَانِ: أَكْبَرُ وَأَصْغَرُ، اعْتِقَادِيٌّ وَعَمَلِيٌّ، وَهَٰذَا مِمَّا الْتَبَسَ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ يَتَرَاشَقُونَ بِالتَّكْفِيرِ، فَغَفَلُوا عَنِ الْجَمْعِ بَيْنَ النُّصُوصِ، وَالْمَنْهَجِ الصَّحِيحِ، فِيمَا ظَاهِرُهُ التَّعَارُضُ.

وَلِهَذَا، ذَهَبَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ - سَلَفًا وَخَلَفًا - إِلَىٰ التَّفْصِيلِ فِي قَضِيَّةِ الْحَاكِمِيَّةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ حَبْرِ الْأُمَّةِ، وَتُرْجُمَانِ الْقُرْآنِ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - حَيْثُ يَقُولُ: **«لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ، وَإِنَّمَا هُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ»**[2]. وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الطَّبَرِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ وَالْقُرْطُبِيُّ، وَعِكْرِمَةُ وَمُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ وَطَاوُوسٌ، وَالزَّجَّاجُ وَالْآجُرِّيُّ، وَابْنُ عَبْدِالْبَرِّ

---

(١) (١٠/ ٣٧٢).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ٢٠).

وَالسَّمْعَانِيُّ وَالجَصَّاصُ، وَأَبُو يَعْلَىٰ وَأَبُو حَيَّانَ، وَابْنُ بَطَّةَ، وَابْنُ عَطِيَّةَ، وَابْنُ الجَوْزِيِّ، وَشَيْخُ الإِسْلَامِ وَتِلْمِيذُهُ ابْنُ القَيِّمِ، وَأَئِمَّةُ الدَّعْوَةِ، وَالمُحَقِّقُونَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَعَدَّ أَهْلُ العِلْمِ أَرْبَعَ حَالَاتٍ فِي هَٰذِهِ المَسْأَلَةِ عَلَىٰ تَفْصِيلٍ نَفِيسٍ، يُحَقِّقُ الجَمْعَ بَيْنَ النُّصُوصِ، مِمَّا يُؤَكِّدُ الإِجْمَاعَ عَلَىٰ بَرَاءَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ تَكْفِيرِ عُصَاةِ الأُمَّةِ، مَعَ أَنَّ وُجُوبَ الحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَا يَتَمَارَىٰ فِيهِ مُسْلِمَانِ، بَيْدَ أَنَّ هَٰذَا الجَزْمَ المُسْتَبِينَ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْرِجَنَا لِحَمَاسَةٍ مَشْبُوهَةٍ، وَعَاطِفَةٍ جَيَّاشَةٍ، عَنْ قَوَاعِدِ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ، وَأُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالقُرْآنِ، وَمَنْهَجِ السَّلَفِ فِي النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟!

وَمِنَ الضَّوَابِطِ فِي هَٰذِهِ المَسْأَلَةِ، أَنَّهُ لَا يُكَفَّرُ بِاللَّوَازِمِ مِنَ الأَقْوَالِ، وَلَا يُعْتَبَرُ بِمَا تَؤُولُ إِلَيْهِ مِنْ أَفْعَالٍ.

قَالَ الإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**مَذْهَبُ المُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ الأُصُولِ، أَنَّ الكُفْرَ بِالمَآلِ لَيْسَ بِكُفْرٍ فِي الحَالِ**»[1].

وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: «**إِنَّ الَّذِي يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالكُفْرِ، مَنْ كَانَ**

---

(١) يُنظر: «الفروق» مع هوامشه (٤/ ٢٩٦، ٣٠١).

الكُفْرُ صَرِيحَ قَوْلِهِ، وَكَذَا مَنْ كَانَ لَازِمَ قَوْلِهِ، وَعُرِضَ عَلَيْهِ فَالْتَزَمَهُ، أَمَّا مَنْ لَمْ يَلْتَزِمْهُ، وَنَاضَلَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ كَافِرًا، وَلَو كَانَ اللَّازِمُ كُفْرًا»[(١)].

وَأَخِيرًا، فَإِنَّهُ لَا يُكَفَّرُ إِلَّا مَنْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ تَكْفِيرِهِ، أَوْ قَامَ عَلَىٰ تَكْفِيرِهِ دَلِيلٌ لَا مُعَارِضَ لَهُ، حَكَاهُ ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ، وَابْنُ بَطَّالٍ، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ، وَالْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِذْ يَقُولُ: «وَلَا نُكَفِّرُ إِلَّا مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ كُلُّهُمْ»[(٢)]. مَعَ أَنَّ مِنْ مُسَلَّمَاتِ هَٰذِهِ الْقَضِيَّةِ، الْعِلْمَ بِأَنَّ هَٰذَا الْعَمَلَ كُفْرٌ، فَالْجَاهِلُ لَا يُكَفَّرُ حَتَّىٰ تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ.

يَقُولُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْجَهْمِيَّةِ: «لَوْ قُلْتُ قَوْلَكُمْ لَكَفَرْتُ، وَلَٰكِنِّي لَا أُكَفِّرُكُمْ؛ لِأَنَّكُمْ عِنْدِي جُهَّالٌ»[(٣)].

وَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «وَهَٰذَا الْمُتَأَوِّلُ يَنْبَغِي إِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ أَوَّلًا،

---

(١) يُنظر: «فتح المغيث» للسخاوي (١/ ٣٣٤).

(٢) يُنظر: «الدرر السنية» (١/ ٦٥).

(٣) ذكر نحو هذا الأثر عن الإمام أحمد: الذهبي في «سير الأعلام» (١١/ ٢٥٩)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية نحوه في «الرد على البكري» (ص٣٨٣، ٣٨٤).

وَإِظْهَارُ خَطَئِهِ، وَإِعْلَامُهُ بِالْـحَقِّ»[1]، كَمَا يَنْبَغِي أَنْ تُعْلَمَ المَوَانِعُ المَانِعَةُ مِنَ التَّكْفِيرِ، وَمِنْهَا: الْجَهْلُ وَالْخَطَأُ وَالْإِكْرَاهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل:١٠٦]، وَمِنْهَا: التَّأْوِيلُ السَّائِغُ، وَلِذَلِكَ اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ عَدَمِ تَكْفِيرِ مَنْ اسْتَحَلُّوا الْخَمْرَ؛ لِوُجُودِ الشُّبْهَةِ لَدَيْهِمْ، وَهِيَ تَأْوِيلُهُمْ قَوْلَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [المائدة].

وَبَعْدُ أَيُّهَا الْـمُسْلِمُونَ: فَإِنَّ الغُيُرَ حِينَمَا يُبَيِّنُونَ خُطُورَةَ الْمُجَازَفَةِ بِالتَّكْفِيرِ، وَبَيَانَ شُرُوطِهِ وَضَوَابِطِهِ، فَإِنَّهُمْ يُعْلِنُونَ لِلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ، أَنَّ الْإِسْلَامَ بَرِيءٌ مِنْ هَذَا الْمُعْتَقَدِ الْخَاطِئِ، وَأَنَّ مَا جَرَىٰ فِي بِلَادِنَا الْمَحْرُوسَةِ، وَيَجْرِي فِي بَعْضِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ الْمَعْصُومَةِ، وَإِزْهَاقِ الْأَنْفُسِ الْبَرِيئَةِ، وَأَعْمَالِ التَّفْجِيرِ وَالتَّدْمِيرِ، وَالتَّخْرِيبِ وَالْإِفْسَادِ وَالْإِرْهَابِ، لَهُوَ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِجْرَامِيَّةِ الْمُحَرَّمَةِ،

---

(١) يُنظر: نحو ذلك في «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦١٠).

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحَمَّلَ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ الْمُعْتَدِلُونَ جَرِيرَةَ هَـٰذِهِ الْأَحْدَاثِ، الَّتِي هِيَ إِفْرَازُ فِكْرٍ تَكْفِيرِيٍّ مُنْحَرِفٍ، مِمَّا تَأْبَاهُ الشَّرِيعَةُ السَّمْحَةُ، وَالْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ، وَالْعُقُولُ الْمُسْتَقِيمَةُ.

وَاللَّهُ الْمَسْؤُولُ أَنْ يُصْلِحَ حَالَ الْأُمَّةِ، وَيَكْشِفَ عَنْهَا كُلَّ غُمَّةٍ، وَأَنْ يُوَفِّقَ الْجَمِيعَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَيَهْدِيَكُمْ لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ، إِنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِآيِ الْكِتَابِ، وَبِسُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَوَّابِ، أَقُولُ هَـٰذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا.

الخطبة الثانية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيْلَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّـهُ، هُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّـهِ وَرَسُولُهُ، الْمَبْعُوثُ بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ، وَفِعْلٍ نَبِيلٍ، صَلَّى اللَّـهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الْمُثْنَىٰ عَلَيْهِمْ بِمُحْكَمِ التَّنْزِيلِ، وَصَحْبِهِ ذَوِي الْمَكَانَةِ وَالتَّفْضِيلِ، وَسَلِّمْ يَا رَبِّ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّـهَ - عِبَادَ اللَّـهِ - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة]، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّـهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: حِيْنَمَا يَهِيجُ الْهَوَىٰ فِي النُّفُوسِ، وَتُعْرِضُ عَنْ نُورِ الْوَحْيِ وَالنُّصُوصِ، تُصَابُ بِسُكْرٍ يُرْدِيهَا أَشَدَّ الْبُؤُوسِ، وَإِنَّ ظَاهِرَةَ الْغُلُوِ فِي التَّكْفِيرِ وَالْاعْتِسَافِ، لَهِيَ مِنْ أَخْطَرِ مَا بُلِيَتْ بِهِ الْأُمَّةُ، فَحَوَّلَهَا إِلَىٰ إِسْرَافٍ فِي أَطْرَافٍ. لَقَدْ بَدَأَتْ هَـٰذِهِ الْفِتْنَةُ بِحَرْبِ كَلَامٍ، وَانْتَهَتْ إِلَىٰ اسْتِحْلَالِ الدَّمِ الْحَرَامِ، وَزَادَ شَطَطُهَا حِينَمَا حُمِلَ السِّلَاحُ

فِي وَجْهِ الْأُمَّةِ، وَأَذْكَىٰ أُوَارَهَا[1] حِينَمَا بَرَزَتْ فِي صُورَةِ فَتَاوَىٰ تَكْفِيرِيَّةٍ تَحْرِيضِيَّةٍ، تَلَقَّفَهَا حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، فَسَلَكُوا مَسَالِكَ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْإِجْرَامِ، فَهَلْ بَعْدَ هَـٰذَا يَسَعُ السُّكُوتُ، أَهْلَ الْإِسْلَامِ؟ لَقَدْ كَانَ الْغَيُورُ عَلَىٰ أَبْنَاءِ أُمَّتِهِ يَرَىٰ خَلَلَ الرَّمَادِ[2] وَمِيضَ نَارٍ، وَأَنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فَتِيَّةٌ، وَالْيَوْمَ نَرَىٰ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا، فَمَا زَالَ الْفِكْرُ التَّكْفِيرِيُّ يَسْرِي بِقُوَّةٍ فِي صُفُوفِ شَبَابِ الْأُمَّةِ، الَّذِينَ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ الْمُجْتَمَعَاتِ نَظْرَةً سَوْدَاوِيَّةً قَاتِمَةً، وَأَنَّهُ لَا مَخْرَجَ مِنَ الْمِحَنِ وَالْبَلَايَا الَّتِي رُزِئَتْ بِهَا الْأُمَّةُ، إِلَّا بِالتَّكْفِيرِ فَالتَّفْجِيرِ وَالتَّدْمِيرِ.

وَمِمَّا يَزِيدُ فِي الْأَسَىٰ، مَا يُرَىٰ مِنْ تَسَرُّبِ هَـٰذِهِ اللَّوْثَةِ الْخَطِيرَةِ إِلَىٰ بَعْضِ شَبَابِ الْأُمَّةِ الْغَضِّ. وَيَعْظُمُ الْأَمْرُ حِينَمَا يَكُونُ الْحُكْمُ بِالتَّكْفِيرِ جُزَافًا عَلَىٰ وُلَاةِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ بَايَعَهُمْ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، فَرُمُوا بِالْعَمَالَةِ وَالْمُدَاهَنَةِ، بَلْ لَقَدْ سَرَىٰ الْخَطَرُ إِلَىٰ عَوَامِّ الْمُسْلِمِينَ وَنَاشِئَتِهِمْ.

وَمِمَّا مَدَّ فِي أَجَلِ هَـٰذَا الْفِكْرِ الْمُتَهَافِتِ، وَبَسَطَ سُوقَ رَوَاجِهِ، هُوَ

---

(١) سبق بيان معناها (ص٣٣١).

(٢) خَلَلُ الرَّمَادِ: بين الرماد. يُنظر: «اللسان» (خلل).

التَّقْصِيرُ فِي التَّصَدِّي لَهُ، وَذِكْرِ أَسْبَابِهِ، وَالَّتِي مِنْ أَهَمِّهَا ضَحَالَةُ الْعِلْمِ، وَقِلَّةُ الْفَهْمِ، وَالِاقْتِدَاءُ بِالنَّكِرَاتِ، وَالْخَطَأُ فِي مَنْهَجِيَّةِ الطَّلَبِ وَالتَّحْصِيلِ، فَلَمْ يُؤْخَذِ الْعِلْمُ مِنْ أَهْلِهِ الْمَعْرُوفِينَ، بَلْ زَهِدُوا فِيهِمْ، وَأَفْقَدُوا الثِّقَةَ بِهِمْ، مَعَ عَدَمِ الدِّرَايَةِ بِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، وَقَوَاعِدِ الْفِقْهِ، وَرِعَايَةِ الْمَصَالِحِ الْعُلْيَا فِي الْأُمَّةِ، وَالتَّعَلُّقِ بِشُبَهٍ وَمُتَشَابِهَاتٍ، وَغَرَائِبَ وَشُذُوذَاتٍ، مَعَ تَرْكٍ لِلنُّصُوصِ الْمُحْكَمَاتِ الْوَاضِحَاتِ، إِضَافَةً إِلَىٰ مَا يَعُجُّ بِهِ وَاقِعُ الْأُمَّةِ مِنْ صُوَرٍ مِنَ الظُّلْمِ وَالِاضْطِهَادِ، غَيْرَ أَنَّ ذَٰلِكَ لَيْسَ بِمُبَرِّرٍ وَلَا مُسَوِّغٍ لِلْخَطَأِ، فَالْعُنْفُ لَا يُعَالَجُ بِالْعُنْفِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: **«وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»**(١).

وَإِذَا كَانَ الْمُصْلِحُونَ يَرَوْنَ الْأُمَّةَ مُمَزَّقَةً، وَالْمُمْتَلَكَاتِ مُغْتَصَبَةً، وَالْمُقَدَّسَاتِ مُسْتَلَبَةً، فَهَلِ الْمَخْرَجُ مِنْ هَٰذِهِ الرَّزَايَا بِتَكْفِيرِ الْوُلَاةِ، وَالْخُرُوجِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَحَمْلِ السِّلَاحِ فِي وَجْهِ الْأُمَّةِ؟!

أَلَا يَفِيقُ هَٰؤُلَاءِ؟ أَلَا يَعْتَبِرُونَ بِمَنْ حَوْلَهُمْ؟ أَلَمْ يَقْرَؤُوا التَّأْرِيخَ لِيُدْرِكُوا كَمْ أَضَرَّ هَٰذَا الْفِكْرُ بِالْأُمَّةِ، وَصَدَّهَا عَنْ دِينِهَا، وَخَوَّفَ شَبَابَهَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٦)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٢٧١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

مِنَ التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ وَالْتِزَامِ الشَّرِيعَةِ!! مَاذَا قَدَّمَ هَـٰذَا الْفِكْرُ الْمَارِقُ لِلْأُمَّةِ؟ وَمَاذَا أَثْمَرَ فِي مَسِيرَةِ الدَّعْوَةِ، وَالْعَمَلِ الْخَيْرِيِّ وَالْإِخْلَاصِ؟! فَاللَّهُمَّ غَفْرًا غَفْرًا!

أَفَلَا يَسَعُ هَؤُلَاءِ مَا وَسِعَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ وَرُسُلَهُ، وَالصَّحَابَةَ الْكِرَامَ، وَالسَّلَفَ الصَّالِحَ؟ فَشَغَلُوا أَنْفُسَهُمْ تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا، وَدَعْوَةً وَإِصْلَاحًا.

أَمَّا الْعِلَاجُ، فَبِالْعِلْمِ وَالْفَهْمِ وَالْحِوَارِ، حَتَّىٰ لَا تَخْرَبَ الدِّيَارُ، وَيَحِلَّ الدَّمَارُ، وَيَلْحَقَ بِالْأُمَّةِ الْعَارُ وَالشَّنَارُ[1]، وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ! فَلَقَدْ كَفَّرَ أَسْلَافُ هَؤُلَاءِ، خِيَارَ هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَجَازَىٰ مَنْ كَفَّرَهُمْ وَعَادَاهُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَهُنَا لَابُدَّ مِنَ التَّأْكِيدِ عَلَىٰ أَنَّ النَّاسَ فِي هَـٰذِهِ الْقَضِيَّةِ طَرَفَانِ وَوَسَطٌ، فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُرْجِئَةِ، وَكَمَا عَانَتِ الْأُمَّةُ مِنْ فِكْرِ التَّكْفِيرِ، عَانَتْ مِنَ الْإِرْجَاءِ وَالتَّأْخِيرِ، وَلِهَـٰذَا بَوَّبَ أَهْلُ الْعِلْمِ: بَابَ الرِّدَّةِ وَنَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّىٰ لِذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْبَصِيرَةِ.

---

(١) سبق بيان معناها (ص٣١٠).

وَطَالَبَ بَعْضُ الْمُنْهَزِمِينَ فِكْرِيًّا بِتَمْيِيعِ الدِّينِ وَذَوَبَانِ الشَّرِيعَةِ بِدَعَاوَىٰ فَجَّةٍ، وَنَسَبُوا إِلَىٰ مَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ الشَّرْعِيَّةِ، النَّقْصَ وَالثَّلْبَ، لَا بَلَّغَهُمُ اللَّهُ مَا يَرُومُونَ.

وَالدَّعْوَةُ مُوَجَّهَةٌ بِحَرَارَةٍ إِلَىٰ شَبَابِ الْأُمَّةِ بِالْيَقَظَةِ وَالِانْتِبَاهِ، وَأَخْذِ الْحَذَرِ مِنْ كُلِّ انْحِرَافٍ فِكْرِيٍّ يُجَانِبُ مَنْهَجَ الْوَسَطِيَّةِ وَالِاعْتِدَالِ.

وَالنِّدَاءُ مُوَجَّهٌ إِلَىٰ شَبَابِ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ، الَّذِينَ نَشَأُوا عَلَىٰ صِحَّةِ الْعَقِيدَةِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْهَجِ أَئِمَّةِ الدَّعْوَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ، أَنْ يَحْذَرُوا اللَّوْثَاتِ الْفِكْرِيَّةَ الْمُنْحَرِفَةِ، وَأَنْ يَثْبُتُوا عَلَىٰ مَنْهَجِهِمُ الصَّحِيحِ، رُغْمَ التَّحَدِّيَاتِ وَالْمُتَغَيِّرَاتِ، وَأَنْ يَلْتَحِمُوا بِوُلَاتِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، وَأَنْ يَحْذَرُوا مِنْ أَنْ يُسْتَغَلُّوا أَوْ يُسْتَفَزُّوا بِأَفْكَارٍ دَخِيلَةٍ، أَوْ مَنَاهِجَ وَخِيمَةٍ.

وَإِلَىٰ الْمُصْطَادِينَ بِالْمَاءِ الْأُجَاجِ، الْمُسْتَغِلِّينَ كُلَّ هَفْوَةٍ مِنْ بَعْضِ الْأَخْيَارِ وَالصَّالِحِينَ، أَنْ كُفُّوا عَنْ تَعْمِيمِ الْأَحْكَامِ، وَعَلَىٰ رِسْلِكُمْ عَنِ الْوَقِيعَةِ فِي شَبَابِ الْإِسْلَامِ، فَوَاللَّهِ لَنْ تَصْلُحَ حَالُ الْأُمَّةِ إِلَّا بِالْقِيَامِ بِأَمْرِ الدِّينِ، وَنُصْرَةِ حَمَلَتِهِ، وَالذَّبِّ عَنْ أَعْرَاضِ الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ، وَالدُّعَاةِ الصَّادِقِينَ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ النُّصْحِ لِلْأُمَّةِ، وَالسَّعْيُ

فِي بَرَاءَةِ الذِّمَّةِ، وَإِنْ شَرِقَ[1] بِذَلِكَ أُنَاسٌ.

فَلَيْسَ يَخْلُو المَرْءُ مِنْ قَدْحٍ وَمَدْحٍ، وَإِنْ كَانَ أَقْوَمَ مِنْ قِدْحٍ، لَكِنَّ الْعَزَاءَ، الِانْتِصَارُ لِلْحَقِّ بِدَلِيلِهِ، وَإِنْ سَخِطَ النَّاسُ كُلَّ النَّاسِ، وَحَسْبِي أَنَّهُ مَحْضُ النَّصِيحَةِ، الْمُوَافِقَةِ لِلنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ، وَالنُّقُولِ الصَّرِيحَةِ، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ عَلَىٰ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ: نَبِيِّ الْمَرْحَمَةِ وَالمَلَاحِمِ، وَرَسُولِ الْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ وَالمَكَارِمِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ فَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) الشَّرَقُ: الشَّجَا والغُصَّةُ، وهو دخول الطعام أو الماء الحلق حتى يغص، يُقال: أخذته شرقة فكاد يموت. يُنظر: «اللسان» (شرق).

النَّوازِلُ والأزماتُ: فِقهٌ، وتعامُلٌ، ونظراتٌ

الخُطبَةُ الأُولَى:

الحَمْدُ لِلَّهِ الحَكِيمِ الخَلَّاقِ، أَحْمَدُهُ - تعَالَىٰ - وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا يَتَجَدَّدُ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ، وَأَسْتَلْهِمُهُ - سُبْحَانَهُ - الرِّضَىٰ بِالْقَضَاءِ، وَالصَّبْرَ عَلَىٰ مُرِّ البَلَاءِ وَإِنْ ضَاقَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ذَلَّتْ لِعَظَمَتِهِ الْأَفْئِدَةُ، وَهَوَتْ لِجَبَرُوتِهِ الْأَعْنَاقُ، وَأَسْأَلُهُ - جَلَّتْ قُدْرَتُهُ - دَفْعَ الكَرْبِ، وَكَشْفَ الخَطْبِ، وَرَفْعَ أَعْمَالِ السَّلْبِ وَالنَّهْبِ، وَحَقْنَ الدَّمِ المُسْلِمِ المُهْرَاقِ، عَلَىٰ ثَرَىٰ فِلَسْطِينَ وَالْعِرَاقِ، فَالْقُلُوبُ مِنَ الْأُمَّةِ مُلْتَاعَةٌ، وَالدَّمْعُ سَاخِنٌ دَفَّاقٌ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَزْكَىٰ الْبَرِيَّةِ فِي الشَّمَائِلِ، وَأَشْرَفُهُمْ فِي المَحْتِدِ[1] وَالْأَعْرَاقِ، خَصَّهُ الْبَارِئُ - سُبْحَانَهُ - بِشَرِيعَةٍ تَلَأْلَأَتْ بِالْكَمَالِ وَالجَمَالِ وَالجَلَالِ، وَفَاضَتْ بِالرَّحْمَةِ وَالْإِشْفَاقِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ اقْتَفَوْا أَثَرَهُ بِأَسْمَىٰ المَنَاقِبِ وَأَطْهَرِ الْأَخْلَاقِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا ارْتَقَىٰ إِلَىٰ العَلْيَاءِ

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٢٩).

رَاقٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللَّهِ المَلِكِ الرَّزَّاقِ، فَفِي تَقْوَاهُ - سُبْحَانَهُ - أَوْفَرُ الخَلَاقِ، وَبِهَا النَّجَاةُ يَوْمَ التَّلَاقِ، فَكُونُوا فِي تَحْقِيقِهَا فِي تَنَافُسٍ وَاسْتِبَاقٍ، وَاحْذَرُوا التَّفْرِيطَ فِيهَا، فَعَاقِبَةُ أَهْلِهِ المَثُلَاتُ الَّتِي لَا تُطَاقُ، وَمَالَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي ظِلِّ النَّوَازِلِ وَالْأَزَمَاتِ، وَفِي خِضَمِّ تَدَاعِيَاتِ الْأَحْدَاثِ وَالنَّكَبَاتِ، تَتَعَاظَمُ حَاجَةُ الْأُمَّةِ إِلَىٰ الْفِقْهِ الْعَمِيقِ، وَالنَّظَرِ الدَّقِيقِ، وَالمَنْهَجِ الْوَثِيقِ، المُتَمَثِّلِ فِي فِقْهِ التَّعَامُلِ مَعَ الْأَزَمَاتِ وَالنَّوَازِلِ، حَتَّىٰ لَا تَخْتَلِطَ الْأَوْرَاقُ، وَتَنْقَلِبَ المَوَازِينُ، وَتَنْعَكِسَ المَعَايِيرُ، وَلِكَيْلَا تَزِلَّ الْأَقْدَامُ، وَتَضِلَّ الْأَفْهَامُ، وَتَكِلَّ الْأَقْلَامُ، وَيَخْتَلَّ الْإِعْلَامُ.

فِي النَّوَازِلِ وَالْأَزَمَاتِ يَتَعَاظَمُ الْخَطَرُ عَلَىٰ الْهُوِيَّةِ وَالثَّوَابِتِ، وَتَحْتَاجُ سَفِينَةُ الْأُمَّةِ إِلَىٰ رَبَابِينَ مَهَرَةٍ يُحْسِنُونَ قِيَادَةَ دَفَّتِهَا إِلَىٰ شَاطِئِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ، وَسَاحِلِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، حَتَّىٰ تُحْفَظَ لِلْأُمَّةِ حُقُوقُهَا الْعَقَدِيَّةُ وَالْأَمْنِيَّةُ، فِي تَحْقِيقٍ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَتَوْحِيدِ الْكَلِمَةِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُمَا لَأُمَّةُ

الْأَمَانِ أَمَامَ العَوَاصِفِ الْهَوْجَاءِ، الَّتِي تَمُرُّ بِهَا أُمَّتُنَا، وَتَكَادُ لِخُطُورَتِهَا تُنْسِيهَا كُلَّ الْأَزَمَاتِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَيْهَا فِي تَأْرِيخِهَا الْمُعَاصِرِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: لَـمَّا كَانَتْ هَـٰذِهِ الدُّنْيَا دَارَ اخْتِبَارٍ وَابْتِلَاءٍ، وَمَمَرًّا إِلَىٰ الْآخِرَةِ، دَارِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، شَاءَ الْمَوْلَىٰ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ بِحِكْمَتِهِ، أَنْ يَتَقَلَّبَ فِيهَا النَّاسُ بَيْنَ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَأَنْ يَكُونُوا وِجْهَةً لِلْمَصَائِبِ وَالْمِحَنِ، وَأَلَّا تَخْلُو حَيَاتُهُمْ مِنَ النَّوَائِبِ وَالْفِتَنِ، وَلِلَّهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ!

وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ بِعِبَادِهِ أَنْ مَنَحَهُمْ شِرْعَةً غَرَّاءَ تَحْكُمُهُمْ فِي جَمِيعِ الظُّرُوفِ وَالْأَوْقَاتِ، تُنِيرُ لَهُمُ الطَّرِيقَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَحِينَ الْبَأْسِ وَالْأَرْزَاءِ، وَتَأْخُذُ بِأَيْدِيهِمْ أَيَّامَ الْمِحَنِ وَالشَّدَائِدِ وَالْأَزَمَاتِ.

وَهَذَا السَّنَنُ الرَّبَّانِيُّ، تَنَزَّهَ عَنِ الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ، وَأَقَامَ فِي الْبَرَايَا الذُّهُولَ وَالْعَجَبَ! وَهُوَ ـ بِلَا شَكٍّ ـ مِسْبَارٌ لِلْأَفْرَادِ وَعِلَلِ الْقُلُوبِ، وَمِصْقَلَةٌ(١) لِأَدْوَاءِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ، وَمَنْ ثَبَتَ فِي هَـٰذَا التَّمْحِيصِ، بَلَغَ مِنَ الظَّفَرِ وَالتَّمْكِينِ كُلَّ الذُّرَىٰ، وَمَنْ تَسَخَّطَ وَتَفَزَّعَ وَجَزَعَ، بَاءَ

---

(١) مِصْقَلَةٌ: من الصقل، وهو: الجلاء، يُقال: يصقل الشيء يصقله صقلًا: إذا جلاه، والمقصود هنا: أن بها تتجلى وتظهر أدواء الأمم. يُنظر: «اللسان» (صقل).

بِالْخَسَارِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ - وَارْتَكَسَ فِي أَوْحَالِ الثَّرَىٰ. وَلَا يَظُنَّنَّ ظَانٌّ أَنَّ الْاِبْتِلَاءَ بِالضَّرَّاءِ، نَقْصٌ كُلُّهُ، وَشَرٌّ كُلُّهُ، وَمَنْعٌ كُلُّهُ، كَلَّا! بَلْ تَضَمَّنَ مِنَ الحِكَمِ وَالْأَسْرَارِ، وَالمَنَازِلِ عَلِيَّةِ الْأَقْدَارِ، مَا لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ ذَوِي الْبَصَائِرِ وَالْأَلْبَابِ.

فَمِنْهَا: الرُّجُوعُ وَالِاسْتِكَانَةُ وَالتَّضَرُّعُ إِلَىٰ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - وَالْيَقِينُ بِأَنَّ مَا يَحْدُثُ فِي هَـٰذَا الْكَوْنِ فَبِتَقْدِيرِهِ وَتَدْبِيرِهِ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢]، وَأَنَّ إِلَيْهِ المَلْجَأَ وَالمَعَاذَ، وَالمَهْرَبَ وَالمَلَاذَ، وَقَدْ عَابَ - سُبْحَانَهُ - عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَسْتَكِنْ إِلَيْهِ وَيَتَضَرَّعْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَـٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون].

وَمِنْهَا: التَّمْحِيصُ وَالِاصْطِفَاءُ، وَتَرْوِيضُ النُّفُوسِ عَلَىٰ مُرِّ الْاِبْتِلَاءِ، فَلَمْ يَكُنْ هَـٰذَا هُوَ الْأَوَّلَ، وَلَنْ يَكُونَ الْأَخِيرَ.

فَلَقَدْ مُنِيَتْ أُمَّتُنَا عَبْرَ التَّأْرِيخِ بِأَحْدَاثٍ وَبَلَايَا، وَتَجَرَّعَتْ نَكَبَاتٍ وَرَزَايَا، وَخَرَجَتْ مِنْهَا بِحَمْدِ اللَّهِ مُعَزَّزَةً مَنْصُورَةً: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟

﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب].

وَفِي الْجُمْلَةِ: لَا تَخْلُو المَصَائِبُ وَالْأَزَمَاتُ مِنْ عِبَرٍ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، فَفِيهَا تَنْبِيهُ الْغَافِلِ وَتَلْقِينُ الْجَاهِلِ، وَتَقْوِيَةُ الرَّوَابِطِ عَلَى الْاِتِّحَادِ وَالْوِئَامِ، وَنَبْذُ التَّنَازُعِ وَالتَّشَتُّتِ وَالْخِصَامِ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال:٤٦].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: قَضَاءُ الْبَارِئِ بَالِغُ النُّفُوذِ! وَعَلَيْهِ نَتَوَكَّلُ، وَلَيْسَ إِلَّا بِهِ نَلُوذُ، وَهَا هِيَ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَا تَزَالُ تَحْتَسِي الْقَلَقَ وَالضَّنَى، وتَقْتَاتُ الْوَيْلَاتِ وَالْعَنَا؛ جَرَّاءَ الْكَرْبِ الْمُتَفَاقِمِ، وَالْخَطْبِ الْمُتَعَاظِمِ فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ، وَأَعْيَى هَذَا الْمُصَابُ الْجَلَلُ كُلَّ مُحِبٍّ لِلسِّلْمِ، وَلِلْأَمْنِ تَوَّاقٍ. أَرْتَالٌ مُصَفَّحَاتٍ، وَلَهِيبُ نِيرَانٍ، أَزِيزُ قَنَابِلٍ، وَسُحُبُ دُخَانٍ، دَوِيُّ قَذَائِفٍ، وَأَنِينُ حِرْمَانٍ، تَدْمِيرٌ لِلْمَبَانِي، وَقَصْفٌ لِلْعُمْرَانِ، حَرْبٌ جَعَلَتْ مِنْ الْجَدَاوِلِ الرَّقْرَاقَةِ[1] خَنَادِقَ، وَمِنَ الْأَغْصَانِ الزَّاهِيَةِ بَنَادِقَ، دَخَلَتِ الْبُيُوتَ مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا، وَجَرَّعَتِ الْمَدَنِيِّينَ الْعُزَّلَ مُذَابَ عَذَابِهَا، فَرُحْمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ، وَاللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ!!!

---

(١) الرَّقْرَاقُ: المتلألئ. يُنظر: «اللسان» (رقق).

كَـمْ فِي الْعِـرَاقِ وَكَـمْ فِي الْقُـدِسِ ذُو شَـجَنٍ
شَـكَا فَـرَدَّدَتِ الْأَصْـــدَاءُ شَـكْـوَاهُ
بَنـِي الْعَقِيْــــدَةِ إِنَّ القَــرْحَ مَـسَّكُمُــو
وَمَـسَّنَــا نَحْـنُ فِي الآلَامِ أَشْبَـــاهُ
شَعْــــبٌ يُقَتَّـلُ وَالدُّنْيَـــا تُـشَاهِدُهُـــمْ
كَأَنَّهُمْ مِنْ بَنِي الْإِنْسَـانِ مَا كَانُــوا
فِـيهِمْ مِـنَ الْبُـؤْسِ وَالتَّـشْرِيدِ مَلْحَمَــةٌ
خَــوْفٌ وَجُوعٌ وَتَقْتِيـلٌ وَحِرْمَـانُ
صَــوْتُ اسْـتِغَاثَتِهِمْ يَكْـوِي الْفُـؤَادَ وَمَـا
مِـنْ مُنْقِــذٍ أَوَ مَـا لِلْنَـاسِ آذَانُ؟

أَجَلْ! لَا بُدَّ أَنْ يُرْفَعَ عَنِ الْأُمَّةِ هَـٰذَا الْكَـابُوسُ، وَأَنْ تُهْتَمَ[1] أَنْيَابُ هَـٰذِهِ الْحَرْبِ الضَّرُوسِ ـ الَّتِي مَا زَالَ مُشْتَعِلًا ضِرَامُهَا، حَامِيًا وَطِيسُهَا ـ بِالْحُلُولِ السَّرِيعَةِ السِّلْمِيَّةِ الْمُتَّئِدَةِ، القَائِمَةِ عَلَىٰ الحِكْمَةِ وَالْعَقْلِ وَالنَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ، تَحْتَ مِظَلَّةِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ، وَالدَّسَاتِيرِ الْعَالَـمِيَّةِ، وَالْأَنْظِمَةِ

(١) الهَتْمُ: هَتَمَ الشَّيءَ: كسره، وهَتَمَ فاه: نزع مُقدَّم أَسْنَانِه. يُنظر: «الصحاح» (هتم).

الدُّوَلِيَّـةِ لِحُقُـوقِ الْإِنْـسَانِ، وَالْأَعْـرَافِ وَالمَوَاثِيـقِ الْمُحْتَرَمَـةِ لِـسِيَادَةِ الْأَوْطَانِ.

إِنَّنَا ـ بِاسْـمِ الـشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْإِنْـسَانِيَّةِ ـ نُوَجِّهُ النِّـدَاءَ الْحَارَّ، إِلَىٰ الرَّأْيِ الْعَامِّ الْعَالَمِيِّ، وَصُنَّاعِ الْقَـرَارِ؛ لَلْوَقْـفِ الْفَـوْرِيِّ لِهَـٰذِهِ الْحَرْبِ الطَّاحِنَـةِ، وَأَعْـمَالِ الْعُنْـفِ وَالْفَـوْضَىٰ، الَّتِي تَقُـودُ الْمَنْطِقَةَ إِلَىٰ أَنْفَاقٍ مُظْلِمَةٍ، وَسَرَادِيبَ مُعْدَمَةٍ مَجْهُولَةِ النِّهَايَةِ.

وَكَمْ تَجَرَّعَتِ الْإِنْسَانِيَّةُ مِنْ وَيْلَاتِ الْعُنْفِ وَالْحُرُوبِ، وَأَحْـدَثَتْ مِنْ مَشَاعِرِ الْبَغْضَاءِ وَالْكَرَاهِيَةِ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَأَلْوَانِ الصِّرَاعِ وَالـصِّدَامِ بَيْنَ الْحَضَارَاتِ. فَالْحُرُوبُ طَوِيلٌ ذَيْلُهَا، قَلِيـلٌ نَيْلُهَـا، كَثِيرٌ وَيْلُهَـا، لِـذَا، لَزِمَ وَتَحَتَّمَ إِطْفَاءُ فَتِيلِهَا حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَـا، وَيُكْفَـىٰ الْمُسْلِمُونَ شَرَّهَا وَأُوَارَهَا[1]؛ حِمَايَةً لِلْمَدَنِيِّينَ الْأَبْرِيَاءِ، وَتَفَادِيًا لِلْخَسَائِرِ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْمُمْتَلَكَات، وَحِفَاظًا عَـلَىٰ أَمْنِ الْمُجْتَمَعَـاتِ وَالـشُّعُوبِ. وَإِبْقَـاءً عَـلَىٰ المَعَـالِمِ الحَـضَارِيَّةِ وَالتَّأْرِيخِيَّـةِ لِلْعَوَاصِـمِ الْعِلْمِيَّـةِ وَالْحَـوَاضِرِ الْإِسْـلَامِيَّةِ، وَسَدًّا لِلْطَرِيقِ أَمَامَ الْقُوَىٰ الصُّهْيُونِيَّةِ الْغَاشِمَةِ، الَّتِي اسْـتَغَلَّتِ انْـشِغَالَ الْعَـالَمِ بِهَـٰذِهِ الْحَـوَادِثِ وَالْمُسْتَجَدَّاتِ، فَعَمِلَـتْ عَـلَىٰ تَوْسِـيعِ نُفُوذِهَـا فِي

---

(١) سبق بيان معناها (ص٣٣٢).

أَرْضِ الرِّسَالَاتِ وَمَهْدِ الْبُطُولَاتِ، عَلَىٰ ثَرَىٰ فِلَسْطِينَ الْمُجَاهِدَةِ.

أَرْبَابَ السَّلَامِ! حُمَاةَ الشَّرْعِيَّةِ! دُعَاةَ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْحُرِّيَّةِ! يَا شُرَفَاءَ الْعَالَمِ فِي كُلِّ مَكَانٍ! هُبُّوا سِرَاعًا إِلَىٰ الْحَلِّ النَّاجِزِ، وَالتَّحَرُّكِ الْإِيجَابِيِّ؛ لِإِنْهَاءِ هَٰذِهِ الْقَضِيَّةِ الْمَأْسَاوِيَّةِ، وَالْكَارِثَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، قَبْلَ أَنْ تُسْلَبَ أَرْسَانُ[1] الثِّقَةِ وَالْمِصْدَاقِيَّةِ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْهَيْئَاتِ الدُّوَلِيَّةِ، وَالْمُنَظَّمَاتِ الْعَالَمِيَّةِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَاضَاقَ شَيْءٌ إِلَّا اتَّسَعَ بِالْمَسَاعِي الْحَثِيثَةِ الْجَادِّ خَطْوُهُ، وَمَا ظَهَرَ فَتْقٌ إِلَّا أَمْكَنَ - بِالْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ - رَفْوُهُ[2]، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة]، ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق]، وَإِنَّ فِي طَيَّاتِ الْمِحَنِ لَمِنَحًا، وَفِي ثَنَايَا النِّقَمِ لَنِعَمًا، **«وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»**[3].

---

(١) أَرْسَانُ: جمع رَسْنٌ، وهو الحبل. يُنظر: «اللسان» (رسن).

(٢) رَفْوُهُ: إصلاحه. يُنظر: «اللسان» (رفو).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٧)، والطبراني في «الكبير» (١١٢٤٣)، والحاكم

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تِلْقَاءَ مِحَنٍ نَجَمَتْ، وَخُطُوبٍ مُرِيعَةٍ هَجَمَتْ، فَتَبَصَّرُوا فِي هَـٰذِهِ الْحَوَادِثِ وَالسِّيَرِ، وَانْتَزِعُوا مِنْهَا الدُّرُوسَ وَالْعِبَرَ، لَا سِيَّمَا فِي التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَةِ وَالِاتِّحَادِ ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَفِي غَمْرَةِ هَـٰذِهِ الْأَحْدَاثِ الْمُتَسَارِعَةِ الدَّامِيَةِ، وَالْأَوْقَاتِ الْمُسْتَعِرَةِ الْحَامِيَةِ، تَلْجَأُ بَعْضُ النُّفُوسِ الضَّعِيفَةِ، الَّتِي خَلَتْ مِنَ الْمُرُوءَةِ، وَتَعَرَّتْ مِنَ الْوَفَاءِ وَالنُّبْلِ، لِتَشْرَخَ تَلَاحُمَ الْأُمَّةِ وَوَحْدَتَهَا، وَلِتُلَبِّسَ عَلَىٰ النُّزَهَاءِ الْبُرَآءِ حَقَائِقَ وَمُسَلَّمَاتٍ، بِشَائِعَاتٍ بَاطِلَةٍ، وَأَكَاذِيبَ مُلَفَّقَةٍ، هِيَ جَرَاثِيمُ قَاتِلَةٌ، وَ(فَيْرُوسَاتٌ) مُهْلِكَةٌ، وَجِرَاحَاتٌ مُدَمِّرَةٌ، وَحَرْبٌ نَفْسِيَّةٌ خَطِرَةٌ، وَتَحْطِيمٌ لِلْمَعْنَوِيَّاتِ، وَوَأْدٌ لِلطُّمُوحَاتِ، وَاللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات]، وَيَقُولُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

في «المستدرك» (٣/ ٥٤٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب].

وَيقُولُ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ[1] ومُسْلِمٌ[2]، وَكُلَّمَا اتَّسَعَتْ رُقْعَةُ الشَّائِعَاتِ الْبَاطِلَاتِ وَالْأَرَاجِيْفِ الذَّائِعَاتِ، الَّتِي يُرَوِّجُهَا ذُو قِحَةٍ[3] وَغِلَالَةٍ[4] صَفِيقَةٍ، كَانَ إِثْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمَ.

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِ الْعَفِّ، أَمَامَ هَـٰذِهِ الْإِفْرَازَاتِ النَّفْسِيَّةِ الدَّاكِنَةِ، أَنْ يَتَمَثَّلَ قَوْلَ الْحَقِّ ـ جَلَّ جَلَالُهُ ـ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [النور].

وَأَوْرَدَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا[5] عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ وَاسِعٍ كَانَ فِي مَجْلِسٍ، فَتَكَلَّمَ رَجُلٌ فَأَكْثَرَ الْكَلَامَ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: مَا عَلَىٰ

---

(١) برقم (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما.

(٢) برقم (٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما.

(٣) ذُو قِحَةٍ: قليل الحياء. يُنظر: «اللسان» (وقح).

(٤) الغِلَالَةُ: ثَوبٌ رقيق يُلبس تحت الدِّثَار. يُنظر: «اللسان» (غلل).

(٥) في «الصمت وآداب اللسان» (ص٦١).

أَحَدِكُمْ لَوْ سَكَتَ، فَتَنَقَّىٰ وَتَوَقَّىٰ!».

نَعَمْ ـ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ـ مَنْ كَانَ كَلَامُهُ رَسْلًا رَسْلًا، فَلْيَتَذَكَّرْ قَوْلَ البَارِئِ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق]، وَمَنْ سَرَىٰ فِي خَلَدِهِ أَنَّهُ نَائِلٌ بِالسَّفَاسِفِ وَالتُّرَّهَاتِ مِنْ تَرَابُطِنَا الذَّهَبِيِّ الْبَدِيعِ، وَتَآلُفِنَا الْمُتَأَلِّقِ الْمَنِيعِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!! فَالطَّوْدُ أَشَمُّ، وَالوِفَاقُ ـ بِحَمْدِ اللَّهِ ـ أَتَمُّ.

فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ مِنْ تَنَاقُلِ وَتَدَاوُلِ الشَّائِعَاتِ؛ حَيْثُ غَدَتْ السَّخَافَاتُ الْمُغْرِضَةُ سِلَاحًا فَتَّاكًا، وَمِعْوَلًا هَدَّامًا، يُقَوِّضُ وَحْدَةَ الصَّفِّ، وَيُفْسِدُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الرُّعَاةِ وَالرَّعِيَّةِ، وَالْعُلَمَاءِ وَالْعَامَّةِ، وَالشَّبَابِ وَالشُّيُوخِ، وَيَزْرَعُ الشَّكَّ وَسُوءَ الظَّنِّ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَالْيَأْسَ بَيْنَ النَّاسِ، وَبِخَاصَّةٍ مَعَ انْتِشَارِ وَسَائِلِ الاتِّصَالِ الْحَدِيثَةِ، الَّتِي أَضْحَىٰ بَعْضُهَا مَرَاحِيضَ إِلِكْتُرُونِيَّةً تُزْكِمُ الْأُنُوفَ بِعَفَنِهَا وَنَتَنِهَا.

وَالْمُفْتَرَضُ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ ـ الَّذِي يَنْشُدُ الْكَمَالَ وَالسُّمُوَّ فِي جَمِيعِ حَيَاتِهِ ـ أَنْ يَكُونَ حِصْنًا حَصِينًا ضِدَّ الشَّائِعَاتِ، فَالرَّسُولُ ﷺ يقول: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»، خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ فِي

«صَحِيحِهِ»(١)، فَلْيُعْرِضِ الْمُسْلِمُ عَنِ الشَّائِعَاتِ، وَيَرْبَأْ بِنَفْسِهِ عَنْ سَمَاعِهَا وَتَرْوِيجِهَا، فَالرُّكُونُ إِلَيْهَا وَتَنَاقُلُهَا يُؤَدِّي إِلَىٰ مَفَاسِدَ خَطِيرَةٍ، تُهَدِّدُ بُنْيَانَ الْمُجْتَمَعِ، وَتُقَوِّضُ بِنَاءَ الْأُمَّةِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّ مِنَ الْفِقْهِ عِنْدَ الْأَزَمَاتِ، أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهَا بِرُؤْيَةٍ شَرْعِيَّةٍ، تَحْلِيلًا وَتَطْبِيقًا، فَالْإِسْلَامُ يُحَرِّمُ الظُّلْمَ وَالْعُدْوَانَ، وَيُوجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ التَّنَاصُرَ وَالتَّآزُرَ، حَسْبَ مَا تَقْتَضِيهِ الظُّرُوفُ وَالْأَحْوَالُ، وَلَوْ بِالدُّعَاءِ وَالْمَالِ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢]، وَفِي الْأَزَمَاتِ - حَيْثُ خِيفَ تَسَاقُطِ الْقِيَمِ - يَتَعَيَّنُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ الْأَخْذُ بِأَسْبَابِ الثَّبَاتِ عَلَىٰ صَحِيحِ الْمُعْتَقَدِ، وَسَلَامَةِ الْمَنْهَجِ، عِنْدَ غِيَابِ صَحِيحِ الْمَنْهَجِ، وَالتَّقَيُّدُ بِالضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، مِنْ لُزُومِ الرِّفْقِ وَالسَّكِينَةِ، وَالتَّثَبُّتِ وَالْأَنَاةِ، وَعَدَمِ الْعَجَلَةِ، وَحِفْظِ اللِّسَانِ، وَالتَّبَصُّرِ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَالْقُرْبِ مِنْ نُصَحَاءِ الْأُمَّةِ، وَصُلَحَاءِ الْمُجْتَمَعِ، وَعَدَمِ الاسْتِشْرَافِ لِلْفِتَنِ، فَمَنْ يَسْتَشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه فِي الصَّحِيحَيْنِ(٢)، وَأَلَّا يَتَكَلَّفَ فِي لَيِّ أَعْنَاقِ النُّصُوصِ؛

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦) بلفظ: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فيها** =

لِتَنْزِيلِهَا عَلَىٰ وَقَائِعِ الْعَصْرِ، بِلَا أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ.

كَمَا يَنْبَغِي تَغْلِيبُ الْعَقْلِ عَلَىٰ الْعَاطِفَةِ، وَالرَّوِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ عَلَىٰ الْانْفِعَالَاتِ، وَتَقْدِيمُ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ عَلَىٰ مَا يُظَنُّ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْغَوْغَائِيَّةِ وَالْغُثَائِيَّةِ، الَّتِي لَا تُصِيبُ صَيْدًا، وَلَا تَنْكَأُ[1] عَدُوًّا، وَالْحَذَرُ مِنَ الْانْسِيَاقِ وَرَاءَ مَا يُدَّعَىٰ مِنْ جِهَادٍ مَوْهُوم لَمْ تَتَبَيَّنْ لَهُ رَايَةٌ، وَلَمْ تَظْهَرْ لَهُ غَايَةٌ، وَلَمْ تَتَحَقَّقْ فِيهِ الشُّرُوطُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْمَقَاصِدُ الْمَرْعِيَّةُ.

وَمِنْهَا: الْمُحَافَظَةُ التَّامَّةُ عَلَىٰ لُحْمَتِنَا الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَجَبْهَتِنَا الدَّاخِلِيَّةِ، وَقِيَادَتِنَا الشَّرْعِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، مِنْ أُولِي الْأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِمْ، وَعَدَمُ تَصْدِيقِ الدُّخَلَاءِ وَالْمُرْجِفِينَ، الَّذِينَ يَظْهَرُونَ فِي الْأَزَمَاتِ خَفَافِيشَ ظُلُمَاتٍ، وَطُفَيْلِيَّاتِ زَرْعٍ وَنَبَاتٍ، يَقْتَنِصُونَ بِالْمِيَاهِ الرَّاكِدَةِ، وَيَنْفُذُونَ فِي الطُّرُقِ الْوَعِرَةِ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ

= خَيْرٌ من الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فيها خَيْرٌ من الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فيها خَيْرٌ من السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لها تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أو مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ».

(١) سبق بيان معناها (ص٢٩).

﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء].

إِخْـوَةَ الْعَقِيـدَةِ: وَمَهْـمَا ارْبَدَّتِ[1] الْآفَاقُ فِي مَرْأَى الْعَيْنِ، فَإِنَّ دِينَكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - دِينُ الثُّبُوتِ وَالْبَقَاءِ، وَمُحَالٌ أَنْ يَعْتَرِيَهُ الزَّوَالُ وَالْفَنَاءُ، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ[2]، وَالْحَاكِمُ[3]، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، مِنْ حَدِيثِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ ﷺ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ**». وَقَدْ أَعْطَى الْمَوْلَى حَبِيبَهُ وَمُصْطَفَاهُ مُحَمَّدًا ﷺ «**أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتَهُ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَلَّا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا**»، خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[4] مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رضي الله عنه.

---

(١) ارْبَدَّتْ: اسْوَدَّت. يُنظر: «اللسان» (ربد).

(٢) في «المسند» (٤/ ١٠٣).

(٣) في «المستدرك» (٤/ ٤٣٠).

(٤) برقم (٢٨٨٩).

وَإِنَّهَا لَفُرْصَةٌ جُلَّىٰ مِنْ خِلَالِ اسْتِعْرَاضِ هَـٰذِهِ الْأَحْوَالِ، أَنْ تَدْرُسَ أُمَّتُنَا أَسْبَابَ النَّصْرِ وَالْهَزَائِمِ، بِمَنْظُورٍ جَدِيدٍ، وَرَأْيٍ سَدِيدٍ، وَمَوْقِفٍ رَشِيدٍ، وَمَنْهَجٍ حَمِيدٍ، وَتُدَقِّقَ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْغَايَاتِ وَالنَّتَائِجِ؛ لِإعْتِلَاءِ شَرَفِنَا السَّامِقِ، وَمَجْدِنَا الشَّامِخِ - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَحَذَارِ مِنَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ وَالْإِحْبَاطِ، وَإِلَىٰ مَزِيدٍ مِنَ التَّفَاؤُلِ وَالْاِسْتِبْشَارِ، فَالنَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون].

حَفِظَ اللَّهُ أُمَّتَنَا مِنْ كَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَحِقْدِ الْحَاقِدِينَ، وَعُدْوَانِ الْمُعْتَدِينَ، وَأَصْلَحَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَكَشَفَ الْغُمَّةَ عَنْ هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ. نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِآيِ الْكِتَابِ، وَهَدْيِ الْمُصْطَفَىٰ الْأَوَّابِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْغَفُورَ الْوَهَّابَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا، وَتُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ عَلَيْنَا الْمِنَنَ، وَأَكْرَمَنَا بِأَقْوَمِ كِتَابٍ وَأَهْدَىٰ سَنَنٍ، نَسْتَغْفِرُهُ - سُبْحَانَهُ - مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَأَسْأَلُهُ - بِقُوَّتِهِ وَعِزَّتِهِ - دَفْعَ الْكُرُوبِ وَالْمِحَنِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا الْمَبْعُوثَ بِالرَّحْمَةِ وَأَزْكَىٰ السُّنَنِ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحَابَتِهِ، شُمُوسِ الضُّحَىٰ وَبُدُورِ الدُّجَىٰ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَلْتَكُنِ التَّقْوَىٰ دَيْدَنَكُمْ وَمِيسَمَكُمْ[1]؛ تَفُوزُوا فِي الدَّارَيْنِ وَتَسْعَدُوا فِي الْحَيَاتَيْنِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّ عَلَىٰ شَبَابِ الْأُمَّةِ - الْفَطِنِ الرَّشِيدِ، بَلْ وَالْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، فِي هَٰذِهِ الْأَحْدَاثِ قَصِيرَةِ الْعُمْرِ - أَنْ يَتَدَرَّعُوا بِدِرْعَيْنِ وَاقِيَيْنِ - بِإِذْنِ اللَّهِ -:

دِرْعِ الْأَوْبَةِ إِلَىٰ اللَّهِ، وَصِدْقِ الِالْتِجَاءِ إِلَيْهِ، وَالْإِلْحَاحِ فِي الدُّعَاءِ،

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٦).

المَـشْفُوعِ بالـصِّدْقِ وَالْإِخْـلَاصِ وَالْإِنَابَـةِ، وَإِنَّـهُ لَـسِهَامُ اللَّيْـلِ الَّتِـي لَا تُخْطِئُ، وَالسِّلَاحُ الخَفِيُّ الَّذِي لَا يَخِيبُ.

وَدِرْعِ الِالْتِفَافِ حَوْلَ الْقِيَادَةِ الحَادِبَةِ[1]، وَكَوْكَبَةِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، اسْتِرْشَادًا بِتَوْجِيهَاتِهِمْ، وَاسْتِنَارَةً بِإِرْشَادَاتِهِمْ، كَيْفَ لَا؟ وَهُمْ مِسَاكُ الدِّينِ وَمِلَاكُهُ، وَأَنْصَارُهُ وَهُدَاتُهُ، وَبِهِمْ يُحْفَظُ الدِّينُ، وَهُمُ المُوَقِّعُونَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَنْ صَدَرَ أو وَرَد عَنْ غَيْرِ رَأْيِهِمْ وَبَصِيرَتِهِمْ، فَيُخْشَىٰ عَلَيْهِ المَزَلَّةُ وَالْعَطَبُ.

وَإِنَّ عُلَمَاءَ الشَّرِيعَةِ ـ وَفَّقَهُمُ اللَّهُ ـ لَمُدْرِكُونَ مَدَىٰ الْأَمَانَةِ المُنَاطَةِ بِأَعْنَاقِهِمْ، لَاسِيَّمَا فِي الْأَزَمَاتِ وَالشَّدَائِدِ، وَإِنَّ المُنْصِفَ لَوَاجِدُهُمْ أَشَدَّ النَّاسِ حِرْصًا عَلَىٰ تَوْجِيهِ الْأُمَّةِ، وَبَيَانِ الحَقِّ بِالْهَدْيِ النَّبَوِيِّ، المُتَضَمِّنِ لِلْحِكْمَةِ وَالْكِيَاسَةِ، وَالْأَنَاةِ وَالحَصَافَةِ، مُصْطَحِبِينَ المَقَاصِدَ الشَّرْعِيَّةَ، وَالْقَوَاعِدَ المَرْعِيَّةَ: مِنْ دَفْعِ الشُّرُورِ وَالمَفَاسِدِ، وَجَلْبِ الخُيُورِ وَالمَصَالِحِ، عَمَلًا بِالْقَاعِدَةِ الذَّهَبِيَّةِ: التَّصَرُّفُ عَلَىٰ الرَّعِيَّةِ مَنُوطٌ بِالمَصْلَحَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَخُصُوصًا إِذَا اتَّقَدَتِ الْعَوَاطِفُ، وَالْتَهَبَتِ

---

(١) الحَادِبَةُ: العاطفة المُشْفِقَةُ، وفي حديث علي يصف أبا بكر ـ رضي الله عنهما ـ: «وأحدبهم على المسلمين»، أي: أعطفهم وأشفقهم. يُنظر: «اللسان» (حدب).

الْمَشَاعِرُ، وَوَقْتَئِذٍ فَالْأُمَّةُ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَىٰ الدَّلِيلِ الْمُخْلِصِ، وَالرُّبَّانِ الْمَاهِرِ، وَالْهَادِي الرَّشِيدِ، بِالرَّأْيِ الْحَصِيفِ، وَالْقَوْلِ السَّدِيدِ، وَإِذَا كَثُرَ الْمَلَّاحُونَ غَرِقَتِ السَّفِينَةُ، فَلَا بُدَّ مِنْ تَجَاوزِ الْخِلَافَاتِ وَالْمَعَارِكِ الْوَهْمِيَّةِ، وَالْحِوَارَاتِ الْعَقِيمَةِ الْهَامِشِيَّةِ، وَتَفْعِيلِ الدَّوْرِ التَّرْبَوِيِّ لِلْوَسَائِلِ الْإِعْلَامِيَّةِ، وَعَدَمِ التَّضْخِيمِ وَالْإِثَارَةِ وَالتَّهْوِيلِ.

وَالْحَذَرِ مِنَ الْاِجْتِهَادَاتِ الْفَرْدِيَّةِ، وَالتَّصَرُّفَاتِ الْآحَادِيَّةِ، وَبَثِّ الْفَتَاوَىٰ الطَّائِرَةِ، وَإِصْدَارِ الْأَحْكَامِ الْجُزَافِ الْجَائِرَةِ، الَّتِي تَدَعُ الْعُقُولَ حَائِرَةً، وَتَجُرُّ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ إِلَىٰ فِتَنٍ عَمْيَاءَ لَا يَعْلَمُ عَوَاقِبَهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ!

وَلِلْأُمَّةِ فِي تَأْرِيخِهَا نَمَاذِجُ بَاهِرَةٌ فِي الْحَزْمِ وَالْحِكْمَةِ، فَهَٰذَا أَبُوبَكْرٍ ﷺ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وَهَٰذَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَوْمَ الْمِحْنَةِ، وَهَٰذَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ.

إِنَّنَا بِهَٰذَا لَا نُلْغِي الْمَشَاعِرَ وَالْعَوَاطِفَ الْمُتَدَفِّقَةَ لَدَىٰ شَبَابِ الْأُمَّةِ ؛ غَيْرَةً عَلَىٰ الدِّينِ وَالْمِلَّةِ، بَلْ نَحْمَدُهَا لَهُمْ، وَنَسْتَبْشِرُ بِهَا الْخَيْرَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَٰكِنَّنَا نَدْعُو إِلَىٰ حُسْنِ تَوْظِيفِهَا، وَالْاِسْتِبْصَارِ بِعَوَاقِبِهَا، وَالتَّحْلِيقِ بِجَنَاحَي الْعَاطِفَةِ وَالْعَقْلِ؛ إِذِ الْاِسْتِقْلَالُ بِأَحَدِهِمَا مَفْسَدَةٌ، وَشَطَطٌ عَنْ سَوَاءِ الْحَقِّ، وَفِي التَّوَاؤُمِ بَيْنَهُمَا تَحْقِيقٌ لِلْوَسَطِيَّةِ وَالْاِعْتِدَالِ، وَنُزُوعٌ إِلَىٰ

الطَّرِيقِ السَّوِيِّ - بِإِذْنِ اللَّهِ - وَيَعْلَمُ اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنَّ هَـٰذَا مَحْضُ الْحُبِّ وَالنُّصْحِ لَهُمْ، وَالمَوَدَّةِ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ.

أَلَا وَإِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَمَنِّهِ عَلَىٰ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، نَسِيجَهَا الْمُتَمَيِّزَ، وَمَنْظُومَتَهَا الْفَرِيدَةَ الْمُتَأَلِّقَةَ، لَاسِيَّمَا فِي الْأَزَمَاتِ، فَرُعَاتُهَا دَأَبُوا بِكُلِّ الثِّقَلِ - وَلَا يَزَالُون - لِإِخْمَادِ هَـٰذِهِ الْفِتْنَةِ الهَوْجَاءِ، يُغَالِبُونَ تَيَّارَهَا، وَيُرَوِّضُونَ بِالْعَزِيمَةِ وَالحِنْكَةِ زَخَّارَهَا(1)، وَعُلَمَاؤُهَا وَدُعَاتُهَا وَرَعِيَّتُهَا يَسْعَوْنَ بِالْإِيمَانِ وَالثَّبَاتِ وَالدُّعَاءِ؛ لِإِطْفَاءِ لَهِيبِ نَارِهَا وَأُوَارِهَا.

كَلَّلَ اللَّهُ المَسَاعِيَ بِالنَّجَاحِ وَالتَّوْفِيقِ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف].

هَـٰذَا وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مِنْ خَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، كَثْرَةَ صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ عَلَىٰ الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالنِّعْمَةِ الْمُسْدَاةِ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ، كَمَا أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ - جَلَّ فِي عُلَاهُ - فَقَالَ - تَعَالَىٰ - قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

---

(1) زَخَّارَها: مَدُّها المرتفع. يُنظر: «اللسان» (زخر).

الإرهاب على ضوء السنة والكتاب

الخطبة الأولى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّـهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الخَيْرَ كُلَّهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّـهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَـهُ، ذُو الْعِزِّ وَالعَظَمَـةِ وَالجَلَالِ! المُتَفَرِّدُ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِ الْكَمَالِ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ كَرِيمٍ، وَرَبٍّ رَحِيمٍ، لَـهُ الحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَهُ الشُّكْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، عَلَانِيَّتُهُ وَسِرُّهُ، وَهُوَ الْكَبِيرُ المُتَعَالُ!

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، كَرِيمُ السَّجَايَا، وَشَرِيفُ الخِصَالِ، صَلَّىٰ اللَّـهُ عَلَيْـهِ، وَعَلَىٰ آلِـهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَآلٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ المَآلِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَـا عِبَـادَ اللَّـهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللَّـهِ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ فَتَقْوَىٰ اللَّـهِ ـ سُبْحَـانَهُ ـ حِصْنٌ فِي الْأَزَمَاتِ، وَذَخِيرَةٌ فِي الشَّدَائِدِ وَالمُلِمَّاتِ، هِـيَ نِـبْرَاسٌ وَضَّـاءٌ، وَسِـلَاحٌ مَـضَّاءٌ فِي جَمِيـعِ الْأَزْمِنَـةِ

وَالْأَوْقَاتِ، فَكَمْ تَطْرُدُ هَمًّا، وَتَكْشِفُ غَمًّا، وَتَجْلِبُ رِزْقًا، وَتُيَسِّرُ أَمْرًا فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ [الطلاق].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: قِيمَةُ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ، تَكْمُنُ فِي دِينٍ يَضْبِطُ النُّفُوسَ، وَإِيمَانٍ فِي شَغَافِ[1] الْقُلُوبِ مَغْرُوسٍ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ يُعْلِي النُّفُوسَ، وَيَرْفَعُ الرُّؤُوسَ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل].

الدِّينُ الْحَقُّ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - يَكْبَحُ جِمَاحَ الشَّهَوَاتِ، وَيُهَذِّبُ الْغَرَائِزَ وَالنَّزَوَاتِ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ طَرِيقِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ وَالْهِدَايَةِ وَالْفَضِيلَةِ، يَنْأَىٰ بِأَهْلِهِ عَنْ سُبُلِ الْغِوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ وَالرَّذِيلَةِ، إِنَّهُ دِينٌ يَفِيضُ رَحْمَةً وَعَدْلًا وَأَمَانًا، وَيَنْضَحُ خَيْرًا وَسَلَامًا وَحَنَانًا. وَالْإِنْسَانِيَّةُ بِلَا عَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ، وَالْبَشَرِيَّةُ بِدُونِ شَرِيعَةٍ قَوِيمَةٍ، تَتَحَوَّلُ إِلَىٰ زَرَائِبَ مِنَ الْأَنْعَامِ

---

(١) الشَّغَافُ: غلاف القلب. يُنظر: «اللسان» (شغف).

السَّائِبَةِ الْهَمَلِ[1]، بَلْ إِلَىٰ أَسْرَابٍ مِنَ الذِّئَابِ الْمَسْعُورَةِ، وَالْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ، يَتَسَلَّطُ الْقَوِيُّ مِنْهَا عَلَىٰ الضَّعِيفِ، فِي حَيَاةٍ مِلْؤُهَا الِاضْطِرَابُ وَالْفَوْضَىٰ، وَالِاسْتِبْدَادُ وَالِاسْتِعْبَادُ، وَهَٰكَذَا كَانَتْ حَيَاةُ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهَٰكَذَا يَكُونُونَ عِنْدَ غِيَابِ الْمَبَادِئِ وَالْمُثُلِ وَالْقِيَمِ، وَغَلَبَةِ سُلْطَانِ الْهَوَىٰ، وَالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: لَقَدْ جَاءَ هَٰذَا الدِّينُ نِظَامًا شَامِلًا وَدِينًا كَامِلًا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وَاشْتَمَلَ عَلَىٰ كُلِّ مَا يُحَقِّقُ لِلنَّاسِ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ، وَالنَّجَاةَ فِي الْحَيَاتَيْنِ، حَوَىٰ مِنَ الْعَقَائِدِ أَصْفَاهَا وَأَنْقَاهَا، وَمِنَ الْعِبَادَاتِ أَعْلَاهَا وَأَسْمَاهَا، وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَفْضَلَهَا وَأَزْكَاهَا، وَمِنَ النُّظُمِ أَعْدَلَهَا وَأَقْوَاهَا، سَعَىٰ إِلَىٰ كُلِّ مَا يُحَقِّقُ مَصَالِحَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، مِنْ مَقَاصِدِهِ الْعُظْمَىٰ: حِفْظُ الدِّينِ، وَالْأَنْفُسِ، وَالْعُقُولِ، وَالْأَمْوَالِ، وَالْأَنْسَابِ.

يَقُولُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: **«إِنَّ اللَّهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ؛ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِهَٰذِهِ**

---

(١) الهَمَلُ: السُّدى المتروك. يُنظر: «اللسان» (همل).

الشَّرِيعَةِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ كُلُّهَا، وَعَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَمَصَالِحُ كُلُّهَا»[1].

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الْخَالِدُ، عَلَىٰ مَرِّ الْقُرُونِ إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، كَتَبَ اللَّهُ بَقَاءَهُ، وَضَمِنَ حِفْظَهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وَجَعَلَهُ صَالِحًا لِكُلِّ الْأَزْمِنَةِ وَعُمُومِ الْأَمْكِنَةِ.

إِنَّهُ دِينُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَالْمَحَبَّةِ وَالْوِئَامِ، وَدِينُ الْيُسْرِ وَالرِّفْقِ، وَالسَّمَاحَةِ وَالسَّلَامِ، لَا خَيْرَ لِلْبَشَرِيَّةِ إِلَّا فِي ظِلِّ تَعَالِيمِهِ، وَلَا عِزَّ لِلْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا بِتَطْبِيقِهِ وَتَحْكِيمِهِ.

إِنَّهُ دِينُ الْمَحَاسِنِ، وَالْفَضَائِلِ وَالْمَكَارِمِ، يَبْنِي كَيَانَ الْأُمَّةِ وَلَا يَهْدِمُ، وَيَجْمَعُ أَبْنَاءَهَا وَلَا يُفَرِّقُ، يَسْعَىٰ إِلَىٰ التَّشْيِيدِ وَالْإِعْمَارِ، لَا إِلَىٰ الْخَرَابِ وَالدَّمَارِ، جَاءَ بِقَطْعِ دَابِرِ الْجَرِيمَةِ، وَاجْتِثَاثِ أُصُولِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ.

مِنْ قَوَاعِدِهِ الْكُبْرَىٰ: جَلْبُ الْمَصَالِحِ، وَدَرْءُ الْمَفَاسِدِ، وَإِزَالَةُ الضَّرَرِ، وَسَدُّ الذَّرَائِعِ، وَرَفْعُ الْحَرَجِ.

مَصَادِرُهُ رَبَّانِيَّةٌ، وَصِبْغَتُهُ عَالَمِيَّةٌ، وَمَنْهَجُهُ الِاعْتِدَالُ وَالْوَسَطِيَّةُ،

---

(١) يُنظر: «شفاء العليل» (ص ٢٧٠).

يَهْدِفُ إِلَىٰ إِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَتَزْكِيَةِ النُّفُوسِ، وَتَهْذِيبِ الضَّمَائِرِ، وَتَرْبِيَةِ أَجْيَالٍ بَوَاسِلَ أَبْطَالٍ، تَسْعَىٰ هِمَمُهُمْ وَذِمَمُهُمْ إِلَىٰ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ، وَتَنْشِئَةِ أَقْوَامٍ نَافِعِينَ لِأُمَّتِهِمْ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ، إِعْمَارًا وَبِنَاءً وَإِتْقَانًا وَإِنْمَاءً.

كَمَا كَفَلَ هَٰذَا الدِّينُ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ بِجَدَارَةٍ، فَكَرَّمَهُ وَأَعْلَىٰ قَدْرَهُ، وَفَضَّلَهُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْخَلَائِقِ تَفْضِيلًا، رَفَعَ مَكَانَتَهُ حِينَ تَسَفَّلَتْ بِمُسْتَوَاهُ الْمَادِّيَّاتُ، وَزَكَّىٰ رُوحَهُ وَنَفْسَهُ حِينَمَا سَحَقَتْهَا السَّفَاهَاتُ، وَاسْتَخَفَّتْ بِهِ إِلَىٰ حَضِيضِ الْبَهِيمِيَّاتِ.

وَوَازَنَ بَيْنَ مُتَطَلَّبَاتِ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ فِي تَنَاسُقٍ بَدِيعٍ، وَتَكَامُلٍ فَرِيدٍ، يَرْبِطُ الْإِنْسَانَ بِغَايَةِ وُجُودِهِ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ، وَهِيَ تَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ التَّامَّةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كَمَا وَازَنَ بَيْنَ حُقُوقِ الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ، وَضَمِنَ الْحُرِّيَّةَ الشَّخْصِيَّةَ فِي حُدُودِ الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ، وَنَظَّمَ عِلَاقَةَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَرَعَىٰ عِلَاقَاتِهِ مَعَ الْآخَرِينَ. وَجَمَعَ بَيْنَ الثَّبَاتِ عَلَىٰ الْأُصُولِ وَالْأَهْدَافِ وَالْكُلِّيَّاتِ، وَالْمُرُونَةِ فِي الْوَسَائِلِ وَالْفُرُوعِ وَالْجُزْئِيَّاتِ، وَوَاكَبَ التَّطَوُّرَاتِ وَالْمُتَغَيِّرَاتِ وَالْمُسْتَجِدَّاتِ، وَلَمْ يَقِفْ عَاجِزًا يَوْمًا مَا، عَنْ إِيجَادِ الْحُلُولِ لِكُلِّ الْقَضَايَا وَالْمُشْكِلَاتِ، ذَلِكُمْ لِأَنَّهُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ

مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك].

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: وَحِينَمَا سَارَتِ الْأُمَّةُ - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - عَلَىٰ هَدْيِ الْوَحْيَيْنِ، دَانَتْ لَهَا - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - مَشَارِقُ الْأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا، وَصَنَعَتْ - بِعَوْنِ اللَّهِ - أَعْظَمَ حَضَارَةٍ عَرَفَهَا التَّأْرِيخُ، وَلِلَّهِ دَرُّ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ رِبْعِيِّ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، حِينَمَا قَالَ بِعِزَّةِ الْمُسْلِمِ: **«اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّ الْعِبَادِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَىٰ سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَىٰ عَدْلِ الْإِسْلَامِ»**[1].

اللَّهُ أَكْبَرُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - وَلَكِنْ كَيْفَ هِيَ الْحَالُ الْآنَ؟ لَقَدْ أُصِيبَتْ هَٰذِهِ الْأُمَّةُ بِالْوَهَنِ فِي دِينِهَا، وَالْخَلَاقِ فِي عِزَّتِهَا، وَالضَّعْفِ فِي عَقِيدَتِهَا، وَالتَّخَرُّقِ فِي وَحْدَتِهَا، وَالنَّقْصِ فِي ثَوَابِتِهَا. وَابْتُلِيَتِ الْأُمَّةُ بِاحْتِلَالِ مُقَدَّسَاتِهَا، وَالتَّحَكُّمِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مُقَدَّرَاتِهَا! نَاهِيكُمْ عَنِ الْغَزْوِ السَّافِرِ بِشَتَّىٰ صُوَرِهِ، عَقَدِيًّا وَفِكْرِيًّا وَسُلُوكِيًّا وَعَسْكَرِيًّا وَإِعْلَامِيًّا، ضِدَّ مُثُلِ الْأُمَّةِ وَقِيَمِهَا وَمَبَادِئِهَا.

وَخَلَفَتْ خُلُوفٌ تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ، لَهُمْ فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٤٠١)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٣٩).

وَالِاقْتِصَادِ وَالِاجْتِمَاعِ مَذَاهِبُ، وَفِي عَالَمِ الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ وَالتَّرْبِيَةِ مَشَارِبُ، وَشُوِّهَ الْإِسْلَامُ مِنْ طَرَفَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَمَسْلَكَيِ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ، وَمِنْ فِئَتَيْنِ خَطِيرَتَيْنِ فِي الْأُمَّةِ: فِئَةٍ عَلْمَانِيَّةٍ إِبَاحِيَّةٍ، مُنْحَرِفَةٍ فِي فِكْرِهَا وَثَقَافَتِهَا وَإِعْلَامِهَا، وَفِئَةٍ غَالِيَةٍ حَمْقَاءَ، لَا تُؤْمِنُ إِلَّا بِالْعُنْفِ مَسْلَكًا، وَالتَّكْفِيرِ مَنْهَجًا، وَسَفْكِ الدِّمَاءِ لِلتَّغْيِيرِ وَالْإِصْلَاحِ طَرِيقًا. وَيَأْبَى اللَّهُ! ثُمَّ يَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَكُونَ هَٰذَا الْمَسْلَكُ الْمَشِينُ فِي تَرْوِيعِ الْآمِنِينَ، وَزَعْزَعَةِ حَيَاةِ الْمُطْمَئِنِّينَ، وَالْإِضْرَارِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَسُلُوكِ مَسَالِكِ الْعُنْفِ وَالِاعْتِدَاءَاتِ، وَأَعْمَالِ التَّخْرِيبِ وَالتَّفْجِيرَاتِ، طَرِيقًا إِلَىٰ جَلْبِ الْخَيْرِ وَالْإِصْلَاحِ لِلْمُجْتَمَعَاتِ.

وَلِهَٰذَا، فَإِنَّ الْعَالَمَ الْيَوْمَ، يَضِجُّ مِنْ ظَاهِرَةٍ عَالَمِيَّةٍ خَطِيرَةٍ، تَقُضُّ الْمَضَاجِعَ، وَتَجْعَلُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ[1]! هِيَ مَأْسَاةُ الْعَصْرِ، وَحَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهُ! إِنَّهَا ظَاهِرَةُ الْإِرْهَابِ، إِنَّ هَٰذِهِ الظَّاهِرَةَ لَمْ تَعُدْ مَحْدُودَةً أَوْ فَرْدِيَّةً، بَلْ تَجَاوَزَتْ ذَلِكَ إِلَىٰ التَّنْظِيمِ الْإِجْرَامِيِّ الْمُسَلَّحِ، وَالْعُدْوَانِ الْجَمَاعِيِّ الصَّارِخِ، وَتَجَرَّدَتْ خَلَايَاهُ الْمَقُوتَةُ، وَشَبَكَاتُهُ الْمَأْفُونَةُ، مِنْ أَقَلِّ مَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْقِيَمِ الدِّينِيَّةِ، وَالْمُثُلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ.

---

(١) البَلَاقِعُ: الأرض التي لا شيء فيها. يُنظر: «اللسان» (بلقع).

وَأَشْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، حِينَمَا يَكُونُ أَرْبَابُه مُرْتَدِينَ لِبَاسَ الدِّينِ، وَمُتَسَتِّرِينَ بِزِيِّ الْمُسْلِمِينَ، وَيُلْصِقُونَ أَعْمَالَهُمُ الإِرْهَابِيَّةَ بِاسْمِ الإِسْلَامِ، وَالإِسْلَامُ الْحَقُّ بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَنُصُوصُهُ الشَّرْعِيَّةُ، وَمَقَاصِدُهُ الْمَرْعِيَّةُ، جَاءَتْ بِتَحْرِيمِ قَتْلِ الأَنْفُسِ الْمَعْصُومَةِ، وَإِزْهَاقِ الأَرْوَاحِ، وَتَدْمِيرِ الْمُمْتَلَكَاتِ، وَالاعْتِدَاءِ عَلَى الأَمْوَالِ وَالْحُقُوقِ، وَالسَّعْيِ فِي الأَرْضِ بِالْفَسَادِ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝٢٠٥﴾ [البقرة]، وَنَهَىٰ عَنْ سُلُوكِ مَسَالِكِ الْعُنْفِ وَالْفَظَاظَةِ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وَفِي الصَّحِيحِ عِنْدَ مُسْلِمٍ[(١)] وَغَيْرِهِ[(٢)] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»**، وَفِيهِ أَيْضًا: **«إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»**[(٣)].

---

(١) برقم (٢٥٩٢) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٩)، وابن ماجه (٣٦٨٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٢) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها.

وَلَقَدْ بُلِيَتْ هَـٰذِهِ الْأُمَّةُ فِي أَعْقَابِ الزَّمَنِ بِكَثْرَةِ الْهَرْجِ - وَهُوَ الْقَتْلُ - فَكَمْ نَسْمَعُ مِنْ صُوَرِ التَّرْوِيعِ وَالْإِرْهَابِ، وَأَخْبَارِ الْفَوْضَىٰ وَالدَّمَارِ وَالِاضْطِرَابِ: تَخْرِيبٌ وَتَفْجِيرَاتٌ، اخْتِطَافٌ وَاغْتِيَالَاتٌ، نَسْفٌ لِعَامِرِ الْبِنَايَاتِ، وَتَدْمِيرٌ لِعَامِرِ الْمُمْتَلَكَاتِ، فَكَمْ أَهْلَكَتْ مِنْ نُفُوسٍ، وَأَلْحَقَتْ مِنْ أَضْرَارٍ، وَدَمَّرَتْ مِنْ عَمَارٍ، وَأَحْدَثَتْ قَتْلَىٰ وَجَرْحَىٰ وَمُشَوَّهِينَ، وَثَكْلَىٰ وَيَتَامَىٰ، وَمُصَابِينَ وَمُعَاقِينَ. يَعْمَدُ لِذَلِكَ أَقْوَامٌ ذَوُو نُفُوسٍ مَرِيضَةٍ، وَضَمَائِرَ مَيِّتَةٍ، وَذِمَمٍ ضَعِيفَةٍ، مِمَّنْ تَأَصَّلَ الْجَهْلُ وَالْعُنْفُ فِي نُفُوسِهِمْ، حَتَّىٰ طَفَحَ كَيْدُهُمْ، وَتَطَاوَلَ شَرُّهُمْ، فَرُحْمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ! وَعَفْوَكَ يَا مَوْلَانَا وَعَافِيَتَكَ يَا اللَّـٰهُ!!

فَمَاذَا يُرِيدُ أُولَـٰئِكَ الْقَوْمُ؟ وَمَا أَهْدَافُهُمْ؟ وَمَنْ يَقِفُ وَرَاءَهُمْ؟ وَلِمَصْلَحَةِ مَنْ يَتَحَرَّكُونَ؟ وَأَيْنَ عُقَلَاءُ الْأُمَّةِ عَنْ تَطَايُرِ شَرِّهِمْ؟ فَإِنْ لَمْ يَتَدَارَكُوهَا يَكُنْ ضِرَامُهَا جُثَثًا وَهَامًا، وَيَحْصُلْ مَا لَا تُحْمَدُ عُقْبَاهُ. أَيُّ دِينٍ وَعَقْلٍ وَعُرْفٍ يُقِرُّ هَـٰذِهِ الْأَعْمَالَ الشَّنِيعَةَ؟ **بَلْ أَيْنَ الْمُرُوءَةُ وَالرَّحْمَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ؟ أَيُّ قَلْبٍ هَـٰذَا، الَّذِي يَسْتَهِينُ بِالْأَنْفُسِ وَالْمُمْتَلَكَاتِ؟ وَأَيُّ عَقْلٍ هَـٰذَا الَّذِي يُقْدِمُ عَلَىٰ الْإِضْرَارِ بِالْآمِنِينَ، سَوَاءٌ أَكَانَ فِعْلًا أَمْ قَوْلًا؟** بَلْ أَيُّ نَفْسٍ تِلْكَ الَّتِي تَلَذُّ لِسَفْكِ الدِّمَاءِ وَتَنَاثُرِ

الْأَشْلَاءِ؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس]، مَنْ أَجَّجَ ذَلِكَ؟ وَمَا حَقِيقَتُهُ وَأَسْبَابُهُ، وَمَظَاهِرُهُ وَأَشْكَالُهُ، وَأَخْطَارُهُ وَآثَارُهُ؟ ثُمَّ مَا طَرِيقَةُ عِلَاجِهِ؟

وَإِذَا كَانَ الْحُكْمُ عَلَىٰ الشَّيْءِ فَرْعًا عَنْ تَصَوُّرِهِ، فَإِنَّ حَقِيقَتَهُ تَكْمُنُ فِي كُلِّ عَمَلٍ يَجْلِبُ الرَّهْبَةَ وَالْإِخَافَةَ لِلْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، مِنْ غَيْرِ مُسَوِّغٍ شَرْعِيٍّ صَحِيحٍ.

وَأَسْبَابُهُ كَثِيرَةٌ، أَهَمُّهَا: ضَعْفُ الْوَازِعِ، وَقِلَّةُ الرَّادِعِ، وَالْجَهْلُ وَالْحُمْقُ وَالْكَيْدُ، وَإِفْرَازَاتُ تَرْبِيَةٍ عَلَىٰ مَنَاهِجَ مَشْبُوهَةٍ، وَالنَّظْرَةُ الضَّيِّقَةُ الْعَجْلَىٰ لِلْآخَرِينَ، مَعَ مَا يُوجَدُ فِي الْأُمَّةِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ التَّنَاقُضَاتِ وَالْإِزْدِوَاجِيَّةِ فِي بَعْضِ الْمَجَالَاتِ.

إِنَّ الْإِرْهَابَ بِكُلِّ صُوَرِهِ وَأَشْكَالِهِ مَمْقُوتٌ، بَعِيدٌ كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ جَوْهَرِ الْإِسْلَامِ، وَنُبْلِ مَقَاصِدِهِ، وَسُمُوِّ تَشْرِيعَاتِهِ، وَعَدُوٌّ لِأَخْلَاقِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَحُسْنِ سُلُوكِهِمْ. إِنَّهُ لَابُدَّ مِنْ تَجْفِيفِ يَنَابِيعِ الْإِرْهَابِ بِشَتَّىٰ صُوَرِهَا، بِمَا فِي ذَلِكَ الْإِرْهَابُ الْفِكْرِيُّ وَالْأَخْلَاقِيُّ، الَّذِي تَتَوَلَّىٰ كِبْرَهُ الْقَنَوَاتُ الْفَضَائِيَّةُ، وَتَقْضِي عَلَىٰ الْعِفَّةِ وَالْحَيَاءِ وَالْغَيْرَةِ.

كَمَا لَابُدَّ مِنَ الْبَحْثِ بِجِدِّيَّةٍ عَنْ أَسْبَابِهِ وَعَوَامِلِ وُجُودِهِ، وَاتِّخَاذِ آلِيَّةٍ سَلِيمَةٍ لِوَقْفِ امْتِدَادِهِ، وَمَنْهَجِيَّةٍ صَحِيحَةٍ تَقُومُ عَلَىٰ الْفَهْمِ وَالْبَيَانِ، وَالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَتَسْتَنِيرُ بِنُورِ التَّعَقُّلِ فِي الْأُمُورِ، وَاتِّخَاذِ الْحِكْمَةِ فِي الْمَوَاقِفِ، وَضَبْطِ النُّفُوسِ بِأَعِنَّةِ[1] النَّظَرِ الْعَمِيقِ، وَإِيثَارِ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ. كَمَا يَجِبُ أَنْ تَرْتَبِطَ الْأَجْيَالُ النَّاشِئَةُ بِعُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ الْمَوْثُوقِينَ، وَمُعَالَجَةِ التَّنَاقُضِ وَالثُّنَائِيَّةِ الَّتِي تَعِيشُهَا الْأُمَّةُ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَجَالَاتِهَا.

وَمِنَ الْمُسَلَّمَاتِ لَدَىٰ أَهْلِ الِاخْتِصَاصِ، أَنَّ الْإِرْهَابَ لَا عَقِيدَةَ لَهُ، وَلَا وَطَنَ لَهُ، كَمَا أَنَّ الْعُنْفَ لَا يُعَالَجُ بِمِثْلِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَبَدًا أَنْ يُحَمَّلَ الْإِسْلَامُ وَأَهْلُهُ مَطِيَّةَ الْإِرْهَابِ، وَيُتَصَوَّرُ أَنَّهُمْ سَبَبُ التَّصَادُمِ الْحَضَارِيِّ، وَفِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ، قَوْلُ اللَّهِ هُوَ الْفَصْلُ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الرعد:١٧]، واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَإِذَا كُنَّا ـ نُصْحًا وَتَسْدِيدًا ـ نُعَالِجُ الْإِرْهَابَ عِنْدَ الْبَعْضِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَلَّا نُغْمِضَ الْعَيْنَ أَبَدًا، عَنْ إِرْهَابِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ،

---

(١) أَعِنَّةٌ: جمع عنان، يُقال: عنان السماء، أي: صفائحها وما اعترض من أقطارها. يُنظر: «الصحاح» (عنن).

الَّذي بَلَغَ حَدًّا لَا يُطَاقُ، بِتَآمُرٍ مِنْ بَعْضِ الْقُوَىٰ الدَّوْلِيَّةِ فِي الْعَالَمِ، وَلْنَكْتَفِ بِمِثَالَيْنِ اثْنَيْنِ عَلَىٰ ذَٰلِكَ:

أَوَّلُهُمَا: مَا يَجْرِي عَلَىٰ ثَرَىٰ فِلَسْطِينَ الْمُجَاهِدَةِ، وَالْقُدْسِ الْمُسْلِمَةِ السَّلِيبَةِ، لَاسِيَّمَا فِي هَٰذِهِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَعِيشُ فِيهَا أُمَّتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ ذِكْرَىٰ مُؤْلِمَةً عَلَىٰ النُّفُوسِ الْمُسْلِمَةِ، هِيَ ذِكْرَىٰ إِحْرَاقِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ الْمُبَارَكِ، أُولَىٰ الْقِبْلَتَيْنِ، وَمَسْرَىٰ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِمَّا يُؤَكِّدُ لِبَعْضِ الْمَخْدُوعِينَ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا أَنَّ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ نَقَضَةٌ لِلْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ، نَكَثَةٌ لِلْوُعُودِ وَالْقَرَارَاتِ، وَأَنَّ عَدَاءَهُمْ لَنَا عَدَاءُ عَقِيدَةٍ عَبْرَ التَّأْرِيخِ، وَمَا فَعَلُوهُ مِنَ الْجَرَائِمِ الشَّنْعَاءِ، فِي قُدْسِنَا وَفِلَسْطِينِنَا، وَيَفْعَلُونَهُ فِي هَٰذِهِ الْآوِنَةِ، مِنْ مُحَاوَلَةِ تَهْدِيدِ الْمُقَدَّسَاتِ، وَالتَّوَسُّعِ فِي بِنَاءِ الْمُسْتَوْطَنَاتِ، وَتَغْيِيرِ الْمَعَالِمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مَا هُوَ إِلَّا نَمَاذِجَ مِنْ خِيَانَاتِهِمُ الْمَكْشُوفَةِ، وَدَنَاءَاتِهِمُ الْمَفْضُوحَةِ، فَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ! وَلَٰكِنْ يَا لَيْتَ قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ.

وَالْمِثَالُ الثَّانِي: هُوَ إِرْهَابُ الصِّرْبِ الظَّالِمِينَ - هَٰذِهِ الْأَيَّامِ - ضِدَّ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ فِي إِقْلِيمِ كُوسُوفَا الْمُسْلِمَةِ، تِلْكَ الْقَضِيَّةُ الْمَنْسِيَّةُ الْمَخْذُولَةُ، وَيُخْشَىٰ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ تَبَلُّدِ أَحَاسِيسِ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ؛ لِكَثْرَةِ مَا يَسْمَعُونَ مِنَ الْمَآسِي. فَعَجِيبٌ ذَلِكَ الصَّمْتُ الرَّهِيبُ،

وَالسُّكُوتُ المُرِيبُ، عَلَىٰ مَا يَجْرِي لِهَٰذَا الشَّعْبِ المُسْلِمِ الجَرِيحِ! لَقَدْ اقْتَرَفَ الصِّرْبُ المُعْتَدُونَ - تَبَّتْ أَيْدِيهِمْ - أَلْوَانًا مِنْ صُوَرِ الْوَحْشِيَّةِ الدَّمَوِيَّةِ، ضِدَّ الأَبْرِيَاءِ فِي كُوسُوفَا، أَكْثَرُ مِنْ ثَلاثَةِ مَلايِينَ مُسْلِمٍ مُهَدَّدُونَ بِالْقَصْفِ الجَوِيِّ وَالمَدْفَعِيِّ، وَالِاعْتِدَاءِ وَالتَّقْتِيلِ، وَالتَّهْجِيرِ وَالتَّدْمِيرِ، حَتَّىٰ بَلَغَ عَدَدُ مَنْ هَاجَرَ مِنْهُمْ - خِلَالَ الأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ المَاضِيَةِ - مَا يُقَارِبُ السَّبْعِينَ أَلْفًا.

إِنَّهَا مَشَاهِدُ مَأْسَوِيَّةٌ تُجَدِّدُ فِي الأَذْهَانِ مَأْسَاةَ إِخْوَانِنَا فِي الْبُوسْنَةِ وَالهَرْسَكِ، الَّتِي سَجَّلَهَا التَّأْرِيخُ بِمِدَادٍ قَاتِمٍ لِلصِّرْبِ المُعْتَدِينَ. آلَافُ الْقَتْلَىٰ، وَعَشَرَاتُ الآلَافِ مِنَ الجَرْحَىٰ، رِجَالًا وَنِسَاءً وَشُيُوخًا وَأَطْفَالًا، **فَإِلَىٰ مَتَىٰ وَالْعَالَمُ يَتَفَرَّجُ؟ هَلْ بَعْدَ هَٰذَا الإِرْهَابِ مِنْ إِرْهَابٍ؟ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَٰذَا هُوَ الإِرْهَابُ فَمَا هُوَ الإِرْهَابُ إِذًا؟ إِلَى اللَّهِ المُشْتَكَىٰ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!!**

وَمِمَّا يُؤْلِمُ كُلَّ غَيُورٍ، أَنَّ أَصْوَاتَ المُسْلِمِينَ لَا تَزَالُ خَافِتَةً، حَتَّىٰ بِالتَّنْدِيدِ وَالشَّجْبِ لِهَٰذِهِ الأَعْمَالِ المَشِينَةِ، أَمَّا التَّحَرُّكُ الجَادُّ فَيُخْشَىٰ أَنْ يُصَابَ الْغَيُورُونَ بِالإِحْبَاطِ، وَهُمْ يَرَوْنَ رِجَالَ أُمَّتِهِمْ مَكْتُوفِي الأَيْدِي، لَا تُوقِظُهُمُ الأَحْدَاثُ، وَلَا تُحَرِّكُهُمُ المَآسِي، فَاللَّهُ المُسْتَعَانُ!

وَلَـٰكِنْ لَعَـلَّ فِي طَيَّـاتِ الْمِحَـنِ مِنَحًـا، وَفِي ثَنَايَـا الْآلَامِ آمَـالًا، وَفِي خِضَمِّ الرَّزَايَا وَالْبَلَايَا عَطَايَا، وَالْبِرُّ لَا يَبْلَىٰ، وَالذَّنْبُ لَا يُنْسَىٰ، وَالـدَّيَّانُ لَا يَمُوتُ، وَالتَّأْرِيخُ شَاهِدُ صِدْقٍ لَا يَغِيبُ، وَرَقِيبُ عَـدْلٍ لَا يَخِيبُ، وَسُنَنُ اللَّـهِ فِي كَوْنِهِ وَخَلْقِهِ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، وَمَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ، وَمَا أَقَلَّ الِاعْتِبَارَ! وَالنَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَذَلِكَ وَعْدُ اللَّـهِ الَّذِي لَا يُخْلِفُ المِيعَادَ، وَاللَّـهُ الْمُسْتَعَانُ أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْ يُهَيِّئَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ رَشَدًا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، أَقُولُ هَـٰذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ عَفُوٌّ غَفُورٌ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا كَمَا أَمَرَ، وَأَشْكُرُهُ، وَقَدْ تَأَذَّنَ بِالزِّيَادَةِ لِمَنْ شَكَرَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِرْغَامًا لِمَنْ جَحَدَ بِهِ وَكَفَرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ فِي الْمَحْشَرِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ السَّادَةِ الْغُرَرِ[1]، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا اتَّصَلَتْ أُذُنٌ بِخَبَرٍ، وَعَيْنٌ بِنَظَرٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١] ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْعَالَمَ الْيَوْمَ يَنْشُدُ الصُّورَةَ الصَّحِيحَةَ لِلْإِسْلَامِ، بَعْدَ أَنْ أَفْلَسَتِ الشِّعَارَاتُ، وَظَهَرَ عَوَارُ كَثِيرٍ مِنَ النُّظُمِ وَالنَّظَرِيَّاتِ، كَمَا أَنَّهُ

(١) الغُرَرُ: الشُّرفاء: والأَغَرُّ: الشَّريف، وقد غَرَّ الرَّجلُ يَغَرُّ: شَرُفَ. يُنظر: «تاج العروس» (غرر).

يَتطَلَّعُ إِلَىٰ مُستَقبَلٍ أَفْضَلَ يَتفَيَّأُ مِنْ خِلَالِهِ ظِلَالَ هَـٰذَا الدِّيْنِ الْقَوِيمِ، مِمَّا يَتطَلَّبُ الجِدَّ فِي تَطْبِيقِ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ، وَالْعَمَلَ بِمَحَاسِنِهِ الْفَرِيدَةِ، وَمَزَايَاهِ الْحَمِيدَةِ، وَالنُّهُوضَ بِمُسْتَوَىٰ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللَّهِ، وَتَنْسِيقَ الْجُهُودِ بَيْنَ الْجِهَاتِ الْقَائِمَةِ بِذَلِكَ، وَتَسْخِيرَ آلِيَّاتِ الْعَصْرِ وَتِقَانَاتِهِ الْحَدِيثَةِ، لَاسِيَّمَا الْوَسَائِلِ الْإِعْلَامِيَّةِ، وَالْقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ لِخِدْمَةِ هَـٰذَا الْغَرَضِ النَّبِيلِ، وَمُتَابَعَةِ قَضَايَا أُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَحْوَالِ إِخْوَانِنَا فِي الْعَقِيدَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنَ الْعَالَمِ، وَإِظْهَارِ مَنْهَجِ الْإِسْلَامِ الْوَسَطِ بَيْنَ الْغَالِي فِيْهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَمُعَالَجَةِ ظَوَاهِرِ الْمُخَالَفَةِ لِهَـٰذَا الْمَنْهَجِ بِالدَّوَاءِ النَّاجِعِ[1]، حَتَّىٰ تَنْصَرِفَ الْأُمَّةُ لِلْبِنَاءِ الْحَضَارِيِّ فِي كُلِّ الْمَجَالَاتِ، وَيَتَحَقَّقُ عِزُّهَا وَمَجْدُهَا، وَتَعُودُ لَهَا مَكَانَتُهَا الْمَرْمُوقَةُ، وَمَا ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَزِيزٍ.

وَإِنَّهُ لَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَىٰ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، مَا حَبَاهَا مِنْ خَصَائِصَ وَمَزَايَا، أَصْبَحَتْ مِنْ خِلَالِهَا مَحَطَّ أَنْظَارِ الْعَالَمِ ـ بِحَمْدِ اللَّهِ ـ وَمَا وَفَّقَهَا إِلَيْهِ مِنْ دَعْمٍ لِقَضَايَا الْمُسْلِمِينَ، وَتَمَسُّكٍ بِالثَّوَابِتِ وَالْأُصُولِ، وَسَعْيٍ دَؤُوبٍ فِي كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ إِعْزَازُ دِيْنِ اللَّهِ، وَتَفَقُّدِ احْتِيَاجَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِقَامَةِ الْمَرَاكِزِ وَالْمَسَاجِدِ فِي كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ الْعَالَمِ، وَرِعَايَةِ

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٧٣).

الْأَقَلِّيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِيهَا، وَتِلْكَ جُهُودٌ مَذْكُورَةٌ مَشْكُورَةٌ، وَعِنْدَ النَّصَفَةِ غَيْرَ مَنْكُورَةٍ وَلَا مَطْمُورَةٍ، جَعَلَهَا اللَّهُ خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَزَادَهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالتَّوْفِيقِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وَإِذَا كُنَّا نَعِيشُ هَٰذِهِ الْأَيَّامَ مُرُورَ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ عَلَىٰ تَوْحِيدِهَا، فَإِنَّنَا نَسْأَلُ اللَّهَ أَلَّا يَزِيدَهَا مُرُورُ الْأَيَّامِ إِلَّا ثَبَاتًا عَلَىٰ الْحَقِّ، وَمَزِيدًا مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي خِدْمَةِ الْإِسْلَامِ، وَنُصْرَةِ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ عَلَىٰ الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالنِّعْمَةِ الْمُسْدَاةِ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، كَمَا أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ ـ جَلَّ فِي عُلَاه ـ فَقَالَ ـ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

فَلْنَتَّقِ اللَّهَ ـ يَا عِبَادَ اللَّهِ ـ وَلْيَقُمْ كُلٌّ مِنَّا بِوَاجِبِهِ تُجَاهَ دِينِ اللَّهِ، وَلْنَكُنْ أَعْيُنًا سَاهِرَةً فِي خِدْمَةِ دِينِنَا، وَالْحِفَاظِ عَلَىٰ بِلَادِنَا وَمُجْتَمَعَاتِنَا مِنَ الْعَابِثِينَ وَكَيْدِ الْكَائِدِينَ، وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَو كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

كَمَا يَنْبَغِي الْعِنَايَةُ بِالْمُحَاسَبَةِ وَالتَّقْوِيمِ ـ بِأَنْفُسِنَا ـ لِبُيُوتَاتِنَا وَأُسَرِنَا، فَإِنَّهَا نَوَاةُ صَلَاحِ أُمَّتِنَا وَمُجْتَمَعَاتِنَا، وَلَعَلَّ مَا يَعِيشُهُ بَعْضُ النَّاسِ، لَاسِيَّمَا

مِنَ الطُّلَّابِ وَالطَّالِبَاتِ، وَأَوْلِيَاءِ أُمُورِهِمْ مِنْ قُرْبِ نِهَايَةِ الْإِجَازَةِ الصَّيْفِيَّةِ مَدْعَاةٌ لِلْمُحَاسَبَةِ الدَّقِيقَةِ، وَالْإِنَابَةِ الْمُخْلِصَةِ، حَتَّىٰ يَنْطَلِقَ الْجَمِيعُ بِخُطَىٰ رَاسِخَةً، عِلْمًا وَعَمَلًا وَدَعْوَةً، وَإِصْلَاحًا لِكُلِّ مَا فِيهِ سَعَادَةُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، وَاللَّهُ خَيْرُ مُعِينٍ وَنَصِيرٍ، لِلْعَامِلِينَ لِخِدْمَةِ دِينِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ.

الأَحْدَاثُ العَالَمِيَّةُ: رُؤْيَةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَلَفْتَةٌ إِصْلَاحِيَّةٌ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُكَ رَبِّي، وَنَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَنَتوَكَّلُ عَلَيْكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَلِكُ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَالْوَاحِدُ لَا نِدَّ لَكَ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَكَ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا أَعْظَمَكَ! سُبْحَانَكَ إِلَٰهَنَا مَا أَكْرَمَكَ! سُبْحَانَكَ مَوْلَانَا مَا أَحْلَمَكَ! سُبْحَانَكَ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ، وَأَنْصَرُ مَنِ ابْتُغِيَ، وَأَرْأَفُ مَنْ مَلَكَ، وَأَجْوَدُ مَنْ سُئِلَ، وَأَوْسَعُ مَنْ أَعْطَىٰ!

لَنْ تُطَاعَ إِلَّا بِإِذْنِكَ، وَلَنْ تُعْصَىٰ إِلَّا بِعِلْمِكَ، تُطَاعُ فَتَشْكُرُ، وَتُعْصَىٰ فَتَغْفِرُ، الْقُلُوبُ لَكَ مُفْضِيَةٌ، وَالسِّرُّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، الْحَلَالُ مَا أَحْلَلْتَ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمْتَ، وَالدِّينُ مَا شَرَعْتَ، وَالْخَلْقُ خَلْقُكَ، وَالْعَبْدُ عَبْدُكَ، وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ، أَقْرَبُ شَهِيدٍ، وَأَدْنَىٰ حَفِيظٍ، حُلْتَ دُونَ النُّفُوسِ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي، وَكَتَبْتَ الْآثَارَ، وَنَسَخْتَ الْآجَالَ، وَأَنْتَ اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي.

وَنَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَمُصْطَفَاكَ وَخَلِيلُكَ،

كَرِيمُ السَّجَايَا، عَظِيمُ الشَّمَائِلِ، شَرِيفُ الْخِصَالِ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صُحْبَةٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْمَآلِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ جَزِيلِ النَّعْمَاءِ، وَسَوَابِغِ الْآلَاءِ، وَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَهِيَ النِّبْرَاسُ الْوَضَّاءُ، وَالسِّلَاحُ الْمَضَّاءُ، وَهِيَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ فِي السَّرَّاءِ وَاللَّأْوَاءِ[1]، وَالذَّخِيرَةُ النَّافِعَةُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، هِيَ الْعُدَّةُ فِي الْأَزَمَاتِ، وَطَوْقُ النَّجَاةِ فِي الْمُلِمَّاتِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: سِجِلُّ التَّأْرِيخِ الْحَافِلِ شَاهِدُ صِدْقٍ لَا يَغِيبُ، وَمِرْآةُ الزَّمَانِ الصَّافِيَةِ، رَقِيبُ عَدْلٍ لَا يَخِيبُ، وَسُنَنُ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ وَخَلْقِهِ نَوَامِيسُ حَقٍّ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَغِيبُ، وَالْمُسْتَقْرِئُ لِمُكْتَسَبَاتِ الْأُمَمِ الْحَضَارِيَّةِ، وَأَمْجَادِ الشُّعُوبِ التَّأْرِيخِيَّةِ، يَجِدُ أَنَّ مَرَدَّهَا يَكْمُنُ فِي الْحِفَاظِ عَلَىٰ الْمُقَوِّمَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَالْمَبَادِئِ وَالْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَيُخْطِئُ مَنْ يُحِيلُ ذَلِكَ إِلَىٰ أَسْبَابٍ مَادِّيَّةٍ أَوْ تِقَانَاتٍ دُنْيَوِيَّةٍ، وَنَحْنُ - أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - نَسْتَيْقِنُ

---

(١) سبق بيان معناها (ص٢٦٢).

يَقِينًا لَا يَعْتَرِيهُ شَكٌّ وَلَا مِرَاءٌ، أَنَّ قِيمَةَ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ تَكْمُنُ فِي عَقِيدَةٍ تَضْبِطُ النُّفُوسَ، وَإِيمَانٍ فِي شَغَافِ(١) الْقُلُوبِ مَغْرُوسٍ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ يُعْلِي شَرِيفَ الْمَرَاتِبِ، وَيَرْفَعُ الرُّؤُوسَ، وَأَنَّ عَقِيدَتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ هِيَ مَصْدَرُ عِزَّتِنَا، وَرَمْزُ قُوَّتِنَا، وَأَسَاسُ حَضَارَتِنَا؛ ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك]، وَالْإِنْسَانِيَّةُ بِلَا مُعْتَقَدٍ صَحِيحٍ، وَالْبَشَرِيَّةُ بِدُونِ شَرْعٍ قَوِيمٍ، تَتَحَوَّلُ إِلَىٰ أَسْرَابٍ مِنَ السِّبَاعِ الضَّارِيَةِ، وَالْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ، يَتَسَلَّطُ قَوِيُّهَا عَلَىٰ ضَعِيفِهَا، فِي حَيَاةٍ مِلْؤُهَا الْاِضْطِرَابُ وَالْفَوْضَىٰ.

وَهَٰكَذَا كَانَتْ حَيَاةُ النَّاسِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَهَٰكَذَا يُصْبِحُونَ عِنْدَ غِيَابِ الْمَبَادِئِ السَّامِيَةِ، وَالْقِيَمِ الرَّفِيعَةِ، وَالْمُثُلِ الْعُلْيَا، وَتَغَلُّبِ سُلْطَانِ الْهَوَىٰ عَلَىٰ نُورِ الْهُدَىٰ، وَتَفَشِّي مَسَالِكِ الْغَدْرِ وَالْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ، وَالظُّلْمِ وَالتَّسَلُّطِ وَالْعُدْوَانِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

إِنَّ الدِّينَ الْحَقَّ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - يَكْبَحُ جِمَاحَ الشَّهَوَاتِ، وَيُهَذِّبُ الْغَرَائِزَ وَالنَّزَوَاتِ، وَيَسْلُكُ بِأَتْبَاعِهِ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْمَكْرُمَاتِ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ الْهِدَايَةِ وَالْفَضِيلَةِ، وَيَنْأَىٰ بِأَهْلِهِ عَنْ سُبُلِ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ

---

(١) تقدم شرحها (ص ٤٩٠).

وَالرَّذِيلَةِ، إِنَّهُ دِينٌ يَفِيضُ رَحْمَةً وَعَدْلًا وَأَمَانًا، وَيَنْضَحُ خَيْرًا وَسَلَامًا وَحَنَانًا، مِنْ مَقَاصِدِهِ الْعُظْمَىٰ: حِفْظُ الدِّينِ وَالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَالْعُقُولِ وَالْأَعْرَاضِ.

يَقُولُ الْإِمَامُ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: **«إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ؛ لِإِقَامَةِ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَدَفْعِ مَفَاسِدِهَا»**(١).

وَيَقُولُ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: **«الْمُعْتَمَدُ إِنَّمَا هُوَ أَنَّا اسْتَقْرَأْنَا مِنَ الشَّرِيعَةِ أَنَّهَا وُضِعَتْ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، اسْتِقْرَاءٌ لَا يُنَازِعُ فِيهِ أَحَدٌ»**(٢).

وَيَقُولُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: **«إِنَّ اللَّهَ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَرْسَلَ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ كُتُبَهُ؛ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ، وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِهَٰذِهِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي مَبْنَاهَا عَلَىٰ الْحِكَمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ، فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا، فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنِ الْعَدْلِ إِلَىٰ الْجُورِ، وَعَنِ الرَّحْمَةِ إِلَىٰ ضِدِّهَا، وَعَنِ الْمَصْلَحَةِ إِلَىٰ الْمَفْسَدَةِ،**

---

(١) يُنظر: «الفوائد في اختصار المقاصد» (ص٣٢).

(٢) يُنظر: «الموافقات» (٢/ ٦).

وَعَنِ الْحِكْمَةِ إِلَىٰ الْعَبَثِ، فَلَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيْعَةِ»[1].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِين: إِنَّ الإِسْلَامَ هُوَ الدِّينُ الْخَالِدُ عَلَىٰ مَرِّ الْقُرُونِ، وَهُوَ عُنْصُرُ الحَيَاةِ وَنَمَاؤُهَا، كَتَبَ اللَّهُ بَقَاءَهُ، وَضَمِنَ حِفْظَهُ، وَجَعَلَهُ صَالِحًا لِكُلِّ الْأَعْصَارِ وَالْأَمْصَارِ.

إِنَّهُ دِيْنُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالسَّلَامِ، وَدِيْنُ المَحَبَّةِ وَالسَّمَاحَةِ وَالْوِئَامِ، لَا خَيْرَ لِلْبَشَرِيَّةِ إِلَّا فِي ظِلِّ تَعَالِيمِهِ، وَلَا عِزَّ لِلْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا بِتَطْبِيقِهِ وَتَحْكِيمِهِ.

إِنَّهُ دِينُ المَحَاسِنِ وَالمَكَارِمِ وَالْفَضَائِلِ، يَبْنِي كَيَانَ الْأُمَّةِ وَلَا يَهْدِمُ، وَيَجْمَعُ أَبْنَاءَهَا وَلَا يُفَرِّقُ، يَسْعَىٰ إِلَىٰ التَّشْيِيدِ وَالْإِعْمَارِ، لَا إِلَىٰ الْخَرَابِ وَالْفَسَادِ وَالدَّمَارِ، جَاءَ بِقَطْعِ دَابِرِ الْجَرِيْمَةِ، وَاجْتِثَاثِ أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَاسْتِئْصَالِ شَأْفَةِ[2] الْعُنْفِ وَالْإِرْهَابِ.

مِنْ قَوَاعِدِهِ الْكُبْرَىٰ: جَلْبُ المَصَالِحِ وَدَرْءُ المَفَاسِدِ، وَإِزَالَةُ الضَّرَرِ، وَرَفْعُ الْحَرَجِ، وَسَدُّ الذَّرَائِعِ.

رِسَالَتُهُ عَالَمِيَّةٌ، وَمَنْهَجُهُ الِاعْتِدَالُ وَالْوَسَطِيَّةُ، وَأَهْدَافُهُ إِقَامَةُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَإِرْسَاءُ دَعَائِمِ الْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَتَزْكِيَةُ النُّفُوسِ، وَتَهْذِيبُ

---

(١) يُنظر: «إعلام الموقعين» (٣/ ٣).

(٢) سبق بيان معناها (ص٩٠).

الضَّمائِرِ، وَتَرْبِيَةُ أَجْيَالٍ تَسْعَىٰ إِلَىٰ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ؛ لِإِسْعَادِ الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ: إِعْمَارًا وَبِنَاءً، وَنَفْعًا وَإِنْمَاءً.

كَمَا كَفَلَ هَٰذَا الدِّينُ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ بِجَدَارَةٍ، فَكَرَّمَهُ وَرَفَعَ مَكَانَتَهُ، وَأَعْلَىٰ قَدْرَهُ وَفَضَّلَهُ، حِينَ تَسَفَّلَتْ بِمُسْتَوَاهُ الْمَادِّيَّاتُ، وَزَكَّىٰ نَفْسَهُ حِينَمَا أَسِنَتْ[1] بِهِ الشِّعَارَاتُ، وَاسْتَخَفَّتْ بِهِ إِلَىٰ حَضِيضِ الْبَهِيمِيَّاتِ، وَوَازَنَ بَيْنَ مُتَطَلَّبَاتِ رُوحِهِ وَجَسَدِهِ فِي تَنَاسُقٍ بَدِيعٍ وَتَكَامُلٍ فَرِيدٍ.

كَمَا رَعَىٰ عِلَاقَةَ الْفَرْدِ بِمُجْتَمَعِهِ وَعِلَاقَاتِهِ مَعَ الْآخَرِينَ، وَأَقَامَ جُسُورَ التَّوَاصُلِ بَيْنَ الْحَضَارَاتِ حِوَارًا بَنَّاءً، وَعِزَّةً قَعْسَاءَ، وَدَعْوَةً إِلَىٰ اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَمُجَادَلَةً بِالْحُسْنَىٰ، وَلَمْ يَقِفِ الْإِسْلَامُ عَاجِزًا يَوْمًا مَا، أَمَامَ التَّطَوُّرَاتِ، بَلْ وَاكَبَهَا مَعَ التَّمَسُّكِ بِالْأُصُولِ وَالثَّوَابِتِ وَالْكُلِّيَّاتِ، مِمَّا ضَمِنَ الْحُلُولَ النَّاجِعَةَ لِكُلِّ الْقَضَايَا وَالْمُشْكِلَاتِ، وَتَحْقِيقَ السَّعَادَةِ الْمَرْجُوَّةِ لِلْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: تُؤَكِّدُ هَٰذِهِ الْمَقَاصِدُ الْكُبْرَىٰ فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُتَابِعُ فِيهِ الْمُرَاقِبُونَ بِقَلَقٍ بَالِغٍ تَدَاعِيَاتِ الْأَحْدَاثِ الدَّوْلِيَّةِ، وَمُجْرَيَاتِ الْمُسْتَجَدَّاتِ الْعَالَمِيَّةِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي يَضِجُّ فِيهِ الْعَالَمُ مِنْ ظَاهِرَةِ

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٧٢).

عَالَـمِيَّةٍ خَطِيْرَةٍ، ظَاهِرَةٍ تَقُضُّ المَضَاجِعَ، وَتَدَعُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ[1]! لِـمَا تَحْمِلُهُ مِنْ كَوَارِثَ وَفَوَاجِعَ، وَلِـمَا يَكْتَنِفُهَا مِنْ أَهْوَالٍ وَفَظَائِعَ، مَهْـمَا كَانَتِ الْبَوَاعِثُ وَالدَّوَافِعُ، إِنَّهَا مَأْسَاةُ الْعَصْرِ، وَحَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهُ! إِنَّهَا مَا يُسَمَّىٰ فِي عَالَمِ اليَوْمِ بِظَاهِرَةِ الْإِرْهَابِ.

لَقَدْ تَخَطَّتْ هَـٰذِهِ الظَّاهِرَةُ حُدُودَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالْهُوِيَّةِ، وَلَمْ تَعُدْ مَحْدُودَةً أَوْ ضَيِّقَةً أَوْ فَرْدِيَّةً، بَلْ تَجَاوَزَتْ ذَلِكَ إِلَىٰ التَّنْظِيمِ الْإِجْرَامِيِّ الْمُسَلَّحِ، وَالْعُدْوَانِ الجَمَاعِيِّ الصَّارِخِ، وَزَرَعَتْ أَلْغَامَهُ الْمَوْقُوتَةَ، وَقَنَابِلَهُ المَخْبُوءَةَ فِي الدُّنْيَا بِرُمَّتِهَا، وَتَجَرَّدَتْ خَلَايَاهُ الْمَمْقُوتَةُ، وَشَبَكَاتُهُ الْمَأْفُونَةُ، مِنْ أَقَلِّ مَعَانِي الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْقِيَمِ الدِّينِيَّةِ، وَالْمُثُلِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ، وَخَالَفَتْ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ، وَالْأَعْرَافِ وَالْمَوَاثِيقِ الدُّوَلِيَّةِ، وَكَارِثَةُ الكَوَارِثِ حِينَمَا يَكُونُ أَرْبَابُه مُرْتَدِينَ لِبَاسَ الدِّينِ، وَمُتَزَيِّينَ زِيَّ الْمُسْلِمِينَ!!

وَالْإِسْلَامُ الْحَقُّ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - بَرِيءٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَنُصُوصُهُ الشَّرْعِيَّةُ، وَمَقَاصِدُهُ وَآدَابُهُ الْمَرْعِيَّةُ، جَاءَتْ بِتَحْرِيمِ قَتْلِ الْأَنْفُسِ الْمَعْصُومَةِ، وَإِزْهَاقِ الْأَرْوَاحِ، وَتَدْمِيرِ الْمُمْتَلَكَاتِ، وَالِاعْتِدَاءِ

---

(١) سبق بيان معناها (ص٤٩٥).

عَلَىٰ الْأَمْوَالِ وَالْحُقُوقِ، وَالسَّعْيِ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة]، وَقَدْ حَرَّمَ الْإِسْلَامُ الظُّلْمَ وَالتَّظَالُمَ، وَأَمَرَ بِالْقِسْطِ وَالْعَدْلِ، حَتَّىٰ مَعَ الْعَدُوِّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [المائدة:٨]، وَنَهَىٰ عَنْ سُلُوكِ مَسَالِكِ الْعُنْفِ وَالْفَظَاظَةِ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وَفِي الصَّحِيحِ عِنْدَ مُسْلِمٍ[١] وَغَيْرِهِ[٢] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»**، وَفِيهِ أَيْضًا: **«إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»**[٣].

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَلَقَدْ بُلِيَتْ هَٰذِهِ الْأُمَّةُ فِي أَعْقَابِ الزَّمَنِ

(١) برقم (٢٥٩٢) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٠٩)، وابن ماجه (٣٦٨٧)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٢) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها.

بِعَواصِفِ أَعْمَالِ الْعُنْفِ وَالتَّخْرِيبِ، وَحَوادِثِ الشَّغَبِ وَالْإِرْهَابِ، وَالْأَوْضَاعُ الرَّاهِنَةُ تُتَرْجِمُ ذَلِكَ بِجَلَاءٍ، مِمَّا هَزَّ الْعَالَمَ، وَأَصَابَهُ بِكَارِثَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ، وَمُصَابٍ جَلَلٍ، وَخَطْبٍ جَسِيمٍ.

فَكَمْ رَأَىٰ الْمُتَابِعُ وَسَمِعَ مِنْ صُوَرِ التَّرْوِيعِ وَالْإِرْهَابِ، وَأَخْبَارِ الدَّمَارِ وَالِاضْطِرَابِ: تَخْرِيبٌ وَتَفْجِيرَاتٌ، قَتْلٌ وَاغْتِيَالَاتٌ، اخْتِطَافٌ لِمَرْكَبَاتٍ وَطَائِرَاتٍ، نَسْفٌ لِعَامِرِ الْبِنَايَاتِ، وَتَدْمِيرٌ لِعَامِرِ الْمُمْتَلَكَاتِ، فَكَمْ أَهْلَكَتْ مِنْ نُفُوسٍ، وَأَلْحَقَتْ مِنْ أَضْرَارٍ، وَدَمَّرَتْ مِنْ عَمَارٍ، وَشَلَّتْ مِنِ اقْتِصَادٍ، وَأَحْدَثَتْ قَتْلَىٰ وَجَرْحَىٰ وَمَفْقُودِينَ، وَأَسْفَرَتْ عَنْ ثَكَالَىٰ وَيَتَامَىٰ وَمُصَابِينَ.

يَعْمَدُ لِذَلِكَ أَقْوَامٌ ذَوُو نُفُوسٍ مَرِيضَةٍ، وَضَمَائِرَ دَنِيئَةٍ، وَذِمَمٍ ضَعِيفَةٍ، مِمَّنْ تَأَصَّلَ الْإِجْرَامُ فِي نُفُوسِهِمْ، حَتَّىٰ طَفَحَ شَرُّهُمْ، وَتَطَاوَلَ شَرَرُهُمْ، فَبَعَثُوهَا عَظِيمَةً تَقْضِي عَلَىٰ الْأَخْضَرِ وَالْيَابِسِ، فَرُحْمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ! وَعَفْوَكَ يَا مَوْلَانَا وَعَافِيَتَكَ يَا اللَّهُ، اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ!!

فَمَا أَهْدَافُ الْقَوْمِ؟ وَمَاذَا يَرُومُونَ؟ وَمَنْ نَصِيرُهُم؟ بَلْ مَنْ خَاذِلُهُمْ؟ وَأَيْنَ عُقَلَاءُ الْخَلِيقَةِ، وَشُرَفَاءُ الْعَالَمِ مِنْ مَكْرِهِمْ وَبَغْيِهِمْ؟ فَإِنْ لَمْ يَتَدَارَكُوهَا ـ وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ ـ يَكُنْ ضِرَامُهَا جُثَثٌ وَهَامٌ، حِينَهَا لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ.

أَيُّ دِينٍ وَعَقْلٍ وَعُرْفٍ يُقِرُّ هَـٰذِهِ الْأَعْمَالَ الشَّنِيعَةَ؟ بَلْ أَيْنَ الْمُرُوءَةُ وَالرَّحْمَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ؟ أَيُّ قَلْبٍ هَـٰذَا الَّذِي يَسْتَهِينُ بِالْأَنْفُسِ وَالْمُمْتَلَكَاتِ؟ وَأَيُّ عَقْلٍ هَـٰذَا الَّذِي يُقْدِمُ عَلَىٰ الْإِضْرَارِ بِالْآمِنِينَ، وَإِزْهَاقِ أَنْفُسِ الْمَعْصُومِينَ؟ بَلْ أَيُّ نَفْسٍ تِلْكَ الَّتِي تَلَذُّ لِسَفْكِ الدِّمَاءِ وَتَمْزِيعِ الْأَشْلَاءِ؟

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس]، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة:٢٢٠]، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]، ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢].

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: يَأْبَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ! ثُمَّ يَأْبَىٰ أَهْلُ الْإِيمَانِ الْحَقِّ، أَنْ تَكُونَ هَـٰذِهِ الْمَسَالِكُ الْمَرْذُولَةُ -فِي تَرْوِيعِ الْآمِنِينَ، وَزَعْزَعَةِ حَيَاةِ الْمُطْمَئِنِّينَ، وَسُلُوكُ مَسَالِكِ الْعُنْفِ وَالْاِعْتِدَاءَاتِ، وَأَعْمَالِ التَّخْرِيبِ وَالتَّفْجِيرَاتِ- طَرِيقًا إِلَىٰ جَلْبِ الْخَيْرِ وَالْأَمْنِ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَالْإِسْعَادِ وَالْإِصْلَاحِ لِلْإِنْسَانِيَّةِ.

اسْتَمِعُوا -يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ- لِلْحَبِيبِ الْمُصْطَفَىٰ، الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ -بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي- وَهُوَ يُؤَصِّلُ مَنْهَجَ الْإِصْلَاحِ

لِلْأُمَّةِ، فيَقُولُ فِي حَالَةِ الْحَرْبِ - فَمَا بَالُكُمْ بِحَالَةِ السِّلْمِ؟ -: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»، خَرَّجه مُسْلِمٌ[1]. وَفِي لَفْظٍ: «وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا، وَلَا صَغِيرًا، وَلَا امْرَأَةً»[2].

أَيْنَ هَذِهِ التَّعَالِيمُ وَالصَّفْوَةُ مِنَ الْمَفَاهِيمِ؟ مِنْ أَقْوَامٍ أَيًّا كَانُوا لاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ بِالْعُنْفِ مَسْلَكًا وَالتَّخْرِيبِ مَنْهَجًا، وَسَفْكِ الدِّمَاءِ لِلْتَّغْيِيرِ وَالْإِصْلَاحِ طَرِيقًا، زَعَمُوا !! ثُمَّ لاَ تَسْأَلْ عَنْ أَخْطَارِهَا الْبَالِغَةِ، وَآثَارِهَا وَأَبْعَادِهَا الدَّامِغَةِ، عَلَىٰ مُسْتَقْبَلِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، لاَسِيَّمَا الْجَالِيَاتُ وَالْأَقَلِّيَّاتُ الْمُسْلِمَةُ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَظُنَّ أَوْ نَرْمِيَ بِإِثْمٍ مُسْلِمًا بَرِيئًا.

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِنَّ لَكُمْ فِي الْحَوَادِثِ لَعِبَرًا، وَفِي الْوَقَائِعِ مُزْدَجَرًا وَمُدَّكَرًا، لاَبُدَّ مِنَ اللَّجَأِ إِلَىٰ اللَّهِ، وَالْفَزَعِ إِلَيْهِ، فَلاَ يَكْشِفُ السُّوءَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ، فَلاَ مَلْجَأَ مِنْهُ إِلاَّ إِلَيْهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْصُلُ فِي هَذَا الْكَوْنِ فَلَهُ فِيهِ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْقُدْرَةُ النَّافِذَةُ، وَهَذَا الْحَدَثُ لَوْ لَمْ يُقَدَّرْ أَزَلًا لَمَا وَقَعَ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢].

---

(١) برقم (١٧٣١) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦١٤)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٩٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مِنْ مِنْبَرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، مِنْبَرِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالسَّلَامِ، نُخَاطِبُ الرَّأْيَ الْعَامَّ الْعَالَمِيَّ وَالدَّوْلِيَّ، وَنُنَادِي وَاضِعِي الْقَرَارِ فِي الْعَالَمِ، بِاتِّخَاذِ الْحِكْمَةِ فِي الْأَحْدَاثِ، وَالتَّعَقُّلِ فِي الْمَوَاقِفِ، وَضَبْطِ النُّفُوسِ وَإِعْمَالِ النَّظَرِ الْعَمِيقِ، وَإِيثَارِ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ، وَتَجْنِيبِ الْإِنْسَانِيَّةِ شُرُورَ الْكَوَارِثِ، وَأَخْطَارَ الْحُرُوبِ وَالْحَوَادِثِ، وَإِحْلَالِ السَّلَامِ الْعَالَمِيِّ الْعَادِلِ، وَدَعْمِ الْأَمْنِ الدَّوْلِيِّ الْمَنْشُودِ.

وَعَلَىٰ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ: أَنْ يُبَيِّنُوا الْحَقَّ فِي هَٰذِهِ الْأَحْدَاثِ وَيُؤَصِّلُوهَا بِالرُّؤْيَةِ الشَّرْعِيَّةِ الصَّائِبَةِ، وَالْمَنْظُورِ الْإِسْلَامِيِّ الْمُتَّزِنِ، حَتَّىٰ تَتَجَلَّىٰ الصُّورَةُ الْمُشْرِقَةُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَأَنَّ مَا يُسَمَّىٰ بِالْإِرْهَابِ مَرْفُوضٌ بِأَبْشَعِ صُوَرِهِ، مَدْحُورٌ بِأَشْنَعِ أَشْكَالِهِ، بَعِيدٌ كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ جَوْهَرِ الْإِسْلَامِ وَنُبْلِ مَقَاصِدِهِ، وَسُمُوِّ تَشْرِيعَاتِهِ، وَلَا يُمَثِّلُ أَخْلَاقِيَّاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَحُسْنَ سُلُوكِهِمْ فِي نَقِيرٍ أَوْ قِطْمِيرٍ.

كَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي - وَقَدْ زَلَّتْ فِي أَحْدَاثٍ أَقْدَامٌ، وَضَلَّتْ أَفْهَامٌ - أَنْ تُضْبَطَ الْأَلْفَاظُ وَالْمُصْطَلَحَاتُ وَتُجَلَّى الْحُدُودُ وَالتَّعْرِيفَاتُ، حَتَّىٰ لَا تَخْتَلِطَ الْمَفَاهِيمُ بَيْنَ الْجِهَادِ الشَّرْعِيِّ بِضَوَابِطِهِ وَأَخْلَاقِيَّاتِهِ، وَبَيْنَ

الْإِرْهَابِ الْـوَاقِعِيِّ بِأَنْماطِهِ وَضُرُوبِهِ، وَلْـيَكُنْ بِحُسْبَانٍ، أَنَّ كُـلَّ عِـلَاجٍ لِأَدْوَاءِ الْبَشَرِيَّةِ، وَعِلَلِ الْإِنْـسَانِيَّةِ، يَـتِمُّ فِي غَيْبَـةِ الـدِّينِ، وَتَهْمِيشِ أَهْلِـهِ، لَنْ يَحْظَىٰ إِلَّا بِالْفَشَلِ الذَّرِيعِ، وَلَنْ يَجْلِبَ لِلْبَشَرِيَّةِ إِلَّا مَزِيـدًا مِـنَ الْفِتَنِ، فَلابُـدَّ مِـنْ إِيضَاحِ الْـحَقَائِقِ، وَتَجْلِيَـةِ الـرُّؤَىٰ حَتَّـىٰ لاَ يُحَمَّـلَ الْإِسْـلَامُ وَأَهْلُهُ جَرِيرَةَ مَـا حَـدَثَ، وَيُـتَّهَمَ الْأَبْرِيَاءُ بِالْإِرْهَـابِ، وَهُـمْ مِنْـهُ بُـرَآءُ، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وَلَيْسَ كُلُّ مَا ابْيَضَّ شَحْمًا، وَلاَ كُلُّ مَا اسْوَدَّ فَحْمًا.

وَمِمَّـا يَجِـبُ تَقْرِيْـرُهُ وَتَحْرِيـرُهُ: أَلاَّ يُـصَوَّرَ الْـمُسْلِمُونَ عَـلَىٰ أَنَّهُـمْ سَـبَبُ التَّـصَادُمِ الْـحَـضَارِيِّ، وَالتَّخَلُّـفِ الْإِنْـسَانِيِّ. لاَبُـدَّ مِـنْ صِـيَاغَةِ الْـجِيلِ الْـمُتَعَقِّلِ الْوَاعِي، الَّذِي يُدْرِكُ أَنَّ الرَّأْيَ وَالْحَصَافَةَ وَبُعْدَ النَّظَرِ، قَبْلَ مَا يُظَنُّ مِنَ الشَّجَاعَةِ، وَأَنَّ الْعَدْلَ فَـوْقَ الْـخُصُومَةِ، وَأَنَّ الْـحِفَاظَ عَلَىٰ الْبِيئَاتِ وَالْـمُكْتَسَبَاتِ حَقٌّ مَكْفُولٌ لاَ يَجُوزُ الِاعْتِدَاءُ عَلَيْهِ بِوَجْهٍ مِـنَ الْوُجُـوهِ ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة].

وَالدَّعْـوَةُ مُوَجَّهَـةٌ لِوَسَـائِلِ الْإِعْـلَامِ - لَا سِيَّمَـا الْغَرْبِيَّـةِ، وَمُلَّاكِ الْقَنَواتِ الْعَالَـمِيَّةِ - إِلَىٰ التَّـحَلِّي بِالْإِنْـصَافِ وَالْـمَوْضُوعِيَّةِ، وَالـصِّدْقِ

وَالْوَاقِعِيَّـةِ، مَـعَ عَـدَمِ إِطْـلَاقِ الـتُّهَمِ وَكَيْـلِ التَّكَهُّنَـاتِ، وَقَـذْفِ التَّخَرُّصَاتِ. وَالنَّأْيِ بِالْأُمَّةِ عَنْ كُلِّ الْأَوْهَامِ وَالشَّائِعَاتِ، وَالْـمَكَايِيلِ الْـمُزْدَوِجَةِ، بَعِيدًا عَنِ الضَّبَابِيَّةِ فِي الطَّرْحِ، وَالرَّمَادِيَّـةِ فِي التَّحْلِيـلِ، وَالِازْدِوَاجِيَّـةِ فِي الْـمَوَاقِفِ، وَالإِغْـرَاقِ فِي الْعَوَاطِـفِ، وَالتَّشَنُّجِ فِي الْحِوَارِ، فِي وَقْتٍ كَادَتْ الْمِصْدَاقِيَّةُ تَنْتَحِبُ، وَالْـمَوْضُوعِيَّةُ تَحْتَضِرُ.

إِنَّهُ لَابُدَّ مِنَ الْإِدْرَاكِ الْعَمِيقِ، بِأَنَّ الْـمُشْكِلَاتِ وَالظَّوَاهِرَ السَّلْبِيَّةَ فِي الْـمُجْتَمَعَاتِ الْبَشَرِيَّةِ، لَا يُمْكِنُ حَلُّهَا بِاللُّجُوءِ إِلَىٰ الْعُنْفِ ابْتِدَاءً وَلَا جَـزَاءً، بَـلْ بِالتَّحَـاوُرِ وَالتَّفَـاوُضِ وَالْعَـوْدَةِ إِلَىٰ عُيُـوبِ الـذَّاتِ، وَمُرَاجَعَـةِ الْـمَوَاقِفِ وَالْحِسَابَاتِ، وَإِصْلَاحِ النُّظُمِ وَالسِّيَاسَاتِ، وَالْعَمَـلِ عَـلَىٰ نَـشْرِ الْعَـدْلِ وَالْـمُسَاوَاةِ بَـيْنَ النَّـاسِ، وَنَبْذِ الْأَحْقَـادِ وَالْعُنْصُرِيَّاتِ، وَالِاعْتِرَافِ بِحُقُوقِ الشُّعُوبِ الْـمُسْلِمَةِ الْـمُضْطَهَدَةِ.

وَيَأْتِي فِي مُقَدِّمَتِهَا قَضِيَّةُ الْـمُسْلِمِينَ الْكُبْرَىٰ، فِي فِلَسْطِينَ الْـمُسْلِمَةِ الْـمُجَاهِدَةِ، وَالْقُدْسِ الشَّرِيفِ، وَالْـمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ الْـمُبَارَكِ، وَحَقُّ الشَّعْبِ الْـمُسْلِمِ فِي الْأَرْضِ الْـمُبَارَكَةِ فِي الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَسَلَامٍ، بَعِيدًا عَنِ الْإِرْهَابِ الصُّهْيُونِيِّ الْأَرْعَنِ، ضِدَّ مُقَدَّرَاتِ الْأُمَّةِ وَمُقَدَّسَاتِهَا.

كَمَا أَنَّهُ لَابُدَّ مِنَ الْعَمَلِ عَلَىٰ تَكْثِيفِ الْـجُهُودِ، وَتَنْسِيقِ الْأَعْمَالِ لِإِبْرَازِ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْـحَضَارِيَّةِ الَّتِي يَزْخَرُ بِهَا دِينُنَا الْإِسْلَامِيُّ

الْـحَنِيفُ، مَعَ الْـجِدِّ فِي مُعَالَجَةِ صُوَرِ التَّنَاقُضِ وَالازْدِوَاجِيَّةِ، الَّتِي تَعِيشُهَا الْأُمَّةُ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَجَالَاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَالِاقْتِصَادِيَّةِ، وَالْإِعْلَامِيَّةِ وَغَيْرِهَا. وَالْعَمَلِ عَلَىٰ تَخْفِيفِ مَنَابِعِ الشَّرِّ فِي الْأُمَّةِ، فِي ظِلِّ تَدَاعِيَاتِ الْعَوْلَمَةِ الْعَارِمَةِ الَّتِي يُوشِكُ أَنْ تَأْتِيَ عَلَىٰ بُنْيَانِ ثَوَابِتِ أُمَّتِنَا مِنَ الْقَوَاعِدِ.

لَقَدْ تَبَيَّنَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ، وَآنَ الْأَوَانُ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - أَنْ تُوضَعَ الْأُمُورُ فِي نِصَابِهَا الشَّرْعِيِّ، وَأَنْ تُتَّخَذَ الْـخُطُوَاتُ الْعَمَلِيَّةُ وَالْمُبَادَرَاتُ الْفِعْلِيَّةُ، إِلَىٰ تَفْعِيلِ دَوْرِ الْفَرْدِ الْـمُسْلِمِ وذَاتِيَّتِهِ الْـمَسْؤُولَةِ، لِيَنْطَلِقَ بِمَهَامِّهِ فِي الْبِنَاءِ وَالْإِعْمَارِ، وَتَحْقِيقِ الْـمَصَالِحِ الْكُبْرَىٰ عَلَىٰ مَنْهَجِ التَّوَسُّطِ وَالِاعْتِدَالِ، تَحْقِيقًا لِـمَقَاصِدِ الْإِسْلَامِ الْعُظْمَىٰ.

وَالْـحَاجَةُ مُلِحَّةٌ لِـمَشْرُوعِ مُنَظَّمَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ عَالَـمِيَّةٍ مُتَخَصِّصَةٍ، لِعِلَاجِ هَـٰذِهِ الظَّاهِرَةِ الْـخَطِيرَةِ إِقْلِيمِيًّا وَدَوْلِيًّا، وَلِوَضْعِ دِرَاسَاتٍ عِلْمِيَّةٍ وَآلِيَّاتٍ عَمَلِيَّةٍ لِلْبَحْثِ بِجِدِّيَّةٍ، عَنْ أَسْبَابِهَا وَعَوَامِلِ انْتِشَارِهَا، وَاتِّخَاذِ آلِيَّةٍ سَلِيمَةٍ لِاسْتِئْصَالِهَا، وَوَقْفِ امْتِدَادِهَا حَالَ وُجُودِهَا، بِمَنْهَجِيَّةٍ مَدْرُوسَةٍ مُؤَصَّلَةٍ بِالْعِلْمِ وَالْبَيَانِ، وَالْـحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَمُتَّصِفَةٍ بِالْوُضُوحِ وَالشَّفَافِيَّةِ، وَوَضْعِ صِيغَةٍ مُوَحَّدَةٍ لِـمُوَاجَهَتِهَا تَشْخِيصًا لِلدَّاءِ، وَوَصْفًا لِلدَّوَاءِ، حَتَّىٰ تَسْعَدَ

الْبَشَرِيَّةُ، وَتَأْمَنَ الإِنْسَانِيَّةُ، وَيَسْلَمَ الْعَالَمُ مِنْ غُلَوَائِهَا وَشُرُورِهَا، مَعَ الْعَمَلِ الْمُنَسَّقِ عَلَى اسْتِئْصَالِ جُرْثُومَتِهَا مِنَ الْبِلَادِ الإِسْلَامِيَّةِ خَاصَّةً، وَمِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ الدَّوْلِيَّةِ عَامَّةً ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف]، ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى]، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ، وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف]، ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ، أَمَرَ بِالْعَدْلِ وَحَرَّمَ الظُّلْمَ وَالْإِرْهَابَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ مَتَابِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَى الْأَوَّابُ، خَيْرُ نَبِيٍّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ خَيْرُ كِتَابٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي النُّهَى وَالْأَلْبَابِ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَآبِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة]، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

عِبَادَ اللَّهِ: فِي ظِلِّ تَغْيِيبِ الْإِنْصَافِ وَالْتِبَاسِ الْحَقَائِقِ، فَإِنَّ الْعَالَمَ يَنْشُدُ الْحَقِيقَةَ، وَأَنْتُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - أَهْلُ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ، فَاللَّهَ اللَّهَ فِي تَجْلِيَةِ الصُّورَةِ الْمُشْرِقَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ، بَعْدَ أَنْ سَقَطَتِ الْأَقْنِعَةُ، وَأَفْلَسَتِ الشِّعَارَاتُ، وَظَهَرَ عَوَارُ كَثِيرٍ مِنَ النُّظُمِ وَالنَّظَرِيَّاتِ،

وَبعْدَ أَنْ شُوِّهَ الْإِسْلَامُ مِنْ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ؛ فَإِنَّ الْعَالَمَ يَتطَلَّعُ إِلَىٰ مُسْتَقْبَلٍ أَفْضَلَ يَتفَيَّأُ مِنْ خِلَالِهِ ظِلَالَ هَـٰذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ، فِي وَاحَةٍ مِنَ الْأَمْنِ الْوَارِفِ الَّذِي لاَ تُنَغِّصُهُ الْجَرَائِمُ وَالْمَخَاوِفُ، مِمَّا يَتطَلَّبُ الْجِدَّ فِي تَطْبِيقِ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ، وَإِظْهَارِ مَحَاسِنِهِ الْفَرِيدَةِ، وَمَزَايَاهُ الْحَمِيدَةِ، وَالنُّهُوضِ بِمُسْتَوَىٰ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَنْسِيقِ الْجُهُودِ وَالْمَوَاقِفِ فِي ذَلِكَ، وَتَسْخِيرِ آلِيَّاتِ الْعَصْرِ وَتِقَانَاتِهِ لِخِدْمَةِ هَـٰذَا الْغَرَضِ النَّبِيلِ، وَمُتَابَعَةِ قَضَايَا أُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَرِعَايَةِ أَحْوَالِ الْجَالِيَاتِ، وَالْأَقَلِّيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْعَالَمِ.

وَأَنْ تَفْزَعَ الْأُمَّةُ أَفْرَادًا وَمُجْتَمَعَاتٍ لِلْبِنَاءِ الْحَضَارِيِّ فِي شَتَّىٰ الْمَجَالَاتِ، حَتَّىٰ يَتَحَقَّقَ لِأُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ عِزُّهَا وَمَجْدُهَا الْمُؤَثَّلُ، وَمَكَانَتُهَا الْمَرْمُوقَةُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ.

وَلَيْسَ لِلْأُمَّةِ ـ وَقَدْ تَشَعَّبَتْ بِهَا السُّبُلُ، وَطَفَحَ فِيهَا طُوفَانُ الْفِتَنِ ـ بِغَيْرِ الدِّينِ مُسْتَعْصَمٌ، وَلاَ بِغَيْرِ الشَّرِيعَةِ مُسْتَمْسَكٌ. وَمِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ، أَنْ يُهَيِّئَ لَهَا فِي كُلِّ خَلَفٍ مَنْ يُعِيدُ أَمْجَادَ السَّلَفِ، وَمَنْ يَقُومُ بِأَمْرِ دِينِهَا، وَيُجَدِّدُ مَا انْدَرَسَ مِنْ مَعَالِمِ شَرِيعَتِهَا.

وَمَا دَعْوَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِصْلَاحِ، الَّتِي انْبَثَقَتْ مِنْ هَـٰذِهِ الرُّبَا وَالْبِطَاحِ، فِي أَرْضِ الْحَرَمَيْنِ ـ حَرَسَهَا اللَّهُ ـ حِينَمَا تَعَانَقَ سُلْطَانُ الْعِلْمِ

مَعَ سُلْطَانِ الْحُكْمِ، فِي مَلْحَمَةٍ فَرِيدَةٍ وَمَنْظُومَةٍ مُتَآلِفَةٍ، وَنَسِيجٍ مُتَمَيِّزٍ، إِلَّا مِنَّةٌ مِنَ اللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ لَا عَلَىٰ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا عَلَىٰ أَهْلِ الْبَسِيطَةِ عَامَّةً، مِمَّا أَثْمَرَ أُكُلًا مَأْتِيًّا، وَبِسَاطًا أَمْنِيًّا، وَتَلَاحُمًا قِيَادِيًّا وَشَعْبِيًّا، وَجُهْدًا إِسْلَامِيًّا، وَعَمَلًا إِنْسَانِيًّا، وَصَرْحًا حَضَارِيًّا، وَمَرْكَزًا عَالَمِيًّا، وَوَزْنًا وَثِقَلًا دَوْلِيًّا، وَمَوْقِفًا تَأْرِيخِيًّا، وَمِنْ دَحْرِ الْإِرْهَابِ حَازِمًا قَوِيًّا، جَعَلَهُ اللَّهُ خَالِصًا مَرْضِيًّا، وَزَادَهَا تَوْفِيقًا دُنْيَوِيًّا وَأُخْرَوِيًّا.

أَلَا فَلْتَعْلَمُوا ـ يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ ـ أَنَّ أَوَّلَ لَبِنَةٍ فِي الْإِصْلَاحِ: الْعَوْدَةُ إِلَىٰ النُّفُوسِ وَتَقْوِيمِهَا، وَالْحَذَرُ مِنِ انْفِصَامِ عُرَىٰ الِاتِّبَاعِ وَالتَّأَسِّي، وَالْوُقُوعِ فِيمَا يُحْدِثُهُ النَّاسُ مِنِ اعْتِقَادَاتٍ وَأَعْمَالٍ لَيْسَ لَهَا مُسْتَنَدٌ صَحِيحٌ، أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ صَرِيحٍ، كَمَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ الْعَامَّةِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ، وَتَخْصِيصِهِ بِعِبَادَاتٍ لَمْ تَكُنْ مَأْثُورَةً عَنْ سَلَفِ هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

يَقُولُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**لَمْ يَرِدْ فِي فَضْلِ شَهْرِ رَجَبٍ وَلَا صِيَامِهِ وَلَا فِي صِيَامِ شَيْءٍ مِنْهُ، مُعَيَّنٍ وَلَا فِي قِيَامِ لَيْلَةٍ مَخْصُوصَةٍ حَدِيثٌ صَحِيحٌ يَصْلُحُ لِلْحُجَّةِ**»[1].

---

(١) يُنظر: «تبيين العجب بما ورد في فضل رجب» (ص٢).

أَلاَ فَلْنَتَّقِ اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَلْيَقُمْ كُلٌّ مِنَّا بِوَاجِبِهِ تُجَاهَ دِينِ اللَّهِ، وَلْنَكُنْ أَعْيُنًا سَاهِرَةً فِي الْحِفَاظِ عَلَىٰ عَقِيدَتِنَا وَأَمْنِ بِلَادِنَا وَسَلَامَةِ مُجْتَمَعَاتِنَا، مِنْ عَبَثِ الْبُغَاةِ، وَكَيْدِ الْعُدَاةِ، وَلَعَلَّ فِي تَضَاعِيفِ الْمِحَنِ مِنَحًا، وَفِي خِضَمِّ الْآلَامِ آمَالًا، مِمَّا يَدْعُو إِلَىٰ إِنَابَةٍ مُخْلِصَةٍ، وَمُحَاسَبَةٍ دَقِيقَةٍ، وَمُرَاجَعَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ، وَتَفَاؤُلٍ دَائِمٍ، وَاسْتِشْرَافٍ لِآفَاقِ الْمُسْتَقْبَلِ؛ حَتَّىٰ يَنْطَلِقَ الْجَمِيعُ بِخُطًى رَاسِخَةٍ عِلْمًا وَعَمَلًا، وَدَعْوَةً وَإِصْلَاحًا، لِكُلِّ مَا فِيهِ سَعَادَةُ الْبِلَادِ، وَصَلَاحُ الْعِبَادِ، وَكَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَامِلِينَ الْمُخْلِصِينَ لِخِدْمَةِ دِينِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ.

هَٰذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَىٰ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَىٰ، وَالْحَبِيبِ الْمُرْتَضَىٰ، كَمَا أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ - تَعَالَىٰ - فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ وَأَصْدَقِ الْقِيلِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

القسم العاشر:
من قضايا المسلمين

قَضِيَّةُ الأَقْصَى
بَيْنَ الحَقِّ المُغْتَصَبِ، وَالوَاجِبِ المُنْتَهَبِ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَنْصِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَىٰ كَمَا يَنْصُرُنَا عَلَىٰ أَعْدَائِنَا أَنْ يُعِينَنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَيُبَصِّرَنَا بِعُيُوبِنَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بَارَكَ حَوْلَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ، وَخَذَلَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ دِينِهِ وَأَقْصَىٰ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، حَثَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَأَوْصَىٰ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِينَ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ مِثَالًا عَلَىٰ نُصْرَةِ الْحَقِّ فَمَا تَوَانَىٰ وَلَا اسْتَعْصَىٰ، وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَىٰ أَثَرَهُمْ وَاسْتَوْصَىٰ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّهَا أَجَلُّ الْوَصَايَا، وَبِهَا السَّلَامَةُ مِنَ الْفِتَنِ وَالْبَلَايَا، وَالنَّجَاةُ مِنَ الْمِحَنِ وَالرَّزَايَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: فِي ظِلِّ الْأَحْدَاثِ الْمُلْتَهِبَةِ، وَفِي خِضَمِّ

الْأَوْضَاعِ السَّاخِنَةِ، بَلِ الْمُنْعَطَفَاتِ الْخَطِيرَةِ الْمُتَفَجِّرَةِ، الَّتِي تَعِيشُهَا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ هَٰذِهِ الْأَيَّامَ، يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُ الْغَيُورُ، بَلْ تَحْتَاجُ الْأُمَّةُ بِأَسْرِهَا إِلَىٰ وَقْفَةٍ حَازِمَةٍ، تَسْتَقْرِئُ فِيهَا التَّأْرِيخَ وَالْمُتَغَيِّرَاتِ، وَتَتَأَمَّلُ سُنَنَ اللَّهِ فِي الْأُمَمِ وَالْحَضَارَاتِ؛ لِتُقَوِّمَ مِنْ خِلَالِهَا مَسِيرَتَهَا، وَتَقِفَ بِجِدٍّ، لِلْمُحَاسَبَةِ، وَالْمُرَاجَعَةِ الدَّقِيقَةِ، ثُمَّ تَأْخُذَ بِزِمَامِ الْعَمَلِ وَالْمُبَادَرَةِ، الَّذِي تُبْتَلَىٰ فِيهِ أُمَّتُنَا بِأَحْدَاثٍ وَقَضَايَا يُنْسِي طَرِيفُهَا[1] تَلِيدَهَا[2]، فَأَصْبَحَتْ إِذَا أَصَابَتْنَا سِهَامٌ، تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَىٰ النِّصَالِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَلَمْ يُبْرِزِ التَّأْرِيخُ قَضِيَّةً تَجَلَّتْ فِيهَا الثَّوَابِتُ الشَّرْعِيَّةُ، وَالْحُقُوقُ التَّأْرِيخِيَّةُ، وَالْأَمْجَادُ الْحَضَارِيَّةُ، كَمَا بَرَزَ لَهَا الْأَحْقَادُ الْعَالَمِيَّةُ، وَتَجَلَّتْ فِيهَا الْمُتَنَاقِضَاتُ الدَّوْلِيَّةُ، وَانْكَشَفَتْ فِيهَا حَرْبُ الْمُصْطَلَحَاتِ، وَتَعَرَّىٰ فِيهَا بَرِيقُ الشِّعَارَاتِ، وَتَجَلَّىٰ فِيهَا التَّلَاعُبُ بِالْوَثَائِقِ وَالْقَرَارَاتِ، كَقَضِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْأُولَىٰ؛ قَضِيَّةِ فِلَسْطِينَ الْمُسْلِمَةِ الْمُجَاهِدَةِ، وَالْقُدْسِ الصَّامِدَةِ، وَمَأْسَاةِ الْمَقْدِسِ وَالْأَقْصَىٰ الْمُبَارَكِ. حَيْثُ تَشَابَكَتْ حَلَقَاتُ الْكَيْدِ فِي سَلَاسِلِ

(١) الطَّرِيفُ: الحديث، يُقال: استطرفت الشيء: استحدثته. يُنظر: «اللسان» (طرف).

(٢) سبق بيان معناها (ص٧٣).

الْـمُؤَامَرَةِ؛ لِتُمَثِّـلَ مَنْظُومَـةً شَـمْطَاءَ مِـنَ الْعَـدَاءِ الْـمُعْلَنِ، وَالْـمَكْرِ الْـمُبَطَّنِ، فِي تَـآمُرٍ رَهِيـبٍ مِنْ قُـوَىٰ الْغَـرْبِ وَالـشَّرْقِ، كَـانَ مِـنْ أَبْـرَزِ إِفْرَازَاتِهِ الْـخَطِيرَةِ؛ انْخِدَاعُ كَثِيرٍ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا بِخِطَطِ الْقَوْمِ.

وَيَتَجَلَّىٰ ذَٰلِكَ فِي مُحَاوَلَةِ زَحْزَحَةِ قَضِيَّةِ فِلِسْطِينَ وَالْقُدْسِ وَالْأَقْصَىٰ مِـنْ صِـيغَتِهَا الـشَّرْعِيَّةِ، وَمَنْظُومَتِهَـا الْإِسْـلَامِيَّةِ، إِلَىٰ مَتَاهَـاتٍ مِـنَ الـشِّعَارَاتِ الْقَوْمِيَّـةِ وَالْإِقْلِيمِيَّـةِ، وَمُسْتَنْقَعَاتٍ مِـنَ النَّعَـرَاتِ الْـحِزْبِيَّةِ، وَالْعَلْمَانِيَّـةِ، وَالْـجَاهِلِيَّةِ، وذَلِـكَ -لَعَمْـرُ الْـحَقِّ!- بَـتْرٌ لَهَـا عَـنْ قُوَّتِهَـا الْـمُحَرِّكَةِ، وَطَاقَتِهَا الدَّافِعَةِ الْـمُؤَثِّرَةِ؛ حَتَّـىٰ حُجِبَـتِ الْقَـضِيَّةُ فِي دَهَـالِيزِ الـشِّعَارَاتِ، وَالْتِـوَاءِ الْـمَـسَارَاتِ، وَظَـلَامِ الْـمُفَاوَضَاتِ، وَدَيَـاجِيرِ الْـمُـسَاوَمَاتِ، وَأَنْفَـاقِ الْـمُرَاوَغَاتِ. فِي مَعَـايِيرَ مُنْتَكِـسَةٍ، وَمَقَـايِيسَ مُنْعَكِـسَةٍ، تُـسَوِّي بَـيْنَ أَصْـحَابِ الْـحُقُوقِ الْـمَـشْرُوعَةِ، وَالادِّعَـاءَاتِ الْـمَمْنُوعَةِ، وَتَتَلَاعَبُ بِمَوَازِينِ الْـحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالسَّلَامِ.

إِخْـوَةَ الْإِيمَـانِ: لَقَدْ خُيِّلَ لِمَنْ تَوَالَتْ عَلَـيْهِمْ مَطَارِقُ الانْهِزَامِيَّـةِ، أَنَّ الْقَضِيةَ غَامِضَةٌ مُلْتَوِيَةٌ، وَشَائِكَةٌ مُسْتَعْصِيَةٌ، وَالْـحَقِيقَةُ أَنَّهَـا أَوْضَـحُ مِنْ ذُكَاءَ[1]، فَمَاذَا جَنَتْ أُمَّتُنَـا مِـنْ غِيَابِ التَّأْصِيلِ الْعَقَدِيِّ وَالـشَّرْعِيِّ

---

(١) ذُكَاءُ: اسمُ عَلَم للشَّمْسِ غيرُ منصرف للعلمّية والتّأنيث، يُقال: ابْنُ ذُكَـاءَ، أي: =

هٰذِهِ الْقَضِيَّةِ؟ أَوَلَسْنا أُمَّةً لَها مَصادِرُها الشَّرْعِيَّةُ، وَثَوابِتُها الْعَقَدِيَّةُ، وَحُقُوقُها التَّأْرِيخِيَّةُ؟ ماذا يُؤَكِّدُ قُرْآنُنا وَسُنَّةُ نَبِيِّنا ﷺ؟ ماذا تُقَرِّرُ عَقِيدَتُنا؟ وَماذا يُسَجِّلُ تَأْرِيخُنا عَنِ الْقَضِيَّةِ وَأَطْرافِها؟ **مِمَّا يُؤَكِّدُ بِجَلاءٍ أَنَّ الصِّراعَ بَيْنَنا وَبَيْنَ الْيَهُودِ، لَيْسَ صِراعَ حَدَثٍ وَأَرْضٍ وَحُدُودٍ، بَلْ صِراعُ عَقِيدَةٍ وَهُوِيَّةٍ وَوُجُودٍ.**

أَلَمْ نَقْرَأْ قَوْلَ الْحَقِّ ـ تَبارَكَ وَتَعالَىٰ ـ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢]، وَقَوْلَهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[البقرة: ١٢٠]؟

اقْرَؤوا التَّأْرِيخَ لِتُدْرِكُوا أَنَّ يَهُودَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ، سَلَفٌ سَيِّئٌ، وَخَلَفٌ أَسْوَأُ.

هَؤُلاءِ هُمُ الْيَهُودُ، سِلْسِلَةٌ مُتَّصِلَةٌ مِنَ الْبَغْيِ، وَالْعِنادِ، وَالْفَسادِ، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة]، شَبَكاتٌ وَخَلايا مِنَ الْغَدْرِ وَالْكَيْدِ، وَالْخِسَّةِ وَالدَّناءَةِ.

وَالْيَوْمَ، تُواجِهُ الْأُمَّةُ الصِّراعَ عَلَىٰ أَشُدِّهِ، مَعَ أَعْداءِ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ

= الصُّبْحُ، وأشرقَتْ ذُكَاء، أي: طلعت الشمس. يُنظر: «المحيط» (ذكو).

وَالْغَدِ، مَعَ أَحْفَادِ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَبَنِي النَّضِيرِ، وَبَنِي قَيْنُقَاعَ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ!! فَهَلْ يَعِي بَنُو قَوْمِنَا حَقِيقَةَ أُمَّةِ الْغَضَبِ وَالضَّلَالِ، بَعْدَ أَنْ تَفَاقَمَ شَرُّهُمْ، وَتَطَايَرَ شَرَرُهُمْ.

فَالصِّرَاعُ فِي الْمَنْطِقَةِ أَخَذَ يَتَفَجَّرُ وَيَتَعَاظَمُ، وَالِاسْتِغْلَالُ وَالْأَطْمَاعُ بَدَأَتْ تَزْدَادُ وَتَتَفَاقَمُ، وَالتَّمَادِي فِي الِاسْتِخْفَافِ بِالْعَرَبِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَمُقَدَّسَاتِهِمْ، بَلَغَ أَوَجَ خُطُورَتِهِ، مِمَّنْ ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[التوبة]

أَلاَ فَلْيَتَذَكَّرْ ذَلِكَ، مَنْ جَالَتْ بِمَشَاعِرِهِمْ أَحْلَامُ السَّلَامِ الْوَرْدِيَّةُ، حَيْثُ الْحُقُوقُ الْمُهْدَرَةُ، وَالْحِمَىٰ الْمُسْتَبَاحُ، وَالتَّسَلُّطُ، وَالْغَلَبَةُ، وَالْمُرَاوَغَةُ، وَالْوُعُودُ الْعُرْقُوبِيَّةُ(١) الْمَفْضُوحَةُ، أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا تَسَاءَلْنَا: أَيْنَ الْعُهُودُ الَّتِي سَرَىٰ بِهَا إِلَيْنَا مَبْعُوثُكُمْ وَالْمَحَافِلُ؟ مَعَ جِهَةٍ لاَ يُرْضِيهَا إِلاَّ قَتْلُ صَاحِبِ الْحَقِّ، وَاسْتِلَابُ أَرْضِهِ، وَتَشْرِيدُ أَهْلِهِ، وَالْعَبَثُ بِاقْتِصَادِهِ، وَإِلْغَاءُ كَرَامَتِهِ، وَانْتِقَاصُ سِيَادَتِهِ، وَتَقْطِيعُ أَوْصَالِهِ، وَتَنَاثُرُ أَشْلَائِهِ.

---

(١) عُرْقُوبِيَّةٌ: ملتوية، العرقوب من الوادي: موضع فيه انحناء والتواء شديد، ومن الأمثال في خُلف الوعد: مواعيد عرقوب. يُنظر: «اللسان» (عرقب).

ذَلِكَ عَهْدُهُمْ وَمِيثَاقُهُمْ، مَبْنِيٌّ عَلَىٰ أَعْجَازِ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ، مِنَ الْغِشِّ وَالْغُثَاءِ، تَتَهَاوَىٰ مَعَ أَدْنَىٰ تَيَّارٍ مِنَ الْهَوَاءِ: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩].

يَا قومنَا! إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ قَوْمٌ تَأْرِيخُهُمْ مَفْضُوحٌ، وَسِجِلُّهُمْ بِالسَّوَادِ مَكْلُوحٌ[١]، وَلَنْ يَرْضَوْا لَكُمْ إِلاَّ بِتَحْقِيقِ أَهْدَافِهِمُ الثَّلَاثَةِ - لا بَلَّغَهُمُ اللَّهُ مُرَادَهُمْ!! -: يُرِيدُونَ إِقَامَةَ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ الْكُبْرَىٰ، وَأَنْ تَكُونَ الْقُدْسُ عَاصِمَةً لَهَا، وَهَدْمَ الْمَسْجِد الْأَقْصَىٰ الْمُبَارَكِ - وَقَدْ بَدَأَتْ فِعْلاً عَمَلِيَّاتُ الْحَفْرِ وَالتَّخْرِيبِ - وَبِنَاءَ هَيْكَلِهِمُ الْمَزْعُومِ عَلَىٰ أَسَاسِهِ، وَتِلْكَ - وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ - خُرَافَةٌ لَا يُسْنِدُهَا نَصٌّ، وَلَا يُقِرُّهَا عَقْلٌ، وَلَا يُؤَيِّدُهَا وَاقِعٌ وَلَا تَأْرِيخٌ. يُرِيدُونَ إِبَادَةَ دَوْلَةِ الْقُرْآنِ وَالتَّوْحِيدِ، وَإِشَادَةَ دَوْلَةِ التَّوْرَاةِ وَالتَّلْمُودِ عَلَىٰ أَنْقَاضِهَا.

أَلَا شَاهَتِ الْوُجُوهُ - عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ مَا يَسْتَحِقُّونَ!! - إِنَّهُمْ قَوْمٌ هَـٰذَا دَيْدَنُهُمْ عَبْرَ التَّأْرِيخِ، وَتِلْكَ أَطْمَاعُهُمْ وَمُؤَامَرَاتُهُمْ، لَكِنْ يَا لَيْتَ قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ!!

---

(١) مَكْلُوحٌ: مجدب، يُقال: سنة كُلاح إذا كانت مجدبة. يُنظر: «اللسان» (كلح).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَلَعَلَ مَا شَهِدَتْهُ السَّاحَةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ عَلَىٰ مَدَارِ الْأَسَابِيعِ الْأَرْبَعَةِ الْـمَاضِيَةِ، عَلَىٰ التَوَالِي، مِنْ مَشَاهِدَ مُرْعِبَةٍ، وَمَآسٍ مُرَوِّعَةٍ، مِنْ أَوْضَحِ الدَّلَائِلِ فِي شُبُوبٍ[1]، عَلَىٰ سَجِيَّةِ الْقَوْمِ، وَمَا يُكِنُّونَهُ لِأُمَّتِنَا وَمُقَدَّسَاتِنَا؛ إِنَّهُ لَأَمْرٌ تَبْكِي لَهُ الْعُيُونُ دَمًا؛ فَقَتْلُ الْأَبْرِيَاءِ الْعُزَّلِ عَلَىٰ أَيْدِي سَفَّاحِي الصَّهَايِنَةِ ـ شَرُّ مَنْ وَطْءِ الْحَصَىٰ، وَمَشَىٰ عَلَىٰ الثَّرَىٰ ـ فَأَيُّ حَقٍّ لَهُمْ فِي فِلِسْطِينَ! الْأَرْضِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ؛ الَّتِي تَبَوَّأَتْ مُنْذُ فَجْرِ التَّأْرِيخِ مَكَانَتَهَا الْـمَرْمُوقَةَ لَدَىٰ الْـمُسْلِمِينَ، وَلَنْ يُفَرِّطُوا بِشِبْرٍ مِنْ أَرْضِهَا ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ مَادَامَ فِيهِمْ عِرْقٌ يَنْبِضُ. فَلَا مُسَاوَمَةَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ مُقَدَّسَاتِنَا، وَلَا تَنَازُلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ثَوَابِتِنَا. لَقَدْ مَضَىٰ نِصْفُ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ عَلَىٰ قَضِيَّةِ الْـمُسْلِمِينَ الْكُبْرَىٰ ـ الَّتِي شَبَّتْ عَلَىٰ خِزْيِ التَّفْرِيطِ فِيهَا، الْأَجْيَالُ ـ وَالْـمَأْسَاةُ تَتَجَدَّدَ فِي شُبُوبٍ يَوْمًا بَعْدَ آخَرَ، فَأَيْنَ الْـمُسْلِمُونَ؟ أَلْفُ مِلْيُونِ مُسْلِمٍ لَوْ نَفَخْنَا كُلُّنَا لَمْ يَدُمْ بِنَاءٌ!!

خَمْسُونَ عَامًا أُتْخِمَتْ سَنَوَاتُهَا ذُلًّا، أَوَ مَا لَنَا سَعْدٌ وَلَا مِقْدَادٌ؟

---

(١) شُبُوبٌ: وضوح وحُسْن، يقال: هذا شبوب لهذا: أي يزيد فيه ويحسّنه. يُنظر: «اللسان» (شبب).

لَقَدْ نكَأَتِ الْأَوْضَاعُ الْمُسْتَجِدَّةُ الْجِرَاحَ؛ فَأَيْنَ مِنَّا خَالِدٌ وَصَلَاحٌ؟! يَا وَيْحَنَا! مَاذَا أَصَابَ أُمَّتَنَا؛ أَيَطِيبُ لَنَا عَيْشٌ، وَيَهْدَأُ لَنَا بَالٌ، وَيَرْقَأُ لَنَا دَمْعٌ، وَمُقَدَّسَاتُنَا تَئِنُّ، وَقُدْسُنَا تُنَادِي، وَفِلَسْطِينُنَا تَسْتَنْجِدُ، وَالْأَقْصَىٰ يَسْتَصْرِخُ؟!

أَيُدَاسُ حِمَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ الْمُبَارَكِ، وَنَحْنُ لَنَا أَعْيُنٌ تَرَىٰ، وَآذَانٌ تَسْمَعُ، وَقُلُوبٌ تَعِي، وَلَا نُحَرِّكُ سَاكِنًا سِوَىٰ الشَّجْبِ وَالتَّنْدِيدِ وَالِاسْتِنْكَارِ لَيْسَ إِلَّا؟!!

كُلُّ ذَلِكَ يَحْدُثُ بِمَرْأَىٰ وَمَسْمَعِ الْعَالَمِ، وَكَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا بَوَاكِيَ لَهُمْ، أَيْنَ الْعَالَمُ بِهَيْئَاتِهِ وَمُنَظَّمَاتِهِ؟! أَيْنَ مَجْلِسُ أَمْنِهِمْ، وَهَيْئَةُ أُمَمِهِمُ الْمُتَّحِدَةِ عَلَيْنَا؟! أَيْنَ هُمْ مِنْ بُكَاءِ الثَّكَالَىٰ، وَعَوِيلِ الْأَيَامَىٰ، وَصُرَاخِ الْيَتَامَىٰ، وَأَنِينِ الْأَرَامِلِ، وَاغْتِصَابِ الْأَرْضِ وَالْعِرْضِ، وَسَيْلِ الدِّمَاءِ، وَقَتْلِ الْأَبْرِيَاءِ، وَتَرْمِيلِ النِّسَاءِ، وَتَشْرِيدِ الْأَبْنَاءِ، وَتَنَاثُرِ الْأَشْلَاءِ؟! أَيْنَ شِعَارَاتُ وَمُنَظَّمَاتُ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ الزَّائِفَةِ؟! مَاذَا يَرُدُّ الضَّمِيرُ الْعَالَمِيُّ؟! وَأَيْنَ هِيَ الْمُقَاطَعَاتُ السِّيَاسِيَّةُ وَالِاقْتِصَادِيَّةُ عَلَىٰ مُجْرِمِي الْحَرْبِ الصَّهَايِنَةِ، الْمُسْتَهْتِرِينَ بِالْأَعْرَافِ الدُّوَلِيَّةِ، وَالْقَرَارَاتِ الْعَالَمِيَّةِ؟!

يَا قَادَةَ الْعَالَمِ، يَا صُنَّاعَ الْقَرَارِ، يَا أَصْحَابَ الرَّأْيِ، يَا مَنْ

تُحَارِبُونَ الْإِرْهَابَ وَتَتَعَقَّبُونَهُ فِي كُلِّ شِبْرٍ، وَتَبْذُلُونَ لِذَلِكَ نَفَائِسَ التِّبْرِ، مَاذَا تُسَمُّونَ فِعْلَ الْمُجْرِمِينَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي فِلَسْطِينَ؟! سَيَنْقَلِبُ إِلَيْكَ - أَيُّهَا الْمُعَنَّىٰ - الطَّرْفُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ، حِينَمَا يَتَبَجَّحُونَ: «ذَلِكَ أَمْنٌ وِقَائِيٌّ»، أَوْ «فَضٌّ لِلاضْطِرَابَاتِ»، أَوْ «تَصَدٍّ لِلْإِرْهَابِ وَالرَّجْعِيَّةِ»، فَهَلْ تَطَلُّعَاتُ أَكْثَرَ مِنْ مِلْيَارٍ وَنِصْفٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لِلْحِفَاظِ عَلَىٰ مُقَدَّسَاتِهِمْ تُعَدُّ إِرْهَابًا وَتَطَرُّفًا وَرَجْعِيَّةً؟! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦﴾ [النور]، لَكِنْ فَوْقَ كُلِّ الرَّايَاتِ رَايَةُ رَبِّي، وَيَدُ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ الْأَيَادِي.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمُرَابِطُونَ عَلَىٰ أَرْضِ فِلَسْطِينَ الْمُجَاهِدَةِ الصَّامِدَةِ، أَرْضِ الْعِزِّ وَالشُّمُوخِ وَالْفِدَاءِ، وَالتَّضْحِيَةِ وَالْجِهَادِ وَالْإِبَاءِ، لَكُمْ نُخَاطِبُكُمْ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يُمَثِّلُ حَلْقَةَ الْوَصْلِ، فَوَالَّذِي لَا إِلَٰهَ غَيْرُهُ إِنَّهُ لَيُرْمِضُنَا، وَيُقِضُّ مَضَاجِعَنَا أَنَّ أَقْصَانَا أَسِيرٌ بِأَيْدِي الْبُغَاةِ الطُّغَاةِ الْعُتَاةِ!! فَمَا نَذْكُرُ الْأَقْصَىٰ - أَقَرَّ اللَّهُ الْأَعْيُنَ بِفَكِّ أَسْرِهِ، وَقُرْبِ تَحْرِيرِهِ - إِلَّا وَتُعْتَصَرُ قُلُوبُنَا حَسْرَةً وَأَسًى؛ عَلَىٰ مَا جَرَىٰ لَهُ وَيَجْرِي مِنْ هَٰؤُلَاءِ الْأَقْزَامِ الْأَنْذَالِ، فَقَضِيَّتُكُمْ قَضِيَّتُنَا، وَهَزَّةُ انْتِفَاضَتِكُمْ، هَزَّةُ قُلُوبِنَا، وَمُصَابُكُمْ، مُصَابُنَا.

وَكَانَ مِنْ سِهَامِهِمُ الْأَخِيرَةِ - الَّتِي تُمَثِّلُ طَعْنَةً فِي الْخَوَاصِرِ - مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ عِلْجٌ[1] مِنْ عُلُوجِهِمْ بِيَدِهِ الْقَذِرَةِ، مِنْ تَدْنِيسِ أَرْضِ الْأَقْصَىٰ: أُولَىٰ الْقِبْلَتَيْنِ، وَمَسْرَىٰ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، وَثَالِثِ الْمَسْجِدَيْنِ، مِمَّا فَطَّرَ الْأَكْبَادَ الْمُسْلِمَةَ، وَأَدْمَىٰ الْقُلُوبَ الْمُؤْمِنَةَ!!

فَصَبْرًا صَبْرًا أَيُّهَا الْمُرَابِطُونَ! لَقَدْ سَطَّرَتِ انْتِفَاضَتُكُمُ الْمُبَارَكَةُ - بِأَحْرُفِ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ وَالشَّرَفِ - أَرْوَعَ النَّمَاذِجِ فِي التَّأْرِيخِ الْمُعَاصِرِ، فَبُورِكْتُمْ مِنْ رِجَالٍ! وَلِلَّهِ دَرُّكُمْ مِنْ أَبْطَالٍ! لَقَدْ أَعَدْتُمْ فِي الْأُمَّةِ الْآمَالَ، وَصَدَّقْتُمُ الْأَقْوَالَ بِالْأَفْعَالِ، وَثِقُوا بِنَصْرِ اللَّهِ لَكُمْ مَتَىٰ مَا نَصَرْتُمْ دِينَهُ، وَهَنِيئًا لَكُمْ بَذْلُ الْأَرْوَاحِ رَخِيصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ!! وَدُعَاؤُنَا مِنْ سُوَيْدَاءِ[2] الْقُلُوبِ: أَنْ يَتَقَبَّلَ اللَّهُ قَتْلَاكُمْ شُهَدَاءَ، وَأَنْ يَكْتُبَ لِمَرْضَاكُمْ وَجَرْحَاكُمْ عَاجِلَ الشِّفَاءِ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ؛ فَالنَّصْرُ قَادِمٌ - بِإِذْنِ اللَّهِ -: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران].

---

(١) العِلْجُ: الرجل من كفار العجم. يُنظر: «اللسان» (علج).

(٢) السُّوَيْدَاءُ: تَصْغير سَوْداء. يُقال: سُوَيْداءُ القَلْبِ، أي: حبَّتُهُ. يُنظر: «اللسان» (سود).

أَخْـرَجَ الـشَّيْخَانِ[1] فِي «صَـحِيحَيْهِمَا»؛ أَنَّ رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ إِمَـامَ الْمُجَاهِـدِينَ قَـالَ: «**لا تَقُـومُ السَّـاعَةُ حَتَّـىٰ يُقَاتِـلَ الْـمُسْلِمُونَ الْيَهُـودَ، فَيَقْتُلُهُمْ الْـمُسْلِمُونَ، حَتَّىٰ يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْـحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولَ الحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ! يا عَبْدَاللَّـهِ! هَـٰذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ**». سُبْحَانَ اللَّهِ! ـ عِبَادَ اللَّـهِ ـ (مُخَابَرَاتٌ) إِسْلَامِيَّةٌ بِقُدْرَةٍ إِلَـٰهِيَّةٍ تَتَحَدَّىٰ (مُوسَادَهُمْ وَطَابُورَهُمْ) الْـخَامِسَ.

اللَّـهُ أَكْـبَرُ !! هَـٰذِهِ بَـوَارِقُ النَّـصْرِ تَلُـوحُ، وَرَائِحَتُـهُ تَفُـوحُ، لَا يُتَوِّجُهَـا دُرَّةٌ وَاحِـدَةٌ، بَـلْ دُرَرٌ مِـنْ كَوْكَبَـةٍ غُـرَرٍ، يَـتَلَأْلَأُ بَـسَالَةً وَاسْتِشْهَادًا؛ نُصْرَةً لِدِينِ اللَّهِ، وَإِعْلَاءً لِكَلِمَةِ اللَّـهِ، وَمَا أَكْثَرَ الـدُّرَرَ ـ لِلَّـهِ دَرُّهُـمْ ـ فِي أُمَّتِنَـا الْـمِعْطَاءِ، الَّتِـي أَنْجَبَـتْ عَـبْرَ التَّـأْرِيخِ الْأَبْطَالَ وَالشُّهَدَاءَ.

إِخْـوَةَ الْعَقِيـدَةِ: وَلَئِنْ كَانَ سِيَاقُ الْعَاطِفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَغْلِبُ فِي طَرْحِ هَـٰذِهِ الْقَضِيَّةِ، فَأَيُّ عَاطِفَةٍ يَجْمُلُ بِهَـا أَنْ تَجْمُـدَ وَتَتَبَلَّـدَ فِي ظِلِّ أَوْضَاعٍ مُلْتَهِبَةٍ، وَأَحْدَاثٍ مُتَفَجِّرَةٍ، اصْطَلَىٰ بِهَا إِخْوَانُنَا فِي الْعَقِيـدَةِ؟

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَوْتِ الْمَشَاعِرِ، وَتَبَلُّدِ الْأَحَاسِيسِ، وَجُمُودِ الضَّمَائِرِ، غَيْرَ أَنَّ نِدَاءَ الْعَقْلِ يَدْعُو إِلَىٰ أَنْ نُكَفْكِفَ الدُّمُوعَ، وَأَنْ يَتَوَلَّىٰ الْمُتَخَصِّصُونَ هَٰذِهِ الْأَحْدَاثَ مِنْ رُؤًى إِسْلَامِيَّةٍ شَرْعِيَّةٍ؛ لِاسْتِجْلَاءِ الدُّرُوسِ وَالْعِبَرِ، وَالْجِدِّ فِي مَسَالِكِ الْإِصْلَاحِ، وَالِاسْتِيقَاظِ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَبَثِّ الْوَعْيِ الْعَمِيقِ، وَالتَّحْصِينِ الْوَثِيقِ، بِخُطًى مُؤَصَّلَةٍ وَمَنْهَجِيَّةٍ مَدْرُوسَةٍ.

يَجِبُ أَلَّا نَكُونَ أَصْحَابَ رُدُودِ أَفْعَالٍ مُؤَقَّتَةٍ فَحَسْبُ؛ بَلْ يَجِبُ أَنْ نَضَعَ اسْتِرَاتِيجِيَّاتٍ وَآلِيَّاتٍ تَنْفِيذِيَّةً دَائِمَةً؛ لِحَلِّ قَضَايَانَا، وَمُرَاجَعَةِ حِسَابَاتِنَا مَعَ أَنْفُسِنَا وَمَعَ غَيْرِنَا.

أَلَا إِنَّهُ مِمَّا يَبْعَثُ عَلَىٰ التَّفَاؤُلِ وَالْبَشَائِرِ، هَٰذَا التَّفَاعُلُ الْإِسْلَامِيُّ: الشَّعْبِيُّ وَالرَّسْمِيُّ، لِأُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْمُحِيطِ إِلَىٰ الْخَلِيجِ، مَعَ إِخْوَانِهِمُ الْمُجَاهِدِينَ الصَّامِدِينَ هُنَاكَ. وَلَقَدْ تَابَعَ أَهْلُ الْغَيْرَةِ الْمُنْصِفُونَ - مَطْلَعَ هَٰذَا الْأُسْبُوعِ بِكُلِّ لَهَفٍ وَاشْتِيَاقٍ، ثُمَّ بِكُلِّ تَقْدِيرٍ وَإِعْجَابٍ - مَا أَسْفَرَ عَنْهُ مُؤْتَمَرُ قِمَّةِ وَقَادَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَا نَتَجَ عَنْهُ مِنْ قَرَارَاتٍ، نَرْجُو أَنْ تَكُونَ مَحَلَّ التَّطْبِيقِ الْعَاجِلِ وَالتَّنْفِيذِ السَّرِيعِ، مَعَ مَا يُؤَمَّلُ مِنْ بَذْلِ الْمَزِيدِ فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ، وَرَدْعِ الْبَاطِلِ.

وَهَنِيئًا لِبِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - مُبَادَرَاتُهَا الْإِيجَابِيَّةُ

الْقَوِيَّةُ، وَاقْتِرَاحَاتُهَا الْبَنَّاءَةُ، فِي إِنْشَاءِ صُنْدُوقٍ لِلْأَقْصَىٰ، وَصُنْدُوقٍ لِدَعْمِ الِانْتِفَاضَةِ، وَفَتْحِ مَصَحَّاتِهَا لِاسْتِقْبَالِ جَرْحَىٰ الِانْتِفَاضَةِ، وَلَا عَجَبَ!! فَهِيَ أَرْضُ الْحَرَمَيْنِ، وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ، وَمَبْعَثُ الرِّسَالَةِ، فَلَهَا الْقِدْحُ الْمُعَلَّىٰ، وَالثِّقَلُ الْمُدَلَّىٰ، وَالدَّوْرُ الْمُجَلَّىٰ فِي نُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ ـ جَعَلَهُ اللَّهُ فِي مَوَازِينِهَا، وَزَادَهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالْهُدَىٰ وَالتَّوْفِيقِ.

وَالدَّعْوَةُ مُوَجَّهَةٌ إِلَىٰ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، لِدَعْمِ وَنُصْرَةِ هَٰذِهِ الْمَشْرُوعَاتِ الْخَيْرِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ؛ لِنَكُونَ يَدًا وَاحِدَةً فِي إِعْلَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَالدِّفَاعِ عَنْ مُقَدَّسَاتِنَا، وَعَدَمِ التَّفْرِيطِ بِأَيِّ شَيْءٍ مِنْ ثَوَابِتِنَا، مَا حَيِينَا وَمَهْمَا كَلَّفَنَا ذَلِكَ، وَالعِزَّةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَالذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، وَسَائِرِ أَعْدَاءِ الدِّينِ: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحج].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ

مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال].

نَفَعَنِي اللَّـهُ وَإِيَّاكُمْ بِالقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمَ.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الْـحَمْدُ لِلَّـهِ الْقَـوِيِّ الْـوَدُودِ، وَأَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْـدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَذَّرَنَا مِنْ كَيْدِ الْيَهُودِ، وَكُلِّ كَافِرٍ جَحُودِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّـهِ وَرَسُولُهُ، صَاحِبُ الْـمَقَامِ الْـمَحْمُودِ، وَالْـحَوْضِ الْـمَوْرُودِ، وَاللِّوَاءِ الْـمَعْقُودِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الرُّكَّعِ السُّجُودِ، الْـمُوفِينَ بِالْعُهُودِ، وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ الْيَوْمِ الْـمَوْعُودِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُـوا اللَّـهَ ـ عِبَادَ اللَّـهِ ـ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة]، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَصْدَقَ الْـحَدِيثِ كِتَابُ اللَّـهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ.

أَيُّهَا الْـمُسْلِمُونَ: لَعَلَّ الْـخُطْوَةَ الأُولَىٰ فِي مُوَاجَهَةِ هَـٰذَا الصِّرَاعِ مَعَ الْعَدُوِّ الصُّهْيُونِيِّ الْغَشُومِ: هِيَ الْعَوْدَةُ إِلَىٰ الذَّاتِ؛ لِإِصْلَاحِ بِنَاءِ الأُمَّةِ مِنَ الدَّاخِلِ، وَاعْتِصَامُهَا بِحَبْلِ اللَّـهِ، وَتَمَسُّكُهَا بِكِتَابِ اللَّـهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهَا ﷺ، وَالْوُقُوفُ صَفًا وَاحِدًا أَمَامَ الْعَدُوِّ الْـمُتَرَبِّصِ، وَالتَّفَطُّنُ

لِلْعَدُوِّ مِنَ الصَّدِيقِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُوَاجِهُ فِيهِ الأُمَّةُ أَلْوَانًا مِنَ التَّحَدِّيَاتِ، يَتَوَلَّى كِبْرَهَا وَالتَّخْطِيطَ لَهَا: حُكَّامُ صُهْيُونَ، وَأَذْنَابُهُمْ وَأَفْرَاخُهُمْ، فِي حُرُوبٍ مُعْلَنَةٍ وَخَفِيَّةٍ، حَتَّىٰ بَلَغُوا فِي ذَٰلِكَ مَبْلَغًا خَطِيرًا، بَذَرَتْ هَٰذِهِ الْمُخَطَّطَاتُ نَوَابِتَ وَطُفَيْلِيَاتٍ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ تَرْفُضُ الدِّينَ، وَتَعْبَثُ بِالْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ، وَتَعِيشُ حَيَاةَ اللَّهْوِ وَالشَّهَوَاتِ، مِمَّا أَفْرَزَ الْوَهَاءَ وَالْغُثَاءَ. وَقَدْ سُخِّرَتْ لِتِلْكَ الْحُقُودِ السَّوْدَاءِ أَقْلَامٌ، وَأَفْلَامٌ، وَقَنَوَاتٌ، وَتِقَانَاتٌ، وَشَبَكَاتٌ، وَإِعْلَامٌ؛ لِخِدْمَةِ هَٰذِهِ الْمُخَطَّطَاتِ الْآثِمَةِ.

وَفِي الْأُمَّةِ مَنْ لَا يَزَالُ مَخْدُوعًا بِالتَّطْبِيعِ وَالِاسْتِسْلَامِ، وَيَسْتَنْكِرُ الْجِهَادَ وَالِانْتِفَاضَةَ، وَيَتَّهِمُهَا بِالْغَوْغَائِيَّةِ وَالْفَوْضَوِيَّةِ، وَلَا تُمَثِّلُ مُقَدَّسَاتُ الْأُمَّةِ عِنْدَهُ إِلَّا كَالْهَبَاءِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا تُثِيرُ فِيهِ حِسًّا وَلَا مَعْنًى، وَيَرَىٰ الْأَقْصَىٰ كَأَيِّ مَبْنًى آخَرَ، فِي وَجْهِ عَلْمَانِيٍّ كَالِحٍ - وَتِلْكَ مَأْسَاةٌ أُخْرَىٰ، لَهَا غُصَصُهَا وَحُرَقُهَا - فَهَلْ يَعِي خُطَّابُ الْوَهْمِ، وَاللَّاهِثُونَ وَرَاءَ السَّرَابِ، حَقِيقَةَ الصِّرَاعِ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ؟!

وآخرون في الأُمَّةِ، أَشْتَاتٌ مُتَنَافِرَةٌ، وَأَحْزَابٌ مُتَنَاكِرَةٌ، لَعِبَتْ بِهِمُ الْأَهْوَاءُ وَالشِّعَارَاتُ، وَأُشْغِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِالْبِدَعِ وَالْمُحْدَثَاتِ، وَلَرُبَّمَا خَصَّصَ بَعْضُهُمْ هَٰذِهِ الْأَيَّامَ لِتَجَمُّعَاتٍ وَاحْتِفَالَاتٍ بِذِكْرَىٰ الْإِسْرَاءِ

وَالْمِعْرَاجِ - زَعَمُوا - فَهَلْ يُحْتَفَلُ أَمَامَ الْمَجَازِرِ وَالْمَآسِي، وَالْأَحْدَاثِ وَالْفَوَاجِعِ!؟ تَنَاقُضٌ عَجِيبٌ لاَ يُسْنِدُهُ نَقْلٌ صَحِيحٌ وَلاَ عَقْلٌ صَرِيحٌ.

إِنَّهَا دَعْوَةٌ مُخْلِصَةٌ لِلأُمَّةِ جَمِيعًا - رُعَاةً وَرَعِيَّةً - أَنْ تَعِيَ بِعُمْقٍ أَنَّهُ لاَ يُسْتَرَدُّ الْمَجْدُ، وَلاَ يُطْلَبُ النَّصْرُ إِلاَّ بِالسَّيْرِ عَلَىٰ خُطَىٰ السَّلَفِ الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فَلَنْ يَصْلُحَ أَمْرُ آخِرِ هَٰذِهِ الْأُمَّةِ إِلاَّ بِمَا صَلُحَ بِهِ أَوَّلُهَا، اللَّهُمَّ قَدْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ!

أَلاَ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَىٰ مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ الْمَوْلَىٰ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَوَصَّىٰ، فَقَالَ - تَعَالَىٰ - قَوْلاً كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٥٦ ﴾ [الأحزاب].

فِلَسْطِين: بَيْنَ لَوْعَاتِ أَلَمٍ وَإِجْرَامِ أَلَمٍ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الْـحَمْدَ لِلَّـهِ نَحْمَـدُهُ وَنَـسْتَعِينُهُ وَنَـسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُـوذُ بِاللَّـهِ مِـنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَـنْ يَهْدِهِ اللَّـهُ فَلَا مُضِلَّ لَـهُ، وَمَـنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ اللَّهُمَّ لَكَ الْـحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْـحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَـنْ فِـيهِنَّ، وَلَكَ الْـحَمْدُ أَنْتَ الْـحَقُّ وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالْـجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هُوَ الْـمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا نَرَىٰ وَنُشَاهِدُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّـهِ، وَقَدْ عَظُمَ الْـمَطْلُوبُ، وَقَلَّ الْـمُسَاعِدُ، وَحَسْبُنَا اللَّـهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ! وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُاللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ دَاعٍ وَأَكْرَمُ مُجَاهِدٍ، صَلَّىٰ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الْأَمَاجِدِ، وَصَحْبِهِ أُولِي الْفَضْلِ وَالْـمَحَامِدِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَـنْ تَـبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّـهِ - وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللَّـهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَمَنْ

حقَّقَ التَّقْوَىٰ فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا سَعِدَ وَعَلَا، وَنَالَ فِي الْآخِرَةِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - فِي كُلِّ حَالٍ، تُحَقِّقُوا - بِتَوْفِيقِ الْكَرِيمِ الْمُتَعَالِ - صَلَاحَ الْحَالِ وَالْمَآلِ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ حَالِ أَهْلِ الضَّلَالِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَا يَحْتَاجُ الْمَرْءُ إِلَىٰ كَبِيرِ عَنَاءٍ؛ لِيُدْرِكَ أَنَّ الْوَاقِعَ الْمُعَاصِرَ لِأُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ هُوَ مِنْ أَمَرِّ مَا مَرَّ بِهَا عَبْرَ تَأْرِيخِهَا الطَّوِيلِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ أَمَرَّهَا عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ. فَأَزْمَتُهَا الْحَاضِرَةُ لَيْسَتْ كَسَلَفِ الْأَزَمَاتِ، وَنَكْبَتُهَا وَنَكْسَتُهَا الْمُعَاصِرَةُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ تَكَادُ تَكُونُ غَيْرَ مَسْبُوقَةٍ فِي النَّكَبَاتِ وَالنَّكَسَاتِ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِخُطُورَةِ التَّحَدِّيَاتِ، وَشِدَّةِ الصِّرَاعَاتِ، وَضَرَاوَةِ الْمُؤَامَرَاتِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي تَدَاعِي الْأُمَمِ عَلَيْهَا مِنْ خَارِجِهَا، وَالْغُثَائِيَّةِ الْمَهِينَةِ مِنْ دَاخِلِهَا.

خَرَّجَ أَبُو دَاوُدَ[1] وَغَيْرُهُ[2] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي**

---

(١) برقم (٤٢٩٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٨) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ، وما الْوَهْنُ؟ قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَهَا قَدْ تَحَقَّقَتِ النَّذَارَةُ، فَهَا هِيَ الْأُمَمُ الْمُتَدَاعِيَةُ تَعِيشُ الْقِمَّةَ وَالصَّدَارَةَ، بَيْنَمَا تَعِيشُ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ حَيَاةَ الِاسْتِجْدَاءِ وَالزِّرَايَةِ. وَلَئِنِ اعْتَرَفَ الْغُيُورُونَ بِالْحَقِّ الْمُرِّ فِي ذَلِكَ الْوَاقِعِ الْمُؤْلِمِ، فَإِنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ مَرْمَىٰ بَعِيدٍ يَرُومُونَ تَحْصِيلَهُ، وَهُوَ أَنَّ الِاعْتِرَافَ بِالْخَطَأِ وَالتَّقْصِيرِ، أَوَّلُ الْخُطُوَاتِ عَلَىٰ طَرِيقِ الْإِصْلَاحِ وَالتَّغْيِيرِ، وَأَنَّ أَوَّلَ مَرَاحِلِ الْبِنَاءِ هُوَ بِنَاءُ النُّفُوسِ بِالْمُعْتَقَدِ الصَّحِيحِ، وَالْإِيمَانِ الْقَوِيِّ، وَالْعِبَادَةِ الزَّاكِيَةِ، وَالْفِكْرِ النَّيِّرِ، وَالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ.

إِنَّ أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْخَلَلِ فَتْكًا بِالْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ: دُخُولُ النَّقْصِ عَلَىٰ الْأُمَّةِ فِي دِينِهَا وَعَقِيدَتِهَا، وَالْإِزْرَاءُ بِفِكْرِهَا وَثَقَافَتِهَا وَإِرْثِهَا الْحَضَارِيِّ، وَالِانْسِيَاقُ وَرَاءَ قَرَاصِنَةِ الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ، وَسَمَاسِرَةِ الْأَخْلَاقِ، الَّذِينَ يَجُرُّونَ الْأُمَّةَ إِلَىٰ مُسْتَنْقَعَاتٍ عَمِيقَةٍ مِنَ الرَّذِيلَةِ، وَهُوَّةٍ سَحِيقَةٍ مِنَ الِانْحِلَالِ وَالْإِبَاحِيَّةِ، وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ هَزَائِمِ الْأُمَمِ، وَانْتِكَاسَاتِ الشُّعُوبِ، وَهَدْمِ الْأَمْجَادِ، وَتَقْوِيضِ الْحَضَارَاتِ. وَكَمْ عَانَتْ مِنْهَا أُمَّتُنَا، فَأَوْصَلَتْهَا إِلَىٰ حَضِيضِ الْغَبْرَاءِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي ذُرَىٰ الْعَلْيَاءِ، فَإِلَىٰ جَانِبِ التَّخَلُّفِ الْمُزْرِي ـ مَعَ الْأَسَفِ الْأَلْهَبِ ـ الَّذِي

تَعِيشُهُ الْأُمَّةُ فِي جَوَانِبَ شَتَّىٰ مِنْ حَيَاتِهَا، أُصِيبَتْ بِالْوَهْنِ وَالضَّعْفِ، لَا أَمَامَ الْقُوَىٰ الْعَالَمِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ أَمَامَ قُوَّةٍ ضَئِيلَةٍ فِي دُوَيْلَةٍ صَغِيرَةٍ، ضَعِيفَةٍ فِي ذَاتِهَا، مُتَخَلِّفَةٍ فِي كِيَانِهَا، وَلٰكِنَّهَا اسْتَنْسَرَتْ عَلَىٰ الْأُمَّةِ وَاسْتَأْسَدَتْ عَلَىٰ أَبْنَائِهَا. فَتُقِيمُ لَهُمُ الْمَجَازِرَ بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْأُخْرَىٰ، وَتَجُوسُ خِلَالَ دِيَارِهِمْ فَتَنْهَبُ خَيْرَاتِهَا، وَتَسْتَنْزِفُ طَاقَاتِهَا، وَتَعْبَثُ بِمُقَدَّرَاتِهَا، وَتَجْتَاحُ أَرَاضِيهَا، وَتَنْتَهِكُ حُرُمَاتِهَا، وَكَأَنَّهَا حِمًى مُسْتَبَاحٌ لِكُلِّ مُعْتَدٍ مَأْفُونٍ[1]. يُصَاحِبُ ذَلِكَ ضَيَاعٌ فِكْرِيٌّ، وَسُقُوطٌ أَخْلَاقِيٌّ، وَتَسْطِيحٌ تَرْبَوِيٌّ، وَانْتِكَاسَةٌ ثَقَافِيَّةٌ وَإِعْلَامِيَّةٌ، تَنْظُرُ إِلَىٰ الدِّينِ عَلَىٰ أَنَّهُ تَخَلُّفٌ وَرَجْعِيَّةٌ.

وَلَمْ يَقِفِ الْأَمْرُ عِنْدَ هٰذَا الْحَدِّ، بَلْ تَعَدَّاهُ إِلَىٰ مَا هُوَ أَشَدُّ وَأَنْكَىٰ، إِلَىٰ تَنْشِئَةِ أَجْيَالٍ مُسِخَتْ هُوِيَّتُهَا، وَانْتُزِعَتْ شَخْصِيَّتُهَا، وَسُمِّمَتْ أَفْكَارُهَا، تُنْفَقُ بِدَعَوَاتٍ غَرِيبَةٍ عَنْ مُثُلِهَا وَمُجْتَمَعَاتِهَا، وَتُسْتَغَلُّ الْأَحْدَاثُ، وَتُفْتَعَلُ الْأَزَمَاتُ؛ لِتَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ وَتَصْفِيَةِ الْحِسَابَاتِ، وَتَكَلَّمَتِ الرُّوَيْبِضَةُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ، وَخَاضَتْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَقْلَامِ فِي أُمُورِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَأَصْبَحَ الْخَوْضُ فِي أُمُورِ الشَّرِيعَةِ تَخَصُّصَ مَنْ لَا تَخَصُّصَ لَهُ، وَعَمَدَ

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٠٠).

أَقْوَامٌ إِلَىٰ ثَقافَةِ الْبَطْشِ؛ تَخَلُّصًا مِنَ هَٰذَا الْوَاقِعِ الْـمُزْرِي.

أُمَّـةَ الإِسْلَامِ: وَالْكَارِثَةُ الأَخْطَرُ فِي الْـمَنْطِقَةِ الَّتِي لاَ تَـزَالُ الأُمَّـةُ تَعِيشُ عَقَابِيلَهَا[١] حَتَّىٰ هَـٰذِهِ اللَّحْظَةِ، هِيَ تِلْكَ الْـهَجْمَةُ الـصُّهْيُونِيَّةُ هَٰذِهِ الأَيَّـامَ، وَالإِمْعَانُ فِي الْكَيْدِ لِلأُمَّةِ وَدِينِهَا وَمُقَدَّسَاتِهَا وَرُمُوزِهَا، وَلَقَدْ كَانَ آخِرُ مُسَلْسَلِ الْـجَرَائِمِ الْبَشِعَةِ، الَّتِي أَقْدَمَ عَلَيْهَا هَـٰذَا الْكِيَانُ الْجُعْظَرِيُّ[٢] هُوَ مَا رُزِئَتْ بِهَ الأُمَّـةُ الإِسْلَامِيَّةُ عَامَّـةً، وَالْقَضِيَّةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ خَاصَّةً، مِنْ جَرِيمَةِ اغْتِيَالِ الشَّيْخِ الْـمُجَاهِدِ أَحْمَدَ يَاسِينَ ـ رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَكَتَبَهُ فِي عِدَادِ الـشُّهَدَاءِ الأَبْرَارِ وَالصِّدِّيقِينَ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ فِي الْـمَهْدِيِّينَ، وَأَعْلَىٰ مَنَازِلَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَخَلَفَهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، فَعَلَىٰ مِثْلِهِ فَلْتَبْكِ الْبَوَاكِي ـ وَإِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَلَقَدْ تَوَلَّىٰ كِبْرَ هَٰذِهِ الْـجَرِيمَةِ النَّكْرَاءِ، وَالْـحَادِثَةِ الشَّنْعَاءِ، مِنْ شَيْنِ الـشُّرُورِ، وَرَاءِ الإِرْهَابِ، وَوَاوِ الْقَسْوَةِ، وَنُونِ الْعُنْصُرِيَّةِ وَالْعُدْوَانِ

---

(١) سبق بيان معناها (ص٤٤٢).

(٢) الجَعْظَرِيُّ: الفظ الغليظ المتكبر. يُنظر: «اللسان» (جعظر).

وَالطُّغْيَانِ فِي اسْمِهِ:

وَقَلَّ أَنْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ ذَا لَقَبٍ إِلَّا وَمَعْنَاهُ إِنْ فَكَّرْتَ فِي لَقَبِهِ[1]

لَقَدْ هَزَّتْ هَٰذِهِ الْجَرِيمَةُ الْبَشِعَةُ مَشَاعِرَ الْأُمَّةِ جَمِيعًا، بَلْ مَشَاعِرَ كُلِّ الشُّرَفَاءِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِقِيَمِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْحُرِّيَّةِ، وَحُقُوقِ الْإِنْسَانِ فِي الْعَالَمِ، كَمَا أَنَّهَا تُمَثِّلُ فِي فُصُولِهَا وَمَشَاهِدِهَا أَبْشَعَ مَعَانِي الْغَدْرِ وَالظُّلْمِ وَالْخِيَانَةِ، وَالْخِسَّةِ وَالدَّنَاءَةِ، الَّتِي يَنْتَهِجُهَا أَبْنَاءُ صُهْيُونَ.

وَإِنَّ إِقْدَامَ إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ اغْتِيَالِ الشَّيْخِ الْمُجَاهِدِ الْمُسِنِّ، الْمُقْعَدِ الْمَرِيضِ - عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ - بِهَٰذِهِ الطَّرِيقَةِ الْمُرَوِّعَةِ، يُعْتَبَرُ خَرْقًا لِكُلِّ الْمَبَادِئِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْأَعْرَافِ وَالْمَوَاثِيقِ الدُّوَلِيَّةِ، وَتَجَاوُزًا لِكُلِّ الْخُطُوطِ الْحَمْرَاءِ، وَإِمْعَانًا فِي الْحِقْدِ السَّافِرِ، وَالْكَيْدِ الْكُبَّارِ، وَالْمَشْرُوعِ الدَّمَوِيِّ الْغَادِرِ لِهَٰؤُلَاءِ، وَإِمَاطَةً لِلِّثَامِ عَنِ الْوَجْهِ الْكَالِحِ، وَإِذْكَاءً لِلْحِقْدِ وَالْكَرَاهِيَةِ وَالْعُنْصُرِيَّةِ الْبَغِيضَةِ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَمَعَ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ - وَهُوَ دِينُ الرَّحْمَةِ وَالتَّسَامُحِ وَالسَّلَامِ - فَإِنَّهُ يَأْبَىٰ كُلَّ الْإِبَاءِ مَعَانِيَ التَّخَاذُلِ وَالضَّيْمِ وَالِاسْتِسْلَامِ.

أَلَمْ يَئِنِ الْأَوَانُ - يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - لِوَقْفِ نَزِيفِ الدَّمِ الْمُسْلِمِ

---

(١) يُنظر: «تحفة المولود» (ص٥١)، و«زاد المعاد» (٢/ ٣٣٦).

الْـمُتَدفِّقِ عَلَىٰ ثَرَىٰ فِلِسْطِينَ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلاَ عَجَبَ فتَأْرِيخُ الْقَوْمِ قَاتِمٌ بِمِدَادٍ أَسْوَدَ فِي سِلْسِلَةِ قَتْلِ الأَنْبِيَاءِ وَالْـمُجَاهِدِينَ وَالصُّلَحَاءِ، مَعَ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ رَحْمَةٌ كُلُّهُ، قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [الأحقاف: ١٢]، فَأَيْنَ الرَّحْمَةُ مِنْ هَـٰذِهِ الْوَحْشِيَّةِ الْـمُجَرَّدَةِ عَنِ الْقِيَمِ الأَخْلاَقِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ؟ لَكِنْ لَعَلَّهَا بِدَايَةُ النِّهَايَةِ لِهَـٰؤُلاَءِ الرَّعَادِيدِ(١).

إِنَّ عَلَىٰ الْـمُجْتَمَعِ الدُّوَلِيِّ أَنْ يُبَادِرَ بِوَضْعِ حَلٍّ عَاجِلٍ، وَاتِّخَاذِ مَوْقِفٍ حَازِمٍ؛ لِعِلاَجِ مَا آلَ إِلَيْهِ وَضْعُ إِخْوَانِنَا الْـمُسْلِمِينَ فِي فِلِسْطِينَ، وَإِيقَافِ سِيَاسَةِ الْعَبَثِ وَالْعُنْفِ الصَّهْيُونِيِّ الْـمُسْتَمِرِّ، وَاسْتِخْفَافِهِ بِأَرْوَاحِ وَدِمَاءِ الشَّعْبِ الْفِلِسْطِينِيِّ الْـمُسْلِمِ، وَالَّذِي لَنْ يُؤَدِّيَ إِلاَّ إِلَىٰ اسْتِشْرَاءِ الْعُنْفِ وَالتَّدَهْوُرِ وَالْفَوْضَىٰ، مِمَّا يُشَكِّلُ عَائِقًا أَمَامَ الْـجُهُودِ الرَّامِيَةِ لِوَقْفِ النَّزِيفِ الدَّمَوِيِّ، عَلَىٰ أَرْضِ الإِسْرَاءِ وَالْـمِعْرَاجِ.

فَهَلْ تَنْتَزِعُ أُمَّةُ الشُّمُوسِ والإِبَاءِ، الدُّرُوسَ وَالْعِبَرَ مِنْ هَـٰذِهِ الأَحْدَاثِ الَّتِي هَدَّتِ الْقَامَةَ، وَأَنْضَتِ الْهَامَةَ؟! وَهَلْ تَعِي أَنَّ الْقُوَّةَ

---

(١) الرِّعْدِيدُ: الجبان، يَرْعُد عند القتال جبنًا. يُنظر: «اللسان» (رعد).

الْـحَقِيقِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ قُـوَّةُ الْعَقِيـدَةِ وَالْإِيـمَانِ، وَأَنَّ بُلُـوغَ الْقِمَّـةِ، إِنَّـمَا هُـوَ فِي الْقُـوَّةِ وَعُلُـوِّ الْـهِمَّةِ، وَأَنَّ وَلَاءَ الْأُمَّـةِ إِنَّـمَا هُـوَ لِلْعَقِيـدَةِ وَالْـمَنْهَجِ، لَا لِلْأَشْـخَاصِ وَالـذَّوَاتِ. كَـمَا أَنَّ مَعْرَكَـةَ الْأُمَّـةِ مَـعَ عَـدُوِّهَا -مِمَّـنْ لَا يَرْقُبُـونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّـةً، وَأُولَئِكَ هُـمُ الْـمُعْتَدُونَ - إِنَّـمَا هِـيَ مَعْرَكَةُ عَقِيدَةٍ وَهُوِيَّةٍ وَمَصِيرٍ. وَأَنَّ أُمَّتَنَا تَأْبَىٰ الِانْهِزَامِيَّةَ، وَتَسْتَعْصِي عَلَىٰ الـتَّلَاشِي وَالـذَّوَبَانِ، وَأَنَّ رُوحَ الْـمُقَاوَمَةِ تَحْفِـرُ خَنَـادِقَ فِي الْقُلُـوبِ لِلتَّضْحِيَةِ بِـالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ مِـنْ أَجْـلِ نُـصْرَةِ دِيـنِ اللَّـهِ، وَالِاضْـطِلَاعِ بِهُمُومِ الْأُمَّةِ وَقَضَايَاهَا.

إِنَّ الْـمَسِيرَ خَلْفَ الْـوَهْمِ وَالسَّرَابِ وَالْوُعُـودِ الْكَاذِبَـةِ وَالْأَحْـلَامِ الْوَرْدِيَّةِ، ضَرْبٌ مِنْ تَخْدِيرِ الْأُمَّـةِ عَـنْ نُـصْرَةِ قَضَايَاهَا الْعَادِلَـةِ، وَأَنَّ مَـا حَـصَلَ وَيَحْصُلُ لِلْمُـسْلِمِينَ إِنَّـمَا هُـوَ تَمْحِيصٌ وَابْتِلَاءٌ يَـتَمَخَّضُ عَنْـهُ -بِحَوْلِ اللَّـهِ- بَـشَائِرُ عَاجِلَـةٌ وَآجِلَـةٌ، تَـدْفَعُ لِـصَحْوَةِ الْأُمَّـةِ مِـنْ غَفْوَتِـهَا وَنُهُوضِـهَا مِـنْ كَبْوَتِـهَا، وَتَبْعَـثُ هِمَّتَهَـا الْـحَـضَارِيَّةَ، وَقُوَّتَـهَا الْـمَادِيَّةَ وَالْـمَعْنَوِيَّةَ حَتَّىٰ يَتَحَقَّقَ النَّصْرُ بِإِذْنِ اللَّـهِ.

وَإِنَّ الـدَّعْوَةَ مُوَجَّهَـةٌ مِـنْ مِنْـبَرِ الْـمَسْجِدِ الْـحَرَامِ - الَّـذِي يُمَثِّـلُ الِارْتِبَاطَ الْعَقَدِيَّ وَالتَّأْرِيخِيَّ مَعَ الْـمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ الْـمُبَارَكِ - لِإِخْوَانِنَـا الْـمُجَاهِدِينَ عَلَىٰ أَرْضِ فِلَسْطِينَ الْـمُبَارَكَةِ، أَنْ يَقِفُوا صَـفًّا وَاحِـدًا أَمَـامَ

الْعَدُوِّ الصُّهْيُونِيِّ الْـمُتَعَجْرِفِ، وَأَنْ يَتَخَلَّوْا عَنْ كُلِّ عَوامِلِ الاِخْتِلَافِ وَالتَّنَازُعِ وَالشِّقَاقِ، وَإِنَّنَا نُنَاشِدُهُمُ التَّمَسُّكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَضْيِيعِ الْفُرْصَةِ عَلَىٰ الْـمُنْتَهِزِينَ وَالْـمُسْتَفِزِّينَ.

فَيَا إِخْوَانَنَا فِي أَرْضِ الرِّسَالَاتِ وَمَهْدِ الْبُطُولَاتِ، يَا أَبْنَاءَ الْأَبْطَالِ الْـمُجَاهِدِينَ، وَأَحْفَادَ الصَّنَادِيدِ الْفَاتِحِينَ، لَقَدْ أَحْيَيْتُمْ فِي الْأُمَّةِ آمَالَهَا بِجِهَادِكُمُ الْـمُبَارَكِ، فَاللَّهَ اللَّهَ فِي الصَّبْرِ وَالْـمُصَابَرَةِ! حَتَّىٰ يَتَحَقَّقَ لَكُمْ - بِإِذْنِ اللَّهِ - إِحْدَىٰ الْـحُسْنَيَيْنِ: النَّصْرُ أَوِ الشَّهَادَةُ، وَقُلُوبُنَا مَعَكُمْ، وَالدُّعَاءُ مَبْذُولٌ لَكُمْ، وَلَنْ تَدَّخِرَ الْأُمَّةُ مَالًا وَلَا جُهْدًا فِي نُصْرَتِكُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ.

وَيَا قَادَةَ الْـمُسْلِمِينَ، يَا مَنْ جَلَسْتُمْ عَلَىٰ كَرَاسِيِّ التَّنْفِيذِ، يَا مَنْ مَكَّنَكُمُ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ وَعِبَادِهِ: الْقُدْسُ وَالْأَقْصَىٰ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِ الْأُمَّةِ، وَالشُّعُوبُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَتَطَلَّعُ إِلَىٰ اجْتِمَاعِ قِمَّتِكُمْ فِي أَقْرَبِ فُرْصَةٍ سَانِحَةٍ؛ لِلْخُرُوجِ بِمَوَاقِفَ عَمَلِيَّةٍ مُسْتَعْلِيَةٍ حَازِمَةٍ؛ لِنُصْرَةِ الْـمُسْتَضْعَفِينَ، خَاصَّةً فِي أَرْضِ الْعِرَاقِ وَفِلَسْطِينَ، وَوَضْعِ حَدٍّ صَارِمٍ لِلتَّجَاوُزَاتِ الصُّهْيُونِيَّةِ، وَخَطَرِهَا عَلَىٰ الْـمَنْطِقَةِ وَالْعَالَمِ.

سَدَّدَ اللَّهُ الْـخُطَىٰ، وَبَارَكَ فِي الْـجُهُودِ، وَصِدْقًا صِدْقًا أَيُّهَا

الْـمُسْلِمُونَ، وَصَبْرًا صَبْرًا أَيُّهَا الْـمُجَاهِدُونَ.

وَلْيَسْتَيْقِنِ الْـجَمِيعُ أَنَّ ثَمَّتَ حَقِيقَةً شَرْعِيَّةً يَنْبَغِي أَلَّا تَعْزُبَ عَنِ الْأَذْهَانِ مُطْلَقًا، وَهِيَ: أَنَّ عَاقِبَةَ التَّدَافُعِ بَيْنَ الْقُوَىٰ، وَثَمَرَةَ الصِّرَاعِ بَيْنَ الْـحَقِّ وَالْبَاطِلِ، إِنَّمَا هِيَ لِلْمُؤْمِنِينَ الْـمُتَّقِينَ، فَلْيَهْنَأِ الْـمُسْلِمُونَ بِذَلِكَ، وَلِيَقَرَّ الْـمُؤْمِنُونَ أَعْيُنًا بِهَـٰذَا، وَلْتُشْفَ صُدُورُهُمْ، وَيَذْهَبْ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ، فَالنَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، طَالَ الزَّمَانُ أَوْ قَصُرَ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ، وَالْـجِدُّ وَالْعَمَلُ، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف]، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت]، بَارَكَ اللَّـهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْـحِكْمَةِ.

أَقُولُ هَـٰذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ الْعَظِيمَ الْـجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ، وَلِسَائِرِ الْـمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، فَيَا بُشْرَىٰ لِلتَّائِبِينَ، وَيَا لَفَوْزَ الْـمُسْتَغْفِرِينَ ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور].

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْأَرْبَابِ، وَمُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ، وَخَالِقِ النَّاسِ مِنْ تُرَابٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مُنَزِّلُ الْكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمُ الْأَحْزَابِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ نَبِيٍّ أُنزِلَ عَلَيْهِ خَيْرُ كِتَابٍ، بَعَثَهُ اللَّهُ لِيُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ آلٍ وَأَصْحَابٍ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْمَآبِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي تُصَعِّدُ الْأُمَّةُ الْمَكْلُومَةُ زَفَرَاتِهَا اللَّهِيفَةَ عَلَىٰ مَا آلَ إِلَيْهِ حَالُهَا، تَتَعَرَّضُ الْأُمَّةُ فِي - صَفْحَةٍ أُخْرَىٰ مِنْ مَآسِيهَا - لِنَكْبَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ، وَنَكْسَةٍ قِيَمِيَّةٍ خَطِيرَةٍ، تُمَثِّلُ قَاعَ دَرَكَاتِ الِانْحِطَاطِ الْأَخْلَاقِيِّ، الْمُتَمَثِّلِ فِي إِفْرَازَاتٍ إِعْلَامِيَّةٍ، عَبْرَ قَنَوَاتٍ فَضَائِيَّةٍ غَيْرِ مَسْؤُولَةٍ، تَعْمَدُ لِإِقْصَاءِ الْفَضِيلَةِ، وَإِعْلَاءِ رَايَةِ الرَّذِيلَةِ، فِي مَشَاهِدَ مِنَ التَّبَذُّلِ وَالْعُرْيِ الْفَاضِحِ، الَّذِي لَا يُقِرُّهُ أَهْلُ

النُّفُوسِ السَّلِيمَةِ، وَالْفِطَرِ الْـمُسْتَقِيمَةِ، وَالذَّوْقِ الرَّفِيعِ، فَضْلًا عَنْ أَهْلِ الدِّيَانَةِ وَالْعِفَّةِ وَالْـحَيَاءِ وَالْـحِشْمَةِ، تَحْتَ مُسَمَّيَاتٍ وَسِتَارٍ مِنَ الْـمَهَازِلِ عَلَىٰ الرَّذِيلَةِ سَوَاءٍ، وَعَلَىٰ طَرِيقِ الْعَفَنِ مَعًا، فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْـحَرْبِ عَلَىٰ قِيَمِ الْأُمَّةِ وَفَضَائِلِهَا وَشَبَابِهَا وفتيَاتِهَا، وَسِلَاحٍ مِنْ أَسْلِحَةِ الدَّمَارِ الشَّامِلِ لِكُلِّ أَنْوَاعِ الْقِيَمِ وَالْعَفَافِ وَالْفَضِيلَةِ؛ مِمَّا أَسْهَمَ بِجَلَاءٍ فِي خَلْخَلَةِ الْـمَنْظُومَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ الْـمُحَافِظَةِ، وَالنَّسِيجِ الْأَخْلَاقِيِّ الْـمُتَمَيِّزِ لِهَٰذِهِ الْأُمَّةِ، وَيُفْرِزُ آثَارًا اجْتِمَاعِيَّةً خَطِيرَةً، فِي التَّمَرُّدِ عَلَىٰ الْقِيَمِ، وَالِانْفِلَاتِ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالْـمُثُلِ.

كُلُّ ذَلِكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ أُمَّتُنَا ظُرُوفًا عَصِيبَةً، تَتَطَلَّبُ الْعِنَايَةَ بِالْـجِيلِ، وَالْـحِفَاظَ عَلَىٰ النَّشْءِ مِنْ مَوْجَاتِ الِانْفِتَاحِ وَالتَّغْيِيرِ، الَّتِي حَلَّتْ بِالْأُمَّةِ دُونَ ضَوَابِطَ شَرْعِيَّةٍ، أَوْ آدَابٍ مَرْعِيَّةٍ، مِمَّا يُجَسِّدُ الْـمَسْؤُولِيَّةَ عَلَىٰ الْأُسْرَةِ وَالْـمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ، فِي بَثِّ الْوَعْيِ بَيْنَ أَطْيَافِهِ، لَاسِيَّمَا الشَّبَابُ وَالْفَتَيَاتُ.

أَمَّا الْـمَسْؤُولُونَ عَنْ هَٰذِهِ الْقَنَوَاتِ، فَإِنَّنَا نُنَاشِدُهُمُ اللَّهَ، الْكَفَّ عَنْ أَمْثَالِ هَٰذِهِ الْبَرَامِجِ الْـمُخْزِيَةِ، الَّتِي تَعْمَلُ عَلَىٰ إِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ فِي الْـمُؤْمِنِينَ، وَالَّتِي تُعَدُّ ـ بِحَقٍّ ـ خِذْلَانًا لِلْأُمَّةِ، وَقَفْزًا عَلَىٰ اهْتِمَامَاتِهَا، وَخِيَانَةً لِقَضَايَاهَا، وَنَكْأً سَافِرًا لِجِرَاحِهَا الدَّامِيَةِ.

وَمَعَ مَا قَدْ يُظَنُّ أَنَّ الْـحَدِيثَ يَجْنَحُ لِلْعَاطِفَةِ، فَإِنَّ مِنَ الْعَقْلِ وَالْـحِكْمَةِ، أَنْ يَعِيشَ الْـمَرْءُ وَسَطًا فِي الرُّؤَىٰ، بَيْنَ مَنَابِعِ الْيَأْسِ وَإِشْرَاقَاتِ التَّفَاؤُلِ وَالْأَمَلِ، فَلَا إِغْرَاقَ فِي التَّشَاؤُمِ؛ لِـمَا يَبْعَثُهُ مِنْ كَسْرِ النَّفْسِ، وَالرُّكُونِ إِلَىٰ الْإِحْبَاطِ وَتَرْكِ الْعَمَلِ، وَلَا إِفْرَاطَ فِي الْـحَدِيثِ عَنْ جَوَانِبِ الْقُصُورِ وَالسَّلْبِيَّةِ، فَفِي الْأُمَّةِ ـ بِحَمْدِ اللَّـهِ ـ جَوَانِبُ كَثِيرَةٌ يَنْبَغِي أَنْ تُسْتَثْمَرَ فِي بَثِّ رُوحِ الْأَمَلِ وَالتَّفَاؤُلِ، فَالْـحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُمْتَحَنٌ، فَلَا تَعْجَبْ فَهَـٰذِهِ سُنَّةُ الرَّحْمَـٰنِ، وَكَمْ فِي طَيَّاتِ الْـمِحَنِ مِنْ مِنَحٍ! وَكَمْ فِي ثَنَايَا النِّقَمِ مِنْ نِعَمٍ! وَتِلْكَ سُنَّةُ اللَّـهِ الْكَوْنِيَّةُ وَالشَّرْعِيَّةُ.

وَسِجِلُّ التَّأْرِيخِ خَيْرُ شَاهِدٍ، مِمَّا يَبْعَثُ فِي نَفْسِ الْـمُسْلِمِ، الثِّقَةَ بِاللَّـهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَنُصْرَةَ دِينِهِ، مِنْ غَيْرِ يَأْسٍ مُقْعِدٍ، وَلَا إِحْبَاطٍ قَاتِلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَهَوُّرٍ عَاجِلٍ، وَحَمَاسٍ وَانْدِفَاعٍ زَائِلٍ. وَالْـمُوَفَّقُ مَنْ أَفَادَتْهُ الدُّرُوسُ، وَأَنَارَتْهُ الْـمَوَاقِفُ وَالْعِبَرُ، بِإِدْرَاكِ أَوَّلِ الْأَحْدَاثِ وَآخِرِهَا، وَفَهْمِ آثَارِهَا وَأَسْرَارِهَا وَعَوَاقِبِهَا.

وَاللَّـهُ هُوَ هَادِي الْـخَلْقِ إِلَىٰ الْـحَقِّ، وَهُوَ الْـمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّـهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّـهُ ـ عَلَىٰ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ

وَالْـمَلَاحِمِ، وَرَسُولِ الْـخَيْرِ وَالْـمَكَارِمِ، كَمَا أَمَـرَكُمْ بِـذَلِكَ رَبُّـكُـمْ - جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب].

القسم الحادي عشر:

الرقائق

دُمُوعُ العَيْنَيْنِ فِي رِثَاء خَادِمِ الحَرَمَينِ الشَّرِيفَيْنِ

(المَلِك فَهْد بْن عَبْدِالعَزِيزِ آل سُعُودٍ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ وَطَيَّبَ ثَرَاه)

الخُطْبَةُ الأُولَى:

الحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَفَرِّدِ بِالدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ، الْمُنَزَّهِ عَنِ الْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ، أَحْمَدُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ عَلَىٰ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَصَفَاءِ الْأَمْرِ وَكَدَرِهِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ حَالِ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَأَسْأَلُهُ الصَّبْرَ عَلَىٰ مُرِّ الْقَضَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَلاَ أَنْدَادَ وَلاَ شُرَكَاءَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَسَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْحُنَفَاءِ، وَسَيِّدُ الْأَصْفِيَاءِ، صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ الْأَتْقِيَاءِ الْأَنْقِيَاءِ، وَصَحْبِهِ بُدُورِ الِاهْتِدَاءِ، وَأَنْجُمِ الِاقْتِدَاءِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، وَسَلِّمْ يَا رَبِّ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ ـ يَا عِبَادَ اللَّهِ ـ وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَإِنَّهَا أَمَانٌ عِنْدَ الْبَلَايَا، وَذُخْرٌ عِنْدَ الرَّزَايَا، وَعِصْمَةٌ مِنَ الدَّنَايَا.

فَاتَّقُوا اللَّـهَ ـ رَحِمَكُمُ اللَّـهُ ـ وَلَا تَغُرَّنَّكُم الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،

وَلَا يَغُـرَّنَّكُم بِاللَّـهِ الْغَـرُورُ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ [الحشر].

أَيُّهَا الْـمُسْلِمُونَ: مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَا أَمْرًا يُـزْدَرَىٰ أَنَّ هَـٰذِهِ الدَّارَ، دَارُ امْتِحَانٍ وَابْتَلَاءٍ: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ [الملك: ٢]، وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا ظِلٌّ زَائِلٌ وَعَـرَضٌ حَائِلٌ ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ ﴾ [غافر].

وَمَنْ يَـذُقِ الـدُّنْيَا فَـإِنِّي طَعِمْتُهَـا وَسِـيقَ إِلَيْنَـا عَـذْبُهَا وَعَـذَابُهَا
فَلَـمْ أَرَهَـا إِلاَّ غُـرُورًا وَبَـاطِلاً كَمَا لَاحَ فِي أَرْضِ الْفَلَاةِ سَرَابُهَا[1]

مَعَاشِـرَ الْـمُسْلِمِينَ: الْـحَقِيقَةُ الْـحَاضِرَةُ الْغَائِبَةُ، أَنَّ الْـمَوْتَ فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا نِهَايَةُ كُلِّ حَيٍّ، وَخِتَـامُ كُـلِّ شَيْءٍ ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن].

وَمَـا الـدَّهْرُ إِلاَّ كَـرُّ يَـوْمٍ وَلَيْلَـةٍ وَمَا الْـمَوْتُ إِلاَّ نَـازِلٌ وَقَرِيبُ[2]

---

(١) يُنظر: «ديوان الإمام الشافعي» (ص٨).

(٢) يُنظر: «التبصرة» (١/ ٤٣٣).

كَأْسُ الْمَوْتِ الْمُتْرَعَةُ[1] يَتجرَّعُها كُلُّ الْبَشَرِ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء]، تَحَسَّى مَرارَتَهُ الْأَنْبِياءُ وَالْأَوْلِياءُ، وَالْعُظَماءُ وَالْعُلَماءُ، وَالزُّعَماءُ وَالنُّبَلاءُ، بَلْ كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَغَنِيٍّ وَفَقِيرٍ، وَمَأْمُورٍ وَأَمِيرٍ:

حُكْمُ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارِي ... مَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
فَالْعَيْشُ نَوْمٌ والمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ ... والمَرْءُ بَيْنَهُما خَيَالٌ سَارِي[2]

* * *

خُلِقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ ... وَمِنْ هَٰذَيْنِ كُلُّ الْحَادِثَاتِ
وَمَنْ يُولَدْ يَعِشْ وَيَمُتْ كَـ ... ـأَنْ لَمْ يَمُرَّ خَيَالُهُ بِالْكَائِنَاتِ[3]

قَضاءٌ نافِذٌ، وَحُكْمٌ شامِلٌ، وَأَمْرٌ حَتْمٌ لازِمٌ، لا مَهْرَبَ مِنْهُ وَلا مَفَرَّ: ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ ﴾ [القيامة] ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ

---

(١) سبق بيان معناها (ص٣٥٤).

(٢) البيتان لأبي الحسن التهامي يرثي ابنًا له مات صغيرًا. يُنظر: «تاريخ مدينة دمشق» (٤٣/ ٢٢٢)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٨/ ٢٠٢).

(٣) البيتان لأحمد شوقي، يُنظر: «ديوانه» (ص٣٦٣).

﴿أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف].

إِخْـوَةَ الْإِيمَـانِ: وَلَئِنْ كَانَتْ مُصِيبَةُ الْـمَوْتِ بِعَامَّةٍ كَبِيرَةً، وَفَاجِعَةً بِالْفَقْدِ عَظِيمَةً! فَإِنَّ الرَّزِيَّةَ تَكُونُ أَعْظَمَ وَقْعًا، وَأَكْبَرَ أَثَرًا، حِينَمَا تَكُونُ بِفَقْدِ وَلِيِّ أَمْرِ الْـمُسْلِمِينَ، وَإِمَامٍ عَظِيمٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَقَائِدٍ فَذٍّ مِنْ أَبْرَزِ قَادَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ:

لِعَمْرُكَ مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ ... وَلَا شَاةٌ تَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ

وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ شَهْمٍ ... يَمُوتُ بِمَوْتِهِ بَشَرٌ كَثِيرُ[1]

* * *

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ ... وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا[2]

يُؤَكِّدُ ذَلِكَ - أَيُّهَا الْـمُسْلِمُونَ - فِي الْوَقْتِ الَّذِي:

طَوَىٰ الْـجَزِيرَةَ حَتَّىٰ جَاءَنِي خَبَرٌ ... فَزِعْتُ فِيهِ بِآمَالِي إِلَىٰ الْكَذِبِ

حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَدَعْ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا ... شَرِقْتُ بِالدَّمْعِ حَتَّىٰ كَادَ يَشْرَقُ بِي[3]

---

(١) البيتان لامرأة من الأعراب يُنظر: «الأمالي في لغة العرب» (١/ ٢٧٦).

(٢) البيت لعبيدة بن الطبيب، يرثي به قيس بن عاصم بن سنان، يُنظر: «الوافي بالوفيات» (٢٤/ ٢١٣).

(٣) يُنظر: «ديوان المتنبي» (١/ ٢٥).

فِي حَدَثٍ: هَزَّنَا خَبَرُهُ وَأَفْزَعَنَا نَبَؤُهُ خَبَرٍ: عَزَّ عَلَيْنَا مَسْمَعُهُ، وَأَثَّرَ فِي قُلُوبِنَا مَوْقِعُهُ خَبَرٍ: تَأَلَّمَتْ لَهُ الْمَسَامِعُ وَسُكِبَتْ مِنْ أَجْلِهِ الْمَدَامِعُ وَهِيضَتْ[1] مِنْ هَوْلِهِ الْأَضَالِعُ نَبَأٌ: بِهَوْلِهِ الْقُلُوبُ تَتَفَجَّعُ وَالنُّفُوسُ تَتَوَجَّعُ فَقَدْ كَانَ مِنَ الْحُزْنِ أَنْ تَعْجَزَ الْأَلْسُنُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَتَتَضَاءَلَ الْكَلِمَاتُ عَنْ وَصْفِهِ، نَبَأٌ: أَشْخَصَ النَّظَرَاتِ، وَأَذْرَفَ الْعَبَرَاتِ وَأَوْرَثَ الْحَسَرَاتِ وَأَطَالَ الزَّفَرَاتِ مِنْ أَكْبَادٍ حَرَّاءَ وَمُقَلٍ سَكْرَىٰ وَأَنَّاتٍ تَتْرَىٰ:

يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَاعِجُهَا ... يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَىٰ عَلَىٰ الْأَكْبَادِ[2]

* * *

مَنْ لِقَلْبٍ شَفَّهُ الْحُزْنُ ... وَلِنَفْسٍ مَا لَهَا سَكَنُ[3]

إِنَّهُ الْخَطْبُ الْعَظِيمُ! وَالْمُصَابُ الْجَلَلُ! وَالْفَاجِعَةُ الْعُظْمَىٰ!

---

(١) هَاضَ الشَّيء هيضًا: كسره، وهاض العظم يهيضه هيضًا فانهاض: كسره بعد الجبور، فهو مهيض، يُنظر: «اللسان» (هيض).

(٢) البيت لأحمد بن عبد ربه الأندلسي. يُنظر: «العقد الفريد» (٣/ ٢١٣).

(٣) البيت لامرأة من بني شيبان، قُتل أبوها وأخوها وزوجها وأمها وعمتها وخالتها، فما رقأت لها عين، ولا رؤيت ضاحكة ولا مبتسمة، فكانت من أشد النساء كمدًا. يُنظر: «تاريخ خليفة ابن خياط» (ص٣٨٠)، و«العقد الفريد» (٣/ ٢٢٣).

وَالدَّاهِيَـةُ الـدَّهْيَاءُ! فِي فَقْـدِ الْأُمَّـةِ إِمَامَهَـا وَوَلِيَّ أَمْرِهَـا! فَعَلَيْـهِ فَلْتَبْـكِ الْبَوَاكِي! رَحِمَهُ اللَّـهُ رَحْمَةَ الْأَبْـرَارِ وَأَلْحَقَـهُ بِعِبَادِهِ الْـمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ وَأَسْبَغَ عَلَيْـهِ الرَّحْمَـةَ وَالْغُفْـرَانَ، وَأَمْطَـرَ عَـلَىٰ قَـبْرِهِ شَـآبِيبَ[1] الْعَفْـوِ وَالرِّضْوَانِ وَجَعَلَ مُسْتَقَرَّهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَىٰ فِي الْـجِنَانِ وَجَمَعَنَا وَإِيَّاهُ وَسَائِرَ الْـمُسْلِمِينَ وَالـصِّدِّيقِينَ وَالـشُّهَدَاءِ وَالـصَّالِحِينَ وَرَفَـعَ دَرَجَتَهُ فِي الْـمَهْدِيِّينَ، وَبـوَّأَهُ الـدَّرَجَاتِ الْعُـلَىٰ فِي الْعِلِّيِّـينَ وَأَخْلَفَـهُ فِي عَقِبِـهِ فِي الْغَابِرِينَ وَجَزَاهُ خَيْرَ الْـجَزَاءِ عَلَىٰ مَا قَـدَّمَ لِلْإِسْلَامِ وَالْـمُسْلِمِينَ وَأَثْقَلَ بِهَا لَهُ الْـمَوَازِينَ اللَّهُمَّ آمِينَ اللَّهُمَّ آمِينَ!

إِخْـوَةَ الْعَقِيـدَةِ: وَمَـعَ فَدَاحَـةِ الْـمُصِيبَةِ، وَعِظَـمِ الْفَجِيعَـةِ، فَـلَا يَمْلِـكُ الْـمُسْلِمُ -حِيَالَهَـا- إِلَّا الـرِّضَىٰ وَالتَّسْلِيمَ، وَالتَّـدَرُّعَ بِالـصَّبْرِ وَالِاحْتِسَابِ:

اصْـبِرْ لِكُـلِّ مُـصِيبَةٍ وَتَجَلَّـدِ ... وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ الْـمَرْءَ غَـيْرُ مُخَلَّـدِ

فَـإِذَا ذَكَـرَتَ مُـصِيبَةً تَـسْلُو بِهَـا ... فَاذْكُرْ مُصَابَكَ بِـالنَّبِيِّ مُحَمَّـدِ ﷺ[2]

---

(١) الشَّآبِيبُ: جمع شُـؤْبُوبٍ، وهـو الدُّفْعـةُ مـن الـمَطر وغـيره. ينظـر: «اللسان» (شأب).

(٢) يُنظر: «المجالسة وجواهر العلم» (ص١٣٢)، و«روضة العقلاء» (ص١٦٣).

فَلَمْ يَعْرِفِ التَّأْرِيخُ فَجِيعَةً أَعْظَمَ مِنْ فَقْدِ الْـمُصْطَفَىٰ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ وَقَدْ قَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ: «مَنْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي»[1].

فَلِلَّهِ مَا أَعْطَىٰ وَلِلَّهِ مَا جَزَىٰ ... وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الرَّزِيَّةِ كَالصَّبْرِ[2]

***

هَوِّنْ عَلَيْكَ وَلَا تُولَعْ بِإِشْفَاقِ ... فَإِنَّمَا مَآلُنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِي[3]

كَمَا يَنْبَغِي ـ يَا رَعَاكُمُ اللهُ ـ حُسْنُ الْعَزَاءِ وَعَدَمُ التَّسَخُّطِ وَالْجَزَعِ:

أَيَّتُهَا النَّفْسُ أَجْمِلِي جَزَعًا ... إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا[4]

عَزَاءٌ لَيْسَ يَلْفِظُهُ جَازِعٌ، وَرِثَاءٌ لَيْسَ يَنْطِقُهُ طَامِعٌ:

إِنِّي أُعَزِّي لَا لِأَنِّي عَلَىٰ ثِقَةٍ ... مِنَ الْحَيَاةِ وَلَكِنْ سُنَّةُ الدِّينِ

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٩/ ٣٢٤) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه وأخرج نحوه: عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ٥٦٤)، والطبراني في «الكبير» (٦٧١٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٣٩) عن سابط الجمحي رضي الله عنه.

(٢) يُنظر: «العقد الفريد» (٣/ ٢١٧).

(٣) البيت ليزيد بن خزَّاق. يُنظر: «المجالسة وجواهر العلم» (ص١٠٠).

(٤) البيت لأوس بن حجر الكندي. يُنظر: «المجالسة وجواهر العلم» (ص٥٠)، و«العقد الفريد» (٣/ ٢٢٨)، و«تاريخ مدينة دمشق» (١٧/ ٥٨).

لَيْسَ الْمُعَزَّىٰ بِبَاقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ ... وَلَا الْمُعَزِّي وَإِنْ عَاشَا إِلَىٰ حِينِ(١)

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَلَئِنْ غَابَ فَقِيدُ الْأُمَّةِ فِي شَخْصِهِ وَذَاتِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِبْ فِي أَفْعَالِهِ وَصِفَاتِهِ:

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ

وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ(٢)

* * *

لَعَمْرُكَ مَا وَارَىٰ التُّرَابُ فِعَالَهُ ... وَلَكِنَّهُ وَارَىٰ ثِيَابًا وَأَعْظُمَا(٣)

فَلِلَّه دَرُّهُ! مَا أَجْمَلَ صَنَائِعَهُ! وَمَا أَجْمَلَ مَكَارِمَهُ! فَلَقَدْ كَانَ نَسِيجًا وَحْدَهُ، وَطِرَازًا بِمُفْرَدِهِ:

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ ... فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ(٤)

* * *

---

(١) البيتان لبكر بن محمد بن بقية المازني. يُنظر: «معجم الأدباء» (٢/ ٣٤٧).

(٢) يُنظر: « مفتاح دار السعادة» (١/ ١٣٧).

(٣) البيت لعبدة بن الطبيب، يرثي به قيس بن عاصم بن سنان. يُنظر: «الوافي بالوفيات» (٢٤/ ٢١٣).

(٤) البيت لمسلم بن الوليد الأنصاري. يُنظر: «العقد الفريد» (٣/ ٢٥٣).

فَإِنْ يَكُ أَفْنَتْهُ اللَّيَالِي فَأَوْشَكَتْ ... فَإِنَّ لَهُ ذِكْرًا سَيُفْنِي اللَّيَالِيَا[1]

شَاهِدُ ذَلِكَ بِجَلَاءٍ، تِلْكَ الْأَعْمَالُ الْفَرِيدَةُ: الْحَرَمَانِ الشَّرِيفَانِ - حَرَسَهُمَا اللَّهُ - اللَّذَانِ شَهِدَا فِي عَهْدِهِ - رَحِمَهُ اللهُ - أَكْبَرَ تَوْسِعَةٍ عَرَفَهَا التَّأْرِيخُ وَمَلَايِينُ النُّسَخِ مِنَ الْمُصْحَفِ الشَّرِيفِ، طُبِعَتْ وَوُزِّعَتْ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِ الْمَعْمُورَةِ.

سَائِلُوا الْمَسَاجِدَ، وَالْمَدَارِسَ، وَالْجَامِعَاتِ، وَالْمَرَاكِزَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَالصُّرُوحَ الْحَضَارِيَّةَ وَمَعَاقِلَ التَّعْلِيمِ، وَقِلَاعَ التَّرْبِيَةِ، فَسَتَنْطِقُ شَاهِدَةً عَلَىٰ أَعْمَالِهِ الْجَلِيلَةِ وَمَآثِرِهِ الْأَثِيلَةِ[2]:

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا ... فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمْرٌ ثَانِ[3]

تَبْكِيهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ الْكُبْرَىٰ وَفِي مُقَدِّمَتِهَا: قَضِيَّةُ فِلَسْطِينَ وَالْأَقْصَىٰ، وَالْأَقَلِّيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي شَتَّىٰ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ فَسَجِّلْ يَا تَأْرِيخُ، وَسَطِّرِي يَا أَقْلَامُ وَاشْهَدْ أَيُّهَا الْعَالَمُ، وَاكْتُبْ يَا مِدَادُ بِأَحْرُفٍ مِنْ نُورٍ وَفَاءً بِحَقِّ الْفَقِيدِ وَذِكْرِ مَحَاسِنِهِ، وَأَدَاءً لِبَعْضِ حَقِّهِ عَلَيْنَا

---

(١) البيت لمنصور النمري، يرثي يزيد بن مزيد. يُنظر: «العقد الفريد» (٣/ ٢٤٩).

(٢) الأثِيل: كل شيء قديم مؤصل. يُنظر: «اللسان» (أثل).

(٣) البيت لأحمد شوقي. يُنظر: «ديوانه» (ص٥٢٩).

رَحِمَهُ اللَّـهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً:

فَالْمَشْرِقَانِ عَلَيْهِ يَنْتَحِبَانِ قَاصِيهِمَا فِي مَحْزَنٍ وَالدَّانِي

يَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ أَجْرُ مُجَاهِدٍ فِي اللَّهِ مِنْ خُلْدٍ وَمِنْ رِضْوَانِ[1]

نَسْأَلُ اللَّـهَ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ، أَلَّا يَحْرِمَهُ ثَوَابَ مَا قَدَّمَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْؤُولٍ وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيتَ، أَنْ تُحْسِنَ عَزَاءَ الْجَمِيعِ وَأَنْ تُخْلِفَ عَلَيْهِمُ الْخَلَفَ الْمُبَارَكَ وَأَنْ تَجْبُرَ الْمُصَابَ، وَتَغْفِرَ لِلْفَقِيدِ وَالْحَمْدُ لِلَّـهِ عَلَىٰ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَاللَّـهُ الْمُسْتَعَانُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

لِلَّـهِ مَا أَخَذَ! وَلَهُ مَا أَعْطَىٰ! وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى!

وَإِنَّنَا - مِنْ مِنْبَرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - لَنَرْفَعُ - بِاسْمِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا - أَحَرَّ التَّعَازِي، وَأَصْدَقَ الْمُوَاسَاةِ إِلَىٰ مَقَامِ وُلَاةِ أَمْرِنَا - وَفَّقَهُمُ اللَّـهُ - وَالْأُسْرَةِ الْكَرِيمَةِ، وَأَبْنَاءِ هَـٰذِهِ الْبِلَادِ خَاصَّةً، وَأَهْلِ الْإِسْلَامِ بِعَامَّةٍ سَائِلِينَ اللَّـهَ، أَنْ يُلْهِمَ الْجَمِيعَ الِاحْتِسَابَ وَالصَّبْرَ وَأَنْ يُعْظِمَ لَهُمُ

---

(١) أصل البيتين لأحمد شوقي، يقول فيهما: «يَا خَادِمَ الإِسْلَامِ أَجْرُ مُجَاهِدٍ». يُنظر: «ديوانه» (ص٥٢٧).

الْـمَثُوبَةَ وَالْأَجْرَ وَلَا يَرَى الْـجَمِيعُ مَكْرُوهًا فِي عَزِيزٍ لَدَيْهِمْ.

أَلَا فَلْيَرْحَمِ اللَّـهُ فَقِيدَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَيَجْزِهِ خَيْرًا؛ كِفَاءَ مَا أَبْدَىٰ وَلِقَاءَ مَا أَسْدَىٰ، وَجَزَاءَ مَا قَدَّمَ وَأَعْطَىٰ.

أَعُوذُ بِاللَّـهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة]

إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! .. إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! .. إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ!

بَارَكَ اللَّـهُ لِي وَلَكُمْ فِي آيِ الْكِتَابِ، وَسُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَوَّابِ، أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْـمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشورى].

الخطبة الثانية:

الْـحَمْدُ لِلَّـهِ الْوَاحِـدِ الْقَهَّـارِ، الْعَزِيـزِ الْغَفَّـارِ، وَأَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، هَدَمَ بِالْـمَوْتِ مَشِيدَ الْأَعْمَارِ، وَأَمَرَ بِالتَّزَوُّدِ لِدَارِ الْقَـرَارِ، وَأَشْـهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَـا مُحَمَّـدًا عَبْـدُ اللَّـهِ وَرَسُـولُهُ الْـمُـصْطَفَىٰ الْـمُخْتَارُ، صَلَّىٰ اللَّـهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَسَلَّمَ تَسلِيمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُـوا اللَّـهَ - عِبَـادَ اللَّـهِ - ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾ [البقرة].

أَيُّهَـا الْإِخْـوَةُ الْأَحِـبَّةُ فِي اللَّـهِ: وَفِي خِضَمِّ الْـمَآسِي وَالْآلَامِ، تَـبْرُزُ فُلُـولُ الْآمَـالِ، وَفِي طَيَّـاتِ الْـمِحَنِ تَبْدُو الْـمِنَحُ، وَمِـنْ مَخَاضِ الْأَتْرَاحِ تَتَوَلَّدُ الْأَفْرَاحُ، يُقَالُ ذَلِكَ تَحَدُّثًا بِنِعَمِ اللَّهِ، وَتَذْكِيرًا بِآلَائِهِ، فَمَعَ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ، تَمَّ الْوِفَاقُ وَالِاتِّفَاقُ، وَمَـعَ أَسَىٰ الْـوَدَاعِ، تَـمَّ الِاعْتِصَامُ وَالِاجْتِمَاعُ، فِي مَظْهَرٍ فَرِيدٍ، وَنَسِيجٍ مُتَمَيِّزٍ، وَمَنْظُومَةٍ مُتَأَلِّقَةٍ، مِنِ اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ، وَوَحْدَةِ الصَّفِّ، وَالْتِفَافِ الْأُمَّةِ حَـوْلَ قِيَادَتِها، بِـأَعْيُنٍ دَامِعَـةٍ، وَقُلُوبٍ مُبَايِعَةٍ، وَمُبَادَرَةٍ لِلْبَيْعَةِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَىٰ الْكِتَـابِ وَالـسُّنَّةِ، بِـسَلَاسَةٍ

وانْسِيابِيَّةٍ، ويُسْرٍ وتِلْقَائِيَّةٍ، قَلَّ أَنْ يَشْهَدَ لَهَا التَّأْرِيخُ الْمُعَاصِرُ مَثِيلاً، وَهَٰذَا - بِحَمْدِ اللَّهِ وَمَنِّهِ - يُعَدُّ مِنْ عَاجِلِ الْبُشْرَىٰ، وَصَالِحِ الْعُقْبَىٰ، فِي عَصْرٍ اتَّسَمَ بِالتَّمَوُّجَاتِ وَالِاضْطِرَابَاتِ، مِمَّا شَفَىٰ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَخَيَّبَ ظُنُونَ الْمُرْجِفِينَ، الَّذِينَ يُسَاوِمُونَ عَلَىٰ اسْتِقْرَارِ هَٰذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ، وَيُرَاهِنُونَ عَلَىٰ أَمْنِهَا وَثَبَاتِهَا وَرُسُوخِهَا. مِمَّا يُؤَكِّدُ مَكَانَتَهَا، وَيُبْرِزُ رِيَادَتَهَا إِسْلَامِيًّا وَعَالَمِيًّا وَدَوْلِيًّا، وَأَنَّهَا لَا تَزْدَادُ مَعَ أَحْلَكِ الظُّرُوفِ، وَمَعَ أَشَدِّ الْأَزَمَاتِ إِلَّا تَمَاسُكًا وَتَلَاحُمًا، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ!

وَبِهَٰذِهِ الْمُنَاسَبَةِ، فَإِنَّنَا نُجَدِّدُ الْبَيْعَةَ الشَّرْعِيَّةَ لِوُلَاةِ أَمْرِنَا - وَفَّقَهُمُ اللَّهُ - عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، بَيْعَةً مُخْلِصَةً، وَوَلَاءً صَادِقًا، عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ بِالْمَعْرُوفِ، فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، امْتِثَالاً لِأَمْرِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَاسْتِنَانًا بِسُنَّةِ رَسُولِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: وَهَٰذِهِ الْآيَةُ، وَإِنْ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي بَيْعَةِ الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّ الْبَيْعَةَ لِمَنْ بَعْدَهُ مِنْ وُلَاةِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ دَاخِلَةٌ

فِي عُمُومِهَا، وَهَـٰذِهِ الْآيَـةُ الْكَرِيمَـةُ نَـصٌّ فِي وُجُوبِ الْبَيْعَـةِ، وَتَحْـرِيمِ نَقْـضِهَا وَنَكْثِهَـا: ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح].

وَيَقُولُ ﷺ فِيمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[1]: «وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» وَفِي حَدِيثِ عُبَادَةَ رضي الله عنه: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْـمَنْشَطِ وَالْـمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، الْـحَدِيثُ خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[2].

فَالْبَيْعَـةُ: قَرَّرَتْهَا الشَّرِيعَةُ، وَأَوْجَبَتْهَا نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَحَكَىٰ الْإِجْمَاعَ عَلَيْهَا غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَهِيَ: أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدِّيَانَةِ، وَمَعْلَمٌ مِنْ مَعَالِمِ الْـمِلَّةِ، وَمَنْهَجُ السُّنَّةِ يُوجِبُ الْتِزَامَهَا وَالْوَفَاءَ بِهَا؛ لِأَنَّهَا أَصْلٌ عَقَدِيٌّ وَوَاجِبٌ شَرْعِيٌّ.

يَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «وَتَنْعَقِدُ الْإِمَامَةُ بِالْبَيْعَةِ»[3].

---

(١) برقم (١٨٥١) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

(٢) برقم (١٧٠٤).

(٣) ينظر: «منهاج الطالبين» (١/ ١٣١).

وَيَقُولُ الْعَلَّامَةُ الْكِرْمَانِيُّ: «**الْمُبَايَعَةُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ عِبَارَةٌ عَنِ الْمُعَاقَدَةِ وَالْمُعَاهَدَةِ عَلَيْهِ**»[1].

وَلِذَلِكَ، فَإِنَّنَا نُوصِي الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا، بِلُزُومِ الْبَيْعَةِ لِوَلِيِّ الْأَمْرِ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْهَجِ سَلَفِ الْأُمَّةِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

أَلَا وَإِنَّ مِمَّا أَبْهَجَ نُفُوسَ الْمُسْلِمِينَ، تِلْكَ الْكَلِمَاتُ النُّورَانِيَّةُ الْمُؤَثِّرَةُ لِوُلَاةِ أَمْرِنَا - وَفَّقَهُمُ اللَّهُ - وَتَأْكِيدُهُمْ عَلَىٰ لُزُومِ الْعَقِيدَةِ، وَتَحْكِيمِ الشَّرِيعَةِ، وَإِحْقَاقِ الْحَقِّ، وَإِرْسَاءِ الْعَدْلِ، وَاتِّخَاذِ الْقُرْآنِ دُسْتُورًا، وَالْإِسْلَامَ مَنْهَجًا، مِمَّا يَسُدُّ الطَّرِيقَ أَمَامَ قَرَاصِنَةِ الْحَقِّ وَالِائْتِلَافِ، فِي زَحْزَحَةِ هَٰذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ عَنْ ثَوَابِتِهَا الشَّرْعِيَّةِ، وَالْجُنُوحِ بِهَا عَنْ أُصُولِهَا وَمَبَادِئِهَا الْإِسْلَامِيَّةِ:

إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ ... قَؤُولٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ[2]

وَلَا غَرْوَ، فَهُمْ قَدْ وَرِثُوا الْمَآثِرَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، أَعَانَهُمُ اللَّهُ وَوَفَّقَهُمْ لِمَا فِيهِ عِزُّ الْإِسْلَامِ، وَصَلَاحُ الْمُسْلِمِينَ، وَجَعَلَهُمْ خَيْرَ خَلَفٍ لِخَيْرِ سَلَفٍ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

---

(١) يُنظر: «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (١/ ٢١٨).

(٢) البيت للسموأل بن عاديا. يُنظر: «المثل السائر» (١/ ١٧٦).

هَٰذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَىٰ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، وَهَادِي الْبَشَرِيَّةِ، أَفْضَلِ الذَّاكِرِينَ وَسَيِّدِ الشَّاكِرِينَ، كَمَا أَمَرَكُمُ بِذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَقَال - تَعَالَىٰ - فِي أَصْدَقِ قِيلِهِ وَمُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

لا بأس طهور إن شاء الله
رسالة إلى الراقدين على الأسرة البيضاء

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ: مُعِيدُ النِّعَمِ، وَمُبِيدُ النِّقَمِ، وَبَارِئُ النَّسَمِ، وَخَالِقُ الْخَلْقِ مِنَ عَدَمٍ، وَشَافِي الْأَمْرَاضِ وَالسَّقَمِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْمَبْعُوثُ إِلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، أُولِي الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَتِ الْأَنْوَارُ وَالظُّلَمُ، وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِكُمْ، وَفِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَفِي حَالِ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، واتَّقُوهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، تَسْعَدُوا فِي الْحَالِ وَالْمَآلِ.

عِبَادَ اللَّـهِ: مِعْيَارُ صِحَّةِ الْإِيـمَانِ، وَمِيزَانُ صِدْقِ الْيَقِينِ، ثَلَاثَةُ مَعَالِمٍ وَبَرَاهِينٍ: الشُّكْرُ عَلَىٰ النَّعْمَاءِ، وَالرِّضَىٰ بِالْقَضَاءِ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ الْبَلَاءِ. فَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ، خُلُقُهُ: الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ وَالرِّضَىٰ، لاَ تُبْطِرُهُ النِّعَمُ فَيَطْغَىٰ، وَلاَ تُضْجِرُهُ الْبَلْوَىٰ فَيَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ الْحَمْقَىٰ. لاَ يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ يَأْسٌ، وَلاَ يُخَيِّمُ عَلَيْهِ قُنُوطٌ، وَلاَ يَعْرِفُ الْفَشَلُ وَالْإِحْبَاطُ إِلَىٰ نَفْسِهِ سَبِيلاً، وَلاَ يَجِدُ الوَهْمُ وَالْقَلَقُ، وَالِاكْتِئَابُ وَالْأَرَقُ، إِلَىٰ حَيَاتِهِ طَرِيقًا. لَا تُقْعِدُهُ أَحْزَانٌ وَهُمُومٌ، وَلاَ تُسَيْطِرُ عَلَيْهِ أَتْرَاحٌ وَغُمُومٌ، حَتَّىٰ لاَ تَقْضِي الْعِلَلُ النَّفْسِيَّةُ، وَالْأَمْرَاضُ الْعَصَبِيَّةُ عَلَىٰ زَهْرَةِ حَيَاتِهِ، وَرَبِيعِ عُمْرِهِ، فَتُضَيِّعُ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ.

وَهَلْ يَبْقَىٰ مَعَ شِدَّةِ الْعِلَلِ تَلَذُّذٌ بِعِبَادَةٍ؟! وَهَلْ يَسْتَطِيعُ مَنْ يَئِنُّ مِنْ شِدَّةِ الْمَرَضِ أَنْ يَقُومَ بِالْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْآدَابِ الْمَرْعِيَّةِ؟

إِنَّ الْمُؤْمِنَ حَقًّا - يَا عِبَادَ اللَّـهِ - مَنْ يَكُونُ إِيمَانُهُ دِرْعًا وَاقِيًا لَهُ عِنْدَ تَعَرُّضِهِ لِلْأَزَمَاتِ، وَمَنْ تَكُونُ عَقِيدَتُهُ بِرَبِّهِ، وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، حِصْنًا حَصِينًا عِنْدَمَا تَحِلُّ بِهِ الِابْتِلَاءَاتُ، يَشُقُّ طَرِيقَهُ فِي الْحَيَاةِ بِكُلِّ جِدٍّ وَتَفَاؤُلٍ، وَطُمَأْنِينَةٍ وَسَعَادَةٍ، وَرَاحَةٍ وَقَنَاعَةٍ. فَالْمُؤْمِنُ الْحَقُّ يَعْتَقِدُ يَقِينًا، أَنْ الْمَصَائِبَ كُلَّهَا بِإِذْنِ اللَّـهِ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا

بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ ﴾ [الحديد: ٢٢]. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «**هُوَ الْمُؤْمِنُ، تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَيَرْضَىٰ وَيُسَلِّمُ**»(١)، فَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، وَلَا مَانِعَ لِعَطَائِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ: النَّفْعُ بِيَدِهِ، وَالشِّفَاءُ مِنْ عِنْدِهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ ﴾ [يونس: ١٠٧].

وَلَقَدْ تَقَرَّرَ لَدَىٰ أَرْبَابِ الْعُقُولِ وَالحِجَا(٢)، وَأُولِي الْأَفْهَامِ وَالنُّهَىٰ، أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ امْتِحَانٍ وَابْتِلَاءٍ، وَدُنْيَا كَبَدٍ(٣) وَنَصَبٍ وَعَنَاءٍ، وَتَعَبٍ وَشَقَاءٍ، تَمُوجُ بِالْمِحَنِ، وَتَزْخَرُ بِالْفِتَنِ، تَعُمُّهَا الْمِحَنُ وَالْبَلَايَا، وَتَحُفُّهَا الْفِتَنُ وَالرَّزَايَا: سَرَابٌ خَادِعٌ، وَبَرِيقٌ لَامِعٌ، لَكِنَّهَا سَيْفٌ قَاطِعٌ، وَصَارِمٌ سَاطِعٌ، كَمْ أَذَاقَتْ بُؤْسًا! وَكَمْ جَرَّعَتْ غُصَصًا! وَكَمْ أَذَاقَتْ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ١٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ١٩٦) من قول علقمة بن قيس.

(٢) الحِجَا: الفطنة. يُنظر: «اللسان» (حجا).

(٣) الكَبَد: الشدة. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» (كبد).

نَغَصًا[1]! كَمْ أَحْزَنَتْ مِنْ فَرِحٍ! وَأَبْكَتْ مِنْ مَرِحٍ! وَكَدَّرَتْ مِنْ صَفْوٍ! وَشَابَتْ مِنْ مَعِينٍ! وَعَكَّرَتْ مِنْ نَمِيرٍ! سُرُورُهَا: مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَصَفْوُهَا: مَمْزُوجٌ بِالْكَدَرِ، أَحْزَانٌ وَهُمُومٌ، وَأَوْجَاعٌ وَغُمُومٌ، كَمْ فِيهَا مِنْ جَزِعٍ، وَكَمْ عَلَيْهَا مِنْ فَزِعٍ! وَكَمْ يَئِنُّ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ وَجِعٍ! خَدَّاعَةٌ مَكَّارَةٌ، سَاحِرَةٌ غَرَّارَةٌ.

حَوَادِثُهَا كَثِيرَةٌ، وَمَتَاعِبُهَا غَفِيرَةٌ، أَحْوَالُهَا مُتَبَدِّلَةٌ، وَشُؤُونُهَا مُتَغَيِّرَةٌ، وَسُبْحَانَ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ! فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمَرْءُ خَوْضَ غِمَارِهَا[2]، وَلَا النَّجَاةَ مِنْ تَلَاطُمِ أَمْوَاجِهَا، إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَالرِّضَىٰ بِقَضَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: وَاهِبِ النِّعَمِ لِمَنْ يَشَاءُ، وَالْقَادِرِ عَلَىٰ أَنْ يَسْلُبَهَا عَمَّنْ يَشَاءُ؛ حِكْمَةً مِنْهُ وَعَدْلًا، وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: نِعْمَةٌ عُظْمَىٰ، وَمِنَّةٌ كُبْرَىٰ، بَعْدَ نِعْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، يَغْفُلُ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَيُقَصِّرُ فِي شُكْرِهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ، تِلْكُمْ هِيَ: نِعْمَةُ الصِّحَّةِ الَّتِي لَا يُحِسُّهَا إِلَّا مَنْ فَقَدَهَا،

---

(١) النَّغَص: كدرة العيش، يُقال: نغص عليه عيشه تنغيصًا، أي: كدَّره. ينظر: «اللسان» (نغص).

(٢) غِمَارُهَا: شدائدها. يُنظر: «اللسان» (غمر).

وَلاَ يَشْعُرُ بِهَا إِلَّا مَنْ يَئِنُّ تَحْتَ وَطْأَةِ الْأَمْرَاضِ، وَسَطْوَةِ الْعِلَلِ، وَمَنْ يَرْقُدُونَ عَلَىٰ الْأَسِرَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَيَتَمَلْمَلُونَ وَيَتَقَلَّبُونَ عَلَىٰ فِرَاشِ الْمَرَضِ، لاَ يَعْلَمُ بِحَالِهِمْ وَجُؤَارِهِمْ[1] إِلَّا اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ.

كَانُوا بِالْأَمْسِ يَرْفُلُونَ[2] فِي ثَوْبِ الصِّحَّةِ وَحُلَّةِ الْعَافِيَةِ، وَالْيَوْمَ يَشْكُونَ إِلَىٰ اللَّهِ ضَعْفَ قُوَّتِهِمْ، وَقِلَّةَ حِيلَتِهِمْ، وَفُشُوَّ الْأَمْرَاضِ فِي أَبْدَانِهِمْ؛ حَتَّىٰ أَفْقَدَتْهُمُ التَّلَذُّذَ بِطِيبِ الْمَنَامِ، وَشَهِيِّ الشَّرَابِ وَالطَّعَامِ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ! لِذَلِكَ، رَغَّبَ الْإِسْلَامُ، وَحَثَّ نَبِيُّ الْإِسْلَامِ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ عَلَىٰ اسْتِثْمَارِ نِعْمَةِ الصِّحَّةِ، وَاغْتِنَامِهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، قَبْلَ أَنْ تَحِلَّ بِالْإِنْسَانِ الْعَوَائِقُ، وَيَقَعَ فِي الْمَآزِقِ، وَتَكْتَنِفَهُ الْمَضَايِقُ، فَقَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ**» ـ وَذَكَرَ مِنْهَا ـ: «**وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ**»، خَرَّجَهُ الْحَاكِمُ[3]، والبيهقي[4] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا،

---

(١) الجُؤَارُ: رفع الصوت مع تضرع واستغاثة. ينظر: «اللسان» (جأر).

(٢) سبق بيان معناها (ص٢١٣).

(٣) في «المستدرك» (٤/ ٣٤١).

(٤) في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٦٣).

وقال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1]: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**».

فَيَا أَيُّهَا الْأَصِحَّاءُ: احْمَدُوا اللَّهَ - تَعَالَىٰ - وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ نِعْمَةِ الصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، فِي سَلَامَةٍ مِنْ مُنَغِّصَاتِ الْأَلَمِ، وَمُكَدِّرَاتِ الْمَرَضِ، وَاسْتَثْمِرُوا صِحَّتَكُمْ، وَكَمْ مِنْ عَلِيلٍ يَرْغَبُ أَنْ يُصْبِحَ سَلِيمًا؛ لِيَعْمَلَ وَيَكْدَحَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ، ثُمَّ هَلْ تُؤْمَنُ غَوَائِلُ[2] الدُّنْيَا؟ وَلَاسِيَّمَا فِي مِثْلِ هَٰذَا الْعَصْرِ، الَّذِي تَنَوَّعَتْ فِيهِ الْحَوَادِثُ، وَكَثُرَتْ فِيهِ الْكَوَارِثُ، وَجَدَّتْ أَمْرَاضٌ، وَانْتَشَرَتْ عِلَلٌ وَأَسْقَامٌ لَمْ تَكُنْ فِي الْأَسْلَافِ، عِيَاذًا بِاللَّهِ.

فَالشُّكْرَ الشُّكْرَ أَيُّهَا الْأَصِحَّاءُ! وَالْبِدَارَ الْبِدَارَ! إِلَىٰ اسْتِثْمَارِ صِحَّتِكُمْ فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ، قَبْلَ الْفَوَاتِ أَوْ الْمَمَاتِ، وَقَدِيمًا قِيلَ فِي مَأْثُورِ الْحِكَمِ: «**الصِّحَّةُ تَاجٌ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْأَصِحَّاءِ، لَا يَرَاهُ إِلَّا الْمَرْضَىٰ**».

زُورُوا الْمُسْتَشْفَيَاتِ؛ لِتُدْرِكُوا عِظَمَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، انْظُرُوا فِي مُخْتَلَفِ الْأَقْسَامِ، وَتَأَمَّلُوا أَحْوَالَ الرَّاقِدِينَ عَلَىٰ

---

(١) برقم (٦٤١٢) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) سبق بيان معناها (ص٢٢٧).

الْأَسِرَّةِ الْبَيْضَاءِ: أَمْرَاضٌ مُتَنَوِّعَةٌ، وَأَسْقَامٌ مُخْتَلِفَةٌ؛ فَهَٰذَا مُصَابٌ بِالْمُخِّ وَيَعِيشُ فِي غَيْبُوبَةٍ، وَهَٰذَا فِي قِسْمِ الْبَاطِنَةِ يُعَانِي مِنْ تَلَيُّفٍ فِي الْكَبِدِ، وَآخَرُ يَشْكُو الْفَشَلَ الْكُلَوِيَّ، وَهَٰذَا فِي الْقَلْبِ وَالشَّرَايِينِ، وَهَٰذَا فِي الْمَعِدَةِ وَالْأَمْعَاءِ، وَذَاكَ فِي الْجِهَازِ التَّنَفُّسِيِّ وَأَمْرَاضِ الصَّدْرِ وَالرِّئَةِ. وَفِي قِسْمِ الْعِظَامِ: هَٰذَا كَسِيرٌ، وَذَاكَ جَبِيرٌ، هَٰذَا فِي الْحَوْضِ، وَذَاكَ فِي الْأَرْجُلِ وَالرُّكَبِ، وَهَٰذَا فِي الْأَطْرَافِ وَالْيَدَيْنِ وَالْفَقَرَاتِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ!!

وَحَدِّثْ وَلَا حَرَجَ عَنْ حَوَادِثِ السَّيَّارَاتِ، وَقِسْمِ الْحُرُوقِ، وَأَمْرَاضِ الْعَصْرِ: كَالسُّكَّرِيِّ، وَالضَّغْطِ، وَالسَّرَطَانِ، وَمَا يَدُورُ فِي قِسْمِ الْعِنَايَةِ الْفَائِقَةِ، وَأَقْسَامِ الطَّوَارِئِ وَالْعَمَلِيَّاتِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ!! **«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَىٰ كَثِيرًا مِنْ خَلْقِهِ، وَفَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا»**[1].

---

(١) أخرج الترمذي (٣٤٣١)، والبزار في «مسنده» (١/ ٢٣٧) عن عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «من رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فقال: **الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي على كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إلا عُوفِيَ من ذلك الْبَلَاءِ كَائِنًا ما كان ما عَاشَ**»، وأخرجه ابن ماجه (٣٨٩٢)، والطبراني في «الأوسط» (٥/ ٢٨٣) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما.

عَجِيبٌ أَمْرُ ابْنِ آدَمَ! كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الضَّعْفَ وَالْعَجْزَ؛ فَالشَّوْكَةُ تُؤْلِمُهُ، وَالزُّكَامُ يُقْعِدُهُ، وَالصُّدَاعُ يُؤَرِّقُهُ، وَأَصْغَرُ الْحَشَرَاتِ تَطْرَحُهُ. وَهُوَ فِي حَالِ الصِّحَّةِ يَتَكَبَّرُ وَيَشْمَخُ بِأَنْفِهِ، وَقَدْ يُحَادُّ اللَّهَ فِي شَرْعِهِ وَأَمْرِهِ، وَيُخَالِفُهُ بِتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ، وَالْوُقُوعِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمَرْضَىٰ: يَا مَنِ ابْتُلِيتُمْ بِالْمَرَضِ وَمَرَارَتِهِ، احْمَدُوا اللَّهَ وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، فَلَا حِيلَةَ لِلْإِنْسَانِ فِي دَفْعِ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ وَالتَّحَلِّي بِالرِّضَىٰ، وَالتَّخَلِّي عَنِ الْجَزَعِ وَالضَّجَرِ وَالتَّسَخُّطِ. حَقِّقُوا الْإِيمَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فَإِنَّ لَهُ أَثَرًا كَبِيرًا فِي بَثِّ الطُّمَأْنِينَةِ، وَالتَّوفُّرِ عَلَىٰ السَّكِينَةِ، أَقْبِلُوا عَلَىٰ اللَّهِ، وَأَلِحُّوا عَلَيْهِ بِالدُّعَاءِ، فَهُوَ الْقَائِلُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء]، وَهُوَ الْقَائِلُ - جَلَّ شَأْنُهُ -: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل]، بَلْ هَنِيئًا لَكُمْ أَيُّهَا الْمَرْضَىٰ، أَنْتُمْ مَغْبُوطُونَ إِذَا صَبَرْتُمْ وَاحْتَسَبْتُمْ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا يَخْلُو مِنْ فَوَائِدَ، مِنْهَا: تَكْفِيرُ الْخَطَايَا وَالسَّيِّئَاتِ، فَفِي الْحَدِيثِ أَنَّه ﷺ قَالَ:

«لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوِ الْمُؤْمِنَةِ فِي جَسَدِهِ وَفِي مَالِهِ وَفِي وَلَدِهِ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»(١)، وَفِي الصَّحِيحِ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّىٰ الشَّوْكَةَ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(٢).

وَمِنْهَا: مَحَبَّةُ اللَّهِ وَإِرادَتُهُ الْخَيْرَ بِعَبْدِهِ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ»(٣)، و«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(٤).

وَمِنْهَا: أَنَّ لِلْعَبْدِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ، لَا يَبْلُغُهَا حَتَّىٰ يَبْتَلِيَهُ بِالْمَرَضِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَغَيْرِهِ(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٨٧)، وابن حبان (٧/ ١٧٦)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٣٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١) من حديث أنس رضي الله عنه. وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٧) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه.

(٤) برقم (٥٦٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود (٣٠٩٠)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٣٧٤) من حديث إِبْرَاهِيمَ بِن مَهْدِي السُّلَمِي عن أبيه عن جَدِّهِ، أن النبي صلى الله عليه وسلم =

وَلْيَكُنْ لَكُمْ - أَيُّهَا الْمَرْضَىٰ - فِي قِصَّةِ نَبِيِّ اللَّهِ أَيُّوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ، فَقَدْ ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ: أَنَّهُ ظَلَّ يُعَانِي مِنَ الْمَرَضِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا، قَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء].

وَهَذَا رَسُولُكُمْ ﷺ يُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنَّا، كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْخَبَرُ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ ﷺ(١).

وَقَدْ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي «السِّيَرِ»(٢) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ أُصِيبَ بِجُرْحٍ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْآكِلَةِ، أَوْدَىٰ بِهَا إِلَى الْقَطْعِ، فَعَرَضُوا عَلَيْهِ شَرَابًا

= قال: «إذا سَبقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّهِ منزلة لم يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتَلاهُ اللَّهُ في جَسَدِهِ أو في مَالِهِ أو في وَلَدِهِ، ثُمَّ صَبَّرَهُ حتى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ التي سَبقَتْ لَهُ مِنْهُ».

(١) كما جاء في حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال: دَخَلْتُ على رسول اللَّهِ ﷺ وهو يُوعَكُ، فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قال: «أَجَلْ إني أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنكُمْ». أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٢) (٤/ ٤٣٠).

يُرَقِّدُهُ؛ فَأَبَاهُ، وَقَالَ: لاَ أُحِبُّ أَنْ أَغْفُلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ، وَتَجَلَّدَ لِقَطْعِ رِجْلِهِ وَلَمْ يَتَأَوَّهْ، حَتَّىٰ فُصِلَتْ عَنْهُ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، وَفِي الْحَالِ بَلَغَهُ مَوْتُ أَحَدِ أَبْنَائِهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ فَأَخَذْتَ وَاحِدًا وَأَبْقَيتَ لِي سِتَّةً، وَكَانَ لِي أَطْرَافٌ أَرْبَعَةٌ فَأَخَذْتَ طَرَفًا وَأَبْقَيتَ ثَلَاثَةً، وَلَئِنِ ابْتَلَيتَ لَقَدْ عَافَيتَ، وَلَئِنْ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيتَ». فَلِلَّهِ دَرُّهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ! نَعَمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، هَٰذَا مَنْهَجُ الصَّابِرِينَ الْمُحْتَسِبِينَ، وَطَرِيقُ الرَّاضِينَ الْمُوقِنِينَ.

أَيُّهَا الْمَرْضَىٰ: التَّوْبَةَ التَّوْبَةَ! عَلَيْكُمْ بِحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ، وَعَمِيقِ الرَّجَاءِ فِي فَضْلِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَرَضَ مَدْرَجَةٌ إِلَىٰ ادِّكَارِ الْمَوْتِ، وَالْفِرَارِ إِلَىٰ اللَّهِ، تَذَكَّرُوا مَنْ هُمْ أَشَدُّ مِنْكُمْ دَاءً، وَأَعْظَمُ بَلَاءً، فَقَدْ دَفَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ أَعْظَمَ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَأَيْقِنُوا أَنَّ مُصَابَ الدُّنْيَا يَسِيرٌ أَمَامَ مُصَابِ الدِّينِ، وَأَنَّهُ لاَ غِنَىٰ لَكُمْ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، مَهْمَا بَلَغَتْ مَهَارَةُ الطَّبِيبِ، وَعَلَتْ فَخَامَةُ الْمُسْتَشْفَىٰ، وَامْتَازَ بِأَحْدَثِ الْآلَاتِ وَأَعْلَىٰ الْكَفَاءَاتِ.

مَاتَ الْمُدَاوِي وَالْمُدَاوَىٰ وَالَّذِي   جَلَبَ الدَّوَاءَ وَبَاعَهُ وَمَنِ اشْتَرَىٰ[1]

* * *

(١) البيت للربيع بن خيثم. يُنظر: «المستطرف من كل فن مستظرف» (٢/ ٥٦٥).

قُلْ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَىٰ   يَا شَافِيَ الْأَمْرَاضِ مَنْ أَرْدَاكَا؟
قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِيَ بَعْدَ مَا   عَجَزَتْ فُنُونُ الطِّبِّ مَنْ عَافَاكَا؟[1]

أَيُّهَا الْأَطِبَّاءُ وَالْمُمَرِّضُونَ، أَيَّتُهَا الطَّبِيبَاتُ وَالْمُمَرِّضَاتُ: الطِّبُّ أَمَانَةٌ، وَالتَّمْرِيضُ مَسْؤُولِيَّةٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّقُوهُ فِي مَرْضَاكُمْ، أَخْلِصُوا لِلَّهِ فِي أَعْمَالِكُمْ، حَذَارِ مِنَ الْمَقَاصِدِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْعَمَلِ عَلَىٰ ابْتِزَازِ الْجُيُوبِ! وَحَدِّثْ وَلَا حَرَجَ عَنِ الْمُسْتَوْصَفَاتِ وَالْمُسْتَشْفَيَاتِ التِّجَارِيَّةِ، وَمُحْتَرِفِي مِهْنَةِ الطِّبِّ مِنَ الدَّجَاجِلَةِ، وَحَمَلَةِ شَهَادَاتِ الزُّورِ، الَّذِينَ جَعَلُوا النَّاسَ مَحَطَّاتٍ لِتَجَارِبِهِمْ!

اهْتَمُّوا أَيُّهَا الْأَطِبَّاءُ بِمَرْضَاكُمْ، أَدُّوا الْأَمَانَةَ، وَاحْذَرُوا الْخِيَانَةَ، تَخَلَّقُوا مَعَ الْمَرْضَىٰ بِالْأَدَبِ الرَّفِيعِ، وَالْخُلُقِ الْجَمِّ، وَالْكَلَامِ اللَّيِّنِ، وَالرِّفْقِ وَالْمُلَاطَفَةِ وَالْبَشَاشَةِ، بَعِيدًا عَنِ التَّكَبُّرِ وَالْعُجْبِ وَالْغُرُورِ، فَالطَّبِيبُ: دَاعِيَةٌ وَمُعَلِّمٌ، وَمُرْشِدٌ وَمُحْتَسِبٌ. تَثَبَّتُوا عِنْدَ التَّشْخِيصِ، وَتَرَفَّقُوا فِي الْمُعَامَلَةِ، وَتَحَلَّوْا بِأَخْلَاقِ الْمِهْنَةِ،

---

(١) البيتان من قصيدة للشاعر السوداني إبراهيم علي بديوي ـ رحمه الله ـ يقول في مطلعها:

بِكَ أَسْتَجِيرُ وَمَنْ يُجِيرُ سِوَاكَا   فَأَجِرْ ضَعِيفًا يَحْتَمِي بِحِمَاكَ

وَأَدَبِ وَسُلُوكِيَّاتِ الْعَمَلِ، وَاضْبِطُوا الْوَصفَاتِ، وَاعْتَزُّوا بِإِسْلَامِكُمْ، أَدُّوا الصَّلَاةَ، وَانْهَلُوا مِنَ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِمِهْنَتِكُمْ، وَتَمَتَّعُوا بِالْغَيْرَةِ عَلَىٰ الْأَعْرَاضِ، فَكَثْرَةُ الْإِمْسَاسِ تُقَلِّلُ الْإِحْسَاسَ.

اسْتَثْمِرُوا أَوْقَاتَ الْمَرْضَىٰ وَفَرَاغَهُمْ بِمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالْمَنْفَعَةِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، ذَكِّرُوهُمْ أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ، وَكَيْفِيَّةَ الْوُضُوءِ، وَصِفَةَ التَّيَمُّمِ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ، فَكَثِيرٌ مِنَ الْمَرْضَىٰ -شَفَاهُمُ اللَّهُ- يَتَسَاهَلُونَ فِي ذَلِكَ، مَعَ أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَسْقُطُ عَنِ الْإِنْسَانِ أَبَدًا مَا لَمْ يَفْقِدْ وَعْيَهُ وَإِدْرَاكَهُ، وَيُصَلِّي الْمَرِيضُ عَلَىٰ حَسْبِ حَالِهِ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَمُضْطَجِعًا، وَيَتَطَهَّرُ بِالْمَاءِ، فَإِنْ عَجَزَ عَنِ اسْتِعْمَالِهِ فَلْيَتَيَمَّمْ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

أَيُّهَا الْمَسْؤُولُونَ عَنِ الْمُسْتَشْفَيَاتِ: قُومُوا بِوَاجِبِكُمْ خَيْرَ قِيَامٍ، وَلْتَكُنْ مُسْتَشْفَيَاتُ الْمُسْلِمِينَ حُصُونَ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ، وَقِلَاعَ بِرٍّ وَفَضِيلَةٍ وَفَلَاحٍ. لَابُدَّ مِنَ الْحَدِّ مِنْ ظَوَاهِرِ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ وَالِاخْتِلَاطِ، وَالْعِنَايَةِ بِالتَّخَصُّصَاتِ النِّسَائِيَّةِ لِنِسَاءٍ مِثْلِهِنَّ، وَالْفَصْلِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ؛ فَلِلْمُسْلِمِينَ مَنْهَجُهُمُ الْمُتَمَيِّزُ عَنْ سِوَاهُمْ، بَعِيدًا عَنِ التَّقْلِيدِ وَالتَّبَعِيَّةِ لِغَيْرِهِمْ.

يَجِبُ أَنْ يُحْرَصَ فِي الطِّبِّ وَالتَّمْرِيضِ عَلَىٰ الْكَفَاءَاتِ الْمُسْلِمَةِ،

وَلاَ يَجُوزُ اسْتِقْدَامُ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، مَا دَامَ أَنَّ فِي الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَقُومُ بِذٰلِكَ. وَنَرْجُو أَنْ يَعُودَ عَالَمُ الطِّبِّ إِلَىٰ مَنْهَجِهِ الْإِسْلَامِيِّ، وَذٰلِكَ بِوُجُودِ الْأَكْفَاءِ فِي عَقِيدَتِهِمْ وَدِينِهِمْ وَتَخَصُّصَاتِهِمْ، وَهُمْ كَثِيرٌ بِحَمْدِ اللَّهِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، أَنْ يَشْفِيَ وَيُعَافِيَ كُلَّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَكُلَّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، اللَّهُمَّ عَافِنَا فِي قُلُوبِنَا وَأَرْوَاحِنَا، وَأَبْدَانِنَا وَأَجْسَادِنَا، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، اللَّهُمَّ اشْفِ مَرْضَىٰ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ لاَ تَدْعَ لَنَا مَرِيضًا إِلاَّ شَفَيْتَهُ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخُطبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْـحَمْدُ للَّـهِ مُوْلِي الإِنْعَامِ، وَشَـافِي الأَسْـقَامِ، وَالْبَـاقِي عَـلَىٰ الـدَّوَامِ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّـهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، الْـمَلِكُ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ، وأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ الله وَرَسُولُه، سَيِّدُ الأَنَـامِ، صَلَّى اللهُ وَسَـلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِه وَأَتْبَاعِهِ، خَيْرَ صَلَاةٍ وَأَزْكَىٰ سَلَامٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّـهَ - عِبَادَ اللَّـهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ الـصِّحَّةَ وَالْعَافِيَـةَ أَهَـمُّ مَا رُزِقَهُ الْعَبْدُ، فَمَا أُوتِي أَحَدٌ - بَعْدَ الْيَقِينِ - أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَـةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَنْـوَاعَ الـصِّحَّةِ الْـمَعْنَوِيَّةِ وَالْـجَوْهَرِيَّةِ كَثِيرَةٌ، أَهَمُّهَا: صِحَّةُ الْعَقِيـدَةِ، وَسَلَامَةُ الْفِكْرِ وَالْعَقْلِ، وَصِحَّةُ الْأَرْوَاحِ وَالْقُلُوبِ، وَأَخْطَرُ الْأَمْرَاضِ: أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ، وَسَبَبُهَا الْـمَعَاصِي وَالذُّنُوبُ، وَكَمْ مِنْ مُهْتَمٍّ بِجَسَدِهِ وَصِحَّةِ بَدَنِه، فِي غَفْلَةٍ عَنْ قَلْبِهِ وَرُوحِهِ!

يَا خَادِمَ الْـجِسْمِ كَـمْ تَشْقَىٰ بِخِدْمَتِهِ ... أَتَطْلُـبُ الـرِّبْحَ فِـيمَا فِيـهِ خُسْرَانُ؟
أَقْبِلْ عَلَىٰ النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ... فَأَنْتَ بِـالنَّفْسِ لاَ بِالْـجِسْمِ إِنْـسَانُ[1]

---

(١) البيتان لأبي الفتح علي البستي. يُنظر: قصيدته «عنوان الحكم» (ص٣٦).

وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - رَعَاكُمُ اللَّهُ - وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْمَرْضَىٰ - شَفَاكُمْ اللَّهُ - : أَنَّ اللَّهَ لَمَّا أَنْزَلَ الدَاءَ؛ كَتَبَ الدَّوَاءَ، وَأَبَاحَ التَّدَاوِيَ الْمَشْرُوعَ، فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: **«مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»**.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[2] عَنْ جَابِرٍ ﷺ: **«لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ؛ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ»**.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ[3]: **«تَدَاوَوْا يا عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - لم يُنَزِّلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً»**، وَفِي رِوَايَةٍ: **«وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»**[4].

أَيُّهَا الْمَرْضَىٰ، أَيُّهَا الْأَطِبَّاءُ، أَيُّهَا الْأَصِحَّاءُ، أَقْبِلُوا عَلَىٰ الْقُرْآنِ، فَفِيهِ

---

(١) برقم (٥٦٧٨) مقتصرًا على شطره الأول.

وأخرجه بهذا اللفظ من حديث ابن مسعود ﷺ: أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ٣٤٣).

(٢) برقم (٢٢٠٤).

(٣) (٤/ ٢٧٨) من حديث أسامة بن شريك ﷺ.

(٤) أخرج هذه الزيادة أبو داود (٣٨٧٤)، والطبراني في «الكبير» (٦٤٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ٥) من حديث أبي الدرداء ﷺ.

الشِّفَاءُ بِإِذْنِ اللهِ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

حَصِّنُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْأَوْرَادِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالْأَذْكَارِ النَّبَوِيَّةِ؛ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَالْـمُعَوِّذَتَيْنِ وَغَيْرِهَا، احْرِصُوا - أَيُّهَا الْأَصِحَّاءُ - عَلَىٰ زِيَارَةِ إِخْوَانِكُمُ الْـمَرْضَىٰ، الزِّيَارَةَ الشَّرْعِيَّةَ؛ فَإِنَّ لَهَا أَثَرًا بَالِغًا بِإِذْنِ اللَّهِ، فَهِيَ حَقٌّ لَهُمْ، مَعَ الدُّعَاءِ وَعَدَمِ الْإِثْقَالِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ[1]: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ»، يَعْنِي: فِي جَنَاهَا، وَفِي الصَّحِيحِ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَىٰ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا»[2]، وَلْيَحْرِصِ الزَّائِرُ عَلَىٰ حُسْنِ الْـمُوَاسَاةِ وَالدُّعَاءِ، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ» أَيْ: مَنْ زَارَ مَرِيضًا فَقَالَ عِنْدَ رَأْسِهِ: «أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٨) من حديث ثوبان مولى النبي ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٤)، وابن حبان (٧/ ٢٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إِلَّا عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»[1].

عِبَادَ اللَّهِ: وإِذَا كُنَّا نَعِيشُ الْيَوْمَ فِي عَصْرِ تَفَشِّي الْأَمْرَاضِ الْمُسْتَعْصِيَةِ - الْجَسَدِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ - فَإِنَّ الْحَصَانَةَ تَكْمُنُ فِي الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ؛ تُرَبَّىٰ عَلَيْهِمَا النُّفُوسُ، وَتُعْمَرُ بِهِمَا الْبُيُوتُ، وَيُحَصَّنُ بِهِمَا الْأَوْلَادُ. وَمَا انْتَشَرَ الْقَلَقُ وَالِاضْطِرَابُ وَالْأَرَقُ وَالِاكْتِئَابُ، وَكَثُرَ الْمَسُّ وَالسِّحْرُ وَالْعَيْنُ، إِلَّا لَـمَّا غَفَلَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَنِ اللَّهِ، وَأَهْمَلُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الْحَصَانَةِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَإِذَا كَانَ التَّدَاوِي مَشْرُوعًا، فَيَجِبُ الْحَذَرُ كُلَّ الْحَذَرِ مِنَ الذَّهَابِ إِلَىٰ الْمُشَعْوِذِينَ، وَالسَّحَرَةِ، وَالدَّجَّالِينَ، وَالْكَهَنَةِ، وَالعَرَّافِينَ، الَّذِين كَثُرُوا فِي هَـٰذَا الزَّمَانِ - لَا كَثَّرَهُمُ اللَّهُ - طَلَاسِمُ وَخُرَافَاتٌ، وَحُرُوزٌ وَخُزَعْبِلَاتٌ يَكْذِبُونَ بِهَا عَلَىٰ النَّاسِ، وَيُوهِمُونَ أَنَّ فِيهَا شِفَاءً، وَهِيَ - وَاللَّهِ - الدَّاءُ، لَابُدَّ مِنْ إِشْهَارِ الصَّارِمِ الْبَتَّارِ، عَلَىٰ السَّحَرَةِ الْأَشْرَارِ، فَقَدْ آذَوُا عِبَادَ اللَّهِ؛ فَرَّقُوا بَيْنَ الْأَبِ وَابْنِهِ، وَبَيْنَ الزَّوْجِ وَزَوْجِهِ، فَيَجِبُ التَّبْلِيغُ عَنْهُمْ، وَإِقَامَةُ حُكْمِ اللَّهِ فِيهِمْ، وَلَا يَجُوزُ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما.

الذَّهَابُ إِلَيْهِمْ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «مَنْ أَتَىٰ كَاهِناً أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ»[1] .

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الْمَرْضَىٰ - وَاعْلَمُوا أَنَّ فِي الشِّفَاءِ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ غُنْيَةً عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، وَعَلِّقُوا آمَالَكُمْ وَآلَامَكُمْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؛ تَصِحُّوا وَتُوَفَّقُوا، وَتَسْعَدُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ.

هَٰذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَىٰ طَبِيبِ الْقُلُوبِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، فَقَالَ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند»(٢/ ٤٢٩)، والبزار في «مسنده» (٥/ ٢٥٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩/ ٢٨٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الاستنفار للزوم الاستغفار

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، ونَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، غَفَّارُ الذُّنُوبِ، وَسَتَّارُ الْعُيُوبِ. يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِقَبُولِ تَوْبَةِ الْمُسِيئِينَ، وَاسْتِغْفَارِ الْمُسْتَغْفِرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الْمُتَّقِينَ، وَأَفْضَلُ التَّائِبِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ، الَّذِي حَثَّ عَلَىٰ لُزُومِ الِاسْتِغْفَارِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُمْ وَالْأَنْصَارِ، وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ وَدَعَا بِدَعْوَتِهِمْ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَأَطِيعُوهُ، وَرَاقِبُوهُ وَلَا تَعْصُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ.

عِبَادَ اللَّهِ: تَتَدَافَعُ الإِنْسَانَ ـ ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ الضَّعِيفَ ـ قُوَّتَانِ

عَارِمَتَانِ، هُمَا: قُوَّةُ الْخَيْرِ وَقُوَّةُ الشَّرِّ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الْكَائِنَ الْبَشَرِيَّ يَتَكَوَّنُ مِنْ مَادَّةٍ وَرُوحٍ، وَلِكِلَيْهِمَا مُتَطَلَّبَاتٌ ضَرُورِيَّةٌ تُؤْخَذُ بِاعْتِدَالٍ وَتَوَازُنٍ شَرْعِيٍّ، وَلَـمَّا كَانَ الْخَطَأُ مِنْ طَبِيعَةِ بَنِي آدَمَ، وَالضَّعْفُ وَالتَّقْصِيرُ مِنْ جِبِلَّتِهِمْ، حَيْثُ تُسَوِّلُ لَهُمْ نُفُوسُهُمْ أُمُورَ الْبَاطِلِ، وَتُزَيِّنُ لَهُمُ الشَّرَ وَالسُّوءَ، وَتَسُومُهُمْ فِي مَرَاتِعِ الشَّهَوَاتِ، وَتَلِجُّ بِهِمْ فِي أَعِنَّةِ الشُّبُهَاتِ، فَإِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ يَبْقَىٰ أَوَّلاً وَآخِرًا، دَوْحَةَ الْأَمَانِ، وَوَاحَةَ الْأَمْنِ وَالِاطْمِئْنَانِ، فِي ظِلِّهِ الْوَارِفِ، وَحِمَاهُ الْأَمِينِ، وَحِصْنِهِ الْمَكِينِ، يَتَفَيَّأُ النَّاسُ جَرَّاءَهُ، خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ لِذَلِكَ فَقَدْ دَعَا الْمَوْلَىٰ - جَلَّ وَعَلَا - النَّاسَ إِلَىٰ التَّوْبَةِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَالْإِقْلَاعِ عَنْ مَعَاصِيهِمْ، وَطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ مِنْهُ - سُبْحَانَهُ - وَعِمَارَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَلْسِنَةِ بِالِاسْتِغْفَارِ لِلْعَلِيِّ الْغَفَّارِ - جَلَّ جَلَالُهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ نَدَبَكُمْ رَبُّكُمْ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - إِلَىٰ لُزُومِ الِاسْتِغْفَارِ وَاللَّهَجِ بِهِ؛ حَيْثُ جَاءَ ذَلِكَ فِي جُمْلَةٍ مِنْ آيِ كِتَابِ اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥]، وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء]، وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ -: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر]، ويَقُولُ: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ﴾ [فصلت: ٦]، وَمِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ الْعُلَىٰ: الْغَفُورُ، وَالْغَفَّارُ، وَغَافِرُ الذَّنْبِ، وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ.

وَأَثْنَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُسْتَغْفِرِينَ، وَجَعَلَهُمْ أَهْلَ وِلَايَتِهِ وَمَحَلَّ رِعَايَتِهِ، قَالَ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران]، ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ جُمْلَةٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، أَنَّ الْمَغْفِرَةَ رَجَاؤُهُمْ وَأَرْجُهُمْ، وَرَحْمَتُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ مُنَاهُمْ وَمَطْلَبُهُمْ، فَذَكَرَ عَنِ الْأَبَوَيْنِ ـ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ـ قَوْلَهُمَا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف]، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَمُحَمَّدٍ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ وَأَنْكَرَ ـ سُبْحَانَهُ ـ عَلَىٰ قَوْمٍ غَفَلُوا عَنِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَقَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة].

كُلُّ ذَلِكُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - يَدُلُّ عَلَىٰ أَهَمِّيَّةِ الإِسْتِغْفَارِ، وَعَظِيمِ فَضْلِهِ وَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ، لِـمَا لَهُ مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْآثَارِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ، فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ سَبَبٌ لِـمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، وَتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، يَقُولُ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء]، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ الْمَوْلَىٰ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: «**يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ**»[1]، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ يَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: «**يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي؛ غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي**»[2].

وَلِأَبِي دَاوُدَ[3] وَالتِّرْمِذِيِّ[4] وَالْحَاكِمِ[5] عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣١٥) من حديث أنس ﷺ، وبنحوه أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٥٤) من حديث أبي ذر ﷺ.

(٣) برقم (١٥١٧) من حديث زَيْدٍ مولى النبي ﷺ.

(٤) برقم (٣٥٧٧) من حديث زَيْدٍ مولى النبي ﷺ.

(٥) في «المستدرك» (١/ ٦٩٢).

قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ الَّذِي لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْـحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ**».

وَمِـنْ ثَمَـرَاتِ الِاسْـتِغْفَارِ: رَفْـعُ الْعَـذَابِ، وَدَفْـعُ العِقَـابِ، يَقُـولُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾**﴾ [الأنفال].

وَمِنْهَـا: أَنَّـهُ سَبَبٌ لِجَلْبِ الرِّزْقِ، وَتَفْرِيجِ الْـهَمِّ، وَالْـخُرُوجِ مِنَ الْـمَضَايِقِ، وَإِجَابَةِ الدُّعَاءِ، أَخرَجَ أَبُو دَاوُدَ(١)، وَابْنُ مَاجه(٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**مَنْ لَـزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّـهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِـنْ كُـلِّ هَـمٍّ فَرَجًـا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**»، وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: «**يَا بُنَيَّ، عَـوِّدْ لِسَانَكَ الِاسْتِغْفَارَ فَإِنَّ لِلَّـهِ سَاعَاتٍ لَا يَـرُدُّ فِيهَـا سَائِلًا**»(٣)، وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ: «**فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَأَهْلَكُونِي بِالِاسْتِغْفَارِ**»(٤).

---

(١) برقم (١٥١٨).

(٢) برقم (٣٨١٩).

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٥٦)، وذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٣٩٤).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٩) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وَإِذَا كَثُرَ الِاسْتِغْفَارُ فِي الْأُمَّةِ، وَصَدَرَ عَنْ قُلُوبٍ مُخْلِصَةٍ؛ دَفَعَ اللَّهُ عَنْهَا ضُرُوبًا مِنَ النِّقَمِ وَالشُّرُورِ، لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ - سُبْحَانَهُ.

وَالِاسْتِغْفَارُ سَبَبٌ لِنُزُولِ الْمَطَرِ، وَتَوَفُّرِ الْمِيَاهِ، وَنَبَاتِ الزَّرْعِ، وَالْإِمْدَادِ بِالْأَمْوَالِ وَالْعِيَالِ وَالْقُوَّةِ، قَالَ - تَعَالَىٰ - عَنْ هُودٍ - عَلَيْهِ السَّلَام -: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، وَقَالَ عَنْ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: فَهَلْ بَعْدَ هَٰذَا الْفَضْلِ كُلِّهِ، يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْ هَٰذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَيَنْشَغِلُونَ بِغَيْرِهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ، بَلْ تَضُرُّ دِينًا وَدُنْيَا وَأُخْرَىٰ؟ فَإِلَىٰ مَتَىٰ الْغَفْلَةُ - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - مَعَ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ، وَإِقْفَارِ الْقُلُوبِ، وَغَلَبَةِ الْخَطَايَا؟ أَهُوَ زُهْدٌ فِي ثَوَابِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - أَمْ هُوَ انْغِمَاسٌ فِي الْعَاجِلَةِ؟ أَيْنَ النَّاسُ عَنْ حِيَازَةِ هَٰذِهِ الْفَضَائِلِ، وَاسْتِبَاقِهِمُ الْخَيْرَاتِ؟

أَيْنَ نَحْنُ مِنَ التَّأَسِّي بِأَفْضَلِ الْبَشَرِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الَّذِي

قَدْ غفَرَ اللَّـهُ لَـهُ مَا تَقَـدَّمَ مِـنْ ذَنْبِـهِ وَمَـا تَـأَخَّرَ، وَمَـعَ ذَلِـكَ كَـانَ دَائِـمَ الِاسْتِغْفَارِ، كَثِيرَ التَّوْبَةِ، بِهِمَا شَعَّتْ أَقْطَارُ نَفْسِهِ، رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[1] عَنْ الْأَغَرِّ الْـمُزَنِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ**[2] **عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**».

وَلِلْبُخَارِيِّ[3] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يقول: «**وَاللَّـهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»، بَلْ كَانَ يُعَدُّ لَهُ فِي الْـمَجْلِسِ الْوَاحِدِ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي - ﷺ مِائَةُ مَرَّةٍ، يَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»[4].

---

(١) برقم (٢٧٠٢).

(٢) الغَيْن: شيء يغشى القلب فيغطِّيه بعض التغطية، وهو كالغَيْم الرقيق الذي يعرض في الجو فلا يحجب عن الشمس ولكن يمنع كمال ضوئها. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ١٠١): «قال عياض: المراد بالغين فترات عن الذِّكر الذي شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمرٍ ما، عُدَّ ذلك ذنبًا، فاستغفر عنه، وقيل: هو شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس، وقيل: هو السكينة التي تغشى قلبه».

(٣) برقم (٦٣٠٧).

(٤) أخرجه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١١٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢١)، من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

اللَّـهُ أَكْبَرُ! هَٰذِهِ حَالُـهُ ـ عَلَيْـهِ الـصَّلَاةُ وَالـسَّلَامُ ـ فَـمَا حَـالُ النَّـاسِ الْيَوْمَ؟ اللَّـهُ الْـمُـسْتَعَانُ! مَـاذَا يَـدُورُ فِي الْـمَجَالِسِ؟ وَبِـأَيِّ شَيْءٍ تُزْجَـىٰ السَّاعَاتُ؟ وَبِمَاذَا تُعْمَرُ الْأَوْقَاتُ؟ وَكَيْفَ يَقْضِي النَّاسُ أَيَّامَهُمْ؟

فَحَيَّهَـلاً ـ أَيُّهَـا الْـمُذْنِبُونَ ـ قَبْـلَ أَنْ يَفْجَـأَكُمُ الْأَجَـلُ، هَـا هُـوَ مَـوْلَاكُمْ ـ جَـلَّ وَعَـلَا ـ يُنَـادِيكُمْ لِتَلْجَـؤُوا إِلَىٰ سَـاحَاتِ كَرَمِـهِ وَجُـودِهِ، وَيَفْـتَحُ لَكُـمْ أَعْظَـمَ الرَّجَـاءِ فِي عَفْـوِهِ وَمَغْفِرَتِـهِ: ﴿ **قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر]، كَـمَا أَنَّـهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ يَـنْـزِلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الـدُّنْيَا كُـلَّ لَيْلَـةٍ، يَقُـولُ: «**هَـلْ مِـنْ سَـائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَـلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»(١).

فَأَيْنَ نَحْنُ ـ **يَا عِبَـادَ اللَّـهِ** ـ ؟! الكُـلُّ مِنَّـا مُقَـصِّرٌ فِي جَنْـبِ اللَّـهِ، مُفَـرِّطٌ فِي مَغْفِـرَةِ اللَّـهِ، مُتَسَاهِلٌ فِي حُقُـوقِ عِبَادِ اللَّـهِ. كَثِيرٌ مِنَّـا ـ مَـعَ الْأَسَىٰ ـ لَا يُبَالِي بِـالْأَوَامِرِ، وَلَا تَرْدَعُـهُ الزَّوَاجِـرُ، يَتَّاقَـلُ عَـنِ الْوَاجِبَـاتِ وَالْـمَأْمُورَاتِ، وَيَكْرَعُ مِنْ آسِنِ الْـمُحَرَّمَاتِ وَالْـمَحْظُورَاتِ!! وَلَكِـنْ

---

(١) أخرجه مسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة ﵁.

مَنْ أَرَادَ مَحْوَ حُوبِهِ، واسْتِمْطَارَ وَدْقِهِ وَصَوْبِهِ، فَإِنَّ بَابَ التَّوبَةِ مَفْتُوحٌ، وَحَبْلَ الاِسْتِغْفَارِ مَمْدُودٌ، رَوَىٰ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[1] أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»**.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ بِالِاسْتِغْفَارِ طَلَبَ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ، فَلَيْسَ مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ هَـٰذَا الْأَمْرُ لَا يَتَجَاوَزُ اللِّسَانَ، وَلَا يَتَعَدَّىٰ الْأَلْفَاظَ الْمُجَرَّدَةَ، لَا، بَلْ لَابُدَّ أَنْ يَصْحَبَ ذَلِكَ إِقْلَاعٌ عَنِ الذُّنُوبِ، وَوَجَفٌ مِنَ الْمَعَاصِي، فَإِنَّ الَّذِي يَسْتَغْفِرُ بِمُجَرَّدِ لِسَانِهِ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللَّهِ بِفِعْلِهِ؛ لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ.

يَقُولُ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: **«اسْتِغْفَارٌ بِلَا إِقْلَاعٍ: تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ»**[2]، وَبَلَغَ مِنْ وَرَعِ السَّلَفِ ـ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ـ أَنْ قَالَ بَعْضُهُمْ: **«اسْتِغْفَارُنَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ اسْتِغْفَارٍ»**[3]، وَاسْتَغْفَرَ بَعْضُهُمْ عَنْ تَكْرَارِ هَـٰذِهِ

---

(١) برقم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ذكر هذا الأثر النووي في «الأذكار» (١/ ٣٢٣)، والغزالي في «إحياء علوم الدين» (١/ ٣١٣).

(٣) ذكر هذا الأثر النووي في «الأذكار» (١/ ٣٢٣)، والغزالي في «إحياء علوم الدين»

الْكَلِمَةِ، مَعَ وُقُوعِهِ فِيمَا يُخَالِفُهَا.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَلَازِمُوا الِاسْتِغْفَارَ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَأَكْثِرُوا مِنْهُ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَلَاسِيَّمَا فِي الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمْكِنَةِ الْفَاضِلَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَعِنْدَ خِتَامِ الْأَعْمَالِ وَالْمَجَالِسِ وَالْأَعْمَارِ، وَعِنْدَ الْفَرَاغِ مِنْ أَدَاءِ الْعِبَادَاتِ، كَالْحَجِّ وَالصَّلَاةِ، وَعِنْدَ السَّحَرِ.

وَتَخَيَّرُوا الْأَلْفَاظَ الشَّرْعِيَّةَ، وَالْأَدْعِيَةَ النَّبَوِيَّةَ، دُونَ ابْتِدَاعٍ أَوْ تَنَطُّعٍ، فَمَا أَعْظَمَ بَرَكَاتِ الِاسْتِغْفَارِ! وَمَا أَشَدَّ أَثَرَهُ عَلَىٰ الْأَبْدَانِ وَالْقُلُوبِ! وَعَلَىٰ الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ!! وَتَأَسَّوْا بِنَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ تَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَجَعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ التَّائِبِينَ الْمُسْتَغْفِرِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

(١/ ٣١٣)، ونسباه إلى رابعة العدوية - رحمها الله.

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، غَافِرِ الذَّنْبِ، وَقَابِلِ التَّوْبِ، شَدِيدِ الْعِقَابِ، ذِي الطَّوْلِ، لاَ إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَىٰ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَكُلِّ تَابِعٍ لِنَهْجِهِمْ، وَبِهُدَاهُمْ مُسْتَنِيرٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا يُصِيبُ النَّاسَ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَالْقَلَقِ وَالاِضْطِرَابِ النَّفْسِيِّ، إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ إِقْفَارِ الْقُلُوبِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَلاَسِيَّمَا ذِكْرُهُ وَتِلاَوَةُ كِتَابِهِ، وَمُلاَزَمَةُ اسْتِغْفَارِهِ، فَذَلِكَ الطِّبُّ الشَّرْعِيُّ النَّاجِعُ[1] ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ فَإِنَّ لَهُ تَأْثِيرًا عَجِيبًا عَلَىٰ سَلاَمَةِ الْقُلُوبِ، وَتَخَلُّصِهَا مِنَ الْأَدْوَاءِ وَالْأَسْقَامِ الَّتِي تَعْقُبُ الإِعْرَاضَ وَالْغَفْلَةَ.

فَرَوِّضُوا أَنْفُسَكُمْ ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ عَلَىٰ مُلاَزَمَةِ الاِسْتِغْفَارِ، وَعَوِّدُوهَا الإِكْثَارَ مِنْهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ قُلُوبِكُمْ مَحَلَّ الْأَنِيسِ وَالْجَلِيسِ؛

---

(١) سبق بيان معناها (ص٧٣).

يَرْحضُ[1] الْأَوْزَارَ وَ الْوَعْثَاءَ، وَيَسْحَجُ[2] اللَّمَمَ[3] وَالْعَنَاءَ، وَانْظُرُوا فِي حَقِيقَةِ اسْتِغْفَارِكُمْ، وَأَكْثِرُوا مِنْ مُحَاسَبَةِ أَنْفُسِكُمْ، وَلاَ تَغْتَرُّوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ: مِنَ الْقُوَّةِ وَالصِّحَّةِ وَالْمَالِ، فَإِنَّ الْعُمُرَ قَصِيرٌ، وَالْمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، وَطُوبَىٰ ـ حِينَ ذَاكَ ـ لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا!

وَعَلَيْكُمْ بِسَيِّدِ الِاسْتِغْفَارِ، ذَاكَ الدُّعَاءُ الْعَظِيمُ، الَّذِي مَنْ قَالَهُ فِي النَّهَارِ مُوقِنًا بِهِ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهُ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهِ فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لك بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ**

---

(١) الرَّحْضُ: الغسل، يُقال: رَحَضَ يده والإناء والثوب، أي: غسلها. ينظر: «اللسان» (رحض).

(٢) السَّحْجُ: أن يصيب الشيء بالشيء فيُقشر منه شيئًا قليلاً. ينظر: «اللسان» (سحج).

(٣) اللَّمَم: مقاربة الذنوب، وقيل: اللمم ما دون الكبائر من الذنوب. ينظر: «اللسان» (لمم).

**لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ». **رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[1].

أَلَا وصَلُّوا وسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ عَلىٰ سَيِّدِ الْمُسْتَغْفِرِينَ، وَأَشْرَفِ الْأَنْبِياءِ وَالْمُرْسَلِينَ، كَمَا أَمَرَكُمْ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ٥٦** ﴾ [الأحزاب].

---

(١) برقم (٦٣٠٦) من حديث شَدَّادِ بن أَوْسٍ رضي الله عنه.

القِسمُ الثّاني عشر:
موضُوعاتٌ عامّة

جزيرتنا الشماء المنيعة
في ظلال الحكم بالشريعة والولاية البديعة

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُكَ رَبِّي وَنَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ، وَلَكَ الْحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَىٰ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا أَعْظَمَكَ! سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا أَكْرَمَكَ! سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ! نَحْمَدُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ بِآلَائِهِ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ وَعَائِدِهِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَىٰ وَافِرِ عَطَائِهِ وَرَافِدِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ مُعْتَرِفٍ بِلُطْفِهِ فِي مَصَادِرِ التَّوْفِيقِ وَمَوَارِدِهِ، مُتَحَلٍّ بِقَلَائِدِ التَّوْحِيدِ وَفَرَائِدِهِ، مُتَّصِفٍ بِالْتِزَامِ قَوَاعِدِ الدِّينِ وَمَعَاقِدِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَسَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ مَنْ رَسَمَ نَهْجَ الْهُدَىٰ لِقَاصِدِهِ، وَالْهَادِي إِلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ وَمَاهِدِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، حُمَاةِ مَعَالِمِ الدِّينِ وَمَعَاهِدِهِ، وَرَادَةِ شَرْعِهِ السَّائِغِ لِوَارِدِهِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ جِمَاعُ الْخَيْرَاتِ، وَيَنْبُوعُ الْبَرَكَاتِ، وَمَصْدَرُ الرَّحَمَاتِ، وَنُورُ الظُّلُمَاتِ، وَسَبَبُ التَّرَقِّي فِي عُلُوِّ الدَّرَجَاتِ، وَالْأَمَانِ مِنَ الدَّرَكَاتِ، وَتَكْفِيرِ الذُّنُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: سِرُّ بَقَاءِ الْأُمَمِ، وَسَبَبُ فَخَارِ الشُّعُوبِ، وَأَسَاسُ بِنَاءِ الْأَمْجَادِ وَإِشَادَةِ الْحَضَارَاتِ، إِنَّمَا يَرْتَكِزُ عَلَىٰ قَوَاعِدِ الْمَبَادِئِ وَالثَّوَابِتِ، وَيَكْمُنُ فِي ظِلَالِ الْمُثُلِ وَضِفَافِ الْقِيَمِ. وَالْمُسْتَقْرِئُ لِعَوَامِلِ أَزَمَاتِ الْأُمَمِ، وَانْتِكَاسَاتِ الشُّعُوبِ، وَتَقْوِيضِ أَمْجَادِهَا، وَانْهِيَارِ حَضَارَاتِهَا عَبْرَ التَّأْرِيخِ، يُدْرِكُ أَنَّ مَرَدَّ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَىٰ التَّفْرِيطِ فِي الْمَبَادِئِ، وَالْمَسَاسِ بِالْأُصُولِ وَالثَّوَابِتِ.

وَإِنَّ اللَّهَ - جَلَّتْ حِكْمَتُهُ - قَدْ مَنَّ عَلَيْنَا نَحْنُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِهَذَا الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَاخْتَارَ - سُبْحَانَهُ وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ - فِيمَا يَخْلُقُ وَيَخْتَارُ، هَٰذِهِ الْجَزِيرَةَ، لِتَكُونَ قَاعِدَةَ انْطِلَاقَتِهِ إِلَىٰ كُلِّ الْخَلِيقَةِ، فِي جَمِيعِ أَصْقَاعِ الْمَعْمُورَةِ.

مَعَاشِرَ الْـمُسْلِمِينَ: لَقَدْ قَامَتْ فِي دُنْيَا النَّاسِ حَضَارَاتٌ شَتَّىٰ، وَوَاجَهَتْ أَزَمَاتٍ مُتَعَدِّدَةً، غَيْرَ أَنَّ الْقَضِيَّةَ الْـمُهِمَّةَ فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ وَالْأُمَمِ عَلَىٰ مَدَارِ التَّأْرِيخِ كُلِّهِ، هِيَ قَضِيَّةُ الثَّوَابِتِ وَالْـمَنْهَجِ.

وَإِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّـهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ بِهَٰذِهِ الْأُمَّةِ ـ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ـ أَنْ وَقَاهَا شُرُورَ الْـمَحْقِ وَالِاسْتِئْصَالِ، وَقَضَىٰ بِوُجُودِ الطَّائِفَةِ الْـمَنْصُورَةِ، وَالْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَرَايَةُ التَّوْحِيدِ لَا تَسْقُطُ أَبَدًا، وَصَوْتُ الْإِسْلَامِ لَا يَنْقَطِعُ سَرْمَدًا: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة].

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ[1] وَمُسْلِمٌ[2] فِي «صَحِيحَيْهِمَا» أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَالَ: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّـهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»**. وَلَمْ يَزَلْ ـ سُبْحَانَهُ ـ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَمِنَّةً، يُوَفِّقُ لِإِقَامَةِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وَيُمَكِّنُ لِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، مَعَ أَنَّ عَوَامِلَ الضَّعْفِ مَا بَرِحَتْ تَلُوحُ، وَالتَّحَدِّيَاتُ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ مَا فَتِئَتْ تُصِيبُ الْأُمَّةَ بِالْوَهْنِ

---

(١) برقم (٧٣١١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.

(٢) برقم (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

وَالْأَدوَاءِ، فِي عَدَدٍ مِنْ أَعْضَاءِ جَسَدِهَا الْمُثْخَنِ بِالْجِرَاحِ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: وَالْمُتَأَمِّلُ فِي تَأْرِيخِ هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ فِي أَطْوَارِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، يَجِدُ أَنَّ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ لَمْ يَغْبَرْ نَهَارُهَا، وَلَمْ تَنْطَفِئْ أَنْوَارُهَا - بِحَمْدِ اللَّهِ - مُنْذُ أَنْ شَادَ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ صَرْحَ حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ الْأُولَىٰ، نَعَمْ! كَانَتْ وَلَا تَزَالُ هُنَاكَ مُحَاوَلَاتٌ مُسْتَمِرَّةٌ تَرْمِي إِلَىٰ إِقْصَاءِ الْإِسْلَامِ وَتَجْرِيدِ أَهْلِهِ مِنْ إِمْكَانَاتِهِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَحِرْمَانِهِمْ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ فِي شَتَّىٰ الْمَجَالَاتِ، وَغَزْوِهِمْ: عَقَدِيًّا وَفِكْرِيًّا وَتَرْبَوِيًّا وَإِعْلَامِيًّا، وَلَكِنْ يَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: لَقَدْ شَاءَ اللَّهُ - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - لِهَـٰذِهِ الْجَزِيرَةِ اصْطِفَاءً وَاخْتِيَارًا، فَجَعَلَهَا مُنْطَلَقًا لِلرِّسَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْخَالِدَةِ، وَمُتَنَزَّلًا لِوَحْيِهِ، وَمَهْدًا لِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقِبْلَةً لِعِبَادِهِ، وَمَهْوًى لِأَفْئِدَتِهِمْ، وَمَحِلًّا لِأَدَاءِ مَنَاسِكِهِمْ، فَأَمْنُهَا أَمْنٌ لِجَمِيعِ الْبِلَادِ، وَنُورُ إِيمَانِهَا سَاطِعٌ - بِحَمْدِ اللَّهِ - فِي كُلِّ الْأَصْقَاعِ[1] وَالْوِهَادِ[2]، وَهِيَ: مَأْوَىٰ كُلِّ

(١) الأَصْقَاعُ: جمع صقع، وهو: ناحية الأرض أو البيت. يُنظر: «اللسان» (صقع).

(٢) الوِهَادُ: جمع وهد، والوهدة: المكان المنخفض من الأرض كأنه حفرة. يُنظر: «اللسان» (وهد).

مُضطَهَدٍ فِي دِينِهِ مِنْ سَائِرِ الْعِبَادِ: قَلْعَةٌ مِنْ قِلَاعِ الْـهُدَىٰ، وَصَخْرَةٌ شَمَّاءُ تَتَهَاوَىٰ أَمَامَهَا سِهَامُ الْعِدَىٰ، وَتَتَلَاشَىٰ أَمَامَ شُمُوخِهَا عَوَامِلُ الرَّدَىٰ. هِيَ مَنَارَةُ الْإِسْلَامِ، وَمَأْرِزُ[1] الْإِيمَانِ، وَمَحْضِنُ الْعَقِيدَةِ، وَمَرْكَزُ الْـحَضَارَةِ، وَمُنْطَلَقُ الْقِيَادَةِ وَالسِّيَادَةِ وَالرِّيَادَةِ لِلْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، وَالْـخَطُّ الْأَخِيرُ فِي غُرَّةِ الْوُجُودِ الْإِسْلَامِيِّ، وَخَاتِمَةُ سُورِ الدِّفَاعِ الْعَقَدِيِّ وَالْإِيمَانِيِّ.

هِيَ مَعْقِلُ[2] الشَّرِيعَةِ وَعَاصِمَتُهَا الْـخَالِدَةُ، وَرَأْسُ مَالِ الْأُمَّةِ، وَأَغْلَىٰ أَرْبَاحِهَا، تُعَدُّ بِمَثَابَةِ مَرْكَزِ الْقَلْبِ فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِيَّةِ - حَفِظَهَا اللَّهُ - فَلَمْ تَطَأْهَا قَدَمُ مُسْتَعْمِرٍ، فَاللَّهُ قَدْ بَسَطَ أَمْنَهُ فِي رُبُوعِهَا، وَنَشَرَ أَمَانَهُ فِي كُلِّ أَرْجَائِهَا - فَلِلَّهِ الْـحَمْدُ وَالْـمِنَّةُ.

وَإِنَّ الْـمُسْلِمَ الْـحَقَّ، لَيَنْشَرِحُ صَدْرُهُ بِالتَّمْكِينِ لِقِبْلَةِ الْإِسْلَامِ الْأُولَىٰ، وَانْطِلَاقَةِ دَعْوَتِهِ الْكُبْرَىٰ، وَيَفْرَحُ وَيَغْتَبِطُ حِينَ يَرَىٰ صَفَاءَ الْعَقِيدَةِ، وَيَغْمُرُهُ السُّرُورُ، وَيَكْتَنِفُهُ الِاسْتِبْشَارُ وَالْـحُبُورُ، حِينَ يَجِدُ الرَّاحَةَ وَالْأَمْنَ، وَهُوَ يَحُجُّ وَيَعْتَمِرُ بِكُلِّ أَمَانٍ وَاطْمِئْنَانٍ، بَعْدَمَا كَانَتْ

---

(١) المأْرِز: الملجأ. يُنظر: «اللسان» (أرز).

(٢) المعقل: الملجأ والحِصْن. يُنظر: «اللسان» (عقل).

رِحْلَةُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ رِحْلَةً مَصِيرِيَّةً، تُمَثِّلُ حَيَاةً أَوْ مَوْتًا، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَلَقَدْ شَهِدَتِ الْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ أَحْقَابًا عِجَافًا[1]، وَأَتَىٰ عَلَيْهَا حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ تَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا إِلَّا بِالظُّلْمِ وَالنَّهْبِ، وَالْجَهْلِ وَالسَّلْبِ، وَشُيُوعِ الْقَتْلِ وَالْفَوْضَىٰ، حَيْثُ كَانَتْ مَسْرَحًا لِلْجَرَائِمِ، وَمَثَلًا فِي انْعِدَامِ الْأَمْنِ وَكَثْرَةِ الْمَخَاوِفِ، حَتَّىٰ:

ضَجَّ الْحَجِيجُ وَضَجَّ الْبَيْتُ وَالْحَرَمُ
وَاسْتَصْرَخَتْ رَبَّهَا فِي مَكَّةَ الْأُمَمُ[2]

حِينَ انْفَرَطَ عِقْدُهَا، وَذَهَبَتْ رِيحُهَا، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهَا أَعْدَاؤُهَا، وَلَمْ تَزَلْ فِي هَٰذَا الْوَضْعِ الْمُتَرَدِّي، حَتَّىٰ قَيَّضَ اللَّهُ لَهَا أَئِمَّةَ الدَّعْوَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ، فَعَانَقَ سُلْطَانُ الْحُكْمِ، سُلْطَانَ الْعِلْمِ، فِي زَمَنٍ كَثُرَ فِيهِ الْجَهْلُ وَالْخَوْفُ، وَعَمَّ فِيهِ التَّخَلُّفُ وَالِاضْطِرَابُ، وَوَهَنَتْ صِلَةُ النَّاسِ بِعَقِيدَتِهِمْ، وَانْعَدَمَ تَوَثُّقُهُمْ بِشَرِيعَتِهِمْ.

---

(١) العجف: الهزال وذهاب السمن، يُقال: بلاد عجفاء أي: غير ممطورة. يُنظر: «معجم مقاييس اللغة» (عجف). والمُراد: هُزال التَّدَيُّن.

(٢) البيت لأحمد شوقي، يُنْظَر: «ديوانه» (١/ ٢١١).

فَأَجْرَىٰ اللَّـهُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ، مِنَ الْـخَيْرِ لِلْبِلَادِ وَالْعِبَادِ، مَا يَشْهَدُ بِهِ الْـمُنْصِفُونَ، وَيَشْرَقُ بِهِ الْـحَاقِدُونَ، فَأُعْلِيَتْ رَايَةُ التَّوْحِيدِ، وَوُئِدَتِ الْـخُرَافَةُ، وَأُبْطِلَ التَّنْدِيدُ؛ **فَتْحًا مِنَ الْـمَجِيدِ، وَتَيْسِيرًا مِنَ الْعَزِيزِ الْـحَمِيدِ، حَتَّىٰ قَرَّتْ عُيُونُ الْـمُوَحِّدِينَ** بِانْتِشَارِهِ، وَرُسُوخِ أُصُولِهِ وَقَوَاعِدِهِ، وَإِشْعَاعِ نُورِ الْعِلْمِ، **وَكَشْفِ الشُّبُهَاتِ**، وَتَبَدُّدِ سُحُبِ الْـجَهَالَةِ، **وَاضْمِحْلَالِ مَسَائِلِ الْـجَاهِلِيَّةِ**، وَتَحْقِيقِ الْوَحْدَةِ وَالْأُخُوَّةِ، وَتَأْمِينِ السُّبُلِ، وَشُيُوعِ الْأَمْنِ وَالاطْمِئْنَانِ. وَأُنِيطَتْ أَمَانَةُ السَّفِينَةِ إِلَىٰ مَنْ يَقُودُهَا بِمَهَارَةٍ وَسْطَ الْأَمْوَاجِ الْـهَائِجَةِ، فَيُوَصِّلُهَا إِلَىٰ بَرِّ الْأَمَانِ، وَشَاطِئِ السَّلَامَةِ وَالنَّجَاةِ.

وَهَـٰذَا مِنْ مُقْتَضَيَاتِ الْإِمَامَةِ فِي هَـٰذَا الدِّينِ، وَلِلَّـهِ دَرُّ حَسَّانَ رضي الله عنه:

وَمَا الدِّينُ إِلَّا أَنْ تُقَامَ شَرَائِعٌ ... وَتُؤْمَنَ سُبُلٌ بَيْنَنَا وَهِضَابُ(١)

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَمِنْ أَفْضَالِ اللَّـهِ وَآلَائِهِ، وَتَمَامِ مَنِّهِ وَنَعْمَائِهِ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الْـجَزِيرَةِ - مَعَ مَا نَعِمَتْ بِهِ مِنَ الْيَقْظَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الْكُبْرَىٰ - أَنَّهَا تَمَيَّزَتْ بِخَصَائِصَ فَرِيدَةٍ، وَثَوَابِتَ عَتِيدَةٍ.

---

(١) يُنظر: «أم القرى» (ص٣٢).

أَهَمُّهَا: صَفَاءُ الْـمُعْتَقَدِ، فِي زَمَنٍ غَشِيَتْهُ غَاشِيَةٌ سَوْدَاءُ، فَأُلْبِسَ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ للَّـهِ نَسْجًا مِنَ الْـخُرَافَاتِ وَالِانْحِرَافَاتِ، وَعَبَثَتْ بِأَهْلِهِ الْأَوْهَامُ وَالْـخَيَالَاتُ، فَبَدَّلَ مُسْلِمُونَ آخَرُونَ، وَهَبَطُوا فِي هُوَّةٍ سَحِيقَةٍ مِنَ الظُّلْمِ وَالظُّلَمِ، فَعَاشَ الْعَالَمُ فِي جَوٍّ مُرْبَدٍّ، وَظُلْمَةٍ مُطْبَقَةٍ.

وَبَيْنَما الْعَالَمُ مُسْتَغْرِقٌ فِي هَجْعَتِهِ[1]، وَمُدْلِجٌ[2] فِي ظُلْمَتِهِ، إِذَا بِصَوْتِ الْإِمَامِ الْـمُصْلِحِ الشَّهِيرِ، وَالْـمُجَدِّدِ الْكَبِيرِ ـ نَوَّرَ اللَّـهُ مَثْوَاهُ، وَأَعْلَىٰ فِي الْـجَنَّةِ مَأْوَاهُ ـ يُدَوِّي مِنْ قِبَلِ الصَّحْرَاءِ؛ لِإِيقَاظِ الْأُمَّةِ مِنْ سُبَاتِهَا الْعَمِيقِ، حَتَّىٰ تَبَدَّتْ تَبَاشِيرُ فَجْرِ الْإِصْلَاحِ، وَسَطَعَتْ شَمْسُ الْـحَقِّ بَعْدَمَا كَانَتْ فِي أُفُولٍ، وَتَبَدَّدَتْ ظُلُمَاتُ الْـجَهَالَةِ بَعْدَمَا كَانَتْ فِي امْتِدَادٍ وَشُمُولٍ، فَحَمْدًا لَكَ اللَّهُمَّ حَمْدًا حَمْدًا، وَشُكْرًا لَكَ اللَّهُمَّ شُكْرًا شُكْرًا، لَكَ الْـحَمْدُ كُلُّ الْـحَمْدِ، لَا مَبْدَأَ لَهُ وَلَا مُنْتَهَىٰ، وَاللَّـهُ بِالْـحَمْدِ أَجْدَرُ.

كَانَتْ جَزِيرَتُنَا بِالْأَمْسِ عَارِيَةً وَالْيَوْمَ قَدْ لَبِسَتْ أَثْوَابَهَا الْقُشُبَا

لَقَدْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْـهَرْجِ مَا يُبْكِي تَفَاصِيلُهُ الْعُيُونَ، كَانَتْ مُمَزَّقَةً

---

(١) هَجْعَتُهُ: غفلته. يُنظر: «اللسان» (هجع).

(٢) سبق بيان معناها (ص٣٨).

الْأَطْرَافِ، قَاتِمَةَ الْأَوْصَافِ، فَالْخَيْرُ مُنْعَفِرٌ[1]، وَالْأَمْنُ مُنْدَثِرٌ، وَالرُّكْنُ مَهْدُودٌ! فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ ضَمِّ الشَّمْلِ شَامِخَةً، حِينَ اسْتَتَبَّ لَهَا بَعْثٌ وَتَجْدِيدٌ، فَالدَّارُ عَامِرَةٌ، وَالْأَرْضُ زَاهِرَةٌ، وَالسُّحْبُ مَاطِرَةٌ، وَالْأَمْنُ مُنْتَشِرٌ. فتَمَثَّلَتِ الْجزِيرَةُ بَعْدَ الدَّعْوَةِ الْإِصْلَاحِيَّةِ نَسِيجًا وَحْدَوِيًّا يَقِلُّ نَظِيرُهُ، نَجْدُهَا وَحِجَازُهَا وَجَنُوبُهَا وَالشَّمْأَلُ، فِي مَنْظُومَةٍ مُتَأَلِّقَةٍ مُتَّحِدَةٍ، بَعْدَمَا أَدَّىٰ الشِّقَاقُ فِي الْأُمَّةِ إِلَىٰ ضُمُورِ مَعَانِي الْوَحْدَةِ فِيهَا، فِي وَقْتٍ كَانَتْ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْكِيَانَاتِ تُعَانِي الْفُرْقَةَ فِي أَقْسَىٰ مَعَانِيهَا: فِي انْقِسَامَاتٍ عَصَبِيَّةٍ، وَمُشَاحَنَاتٍ إِقْلِيمِيَّةٍ. وَإِنَّ كُلَّ أُمَّةٍ تَعْتَنِقُ عَقِيدَةَ التَّوْحِيدِ، وَتَلْتَزِمُ شَرِيعَةَ اللَّهِ، لاَ يَحِقُّ لَهَا أَنْ تَجْعَلَ لِأَسْبَابِ الْفُرْقَةِ طَرِيقًا إِلَىٰ وَحْدَتِهَا؛ لِكَيْ تَنْطَلِقَ إِلَىٰ آفَاقِ الْبِنَاءِ، وَتَسْتَشْرِفَ آمَالَ الْمُسْتَقْبَلِ عَلَىٰ خُطًى ثَابِتَةٍ تَوَحُّدًا وَتَوْحِيدًا.

وَلَقَدْ كَانَتْ نَتِيجَةُ ذَلِكَ وَآثَارُه، أَمْنًا وَارِفَ الظِّلَالِ ـ بِحَمْدِ اللَّهِ ـ فِي عَالَمٍ ضَرَبَ الْخَوْفُ فِيهِ أَطْنَابَهُ، وَلَمْ يَعُدْ آمِنًا عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ، حَمْدًا لاَ كِفَاءَ لَهُ عَلَىٰ مَا أَنْعَمَ وَأَسْدَىٰ.

---

(١) الْمُنْعَفِرُ: مِنْ عَفَرَ الشيء في التراب يَعْفِرُهُ عَفْرًا، وعَفَّرَهُ تَعْفِيرًا، فَهُوَ مُنْعَفِرٌ، إذا مَرَّغَهُ في التراب أو دَسَّهُ فيه، والمُراد: خَفاؤه وغِيابه. يُنظر: «اللسان» (عفر).

أُمَّةَ الإِسْلَامِ ـ أَبْنَاءَ الْجَزِيرَةِ ـ: وَلَقَدْ كَانَ مِنَ الثَّوَابِتِ الْمُهِمَّةِ فِي هَٰذِهِ الْجَزِيرَةِ: تَحْكِيمُ الشَّرِيعَةِ، وَالتَّحَاكُمُ إِلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَلَا تَعَصُّبَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ، وَلَا جُمُودَ عَلَىٰ مَشْرَبٍ مِنَ الْمَشَارِبِ، مَعَ الْعِنَايَةِ بِالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ الإِسْلَامِيِّ، وَالتَّرْكِيزِ عَلَىٰ الْعُلُومِ وَالْمَنَاهِجِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَمِنْهَا: إِقَامَةُ الْوَحْدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَىٰ هَٰذَا الأَسَاسِ الْمَتِينِ، وَدَعْمُ التَّضَامُنِ الإِسْلَامِيِّ، وَإِعْزَازُ شَعِيرَةِ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَإِعْلَاءُ شَأْنِ الْحِسْبَةِ وَتَكْرِيمُ أَهْلِهَا، وَالعِنَايَةُ بِالْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي الْتِزَامِهَا بِحِجَابِهَا وَعَفَافِهَا وَحِشْمَتِهَا وَحَيَائِهَا، وَالْبُعْدِ عَنْ تَبَرُّجِهَا وَسُفُورِهَا وَاخْتِلَاطِهَا، فَنَالَتْ فَتَاةُ الْجَزِيرَةِ قَصَبَ السَّبْقِ فِي حَصَانَتِهَا وَصِيَانَتِهَا، وَسَلِمَتْ مِنَ الدَّعَوَاتِ الْمَأْفُونَةِ فِي تَحَرُّرِهَا مِنْ قِيَمِهَا، وَتَجَرُّدِهَا مِنْ مُثُلِهَا، بِدَعْوَىٰ الْحُرِّيَّةِ الْمَزْعُومَةِ، وَالتَّقَدُّمِيَّةِ الزَّائِفَةِ.

وَمِنْهَا: تَبَنِّي قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ الْكُبْرَىٰ، وَيَأْتِي فِي مُقَدِّمَتِهَا قَضِيَّةُ أُولَىٰ الْقِبْلَتَيْنِ وَثَالِثِ الْمَسْجِدَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَمَسْرَىٰ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ ﷺ، الَّذِي يَمُرُّ الْيَوْمَ بِمَرْحَلَةٍ خَطِيرَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ، أَقَرَّ اللَّهُ الأَعْيُنَ بِفَكِّ أَسْرِهِ وَقُرْبِ تَحْرِيرِهِ.

وَمِنْهَا: دَعْمُ قَضَايَا الْأَقَلِّيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي شَتَّىٰ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

يُقَالُ ذَلِكَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - تَذْكِيرًا بِالنِّعَمِ؛ لِيُشْكَرَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ - سُبْحَانَهُ - وَتَأْكِيدًا عَلَىٰ الثَّوَابِتِ الْمَتِينَةِ؛ حَتَّىٰ يَتَذَكَّرَهَا الْجِيلُ الْيَوْمَ، الَّذِي يُخْشَىٰ أَنْ يَنْخَدِعَ بِبَرِيقِ الْمَدَنِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، وَإِهَابَةً بِالْأُمَّةِ لِلتَّذَكُّرِ وَالِاتِّعَاظِ وَالِاعْتِبَارِ، وَلَيْسَ هَٰذَا الْقَوْلُ لِأَحَدٍ ثَنَاءً وَمَدْحًا، وَلَا لِغَيْرِهِ ذَمًّا وَقَدْحًا، وَلَكِنَّهُ لِلْحَقِيقَةِ وَالتَّأْرِيخِ.

أَلَا فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ أَهْلُ الْجَزِيرَةِ: قَادَةً وَعُلَمَاءَ، شَبَابًا وَشِيبًا، رِجَالًا وَنِسَاءً، فَيَلْتَزِمُوا نَهْجَ السَّلَفِ لِيَكُونُوا خَيْرَ خَلَفٍ، تَمَسُّكًا بِالْأَصَالَةِ، وَحُسْنَ تَعَامُلٍ مَعَ الْمُتَغَيِّرَاتِ الْمُعَاصِرَةِ عَلَىٰ ضَوْءِ مَنْهَجِ الْوَسَطِيَّةِ وَالِاعْتِدَالِ، بَعِيدًا عَنِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَالِانْبِهَارِ وَالِانْهِزَامِيَّةِ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْمَنْهَجِ، وَالْفِكْرِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَالتَّعْلِيمِ وَالْإِعْلَامِ، وَفِي كُلِّ مَجَالٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: وَلَقَدْ دَأَبَ الْخُصُومُ عَلَىٰ رَفْعِ عَقِيرَتِهِمْ(١)

---

(١) سبق بيان معناها (ص٩٩).

عِنْدَ تَجَدُّدِ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَتَبَدُّدِ كُلِّ نِقْمَةٍ، والفَتْلِ فِي الذِّرْوَةِ وَالغَارِبِ[1]، فَشَنُّوا الْحَمَلَاتِ الْمُغْرِضَةَ، وَبَثُّوا الدِّعَايَاتِ وَالْوِشَايَاتِ الْكَاذِبَةَ، ضِدَّ هَٰذِهِ الْجَزِيرَةِ وَدَعْوَتِهَا الْإِصْلَاحِيَّةِ، فَادَّعَوْهَا مَذْهَبًا خَامِسًا، وَخُرُوجًا عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَائِلُ، بِدَعْوَىٰ الْوَهَّابِيَّةِ أَوْ إِلْصَاقِ تُهْمَةِ الْإِرْهَابِ بِهَا، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، عَلَىٰ حَدِّ قَوْلِ الْأَوَّلِ:

إِنَّ بَنِيَّ زَمَّلُونِي بِالدَّمِ ... شِنْشِنَةٌ[2] أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ[3]

يُرَدِّدُهَا بَعْضُ مِنْ أَرْخَىٰ زِمَامَ نَفْسِهِ لِخَصْمِهِ، وَأَعَارَ عَقْلَهُ لِغَيْرِهِ جَهْلاً أَوْ إِعْرَاضًا، دُونَ رَوِيَّةٍ وَتَثَبُّتٍ، وَاطِّلَاعٍ وَنَظَرٍ وَتَبَيُّنٍ.

وَشَأْنُ الْمُسْلِمِ الْحَصِيفِ[4] الْوَاعِي، أَنْ يَنْظُرَ بِمِيزَانِ النَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَالْعَقْلِ الصَّرِيحِ، كَمَا أَنَّ عَلَيْنَا جَمِيعًا - يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ - الْحَذَرَ مِنْ كُلِّ دَعْوَةٍ تُخَالِفُ ثَوَابِتَنَا وَمَنْهَجَنَا الصَّحِيحَ، وَإِنْ تَزَيَّتْ بِبَهْرَجِ الْقَوْلِ، وَتَنْمِيقِ الْقَوَالِبِ وَالْأَسَالِيبِ، فَاللَّهَ اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي الثَّبَاتِ

---

(١) فتَلَ فِي الذِّرْوَةِ وَالغَارِبِ: من الأمثال العربية. يُنظر: «جمهرة الأمثال» (٢/ ٩٨)، «مجمع الأمثال» (٢/ ٦٩).

(٢) سبق بيان معناها (ص١٠٠).

(٣) راجع (ص١٠٠).

(٤) سبق بيان معناها (ص٣٧٨).

عَلَىٰ عَقِيدَتِنَا وَدِينِنَا!! واللَّجأَ اللَّجأَ إِلَىٰ التَّوسُّطِ وَالاِعْتِدَالِ، وَالْمُحافَظَةِ عَلَىٰ مُكْتَسَبَاتِ حَضَارَتِنَا، وَإِنْجازَاتِ جَزِيرَتِنَا!! لَا إِشادَةً بِأَمْجَادِ الْمَاضِي فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا اسْتِمْسَاكٌ وَعَزَمَاتٌ، وَعَمَلٌ وَجِدٌّ وَثَبَاتٌ؛ لِلنُّهُوضِ وَالشُّمُوخِ لِبِنَاءِ صَرْحٍ لَا كَالصُّرُوحِ، وَحَضَارَةٍ لَا كَالْحَضَارَاتِ، فَيَبْنِي الْأَبْنَاءُ وَالْأَحْفَادُ، كَمَا بَنَىٰ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ، وَيَفْعَلُونَ مِثْلَ مَا فَعَلُوا.

وَلَعَلَّ فِي هَٰذَا اسْتِنْهَاضًا لِهِمَمِ أَبْنَاءِ الْجَزِيرَةِ، أَنْ يَكُونُوا مَعَ عِظَمِ هَٰذَا التَّشْرِيفِ، عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الثِّقَةِ وَالتَّكْلِيفِ، سَائِرِينَ عَلَىٰ دَرْبِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، تَحْتَ رَايَةِ التَّوْحِيدِ، وَعَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، لاَ تَتَوَازَعُهُمُ الْفِرَقُ وَالْأَهْوَاءُ، وَلاَ تُفَرِّقُهُمُ الْجَمَاعَاتُ وَالْأَحْزَابُ، مُحْيِينَ لِمَا انْدَرَسَ مِنْ مَعَالِمِ هَٰذَا الدِّينِ، وَالتَبَسَ مِنْ مَفَاهِيمِهِ. مُحَاذِرِينَ كُلَّ شَائِعَةٍ وَتَشْوِيشٍ، مُجَانِبِينَ كُلَّ ذَائِعَةٍ وَتَهْوِيشٍ، مُبْقِينَ حَقَّ الاِمْتِيَازِ فِي هَٰذِهِ الْجَزِيرَةِ عَلَىٰ ضَوْءِ هَٰذِهِ الشَّرِيعَةِ، دُونَ تَقْلِيدٍ دَامِسٍ، لاَ يَرُدُّ يَدَ لاَمِسٍ. وَأَنْ يَكُونَ دَوْرُهُمْ - مَعَ حِرَاسَةِ الْعَقِيدَةِ وَالشَّرِيعَةِ - الْإِفَادَةَ مِنْ مُنْجَزَاتِ الْحَضَارَةِ الْمُعَاصِرَةِ فِي شَتَّىٰ الْمَجَالَاتِ، أَصَالَةً وَتَجْدِيدًا، لاَ تَبَعِيَّةً وَتَقْلِيدًا.

وَبِنَاءً عَلَيْهِ، فَلاَبُدَّ مِنْ بَعْثِ رُوحِ التَّفَاؤُلِ وَالْأَمَلِ، وَالْجِدِّ وَالْعَمَلِ، لِبِنَاءِ حَيَاةٍ سَعِيدَةٍ، تَجْمَعُ بَيْنَ الْأَصَالَةِ وَالْمُعَاصَرَةِ فِي هَٰذِهِ الْجَزِيرَةِ، عَلَىٰ يَدِ أَبْنَائِهَا الْفُضَلَاءِ، وَرِجَالِهَا الشُّرَفَاءِ النُّبَلَاءِ، تَأْثِيرًا لاَ تَأَثُّرًا.

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ: وَمَعَ كُلِّ مَا حَبَا اللَّهُ مَهْدَ الْإِسْلَامِ وَمَأْرِزَ[1] الإِيمَانِ مِنَ الْمَزَايَا وَالْخَصَائِصِ، فَإِنَّ الْمُتَقَرِّرَ لَدَىٰ النَّصَفَةِ: أَنَّ الْكَمَالَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّ الْعِصْمَةَ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، سِوَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ فِيمَا يُبَلِّغُونَ مِنْ شَرْعِهِ، وَالْمُوَفَّقُ الْمُلْهَمُ، مَنْ سُخِّرَ فِي الْخَيْرِ مِفْتَاحًا، وَلِلشَّرِّ مِغْلَاقًا، فَحَرِصَ عَلَىٰ إِبْرَازِ هَٰذِهِ الْمَزَايَا؛ حَمِيَّةً لِلدِّينِ لَيْسَ إِلَّا، وَسَعَىٰ فِي تَحْقِيقِ الضَّمَانَاتِ؛ لِلْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا فِي عَالَمٍ يَمُوجُ بِالتَّحَدِّيَاتِ.

رَفْعًا لِرَايَةِ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ، بِالأَسَالِيبِ الشَّرْعِيَّةِ، وَسَدًّا لِهَٰذَا الزَّحْفِ الْمَهُولِ، وَالْأَمْوَاجِ الْعَاتِيَةِ؛ لِصَدِّهَا عَنْ هَٰذِهِ الْجَزِيرَةِ وَأَهْلِهَا، حَتَّىٰ لَا تُهَيَّأَ الْأَجْوَاءُ لِاسْتِقْبَالِ التَّيَّارَاتِ الْوَافِدَةِ الْمَحْمُومَةِ، أَوِ الْأَفْكَارِ الْمُنْحَرِفَةِ، وَالثَّقَافَاتِ الْمَسْمُومَةِ، فِي شَتَّىٰ الْمَجَالَاتِ. وَكَانَ اللَّهُ لِلْمُخْلِصِينَ لِدِينِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ، مُعِينًا وَنَصِيرًا، إِنَّهُ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟

(١) سبق بيان معناها (ص٦١٧).

بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ مِنْ كُلِّ الذُّنُوبِ وَالْخَطِيئَاتِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا.

الخُطبةُ الثانيةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ شَرَحَ صُدُورَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ بِالْهُدَىٰ، وَنَكَتَ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْغَيِّ فَلَا تَعِي الْحِكْمَةَ أَبَدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهًا وَاحِدًا أَحَدًا، فَرْدًا صَمَدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيبَنَا وَقُدْوَتَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُه، أَكْرِمْ بِهِ عَبْدًا وَسَيِّدًا، وَأَعْظِمْ بِهِ أَصْلاً وَمَحْتِدًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً وَسَلَامًا تَامَّيْنِ دَائِمَيْنِ، إِلَىٰ أَنْ يُبْعَثَ النَّاسُ غَدًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَىٰ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَإِنَّهَا الْعُدَّةُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالذَّخِيرَةُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: وَمَعَ كُلِّ مَا ذُكِرَ مِنَ الْخَصَائِصِ وَالْمَزَايَا لِهَٰذِهِ الْجَزِيرَةِ، فَهِيَ لَيْسَتْ دَعْوَةً إِقْلِيمِيَّةً، وَإِنَّمَا هِيَ دَعْوَةٌ عَالَمِيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ الْعَالَمِيَّةِ الْحَقَّةِ، وَهُوَ قَدَرُ اللَّهِ فِي هَٰذِهِ الْجَزِيرَةِ، بَلْ فَخْرُهَا وَشَرَفُهَا، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء]، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَمَا مَوْقِعُ هَٰذِهِ الْجَزِيرَةِ مِنَ الْعَالَمِ، إِلَّا مَوْقِعُ الْقِبلَةِ مِنَ الْمُصَلِّي، وَالتَّاجِ مِنَ الْحُلَّةِ، وَالغُرَّةِ مِنَ التَّحْجِيلِ. وَقُولُوا لِي بِرَبِّكُمْ مَنِ الَّذِي لَا يَرْسُمُ قُبْلَتَهُ عَلَىٰ قِبْلَتِهِ، وَلاَ يَهِيمُ بِحُبِّ عَرَصَاتِ[1] الشَّعَائِرِ، وَمُقَدَّسَاتِ الْمَشَاعِرِ[2]، وَأَمَاكِنِ الْمَنَاسِكِ وَالْعِبَادَةِ، وَمَثْوَىٰ خَاتَمِ النُّبُوَّاتِ، وَمُنْطَلَقِ أَشْرَفِ الرِّسَالاتِ؟!

وَاللَّبِيبُ الْمُنْصِفُ ـ الَّذِي لَمْ تُعْشِ نُورَ بَصَرِهِ وَبَصِيرَتِهِ رَوَاسِبُ الْغِلِّ وَالشَّحْنَاءِ، وَالْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ ـ يُدْرِكُ أَنَّ هَٰذِهِ الْحَقِيقَةَ مَعْلَمٌ مِنْ مَعَالِمِ هَٰذِهِ الشَّرِيعَةِ، وَمَلْمَحٌ مُهِمٌّ مِنْ مَلَامِحِ هَٰذِهِ الْمِلَّةِ، يَنْبَغِي أَنْ يُرْوَىٰ فَلَا يُطْوَىٰ، وَيُظْهَرَ فَلَا يُغْمَرَ، وَيُبَانَ فَلاَ يُطْمَرَ.

فَلِهَٰذِهِ الْجَزِيرَةِ الْغَرَّاءِ، وَرِجَالَاتِهَا عَبْرَ التَّأْرِيخِ، الإِسْهَامُ الْبَنَّاءُ فِي الْمَجَالَاتِ الدَّعَوِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ، وَالْمَنَاشِطِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كَثِيرٍ مِنْ بِقَاعِ الْعَالَمِ، وَلَا غَرْوَ! فَهَٰذَا مِنْ صَمِيمِ ثَوَابِتِهَا، وَأَهَمِّ أَهْدَافِهَا وَمُنْطَلَقَاتِهَا، وَأَشْهَرِ إِنْجَازَاتِهَا وَمُكْتَسَبَاتِهَا، فِي مَنْهَجٍ فَرِيدٍ، يُعْلِي رَايَةَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ

---

(١) العَرَصَاتُ: جمع عرصة، وهي: كل موضع واسع لا بناء فيه، والمُراد: بِقَاعُ المَنَاسك والمشَاعر. يُنظر: «اللسان» (عرص).

(٢) المشَاعِرُ: مواضع المناسك. يُنظر: «اللسان» (شعر).

وَالْـخَيْرِ لِلْإِنْـسَانِيَّةِ، وَيَنْـأَىٰ بِهَا عَـنْ مَـوَاطِنِ الـشَّرِّ وَالْعُنْـفِ وَالْإِرْهَـابِ وَالْفَـوْضَىٰ، جَعَلَـهُ اللَّـهُ خَالِـصًا لِوَجْهِـهِ الْكَـرِيمِ، وَضَـاعَفَ مَثُوبَتَهَـا، وَزَادَهَـا مِـنَ الْـخَيْرِ وَالتَّوْفِـيقِ، وَحَفِظَهَـا مِـنْ كَيْـدِ الْكَائِـدِينَ وَحِقْـدِ الْـحَاقِدِينَ، وَعُدْوانِ الْـمُعْتَدِينَ.

أَلَا فَلْتَسْلَمْ جَزِيرَتُنَا الشَّمَّاءُ[1]، وَلْتَهْنَأْ رُبُوعُنَا الْغَنَّاءُ، وَلْتَبْقَ عَبْرَ الْأَعْصَارِ: دُرَّةَ الْأَمْصَارِ، وَوَاحَةَ أَمْنٍ وَأَمَانٍ، وَمُنْطَلَقَ خَيْرٍ وَسَلَامٍ لِلْبَشَرِيَّةِ كَافَّةً، وَلْتَدُمْ حَارِسَةً لِلْعَقِيدَةِ، ذَائِدَةً[2] عَنِ الشَّرِيعَةِ، سَاعِيَةً لِكُلِّ خَيْرٍ وَصَلَاحٍ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، بَلْ لِلْإِنْسَانِيَّةِ جَمِيعًا، وَشَاهَتْ وُجُوهُ الْخُصُومِ الْمُتَرَبِّصِينَ، وَرَغِمَتْ أُنُوفُ[3] الْحَاقِدِينَ الْحَاسِدِينَ

وَإِنْ رَغِمَتْ أُنُوفٌ مِنْ أُنَاسٍ   فَقُلْ يَا رَبِّ لَا تُرْغِمْ سِوَاهَا[4]

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٣٣).

(٢) ذَائِدَة: مُدافِعة عَنْ الحَوْزَةِ وَالحُرْمَةِ. يُنظر: «اللسان» (ذود).

(٣) رَغِمَتْ أُنُوفُ: أي ألصقت بالرغام، وهو: التراب اللين، دلالة على الذل. يُنظر: «اللسان»، و«تاج العروس» (رغم).

(٤) يُنظر: « إعلام الموقعين» (٤/ ٢٠٨).

﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف].

هَـٰذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا -رَحِمَكُمُ اللَّـهُ- عَلَىٰ النَّبِيِّ الْـمُجْتَبَىٰ، وَالرَّسُولِ الْـمُصْطَفَىٰ، خَيْرِ الْوَرَىٰ طُرًّا، وَأَتْقَاهُمْ لِرَبِّهِ جَهْرًا وَسِرًّا، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ -جَلَّ وَعَلَا- فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

الخطبة الأولى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَالِمِ السِّرِّ وَالنَّجْوَىٰ، أَحْمَدُ رَبِّي وَأَشْكُرُهُ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، جَلَّ شَأْنُكَ، وَعَزَّ سُلْطَانُكَ، سُبْحَانَكَ لاَ يُخْلَفُ وَعْدُكَ، وَلاَ يُهْزَمُ جُنْدُكَ، وَأَنْتَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَىٰ!! وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَـٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، خَلَقَ فَسَوَّىٰ، وَقَدَّرَ فَهَدَىٰ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتُ الْعُلَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، الْحَبِيبُ الْمُصْطَفَىٰ، وَالرَّسُولُ الْمُجْتَبَىٰ، وَالنَّبِيُّ الْمُرْتَضَىٰ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ الشُّرَفَاءِ، وَصَحْبِهِ الْأَوْفِيَاءِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَىٰ، مَا صُبْحٌ بَدَا، وَلَيْلٌ سَجَىٰ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَكَفَىٰ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ بِتَقْوَىٰ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَإِنَّهَا أَوْثَقُ الْعُرَىٰ، وَبِهَا تَتَحَقَّقُ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا، وَالْفَوْزُ فِي الْأُخْرَىٰ، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: صِنَاعَةُ الْأَمْجَادِ، وَبَقَاءُ الْأُمَمِ، يَكْمُنُ فِي خُلُودِ

الْـحَضَارَاتِ، وَسِرُّ بَقَاءِ أَمْجَادِ الشُّعُوبِ، وَخُلُودِ حَضَارَاتِ الْأُمَمِ، يَكْمُنُ فِي مَجْمُوعَةِ عَنَاصِرَ رَئِيسَةٍ، يَأْتِي فِي طَلِيعَتِهَا: عَقِيدَةٌ إِيمَانِيَّةٌ، وَمُثُلٌ وَقِيَمٌ أَخْلَاقِيَّةٌ.

وَالْـمُتَأَمِّلُ فِي تَأْرِيخِ الْـحَضَارَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، يَجِدُ أَنَّهَا تَعِيشُ تَقَلُّبَاتٍ شَتَّىٰ: بَيْنَ ازْدِهَارٍ وَانْحِدَارٍ، وَقِيَامٍ وَانْهِيَارٍ، بَلْ لَعَلَّ بَعْضَهَا كُتِبَ لَهُ الاِضْمِحْلَالُ وَالدَّمَارُ؛ لِفَقْدِهِ عَنَاصِرَ الْبَقَاءِ وَالِاسْتِمْرَارِ.

وَأَنْبَلُ حَضَارَةٍ وأزْهَاهَا، عَرَفَهَا التَّأْرِيخُ الْبَشَرِيُّ، هِيَ حَضَارَتُنَا الإِسْلَامِيَّةُ، فَمَا الْـحَضَارَةُ الْغَرْبِيَّةُ الْيَوْمَ إِلاَّ نِتَاجُ اتِّصَالِهَا بِحَضَارَتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا، بَيْدَ أَنَّ سَبَبَ إِفْلَاسِهَا الرُّوحِيِّ، اعْتِمَادُهَا عَلَىٰ النَّظْرَةِ الْـمَادِّيَّةِ الصِّرْفَةِ، فِي مَنْأَىٰ عَنِ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ، مِمَّا كَانَ سَبَبًا فِي شَقَاءِ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَمَا كَثْرَةُ حَوَادِثِ الِانْتِحَارِ، وَالِاضْطِرَابَاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَالِانْحِرَافَاتِ الْـخُلُقِيَّةِ، إِلَّا انْحِدَارٌ سَحِيقٌ، وَتَرَدٍّ عَمِيقٌ فِي هُوَّةٍ فَنَائِيَّةٍ كُبْرَىٰ، يَتَنَادَىٰ جَرَّاءَهَا الْعُقَلَاءُ؛ لِاسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾[سبأ].

مَعَاشِرَ الْـمُسْلِمِينَ: تَعَرَّتِ الْـحَضَارَةُ الْغَرْبِيَّةُ، وَاهْتَزَّتْ مِصْدَاقِيَّتُهَا فِي الِاضْطِلَاعِ بِالْـمُؤَهِّلَاتِ الَّتِي تُؤَهِّلُهَا لِقِيَادَةِ الْعَالَمِ نَحْوَ إِسْعَادِ الْإِنْسَانِ، وَتَحْقِيقِ اسْتِقْرَارِهِ، وَضَمَانِ حُقُوقِهِ، وَرِعَايَةِ مُثُلِهِ

الْإِنْسَانِيَّةِ الرَّفِيعَةِ، وَقِيَمِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْعُلْيَا؛ لِيَحْصُلَ لَهُ الْأَمْنُ الْمَنْشُودُ، وَالْحَيَاةُ الْكَرِيمَةُ الْمُبْتَغَاةُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَنْ يَكْفُلُ النُّهُوضَ بِالْمَشْرُوعِ الْحَضَارِيِّ الْعَالَمِيِّ، إِلَّا أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، هِيَ: أُمَّةُ الشَّهَادَةِ عَلَى النَّاسِ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أُمَّةُ الرَّحْمَةِ لِلْعَالَمِينَ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء]، أُمَّةُ الْخَيْرِيَّةِ عَلَى الْعَالَمِ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، أُمَّةُ التَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج].

وَلَا غَرْوَ - **يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ!** - فَسَلَفُنَا هُمْ بُنَاةُ صَرْحِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَحَمَلَةُ مِشْعَلِ الْهِدَايَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَرَافِعُو لِوَاءِ السَّعَادَةِ لِعُمُومِ الْبَشَرِيَّةِ، وَذَلِكَ تَاجٌ مُتَأَلِّقٌ، وَعَطَاءٌ مُتَدَفِّقٌ، وَنُورٌ مَتَلَأْلِئٌ فِي جَبِينِ أُمَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لِمُمَيِّزَاتٍ حَضَارِيَّةٍ، وَخُصُوصِيَّةٍ دِينِيَّةٍ، لَمْ يَشْرُفْ بِهَا إِلَّا مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولًا.

إِخْـوَةَ الْعَقِيـدَةِ: وَأَوَّلُ هَـٰذِهِ الْـمُمَيِّزَاتِ الْـحَضَارِيَّةِ، وَرَكِيزَتُهَـا السَّـنِيَّةُ: عَقِيـدَةُ التَّوْحِيـدِ الْـخَالِـصَةِ، عَقِيـدَةٌ تَحُثُّ عَـلَىٰ الْعِلْـمِ، وَتَحْتَرِمُ الْعَقْلَ، وَتَرْعَىٰ الْـخَلْقَ، وَتَسْعَىٰ إِلَىٰ تَحْقِيقِ الْـمَصَالِحِ وَدَرْءِ الْـمَفَاسِدِ، وَرِعَايَةِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ، فِي حِفْظِ دِينِهِ وَنَفْسِهِ وَعَقْلِهِ وَمَالِهِ وَعِرْضِهِ، وَتُرَبِّي الضَّمِيرَ، وَتُزَكِّي الـرُّوحَ الْإِيجَابِيَّةَ الْبَنَّاءَةَ، وَتَحُضُّ عَلَىٰ التَّوَسُّطِ وَالِاعْتِدَالِ، وَالرِّفْقِ وَالْيُسْرِ، وَالتَّوَازُنِ وَالْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ.

وَمَهْمَا قَالَ الْـمُتَحَدِّثُونَ عَنْهَـا، فَقَـدْ قَـالَ الْـحَقُّ ـ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَىٰ ـ:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام]، وَإِنَّ أَحَدًا مِنَ الْـمُنْصِفِينَ، لَا يُنْكِرُ أَنَّهُ لَمْ يَشْهَدِ الْعَالَمُ حَضَارَةً أَكْثَرَ مِنْهَا رَحْمَةً بِالْـخَلْقِ، وَسُمُوًّا فِي الْـخُلُقِ، وَعَدَالَـةً فِي الْـحُكْمِ، وَنَزَاهَـةً شَفِيفَةً فِي الْمَقْصِدِ عَـلَىٰ مَرِّ الـدُّهُورِ، وَكَـرِّ الْعُصُورِ، وَإِنْ سَـقَطَتِ الْـحَضَارَةُ الْـمَوْهُومَةُ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الْـمَادِّيَّةِ، وَعَانَـتْ مِـنَ الْأَزَمَـاتِ الْأَخْلَاقِيَّـةِ؛ حَتَّـىٰ غَرِقَـتْ فِي أَوْحَـالِ التَّمَـزُّقِ وَالـضَّيَاعِ، فَـإِنَّ أُمَّتَنَـا الْإِسْـلَامِيَّةَ هِـيَ الْـجَدِيرَةُ بِإِمْسَاكِ زِمَامِ الْقِيَادَةِ، وَامْتِطَـاءِ صَـهْوَةِ السِّـيَادَةِ وَالرِّيَـادَةِ عَـلَىٰ الْعَـالَمِ، وَحِينَهَـا فَلَـنْ تَتَّخِـذَ مِـنَ التَّقَـدُّمِ الْـحَضَارِيِّ أَدَاةً لِاسْـتِغْلَالِ الـشُّعُوبِ، وَاسْـتِنْزَافِ خَيْرَاتِهَـا،

وَإِهْدَارِ كَرَامَتِهَا، وَلَنْ تَتَّخِذَ مِنَ الِاكْتِشَافَاتِ وَالِاخْتِرَاعَاتِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْإِلْحَادِ، وَدَعْمِ الْإِرْهَابِ، وَلَنْ تَتَّخِذَ مِنَ الْآلَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالتِّقَانَاتِ الْحَرْبِيَّةِ ذَرِيعَةً إِلَىٰ تَهْدِيدِ أَمْنِ الدُّوَلِ أَوِ الشُّعُوبِ، وَلَنْ تُفْسِحَ لِلْعَمَلِيَّاتِ الْهَمَجِيَّةِ، وَالْوَحْشِيَّةِ وَالْبَرْبَرِيَّةِ، وَلَنْ تُسَخِّرَ وَسَائِلَ الْإِعْلَامِ لِتَضْلِيلِ الرَّأْيِ الْعَامِّ، وَالشَّارِعِ الْعَالَمِيِّ، وَالْمُحِيطِ الدُّوَلِيِّ، وَتِلْكَ أَعْبَاءُ حَمْلِ الرِّسَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؛ لِإِنْقَاذِ الْبَشَرِيَّةِ، وَإِسْعَادِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَتَخَبَّطُ الْيَوْمَ فِي أَنْفَاقٍ مُظْلِمَةٍ مِنَ الظُّلْمِ وَالشَّقَاءِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: وَلَقَدْ تَرَكَتْ حَضَارَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ آثَارًا خَالِدَةً فِي مُخْتَلَفِ النَّوَاحِي الْعِلْمِيَّةِ، وَالْخُلُقِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَحَقَّقَتْ دَوْرًا عَظِيمًا فِي تَأْرِيخِ تَقَدُّمِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَخَلَّفَتْ آثَارًا بَعِيدَةَ الْمَدَىٰ، قَوِيَّةَ التَّأْثِيرِ فِيمَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ الْحَضَارَةُ الْحَدِيثَةُ، وَلَيْسَ هَٰذَا مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي شَيْءٍ، وَلَا ضَرْبًا مِنَ التَّفَاخُرِ - إِنْ صَحَّ التَّفَاخُرُ- وَالِادِّعَاءِ الْمَذْمُومِ، بَلْ سَجَّلَ ذَلِكَ التَّأْرِيخُ النَّاصِعُ بِأَحْرُفٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَمِدَادٍ مِنْ نُورٍ.

وَإِلَيْكَ أَيُّهَا الْمُنْصِفُ بَعْضَ الشَّوَاهِدِ، وَالنَّمَاذِجِ الْحَيَّةِ مِنْ تَأْرِيخِ حَضَارَتِنَا، الْمُشْرِقِ الْوَضَّاءِ، الَّذِي يَنْضَحُ عَدْلًا وَرَحْمَةً وَإِنْصَافًا حَتَّىٰ مَعَ الْمُخَالِفِ، وَاسْمَعْ وَقَارِنْ، فَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ. فَفِي نَزْعَةِ حَضَارَتِنَا الْإِنْسَانِيَّةِ، يُعْلِنُ الْإِسْلَامُ الْمَبْدَأَ الْإِنْسَانِيَّ الْخَالِدَ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ [الحجرات: ١٣]، لِيَنْقُلَ الْإِنْسَانِيَّةَ مِنْ أَجْوَاءِ الْحِقْدِ وَالْكَرَاهِيَةِ، وَالْعَصَبِيَّةِ وَالتَّفْرِقَةِ، وَالتَّمْيِيزِ الْعُنْصُرِيِّ، إِلَىٰ الْمُسَاوَاةِ وَالتَّعَاوُنِ، الَّذِي لاَ أَثَرَ فِيهِ لِاسْتِعْلَاءٍ عِرْقِيٍّ أَوْ عُنْصُرِيٍّ.

وَيَتَجَلَّىٰ ذَلِكَ فِي مَبَادِئِ حَضَارَتِنَا وَتَشْرِيعَاتِهَا وَوَاقِعِهَا، وَقَدْ زَخَرَتْ كُتُبُ السِّيَرِ وَالتَّأْرِيخِ بِوَقَائِعَ كَثِيرَةٍ، فَهَٰذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ ﷺ يَرَىٰ فِي السُّوقِ شَيْخًا كَبِيرًا يَسْأَلُ الصَّدَقَةَ، وَكَانَ يَهُودِيًّا مِنْ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ، فَيَسْأَلُهُ ﷺ عَنْ حَالِهِ، وَإِذَا بِعُمَرَ الْمُسْلِمِ الْإِنْسَانِيِّ، الْمُلْهَمِ يَقُولُ لَهُ: «**مَا أَنْصَفْنَاكَ إِذْ أَخَذْنَا مِنْكَ الْجِزْيَةَ فِي شَبِيبَتِكَ، ثُمَّ ضَيَّعْنَاكَ شَيْخًا**»، وَأَخَذَ بِيَدِهِ إِلَىٰ بَيْتِهِ، فَقَدَّمَ لَهُ مِنْ طَعَامِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ خَازِنِ بَيْتِ الْمَالِ، أَنِ افْرِضْ لَهُ، وَلِأَمْثَالِهِ، مَا يُغْنِيهِ، وَيُغْنِي عِيَالَهُ(١).

اللَّهُ أَكْبَرُ! هَٰذَا - لَعَمْرُ الْحَقِّ - مِنْ شَوَاهِدِ الرَّوْعَةِ الْحَضَارِيَّةِ، فِي تَأْرِيخِ أُمَّتِنَا الْمَجِيدِ.

---

(١) يُنظر: «الأموال» لأبي عبيدة (١/ ٥٧)، و«الخراج»، لأبي يوسف (ص١٣٥)، و«أحكام أهل الذمة» (١/ ١٤٤).

مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ: وَفِي مَجَالِ النَّظْرَةِ إِلَىٰ الْمُخَالِفِ، أَعْلَنَتْ حَضَارَتُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ مَبْدَأَ الْإِنْصَافِ، وَحُسْنَ التَّعَامُلِ، وَالدَّعْوَةَ إِلَىٰ اللَّهِ بِالْحُسْنَىٰ، مُؤَكِّدَةً الْإِيمَانَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، مَعَ الْحِرْصِ عَلَىٰ مَبْدَإِ الْحِوَارِ وَالْإِقْنَاعِ ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٩٩﴾ [يونس]، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، مَعَ التَّأْكِيدِ عَلَىٰ الْأَخْذِ بِقَاعِدَةِ سَدِّ الذَّرَائِعِ، فِي عَدَمِ سَبِّ آلِهَتِهِمْ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُمْ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا، وَالْحِرْصِ عَلَىٰ الْمُنَاصَحَةِ بِالْمَعْرُوفِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَكَرِيمِ الْمُعَامَلَةِ.

فَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ الْإِسْلَامِ ﷺ جِيرَانٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَكَانَ يَزُورُهُمْ، وَيَتَعَاهَدُهُمْ بِبِرِّهِ، وَيَقْبَلُ هَدَايَاهُمْ.

وَمَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رضي الله عنه لِأَهْلِ إِيلِيَا[1] وَإِعْطَاؤُهُمُ الْأَمَانَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَمَاكِنِ عِبَادَاتِهِمْ، وَإِجَابَتُهُمْ لِاشْتِرَاطِهِمْ أَلَّا يُسَاكِنَهُمْ فِيهَا يَهُودِيٌّ، إِلَّا نَمُوذَجٌ رَائِعٌ يَحْمِلُ مَغْزًا عَمِيقًا فِي آثَارِ

---

(١) يُنظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٤٤٩)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٥٥).

حَضَارَتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، مِمَّا دَعَا كَثِيرًا مِنْ مُنْصِفِيهِمْ إِلَىٰ الِاعْتِرَافِ بِأَنَّ الْأُمَمَ لَمْ تَعْرِفْ فَاتِحِينَ رَاحِمِينَ مُتَسَامِحِينَ، مِثْلَ الْعَرَبِ، وَلَا دِينًا سَمْحًا مِثْلَ دِينِنَا، «**وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ**»(١).

أُمَّةُ الْإِسْلَامِ: وَثَمَّةَ جَانِبٌ مُشْرِقٌ فِي حَضَارَتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، أَلَا وَهُوَ جَانِبُ أَخْلَاقِنَا الْحَرْبِيَّةِ، فَقَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ حَضَارَتِنَا وَالْعَالَمُ كُلُّهُ تَحْكُمُهُ شَرِيعَةُ الْغَابِ، وَغَطْرَسَةُ الِاحْتِرَابِ، حَتَّىٰ تَرَدَّىٰ إِلَىٰ عَالَمِ الْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ، فَأَحَلَّتْ حَضَارَتُنَا ـ الَّتِي أَنَارَتِ الدُّنْيَا ـ الضَّوَابِطَ الْحَرْبِيَّةَ وَالْعَسْكَرِيَّةَ: مُحَرِّمَةً لِلنَّهْبِ وَالسَّلْبِ، وَإِذْلَالِ كَرَامَةِ الشُّعُوبِ، وَسَحْقِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَجَعَلَتْ لَهَا غَايَاتٍ نَبِيلَةً، مِنْهَا: الدِّفَاعُ عَنْ عَقِيدَةِ الْأُمَّةِ، وَأَمْنِ الْمُجْتَمَعِ، وَرَدُّ عُدْوَانِ الْمُعْتَدِينَ: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [البقرة].

فَالْحَرْبُ لَا تُنْسِينَا مَبَادِئَنَا؛ وَلِذَلِكَ جَاءَتِ الْوَصَايَا الْكَرِيمَةُ حِينَ

---

(١) عجز بيت من بحر الكامل، وصدره: «وَمَلِيحَةٌ شَهِدَتْ لَهَا ضَرَّاتُهَا». يُنظر: «الرد الوافر» (ص٥٢).

اشْتِدَادِ الْوَطِيسِ: «لَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا، وَلَا وَلِيدًا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَعْقِرُوا نَخْلًا، وَلَا تُحَرِّقُوهُ، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلَا تَذْبَحُوا شَاةً وَلَا بَقَرَةً وَلَا بَعِيرًا إِلَّا لِمَأْكَلِهِ، وَسَوْفَ تَمُرُّونَ عَلَىٰ قَوْمٍ قَدْ فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ فِي الصَّوَامِعِ، فَدَعُوهُمْ وَمَا فَرَّغُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ»[1]. جَاءَ هَـٰذَا فِي وَصِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ حِينَمَا أَنْفَذَ جَيْشَ أُسَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَأَبْلَغُ مِنْ هَـٰذَا، أَنَّ رَسُولَ الْإِسْلَامِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَخْرُجُ مِنْ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ جَرِيحًا، قَدْ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَشُجَّ وَجْهُهُ، فَيَقُولُ لَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[2]، وَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»[3]، وَهَكَذَا قَالَ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ!»[4]، وَرَأَىٰ ﷺ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ امْرَأَةً مَقْتُولَةً فَغَضِبَ، وَنَهَىٰ عَنْ قَتْلِ

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٢٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه (ص١٣١).

(٤) تقدم تخريجه (ص١٣١).

النِّسَاءِ، وَقَالَ: «مَا كَانَتْ هَـٰذِهِ لِتُقَاتِلَ»(١).

وَيَمْضِي تَأْرِيخُنَا مُسَجِّلًا هَـٰذِهِ الرَّوَائِعَ، فَفِي حُرُوبِ التَّتَارِ أُسِرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ، فَتَدَخَّلَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَة - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي فَكِّ الْأَسْرَىٰ، فَأَجَابَهُ الْوَالِي إِلَىٰ فَكِّ أَسْرَىٰ الْمُسْلِمِينَ فَقَطْ، فَأَبَىٰ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ: لَابُدَّ مِنِ افْتِكَاكِ الْجَمِيعِ مِنْ أَهْلِ دِينِنَا وَأَهْلِ ذِمَّتِنَا، وَلَا نَدَعُ أَسِيرًا لَا مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ، وَلَا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ. وَهَكَذَا تُعَامِلُ حَضَارَتُنَا الْأَسْرَىٰ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ.

وَلَمَّا فَتَحَ صَلَاحُ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَيْتَ الْمَقْدِسِ، كَانَ فِيهَا مَا يَزِيدُ عَلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَبَذَلَ لَهُمُ الْأَمَانَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، وَأَمْوَالِهِمْ، وَأَذِنَ لَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْهَا، لِقَاءَ شَيْءٍ يَسِيرٍ يَدْفَعُهُ الْمُفْتَدُونَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَا يَقْدِرُ مِنَ الْفُقَرَاءِ أَسْقَطَهُ عَنْهُ.

هَـٰذِهِ حَضَارَتُنَا فِي رَوَائِعِهَا، فَمَا هِيَ حَضَارَتُهُمْ فِي شَنَائِعِهَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٦٩)، وابن ماجه (٢٨٤٢)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٨)، ويشهد له حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - الذي أخرجه البخاري (٣٠١٥)، ومسلم (١٧٤٤)، قال: «وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ».

وَفَظَائِعِهَا؟ وَمَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ[1]!

حَكَمْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا حَكَمْتُمْ سَالَ بِالدَّمِ أَبْطَحُ
وَمَا عَجَبٌ هَـٰذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا فَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ[2]

لَقَدْ شَهِدَ التَّأْرِيخُ الْمُعَاصِرُ وَحْشِيَّةَ الْقَوْمِ وَإِرْهَابَهُمْ، عَلَىٰ الرُّغْمِ مِنَ الشِّعَارَاتِ الْبَرَّاقَةِ الَّتِي تُمْتَهَنُ عَمَلِيًّا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَرُغْمِ الْعُهُودِ الدَّوْلِيَّةِ، وَالْمَوَاثِيقِ الْعَالَمِيَّةِ، الَّتِي تُنَادِي بِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ، فِي مَوَاثِيقَ مَوْهُومَةٍ وَمَزْعُومَةٍ، تَخْرِقُهَا جَرَائِمُ بَشِعَةٌ أَمَامَ سَمْعِ الْعَالَمِ وَبَصَرِهِ.

وَلَا يُغْفِلُ التَّأْرِيخُ الْمَخَازِيَ النَّكْرَاءَ فِي التَّعَصُّبِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، فِي الْحُرُوبِ الصَّلِيبِيَّةِ، وَفِي الْأَنْدَلُسِ، وَفِي الْوَاقِعِ الْمُعَاصِرِ، فَمَا يُطَأْطِئُ لِرُؤُوسِهِمْ خَجَلٌ وَحَيَاءٌ، بَلْ إِنَّ مَخَازِيَهُمْ فِي الِاضْطِهَادِ وَالتَّعَصُّبِ لَا يَطْمِرُهَا التَّأْرِيخُ.

وَمَا أَفْعَالُ النَّازِيَّةِ، وَمَآسِي مَحَاكِمِ التَّفْتِيشِ، بِخَافِيَةٍ عَلَىٰ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، بَلْ لَا تَذْهَبُ بَعِيدًا، فَهَـٰذِهِ أَحْقَادُهُمْ فِي الْحَرْبَيْنِ الْعَالَمِيَّتَيْنِ؛

(١) يُضرب مثلًا لكل أمر متعالم مشهور. يُنظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ٤٥)، و«المستقصى من أمثال العرب» (١/ ٢٤٦).

(٢) البيتان لابن الصيفي. يُنظر: «معجم الأدباء» (٣/ ٣٧٣).

إِذْ أَعْلَنُوا فِي الْـمَحَافِلِ الدَّوْلِيَّةِ، وَفِي مَوَاثِيقِ هَيْئَةِ الْأُمَمِ الْحَابِسَةِ إِنْسَانِيَّتَهُمْ، وَهُمْ عَلَىٰ أَرْضِ الْوَاقِعِ، يُمَارِسُونَ وَحْشِيَّتَهُمْ وَضَرَاوَتَهُمْ، وَإِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَ الْـخُلُقِ، إِنَّهَا شِعَارَاتٌ تَخْتَبِئُ وَرَاءَ السَّلَامِ وَالِاسْتِقْرَارِ، وَهِيَ تَزْرَعُ الْإِرْهَابَ وَالِاسْتِعْمَارَ.

وَلَقَدْ كَشَفَتِ الْأَحْدَاثُ الْعَالَمِيَّةُ وِزْرَ قَسْوَتِهِمْ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَىٰ مَرِّ الْعُصُورِ أَنَّهُمْ سَفَّاكُو الدِّمَاءِ، وَوُحُوشُ التَّعَصُّبِ، وَعَبِيدُ الْقَسْوَةِ، فَكَيْفَ تُشَنُّ الْـحَمَلَاتُ الْإِعْلَامِيَّةُ الْـمُغْرِضَةُ ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَالْـمُسْلِمِينَ، فَتَتَّهِمُهُ بِالْإِرْهَابِ وَالْوَحْشِيَّةِ، وَهَـٰذِهِ شَنَائِعُهُمْ وَفَضَائِحُهُمْ. وَلَنْ يَنْسَ الْغَيُورُونَ عَلَىٰ أَوْضَاعِ أُمَّتِهِمِ، مَذَابِحَ صَبْرَا وَشَاتِيلَا، وَمَجَازِرَ قَانَا، وَعَنَاقِيدَ الْغَضَبِ الصُّهْيُونِيِّ، ضِدَّ إِخْوَانِنَا فِي فِلَسْطِينَ الْـمُجَاهِدَةَ، حَيْثُ تَتَحَدَّثُ الْـحِجَارَةُ هُنَاكَ:

سَكَتَ الرَّصَاصُ فَيَا حِجَارَةُ حَدِّثِي: إِنَّ الْعَقِيدَةَ قُوَّةٌ لَا تُهْزَمُ(١)

وَلَقَدْ سَقَطَتِ الْأَقْنِعَةُ عَنِ الْإِعْلَامِ الْغَرْبِيِّ الْـمُعَاصِرِ، حِينَمَا تَأَكَّدَ الْـمُرَاقِبُونَ أَنَّ أَكْثَرَ وَكَالَاتِ الْأَنْبَاءِ، وَقَنَوَاتِ الْفَضَاءِ الْعَالَمِيَّةِ، تُسَيْطِرُ عَلَيْهَا الْـمُنَظَّمَاتُ الصُّهْيُونِيَّةُ، وَهِيَ تُمَثِّلُ دُمًى فِي يَدِ اللُّوبِيِّ الصُّهْيُونِيِّ

(١) البيت من قصيدة «شموخ في زمن الانكسار» للشاعر: د. عبد الرحمن العشماوي.

الْعَالَمِيِّ، وَإِذَا بَطَلَ الْعَجَبُ فِي ذَلِكَ، فَالْعَجَبُ مِنَ الْإِعْلَامِ الْمُتَصَهْيِنِ، الَّذِي يُمَثِّلُ أَبْوَاقًا نَاعِقَةً تُجِيدُ التَّلْفِيقَ الْمَكْشُوفَ وَالِاسْتِهْلَاكَ الْمَذْمُومَ.

وَإِنَّهَا دَعْوَةٌ حَرَّاءُ لِرِجَالِ الْإِعْلَامِ فِي عَالَمِنَا الْإِسْلَامِيِّ، لِلتَّفَاعُلِ الْإِيجَابِيِّ، وَالنُّهُوضِ مِنَ الرُّكُودِ وَالسَّلْبِيَّةِ، وَالتَّخَلُّصِ مِنَ النَّمَطِيَّةِ، وَمِنَ الْغُثَائِيَّةِ، وَتَسْخِيرِ هَٰذِهِ الْوَسَائِلِ لِبَيَانِ رَوَائِعِنَا الْحَضَارِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. كَمَا يَجِبُ التَّثَبُّتُ وَالتَّبَيُّنُ، وَعَدَمُ الرُّكُونِ إِلَىٰ الْإِثَارَةِ وَالِاسْتِفْزَازِ، أَوِ الْمِسَاسِ بِالثَّوَابِتِ، فِي ظِلِّ تَدَاعِيَاتِ الْعَوْلَمَةِ وَالْحَمْلَةِ عَلَىٰ الْإِرْهَابِ. لَابُدَّ مِنْ ضَبْطِ الْمُصْطَلَحَاتِ؛ حَتَّىٰ لَا يُخْلَطَ بَيْنَ الْإِرْهَابِ وَالْمُقَاوَمَةِ الْمَشْرُوعَةِ، وَحَتَّىٰ لَا يُتَّهَمَ الْأَبْرِيَاءُ مِنْ حَمَلَةِ الشَّرِيعَةِ، وَدُعَاةِ الْإِصْلَاحِ فِي الْأُمَّةِ، وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْحِسْبَةِ، وَالْمُؤَسَّسَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالدَّعَوِيَّةِ وَالْإِغَاثِيَّةِ وَالْخَيْرِيَّةِ، بِدَعْوَىٰ مُكَافَحَةِ الْإِرْهَابِ، وَمَا الْإِرْهَابُ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْ أَفْعَالِ الْقَوْمِ.

وَالسُّؤَالُ الْمَطْرُوحُ عَلَىٰ الرَّأْيِ الْعَامِّ الْعَالَمِيِّ، وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْغَرْبِيَّةِ: هَلْ مَا يَجْرِي عَلَىٰ أَرْضِ فِلَسْطِينَ، وَمَا تُمَارِسُهُ إِسْرَائِيلُ الْحَاقِدَةُ، يَتَمَشَّىٰ مَعَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ؟ فَإِذَا لَمْ تَكُنِ الْمُمَارَسَاتُ الصُّهْيُونِيَّةُ فِي فِلَسْطِينَ إِرْهَابًا، فَمَا هُوَ الْإِرْهَابُ؟ إِذًا مِمَّا

يَتَطَلَّبُ اضْطِلَاعَ هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ بِالْمَشْرُوعِ الْحَضَارِيِّ الْكَبِيرِ، فِي قِيَادَةِ دَفَّةِ الْعَالَمِ إِلَىٰ بَرِّ الْأَمَانِ وَسَاحِلِ النَّجَاةِ، فِي عَالَمٍ يَمُوجُ بِالتَّحَدِّيَاتِ، وَلَا مَكَانَ فِيهِ لِلضُّعَفَاءِ، بَلِ الْغَيْرُ هُوَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ، وَالْمُسْلِمُونَ الْمُتَّهَمُونَ وَالضَّحَايَا.

فَالْبِدَارَ الْبِدَارَ! وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ! ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف].

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُم بِالقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوه وَتُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

الخُطبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لاَ يَنْفَدُ، أَفْضَلَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَدَ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحَدُّ، وَآلَائِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَىٰ أَفْضَلِ الْمُصْطَفَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيرَ الحَدِيثِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيرَ الهَدْيِ: هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: فِي ظِلِّ التَّوجُّهِ شَطْرَ الْقِيَامِ بِالْمَشْرُوعِ الْحَضَارِيِّ الْإِسْلَامِيِّ، يَجِبُ أَنْ تُخْلَصَ النِّيَّاتُ، وَتُحْسَنَ الْمَقَاصِدُ، وَتَتَحَقَّقَ الْوَحْدَةُ، وَالِاعْتِصَامُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَصْفُوَ الْقُلُوبُ مِنْ غَوَائِلِ الْأَحْقَادِ، وَتُرَبَّىٰ الْأَجْيَالُ عَلَىٰ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ وَالتَّلَقِّي مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَتَأْسِيسِهِمْ بِالْمُهِمَّاتِ وَالْأَوْلَوِيَّاتِ. وَلَابُدَّ مِنْ إِعَادَةِ النَّظَرِ فِي الْمَوَاقِفِ وَالسِّيَاسَاتِ، وَفَتْحِ صَفْحَةِ الْمُحَاسَبَةِ وَالْمُرَاجَعَاتِ؛

حَتَّىٰ يُفَوِّتَ أَهْلُ الْخَيْرِ فِي الْأُمَّةِ، الْفُرْصَةَ عَلَىٰ الشَّانِئِينَ وَالكَاشِحِينَ[1]، الَّذِينَ سَيَقِفُونَ أَمَامَ مَشْرُوعِ الْأُمَّةِ الْحَضَارِيِّ، مِنْ أُولَـٰئِكَ الْمُنْهَزِمِينَ الْمَخْدُوعِينَ بِبَرِيقِ حَضَارَةِ الْقَوْمِ؛ حَتَّىٰ سَلَبَتْهُمُ الثِّقَةَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ، وَحَتَّىٰ أَصْبَحُوا مُتَسَوِّلِينَ عَلَىٰ مَوَائِدِ الْغَرْبِ الثَّقَافِيَّةِ، وَأُطْرُوحَاتِهِ الْفَلْسَفِيَّةِ. فَانْبَرَىٰ بَعْضُ أَعْلَامِهِمْ عَلَىٰ صَفَحَاتِ إِعْلَامِهِمْ لِلْمَسَاسِ بِثَوَابِتِ الْأُمَّةِ فِي عَقِيدَتِهَا وَأَخْلَاقِهَا، فَاهْتَزَّتْ عَقِيدَةُ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ عِنْدَهُمْ. وَنَالُوا مِنْ مَكَانَةِ الْحِجَابِ وَقَضَايَا الْمَرْأَةِ، وَاسْتَخَفَّ بَعْضُهُمْ بِثَقَافَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنَاهِجِهِمُ التَّعْلِيمِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَنَعِقُوا بِأَصْوَاتٍ بَبَّغَاوِيَّةٍ، وَبِالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ، بَدَلَ التَّجْدِيدِ وَالتَّطَوُّرِ - زَعَمُوا - وَكَثُرَ الْمَفْتُونُونَ بِسَامِرِيِّ عَصْرِنَا وَعُجُولِهِمْ، مِنَ الثَّقَافَاتِ الْوَافِدَةِ وَالْأُطْرُوحَاتِ الْمُغْرِضَةِ.

وَفِي خِضَمِّ هَـٰذِهِ الْأَحْدَاثِ الْحَوَالِكِ، يَنْطَلِقُ صَوْتُ الْحَقِّ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ: أَرْضِ الرِّسَالَةِ وَالْهِدَايَةِ، أَرْضِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - حَرَسَهَا اللَّهُ - مُعْلِنًا أَلَّا مُسَاوَمَةَ عَلَىٰ الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ، فَشُفِيَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - صُدُورُ الْمُؤْمِنِينَ الْغَيُورِينَ، وَسُدَّ الطَّرِيقُ أَمَامَ الْمُغْرِضِينَ

(١) الكَاشِحُ: العدوّ المضمِر للعداوة. يُنظر: «اللسان» (كشح).

الْمُبْطِلِينَ؛ لِتَسِيرَ سَفِينَةُ الْمُجْتَمَعِ فِي أَجْوَاءٍ آمِنَةٍ، فِي عَالَمٍ مُتَلَاطِمِ الْأَمْوَاجِ.

كُلُّ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ، ثُمَّ بِفَضْلِ رَبَابِينَ مَهَرَةٍ قَادُوا فَأَحْسَنُوا الْقِيَادَةَ، وَدَعَوَاتُ الْأُمَّةِ لَهُمْ بِالتَّسْدِيدِ وَالتَّوْفِيقِ، وَأَنْ يُفَرِّجَ اللَّهُ الْغُمَّةَ عَنْ هَٰذِهِ الْأُمَّةِ. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ بِالرُّكُونِ إِلَىٰ الْأَحْلَامِ الْوَرْدِيَّةِ، وَإِنَّمَا بِالنُّزُولِ بِخُطًى مُتَوَازِنَةٍ، إِلَىٰ مَيْدَانِ الصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ، وَأَنْ يَتَفَرَّغَ الْجَمِيعُ لِلْبِنَاءِ الْحَضَارِيِّ فِي كُلِّ الْمَيَادِينِ، وَاللَّهُ الْمَسْؤُولُ أَنْ يُوَفِّقَ الْجَمِيعَ لِمَا فِيهِ الْخَيْرُ فِي الْحَالِ وَالْمَآلِ، إِنَّهُ خَيْرُ مَسْؤُولٍ وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ عَلَىٰ مَنْ شَادَ صَرْحَ حَضَارَتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالْهُدَىٰ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ الْمَوْلَىٰ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ فَقَالَ تَعَالَىٰ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

الخُطبةُ الأُولَى:

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَتْقَى الْأُمَّةِ لِلَّهِ، وَأَخْشَاهُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِهَدْيِهِ، أَدَاءً لِلْفَرَائِضِ، وَقِيَامًا بِالسُّنَنِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُمْ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - أَطِيعُوهُ وَرَاقِبُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ، فَيَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَا بُشْرَى حِينَ ذَلِكَ لِلْمُجْرِمِينَ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: مِنْ مَحَاسِنِ شَرِيعَتِنَا الْغَرَّاءِ، سَعْيُهَا لِتَحْقِيقِ مَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي أُمُورِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَحِرْصُهَا عَلَى الْقَضَاءِ عَلَى أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ؛ لِذَا فَقَدْ جَاءَتْ بِالْحِفَاظِ عَلَى الضَّرُورِيَّاتِ

الْـخَمْسِ: حِفْظِ الدِّينِ، وَالنَّفْسِ، وَالْعَقْلِ، وَالْـمَالِ، وَالنَّسْلِ؛ لِأَنَّهَا أُمُورٌ أَسَاسِيَّةٌ لِصَلَاحِ الْفَرْدِ وَالْـمُجْتَمَعِ.

وَلَـمَّا كَانَ النَّسْلُ أَحَدَ هَـٰذِهِ الضَّرُورِيَّاتِ، جَاءَ الْإِسْلَامُ بِوَضْعِ مَنْهَجٍ شَامِلٍ، وَنِظَامٍ كَامِلٍ، يَكْفُلُ حِفْظَ هَـٰذَا الْأَمْرِ وَسَلَامَتِهِ، وَيَضْمَنُ نَقَاءَهُ مِنَ الْـمُعَكِّرَاتِ، وَصَفَاءَهُ مِنَ الْـمُكَدِّرَاتِ، فَحَثَّ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ حِفْظِ الفُرُوجِ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

أَيُّهَا الْـمُسْلِمُونَ: وَيَهْدِفُ الْإِسْلَامُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ إِلَىٰ إِقَامَةِ الْـمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْعَفِّ النَّظِيفِ، الْخَالِي مِنَ الْـجَرَائِمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، وَالسَّلِيمِ مِنَ اللَّوْثَاتِ السُّلُوكِيَّةِ، وَالِانْحِرَافَاتِ الْجِنْسِيَّةِ الْـخَطِيرَةِ، مُجْتَمَعٍ تُرَفْرِفُ عَلَىٰ جَنَبَاتِهِ مَسَالِكُ الْفَضِيلَةِ، وَتَتَوَارَىٰ عَنْ أَبْنَائِهِ مَسَاوِئُ الرَّذِيلَةِ، مُجْتَمَعٌ تَسُودُهُ الْعِفَّةُ وَالنَّقَاءُ، وَتَحُفُّهُ الْفَضِيلَةُ وَالْـحَيَاءُ، وَتُهَيْمِنُ عَلَيْهِ مَسَالِكُ الْـخَيْرِ وَالطُّهْرِ وَالصَّفَاءِ، فِي بُعْدٍ عَنِ الْـجَرَائِمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْـمُدَمِّرَةِ، وَالنَّزَوَاتِ الشَّهْوَانِيَّةِ الْـحَارِقَةِ؛ لِـمَا لَهَا مِنْ أَضْرَارٍ خَطِيرَةٍ، وَشُرُورٍ مُسْتَطِيرَةٍ، عَلَىٰ الْأَفْرَادِ وَالْأُمَمِ وَالْـمُجْتَمَعَاتِ.

لِذَلِكَ فَقَدْ عَدَّ الْإِسْلَامُ كُلَّ الْـمُمَارَسَاتِ وَالسُّلُوكِيَّاتِ الْـخَارِجَةِ عَنْ مُحِيطِ النِّكَاحِ الشَّرْعِيِّ: أَمْرَاضًا مُهْلِكَةً، وَجَرَائِمَ مُدَمِّرَةً، يَنْبَغِي أَنْ تُكَافَحَ بِدُونِ هَوَادَةٍ، وَأَنْ تُجَابَهَ بِالْـحَزْمِ دُونَ رَأْفَةٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور].

أَيُّهَا الْـمُؤْمِنُونَ: لَقَدْ هَذَّبَ الْإِسْلَامُ الْغَرِيزَةَ الْـجِنْسِيَّةَ، وَنَظَّمَهَا وَضَبَطَهَا بِالضَّوَابِطِ الشَّرْعِيَّةِ، وَجَعَلَ الْـخُرُوجَ عَنْ هَـٰذَا النِّظَامِ اعْوِجَاجًا فِي السُّلُوكِ، وَانْحِرَافًا فِي الْأَخْلَاقِ، وَارْتِكَاسًا - وَلَا شَكَّ - فِي الْفِطَرِ، يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْعِقَابَ الرَّادِعَ، سُمُوًّا بِالْـمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ عَنْ مُجْتَمَعِ الْإِبَاحِيَّةِ الْـحَيَوَانِيَّةِ، وَالِانْفِلَاتَاتِ الشَّهْوَانِيَّةِ الْبَهِيمِيَّةِ.

فَلَمْ يَتْرُكْ لِلْغَرَائِزِ الْـجِنْسِيَّةِ الْـحَبْلَ عَلَىٰ الْغَارِبِ؛ لِمَا يُسَبِّبُهُ ذَلِكَ مِنْ دَمَارِ الْأَخْلَاقِ، وَانْهِيَارِ الْقِيَمِ، وَتَدْمِيرِ الْـمَبَادِئِ وَالْفَضَائِلِ، وَانْتِكَاسَةٍ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الْـجَرَائِمِ وَالرَّذَائِلِ، وَبُؤَرِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَأَوْكَارِ الِانْحِطَاطِ وَالِانْحِلَالِ، وَحِينَئِذٍ فَقُلْ: عَلَىٰ الْفَضِيلَةِ السَّلَامُ، وَعَلَىٰ الْـحَيَاءِ الْعَفَاءُ، وَحِينَ تَسُودُ الْـجَرَائِمُ: أَحْسَنَ اللَّـهُ عَزَاءَ الْأُمَّةِ فِي

أَخْلَاقِهَا وَقِيمِهَا، وَجبرَ مُصَابَهَا فِي فَضِيلَتِهَا وَحَيَائِهَا، وَعَظَّمَ أَجْرَهَا فِي آدَابِهَا وَمُثُلِهَا.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: الْفَوَاحِشُ سَبَبُ كُلِّ بَلَاءٍ، وَطَرِيقُ كُلِّ عَنَاءٍ، وَوَسِيلَةُ كُلِّ تَعَاسَةٍ وَشَقَاءٍ، مَا حَلَّتْ فِي دِيَارٍ إِلَّا أَهْلَكَتْهَا، وَلَا مُجْتَمَعَاتٍ إِلَّا دَمَّرَتْهَا، وَلَا أُمَمٍ إِلَّا أَزَالَتْهَا وَبَدَّدَتْهَا، وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الْفَوَاحِشِ فَاحِشَةٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَاءُ، وَتَعُجُّ لَهَا السَّمَاءُ، وَيَحِلُّ بِهَا الدَّمَارُ وَالْبَلَاءُ: فَسَادُ حَالٍ، وَسُوءُ مَآلٍ، وَقُبْحُ فِعَالٍ، وَدَاءٌ عُضَالٌ، تَمُوتُ بِهَا الْفَضِيلَةُ، وَتَحْيَىٰ بِهَا الرَّذِيلَةُ، وَيُدَنَّسُ بِهَا الْعِرْضُ، وَتَمُوجُ لَهَا الْأَرْضُ، وَيُسْلَبُ الشَّرَفُ، وَتُوأَدُ الْكَرَامَةُ، وَتُمَزَّقُ الْمُرُوءَةُ، وَتُدَاسُ الْقِيَمُ وَالْمُثُلُ، وَتَقْشَعِرُّ مِنْهَا الْأَبْدَانُ، وَتَتَفَتَّتُ مِنْهَا الْأَكْبَادُ، تِلْكُمْ هِيَ: فَاحِشَةُ الزِّنَىٰ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وَلَمَّا كَانَتْ مَفْسَدَةُ الزِّنَىٰ مِنْ أَعْظَمِ الْمَفَاسِدِ، وَهِيَ مُنَافِيَةٌ لِمَصْلَحَةِ نِظَامِ الْعَالَمِ فِي حِفْظِ الْأَنْسَابِ، وَحِمَايَةِ الْفُرُوجِ، وَصِيَانَةِ الْحُرُمَاتِ، وَتَوَقِّي مَا يُوقِعُ أَعْظَمَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، مِنْ إِفْسَادِ كُلٍّ مِنْهُمُ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ وَبِنْتَهُ وَأُخْتَهُ وَأُمَّهُ وَفِي ذَلِكَ خَرَابُ الْعَالَمِ، كَانَتْ مَفْسَدَةُ الزِّنَىٰ تَلِي مَفْسَدَةَ الْقَتْلِ فِي الْكِبَرِ؛ وَلِهَذَا قَرَنَهَا اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَرَسُولُهُ ﷺ فِي سُنَّتِهِ...

وَقَدْ أَكَّدَ ـ سُبْحَانَهُ ـ حُرْمَتَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ..﴾ [الفرقان:٦٨]، الْآيَة، فَقَرَنَ الزِّنَىٰ بِالشِّرْكِ وَقَتْلِ النَّفْسِ، وَجَعَلَ جَزَاءَ ذَلِكَ الْخُلُودَ فِي النَّارِ، فِي الْعَذَابِ الْمُضَاعَفِ الْمُهِينِ، مَا لَمْ يَرْفَعِ الْعَبْدُ مُوجِبَ ذَلِكَ، بِالتَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء]»[1].

وَانْظُرُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ إِلَىٰ التَّعْبِيرِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟﴾؛ لِيَشْمَلَ ذَلِكَ: النَّهْيَ عَنْ جَمِيعِ الْأَسْبَابِ الْمُوصِّلَةِ إِلَيْهِ: كَاللَّمْسِ، وَالسَّمَاعِ، وَالنَّظَرِ الْمُحَرَّمِ، وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ.

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»، قلت: إِنَّ ذلك لَعَظِيمٌ، قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: «**وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**»، قلت: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: «**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**»[2].

---

(١) يُنظر: «الجواب الكافي» (١/ ١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: الزِّنَىٰ انْتِكَاسٌ فِي الْفِطْرَةِ، وَارْتِكَاسٌ فِي أَرْذَلِ بُؤْرَةٍ، مُفْسِدٌ لِلْقَلْبِ، مُوجِبٌ لِلذُّلِّ وَالْعَارِ وَالشَّنَارِ، صَاحِبُهُ مُتَوَعَّدٌ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ، أَصْحَابُهُ جَرَائِمُ مُفْسِدَةٌ، وَأَعْضَاءٌ مَسْمُومَةٌ، تُؤَدِّي بِالْمُجْتَمَعِ إِلَىٰ دَرْكِ الْمَهَالِكِ - عِيَاذًا بِاللَّهِ.

نُفُوسٌ ضَعِيفَةٌ، وَإِرَادَاتٌ سَافِلَةٌ، وَقُلُوبٌ غَافِلَةٌ، تَأْسِرُهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ، وَتَقُودُهُمْ شَهَوَاتُهُمْ، دُونَ رَادِعٍ مِنْ دِينٍ، أَوْ خُلُقٍ أَوْ ضَمِيرٍ.

أَيُّ جِنَايَةٍ عَلَىٰ الدِّينِ، وَالْعِرْضِ، وَالنَّفْسِ، وَالْأَهْلِ، وَالْمُجْتَمَعِ، مِثْلُ هَٰذِهِ؟ وَأَيُّ دِينٍ وَوَازِعٍ عِنْدَ مَنْ يَعَافُ مَسْلَكَ الْفَضِيلَةِ وَالطُّهْرِ، وَيَقْتَرِفُ مَسَالِكَ الرَّذِيلَةِ وَالْبِغَاءِ وَالْعُهْرِ؟

الزِّنَىٰ - يَا عِبَادَ اللَّهِ، وَيَا إِمَاءَ اللَّهِ - شَرُّهُ خَطِيرٌ، وَضَرَرُهُ مُسْتَطِيرٌ وَمَحْقُهُ لِشَرَفِ الْحَيَاةِ وَبِيلٌ، وَعُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[1].

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[2]: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ فِي الْمَنَامِ ثَقْبًا مِثْلِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) برقم (١٣٨٦) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه.

التَّنُّورِ، أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ، وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَسَأَلَ عَنْهُمْ، فَقِيلَ: هُمُ الزُّنَاةُ».

وَعِنْدَ الْحَاكِمِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[1]: «إِذَا ظَهَرَ الزِّنَىٰ وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ».

وَعِنْدَ ابْنِ مَاجه[2]، وَالْحَاكِمِ[3]: «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا».

اللَّهُ أَكْبَرُ! وَهَا هُوَ الْعَالَمُ الْيَوْمَ، يَنْقُلُ بِوَاسِطَةِ وَكَالَاتِ الْأَنْبَاءِ الْعَالَمِيَّةِ، وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْعَرَبِيَّةِ وَالدُّوَلِيَّةِ، الِاعْتِرَافَ وَالتَّصْدِيقَ بِمَا سَبَقَ إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ، فَهَا هُوَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ، يَنْتَفِضُ بِتَظَاهُرَاتٍ إِعْلَامِيَّةٍ، وَيَصْطَرِخُ بِنِدَاءَاتٍ مُلْتَهِبَةٍ فَوْرِيَّةٍ، وَبُحُوثٍ وَدِرَاسَاتٍ عِلْمِيَّةٍ، وَمُؤْتَمَرَاتٍ دَوْلِيَّةٍ، لِلتَّحْذِيرِ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْوَبَائِيَّةِ الَّتِي تُسَبِّبُهَا تِلْكَ

---

(١) في «المستدرك» (٢/ ٤٣) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) برقم (٤٠١٩) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

(٣) في «المستدرك» (٤/ ٥٨٣) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

الْـــجَرَائِمُ الْـــخُلُقِيَّةُ! وَمَـــا مَـــرَضُ (الزُّهْــــرِيِّ)[1] وَ(الـــسَّيَلَانِ)[2]، وَ(الْـهِرْبِزِ)[3] إِلَّا إِفْرَازَاتٌ لِهَذِهِ الْجَرَائِمِ.

وَهَا هُوَ الْعَالَمُ - أَيْضًا - يَضِجُّ بِمَا سَمَّوْهُ: طَاعُونَ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، وَعَدُّوهُ: كَارِثَةَ الزَّمَنِ الْكُبْرَىٰ، ذَلِكَ الْمَرَضُ الْخَبِيثُ، والشَّبَحُ الْمُخِيفُ، ذُو الِانْتِشَارِ الْمُتَهَوِّرِ الْحَثِيثِ، الَّذِي رَبَا عَدَدُ صَرْعَاهُ عَلَىٰ الْمِئَاتِ والْآلَافِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّىٰ بِمَرَضِ (الْإِيدِز)[4] الْخَطِيرِ - نَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاةَ الْمُسْلِمِين - أَتَدْرُونَ مَا مَرَضُ الْإِيدِزِ هَٰذَا؟ إِنَّهُ مَرَضُ «فُقْدَانِ الْمَنَاعَةِ فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ»؛ حَتَّىٰ يُصْبِحَ مُعَرَّضًا لِلْإِصَابَةِ لِلْأَمْرَاضِ الْخَبِيثَةِ، وَالْأَوْبِئَةِ الْخَطِيرَةِ، وَالْقُرُوحِ الْوَبِيلَةِ، وَمُفْتَرَسًا لِانْتِشَارِ (الْمِيكْرُوبَاتِ مِنَ الْفَيْرُوسَاتِ وَالْبِكْتِيرِيَا)، إِضَافَةً إِلَىٰ الطُّفَيْلِيَّاتِ وَالْفِطْرِيَّاتِ فِي جِسْمِ الْمُصَابِ،

---

(١) الزُّهري: من أكثر الأمراض الجنسية خطورة نظراً لتأثيره على معظم أجزاء الجسم حتى بعد سنوات طويلة. يُنظر: «ويكيبديا ـ الموسوعة الحرة» (زهري).

(٢) السَّيلان: مرض جنسي مُعْدٍ خَطِير. يُنظر: «ويكيبديا ـ الموسوعة الحرة» (سيلان).

(٣) يُنظر: (ص٣٧٧).

(٤) يُنظر: (ص٣٧٧).

وَيُنْتِجُ أَوْرَامًا خَبِيثَةً، لَاسِيَّمَا فِي الْأَعْضَاءِ التَّنَاسُلِيَّةِ، فَلَا تُمْهِلُ الْإِنْسَانَ طَوِيلًا حَتَّىٰ تَمِيتَهُ شَرَّ مِيتَةٍ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!

لَقَدْ أَثَارَ هَٰذَا الْمَرَضُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْمَلَايِينِ، وَأَصْبَحَ حَدِيثَ النَّاسِ، وَمَحِلَّ اهْتِمَامِ الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ. وَلَقَدْ أَكَّدَ الْأَطِبَّاءُ أَنَّ الْفِئَاتِ الَّتِي تُصَابُ بِهَٰذَا الْمَرَضِ الْقَاتِلِ، هُمْ فِئَاتُ الزُّنَاةِ، وَالشَّاذِّينَ جِنْسِيًّا، وَمُدْمِنِي الْمُخَدِّرَاتِ.

وَرُغْمَ الْبُحُوثِ الطِّبِّيَّةِ الْمُتَعَدِّدَةِ، لَمْ يَتَوَصَّلِ الطِّبُّ الْحَدِيثُ إِلَىٰ عِلَاجٍ نَاجِحٍ لِهَٰذَا الْمَرَضِ الْفَتَّاكِ الْعُضَالِ، بَلْ إِنَّ هَٰذَا الْمَرَضَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَىٰ مَنْ أُصِيبَ بِهِ، بَلْ يَنْتَقِلُ مِنْهُ إِلَىٰ زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَزُمَلَائِهِ، وَيَنْتَقِلُ عَنْ طَرِيقِ الدَّمِ وَالْمُخَالَطَةِ.

وَتُقَدِّرُ مُنَظَّمَةُ الصِّحَّةِ الْعَالَمِيَّةِ، أَنَّ مَا يَقْرُبُ مِنْ عَشَرَةِ مَلَايِينِ شَخْصٍ، قَدْ أُصِيبُوا بِهَٰذَا الْمَرَضِ حَتَّىٰ الْآنَ، وَيُتَوَقَّعُ أَنْ يَنْتَشِرَ بِشَكْلٍ مُذْهِلٍ، مَا لَمْ يُقْضَ عَلَىٰ أَسْبَابِ وُقُوعِهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ وَالْجَرَائِمِ.

وَمِمَّا أَثَارَ الرُّعْبَ ـ أَيْضًا ـ: أَنَّ هَٰذَا الْمَرَضَ مُمِيتٌ خِلَالَ عَامَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، وَيُكَلِّفُ عِلَاجُهُ تَكَالِيفَ بَاهِظَةً تَصِلُ الْمَلَايِينَ، كَمَا تَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ الْإِحْصَاءَاتُ. وَتُطَالِعُنَا آخِرُ التَّقَارِيرِ أَنَّ مَا يَزِيدُ عَلَىٰ خَمْسِمَائَةِ شَخْصٍ يَمُوتُونَ يَوْمِيًّا مِنَ (الْإِيدْزِ).

وَعَلَىٰ الرُّغْمِ مِنَ الْمَجْهُودَاتِ الَّتِي تَبْذُلُهَا الدُّوَلُ وَالْمُنَظَّمَاتُ، إِلَّا أَنَّ الْعِلَاجَ لِهَٰذَا الْمَرَضِ - وَالْقَضَاءَ عَلَىٰ شَأْفَتِهِ[1]، وَالسَّلَامَةَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي حَبَائِلِهِ - لَا يَكْمُنُ فِي الْعَقَاقِيرِ الْمُصْطَنَعَةِ، وَإِنَّمَا يَكْمُنَ أَسَاسًا فِي اتِّبَاعِ مَنْهَجِ الْإِسْلَامِ: فِي الْبُعْدِ عَنِ الْخَنَا وَالزِّنَىٰ، وَالشُّذُوذِ وَالْمُخَدِّرَاتِ، وَبِاتِّخَاذِ التَّدَابِيرِ الْوِقَائِيَّةِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي شِرَاكِهِ الْقَاتِلِ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَكَمَا أَنَّ الْإِسْلَامَ حَرَّمَ الْفَاحِشَةَ؛ حَرَّمَ الطُّرُقَ الْمُؤَدِّيَةَ وَالْوَسَائِلَ الْمُفْضِيَةَ إِلَيْهَا: مِنَ الْكَلِمَاتِ الْمُثِيرَةِ، وَالنَّظَرَاتِ الْمُرِيبَةِ، وَالْأَغَانِي الْخَلِيعَةِ، وَالْأَفْلَامِ الرَّقِيعَةِ، وَالْخَلْوَةِ بِالْأَجْنَبِيَّةِ، وَالِاخْتِلَاطِ بِالنِّسَاءِ، وَالتَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَإِظْهَارِ الزِّينَةِ، وَالسَّفَرِ بِدُونِ مَحْرَمٍ، وَالسِّيَاحَةِ إِلَىٰ الْأَمَاكِنِ الْمَوْبُوءَةِ، وَمَا تَقْذِفُ بِهِ مَدَنِيَّةُ الْعَصْرِ مِنْ كُلِّ جَدِيدٍ، مِمَّا يَتَنَافَىٰ مَعَ الْأَخْلَاقِ وَالْقِيَمِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - اتَّقُوا اللَّهَ، يَا أَهْلَ الشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ، وَيَا أَهْلَ الْغَيْرَةِ وَالْمُرُوءَةِ، وَيَا أَهْلَ الْعِفَّةِ وَالْفَضِيلَةِ، اتَّقِ اللَّهَ أَيَّتُهَا الْحُرَّةُ الْكَرِيمَةُ، الشَّرِيفَةُ الْعَفِيفَةُ، وَقَدِيمًا قَالَتِ الْحُرَّةُ: **«أَوَ تَزْنِي الْحُرَّةُ؟»**[2].

---

(١) سبق بيان معناها (ص٩٠).

(٢) قالته هند بنت عتبة، امرأة أبي سفيان - رضي الله عنهما - عند مبايعتها للنبي ﷺ=

اتَّبِعُوا جَمِيعًا مَنْهَجَ الْهُدَىٰ، وَاحْذَرُوا جَمِيعًا مَسَالِكَ الرَّدَىٰ، وَقُومُوا بِوَاجِبِ الرِّعَايَةِ وَالْأَمَانَةِ عَلَىٰ أُسَرِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ. لَابُدَّ مِنْ حَلِّ الْعَقَبَاتِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَ الشَّبَابِ وَالْفَتَيَاتِ وَبَيْنَ الزَّوَاجِ الشَّرْعِي، **لَابُدَّ مِنَ الْعِنَايَةِ بِالْمَرْأَةِ؛ بِحِجَابِهَا وَعَفَافِهَا وَقَرَارِهَا وَتَرْبِيَتِهَا، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا مِنَ ذِئَابِ الْبَشَرِ، الَّذِينَ يُهْدِرُونَ عِفَّتَهَا وَكَرَامَتَهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَلْفِظُونَهَا لَفْظَ النَّوَاةِ، وَيَرْمُونَهَا رَمْيَ الْقَذَاةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ: لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ!!** وَهَلْ يَنْشَأُ مِنْ أَحْضَانِ الْعَاهِرَاتِ أَبْنَاءُ شَرَفٍ وَكَرَامَةٍ؟! وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ أَصْلَابِ الزِّنَىٰ جِيلٌ صَالِحٌ يَتَحَمَّلُ الْمَسْؤُولِيَّةَ تِجَاهَ دِينِهِ وَأُمَّتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ؟!

احْذَرُوا جَمِيعًا - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - الدَّسَائِسَ الَّتِي يَبُثُّهَا أَعْدَاءُ الْفَضِيلَةِ، وَدُعَاةُ الرَّذِيلَةِ، مِنَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا، بِدَعْوَىٰ الْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، وَالتَّقَدُّمِ وَالْمَدَنِيَّةِ، نَعَمْ! إِنَّهَا الْحُرِّيَّةُ

= أخرجه: الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ٧٨) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - وأبو يعلى في «مسنده» (٨/ ١٩٤) من حديث عائشة - رضي الله عنها.

الْبَهِيمِيَّةُ، وَالْـمَدَنِيَّةُ الشَّهْوَانِيَّةُ!!!

إِنَّ الْحُرِّيَّةَ الصَّحِيحَةَ، تَكُونُ بِاتِّبَاعِ الدِّينِ الحَقِّ، الَّذِي يَحُثُّ عَلَىٰ الْفَضَائِلِ، وَيُعْظِمُ قَدْرَ أَهْلِ الْعَفَافِ وَالطُّهْرِ، وَيُحَذِّرُ مِنَ الرَّذَائِلِ، وَيُزْرِي بِذَوِي الْخِزْيِ والْعُهْرِ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْمُعْتَبِرُ؟!

أَمَا يَكْفِي زَاجِرًا، وَيَشْفِي وَاعِظًا، مَا تَعِيشُهُ أَمَاكِنُ الْبَلَاءِ، وَبِقَاعُ الْوَبَاءِ، مِنْ جَرَائِمَ فَتَّاكَةٍ، وَأَوْضَاعٍ مُتَرَدِّيَةٍ؛ حَتَّىٰ انْعَدَمَ الأَمْنُ، وَسَادَ الْخَوْفُ وَالْقَلَقُ، وَكَسَا الْقَتَرُ حَضَارَةَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، حَتَّىٰ يَتَطَلَّعَ الْعَالَمُ إِلَىٰ حَضَارَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَنْ تَعُودَ مِنْ جَدِيدٍ؛ لِتُبَدِّلَ الرَّذِيلَةَ فَضِيلَةً، وَالْخَوْفَ أَمْنًا، وَالْكُفْرَ إِيمَانًا، وَالْحُرِّيَّةَ عَفَافًا، وَالْحَرْبَ سَلَامًا؟! وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَبَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مَنْ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَـٰذِهِ الْقَاذُورَاتِ، لِيَسْتَتِرَ بِسِتْرِ اللَّـهِ، وَلْيَتُبْ إِلَىٰ اللَّـهِ، وَلْيَنْدَمْ وَلْيُقْلِعْ، وَلْيَعْزِمْ فَوْرًا عَلَىٰ عَدَمِ الْعَوْدِ إِلَىٰ اقْتِرَافِ الخَطِيئَةِ، وَمَنْ أَصَرَّ وَاسْتَمَرَّ؛ فَالحَدُّ فِي الدُّنْيَا، والْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ.

أَقُولُ هَـٰذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ لِي وَلَكُمْ، وَلِجَمِيعِ الْـمُسْلِمِينَ وَالْـمُسْلِمَاتِ، مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَالفَوَاحِشِ وَالسَّيِّئَاتِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمِ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، شَرَعَ الشَّرَائِعَ، وَأَحْكَمَ الْأَحْكَامَ، وَأَبَانَ لَنَا الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ، وَأَمَرَنَا بِالصَّالِحَاتِ، وَنَهَانَا عَنِ الْآثَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَرَّفَنَا بِاتِّبَاعِ الْإِسْلَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ الْأَنَامِ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِ مِنْ عَرَبٍ وَأَعْجَامٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَاحْذَرُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَرَاقِبُوا رَبَّكُمْ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنَ الْجَرَائِمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي لَا تَقِلُّ خَطَرًا عَنْ فَاحِشَةِ الزِّنَىٰ: اقْتِرَافَ جَرِيمَةِ (اللِّوَاطِ)، وَمَا يُعْرَفُ بِـ(الشُّذُوذِ الْجِنْسِيِّ)، وَتِلْكَ فَاحِشَةٌ نَكْرَاءُ، وَجَرِيمَةٌ شَنْعَاءُ، عَاقَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَنَا، وَجَعَلَ عَالِيَ دِيَارِهِمْ سَافِلَهَا، وَأَمْطَرَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، فَدَمَّرَهُمْ تَدْمِيرًا؛ لِشَنَاعَةِ جُرْمِهِمْ، وَقَبِيحِ فِعْلِهِمْ، الَّذِي لَا يَرْتَكِبُهُ إِلَّا سَفَلَةُ النَّاسِ، وَشِرَارُ الْخَلْقِ وَأَرَاذِلُهُمْ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ! مِنِ انْتِكَاسِ الْفِطْرَةِ وَالطِّبَاعِ، وَالْإِخْلَالِ بِالشَّرَفِ وَالرُّجُولَةِ وَالْكَرَامَةِ.

وَلِذَلِكَ جَاءَتِ السُّنَّةُ بِقَتْلِ أَصْحَابِ هَٰذِهِ الْجَرِيمَةِ، بَلْ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ ـ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ـ عَلَىٰ ذَلِكَ، لَكِنَّهُمُ اخْتَلَفُوا فِي كَيْفِيَّةِ قَتْلِهِمْ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِشَنَاعَةِ هَٰذَا الْفِعْلِ، وَخُبْثِهِ وَشَرِّهِ، وَضَرَرِهِ عَلَىٰ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ـ اتَّقُوا اللَّهَ ـ يَا شَبَابَ الْإِسْلَامِ، وَيَا فَتَيَاتِ الْإِسْلَامِ ـ احْذَرُوا الِانْزِلَاقَ فِي أَسْبَابِ الرَّذِيلَةِ، فَإِنَّ نِسْبَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ بِالْمِائَةِ مِنَ الْمُصَابِينَ بِمَرَضِ (الْإِيدز) هُمْ مِنَ الشَّاذِّينَ جِنْسِيًّا.

وَاتَّقُوا اللَّهَ ـ أَيُّهَا الْآبَاءُ ـ احْرِصُوا عَلَىٰ مُتَابَعَةِ أَبْنَائِكُمْ فِي غُدُوِّهِمْ وَرَوَاحِهِمْ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ: أَخْدَانِ اللَّهْوِ وَاللَّغْوِ، وَمَرَاتِعِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَأَسْبَابِ الْجَرِيمَةِ وَالِانْحِرَافِ.

وَإِنَّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَىٰ هَٰذِهِ الْبِلَادِ الْمُبَارَكَةِ، تَطْبِيقَهَا لِحُدُودِ اللَّهِ، عَلَىٰ الْقَتَلَةِ وَالزُّنَاةِ وَالسُّرَّاقِ، وَالْمُحَارِبِينَ وَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، وَمُهَرِّبِي وَمُرَوِّجِي الْمُخَدِّرَاتِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَتْ ـ بِفَضْلِ اللَّهِ ـ أَقَلَّ بِلَادِ الْعَالَمِ فِي مُعَدَّلَاتِ وُقُوعِ الْجَرِيمَةِ، بَلْ لَا تَكَادُ الْجَرَائِمُ تُذْكَرُ ـ بِحَمْدِ اللَّهِ ـ لَاسِيَّمَا الْأَمْرَاضُ الْوَبَائِيَّةُ الَّتِي بَلَغَتْ حَدًّا مُذْهِلاً فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبِلَادِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِاتِّبَاعِ مَنْهَجِ اللَّهِ، وَتَطْبِيقِ حُدُودِ اللَّهِ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُثَبِّتَ قَادَتَهَا عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ يَزِيدَهُمْ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْخَيْرِ

وَالتَّوْفِيقِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

هَـذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّـهُ ـ عَلَىٰ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ، وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَىٰ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

القسم الثالث عشر:
خطب المناسبات

الخُطْبَةُ الأُولَى:

الْحَمْدُ لِلَّهِ، خلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ، يُيَسِّرُ عَسِيرًا، وَيَجْبُرُ كَسِيرًا، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا، سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، ﴿جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان]، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا وَتَدْبِيرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ بِالْحَقِّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَىٰ اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، فَصَلَوَاتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تَتْرَىٰ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا أَثِيرًا[1] كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأُوصِيكُمْ وَنَفْسِي - يَا عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَىٰ اللَّهِ؛ فَمَنْ رَامَ خَيْرًا

---

(١) أَثِيرًا: مُفَضَّلًا، وفي التنزيل: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن» (أثر).

غَفِيرًا، وَرِزْقًا وَفِيرًا، وَمَقَامًا كَبِيرًا، فَعَلَيْهِ بِتَقْوَىٰ اللَّـهِ، فَمَنْ حَقَّقَهَا؛ حَقَّقَ فِي الدُّنْيَا مَجْدًا كَثِيرًا، وَفِي الْآخِرَةِ جَنَّةً وَحَرِيرًا.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: فِي ظِلِّ ازْدِلَافِ الْأُمَّةِ إِلَىٰ عَامٍ جَدِيدٍ، وَتَطَلُّعِهَا لِمُسْتَقْبَلٍ مُشْرِقٍ رَغِيدٍ، تَبْرُزُ بِجَلَاءٍ قَضَايَا حَوْلِيَّةٌ مَوْسِمِيَّةٌ، جَدِيرَةٌ بِالإِشَادَةِ وَالتَّذْكِيرِ، وَحَفِيَّةٌ بِالْوُقُوفِ وَالتَّبْصِيرِ، عَلَّهَا تَكُونُ مُحَرِّكَةً فَاعِلَةً، تَسْتَنْهِضُ الْهِمَمَ، وَتَشْحَذُ الْعَزَائِمَ لِمُرَاجَعَةِ الذَّاتِ، وَتَدْقِيقِ الْحِسَابَاتِ، وَتَحْدِيدِ الرُّؤَىٰ وَالْمَوَاقِفِ، وَتَقْوِيمِ الْمَسِيرَةِ؛ لِتَسْتَعِيدَ الْأُمَّةُ تَأْرِيخَهَا الْمَجِيدَ، وَمَجْدَهَا التَّلِيدَ[1]، وَمَا امْتَازَتْ بِهِ مِنَ عَالَمِيَّةٍ فَرِيدَةٍ، وَحَضَارَةٍ عَرِيقَةٍ، بَوَّأَتْهَا الطَّلِيعَةَ، بَيْنَ أُمَمِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً، وَالْإِنْسَانِيَّةِ جَمِيعًا.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: إِنَّ قَضِيَّةَ الْمُنَاسَبَةِ، تَكْمُنُ فِي وَقْفَةِ الْمُحَاسَبَةِ، فَاسْتِقْبَالُ الْأُمَّةِ لِعَامٍ جَدِيدٍ هُوَ بِمُجَرَّدِهِ قَضِيَّةٌ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا، وَإِنْ بَدَا فِي أَنْظَارِ بَعْضِ الْمَفْتُونِينَ أَمْرًا هَيِّنًا؛ لِطُولِ الْأَمَلِ، وَالْغَفْلَةِ عَنْ صَالِحِ الْعَمَلِ، وَإِنَّ فِي مَرَاحِلِ الْعُمُرِ، وَتَقَلُّبَاتِ الدَّهْرِ، وَفَجَائِعِ الزَّمَانِ، لَعِبْرَةً وَمُزْدَجَرًا، وَمَوْعِظَةً وَمُدَّكَرًا، يُحَاسِبُ فِيهَا الْحَصِيفُ نَفْسَهُ، وَيُرَاجِعُ

---

(١) سبق بيان معناها (ص٧٣).

مَوَاقِفَهُ، حَتَّىٰ لَا يَعِيشَ فِي ذُهُولٍ وَغَمْرَةٍ، وَيُؤْخَذَ عَلَىٰ غَفْلَةٍ وَغِرَّةٍ، وَيَكُونَ بَعْدَ ذَٰلِكَ عِظَةً وَعِبْرَةً. وَلَئِنْ أُسْدِلَ السِّتَارُ عَلَىٰ عَامٍ مَضَىٰ، فَإِنَّ كُلَّ مَاضٍ قَدْ يُسْتَرْجَعُ إِلَّا الْعُمُرَ الْمُنْصَرِمَ، فَهُوَ نَقْصٌ فِي الْأَعْمَالِ، وَدُنُوٌّ فِي الْآجَالِ.

نَسِيرُ إِلَىٰ الآجَالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ... وَأَيَّامُنَا تُطْوَىٰ وَهُنَّ مَرَاحِلُ

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ(١)

وَإِذَا كَانَ آخِرَ الْعُمُرِ مَوْتًا، فَسَوَاءٌ قَصِيرُهُ وَطَوِيلُهُ، فَكَمْ مِنْ خُطُواتٍ مُشِيَتْ، وَأَوْقَاتٍ صُرِفَتْ، وَمَرَاحِلَ قُطِعَتْ! وَمَعَ ذَٰلِكَ فَالإِحْسَاسُ بِمُضِيِّهَا قَلِيلٌ، وَالتَّذَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ بِمُرُورِهَا ضَئِيلٌ، مَهْمَا طَالَتْ مُدَّتُهَا، وَعَظُمَتْ فَتْرَتُهَا، وَدَامَتْ بَعْدَ ذَٰلِكَ حَسْرَتُهَا!

إِنَّ عَجَلَةَ الزَّمَنِ، وَقِطَارَ الْأَعْمَارِ يَمْضِي بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ، لَا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ غَافِلٍ، وَلَا يُحَابِي أَيَّ ذَاهِلٍ، كَمْ وَدَّعْنَا فِيمَا مَضَىٰ مِنْ أَخٍ أَوْ قَرِيبٍ، وَكَمْ فَقَدْنَا مِنْ عَزِيزٍ وَحَبِيبٍ! سَبَقُونَا إِلَىٰ الْقُبُورِ، وَتَرَكُوا عَامِرَ الدُّورِ وَالْقُصُورِ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ!!

---

(١) يُنظر: «ديوان المعاني» (٢/ ١٨٢)، و«المستطرف في كل فن مستظرف» (٢/ ٦٠٤).

وَإِلَىٰ مَتَىٰ الْغَفْلَةُ ـ **يَا عِبَادَ اللَّهِ** ـ مَاذَا رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِنَا؟ وَمَاذَا غَشِيَ أَبْصَارَنَا، وَبَصَائِرَنَا؟ إِنَّ الْمُوَفَّقَ الْوَاعِيَ، الَّذِي يَعِيشُ حَيَاةَ الْمَسْؤُولِيَّةِ، ومُرَاقَبَةَ الذَّاتِ، هُوَ مَنْ يَسْعَىٰ لإِصْلَاحِ حَالِهِ؛ لِيَسْعَدَ فِي مَآلِهِ، وَالْكَيِّسُ الْمُلْهَمُ: مَنْ أَدَامَ الْمُحَاسَبَةَ، وَتَفَقَّدَ رَصِيدَ الآخِرَةِ، وَحَاذَرَ كُلَّ لَوْثَةٍ عَقَدِيَّةٍ أَوْ فِكْرِيَّةٍ أَوْ سُلُوكِيَّةٍ، لِيَحْيَىٰ حَيَاةَ السُّعَدَاءِ، وَيُحَقِّقَ نُزُلَ الشُّهَدَاءِ، وَمَا ذَلِكَ بِعَزِيزٍ عَلَىٰ ذِي الْمَنِّ وَالْعَطَاءِ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: مَا أَحْوَجَ الأُمَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ الْيَوْمَ! ـ وَهِيَ تَتَفَيَّأُ ظِلَالَ عَامٍ جَدِيدٍ، مَلِيءٍ بِالتَّفَاؤُلِ وَالتَّطَلُّعَاتِ، لِلْخُرُوجِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْمُشْكِلَاتِ، وَتَجَاوُزِ الْعَقَبَاتِ وَالأَزَمَاتِ، وَمُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَاتِ وَالنَّكَبَاتِ ـ أَنْ تَقْرَأَ تَأْرِيخَهَا:

اقْرَؤُوا التَّأْرِيخَ إِذْ فِيهِ الْعِبَرْ ضَلَّ قَوْمٌ لَيْسَ يَدْرُونَ الْخَبَرْ

اقْرَؤُوا التَّأْرِيخَ الإِسْلَامِيَّ لِتُدْرِكُوا كَيْفَ كَانَتْ أَحْدَاثُهُ الْعِظَامُ، وَوَقَائِعُهُ الْجِسَامُ، نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ كُبْرَىٰ، لَا فِي تَأْرِيخِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فَحَسْبُ، بَلْ فِي تَأْرِيخِ الْبَشَرِيَّةِ قَاطِبَةً، اقْرَؤُوا التَّأْرِيخَ لِتَرَوْا كَيْفَ كَانَتْ وَقَائِعُهُ الْعَظِيمَةُ مُنْعَطَفًا مُهِمًّا، غَيَّرَ مَجْرَىٰ التَّأْرِيخِ الإِنْسَانِيِّ بِرُمَّتِهِ.

اقْرَئِي يَا أُمَّتِي تَأْرِيخَكِ الْمَجِيدَ، لِتَعْلَمِي كَيْفَ أَرْسَتْ مَصَادِرُهُ وَأَحْدَاثُهُ مَبَادِئَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالأَمْنِ وَالسَّلَامِ؟ وَكَيْفَ رَسَّخَتْ

وَقَائِعُهُ مُنْذُ مَا يَزِيدُ عَلَىٰ أَرْبعَةَ عَشَرَ قَرْنًا مِنَ الزَّمَانِ، مَفَاهِيمَ الْـحِوَارِ الْـحَضَارِيِّ، الَّذِي يَتَنَادَىٰ بِهِ الْعَالَمُ الْيَوْمَ؟

أَيَّتُهَا الْإِنْسَانِيَّةُ الْـحَائِرَةُ، لِتَخْرُجِي مِنَ الْأَحْكَامِ الْـجَائِرَةِ؛ اقْرَئِي تَأْرِيخَ حَضَارتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، لِتَرَيْ بِأُمِّ عَيْنَيْكِ كَيْفَ كَفَلَ الْإِسْلَامُ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ بِجَدَارَةٍ: أَزَالَ الطَّبَقَاتِ، وَمَحَا الْعُنْصُرِيَّاتِ، وَأَلْغَىٰ الْفَوَارِقَ وَالتَّمَايُزَاتِ، فِي وَحْدَةٍ تَتَضَاءَلُ أَمَامَهَا الِانْتِمَاءَاتُ الْعُنْصُرِيَّةُ، وَالْأَوَاصِرُ وَالْعِلَاقَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ، بَلْ تَضْمَحِلُّ بِهَا كُلُّ دَعَاوَىٰ الْـجَاهِلِيَّةِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: الِارْتِبَاطُ التَّأْرِيخِيُّ الْوَثِيقُ، وَالِانْتِمَاءُ الْـحَضَارِيُّ الْعَرِيقُ ـ يُؤَكِّدُ أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ جَامِعًا لِلْعِقْدِ الْـمُتَنَاثِرِ، وَمُؤَلِّفًا لِلشَّتَاتِ الْـمُتَنَاكِرِ، وَنَاظِمًا لِلرَّأْيِ الْـمُتَنَافِرِ، فَهَلْ تَعِي الْأُمَّةُ بَعْدَ هَـٰذَا التَّمَزُّقِ الْـمُزْرِي، وَالتَّخَلُّفِ الْـمُخْزِي، وَالتِّيهِ فِي الْأَنْفَاقِ الْـمُظْلِمَةِ، وَسَرَادِيبِ الْغَوَايَةِ الْـمُعْدِمَةِ، أَنْ لَا دَرْبَ، سِوَىٰ الْإِسْلَامِ، وَلَا إِمَامَ، غَيْرُ الْقُرْآنِ، وَلَا نَهْجَ إِلَّا نَهْجُ سَيِّدِ الْأَنَامِ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ لِاسْتِئْنَافِ سَالِفِ الْعِزِّ، وَلِاسْتِرْجَاعِ غَابِرِ الظَّفَرِ وَالسُّؤْدَدِ.

أَلَمْ تَسْتَيْقِنِ الْأُمَّةُ: أَنَّ التَّخَلِّيَ عَنِ الْعَقِيدَةِ، وَالتَّسَاهُلَ بِأَمْرِ الشَّرِيعَةِ،

وَالتَّفْـرِيطَ فِي الثَّوَابِـتِ وَالـمَبَادِئِ، وَالتَّقْـصِيرَ فِي الْـمُثُلِ وَالْقِـيَمِ، مَآلُـهُ شَقَاءُ الْـمُجْتَمَعَاتِ، وَانْتِقَاضُ الْـحَضَارَاتِ، وَهَـلَاكُ الْعِبَادِ، وَخَـرَابُ الْبِلَادِ، وَطَرِيقُ الْبَوَارِ، وَسَبَبُ الِانْهِيَارِ، وَحُلُولُ التَّبَارِ، وَتَحَقُّـقُ الـدَّمَارِ، وَبِالتَّالِي قُـرَّةُ عُيُـونِ الْأَعْـدَاءِ وَالِاسْتِعْمَارِ، فَهَـلْ يُـدْرِكُ أَصْحَابُ الـرَّأْيِ وَالنَّظَـرِ، أَنَّ التَّحَـدِّيَاتِ الـسَّابِقَةَ وَالْـمُعَاصِرَةَ، وَالتَّـصَادُمَ الْـحَضَارِيَّ، وَالْعِـدَاءَ الثَّقَـافِي وَالْفِكْـرِي، إِنَّـمَا مَـرَدُّهُ إِلَىٰ ثَوَابِـتَ عِنْـدَ الْغَـيْرِ لَا يَتَحَقَّـقُ الِانْتِـصَارُ عَلَيْهَـا إِلَّا بِالتَّمَـسُّكِ بِمَوْرُوثِنَـا الْـحَضَارِيِّ الْعَرِيـقِ؟ الَّـذِي يَنْـضَحُ خَـيْرًا وَسَـلَامًا لِلْبَـشَرِيَّةِ، وَيَـشِعُّ أَمْنًـا وَإِسْـعَادًا لِلْإِنْـسَانِيَّةِ، فِي بُعْـدٍ عَـنْ مَـسَالِكِ الْعُنْـفِ وَالْإِرْهَـابِ، الَّتِـي أَقَـضَّتْ مَـضَاجِعَ الْعَـالَمِ، وَسَاقَتْهُ إِلَىٰ يَبَابِ اللَّظَىٰ، وَمَرَاتِعِ الْفَزَعِ، وَلَا مُـخَلِّصَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا إِعْـلَاءُ الْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِسْـلَامِيَّةِ، وَالتَّأْكِيدُ عَـلَىٰ مَبْدَأِ الْـحِوَارِ الْـحَضَارِيِّ، الَّـذِي يُـولِي الْأُصُـولَ وَالثَّوَابِـتَ كُـلَّ التَّعْزِيـزِ وَالِاحْـتِرَامِ، بِـلَا تَمَيُّـعٍ وَلَا انْهِزَامِيَّةٍ.

اقْـرَؤُوا التَّـأْرِيخَ - أَيُّهَـا الْـمُنْهَزِمُونَ مِنْ بَنِي جِلْـدَتِنَا - لِتُـدْرِكُوا أَنَّ الْـحِوَارَ مَعَ الْآخَرِ يَجِبُ أَنْ يُبْنَىٰ عَلَىٰ الْإِصْلَاحِ مِنَ الدَّاخِلِ، حِينَ تَمْتَلِـئُ النُّفُوسُ مَحَبَّةً وَمَوَدَّةً وَحَنَانًـا، حِينَـمَا تُوضَـعُ اللَّـوَائِحُ الْـمَرْعِيَّةُ، وَتُرْسَـمُ الـضَّوَابِطُ الـشَّرْعِيَّةُ، لِحَرَكَـةِ الِانْفِتَـاحِ الْفِكْـرِيِّ وَالثَّقَـافِيِّ وَالتَّرْبَـوِيِّ

وَالْإِعْلَامِيِّ، حِينَمَا تُعَادُ الثِّقَةُ، وَيُعَالَجُ الِانْهِزَامُ النَّفْسِيُّ لَدَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْمَعْنِيِّينَ فِي مَجَالَاتِ التَّرْبِيَةِ وَالثَّقَافَةِ وَالْإِعْلَامِ، الَّذِينَ لَهَثُوا وَرَاءَ عَفَنِ الْأُمَمِ، عَبُّوا مِنْهَا طَوِيلاً، فَلَمْ تُغْنِ أُمَّتَهُمْ فَتِيلاً(١)، وَلَا نَقِيرًا، وَلَا قِطْمِيرًا(٢).

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: حِينَمَا تَتَقَاذَفُ سَفِينَةَ الْأُمَّةِ أَمْوَاجُ الْفِتَنِ، فَإِنَّ قَوَارِبَ النَّجَاةِ، وَصِمَامَاتِ الْأَمَانِ، مَرْهُونَةٌ بِوَلَاءِ الْأُمَّةِ لِدِينِهَا، وَتَمَسُّكِهَا بِعَقِيدَتِهَا. وَحِينَمَا يُجِيلُ الْغَيُورُ نَظَرَهُ فِي وَاقِعِ أَجْيَالٍ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَىٰ أُمَّتِنَا الْيَوْمَ، وَيَرَىٰ التَّبَعِيَّةَ الْمُسْتَفْحِلَةَ، وَالِانْهِزَامِيَّةَ الْمُسْتَحْكِمَةَ أَمَامَ تَيَّارَاتِ الْعَصْرِ الْوَافِدَةِ، وَمَبَادِئِ الْمَدَنِيَّةِ الزَّائِفَةِ - وَيُقَارِنُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيلِنَا التَّأْرِيخِيِّ الْفَرِيدِ - يُدْرِكُ كَمْ كَانَتْ وَقَائِعُ تَأْرِيخِنَا الْمُشْرِقِ الْوَضَّاءِ، وَحَوَادِثُ سِيرَتِنَا الْعَطِرَةِ - سَعْيًا فِي الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ، وَالْبَذْلِ وَالتَّضْحِيَةِ.

وَإِنَّ تَنَكُّرَ فِئَامٍ مِنَ الْأُمَّةِ لِمَبَادِئِ دِينِهِمْ، وَخَوَاءَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ مِنْ أَقْبَاسِ الِاعْتِصَامِ، وَلَهَفَهُمْ وَرَاءَ شِعَارَاتٍ مُصْطَنَعَةٍ، وَنِدَاءَاتٍ خَادِعَةٍ،

---

(١) الفَتِيلُ: الخيط في شق نواة التمر. يُنظر: «اللسان» (فتل).

(٢) النَّقِيرُ، والقِطْمِيرُ: سبق شرحهما (ص٤٥٧).

لَهُوَ الْأَرْضِيَّةُ الْـمُمَهِّدَةُ لِلعَـدُوِّ الْـمُتَرَبِّصِ؛ مِمَّا جَرَّأَ أَبْنَاءَ صُـهْيُونَ عَـلَىٰ الْعَبَـثِ بِمُقَدَّسَـاتِ الْأُمَّـةِ، وَمُمَارَسَـةِ إِرْهَـابِ الدَّوْلَـةِ ضِـدَّ إِخْوَانِنَـا فِي الْأَرْضِ الْـمُبَارَكَةِ فِلِـسْطِينَ، تَحْـتَ سَـمْعِ الْعَـالَمِ وَبَـصَرِهِ. كَـمَا أَنَّ مِـنَ الـدُّرُوسِ الْمُـسْتَفَادَةِ، جَـوَازَ عَقْـدِ الْـمُعَاهَدَاتِ وَالْـمُهَادَنَاتِ، لَا الِاسْتِسْلَامِ وَالْـمُدَاهَنَاتِ.

وَفِي خِضَمِّ هَـٰذِهِ الظُّرُوفِ الْحَوَالِكِ، الَّتِي اخْتَلَطَتْ فِيهَا الْـمَسَالِكُ، يَتَأَمَّـلُ قُـرَّاءُ التَّأْرِيخِ وَيَتَـسَاءَلُونَ: أَيْـنَ دُرُوسُ الْـهِجْرَةِ وَعِبَرُهَـا، مِـنْ شِـعَارَاتِ الْعَـصْرِ بِإِنْـسَانِيَّتِهِ الزَّائِفَـةِ، وَدِيمُقْرَاطِيَّاتِـهِ الْـمَزْعُومَةِ، الَّتِي تُحْسَبُ عَـلَىٰ دُعَاتِهَـا مَغَـانِمَ، وَعَـلَىٰ غَيْرِهَـا مَغَـارِمَ، فِي غِيَـابِ الْـمَنْهَجِيَّةِ الشُّورِيَّةِ الْـمُصْطَفَوِيَّةِ؟!

أَيْـنَ دُرُوسُ التَّـأْرِيخِ، وَعِـبَرُ الْـهِجْرَةِ، وَأُخُـوَّةُ الْـمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، مِنْ أُنَاسٍ مَزَّقَهُمُ التَّشَرْذُمُ، وَأَحَلُّوا الْعَدَاوَةَ وَالْـخِصَامَ مَحَلَّ الْـمَحَبَّةِ وَالْوِئَامِ، وَتَرَسَّبَتْ فِي سُوَيْدَائِهِمُ[1] الْأَحْقَادُ، وَتَأَجَّجَ فِي قُلُوبِهِمْ سَعِيرُ الْـحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ، وَالغِلِّ وَالشَّحْنَاءِ؛ حَتَّىٰ تَمَزَّقَتِ الْأَوَاصِرُ، وَسَادَ التَّفَكُّكُ الْأُسَرِيُّ وَالِاجْتِمَاعِيُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْـمُجْتَمَعَاتِ؟!

---

(١) سبق بيان معناها (ص٥٣٨).

اقْرَؤُوا التَّأْرِيخَ لِتَجِدُوا كَمْ تَحْتَاجُ الْعَقِيدَةُ إِلَىٰ دَوْلَةٍ وَسُلْطَانٍ يُنَافِحُ عَنْ كِيَانِهَا، وَيَذُودُ عَنْ حِمَاهَا! أَلَا فَلْيَتَيَقَّنْ دُعَاةُ الْإِصْلَاحِ فِي الْأُمَّةِ، أَنْ لَا عَقِيدَةَ وَلَا تَمَكُّنَ إِلَّا بِجَمَاعَةٍ، وَلَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَامٍ، وَلَا إِمَامَ إِلَّا بِسَمْعٍ وَطَاعَةٍ؛ لِيَدْرَأَ عَنِ الْأُمَّةِ غَوَائِلَ الشُّرُورِ وَالْفِتَنِ، وَعَادِيَاتِ الِاضْطِرَابِ وَالْمِحَنِ.

وَفِي الْمَيْدَانِ التَّرْبَوِيِّ، يَجِبُ أَنْ يَقْرَأَ التَّرْبَوِيُّونَ تَأْرِيخَنَا؛ لِيَرَوْا كَيْفَ تَرَبَّىٰ الْبَيْتُ الْمُسْلِمُ عَلَىٰ نُصْرَةِ الْعَقِيدَةِ، وَالْوَلَاءِ لِلْقِيَادَةِ؟

وَلْيَقْرَأِ التَّأْرِيخَ، شَبَابُنَا الْمُعَاصِرُ، الَّذِينَ خُدِعَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِبَرِيقِ حَضَارَةٍ مَادِّيَّةٍ، أَفْرَزَتْ غَزْوًا فِي الصَّمِيمِ، تَنَكَّبَ مِنْ خِلَالِهِ كَثِيرٌ مِنْ شَبَابِ الْأُمَّةِ طَرِيقَ الْهِدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَعَاشُوا صَرْعَىٰ حَرْبِ الشَّهَوَاتِ، وَضَحَايَا غَزْوِ الشُّبُهَاتِ، وَأَسْرَىٰ التَّقْلِيدِ وَالتَّبَعِيَّاتِ، وَيَبْرُزُ ذَلِكَ فِي مَجَالِ التَّشَبُّهِ وَالتَّبَعِيَّةِ، وَالتَّقْلِيدِ وَالْمُحَاكَاةِ لِلْغَيْرِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَجَالَاتِ.

لِتَقْرَأِ التَّأْرِيخَ ـ وَتَسْتَلْهِمْ دُرُوسَهُ وَعِبَرَهُ ـ الْمَرْأَةُ الْمُسْلِمَةُ الْمُعَاصِرَةُ؛ لِتَسْتَيْقِنَ أَنَّ عِزَّ الْمَرْأَةِ وَمَكَانَتَهَا فِي تَمَسُّكِهَا بِقِيَمِهَا وَمَبَادِئِهَا: حِجَابًا وَعَفَافًا، وَاحْتِشَامًا وَقَرَارًا، وَأَنَّ وَظَائِفَهَا وَمَسْؤُولِيَّاتِهَا التَّرْبَوِيَّةَ وَالْأُسَرِيَّةَ وَالِاجْتِمَاعِيَّةَ فِي الْأُمَّةِ كَبِيرَةُ التَّبِعَةِ، عَظِيمَةُ الْآثَارِ،

لَا كَـمَا يُـصَوِّرُهَا أَعْـدَاؤُهَا الَّـذِينَ يُوحُـونَ إِلَىٰ أَوْلِيَـائِهِمْ وَمَوْلِيَّـاتِهِمْ أَنَّ الْـحِجَابَ وَالْعَفَـافَ فُقْـدَانٌ لِلشَّخْـصِيَّةِ، وَسَـلْبٌ لِلْحُرِّيَّـةِ؛ فَأَخْرَجُوهَـا دُمْيَةً، تُفَتِّشُ عَنْ سَعَادَةٍ مَوْهُومَـةٍ، وَحُرِّيَّـةٍ مَزْعُومَـةٍ، كَـانَ مِـنْ نَتَائِجِهَـا دَوْسُ الْعِـرْضِ وَالـشَّرَفِ، وَسَـحْقُ الْعُـرْفِ وَالْكَرَامَـةِ، مِـنْ قِبَـلِ ذِئَـابٍ مَـسْعُورَةٍ لَا تَرْعَـىٰ الْفَـضَائِلَ، وَلَا تُبَـالِي بِـاقْتِرَافِ الرَّذَائِـلِ؛ ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأحقاف].

تِلْكَ ـ أَيُّهَـا الْـمُـسْلِمُونَ ـ إِلْـمَـاحَةٌ إِلَىٰ شَيْءٍ مِـنْ وَقَـائِعِ التَّأْرِيخِ، وَدُرُوسِ السِّيرَةِ وَعِبَرِهَا، تَظْهَرُ فِي حَدَثِ الْـهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَالتَّأْرِيخِ بِهَـا؛ تُقَدَّمُ لِلْأُمَّةِ فِي مَرْحَلَةٍ مِنْ أَخْطَرِ مَرَاحِلِهَـا، عَلَّهَـا تَكُـونُ نَـوَاةً لِـمَشْرُوعٍ حَضَارِيٍّ إِسْلَامِيٍّ، يُسْهِمُ فِي صَلَاحِ الْـحَالِ، وَتَقْـوِيمِ الْـمَسَارِ، وَيُمَثِّـلُ بَلْسَمًا شَافِيًا لِعِلَاجِ الْـحَمَلَاتِ الْإِعْلَامِيَّـةِ الْـمَسْعُورَةِ، وَسِـهَامِ الْـحِقْدِ الْـخَائِبَةِ الطَّائِشَةِ، ضِدَّ دِينِنَا وَأُمَّتِنَا وَبِلَادِنَا، الَّتِي مَا فَتِئَ أَعْـدَاءُ الْإِسْـلَامِ يُـصَوِّبُونَهَا تُجَاهَنَـا، مُـسْتَغِلِّينَ مَرْحَلَـةَ الـضَّعْفِ فِي الْأُمَّـةِ، وَيَتَـصَيَّدُونَ أَخْطَاءَ بَعْضِ أَبْنَائِهَا.

أَلَا مَـا أَشَـدَّ حَاجَتَنَـا ـ وَنَحْـنُ نَسْتَشْرِفُ آفَـاقَ الْعَـامِ الْـهِجْـرِيِّ الْـجَدِيدِ ـ إِلَىٰ وَقَفَاتِ تَأَمُّلٍ وَمُحَاسَبَةٍ، وَمُرَاجَعَـةٍ جَـادَّةٍ لِاسْتِثْمَارِ كُـلِّ مَـا

يُعَزِّزُ مَسِيرَةَ أُمَّتِنَا! لِتَزْدَلِفَ إِلَىٰ عَامٍ جَدِيدٍ، وَهِيَ أَكْثَرُ عَزْمًا، وَأَشَدُّ مَضَاءً، لِفَتْحِ آفَاقٍ جَدِيدَةٍ لِإِسْعَادِ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ لِتَتَبَوَّأَ مَكَانَتَهَا الطَّلِيعِيَّةَ، وَمَنْزِلَتَهَا الرِّيَادِيَّةَ فَوْقَ هَٰذَا الْكَوْكَبِ، الَّذِي يَنْشُدُ سُكَّانُهُ: مَبَادِئَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ، وَالْأَمْنِ وَالسَّلَامِ، وَلَنْ يَجِدُوهَا إِلَّا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ، وَتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ، زَادُهَا فِي ذَلِكَ مَوْرُوثٌ حَضَارِيٌّ، وَتَأْرِيخِيٌّ وَعَقَدِيٌّ وَقِيَمِيٌّ لَا يَنْضُبُ، وَنَهَلٌ مِنْ مُعْطَيَاتِ الْعَصْرِ وَتِقَانَاتِهِ، فِي خِدْمَةِ دِينِ الْأُمَّةِ وَمُثُلِهَا وَقِيَمِهَا.

وَاللَّهُ الْمَسْؤُولُ، أَنْ يَجْعَلَ هَٰذَا الْعَامَ، عَامَ خَيْرٍ وَبَرَكَةٍ، وَنَصْرٍ وَتَمْكِينٍ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَعَامَ أَمْنٍ وَأَمَانٍ، وَعَدْلٍ وَسَلَامٍ لِلْإِنْسَانِيَّةِ قَاطِبَةً. وَأَنْ يَجْمَعَ فِيهِ كَلِمَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُوَحِّدَ صُفُوفَهُمْ، وَيُطَهِّرَ مُقَدَّسَاتِهِمْ، وَيَنْصُرَهُمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَ حَاضِرَنَا خَيْرًا مِنْ مَاضِينَا، وَمُسْتَقْبَلَنَا خَيْرًا مِنْ حَاضِرِنَا؛ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْؤُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ

سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة].

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْبَيَانِ، وَرَزَقَنَا التَّمَسُّكَ بِسُنَّةِ الْمُصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ عَدْنَانَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِكَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ، إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، إِنَ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ.

الخُطبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ، مُجْرِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَمُجَدِّدِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، أَحْمَدُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، جَعَلَ شَهْرَ الْمُحَرَّمِ فَاتِحَةَ شُهُورِ الْعَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْأَنَامِ، وَبَدْرُ التَّمَامِ، وَمِسْكُ الْخِتَامِ، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ الْبَرَرَةِ الْكِرَامِ، وَصَحْبِهِ الْأَئِمَّةِ الْأَعْلَامِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ النُّورُ وَالظَّلَامُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ وَتَمَسَّكُوا بِدِينِكُمْ؛ فَهُوَ عِصْمَةُ أَمْرِكُمْ، وَتَاجُ عِزِّكُمْ، وَرَمْزُ قُوَّتِكُمْ، وَسَبَبُ نُصْرَتِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّهِ: تَعِيشُونَ ـ يَا رَعَاكُمُ اللَّهُ ـ هَٰذِهِ الْأَيَّامَ، فَاتِحَةَ شُهُورِ الْعَامِ، شَهْرَ اللَّهِ الْمُحَرَّمَ، شَهْرٌ مِنْ أَعْظَمِ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ مَكَانَتُهُ عَظِيمَةٌ، وَحُرْمَتُهُ قَدِيمَةٌ، غُرَّةُ الْعَامِ،

وَأَشْهُرِ اللَّهِ الْحَرَامِ، فِيهِ نَصَرَ اللَّهُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَقَدْ نَدَبَكُمْ نَبِيُّكُمْ ﷺ إِلَىٰ صِيَامِهِ، فَقَالَ فِيمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[1]: **«أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ، شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ»**، لَاسِيَّمَا يَوْمُ عَاشُورَاءَ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ[2] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يوم عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: **«مَا هَٰذَا الْيَوْمُ الذي تَصُومُونَهُ؟** قالوا: هَٰذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، أَنْجَىٰ اللَّهُ فِيهِ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ، وَغَرَّقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَىٰ شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ، فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَىٰ مِنْكُمْ»**، فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ[3] عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فقال: **«أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ»**.

اللَّهُ أَكْبَرُ! يَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ عَظِيمٍ! وَقَدْ عَزَمَ ﷺ عَلَىٰ أَنْ يَصُومَ

---

(١) برقم (١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠).

(٣) برقم (١١٦٢).

يَوْمًا قَبْلَهُ؛ مُخَالَفَةً لِأَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَقَالَ ﷺ: «**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**»[1].

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**فَمَرَاتِبُ صَوْمِهِ ثَلَاثَةٌ: أَكْمَلُهَا أَنْ يُصَامَ قَبْلَهُ يَوْمٌ، وَبَعْدَهُ يَوْمٌ، وَيَلِي ذَلِكَ، أَنْ يُصَامَ التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ، وَعَلَيْهِ أَكْثَرُ الْأَحَادِيثِ، وَيَلِي ذَلِكَ، إِفْرَادُ الْعَاشِرِ وَحْدَهُ بِالصِّيَامِ**»[2].

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَصُومُوا ذَلِكَ الْيَوْمَ اقْتِدَاءً بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ، وَطَلَبًا لِثَوَابِ اللَّهِ، وَأَنْ يَصُومُوا يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا بَعْدَهُ؛ مُخَالَفَةً لِلْيَهُودِ، وَعَمَلاً بِمَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ سُنَّةُ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ، وَإِنَّ صِيَامَ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمِنْ شُكْرِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَلَىٰ نِعَمِهِ، وَاسْتِفْتَاحِ هَٰذَا الْعَامِ بِعَمَلٍ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، الَّتِي يُرْجَىٰ فِيهَا ثَوَابُ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَأَيْنَ الْمُشَمِّرُونَ؟

فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ وَاسْتَفْتِحُوا عَامَكُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَخُذُوا مِنْ مُرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ

---

(١) أخرجه مسلم (١١٣٤) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما.

(٢) يُنظر: «زاد المعاد» (٢/ ٧٦).

عِبَرًا، وَمِنْ تَصَرُّمِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ مُدَّكَرًا وَمُزْدَجَرًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْغَفْلَةَ عَنِ اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَلَىٰ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ، وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَىٰ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ الْمَوْلَىٰ - جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلًا كَرِيمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

العَذْبُ النَّمِيرُ فِي اسْتِدْرَارِ الغَيْثِ الغَزِيرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، مُغِيثُ الْمُسْتَغِيثِينَ، وَمُجِيبُ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، وَجَابِرُ كَسْرِ الْمُنْكَسِرِينَ، وَرَافِعُ الْبَلَاءِ عَنِ الْمُسْتَغْفِرِينَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ، مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَغَافِرُ الزَّلَّاتِ، وَفَارِجُ الْكُرُبَاتِ، وَمُنْزِلُ الْبَرَكَاتِ، وَوَاهِبُ الْخَيْرَاتِ، وَمُحْيِي الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ بَعْدَ الْمَوَاتِ، وَمُسْبِغُ الرِّزْقِ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ مَاءٍ وَنِعَمٍ وَنَبَاتٍ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَحَبِيبُهُ وَخَلِيلُهُ، أَشْرَفُ الْبَرِيَّاتِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِي الْفَضْلِ وَالْمَكْرُمَاتِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ، وَآيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ، لَا غِنَىٰ

لِلنَّاسِ عَنْهَا، هِيَ مَادَّةُ حَيَاتِهِمْ، وَعُنْصُرُ نَمَائِهِمْ، وَسَبَبُ بَقَائِهِمْ، مِنْهَا يَشْرَبُونَ وَيَسْقُونَ، وَيَحْرُثُونَ وَيَزْرَعُونَ، وَيَرْتَوُونَ وَيَأْكُلُونَ، تِلْكُمْ هِيَ نِعْمَةُ الْمَاءِ وَالْمَطَرِ، وَآيَةُ الْغَيْثِ وَالْقَطْرِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: الْمَاءُ أَصْلُ النَّمَاءِ، الْفَائِقُ عَلَىٰ الْهَوَاءِ وَالْغِذَاءِ وَالْكِسَاءِ وَالدَّوَاءِ، هُوَ عُنْصُرُ الْحَيَاةِ، وَسَبَبُ الْبَقَاءِ، مَنِ الَّذِي أَنْشَأَهُ مِنْ عَنَاصِرِهِ إِلَّا اللَّهُ؟ وَمَنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنْ سَحَائِبِهِ إِلَّا اللَّهُ؟ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء].

صُنْعُ مَنْ هَذَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ؟: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، خَلْقُ مَنْ هَذَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ؟: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]، إِنَّهُ لَوِ اجْتَمَعَ الْأَوَائِلُ وَالْأَوَاخِرُ عَلَىٰ إِنْزَالِ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَطَرِ لَمَا اسْتَطَاعُوا، وَهَلْ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ صُنْعِ مَنْ شَهِدَتْ لَهُ مَخْلُوقَاتُهُ، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتُهُ؟

أَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَىٰ الْإِلَٰهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ الْوَاحِدُ(١)

---

(١) يُنظر: «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٥٣)، و«تاريخ مدينة دمشق» (١٣/ ٤٥٣).

سُبْحَانَهُ! وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّهُ لَا يُقَدِّرُ هَٰذِهِ النِّعْمَةَ قَدْرَهَا، إِلَّا مَنْ حُرِمَهَا، تَأَمَّلُوا فِي أَحْوَالِ أَهْلِ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، الَّتِي تَغْلِبُ عَلَىٰ حَيَاةِ مَنِ ابْتُلُوا بِالْجَدْبِ وَالقَحْطِ وَالْجَفَافِ وَالْمَجَاعَةِ، سَائِلُوا أَهْلَ الْمَزَارِعِ وَالْمَوَاشِي، فِي أَيِّ حَالَةٍ مِنَ الضُّرِّ يَعِيشُونَ؛ لِقِلَّةِ الْأَمْطَارِ، وَغَوْرِ الْمِيَاهِ؟ وَهِيَ سَبَبُ خِصْبِ مَزَارِعِهِمْ وَحَيَاةِ بَهَائِمِهِمْ؟ أَرَأَيْتُمْ يَا مَنْ تَنْعَمُونَ بِوَفْرَةِ الْمِيَاهِ، أَنْ لَوْ حُبِسَ الْمَاءُ عَنْكُمْ وَمُنِعْتُمْ إِيَّاهُ، هَلْ تَصْلُحُ لَكُمْ حَالٌ؟ وَهَلْ يَقِرُّ لَكُمْ قَرَارٌ؟ وَهَلْ تَدُومُ لَكُمْ حَيَاةٌ؟: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الملك].

إِنَّهُ لَا مَنْجَىٰ وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ، وَمِنْ حِكْمَتِهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ أَنْ لَا يُدِيمَ عِبَادَهُ عَلَىٰ حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ يَبْتَلِيهُمْ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَيَتَعَاهَدُهُمْ بِالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَيَمْتَحِنُهُمْ: خَيْرًا وَشَرًّا، نِعَمًا وَنِقَمًا، مِحَنًا وَمِنَحًا: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة].

وَمِنِ ابْتِلَاءِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، حَبْسُ الْقَطْرِ عَنْهُمْ، أَوْ تَأْخِيرُهُ عَلَيْهِمْ، أَوْ

نَزْعُ بَرَكَتِهِ مِنْهُمْ، مَعَ مَا لِلْمَطَرِ مِنَ الْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ، لِلنَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، وَالزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ، وَمَا فِي تَأْخِيرِهِ مِنَ الْمَضَارِّ الْجَسِيمَةِ عَلَيْهِمْ.

عِبَادَ اللَّهِ: لَقَدْ شَكَوْتُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَتَأَخُّرَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ نُزُولِهِ عَنْ بِلَادِكُمْ وَأَوْطَانِكُمْ، فَمَا أَحْرَىٰ ذَلِكَ أَنْ يَدْفَعَكُمْ إِلَىٰ مُحَاسَبَةِ أَنْفُسِكُمْ وَمُرَاجَعَةِ دِينِكُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى]، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: الْغَيْثُ نَوْعَانِ: مَعْنَوِيٌّ وَحِسِّيٌّ.

أَوَّلُهُمَا: غَيْثُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ.

وَثَانِيهِمَا: غَيْثُ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ.

وَإِنَّ الْغَيْثَ الْأَوَّلَ هُوَ الْأَصْلُ، كَمَا أَنَّ لِلْغَيْثِ الثَّانِي أَسْبَابًا جَالِبَةً وَأُخْرَىٰ مَانِعَةً، هَلْ سَاءَلْنَا أَنْفُسَنَا وَنَحْنُ فِي مَوَاسِمِ الْغَيْثِ، هَلْ أَخَذْنَا

بِأَسْبَابِ نَزُولِهِ، أَمْ قَدْ نَكُونُ نَحْنُ بِأَفْعَالِنَا سَبَبًا فِي مَنْعِهِ؟ فَإِنَّ الْغَيْثَ جُمَاعُ الرِّزْقِ، قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات]، وَالْمَطَرُ أَصْلُ الْبَرَكَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

وَمَا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمونَ الْيَوْمَ، بِقِلَّةِ الْأَمْطَارِ، وَغَوْرِ الْمِيَاهِ، وَانْتِشَارِ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ، وَغَلَبَةِ الْجَفَافِ وَالْمَجَاعَةِ وَالْفَقْرِ، فِي بِقَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعَالَمِ، إِلاَّ بِسَبَبِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

وَإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ مَنْعِ الْقَطْرِ مِنَ السَّمَاءِ - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - غَفْلَةَ الْعِبَادِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَقَسْوَةَ قُلُوبِهِمْ بِمَا رَانَ عَلَيْهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَتَسَاهُلَهُمْ فِي تَحْقِيقِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، وَتَقْصِيرَهُمْ فِي أَدَاءِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ؛ يَقُولُ ﷺ: **«لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا»**، خَرَّجَهُ ابْنُ مَاجَه

فِي «سُننِهِ»[1]، وَالْحَاكِمُ فِي «مَسْتَدْرَكِهِ»[2] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ مَنْعِ الْقَطْرِ مِنَ السَّمَاءِ - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - إِعْرَاضَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنِ التَّوْبَةِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِ، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الْغَيْثِ؛ يَقُولُ - تَعَالَىٰ - عَنْ نُوحٍ - عَلَيْهِ السَّلَامِ - : ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[نوح]، وَقَالَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ هُودٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود].

وَقَدْ خَرَجَ عُمَرُ ﷺ لِلاِسْتِسْقَاءِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَىٰ الاِسْتِغْفَارِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «**لَقَدْ طَلَبْتُهُ بِمَجَادِيحِ**[3] **السَّمَاءِ، الَّتِي يُسْتَنْزَلُ**

(١) برقم (٤٠١٩).

(٢) (٤/ ٥٨٣).

(٣) مجاديح: جمع مجدح، وهو عِنْدَ العَرَبِ مِنَ الأَنْوَاءِ الَّتِي لا تكاد تُخطِئ، وهو ثلاثة =

بِهَا المَطَرُ»[1].

إِخْـوَةَ الْإِيمَـانِ: وَفِي الْأَثَرِ عَـنِ الْـخَلِيفَةِ الرَّاشِـدِ عَلِيٍّ ﷺ قَـالَ: «مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفع إِلَّا بِتَوبَةٍ»[2].

وَإِنَّ ذُنُوبَنَـا - يَا عِبَـادَ اللَّـهِ - قَدْ كَثُـرَتْ، وَإِنَّ تَقْـصِيرَنَا قَـدْ تَعَـاظَمَ وَاسْتَفْحَلَ، وَإِنَّ شُؤْمَ الذُّنُوبِ وَالْـمَعَاصِي لَعَظِيمٌ وَخَطِيرٌ، فَمَا حَلَّـتْ فِي

= كواكب كأنها مجْدح، وهو خَشَبة في رأسها خَشبتَان مُعْتَرضَتان يُجْدَحُ بِهَا السَّويق، أي: يُضرب ويُخبط. وَأراد عُمَر ﷺ إبطال الأنْوَاءِ والتَّكذيب بها؛ لأَنَّه جَعَل الاستغفار هو الذي يُسْتَسْقَى به لا المجاديح والأَنْواءِ التي كانوا يَسْتَسْقُونَ بها. يُنظر: «النهاية في غريب الحديث»، و«اللسان» (جدح).

(١) أخرجه: عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ٨٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٩٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٤٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٢٢١)، والطبراني في «الدعاء» (٢٩٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٥٢).

(٢) ذكره ابن القيم في «الجواب الكافي» (ص٤٩) ونسبه إِلَى عَلِيّ بن أَبِي طَالِب ﷺ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى سَنَدِهِ. وأخرج نحوه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص١٢٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ٣٥٨) مَوْقُوفًا عَلَى العباس - رضي الله عنه.

دِيَـارِ إِلاَّ أَهْلَكَتْهَـا، وَلاَ فِي قُلَـوبٍ إِلَّا أَفْـسَدَتْهَا، وَلَا فِي مُجْتَمَعَـاتٍ إِلَّا دَمَّرَتْهَا، يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّـهُ ـ : «وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ شُرُورٌ وَدَاءٌ إِلَّا سَبَبُهُ الذُّنُوبُ وَالْـمَعَاصِي»(١).

إِذَا كُنْـتَ فِي نِعْمَـةٍ فَارْعَهَـا فَـإِنَّ الْـمَعَاصِيَ تُزِيـلُ الـنِّعَمْ
وَدَاوِمْ عَلَيْهَـا بِـشُكْرِ الْإِلَـٰـهِ فَـإِنَّ الْإِلَـٰـهَ سَرِيـعُ الـنِّقَمْ(٢)

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: أَوَلَيْسَ ظُلْمُ الْعِبَادِ وَغِشُّهُمْ، وَمَطْلُهُمْ حُقُوقَهُمْ، وبَخْسُهُمْ فِي الْـمَكَايِيلِ، وَالْـمَوَازِينِ، وَالْـمَقَايِيسِ، مُنْتَشِرًا بَيْنَ صُفُوفِ كَثِيرٍ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ، فِي أَسْوَاقِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ؟!!

أَمَـا هَـٰذِهِ قُلُـوبُ كَثِـيرِينَ قَـدْ انْطَـوَتْ عَـلَىٰ الْـحِقْدِ وَالْـحَسَدِ وَالـشَّحْنَاءِ، وَالتَّقَـاطُعِ وَالتَّـدَابُرِ وَالْبَغْـضَاءِ لِأَتْفَهِ الْأَسْبَابِ، وَاسْتِمْرَارِ حَيَاةِ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ، وَالتَّجَافِي عَنِ الْوَحْدَةِ وَالِائْتِلَافِ؟!!

أَمَا هَـٰذِهِ الزَّكَاةُ الْـمَفْرُوضَةُ، قَدْ بَخِلَ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَظَنُّوهَا جِبَايَةً وَعَنَاءً، لاَ مُوَاسَاةً وَنَمَاءً؟!! وَأَلْهَاهُمُ التَّكَاثُرُ وَالتَّنَافُسُ فِي الدُّنْيَا، عَنْ إِخْرَاجِ حَقِّ اللَّـهِ فِيهَا؟!!

---

(١) يُنظر: «الجواب الكافي» (١/ ٢٦).

(٢) يُنظر: «الجواب الكافي» (ص٤٩).

أمَا مَظَاهِرُ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَأَصْوَاتُ الْمَلَاهِي وَالْمَعَازِفِ مَوْجُودَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ؟!!

أَمَّا مَا تَبُثُّهُ الشَّبَكَاتُ وَالْقنواتُ وَالْفَضَائِيَّاتُ، فَحَدِّثْ وَلَا كَرَامَةَ، وَحَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهُ! وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾ [النحل].

أَلَا مَا أَحْلَمَ اللَّهَ عَلَىٰ عِبَادِهِ! لَكِنْ لَعَلَّنَا نُرْحَمُ ونُغَاثُ بِحَالِ الْمُنِيبِينَ الْمُخْلِصِينَ، وَدَعَوَاتِ الْأَخْفِيَاءِ الصَّالِحِينَ، وَالْمُعْوِزِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ، مِنَ الْأَطْفَالِ الرُّضَّعِ، وَالشُّيُوخِ الرُّكَّعِ، وَالْبَهَائِمِ الرُّتَّعِ[1]، فَاللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَرُحْمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

فَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَاسْتَغْفِرُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اسْتِنْزَالَ الْغَيْثِ،

(١) الرُّتَّع: التي تأكل وتشرب ما تشاء في خصب وسعة. يُنظر: «اللسان» (رتع).

وَاسْتِنْبَاتَ الزَّرْعِ، مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ بِالدَّعَوَاتِ السَّاهِيَةِ، أَوْ بِالْقُلُوبِ الْغَافِلَةِ، وَالْعُقُولِ اللَّاهِيَةِ، فَاظْهِرُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ الِافْتِقَارَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَاجْتَهِدُوا فِي أَدَاءِ حُقُوقِهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ، لَاسِيَّمَا فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: **«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ؛ مِنْ مَالٍ أَوْ عِرْضٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَّا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ»**[1]، جَدِّدُوا التَّوْبَةَ إِلَىٰ الرَّحْمَٰنِ، قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: جَرِّدُوا الْقُلُوبَ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ، وَالْغِلِّ وَالشَّحْنَاءِ، صُونُوا أَلْسِنَتَكُمْ عِنِ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَقَوْلِ الْبُهْتِ وَالزُّورِ عَلَىٰ الْبُرَآءِ، وَاحْذَرُوا الْوُقُوعَ فِي الْأَعْرَاضِ، وَتَرْوِيجَ الْأَكَاذِيبِ وَالشَّائِعَاتِ. أَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ طَيِّبَةً بِهَا نُفُوسُكُمْ، تَرَاحَمُوا وَتَسَامَحُوا، صِلُوا الْأَرْحَامَ، وَبِرُّوا الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتِ، أَحْسِنُوا إِلَىٰ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَالْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ وَالْمَحَاوِيجِ، كُونُوا إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ، عَلَىٰ الْخَيْرِ وَالتُّقَىٰ مُتَعَاضِدِينَ.

تَحَلَّوْا بِالْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَتَخَلَّوْا عَنِ الْأَوْصَافِ الرَّذِيلَةِ، وَتَأَسَّوْا بِنَبِيِّكُمْ ﷺ عِنْدَ اسْتِسْقَائِهِ، فَقَدْ خَرَجَ مُتَذَلِّلاً مُتَخَشِّعًا، تَائِبًا مُلِحًّا عَلَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

اللَّـهِ بِالدُّعَاءِ، فَاهْتَدُوا بِهَدْيِهِ، وَاقْتَدُوا بِسُنَّتِهِ، وَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ الِاجْتِهَادَ فِي الدُّعَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ [غافر: ٦٠].

وَقَال ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ - تبارَكَ وَتعَالَى - حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إذا رَفَعَ يَدَيْهِ إليه، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»، أَيْ: خَائِبَتَيْنِ. خَرَّجَهُ أَحْمَدُ[1] وَأَبُو دَاوُدَ[2] عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه.

إِذَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ - يَا عِبَادَ اللَّـهِ - فَارْفَعُوا قُلُوبَكُمْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ، وَأَيْدِيَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَمَوْلَاكُمْ، وَالْهَجُوا بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - طَالِبِينَ الْغَيْثَ مِنْهُ، رَاجِينَ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلِينَ لِكَرَمِهِ، مُلِحِّينَ عَلَيْهِ بِإِغَاثَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، وَسَقْيِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

---

(١) في «المسند» (٥/ ٤٣٨) بنحوه.

(٢) برقم (١٤٨٨) واللفظ له.

لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّـهُ، غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ، لَا إِلَـٰهِ إِلَّا اللَّـهُ جَابِرُ كَسْرِ الْمُنْكَسِرِينَ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّـهُ رَاحِمُ الْمُسْتَضْعَفِينَ، نَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ، نَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ، نَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، نَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ الَّذِي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ! إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ، إِلَـٰهَنَا كُلُّ فَرَحٍ بِغَيْرِكِ زَائِلٌ، وَكُلُّ شُغْلٍ بِسِوَاكَ بَاطِلٌ، وَالسُّرُورُ بِكَ هُوَ السُّرُورُ، وَالسُّرُورُ بِغَيْرِكَ هُوَ الْغُرُورُ، اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ، فَلَا تَكِلْنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)﴾ [الأعراف]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)﴾ [الأعراف].

اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّـهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا وَأَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا ، اللَّهُمَّ أَغِثْ قُلُوبَنَا بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَبِلَادَنَا بِالْخَيْرَاتِ وَالْأَمْطَارِ وَالْغَيْثِ الْعَمِيمِ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِكَ، فَلَا تَمْنَعْ عَنَّا بِذُنُوبِنَا فَضْلَكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ

غفَّارًا، فأَرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْنا مِدْرَارًا، اللَّهُمَّ أَغِثْنا غَيْثًا مُغِيثًا، هَنِيئًا مَرِيئًا، سَحًّا غَدَقًا طَبَقًا، واسِعًا مُجَلِّلًا، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ وَلَا رَائِثٍ[1]، اللَّهُمَّ سُقْيَا رَحْمَةٍ، لَا سُقْيَا عَذَابٍ وَلَا بَلَاءٍ وَلَا هَدْمٍ وَلَا غَرَقٍ، اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ.

اللَّهُمَّ أَغِثْنَا غَيْثًا مُبَارَكًا، تُحْيِي بِهِ الْبِلَادَ، وَتَرْحَمُ بِهِ الْعِبَادَ، وَتَجْعَلُهُ بَلَاغًا لِلْحَاضِرِ وَالْبَادِ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَهُ قُوَّةً لَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ، وَبَلَاغًا إِلَىٰ حِينٍ، اللَّهُمَّ أَنْبِتْ لَنَا الزَّرْعَ، وَأَدِرَّ لَنَا الضَّرْعَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ ارْحَمِ الشُّيُوخَ الرُّكَّعَ، وَالْبَهَائِمَ الرُّتَّعَ، وَالْأَطْفَالَ الرُّضَّعَ، اللَّهُمَّ أَخْرِجْ فِي أَرْضِنَا زِينَتَهَا، وَأَنْبِتَ فِيهَا بَهْجَتَهَا، وَمَتِّعْنَا بِنَضَارَتِهَا، وَأَكْرِمْنَا بِخَيْرِهَا وَبَرَكَتِهَا، اللَّهُمَّ ارْفَعِ الْقَحْطَ وَالْجَفَافَ، وَالْجُوعَ وَالْجُهْدَ، وَاكْشِفْ مَا بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الْبَلَايَا؛ فَإِنَّ بِهِمْ - يَا رَحِيمُ

---

(١) وَلَا رَائِثٍ: غير بطئ. يُنظر: «اللسان» (ريث).

يَا كَرِيمُ - مِنَ اللَّأْوَاءِ[1] مَا لَا يَكْشِفُهُ وَلَا يَصْرِفُهُ إِلَّا أَنْتَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ! اللَّهُمَّ اكْشِفِ الضُّرَّ عَنِ الْمُتَضَرِّرِينَ، وَالْكَرْبَ عَنِ الْمَكْرُوبِينَ، وَأَسْبِغِ النِّعَمَ عَلَىٰ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ لَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْآيِسِينَ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَىٰ مَا أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا مِنَ الْغَيْثِ، اللَّهُمَّ فَزِدْنَا مِنْهُ وَعُمَّ بِهِ أَرْجَاءَ الْبِلَادِ، وَأَتْبِعْهُ بِخَيْرٍ مِنْهُ، وَاجْعَلْهُ عَلَىٰ الظِّرَابِ[2] وَالْآكَامِ[3] وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ[4].

اللَّهُمَّ هَٰؤُلَاءِ عِبَادُكَ، رَفَعُوا أَكُفَّ الضَّرَاعَةِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْكَ، يَسْأَلُونَكَ الْغَيْثَ، اللَّهُمَّ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَأَعْطِهِمْ سُؤْلَهُمْ، وَحَقِّقْ أَمَلَهُمْ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ الْمُسْتَغِيثُونَ: لَقَدْ كَانَ مِنْ سُنَّةِ

---

(١) سبق بيان معناها (ص٢٦٢).

(٢) الظِّراب: الجبال الصغار. يُنظر: «اللسان» (ظرب).

(٣) الآكَامُ: جمع أكمة، وهي: أعلى من الرابية ودون الهضبة. ينظر: «اللسان» (أكم).

(٤) يُخصُّ في الدعاء نزول المطر على الآكام والظراب وبطون الأودية؛ لأنها أوفق للزراعة والرعي من شواهق الجبال التي لا تُنال إلا بمشقة.

نَبِيِّكُمْ ﷺ بَعْدَمَا يَسْتَغِيثُ رَبَّهُ، أَنْ يَقْلِبَ رِدَاءَهُ، فَاقْلِبُوا أَرْدِيَتَكُمْ اقْتِدَاءً بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَأَلِحُّوا عَلَىٰ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ، فَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّكُمْ، وَاحْذَرُوا الْيَأْسَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطَ[1] مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا، وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

اللَّهُمَّ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا عَنْ بَابِكَ مَطْرُودِينَ، وَلَا مِنْ رَحْمَتِكَ مَحْرُومِينَ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ، وَالرَّسُولِ الْمُجْتَبَىٰ، وَالْحَبِيبِ الْمُرْتَضَىٰ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَىٰ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

---

(١) الْقُنُوطُ: أشد اليأس من الشيء. يُنظر: «اللسان» (قنط).

قضايا الأمة في اليوم الأكبر والرحاب الأطهر

الخطبة الأولى:

اللَّـهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ.

شَرَعَ الْمَوَاسِمَ وَالْأَعْيَادَ لِحِكَمٍ لَا تُحْصَىٰ وَلَا تُقَدَّرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ أَعَادَ عَلَيْنَا مِنْ مَوَاسِمِ فَضْلِهِ مَا يَعُودُ فِي كُلِّ عِيدٍ وَيَظْهَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا خَضَعَ لِلَّـهِ مُسْلِمٌ وَبِالتَّوْحِيدِ أَقَرَّ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا أَحْرَمَ حَاجٌّ وَاعْتَمَرَ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا لَبَّىٰ مُلَبٍّ لِلَّـهِ وَذَكَرَ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا دَعَا اللَّـهَ دَاعٍ وَشَكَرَ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا تَابَ تَائِبٌ وَاسْتَغْفَرَ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ طَائِفٌ وَاسْتَلَمَ الْحَجَرَ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا سَعَىٰ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَاعٍ فَأَدْرَكَ الظَّفَرَ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا وَقَفَ الْحَجِيجُ بِعَرَفَاتٍ وَصَفَوْا مِنَ الْآثَامِ وَالْكَدَرِ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا ازْدَلَفَ الْحَجِيجُ إِلَىٰ مُزْدَلِفَةَ وَالْتَقَطُوا الْحَصَىٰ كَالدُّرَرِ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا رَمَوْا جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ وَاقْتَفَوُا الْأَثَرَ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا نَحَرَ الْحُجَّاجُ وَحَلَقُوا، وَتَحَلَّلُوا التَّحَلُّلَ الْأَوَّلَ وَالْأَكْبَرَ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا ضَحَّىٰ لِلَّـهِ مُضَحٍّ وَنَحَرَ، اللَّـهُ أَكْبَرُ مَا أَتَمَّ الْحُجَّاجُ مَنَاسِكَهُمْ وَفَازُوا بِالْجَزَاءِ الْأَوْفَرِ.

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ مَا يَسَّرْتَ لِعِبَادِكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْأَمْنِ وَالْأَمَانِ، وعَلَىٰ مَا هَيَّأْتَ لِلْحَجِيجِ مِنْ رَاحَةٍ وَسَلَامَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ. لَكَ كُلُّ الْحَمْدِ وَأَعْظَمُ الشُّكْرِ، وَالتَّسْبِيحُ وَالذِّكْرُ، بِبُلوغِ الْحُجَّاجِ هَـٰذَا الْمَوْقِفَ الأَبَرَّ، وَالْيَوْمَ الْمُحَجَّلَ الْأَغَرَّ، فِي نِعْمَةٍ سَابِغَةٍ، وَرُوحَانِيَّةٍ عَارِمَةٍ، وَشَوْقٍ وَامْتِنَانٍ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، الْوَاحِدُ الدَّيَّانُ، الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ، شَهَادَةً نَرْجُو بِهَا عَالِيَ الْجِنَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَسَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الْمُصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ عَدْنَانَ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ بِالْمُهَجِ وَالْجَنَانِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ الْجَدِيدَانِ، وَسَطَعَ النَّيِّرَانِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا إِخْوَةَ الْإِيمَانِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي أُمِّ الْقُرَىٰ بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ، حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْكِرَامِ: خَيْرُ مَا يُوصَىٰ بِهِ الْأَنَامُ، تَقْوَىٰ اللَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - فِي السِّرِّ

وَالْإِعْلَانِ، وَزَكُّوا بَوَاطِنَكُمْ مِنَ الْأَوْضَارِ[1] وَالْأَدْرَانِ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، تَحُوزُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةً، وَتُحَقِّقُوا السَّعَادَةَ وَالسِّيَادَةَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال].

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ـ أَيُّهَا الْحَجِيجُ الْمَيَامِينُ ـ: هَا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِبُلُوغِ الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ الْأَزْهَرِ، وَشَهِدْتُمْ ـ بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ ـ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، وَالْمَنْسَكِ الْأَشْهَرِ: مَنْسَكٌ لَا تُحْصَىٰ فَضَائِلُهُ، وَلَا تُسْتَقْصَىٰ مَنَافِعُهُ وَنَوَائِلُهُ. يَوْمُ عِيدِ الْأَضْحَىٰ الْمُبَارَكِ، يَجُودُ فِيهِ الْبَارِئُ بِمَغْفِرَةِ الزَّلَّاتِ، وَسَتْرِ الْعُيُوبِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَإِقَالَةِ الْعَثَرَاتِ، وَإِغَاثَةِ اللَّهَفَاتِ، وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ، وَإِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ، وَقَبُولِ التَّوْبَاتِ، وَغَسْلِ الحَوْبَاتِ. **طُوبَىٰ لَكُمْ أَيُّهَا الْحُجَّاجُ ثُمَّ طُوبَىٰ مَا تَنْعَمُونَ بِهِ مِنْ غَامِرِ الرَّوْحَانِيَّاتِ، وَسَابِغِ الإِيمَانِيَّاتِ: دُمُوعُكُمْ لِرِضْوَانِ اللَّهِ مُطَّرِدَةٌ، وَالضُّلُوعُ مِنْكُمْ بِالْأَشْوَاقِ مُتَّقِدَةٌ، كَيْفَ لَا! وَقَدْ عَايَنْتُمْ فِي عَرَفَةَ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْمَهَابَةِ، وَالْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ،**

---

(١) الأَوْضَارُ: الأوساخ. يُنظر: «اللسان» (وضر).

وَالدُّمُوعِ وَالْإِنَابَةِ، مَا يَكَادُ يَذْهَبُ بِالْمُهَجِ وَيَأْخُذُ بِالْأَلْبَابِ.
اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّه أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا.

عِبَادَ اللَّهِ: وَمِنَ الشَّعَائِرِ الْعُظْمَىٰ ـ الَّتِي يَتَقَرَّبُ بِهَا الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ فِي هَٰذَا الْيَوْمِ، يَسْتَوِي فِيهَا الْحُجَّاجُ وَالْمُقِيمُونَ ـ شَعِيرَةُ ذَبْحِ الْأَضَاحِي؛ اقْتِدَاءً بِخَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ، وَنَبِيِّ اللَّهِ وَحَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ ـ عَلَيهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الصافات] وَخُلِّدَتْ بِذَلِكَ سُنَّةُ النَّحْرِ فِي عِيدِ الْأَضْحَىٰ؛ لِتَبْقَىٰ شَامَةً غَرَّاءَ عَلَىٰ عَظِيمِ الِاسْتِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، وَآيَةً كُبْرَىٰ فِي الْإِذْعَانِ لِأَوَامِرِ الْوَاحِدِ الدَّيَّانِ، وَلِتَبْقَىٰ حَادِثَةُ الْفِدَاءِ ـ أَيْضًا ـ عِبْرَةً وَعُنْوَانًا لِتَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ، فِي طَاعَةِ وَبِرِّ الْآبَاءِ: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ ﴾ [الحج: ٣٧]، أَيْ: يَنَالُهُ طَاعَتُكُمْ وَما وَقَرَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ـ أَيُّهَا الْمُضَحُّونَ ـ وَيَحْسُنُ التَّذْكِيرُ فِي هَٰذَا الْمَقَامِ، بِطَائِفَةٍ مِنْ أَحْكَامِ وَسُنَنِ الْأُضْحِيَّةِ، فَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَىٰ

أَنَّ الْأُضْحِيَّةَ لَا يَجُوزُ ذَبْحُهَا قَبْلَ طُلُوعِ شَمْسِ يَوْمِ النَّحْرِ؛ لِـمَا وَرَدَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: **«إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَـٰذَا، نُصَلِّي، ثُمَّ نَرْجِعُ فَنَنْحَرُ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ»**. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(١) وَمُسْلِمٌ(٢) وَاللَّفْظُ لَهُ.

وَعَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، ثُمَّ خَطَبَ، ثُمَّ ذَبَحَ فَقَالَ: **«مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَلْيَذْبَحْ أُخْرَى مَكَانَهَا، وَمَنْ لَمْ يَذْبَحْ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّـهِ»**. أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ(٣).

وَيَنْتَهِي وَقْتُ ذَبْحِ الْأُضْحِيَّةِ بِغُرُوبِ شَمْسِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: **«كُلُّ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ذَبْحٌ»**. أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ(٤)، وَغَيْرُهُ(٥).

---

(١) برقم (٩٦٥).

(٢) برقم (١٩٦١).

(٣) أخرجه البخاري (٩٨٥) واللفظ له، ومسلم (١٩٦٠).

(٤) في «المسند» (٤/ ٨٢) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن حبان (٩/ ١٦٦)، والطبراني في «الكبير» (١٥/ ٨٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٥/ ٢٣٩) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

وَلاَ يَجُوزَ التَّضْحِيَةُ بِمَا كَانَتْ فِيهَا عُيُوبٌ بَيِّنَةٌ؛ لِـمَا وَرَدَ عَنِ الْبَرَاءِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضَاحِي: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلَعُهَا، وَالْكَسِيرَةُ التي لَا تُنْقِي**». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ[1]، وَالتِّرْمِذِيُّ[2].

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

ويُعْتَبَرُ فِي سِنِّ الْهَدْيِ وَالْأُضْحِيَّةِ السِّنُّ الْمُعْتَبَرُ شَرْعًا، وَهُوَ فِي الْإِبِلِ: مَا تَمَّ لَهُ خَمْسُ سِنِينَ، وَفِي الْبَقَرِ: مَا تَمَّ لَهُ سَنَتَانِ، وَفِي الْمَعْزِ: مَا لَهُ سَنَةٌ، وَفِي الْغَنَمِ: مَا تَمَّ لَهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ.

وَمِنْ سُنَنِ الْأُضْحِيَّةِ أَنْ يَتَوَلَّى الْمُضَحِّي الذَّبْحَ بِنَفْسِهِ، لِمَنْ كَانَ يُحْسِنُهُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا ﷺ فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْخَبَرِ[3]، وَقَدْ ضَحَّى

---

(١) برقم (٢٨٠٢) واللفظ له.

(٢) برقم (١٤٩٧).

(٣) كما في حديث جابر ﷺ في صفة حج النبي ﷺ، وفيه: «ثُمَّ انْصَرَفَ رسول اللَّهِ ﷺ إلى الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ بِيَدِهِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ، وَأَمَرَ عَلِيًّا فَنَحَرَ ما غَبَرَ»، أخرجه مسلم (١٢١٨).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وَسَمَّىٰ وَكَبَّرَ[1].

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

ومِنَ السُّنَّةِ - **يَا عِبَادَ اللَّهِ** - أَنْ لَا يُعْطِيَ جَازِرَهَا أُجْرَتَهُ مِنْهَا[2]، وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ثُلُثَهَا، وَيَهْدِيَ ثُلُثًا، وَيَتَصَدَّقَ بِثُلُثٍ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ **فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾** ﴾ [الحج].

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ - حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ - اشْكُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَلَقَدْ كَانَ النَّاسُ قَبْلَ انْبِلَاجِ فَجْرِ الْإِسْلَامِ: بِبِعْثَةِ خَيْرِ الْأَنَامِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِي جَهَالَةٍ حَالِكَةٍ، وَضَلَالَاتٍ هَالِكَةٍ،

---

(١) كما في حديث أنس رضي الله عنه قال: «ضَحَّى النبي ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، فَرَأَيْتُهُ وَاضِعًا قَدَمَهُ على صِفَاحِهِمَا يُسَمِّي وَيُكَبِّرُ، فَذَبَحَهُمَا بيده». أخرجه البخاري (٥٥٥٨).

(٢) كما في حديث علي رضي الله عنه قال: «أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى الْبُدْنِ، وَلَا أُعْطِيَ عَلَيْهَا شَيْئًا فِي جِزَارَتِهَا» أخرجه البخاري (١٧١٦).

يَئِدُونَ الْبَنَاتِ، وَيَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالْأَحْجَارَ، كَالْعُزَّىٰ وَاللَّاتِ، يَتَطَيَّرُونَ وَيَتَكَهَّنُونَ، وَيَتَعَلَّقُونَ بِالْأَوْهَامِ وَالْخُرَافَاتِ، وَيَأْتُونَ الْفَوَاحِشَ وَالْمُحَرَّمَاتِ.

قَدْ كَانُوا فِي ظَلَامٍ بَهِيمٍ دَامِسٍ، وَكُفْرٍ لِحَقِيقَةِ الْحَيَاةِ طَامِسٍ، إِلَىٰ أَنْ أَضَاءَ الْكَوْنُ بِشَمْسِ الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، عَلَىٰ صَاحِبِهَا أَفْضَلُ التَّحِيَّةِ وَأَزْكَىٰ السَّلَامِ، فَأَخْرَجَتْ تِلْكَ الْأُمَّةَ وَمَنْ تَلَاهَا، مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَبَعَثَتْهَا مِنَ الْمَمَاتِ إِلَىٰ الْحَيَاةِ، وَانْتَشَلَتْهَا مِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَىٰ عَدْلِ وَرَحْمَةِ الْإِسْلَامِ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾[إبراهيم].

وَكَانَ أَسَاسَ الْأُسُسِ، وَأَصْلَ الْأُصُولِ فِي دَعْوَتِهِ ﷺ، وَرَكِيزَةَ مُرْتَكَزَاتِهَا، وَرُكْنَ أَرْكَانِهَا: الْأَمْرُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ وَإِفْرَادُهُ بِالْعِبَادَةِ، وَنَبْذُ كُلِّ مَا سِوَاهُ؛ تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات].

وَهَٰذَا الْمَقْصِدِ الْأَجَلِّ ـ يَا عِبَادَ اللَّهِ ـ أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، يَقُولُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء]، وَيُحَذِّرُ ـ سُبْحَانَهُ ـ

خَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ مِنْ مَعَرَّةِ الشِّرْكِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر]، يُفِيدُ ذَلِكَ أَجْلَىٰ مُفَادٍ، عَلَىٰ خُطُورَةِ الشِّرْكِ عَلَىٰ الْمِلَّةِ وَالْأُمَّةِ، وَالْحَذَرِ مِنْ شَوْبِ التَّوْحِيدِ بِمَا يُنْقِصُهُ أَو يَنْقُضُهُ، يَقُولُ الْحَقَّ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام]. وَفِي التَّنْدِيدِ وَالتَّشْنِيعِ عَلَىٰ مَنْ حَادَّ اللَّهَ بِالْإِشْرَاكِ بِهِ، يَقُولُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ [الإسراء]، وَيَقُولُ ـ سُبْحَانَهُ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الأعراف].

إِنَّ التَّوْحِيدَ الْخَالِصَ لِلَّهِ، هُوَ الَّذِي أَطْلَقَ الْعُقُولَ مِنْ أَغْلَالِ الْخُرَافَةِ، وَحَرَّرَهَا مِنْ قُيُودِ الذُّلِّ إِلَّا لِلَّهِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ إِلَّا بِاللَّهِ، وَإِنَّ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ الْخَالِصَةَ مِنْ كُلِّ شَوْبٍ وَكَدَرٍ، هِيَ الَّتِي خَرَّجَتْ أَجْيَالًا مِنَ الْأُمَّةِ غَيَّرَتْ مَجْرَىٰ التَّأْرِيخِ، وَلَأْلَأَتْ وَجْهَ الْعَالَمِ بِتَأْلِيفِ أَبْهَىٰ وَأَزْهَىٰ حَضَارَةٍ عَرَفَتْهَا الْبَشَرِيَّةُ، وَبِهَا قُهِرَتِ الشَّدَائِدُ الْعَاتِيَةُ وَالْجُيُوشُ الْغَاشِمَةُ، ضِدَّ الْمِلَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، وَهِيَ ـ وَلَا مِرْيَةَ ـ أَسَاسُ

الْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ، الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَسْتَعْصِمَ بِهَا كُلُّ مُسْلِمٍ صَادِقِ الْإِيمَانِ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ: وَمَا يُبْدِئُ الْمُوَحِّدُ الْغَيُورُ وَيُعِيدُ، فِي قَضِيَّةِ الْعَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ، إِلَّا لِأَنَّهُ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ، وَمَا كَانَ حَقًّا لِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- طَابَ ذِكْرُهُ فِي الْأَفْوَاهِ وَحَلَا: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج].

اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: وَمِنَ الْمُهِمَّاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَوَارَدَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ فِي مَوْسِمِ حَجِّهِمْ الْمُبَارَكِ، كَوْنُ الشَّرِيعَةِ السَّمْحَةِ جَاءَتْ بِالْوَسَطِيَّةِ وَالِاعْتِدَالِ، فِي كُلِّ أَبْوَابِهَا وَمَقَاصِدِهَا، فَهِيَ وَسَطٌ فِي الْعَقِيدَةِ، وَسَطٌ فِي الْعِبَادَاتِ، وَسَطٌ فِي الْمُعَامَلَاتِ، وَسَطٌ فِي الْأَنْبِيَاءِ، وَسَطٌ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فَلَا إِعْنَاتَ وَلَا غُلُوَّ، وَلَا مَشَقَّةَ وَلَا حَرَجَ،

وَلَا تَنَطُّعَ[1] وَلَا شَطَطَ[2]: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وَمِنْ قَوَاعِدِنَا الْفِقْهِيَّةِ: الْمَشَقَّةُ تَجْلِبُ التَّيْسِيرَ.

وَلَـمَّا انْحَرَفَ فِئَامٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - وَهُمْ قِلَّةٌ - عَنْ مِنْهَاجِ الْوَسَطِيَّةِ وَالاِعْتِدَالِ، ظَهَرَتْ فِتْنَةٌ فَاقِرَةٌ، يُقَاسِي الْمُسْلِمُونَ جَرَّاءَهَا الْكُرُوبَ وَالْمِحَنَ، أَلَا وَهِيَ فِتْنَةُ التَّكْفِيرِ - أَجَارَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ لَظَاهَا - الدَّاعِيَةُ إِلَى الْخُرُوجِ عَلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ وَالْحُكَّامِ، وَإِثَارَةِ الْقَلَاقِلِ، وَزَعْزَعَةِ أَمْنِ الْمُسْلِمِينَ، وَشَرْخِ صَفِّ جَمَاعَتِهِمْ.

وَأَسْبَابُ ضَلَالِ هَٰذِهِ النَّابِتَةِ، فَهُمْ مُنْحَرِفٌ آحَادِيٌّ لِنُصُوصٍ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، ضَارِبِينَ صَفْحًا عَنْ فَهْمِ الصَّحَابَةِ الْأَبْرَارِ، الَّذِينَ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ، وَأَدْرَكُوا التَّأْوِيلَ، مُطَّرِحِينَ أَقْوَالَ السَّلَفِ الْأَخْيَارِ، وَأَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ، وَدَلَالَةِ اللُّغَةِ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة].

---

(١) التَّنَطُّعُ: التعمق. ينظر: «الصحاح» (نطع).

(٢) الشَّطَطُ: مجاوزة القدر والحد. يُنظر: «المغرب في تعريب المعرب» (شطط).

إِنَّ الَّذِينَ يُؤَلِّبُونَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ حُكَّامِهِمْ؛ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَالْفَوْضَىٰ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَإِرْهَابًا وَإِرْعَابًا وَتَفْجِيرًا، وَاسْتِحْلَالًا لِلدِّمَاءِ الْمَعْصُومَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهَدِينَ وَالْمُسْتَأْمَنِينَ - بِاسْمِ الْإِسْلَامِ، وَدَعْوَىٰ الْإِصْلَاحِ بِإِفْكِهِمْ - لَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ، وَأَشَدِّهِ تَنَكُّبًا عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ الْأَبْلَجِ، وَأَعْمَقِهِ مُخَالَفَةً لِدَعْوَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَسَوَاءِ الْمَنْهَجِ، يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

اللَّهُ أَكْبَرُ! أَيُّ وَعِيدٍ وَتَهْدِيدٍ أَبْلَغُ وَأَزْجَرُ مِنْ هَٰذَا؟! وَيَقُولُ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَهَلْ يَعْنِي الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - اتِّخَاذَ الْمُسْتَأْمَنِينَ وَالْمُعَاهَدِينَ وَالذِّمِّيِّينَ غَرَضًا لِلْقَتْلِ وَالتَّرْوِيعِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ؟! يَقُولُ - جَلَّ شَأْنُهُ -: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟

(١) برقم (٣١٦٦) من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما.

﴿هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وَيَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة]، وَالْآيَةُ مُحْكَمَةٌ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ عَلَىٰ الصَّحِيحِ، وَهِيَ دَلِيلٌ عَلَىٰ سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ وَاعْتِدَالِهِ وَيُسْرِهِ.

وَيَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنِ الْعَدْلِ إِلَى الْجَوْرِ، وَعَنِ الرَّحْمَةِ إِلَىٰ ضِدِّهَا، وَعَنِ الْمَصْلَحَةِ إِلَىٰ الْمَفْسَدَةِ، وَعَنِ الْحِكْمَةِ إِلَىٰ الْعَبَثِ، فَلَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَإِنْ أُدْخِلَتْ فِيهَا بِالتَّأْوِيلِ، فَالشَّرِيعَةُ عَدْلُ اللَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَرَحْمَتُهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَظِلُّهُ فِي أَرْضِهِ، وَحِكْمَتُهُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ صِدْقِ رَسُولِهِ ﷺ أَتَمَّ دَلَالَةٍ وَأَصْدَقَهَا**»[1]، مَا أَجْمَعَهَا مِنْ كَلِمَاتٍ شَافِيَاتٍ!

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّ قَضِيَّةَ التَّكْفِيرِ ـ النَّاجِمَةَ عَنِ انْحِرَافٍ وَغُلُوٍّ، وَجَهْلٍ مُرَكَّبٍ فِي فَهْمِ مَسَائِلَ مِنَ الدِّينِ، كَالْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، وَالْجِهَادِ وَالْحُدُودِ وَالدِّمَاءِ ـ بَلَغَتْ حَدًّا يُوجِبُ التَّصَدِّي لَهَا بِالاسْتِكْنَاهِ[2]

---

(١) يُنظر: «إعلام الموقعين» (٣/ ٣).

(٢) الاسْتِكْنَاهُ: معرفة الأصل والجوهر، يُقال: اكتنهتُ الأمر، إذا بلغت كنهه، والكُنْه: جوهر الشيء وحَقِيقَتُهُ. والمُراد: مَعْرِفَة حَقِيقَتِها وأَصلِهَا. يُنظر: «اللسان» (كنه).

والحَسْمِ، وَحِرَاسَةِ الشَّبَابِ الْغَضِّ مِنَ الْـهَوِيِّ فِي عَيْنِهَا الْـحِمِئَةِ[1].

وَعَلَىٰ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْـمَرْئِيَّةِ وَالْـمَسْمُوعَةِ وَالْـمَقْرُوءَةِ، وَالْعُلَمَاءِ وَالْـخُطَبَاءِ، وَالدُّعَاةِ وَرِجَالِ الْـحِسْبَةِ، أَنْ يَرْبِطُوا الْـمُسْلِمِينَ وَفِتْيَانَ الْإِسْلَامِ، بِمِنْهَاجِ الْوَسَطِيَّةِ السَّلَفِيَّةِ الْـمُعْتَدِلَةِ، الَّتِي جَاءَتْ بِهَا شِرْعَةُ الْإِسْلَامِ، وَتَمَثَّلَتْهَا دِيَارُ التَّوْحِيدِ، فَكَانَ أَنْ سَطَعَ بِأَسَاطِينِ قِيَادَتِهَا نُورُ الْإِيمَانِ، وَعَمَّ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ، وَغَدَتْ ثَغْرًا بَاسِمًا فِي وَجْهِ الزَّمَانِ، فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَمَنًّا، لَا بِاكْتِسَابٍ مِنَّا: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨].

أُمَّةَ الدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ: وَمِنَ الْقَضَايَا الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَتَوَاصَىٰ بِهَا ـ فِي شَرَفِي الزَّمَانِ وَالْـمَكَانِ، وَنُحَدِّدَ أُصُولَهَا وَضَوَابِطَهَا، وَنَتَّخِذَهَا عُنْوَانَ حِرْصٍ لِلتَّرَابُطِ، وَتَجَاوُزِ الْعَقَبَاتِ وَالصِّعَابِ ـ الدَّعْوَةُ لِلإِصْلَاحِ، الَّذِي هُوَ وَجْهٌ مِنْ وُجُوهِ حِكْمَةِ بَعْثِ الْأَنْبِيَاءِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ قَالَ ـ تَعَالَىٰ ـ عَلَىٰ لِسَانِ هُودٍ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: ﴿إِنْ

---

(١) يُقال: عين حمئة، أي: كثرت فيها الحمأة، والحمأة هي: الطين الأسود المنتن. يُنظر: «مفردات ألفاظ القرآن»، و«اللسان» (حمأ).

أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ [هود].

وَالَّذِينَ يَتوجَّهُونَ شَطْرَ الْإِصْلَاحِ الْمُعْتَبَرِ، وَيَحْمِلُونَ لِوَاءَهُ، هُمْ رِجَالٌ بَرَرَةٌ بِالْأُمَّةِ، يُسْلِمُونَهَا إِلَىٰ سَاحَاتِ الْخَيْرِ وَالْقُوَّةِ، وَلَا يَقُودُ هَٰذِهِ الرِّكَابَ إِلَّا كَبِيرُ الْهِمَّةِ، مَضَّاءُ الْعَزِيمَةِ.

وَسَيَكُونُ الْإِصْلَاحُ مَغْنَمًا، إِذَا انْطَلَقْنَا فِيهِ مِنْ إِصْلَاحِ النَّفْسِ، وَالنَّظَرِ فِي عُيُوبِهَا وَتَهْذِيبِهَا، وَأَطْرِهَا عَلَىٰ سُنَنِ الْهُدَىٰ، وَأَتْبَعْنَا ذَلِكَ بِإِصْلَاحِ الْبَيْتِ وَلَبِنَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ نَوَاةُ الْمُجْتَمَعِ.

وَسَيَكُونُ الْإِصْلَاحُ لِلْعَلْيَاءِ مِرْقَاةً، إِذَا بَسَطْنَا ظِلَالَهُ عَلَىٰ الْأُمَّةِ، بِمَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ، مِنَ التَّدَرُّجِ وَالرِّفْقِ وَالْأَنَاةِ.

وَلَمَّا كَانَتِ الْأَهْوَاءُ تَجْمَحُ، وَالْمَدَارِكُ تَخْتَلِفُ وَتَتَفَاوَتُ، كَانَ لِزَامًا اعْتِبَارُ صَلَاحِ الْمُصْلِحِ، وَصَفَاءِ مَنْهَجِهِ، وَاسْتِقَامَةِ آرَائِهِ؛ إِذْ لَا يَشْفَعُ فِي هَٰذِهِ الْأَمَانَةِ الْجُلَّىٰ، سَلَامَةُ النِّيَّةِ وَحُبُّ الْخَيْرِ - عَلَىٰ أَنَّهُمَا مَحْمَدَتَانِ - مَعَ ضَحَالَةِ الْعِلْمِ، وَقُصُورِ التَّرْجِيحِ بَيْنَ الْمَفَاسِدِ وَالْمَصَالِحِ، وَالثَّوَابِتِ وَالْمُتَغَيِّرَاتِ.

وَبِهَٰذَا تَتَفَتَّقُ أَكْمَامُ الْإِصْلَاحِ عَلَىٰ قَوْلِ الْحَقِّ - سُبْحَانَهُ -:

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأنعام]، وَيُؤَكِّدُ عَلَىٰ التَّحْذِيرِ مِنَ الْجَانِبِ الْمَزْعُومِ لِلْإِصْلَاحِ، الَّذِي كَشَفَهُ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ غَايَةَ الْكَشْفِ، وَهُوَ جَانِبُ الْمُنَافِقِينَ، فِي قَوْلِهِ ـ تَعَالَىٰ ـ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ الْخَيِّرَةَ ـ أَيَّتُهَا الْوُفُودُ الْمُبَارَكَةُ ـ: تَعِيشُونَ هَـٰذَا الْيَوْمَ، وَعَلَىٰ ثَرَىٰ الْبَلَدِ الْأَمِينِ الْأَفْيَحِ[1]، سُرُورَ الْعِيدِ، وَأُنْسَ التَّعَارُفِ وَالتَّآلُفِ، وَتَنْعَمُونَ بِنَسَائِمِ الرَّحْمَةِ، وَالْأُخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحَانِيَةِ، فِي هَـٰذِهِ الْمَوَاكِبِ الْمَهِيبَةِ الْفَرِيدَةِ، وَلَكِنَّنَا نَقُولُ فِي غَمْرَةِ الْأَسَىٰ: إِنَّ أُمَّتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ لَا تَزَالُ تَتَجَرَّعُ الْمَآسِيَ وَالْحَسَرَاتِ، وَتَتَلَقَّى الْوَيْلَاتِ وَالنَّكَبَاتِ، الْقَوَارِعُ تَنُوشُهَا مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ، وَالْخُطُوبُ تَؤُمُّهَا مِنْ كُلِّ مَضِيقٍ وَطَرِيقٍ، تَبَدَّدَتْ قُوَاهَا، وَانْفَصَمَتْ عُرَاهَا، وَحَيْثُمَا أَجَلْتَ النَّظَرَ، أَدْمَتْ عَيْنَيْكَ وَقَلْبَكَ، الْأَشْلَاءُ وَالدِّمَاءُ، وَاغْتِصَابُ الْأَرْضِ وَالْعِرْضِ!

---

(١) سبق بيان معناها (ص٢٩).

وَالْعَدُوُّ الْمُتَرَبِّصُ يَجِدُّ فِي خَنْقِ أَنْفَاسِهَا، وَتَجَاهُلِ قَضَايَاهَا، وَلَا مُخَلِّصَ لَهَا مِنْ هَذَا الْهَوَانِ، إِلَّا الِاعْتِصَامُ بِكِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنْ تَتَنَادَىٰ وَتَتَوَاصَىٰ بِالْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَسِيكَةِ، عَلَىٰ مَرِّ الْفُرَصِ وَالْمُنَاسَبَاتِ، وَأَنْ لَا تَرْبِطَ وَلَاءَاتِهَا وَتَوَجُّهَاتِهَا إِلَّا بِعَقِيدَتِهَا وَدِينِهَا وَثَوَابِتِهَا: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران].

وَفِي هَذَا الْمَوْسِمِ الْكَرِيمِ: مُلْتَقَىٰ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ أَطْرَافِ الْبِقَاعِ وَالْأَصْقَاعِ، يَجِبُ عَلَىٰ الْأُمَّةِ أَنْ يَمْتَدَّ بَصَرُهَا؛ لِتَعِيَ جَيِّدًا مَوْقِعَهَا مِنْ رِكَابِ الْعَلْيَاءِ وَالْقِيَادَةِ، وَلِتَعْلَمَ أَنَّ مَسْؤُولِيَّاتٍ جِسَامًا تَنْتَظِرُهَا، كِفَاؤُهَا الصَّبْرُ وَالْعِزَّةُ، فِي ابْتِدَارٍ لِأَسْبَابِ النَّصْرِ، وَوَسَائِلِ الظَّفَرِ، مَهْمَا كَانَتْ قُوَّةُ الْعَدُوِّ قَاهِرَةً. ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٥٧﴾ [النور] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٣٢﴾ [التوبة].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا: إِنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلْغَايَةِ الْمَنْشُودَةِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ وَالْوَحْدَةِ، وَحِمَايَةِ الدِّيَارِ وَالذِّمَارِ[1]، وَدَحْرِ الْمُعْتَدِينَ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ مُسْلِمَةٍ، إِلَّا بِالْأَوْبَةِ الصَّادِقَةِ، الْعَمَلِيَّةِ الْحَازِمَةِ، إِلَىٰ الْوَحْيَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَاتِّخَاذُهُمَا شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَدُسْتُورَ حَيَاةٍ، دُونَ انْحِرَافٍ عَنْ ذَلِكَ قِيدَ مِيلٍ.

وَإِنَّنَا فِي حَاجَةٍ مِلْحَاحٍ إِلَىٰ أَنْ نَتَمَثَّلَ ذَلِكَ: خِفَافًا وَثِقَالًا، زَرَافَاتٍ وَوِحْدَانًا، كُلٌّ بِحَسْبِ ثَغْرِهِ مِنَ الْأَمَانَةِ وَالْمَسْؤُولِيَّةِ، عَلَىٰ كُلِّ صَعِيدٍ: سِيَاسِيًّا، وَثَقَافِيًّا، وَاقْتِصَادِيًّا، وَاجْتِمَاعِيًّا. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

إِخْوَةَ الْإِسْلَامِ: وَمِنَ الْقَضَايَا الَّتِي أَشْخَصَتِ الْأَبْصَارَ، وَمَزَّقَتِ الْأَكْبَادَ، وَأَذَاقَتِ الْغَيُورَ وَسِوَاهُ، اللَّوْعَةَ وَالسُّهَادَ، قَضِيَّةُ فِلِسْطِينَ

---

(١) الذِّمَارُ: الحرم والأهل، وقيل: ذمار الرجل هو كل ما يلزمه حفظه وحياطته وحمايته والدفع عنه، وإذا ضيعه لزمه اللوم. يُنظر: «اللسان» (ذمر).

الْمُحْتلَّةِ السَّلِيبَةِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ الْمُعَنَّىٰ.

فِلِسْطِينُ تُسَامُ الدُّونَ[1]، وَتُقَاسِي مَرَائِرَ الْعُدْوَانِ وَالْهُونَ، لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ تَطِيبُ الْأَيَّامُ وَأَرْضُنَا الْمُقَدَّسَةُ مَسْرَىٰ إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ فِي قَبْضَةِ الشِّرْذِمَةِ الْيَهُودِ؟ يُلَطِّخُونَهَا بِأَرْجَاسِهِمْ وَأَنْجَاسِهِمْ، وَيُثَبِّتُونَ فِيهَا أَقْدَامَهُمْ، وَيَحْشُدُونَ قُوَاهُمْ، وَيُضَاعِفُونَ خِطَطَهُمْ وَمَآرِبَهُمْ عَبْرَ التَّوَسُّعَاتِ الْجُغْرَافِيَّةِ، وَالْجِدَارِ الْفَاصِلِ الْعُنْصُرِيِّ بِأَخَرَةٍ، عَلَىٰ سَمْعٍ مِنَ الْعَالَمِ وَمَرْآهُ، بَلْ يَسُومُونَ إِخْوَانَنَا الْقَصْفَ وَالْخَسْفَ، وَالتَّدْمِيرَ وَالتَّشْرِيدَ وَالْإِرْهَابَ، بِكُلِّ مَا يَحْمِلُ هَـٰذَا الْمُصْطَلَحُ ـ الْمُتَلَاعَبُ بِهِ ـ مِنْ مَعَانِي الْغِلْظَةِ وَالْقَسْوَةِ وَالْعُنْجُهِيَّةِ[2]!!!

وَأَلِيَّةً[3] بِفَاطِرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ! لَا حِنْثَ يَعْرُوهَا، لَوْ أَنَّ الْإِرْهَابَ وَالظُّلْمَ، وَالصَّلَفَ[4] وَالقِحَةَ[5]، صُوِّرَتْ مَخْلُوقَةً لَمَا

---

(١) الدُّون: الخِسَّة. يُنظر: «اللسان» (دنأ).

(٢) العُنْجُهِيَّةُ: الكبر. يُنظر: «اللسان» (عجه).

(٣) الأَلِيَّةُ: اليمين والحَلِف، وجمعها: ألايا، يُقال: آلَىٰ يُؤلي إيلاءً، إذا حَلَفَ. يُنظر: «الصحاح» (ألا).

(٤) سبق بيان معناها (ص٢٠٨).

(٥) سبق بيان معناها (ص٤٧٩).

تَخَطَّتْ تِلْكَ الطُّغْمَةَ مِنَ الصَّهَايِنَةِ!!!

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَتَسْتَحْكِمُ بِنَا حَلَقَاتُ الْمِحَنِ، وَيَبْسُطُ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ أَيْدِيَهُمْ بِالسُّوءِ، وَتَضِيعُ بِلَادُ الرَّافِدَيْنِ، مَهْدُ الْعُلَمَاءِ، وَمَوْئِلُ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْخُلَفَاءِ حِقْبَةً مِنَ الزَّمَانِ. وَتُنْتَزَعُ تِلْكَ الرُّقْعَةُ الْهَضِيمَةُ، بِدَعْوَىٰ: السَّلَامِ، وَتَحْرِيرِ الشُّعُوبِ مِنَ الِاسْتِعْبَادِ وَالتَّسَلُّطِ، حَتَّىٰ أَمْسَىٰ الْعَمَارُ فِيهَا دَمَارًا وَتَبَارًا، وَأَسْرَعَ الْغَاصِبُ إِلَىٰ خَيْرِهَا وَتَبَارَىٰ، وَغَدَا الِاسْتِقْرَارُ فَوْضَىٰ وَتَنَازُعًا وَبَوَارًا، وَإِلَىٰ اللَّهِ بَثًّا وَشَكْوَانَا!!!

فَيَامَنْ تَشْهَدُونَ هَٰذِهِ الْعِبَادَةَ الْعَظِيمَةَ، وَيَا مَنْ تَتَصَعَّدُ مِنْ أَحْنَائِكُمُ الزَّفَرَاتُ، وَتَلْجَؤُونَ إِلَىٰ الرَّحْمَٰنِ بِأَحَرِّ الدَّعَوَاتِ، وَالْعَبَرَاتِ الذَّارِفَاتِ، اذْكُرُوا إِخْوَانَكُمُ الْمُفَزَّعِينَ وَالْمُلْتَاعِينَ فِي الْعِرَاقِ، وَفِي فِلَسْطِينَ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ جَمَعَ الْمُسْلِمِينَ، ادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ غُمُومَهُمْ وَهُمُومَهُمْ، وَأَنْ يَنْصُرَهُمْ عَلَىٰ الْبُغَاةِ الْمُعْتَدِينَ، ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [النساء].

وَبِهَٰذِهِ الْمَكَايِدِ الزُّيُوفِ، بَرِحَ الْخَفَاءُ، وَبَانَتِ الدَّعَاوَىٰ الْجَوْفَاءُ،

وَأَيقنَّا أَنَّ الْـهيئَاتِ الْعَالَـمِيَّةَ، الَّتِي تتَعَلَّلُ بِالعُلالاتِ الْوَاهِيَةِ، لَـنْ تَجْمَعَ مُتَفرِّقًا، وَلَنْ تَزْجُرَ عَادِيًا؛ وَأَنَّ الْـمَجَالِسَ الدُّوَلِيَّةَ الَّتِي تُمَاطِلُ قَضَايَانَا لَنْ تُؤَمِّنَ خَائِفًا، وَلَـنْ تَنْصُرَ مَظْلُومًا، وَلَـنْ يَصْلُحَ حَالُنَا إِلَّا بِاتِّحَادِنَا وَتَآلُفِنَا، وَتَوَجُّهِنَا شَطْرَ كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

اللَّـهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَاللَّـهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّـهِ الْـحَمْدُ.

نَسْأَلُ اللَّـهُ أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَ الْـمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْ يُهَيِّئَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ رَشَدًا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ الْعَظِيمَ الجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ، وَلِلمُسْلِمِينَ كَافَّةً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اللَّهُ أَكبَرُ، اللَّهُ أَكبَرُ، اللَّهُ أَكبَرُ، اللَّهُ أَكبَرُ، اللَّهُ أَكبَرُ، اللَّهُ أَكبَرُ، اللَّهُ أَكبَرُ، اللَّهُ أَكبَرُ، اللَّهُ أَكبَرُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلَامِ، أَكمَلَ لَنَا الدِّينَ وَأَتَمَّ الْإِنْعَامَ، وَجَعَلَ الْحَجَّ خَاتِمَ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَرَعَ لَنَا خَيْرَ مِلَّةٍ، وَأَحْكَمَ الْأَحْكَامَ، وَأَنْزَلَ كِتَابًا بَيِّنَ الْآيَاتِ، بَدِيعَ النِّظَامِ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ أَزْكَىٰ الْأَنَامِ، انْجَابَتْ بِنُورِ رِسَالَتِهِ حَنَادِسُ[1] الظَّلَامِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، الْهُدَاةِ الْأَعْلَامِ، فُرْسَانِ الْوَغَىٰ[2] وَلُيُوثِ الْآجَامِ[3]، وَمَنْ تَبِعَ آثَارَهُمْ بِالْحَقِّ وَاسْتَقَامَ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ التَّقْوَىٰ

---

(١) سبق بيان معناها (ص١٥٠).

(٢) الوَغَىٰ: الصوت والجلبة، ومنه قيل للحرب: وَغَى. يُنظر: «الصحاح» (وغي).

(٣) الآجَامُ: جمع أجمة، وهي: الشجر الملتف. يُنظر: «اللسان» (أجم).

سَبَبُ الْقَبُولِ، وَخَيْرُ مَطِيَّةٍ لِتَحْقِيقِ الْـخَيْرِ الْـمَأْمُولِ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة].

أَيُّهَا الْـمُسْلِمُونَ: أَيُّهَا الْـمُسَبِّحُونَ الْـحَامِدُونَ، وَالشَّاكِرُونَ الذَّاكِرُونَ، وَالْـمُلَبُّونَ وَالْـمُهَلِّلُونَ، وَالدَّاعُونَ وَالرَّاجُونَ: إِنَّ مِنْ مَقَاصِدِ الْإِسْلَامِ السَّامِيَةِ: تَهْذِيبَ النُّفُوسِ مِنْ الشُّحِّ وَالْأَثَرَةِ، وَالْإِحْسَانُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْـمُحْتَاجِينَ، وَالْـمَلْهُوفِينَ وَالْـمَنْكُوبِينَ، يَقُولُ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة]، ﴿وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٦﴾ [التغابن]، يقول ﷺ: **«مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ»**(١).

وَهَٰذِهِ السَّجِيَّةُ - الْـمُنْبَثِقَةُ مِنْ سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ وَجَوْهَرِهِ - تَأْسُو(٢) الْـجِرَاحَ، وَتُدَاوِي الْكُلُومَ، وَتُخَفِّفُ الْبَأْسَاءَ، وَلَا غِنَىٰ لِأَيِّ مُجْتَمَعٍ عَنْهَا يَنْشُدُ الْـمَحَبَّةَ وَالْوِئَامَ؛ لِـمَا فِي طَيَّاتِهَا - بِإِذْنِ اللَّهِ - مِنَ الضَّمَانَةِ لِلسَّعَادَةِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٩) من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه.

(٢) تَأْسُو: تداوي. يُنظر: «اللسان» (أسا).

وَالطُّمَأْنِينَةِ، وَمَرْضَاةِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ. وَلَنْ يَتَنَكَّرَ لِذَوِي الْحَاجَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْفَاقَاتِ، وَالزَّمْنَىٰ وَالْمُعْوِزِينَ، إِلَّا غِلَاظُ الْأَكْبَادِ، وَقُسَاةُ الْقُلُوبِ ـ عِياذًا بِاللَّهِ ـ وَشَرِيعَتُنَا الرَّحِيمَةُ، حَذَّرَتْ مِنْ ذَلِكَ أَيَّما تَحْذِيرٍ.

إِنَّ الْأَعْمَالَ الْخَيْرِيَّةَ وَالْإِغَاثِيَّةَ بِصُنُوفِهَا الْمُتَعَدِّدَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ، جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ وَحْدَةِ بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَمَنْظُومَتِهَا الِاقْتِصَادِيَّةِ، وَمَا هِيَ إِلاَّ شُكْرٌ لِلْمُنْعِمِ عَلَىٰ إِنْعَامِهِ، وَآيَةٌ سَاطِعَةٌ عَنْ كَرَمِ أَهْلِهَا، وَزَكَاءِ أَرُومَتِهِمْ[1]، وَمَحَبَّتِهِمْ لِلْخَيْرِ وَتَفَانِيهِمْ فِيهِ، بِحَمْدِ اللَّهِ.

وَلَنْ يَقْبِضَ أَيْدِينَا عَنْ إِسْدَاءِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَبَذْلِ النَّدَىٰ وَالْمَعْرُوفِ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَلَوْ فِي أَقَاصِي الْمَعْمُورَةِ ـ كَمَا هُوَ وَاقِعٌ فِي الْحَالِ ـ تَخْذِيلُ الشَّانِئِينَ، وَمُحْتَرِفُو الْإِسَاءَةِ لِلْخَيِّرِينَ الْبُرَآءِ.

وَذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدْحٍ   وَإِنْ غَدَا أَقْوَمَ مِنْ قِدْحٍ[2]

قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم].

---

(١) الأَرُومة: أصل كل شيء ومجتمعه. يُنظر: «اللسان» (أرم).

(٢) البيت لأبي الفضل الميكالي. يُنظر: «يتيمة الدهر» (٤/ ٤٤٠).

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّـهُ أَكْبَرُ، لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَاللَّـهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّـهِ الْـحَمْدُ.

وَالْقَولُ مَوْصُولٌ بِالْـحَدِيثِ عَنْ مَنَاهِجِنَا مَباهِجِنَا، الَّتِي تُـمَثِّلُ مِـحْورَ الثَّمَـرَةِ التَّعْلِيمِيَّـةِ، وَفِي ضَـوْئِهَا تَتَكَـوَّنُ مَـدَارِكُ الْأَجْيَـالِ وَاتِّجَاهَـاتُهُمْ، وَبِهَـا تَتَعَلَّـقُ الْآمَـالُ فِي الْإِصْـلَاحِ الْفِكْـرِيِّ وَالْعَقَـدِيِّ وَالِاجْتِمَاعِيِّ، وَهِـيَ - وَلَا رَيْـبَ - مِـنَ الْـمِقْدَارِ بِمَكَـانٍ فِي الدَّلَالَـةِ عَلَىٰ رُقِـيِّ الْأُمَّـةِ أَوْ انْحِـدَارِهَا. وَلَـئِنْ حَـدَّقْنَا فِي مَـضَامِينِ تِلْـكَ الْـمَنَاهِجِ وَمَعَانِيهَا، وَحَلَّقْنَا فَوْقَ مُفْرَدَاتِهَا وَمَبَانِيهَا، أَلْفَيْنَاهَا - بِحَمْدِ اللَّـهِ وَمَنِّهِ - قَائِمَةً عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُسْتَوْحَاةً مِنْ هَدْيِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ، مُوَاكِبَةً لِتَمـدُّنِ الْعَـصْرِ وَتَطَـوُّرِهِ، فِي غَـيْرِ تَبَعِيَّـةٍ أَوْ ذَيْلِيَّـةٍ، نَقْتَبِسُ مِـنْ عُلُـومِ الْـحَضَارَةِ مَا تُؤَيِّدُهُ شَرِيعَتُنَا، وَنَنْبُذُ مَا سِوَاهُ.

وَأَمَّا الْافْتِرَاءَاتُ الَّتِي أُلْـحِقَتْ بِهَا، وَحَامَتْ حَوْلَـهَا، فَهِيَ أَوْهَىٰ مِنْ أَنْ تُتَعقَّبَ أَوْ تُنْقَضَ! وَتَحْوِيرُ الْـمَنَاهِجِ وَتَنْقِيحُهَا، مِمَّا يَقْتَضِيهِ تَوَثُّبُ الْعَصْرِ وَرُقِيُّهُ، دَرَجَتْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ الْأُمَـمُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَلَـسْنَا بِـدْعًا فِي هَـٰذَا الْـمُرْتَقَىٰ.

وَلْتَقَرَّ عُيُونُ الَّذِينَ يَدُوكُونَ وَيَخُوضُونَ فِيهَا بِعِلْـمٍ - أَوْ بِغَيْرِ عِلْـمٍ - أَنَّهَا بِأَيْدٍ أَمِينَةٍ، مُخْلِصَةٍ لِدِينِهَا وَأُمَّتِهَا.

وَيَتْبَعُ ذَلِكَ، الْإِيصَاءُ بِالْحِرْصِ عَلَىٰ تَأْهِيلِ الْمُعَلِّمِينَ وَالْمُعَلِّمَاتِ، الَّذِينَ يَتَحَمَّلُونَ أَمَانَةَ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ، بِأَنْ يَكُونُوا قُدْوَةً لِطُلَّابِهِمْ قَوْلًا وَعَمَلًا، دَاخِلَ حُصُونِ التَّعْلِيمِ وَخَارِجِهَا، وَأَنْ يُتَحَرَّىٰ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ حَظٍّ مِنَ الدِّينِ وَالنُّضْجِ الْعَقْلِيِّ، وَالْجَانِبِ الْخُلُقِيِّ.

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

عِبَادَ اللَّهِ: وَمِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَشْهَدَهَا فِي هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الرَّبَّانِيِّ: ضَرُورَةُ الْعِنَايَةِ بِالشَّبَابِ، مَنَاطِ آمَالِ الْأُمَّةِ، وَمَعْقِدِ رَجَائِهَا: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف]؛ لِأَنَّ إِغْفَالَ قَضَايَا هَذِهِ الشَّرِيحَةِ الْمُهِمَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ، وَالتَّجَافِي عَنْ مُحَاوَرَتِهِمْ، وَتَوْجِيهِهِمْ، وَإِرْجَاءَ الْحُلُولِ لِمُشْكِلَاتِهِمْ، قَدْ يُؤَدِّي بِهِمْ إِلَىٰ فَسَادٍ عَرِيضٍ، وَتَخَبُّطٍ ذَرِيعٍ، وَمَا فَوَاجِعُنَا الَّتِي كَابَدْنَاهَا، مِنَّا بِبَعِيدٍ؛ لِذَا، فَإِنَّ الْحَاجَةَ مُلِحَّةٌ لِأَخْذِهِمْ بِحِكْمَةِ الْعَاقِلِ الْأَحْوَذِيِّ[1]، وَاسْتِخْدَامِ أَمْثَلِ الْأَسَالِيبِ الَّتِي تُلَامِسُ أَفْئِدَتَهُمْ، وَتُوَافِقُ فِطَرَهُمْ؛ لِنَثُوبَ بِهِمْ إِلَىٰ

---

(١) الأحوذي: لها عدة معان، منها: المشمِّر في الأمور، القاهر لها، الذي لا يشذ عليه منها شيء. يُنْظر: «اللسان» (حوذ).

رِحَابِ الْجِيلِ الْإِسْلَامِيِّ الْمَأْمُولِ ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَكُونُ مِنْ أَوْلَوِيَّاتِ حِوَارِنَا الدَّاخِلِيِّ، الَّذِي نَفَحَنَا عَبَقُ أَرِيجِهِ، وَقَامَ دَاعِيًا إِلَىٰ مَنْهَجِ الْوَسَطِيَّةِ وَالِاعْتِدَالِ، وَالْمُطَارَحَاتِ الشَّفِيفَةِ فِي الْآرَاءِ، دُونَ مُوَارَبَةٍ[1] أَوْ إِغْضَاءٍ.

وَإِنَّهُ ـ شَهَادَةُ مُحِبٍّ مُنْصِفٍ ـ لَيُحْسَبُ لَنَا وَلِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَثْبَةً فِكْرِيَّةً وَحَضَارِيَّةً تُحْكِمُ نَسِيجَ الْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَتَعْضُدُ مِنْ وَحْدَتِهَا وَتَآلُفِهَا، وَمَرْقَبَةً شَمَّاءَ[2] تَسْتَطْلِعُ فِي شُمُوخٍ آلِيَّاتِ التَّحَدِّي دَاخِلِيًّا وَخَارِجِيًّا فِي هَٰذَا الْعَصْرِ، سَدَّدَ اللَّهُ الْخُطَىٰ، وَمَنَىٰ[3] التَّوْفِيقَ.

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: وَلِوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ ـ النَّزِيهَةِ الْمُنْصِفَةِ، مِنْ قَنَوَاتٍ، وَشَبَكَاتٍ، وَصُحُفٍ ـ عِبْءٌ ثَقِيلٌ فِي بَيَانِ وَبَسْطِ قَضَايَا الْمُسْلِمِينَ، وَالسَّعْيِ لِلدِّفَاعِ عَنْهَا وَحَلِّهَا، مَعَ كَشْفِ هَجَمَاتِ الْأَعْدَاءِ الْمَسْعُورَةِ، وَفَضْحِ أَخْبَارِهِمْ، وَهَتْكِ أَسْتَارِهِمْ.

كَمَا نُهِيبُ بِهِمْ، أَنْ يُضَاعِفُوا فِي نَفْسِ الْآنِ، الْعِنَايَةَ بِشُؤُونِ إِخْوَانِنَا

(١) الْمُوَارَبَةُ: مأخوذة من الإرب، وهو الدهاء والمُرَاوغة. يُنظر: «اللسان» (ورب).

(٢) سبق بيان معناها (ص١٣٣).

(٣) مَنَى: قَدَّرَ وَقَضَى. يُنظر: «اللسان» (مني).

الْأَقَلِّيَّاتِ الْـمُسْلِمَةِ؛ تَثْبِيتًا لِأَنْفُسِهِمْ، وَشَدًّا لِأَزْرِهِم.

أَمَّا بَعْضُ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، وَالقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ الْـمُتَهَتِّكَةِ، الَّتِي تُثِيرُ غَارَاتٍ شَعْوَاءَ، مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَالْـمَلَذَّاتِ، وَالْـمَخَازِي، الَّتِي تُضْرِمُ نِيرَانَ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ، وَتُزَلْزِلُ مَعَاقِلَ الطُّهْرِ وَالْفَضِيلَةِ مِنْ أَسَاسِهَا فِي دِيَارِ الْإِسْلَامِ، **فَإِنَّنَا نُنَاشِدُهُمُ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - أَمَامَ الْأَشْهَادِ، أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي بُيُوتِ الْـمُسْلِمِينَ، وَالشَّرَفِ وَالنُّبْلِ،** وَنُنَادِيهِمْ: **يَا بُغَاةَ الشَّرِّ أَقْصِرُوا أَقْصِرُوا، وَأَبْقُوا عَلَىٰ لُعَاعَةٍ[1] مِنْ حَيَاءٍ لِبَنِي الْإِسْلَامِ!!**

عِبَادَ اللَّهِ - إِخْوَةَ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ -: إِنَّ اسْتِحْوَاذَ الرَّذِيلَةِ عَلَىٰ جَانِبٍ مِنْ حَيَاةِ الْـمُسْلِمِينَ عَبْرَ تِلْكَ الْقَنَوَاتِ، يُعَرِّضُهُمْ - وَلَا شَكَّ - لِأَخْطَرِ الْـمَهَالِكِ، وَيُفْضِي بِهِمْ إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ السَّحِيقَةِ، خُصُوصًا وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْقُلُوبِ، خَاوِيَةٌ مِنَ الْيَقِينِ وَالْخَشْيَةِ، اللَّذَيْنِ يَعْصِمَانِ مِنْ تِلْكَ الْقِيعَانِ الْوَبِيئَةِ.

وَأَيْمُ اللَّهِ! إِنَّكَ لَتُقْضَى أَسًى وَحَسْرَةً، عَلَىٰ الْأَحْوَالِ الْـمُزْرِيَةِ

---

(١) يُقال: ما بقي في الدنيا إلا لعاعة، أي: بقية يسيرة. يُنظر: «اللسان» (لعع).

الْـمُـسِفَّةِ[1] الَّتِي آلَ إِلَيْهَا أَمْرُ كَثِيرٍ مِنَ الْفَضَائِيَّاتِ، مِنَ الدَّعْوَةِ الصَّارِخَةِ إِلَىٰ الْفُحْشِ وَالْـخَنَا، فِي تَحْطِيمٍ أَرْعَنٍ لِلشَّرَفِ وَالْعِفَّةِ وَالْأَخْلَاقِ. وَإِنَّ هَـٰذَا الْوَاقِعَ الْـمَأْسَوِيَّ الْـمَرِيرَ، لَـمِنْ أَمْضَىٰ الْأَسْلِحَةِ الَّتِي انْتَضَاهَا[2] أَعْدَاؤُنَا، وَبَعْضٌ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا؛ لِلْقَضَاءِ عَلَىٰ مَا تَبَقَّىٰ مِنْ شَأْفَتِنَا[3]، وَالْـمَقَامُ يَجِلُّ بِنَا عَنْ ذِكْرِ تِلْكَ الْأَقْذَارِ! وَحَسْبُكَ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهُ.

فَيَا إِخْوَتِي مَاذَا دَهَانَا؟! وَأَيُّ أَمْرٍ أَمَرٍّ عَرَانَا؟! أَيْنَ ضِيَاءُ الطُّهْرِ؟! أَيْنَ عِزَّةُ الْغَيْرَةِ؟! بَلْ أَيْنَ صَلَابَةُ الْإِيمَانُ؟! يَقُولُ الْـحَقُّ ـ جَلَّ فِي عُلَاهُ ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور]، وَيَقُولُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء].

---

(١) سبق بيان معناها (ص٨٧).

(٢) انْتَضَاهَا: أخرجها. يُنظر: «اللسان» (نضا).

(٣) سبق بيان معناها (ص٩٠).

فَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - صُونُوا أَبْصَارَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ وَعَشَائِرَكُمْ، عَنْ تِلْكَ الْمَبَاءَاتِ، وَاحْسِمُوا هَٰذَا الدَّاءَ قَبْلَ اسْتِطَارَةِ شَرِّهِ، فَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ، وَمَا شَرَرُهَا إِلَّا كَبِيرٌ.

وَاعْلَمُوا، أَنَّ لَكُمْ فِي الْإِعْلَامِ الْإِسْلَامِيِّ الْهَادِفِ الرَّصِينِ، خَيْرَ سَمِيرٍ وَبَدِيلٍ، وَبِالْمَجْدِ أَظْلَلْنَا - بِحَمْدِ اللَّهِ - عَلَىٰ ذُرَىٰ الْمَجْدِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ: شَرِيعَتُنَا الْغَرَّاءُ، كَانَتْ وَلَا تَزَالُ، الْحَفِيَّةَ بِالْمَرْأَةِ، الْحَارِسَةَ لِكَرَامَتِهَا وَعِرْضِهَا، الرَّاعِيَةَ لِحَقِّهَا، فَتَاةً كَانَتْ أَوْ أُمًّا، أَوْ عَمَّةً أَوْ خَالَةً أَوْ أُخْتًا، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الَّذِي شَرَعَ السُّبُلَ الْكَفِيلَةَ لِتَحْصِينِ شَخْصِيَّتِهَا ضِدَّ كُلِّ مَا يُهَدِّدُ مُقَوِّمَاتِهَا مِنَ الِامْتِهَانِ وَالِابْتِذَالِ، وَخُصُوصًا فِي هَٰذَا الْعَصْرِ، حَيْثُ سَعِيرُ الْمُغْرِيَاتِ وَالْمُلْهِيَاتِ.

وَقَدْ بَاتَ مِنَ الْبَدَهِيَّاتِ، أَنَّ الَّذِينَ يَنْتَقِصُونَ الْإِسْلَامَ مِنْ خِلَالِ مَا يَتَظَاهَرُونَ بِهِ مِنَ الدِّفَاعِ عَنْ حُقُوقِ الْمَرْأَةِ، إِنَّمَا يَصْدُرُونَ عَنْ فَيَضَانِ مَشَاعِرَ مَسْعُورَةٍ، وَأَهْوَاءٍ جَامِحَةٍ، تُرِيدُ مِنَ الْمَرْأَةِ الْمَصُونَةِ أَنْ تَكُونَ

أَدَاةً طَيِّعَةً فِي التَّقْلِيدِ وَالْإِغْرَاءِ. وَلَيْسَ وَرَاءَ تِلْكَ الدَّعَوَاتِ اعْتِبَارٌ لِدِينٍ، أَوْ رَغْبَةٌ فِي إِنْصَافِ النِّسَاءِ، وَإِلَّا كَيْفَ يَقْبَلُ الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ الْوَقَارُ وَالْحِشْمَةُ وَالتَّصَوُّنُ فِي أَقْفَاصِ الِاتِّهَامِ وَالتَّنْدِيدِ، وَالسُّفُورُ وَالتَّسَيُّبُ مُبَرَّآنِ مِنْ كُلِّ نَقِيصَةٍ وَوَصْمَةٍ!

انْظُرُوا - وَفَّقَكُمُ اللَّهُ - إِلَىٰ مَكَانَةِ الْمَرْأَةِ فِي الْحَضَارَاتِ الْغَرْبِيَّةِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ وَلَا تَزَالُ مَعْدُودَةً: مَسْلَاةً لِتَرَفِ الرَّجُلِ، وَبَذْخِهِ الْغَرِيزِيِّ، وَمَظْهَرًا لَابُدَّ مِنْهُ لِلْبَرِيقِ الْحَضَارِيِّ.

وَبُرْهَانٌ آخَرُ، أَيْنَ الْمُنَادُونَ وَالْمُنَادِيَاتُ بِالْحُرِّيَّاتِ عُمُومًا، وَبِحُرِّيَّةِ الْمَرْأَةِ خُصُوصًا، عَنْ نَزْعِ حِجَابِهَا عَنْوَةً فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ الَّتِي يُزْعَمُ أَنَّهَا مَضْرِبُ الْحُرِّيَةِ وَمِثَالُهَا؟ فَالْإِسْلَامُ حِينَ يَأْمُرُ بِالْحِجَابِ، وَلُزُومِ الْحَيَاءِ، وَالْوَقَارِ فِي الْبَيْتِ، إِنَّمَا يَصْرِفُ الْمَرْأَةَ إِلَىٰ خَصَائِصِهَا وَمَكَانَتِهَا الَّتِي لَا يُحْسِنُهَا سِوَاهَا؛ لِتَمْضِيَ مَعَ الرَّجُلِ فِي هَٰذَا الْكَوْنِ بِنِظَامٍ مُحْكَمٍ بَدِيعٍ، مِنَ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ، لِكُلٍّ مَقَامُهُ وَوَظِيفَتُهُ، يَقُولُ - تَعَالَىٰ -: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء].

وَلِلْوَاهِمِينَ وَالْوَاهِمَاتِ يُسَاقُ الْقَوْلُ: إِنَّ الْمَرْأَةَ فِي مَكَانَتِهَا السَّنِيَّةِ، وَبِالْتِزَامِ آدَابِ الْحِجَابِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالضَّوَابِطِ الْمَرْعِيَّةِ، لَا يَمْنَعُهَا

ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ فِي قِمَّةِ الثَّقَافَةِ، وَإِحْرَازِ السَّبْقِ الْعِلْمِيِّ، وَالِاسْتِقَامَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالنُّهُوضِ بِأُمَّتِهَا، وَالِانْتِصَارِ لِدِينِهَا، كَذَلِكَ إِنِ اضْطُرَّتْ إِلَىٰ الْعَمَلِ الْوَظِيفِيِّ أَوِ الْمِهَنِيِّ، فَفِي مَنْأَى عَنْ أَنْظَارِ الرِّجَالِ وَالِاخْتِلَاطِ بِهِمْ، وَأَلَّا تَكُونَ رَجُلَةً: تُنَازِعُهُمْ أَقْدَامَهُمْ، وَتُزَاحِمُهُمْ مَنَاكِبَهُمْ.

وَإِنَّنَا إِذْ نَحْمَدُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - عَلَىٰ مَا امْتَنَّ بِهِ عَلَىٰ فَتَاةِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ - مِنَ تَمَثُّلِ الْحِجَابِ وَالْوَقَارِ فِي الْبُيُوتِ - لَنُذَكِّرُهَا بِالْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ مَكَانَتِهَا الشَّمَّاءِ بَيْنَ قَرِينَاتِهَا فِي سَائِرِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَنُحَذِّرُهَا أَنْ تُخْدَعَ بِبَعْضِ الْأَصْوَاتِ النَّشَازِ الَّتِي تَتَبَجَّحُ بِالْخُرُوجِ عَلَىٰ شِرْعَةِ الْحِشْمَةِ وَالْهُدَىٰ وَالْمَعْرُوفِ. وَإِنَّ مَا يُلَوِّحْنَ بِهِ، إِنْ هُوَ إِلَّا مَسْلَكُ الْمُنْهَزِمَاتِ أَمَامَ بَرِيقِ الْحَضَارَةِ الزَّائِفَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب:٥٩]، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ [الأحزاب].

حُجَّاجَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ - إِخْوَةَ الْإِيمَانِ -: رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً شَهِدَ هَٰذِهِ الْمَشَاهِدَ بِجَوَارِحِهِ وَقَلْبِهِ، وَنَدِمَ عَلَىٰ آثَامِهِ وَذَنْبِهِ، وَتَابَ وَأَنَابَ فِي هَٰذِهِ الْعَرَصَاتِ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَأَقَامَ فَرَائِضَهُ وَسُنَنَهُ، وَاسْتَمَعَ الْقَوْلَ

فَاتَّبِعَ أَحْسَنَهُ.

وَإِنَّ النَّصِيحَةَ المُخْلِصَةَ لَمِنْ أَرْغَبِ المَطْلُوبِ، لَاسِيَّما مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا المُعْجِزِ الأُسْلُوبِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان]، ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان]، وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ

﴿وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران].

تَمَسَّكُوا ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ بِكِتَابِ اللَّهِ: حِفْظًا وَتِلَاوَةً، وَتَفَكَّرُوا فِي آيَاتِهِ وَمَعَانِيهِ، وَامْتَثِلُوا أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيهِ، اللَّهَ اللَّهَ! فِي الصَّلَاةِ مَعَ الجْمَاعَةِ، فَنِعْمَتِ الطَّاعَةُ وَالْبِضَاعَةُ، وَأْمُرُوا بِالمَعْرُوفِ أَمْرًا رَفِيقًا، وَانْهُوا عِنِ الْمُنْكَرِ نَهْيًا مُتَوَسِّطًا بِالِاعْتِدَالِ حَقِيقًا. وَأَطِيعُوا أَمْرَ مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ مِنْ أُمُورِكُمْ أَمْرًا، وَحَذَارِ أَنْ تَقْرَبُوا مِنَ الْفِتْنَةِ شَرَرًا وَلَا جَمْرًا، وَلَا تُقْحِمُوا فِي الخِلَافِ الْمُعْتَبَرِ إِلَّا الْعُلَمَاءَ الثِّقَاتِ، لَا زَيْدًا وَلَا عَمْرًا. وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَالْأَمَانَةِ، وَالحِشْمَةِ وَالصِّيَانَةِ، وَاحْذَرُوا الغِشَّ وَالزُّورَ وَالْكَذِبَ وَالخِيَانَةَ.

وَلَا تَقْرَبُوا ـ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ـ الزِّنَىٰ وَالرِّبَا وَالخَمْرَ، فَإِنَّهَا مِنَ الْكَبَائِرِ، وَسَبَبُ الْبَلَايَا وَالجَرَائِرِ، وَإِيَّاكُمْ وَالنَّمِيمَةَ وَالْغِيبَةَ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّهَا مَجْلَبَةٌ لِغَضَبِ الجَبَّارِ، وَالذِّلَّةِ وَالصَّغَارِ، وَحَطِّ الْأَقْدَارِ، بَلْ هِيَ الْآثَامُ وَالْأَوْزَارُ، أَجَارَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ، واللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

اللَّهُمَّ إِنَّ السُّرُورَ بِكَ هُوَ السُّرُورُ، وَالْفَرَحَ بِغَيْرِكَ هُوَ الْغُرُورُ،

اللَّهُمَّ بَابَ فَضْلِكَ نَقْرَعُ، وَإِلَيْكَ نَفْزَعُ، وَبِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَىٰ نلْهَجُ، وَبِصِفَاتِكَ المَحْمُودَةِ نَبْهَجُ، اللَّهُمَّ فَأَعِزَّ الإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ مَا يُقَرِّبُكُمْ لِمَوْلَاكُمْ، كَثْرَةُ صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ عَلَىٰ خَيْرِ الْوَرَىٰ: الرَّسُولِ الْمُجْتَبَىٰ، وَالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَىٰ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - فَقَالَ - عَزَّ مِنْ قَائِلٍ -: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب]. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَقُدْوَتِنَا، وَحَبِيبِ قُلُوبِنَا وَسَيِّدِنَا، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ: أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَعُمَرَ الْفَارُوقِ، وَعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ، وَعَلِيٍّ أَبِي السِّبْطَيْنِ، وَعَنِ الْعَمَّيْنِ الْكَرِيمَيْنِ، وَالسِّبْطَيْنِ الْعَلَمَيْنِ، وَعَنِ السِّتَّةِ البَاقِينَ مِنَ الْعَشَرَةِ الْمُفَضَّلِينَ، وَعَنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَالْعَقَبَةِ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ مَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ الأَبْرَارُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا تَعَاقَبَ لَيْلٌ وَنَهَارٌ، وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا أَشْرَقَ الضِّيَاءُ وَلَاحَ، وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا تَعَاقَبَ الْمَسَاءُ وَالصَّبَاحُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ مَا زَهَرَتِ النُّجُومُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ مَا تَلَاحَمَتِ الْغُيُومُ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِكَ الْحَرَامِ حَجَّهُمْ، وَمِنَ الْمُضَحِّينَ ضَحَايَاهُمْ، اللَّهُمَّ وَتَقَبَّلْ مَنَاسِكَهُمْ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ عِبَادُكَ لَاذُوا بِجَنَابِكَ، وَأَنَاخُوا مَطَايَاهُمْ بِبَابِكَ، أَتَوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، يَرْجُونَ رَحْمَتَكَ، وَيَخْشَوْنَ عَذَابَكَ، تَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ، اللَّهُمَّ فَبَلِّغْهُمْ آمَالَهُمْ، وَحَقِّقْ مَطَالِبَهُمْ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ كَمَا جَمَعْتَ هَـٰذِهِ الْجُمُوعَ الْمُسْلِمَةَ فِي هَـٰذَا الْمَكَانِ الْمُبَارَكِ، اجْمَعْهُمْ عَلَىٰ كِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلَامِ، وَارْزُقْهُمُ الْمَحَبَّةَ وَالسَّلَامَ، وَالْوَحْدَةَ وَالْوِئَامَ، وَالنَّصْرَ عَلَىٰ أَعْدَائِكَ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَجَنِّبْهُمُ الْفَوَاحِشَ وَالْفِتَنَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ إِمَامَنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ لِإِعْزَازِ دِينِكَ، وَنُصْرَةِ أَوْلِيَائِكَ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ وَنَائِبَهُ الثَّانِي إِلَىٰ مَا تُحِبُّ وَتَرْضَىٰ، وَخُذْ بِنَوَاصِيهِمْ إِلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُمْ إِلَىٰ مَا فِيهِ إِعْلَاءُ كَلِمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ اجْزِهِمْ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَرَهُ، جَزَاءَ مَا قَدَّمُوا وَيُقَدِّمُوا لِحُجَّاجِ بَيْتِكَ الْحَرَامِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ ذَلِكَ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِمْ، وَفِي مَوَازِينِ حَسَنَاتِهِمْ، يَا

حَيُّ يَا قَيُّومُ. اللَّهُمَّ ارْزُقْهُمْ البِطَانَةَ الصَّالِحَةَ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ قَادَةَ الْمُسْلِمِينَ لِتَحْكِيمِ شَرْعِكَ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رَحْمَةً عَلَىٰ رَعَايَاهُمْ، اللَّهُمَّ وَفِّقْ عُلَمَاءَهُمْ لِبَيَانِ الْحَقِّ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَوَفِّقْ الدُّعَاةَ الْمُصْلِحِينَ، وَالْآمِرِينَ الْمُحْتَسِبِينَ، وَسَدِّدْهُمْ وَأَعِنْهُمْ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ. اللَّهُمَّ أَبْرِمْ لِهَٰذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ، يُعَزُّ فِيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ، وَيُذَلُّ فِيهِ أَهْلُ مَعْصِيَتِكَ، وَيُؤْمَرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْهَىٰ فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ، يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ.

اللَّهُمَّ انْصُرْ إِخْوَانَنَا الْمُجَاهِدِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انْصُرْهُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكَ وَعُدُوِّهِمْ، يَا قَوِيُّ يَا عَزِيزُ. اللَّهُمَّ كُنْ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ فِي شَتَّىٰ بِقَاعِ الْعَالَمِ، اللَّهُمَّ عَجِّلْ بِنَصْرِهِمْ، اللَّهُمَّ عَجِّلْ بِفَرَجِهِمْ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ عِيدَنَا سَعِيدًا، وَعَمَلَنَا صَالِحًا رَشِيدًا، اللَّهُمَّ وَأَعِدْ هَٰذَا الْعِيد عَلَىٰ الْأُمَّة الْإِسْلَامِيَّة جَمْعَاءَ بِالْخَيْرِ وَالْيُمْنِ وَالْبَرَكَاتِ، وَقَدْ تَحَقَّقَ لَهَا مَا تَصْبُوا إِلَيْهِ.

اللَّهُمَّ ادْفَعْ عَنَّا الغَلَاءَ وَالْوَبَاءَ، وَالرِّبَا وَالزِّنَىٰ، وَالمِحَنَ وَسُوءَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، عَنْ بَلَدِنَا هَٰذَا خَاصَّةً، وَعَنْ سَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، يَا رَبَّ العَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الْمِلَّةِ وَالدِّينِ، اللَّهُمَّ دَمِّرِ الطُّغَاةَ وَالْمُلْحِدِينَ، وَالصَّهَايِنَةَ الْمُعْتَدِينَ، وَكُلَّ مَنْ أَرَادَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ بِسُوءٍ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ انْصُرْ إِخْوَانَنَا الْمُجَاهِدِينَ، وَالْمُضْطَهَدِينَ فِي دِينِهِمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

اللَّهُمَّ أَنْقِذِ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَىٰ مِنْ بَرَاثِنِ الصَّهَايِنَةِ الْمُعْتَدِينَ، وَالْيَهُودِ الْغَاشِمِينَ، اللَّهُمَّ رُدَّهُ إِلَىٰ بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا فِيهِ صَلَاةً قَبْلَ الْمَمَاتِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، اللَّهُمَّ كُنْ لِإِخْوَانِنَا الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ مَظْلُومُونَ فَانْصُرْهُمْ، وَحُفَاةٌ فَاحْمِلْهُمْ، وَجِيَاعٌ فَأَطْعِمْهُمْ، وَعُرَاةٌ فَاكْسُهُمْ، اللَّهُمَّ كُنْ لِإِخْوَانِنَا فِي فِلَسْطِيْنَ وَالْبُوسْنَةِ وَالشِّيشَانِ، وَفِي بُورْمَا وَفِي الصُّومَالِ، وَفِي إِرِتْرِيَا وَالْفِلِبِّينِ، وَفِي سَائِرِ الْبِقَاعِ الَّتِي يُضْطَهَدُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوَالَ إِخْوَانِنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ قُلُوبَهُمْ عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ.

اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ عِيدَنَا سَعِيدًا، وَعَمَلَنَا صَالِحًا رَشِيدًا، اللَّهُمَّ أَعِدْ هَٰذَا الْعِيدَ عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ تَرْفُلُ بِثَوْبِ الْعِزِّ وَالنَّصْرِ عَلَىٰ

الْأَعْدَاءِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْعِيدَ انْقِشَاعَةً لِغُيُومِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ وَالْحُرُوبِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ الْمَهْمُومِينَ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا إِلَىٰ الْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أُمَّةُ الإِسْلَامِ بَيْنَ وَدَاعِ العَامِ وَحُسْنِ الخِتَامِ

الخُطْبَةُ الأُولَى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، الْمَلِكُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ، الَّذِي قَضَىٰ بِزَوَالِ هَٰذِهِ الدَّارِ، وَهَدَمَ بِالْمَوْتِ شَبَابَ الْأَعْمَارِ، وَجَعَلَ فِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُصْطَفَىٰ الْمُخْتَارُ، الْقُدْوَةُ الْمُثْلَىٰ فِي الْعَمَلِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، وَعَدَمِ الرُّكُونِ إِلَىٰ هَٰذِهِ الدَّارِ، صَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ الْأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، وَتَابِعِيهِ الْأَخْيَارِ، إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ لِدَارِ الْقَرَارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ مَقَامَ عُبُودِيَّةِ الْإِنْسَانِ لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وِسَامُ عِزٍّ لَا يَنْتَهِي، وَتَاجُ شَرَفٍ لَا يَنْقَضِي، فَلَا تَحُدُّهُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ، بَلْ وَلَا الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ، إِنَّهُ يَبْقَىٰ مَا بَقِيَ الْإِنْسَانُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ،

وَإِنَّ شَرَّ مَا بُلِيَتْ بِهِ النُّفُوسُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - الْغَفْلَةُ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ الْعَظِيمِ، وَالتَّفْرِيطُ فِي جَنْبِ الْإِلَهِ الْكَرِيمِ، وَالرَّبِّ الرَّحِيمِ، وَمَا يَعْقُبُهُ مِنِ انْشِغَالٍ عَنْ رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ، وَانْغِمَاسٍ فِي الدُّنْيَا وَالْمَلَذَّاتِ، وَنِسْيَانٍ لِلْمَوْتِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، فَيَقَعُ الْمُفَرِّطُ فِي مَغَبَّةِ تَفْرِيطِهِ، وَقَدْ يُصَابُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!

وَإِنَّ فِي مُرُورِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ لَعِبَرًا، وَفِي تَصَرُّمِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ لَمُزْدَجَرًا، وَإِنَّ مَوَاعِظَ الزَّمَانِ أَبْلَغُ مِنْ مَوَاعِظِ فَصِيحِ اللِّسَانِ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْبَلَاغَةَ وَالْإِبْدَاعَ وَالْبَيَانَ. وَلَكِنْ مَا يُحِسُّ بِذَلِكَ إِلَّا الْكَيِّسُ الْحَازِمُ، الْعَاقِلُ الْعَازِمُ، الَّذِي يَنْشُدُ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ، وَيَعْمَلُ لِسَاعَةِ الِاحْتِضَارِ الْحَاسِمَةِ.

إِخْوَةَ الْإِيمَانِ: مَا دُمْنَا جَمِيعًا نُوقِنُ بِأَنَّ الْمَوْتَ نِهَايَةُ كُلِّ حَيٍّ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ بَابَهُ سَيَلِجُهُ كُلُّ أَحَدٍ، وَكَأْسُهُ تَتَحَسَّاهَا كُلُّ نَفْسٍ، وَأَنَّهُ خَاتِمَةُ الْمَطَافِ، وَنِهَايَةُ التَّطْوَافِ فِي عَالَمِ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ يَجْدُرُ بِنَا - وَنَحْنُ نُوَدِّعُ فِي هَٰذِهِ الْأَيَّامِ عَامًا هِجْرِيًّا كَامِلًا، وَنَخْتَتِمُ سَنَةً مِنْ أَعْمَارِنَا - أَنْ نَقِفَ وَقْفَةً حَازِمَةً مَعَ النُّفُوسِ، نُذَكِّرُهَا بِهَٰذِهِ الْخَاتِمَةِ، وَأَهَمِّيَّتِهَا فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، وَالْإِشَارَةِ إِلَى الْوَسَائِلِ وَالْعَلَامَاتِ وَالصِّفَاتِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ أَسْبَابِ سُوئِهَا عِيَاذًا بِاللَّهِ.

وَتَأْتِي أَهَمِّيَّةُ هَـٰذَا الْـمَوضُوعِ، مِنْ كَوْنِ كُلِّ إِنْسَانٍ يَطْلُبُ حُسْنَ الْـخَاتِمَةِ، وَيَنْشُدُ الْـمِيتَةَ الْـحَسَنَةَ؛ لِيَفُوزَ بِـمَا بَعْدَهَا، وَيَخْشَىٰ مِنْ سُوءِ الْـخَاتِمَةِ وَمِيتَةِ السُّوءِ؛ لِشِدَّةِ مَا بَعْدَهَا وَهَوْلِهِ، إِضَافَةً إِلَىٰ دَاءِ الْغَفْلَةِ وَقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، الْأَمْرُ الَّذِي بُلِيَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَمَا تُعَانِيهِ أُمَّتُنَا الْكَلِيلَةُ مِنَ الْأَرْزَاءِ، الَّتِي بَهَظَتْ[1] فُؤَادَهَا، وَطَوَّحَتْ بِهَا فِي تَنَائِفِ[2] الْعَدَمِ أَوْ كَادَتْ. وَأَيْضًا فَإِنَّ مُنَاسَبَةَ الزَّمَانِ، وَاخْتِتَامَ الْعَامِ يَتَطَلَّبُ ذَلِكَ، وَاللَّـهُ الْـمَسْؤُولُ أَنْ يَنْفَعَنَا جَمِيعًا بِمَا نَسْمَعُ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّةُ فِي اللَّـهِ: لَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّـهِ - سُبْحَانَهُ - التَّأْكِيدُ عَلَىٰ أَهَمِّيَّةِ حُسْنِ الْـخَاتِمَةِ، يَقُولُ - تَعَالَىٰ -: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾**﴾ [آل عمران]، وَيَقُولُ - سُبْحَانَهُ -: ﴿**وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾**﴾ [الحجر]، فَالْأَمْرُ بِتَقْوَىٰ اللَّـهِ وَعِبَادَتِهِ مُسْتَمِرٌّ حَتَّىٰ الْـمَوْتِ؛ لِتَحْصُلَ الْـخَاتِمَةُ الْـحَسَنَةُ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ «**الْأَعْمَالَ بِالْـخَوَاتِيمِ**»[3]، وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ

---

(١) بَهَظَتْ: أثقلت. يُنظر: «اللسان» (بهظ).

(٢) تَنَائِفُ: جمع تَنُوفَة، وهي: المفازة والقفر من الأرض. يُنظر: «اللسان» (تنف).

(٣) جزء من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (٦٦٠٧).

لَا يَدْرِي مَتَىٰ يَفْجَؤُهُ الْأَجَلُ؟ وَلَا مَتَىٰ يُبَاغِتُهُ الْـمَوْتُ؟ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِهَٰذِهِ اللَّحْظَةِ الْـمُفَاجِئَةِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ، وَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، وَالشَّرِيفِ وَالْحَقِيرِ، وَالْـمَأْمُورِ وَالْأَمِيرِ، وَالشَّابِّ وَالشَّيْخِ، وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ، الْكُلُّ مُتَجَرِّعٌ مَرَارَةَ الْـمَوْتِ لَا مَحَالَةَ! فَالْخَوْفُ كُلُّ الْخَوْفِ أَنْ تُفَاجِئَ الْإِنْسَانَ هَٰذِهِ اللَّحَظَاتُ الْقَاسِيَةُ، وَهُوَ عَلَىٰ حَالٍ سَيِّئَةٍ عِيَاذًا بِاللَّهِ!

وَلِذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - يَخَافُونَ سُوءَ الْخَاتِمَةِ خَوْفًا شَدِيدًا، مَعَ كَثْرَةِ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ - قَالَ بَعْضُهُمْ: «**خَوْفُ الصِّدِّيقِينَ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ كُلِّ خَطْرَةٍ، وَعِنْدَ كُلِّ حَرَكَةٍ، وَهُمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون]**»[1].

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَوْفُ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ مَاثِلًا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ أَمَامَ عَيْنِ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ بَاعِثٌ عَلَىٰ الْعَمَلِ، وَمُرَاقَبَةِ الْبَارِي - سُبْحَانَهُ - وَقَدْ قَالَ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[2]، وَغَيْرُهُ: «مَنْ خَافَ

---

(١) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ١٧٢) من قول سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) برقم (٢٤٥٠)، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أَدْلَجَ[1]، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ». لَكِنْ إِذَا أَحَسَّ الْعَبْدُ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ، وَانْقِضَاءِ أَمَلِهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُغَلِّبَ الرَّجَاءَ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[2]: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ».

وَبِهَٰذَا يُعْلَمُ ـ يَا عِبَادَ اللَّهِ ـ أَنَّهُ مِنَ الْخَطَأِ وَالْإِفْلَاسِ، أَنْ يَعْتَمِدَ بَعْضُ النَّاسِ عَلَىٰ سَعَةِ عَفْوِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، فَيَدْفَعُهُمْ ذَٰلِكَ إِلَىٰ الِاسْتِرْسَالِ فِي الْمَعَاصِي، وَالِاسْتِمْرَارِ عَلَىٰ الْمُحَرَّمَاتِ، فَيَنْدَمُوا عِنْدَ مُفَاجَأَةِ الْأَجَلِ حَيْثُ «لَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ»[3].

أُمَّةَ الْإِسْلَامِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْوَسَائِلِ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ: صَفَاءَ الْعَقِيدَةِ، وَقُوَّةَ الْإِيمَانِ، وَالْحِرْصَ عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَالْمُحَافَظَةَ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ، وَالْإِقْبَالَ عَلَىٰ الْقُرْآنِ، وَالْمُدَاوَمَةَ عَلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ وَيَجْمَعُهَا: الْمُحَافَظَةُ عَلَىٰ الطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدُ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَكَثْرَةُ

---

(١) سبق بيان معناها (ص٣٨).

(٢) برقم (٢٨٧٧) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٣) عجز بيت للشاعر محمد بن عيسى بن طلحة، يُنظر: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٤/ ٤٩٢).

الِاسْتِغْفَارِ، وَمُلَازَمَةُ التَّوْبَةِ، وَالْإِلْحَاحُ عَلَىٰ اللَّـهِ بِالدُّعَاءِ بِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ.

كَانَ عَامِرُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ عَبْدِ اللَّـهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، إِذَا صَلَّىٰ رَفَعَ يَدَيْهِ قَائِلًا: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمِيتَةَ الْحَسَنَةَ**»، قَالَ أَبْنَاؤُه: وَمَا هِيَ الْمِيتَةُ الْحَسَنَةُ؟ قَالَ: «**أَنْ يَتَوَفَّانِي رَبِّي وَأَنَا سَاجِدٌ**»، فَقَامَ وَصَلَّىٰ فَقَبَضَ اللَّـهُ رُوحَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ، أَلَا مَا أَحْسَنَ هَـٰذِهِ الْخَاتِمَةَ!

هَـٰذَا وَإِنَّ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ - **يَا عِبَادَ اللَّـهِ** - بَشَائِرَ وَعَلَامَاتٍ، أَفْصَحَتْ عَنْهَا السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ، مِنْهَا: النُّطْقُ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَقَدْ رَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ[1] وَالْحَاكِمُ[2]، عَنْ مُعَاذٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، وَيَا لَهَا مِنْ بِشَارَةٍ طَيِّبَةٍ وَفَأْلٍ حَسَنٍ؛ أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ وَالشَّهَادَةِ! وَلَكِنَّ هَـٰذَا لَا يَتَأَتَّىٰ إِلَّا لِأَهْلِ هَـٰذِهِ الْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ، الْعَالِمِينَ بِمَعْنَاهَا، وَالْعَامِلِينَ بِمُقْتَضَاهَا، وَأَمَّا غَيْرُهُمْ فَإِنَّهُ قَدْ يُحَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نُطْقِهَا - عِيَاذًا بِاللَّـهِ - فَيُصَابُ بِسُوءِ الْخَاتِمَةِ،

---

(١) برقم (٣١١٦)

(٢) في «المستدرك» (١/ ٥٠٣).

وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «**أُنْذِرُكُمْ سَوْفَ، فَإِنَّهَا أَكْبَرُ جُنُودِ إِبْلِيسَ**»(١).

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: إِنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْخَاتِمَةِ السَّيِّئَةِ: تَمَكُّنَ طُولِ الْأَمَلِ مِنْ قَلْبِ الْمُسْلِمِ، وَاسْتِيلَاءَهُ عَلَىٰ جَوَارِحِهِ وَمَشَاعِرِهِ، وَهُوَ سَبَبُ شَقَاءِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ - بَلْ وَارْتِكَاسِ أُمَّتِنَا - فَيُزَيِّنُ الشَّيْطَانُ لَهُمْ أَنَّ أَمَامَهُمْ أَعْمَارًا طَوِيلَةً، يَبْنُونَ فِيهَا آمَالًا شَامِخَةً، وَحُظُوظًا كَثِيرَةً، فَيَضْرِبُونَ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَلَا يُبَالُونَ بِوَافِدِ الْمَوْتِ أَنَّىٰ حَلَّ.

وَقَدْ أَوْرَدَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ مِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي: «**أَنَّ قَلْبَ الْإِنْسَانِ وَلِسَانَهُ يَخُونُهُ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ وَالِانْتِقَالِ إِلَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - فَرُبَّمَا تَعَذَّرَ عَلَيْهِ النُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ**».

وَأَوْرَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - نَمَاذِجَ مِنْ ذَلِكَ، مِنْهَا: أَنَّهُ قِيلَ لِبَعْضِهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَجَعَلَ يَهْذِي بِالْغِنَاءِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، إِلَىٰ أَنْ مَاتَ. وَقِيلَ لِآخَرَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ:

يَا رُبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا وَقَدْ تَعِبَتْ ... أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَىٰ حَمَّامِ مِنْجَابِ

وَأَخَذَ يُرَدِّدُهَا حَتَّىٰ مَاتَ عَلَيْهَا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ!

---

(١) يُنظر: «تلبيس إبليس» (١/ ٤٨٧).

وَأَوْرَدَ عَنْ بَعْضِ التُّجَارِ: أَنَّهُ احْتَضَرَ فَجَعَلُوا يُلَقِّنُونَهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا يَزِيدُ عَلَىٰ قَوْلِهِ: هَٰذِهِ الْقِطْعَةُ رَخِيصَةٌ، هَٰذَا مُشْتَرٍ جَيِّدٌ، هَٰذَا وَهَٰذَا... إِلَىٰ آخِرِهِ.

ثُمَّ قَالَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ! كَمْ شَاهَدَ النَّاسُ مِنْ هَٰذَا عِبَرًا، وَكَيْفَ يُوَفَّقُ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ مَنْ أَغْفَلَ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا؟ فَبَعِيدٌ مَنْ قَلْبُهُ بَعِيدٌ عَنِ اللَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ غَافِلٌ عَنْهُ، مُتَعَبِّدٌ لِهَوَاهُ، مُذَلَّلٌ لِشَهَوَاتِهِ، وَلِسَانُهُ يَابِسٌ عَنْ ذِكْرِهِ، وَجَوَارِحُهُ مُعَطَّلَةٌ مِنْ طَاعَتِهِ، مُشْتَغِلَةٌ بِمَعْصِيَتِهِ، بَعِيدٌ عَنْ هَٰذَا، أَنْ يُوَفَّقَ لِحُسْنِ الْخَاتِمَةِ**»[1].

وَمِنْ بَشَائِرِ حُسْنِ الخَاتِمَةِ: الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمَوْتِ دِفَاعًا عَنْ ضَرُورَةٍ مِنَ الضَّرُورَاتِ الْخَمْسِ، الَّتِي حَفِظَتْهَا الشَّرِيعَةُ، وَهِيَ: الدِّينُ وَالنَّفْسُ وَالعَقْلُ وَالْعِرْضُ وَالْمَالُ، وَأَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ عَمَلِ طَاعَةٍ، أَوْ يَمُوتَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا بِسَبَبِ مَرَضٍ قُدِّرَ عَلَيْهِ، كَالطَّاعُونِ وَنَحْوِهِ، أَوْ بِسَبَبِ ابْتِلَاءٍ مِنْ: هَدْمٍ أَوْ غَرَقٍ أَوْ حَرْقٍ وَنَحْوِهَا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي اللَّهِ: أَمَّا الْأَسْبَابُ الَّتِي يَنْشَأُ عَنْهَا سُوءُ

---

(١) يُنظر: «الجواب الكافي» (١/ ٦٢).

الْخَاتِمَةِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا، أَهَمُّهَا: مُوَاقَعَةُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَمِنْهَا: التَّسْوِيفُ فِي التَّوْبَةِ، فَتَمُرُّ الْأَيَّامُ تِلْوَ الْأَيَّامِ، بَلِ الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ، وَالْإِنْسَانُ عَلَىٰ حَالِهِ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ كُلَّ عَامٍ، أَوْ كُلَّمَا تَقَدَّمَ بِهِ الْعُمُرُ - فَيَا سُبْحَانَ اللَّهِ! - مَنْ يَضْمَنُ أَنْ يَعِيشَ وَلَوْ لَحْظَةً وَاحِدَةً؟ أَلَا نَعْتَبِرُ بِالْحَوَادِثِ وَالْمُفَاجَآتِ؟ أَلَا نُصَوِّرُ أَنْفُسَنَا مَحَلَّ مَنْ يُبَاغِتُهُمْ هَادِمُ اللَّذَّاتِ، وَمُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ؟ وَلَكِنْ نَجَحَ الشَّيْطَانُ - أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُ - فِي تَزْيِينِ التَّسْوِيفِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، فَالشَّابُّ سَيَتُوبُ فِي الشَّيْخُوخَةِ، وَالصَّغِيرُ فِي الْكِبَرِ، وَهَكَذَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ!!!

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَأَفِيضُوا إِلَىٰ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ، وَخُذُوا بِأَسْبَابِهَا: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان]، رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ[1] وَالتِّرْمِذِيُّ[2] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إِذَا

---

(١) برقم (٦٤١٦).

(٢) برقم (٢٣٣٣).

أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»، وَلَقَدْ كَانَ مَكْحُولٌ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ إِذَا رَأَىٰ جَنَازَةً قَالَ: «اغْدُوا فَإِنَّا رَائِحُونَ، مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ، وَغَفْلَةٌ سَرِيعَةٌ، يَذْهَبُ الْأَوَّلُ، وَالْآخَرُ لَا عَقْلَ لَهُ»(١).

فَلْنَتَّقِ اللَّهَ ـ يَا عِبَادَ اللَّهِ ـ وَلْنَحْرِصْ عَلَىٰ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ، وَلْنَسْأَلِ اللَّهَ ذَٰلِكَ دَائِمًا وَأَبَدًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ خَيْرَ أَعْمَالِنَا خَوَاتِمَهَا، وَخَيْرَ أَعْمَارِنَا أَوَاخِرَهَا، وَخَيْرَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاكَ، اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ، وَارْزُقْنَا اللَّهُمَّ حُسْنَ الْخَاتِمَةِ، وَأَعِذْنَا مِنْ سُوئِهَا، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، وَثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَاخْتِمْ لَنَا عَامَنَا هَٰذَا بِالتَّوْبَةِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أَقُولُ هَٰذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

---

(١) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٢/ ٢١٠) ونسبه إلى مكحول الدمشقي.
وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ٥٤٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٨٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٧/ ٣٧٩) من قول أبي هريرة ﷺ.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْـحَمْدُ لِلَّـهِ، هُـوَ الأَوَّلُ فَلَـيْسَ قَبْلَـهُ شَيْءٌ، وَالآخِـرُ فَلَـيْسَ بَعْـدَهُ شَيْءٌ، أَحْمَدُهُ ـ تَعَالَىٰ ـ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّـهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللَّـهُ وَسَـلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُـوا اللَّـهَ ـ عِبَـادَ اللَّـهِ ـ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة].

اعْمَلُـوا لِهَـٰذَا الْيَـوْمِ الْعَـصِيبِ، وَتَـذَكَّرُوا مَـا فِيـهِ مِـنَ الأَهْـوَالِ وَالشَّدَائِدِ، خَطَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فَقَالَ: «**أَلَا إِنَّ الـدُّنْيَا قَـدْ وَلَّـتْ مُدْبِرَةً، وَالآخِرَةَ قَدْ أَسْرَعَتْ مُقْبِلَةً، وَلِكُلٍّ وَاحِـدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُـوا مِـنْ أَبْنَـاءِ الآخِـرَةِ، وَلَا تَكُونُـوا مِـنْ أَبْنَـاءِ الـدُّنْيَا، فَـإِنَّ الْيَـوْمَ عَمَـلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٥٣٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (٤٢/ ٤٩٤).

فَتذَكَّرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - وَأَنْتُمْ تُودِّعونَ عامًا مِنْ أَعْمارِكُمْ، تَذَكَّرُوا انْقِلَابَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا، وَحُلُولَ سَاعَةِ الِاحْتِضَارِ بِكُمْ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ: مَاذَا عَمِلْتُمْ فِيمَا مَضَىٰ؟ وَمَاذَا عَسِيتُمْ أَنْ تَعْمَلُوا فِيمَا بَقِيَ؟ وَتَذَكَّرُوا كَمْ وَدَّعْتُمْ فِي الْعَامِ الْمُنْصَرِمِ مِنْ إِخْوَةٍ وَمُحِبِّينَ، وَقَادَةٍ وَأَقْرَبِينَ؟ وَكَمْ وَارَيْتُمْ فِي الثَّرَىٰ مِنْ أَصْدِقَاءَ، وَأَعِزَّةٍ وَمُجَاوِرِينَ؟ وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَخَطَّاكُمْ إِلَيْهِمْ، سَيَتَخَطَّىٰ غَيْرَكُمْ إِلَيْكُمْ.

فَإِلَىٰ مَتَىٰ الْغَفْلَةُ - يَا عِبَادَ اللَّهِ -؟ وَاللَّهِ إِنَّ مُرُورَ عَامٍ كَامِلٍ مَضَىٰ وَانْقَضَىٰ، بِمَا أَوْدَعْنَاهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، جَدِيرٌ بِأَنْ يُنَبِّهَ الْوَسْنَانَ وَالْغَافِلَ، وَيُعَلِّمَ الْعَيِيَّ وَالْجَاهِلَ، فَلَا تَنْخَدِعُوا بِهَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَمَا هِيَ - وَاللَّهِ - إِلَّا سَرَابٌ خَادِعٌ، وَبَرِيقٌ لَامِعٌ، صَفْوُهَا كَدَرٌ، وَمَعِينُهَا مَشُوبٌ، كَمْ أَذَاقَتْ بُؤْسًا، وَجَرَّعَتْ غُصَصًا، وَأَلْقَمَتْ نَغَصًا، فَالْعَاقِلُ مَنْ فَتَحَ صَفْحَةً جَدِيدَةً مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللَّهِ الْأَمَانِيَ.

هَٰذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُم اللَّهُ - عَلَىٰ الرَّحْمَةِ الْمُهْدَاةِ، وَالنِّعْمَةِ الْمُسْدَاةِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِاللَّهِ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

تَمَّت

وبالخَيْرِ عَمَّت

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبويّة

ثالثًا: فهرس الآثار

رابعًا: فهرس الغريب

خامسًا: فهرس المصادر والمراجع

سادسًا: فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿سورة البقرة﴾		
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا ... ﴾	١١، ١٢	٤٠٥، ٧٠٨، ٧١٣
﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ... ﴾	٤٥	٢٠٥
﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ... ﴾	٧٩	٢٣٥
﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾	٨٧	٣٣٣
﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾	١٢٠	٣٤٨، ٥٣٢
﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ... ﴾	١٣٧	١٠٩
﴿ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾	١٤٠	٧٣، ١١٦
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	٢٦٧، ٤١٠، ٤٢٠، ...
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ... ﴾	١٥٥ ـ ١٥٧	٥٧٣، ٦٨٥
﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ... ﴾	١٦٥	١١٤
﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ... ﴾	١٨٥	٢١٣، ٢٢٩
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... ﴾	١٨٦	٦٩٣

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ... ﴾	١٨٧	٢٤٣
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	١٨٩	٣٠٦
﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ... ﴾	١٩٠	٥١٩، ٦٣٩
﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾	١٩٤	٣٠٦
﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٩٥	٧٢٠
﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾	١٩٦	٢٦٢
﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ... ﴾	١٩٧	٢٥٥، ٢٧٤
﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ... ﴾	٢٠٥	٤٩٦، ٥١٤
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ ... ﴾	٢٠٨، ٢٠٩	٥٢٢
﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ ... ﴾	٢١٧	٣٤٨
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾	٢٢٠	٥١٦
﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ... ﴾	٢٣٨	١٩٤
﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً ... ﴾	٢٤٩	٢٢٢
﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ... ﴾	٢٨١	٦٧، ٣٢١، ٣٧٩، ...
﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ... ﴾	٢٨٢	٥٣، ٣٠٦،
﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾	٢٨٥	٦٣٨
﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾	٢٨٦	٥٩١، ٦٩٤

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿سورة آل عمران﴾		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾	٥	١١١
﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾	١٧	٦٠٠
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ... ﴾	٣١، ٣٢	١٤٠، ١٤٨، ١٧١
﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	٧٦	٣٠٦
﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ... ﴾	٨٥	٧٣٠
﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ ... ﴾	٩٦، ٩٧	٢٤٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ... ﴾	١٠٢	١٦، ٢٢٨، ٧٣٧
﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾	١٠٣	٢٦٤، ٤٣٠، ٧١٤
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾	١١٠	٦٣٤
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾	١٢٣	٢٢١
﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	١٣٢	١٧٤
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ ... ﴾	١٣٥	٦٠٠
﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ... ﴾	١٣٩	٥٣٨، ٧١٤
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ... ﴾	١٤٤	٣٣٦

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ... ﴾	١٥٩	٨٠، ١٣٠، ٢٨٦، ...
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ ... ﴾	١٦٤	١٢٩
﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ... ﴾	١٦٥	٦٨٦
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ ... ﴾	١٧٣ ـ ١٧٥	٣٤٠
﴿ سورة النساء ﴾		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ ... ﴾	١	١٠٣، ٣٧٠
﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ... ﴾	٢٧	٣٧٤، ٧٢٦
﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ... ﴾	٥٩	٤٠٠
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ ... ﴾	٦٠	٧٦
﴿ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا ... ﴾	٦٥	٧٦
﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ... ﴾	٨٣	٤٠٢، ٤٨٣
﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴾	٨٤	٧١٧
﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ ... ﴾	٩٣	٧٠٩
﴿ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ... ﴾	٩٤	٤٥٣
﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	١٠٦	٥٩٩
﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ... ﴾	١١٠	٦٠١

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾	١١٣	١٣٣
﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ ...﴾	١٢٤	٧٢٨
﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ...﴾	١٣١	٣٠١، ٣٢٦
﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ...﴾	١٣٥	٤١٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾	١٧٤، ١٧٥	١٧
﴿سورة المائدة﴾		
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ...﴾	٣	٤٩١
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ ...﴾	٨	٣١٩، ٥١٤، ٧٠٩
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ ...﴾	١٥	٢١٩
﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ ...﴾	١٦	١٩
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	٢٧	٧٢٠
﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ...﴾	٣٢	٥١٦
﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾	٤٨	٣١٦
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ ...﴾	٤٩، ٥٠	٨١، ٤٢٠
﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٦٤	٢٣٦، ٣٤٩، ٥٣٢

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ... ﴾	٧٤	٦٠٠
﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾	٨٢	٥٣٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ ... ﴾	٩٠	٣٥١
﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾	٩٣	٤٦٢
﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾	٩٧	٢٤٧

﴿ سورة الأنعام ﴾

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ... ﴾	٣٣	٦٣٥
﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾	٥٧	١١٧، ٤١٦
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ... ﴾	٨٢	٨٨
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾	١١٢	٤٧٣، ٥١٧
﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا ﴾	١١٤	١١٧
﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	١١٩	٣١٥
﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾	١٢٠	٢١٧
﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾	١٢٤	١٢٩
﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ... ﴾	١٣١	٧١٣
﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ... ﴾	١٥١	٧٣٠
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ... ﴾	١٥٣	٤٢٣

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ... ﴾	١٦٢، ١٦٣	١٥٢، ٧٠٦
﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	١٦٤	٥١٩
﴿سورة الأعراف﴾		
﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ... ﴾	٢٣	٦٠٠، ٦٩٤
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ... ﴾	٣٢	٤١٦
﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ ... ﴾	٣٤	٥٦٥
﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾	٥٤	٧٤، ١١٧، ٤١٦
﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾	٥٦	٥١٦
﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾	٥٨	٧١١
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم ... ﴾	٩٦	٣٠٤، ٦٨٧
﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٢٨	٣٠٤
﴿ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا ... ﴾	١٤٩	٦٩٤
﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ... ﴾	١٥٧	٢٥، ١٣٨
﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ... ﴾	١٥٨	٦٢٨
﴿ وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ... ﴾	١٧٦	٣٠٩
﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ... ﴾	١٨٠	١١٩

الصفحة	رقمها	الآية
٩٣	١٨٧	﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا ... ﴾
٧٠٦	١٩٤	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ ... ﴾
		﴿ سورة الأنفال ﴾
٥٩	٢٧	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ... ﴾
٣٠٦، ٧٠٠	٢٩	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ... ﴾
٣٤٩	٣٠	﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾
٦٠٢	٣٣	﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾
٤٧٤	٤٦	﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾
٥٤١	٦٠	﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ... ﴾
		﴿ سورة التوبة ﴾
٥٣٣	١٠	﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ... ﴾
٣٤٨، ٧١٤	٣٢	﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ... ﴾
٦١٥	٣٣	﴿ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ... ﴾
٦٧٧	٤٠	﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ... ﴾
٨٦، ٤٧٧	٥١	﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ... ﴾
٢٢٥	١٠٣	﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿سورة يونس﴾		
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ...﴾	٥٨	٢٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٨١	٤٩٨، ٥١٦
﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾	٩٩	٦٣٨
﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا ...﴾	١٠٧	٩٠، ٥٨١
﴿سورة هود﴾		
﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ ...﴾	١	٢٣٤
﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ...﴾	٥٢	٦٠٣، ٦٨٨
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ ...﴾	٨٨	٤٦٩، ٧١١
﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ...﴾	١١٨، ١١٩	١٠
﴿سورة يوسف﴾		
﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا ...﴾	٢١	١٠٠، ١١٨، ١٦٣، ...
﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ ...﴾	٢٤	٣٣٤
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً ...﴾	٤٠	٧٢
﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ...﴾	٩٢	١٣٢، ٢٨٧
﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾	١٠٠	٥٢٢

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿سورة الرعد﴾		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	١١	٩٦، ٢٧٠، ٦٨٦، ...
﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ...﴾	١٧	٢٣٥، ٤٤١، ٤٩٩
﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾	٢٨	٢٠٩
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾	٤١	٣٩
﴿سورة إبراهيم﴾		
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ ...﴾	١	٧٠٥
﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾	٤٠	٢٠٧
﴿سورة الحِجْر﴾		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ....﴾	٩	٣١، ٤٩٢
﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾	٩٩	٧٣٩
﴿سورة النحل﴾		
﴿فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٤٣	٢٧٨
﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ...﴾	٤٥ ـ ٤٧	٦٩١
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ...﴾	٨٩	١٩، ٧٣

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ... ﴾	٩٠	٢٢
﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ... ﴾	٩٧	٤٩٠
﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ... ﴾	١٠٦	٤٦٢
﴿ سورة الإسراء ﴾		
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ... ﴾	٩	٢٠
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾	٣٢	٣٧٣، ٦٥٣
﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ ... ﴾	٣٦	٣٣٠
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ ... ﴾	٥٦	٢٦٦، ٧٠٦
﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٨٢	٢٣، ٥٩٥
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ ... ﴾	٨٨	١٨
﴿ سورة الكهف ﴾		
﴿ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ ... ﴾	٥	٧٥، ٢٣٥
﴿ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾	١٣	٧٢٣
﴿ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ... ﴾	٢٨	٣١٥، ٤٢٤
﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ... ﴾	١٠٩	١٧
﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ... ﴾	١١٠	١٦٨

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿سورة مريم﴾		
﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ...﴾	٢٨	٣٣٣
﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾	٥٥	٢٠٧
﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾	٥٩	١٨١، ٢٠٧
﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾	٦٥	١٠٧
﴿سورة طه﴾		
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾	٥	١٠٨
﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾	٧	١١١
﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ...﴾	٤٣، ٤٤	٢٨٨
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ...﴾	١٢٤	٢١
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾	١٣٢	١٩٩، ٢٠٧، ٣٠٤
﴿سورة الأنبياء﴾		
﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾	١٠	٢١٩
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا ...﴾	٢٥	٧٠٥
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	٣٠	٦٨٤
﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ...﴾	٣٤، ٣٥	٣٦، ٤٢٩،

الآيــة	رقمها	الصفحة
		٥٦٥، ...
﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾	٥٠	٢٨
﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾	٧٩	٣٩٢
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ ... ﴾	٨٣، ٨٤	٥٨٨
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ ... ﴾	٩٢	٢٦٣، ٤٢٨، ٤٧٨
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	١٥٦، ٢٨٢، ٦٢٨، ...
﴿ سورة الحج ﴾		
﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ ... ﴾	٢٥	٢٢٣، ٢٤٨
﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ... ﴾	٢٦	٢٥٣، ٢٦٦
﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ... ﴾	٢٧، ٢٨	٢٤٩، ٢٦٣، ٢٧٦
﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ... ﴾	٢٩	٢٧٨
﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ... ﴾	٣٠	٢٥٧
﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ ... ﴾	٣١	٨٩، ٧٠٧
﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ... ﴾	٣٢	٢٥٧، ٢٧٣
﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ ... ﴾	٣٦	٧٠٤

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا ... ﴾	٣٧	٧٠١
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ... ﴾	٤٠، ٤١	٥٤١، ٦٢٦، ٦٣٤
﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾	٥٨	١١٥
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٧٨	٧٠٨
﴿ سورة المؤمنون ﴾		
﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ ... ﴾	١، ٢	١٨٦، ١٨٧، ٢٠٥
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ... ﴾	٦٠	٧٤٠
﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ ... ﴾	٧٦	٤٧٣
﴿ سورة النور ﴾		
﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ... ﴾	٢	٦٥١
﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ ... ﴾	١٢، ١٣	٣٣٥
﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن ... ﴾	١٦، ١٧	٣٣٥، ٤٧٩، ٥٣٧
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ... ﴾	١٩	٣٢٩، ٧٢٦
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ... ﴾	٣٠، ٣١	٦٥٠

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ... ﴾	٣١	٥٢٢، ٥٥٥، ٦٩١
﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ... ﴾	٣٩	٥٣٤
﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ... ﴾	٤٧	١٧٤
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ... ﴾	٥١	١٧٤
﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾	٥٤	١٦٩
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ... ﴾	٥٥	٧١٨
﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ... ﴾	٥٧	٧١٤
﴿سورة الفرقان﴾		
﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ... ﴾	٣٠	٢١
﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ... ﴾	٤٣	٣١٣
﴿ جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن ... ﴾	٦٢	٦٦٧
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ... ﴾	٦٧	٤١٨
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ... ﴾	٦٨	٦٥٣
﴿سورة النمل﴾		
﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾	٦٢	٤٨١، ٥٨٦، ٦٩٣

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ ﴾	٨٨	٦٨٤
﴿ سورة الشعراء ﴾		
﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾	٨٠	٥٨٦
﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴾	١٠٦، ١٠٧	٣٠١
﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ ... ﴾	٢١٧، ٢١٨	١١٣
﴿ سورة القصص ﴾		
﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ ... ﴾	٥٠	٣١٥، ٤٠٨
﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ ... ﴾	٧٧	٤١٥
﴿ سورة العنكبوت ﴾		
﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ ... ﴾	٤٥	١٨٢، ٢٠٤
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾	٤٦	٦٣٨
﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾	٤٩	٥٠
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ ... ﴾	٦٩	٩٨، ٥٥٥
﴿ سورة الروم ﴾		
﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾	٤، ٥	٧٩
﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴾	٢٩	٣١٤
﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ... ﴾	٤١	٦٨٦

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	٨٦
﴿سورة لقمان﴾		
﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن ...﴾	١١	٦٨٤
﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ...﴾	١٣ - ١٩	٧٣٠
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا ...﴾	٣٣	٧٤٥
﴿سورة الأحزاب﴾		
﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ...﴾	١٠، ١١	٤٧٣
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ...﴾	٢١	١٤٠، ١٦٠، ٢٣٦، ...
﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ...﴾	٣٢، ٣٣	١٤٣، ٧٢٩
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا ...﴾	٤٥، ٤٦	١٣٦
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ...﴾	٥٦	٣٢، ٥٢، ٦٧
﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ...﴾	٥٨	٤٧٨
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ ...﴾	٥٩	٧٢٩
﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾	٧١	١٦٩
﴿سورة سبأ﴾		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	٢٨	٦٢٨

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ...﴾	٣٩	٢٢٦
﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾	٥٢	٦٣٣
﴿سورة فاطر﴾		
﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ...﴾	٨	٤٠٤
﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾	١٧	٧٩
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾	٢٨	٣٧
﴿سورة يس﴾		
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ...﴾	٦٩	٢٨
﴿سورة الصافات﴾		
﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ...﴾	١٠٣ـ١٠٧	٧٠١
﴿سورة ص﴾		
﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ ...﴾	٢٦	٣١٦
﴿سورة الزمر﴾		
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ...﴾	٣٠، ٣١	٣٦
﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ...﴾	٥٣	٦٠٥
﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ...﴾	٦٥	٧٠٦

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿سورة غافر﴾		
﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾	١٩	١١١
﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ ... ﴾	٢٦	٤٠٥
﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ... ﴾	٣٩	٥٦٤
﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾	٥٥	٥٩٩
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	٦٠	٦٩٣
﴿سورة فُصِّلت﴾		
﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾	٦	٦٠٠
﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ... ﴾	٣٤-٣٦	٢٩٢
﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾	٤٤	٥٩٥
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ... ﴾	٥٣	٢١٩
﴿سورة الشورى﴾		
﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾	١٠	٤٠٠، ٥٧٣
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	١١	٣٥، ١٠٧
﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ... ﴾	١٥	٥٢٢
﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ ... ﴾	٢١	٧٥
﴿مَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾	٣٠	٦٨٦

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ ... ﴾	٣٨	٨٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ... ﴾	٥٢	٢٣
﴿ سورة الجاثية ﴾		
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ... ﴾	١٨	٧١، ٣١٦
﴿ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾	١٩	٣٠٦
﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ... ﴾	٢٣	٣١٣
﴿ سورة الأحقاف ﴾		
﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾	١٢	٥٥٢
﴿ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾	٢٨	٦٧٦
﴿ سورة محمد ﴾		
﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	٧	٢٢٢
﴿ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴾	١٤	٣١٤
﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾	١٩	١٠٣
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ... ﴾	٢٤	٢٤
﴿ سورة الفتح ﴾		
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾	١٠	٥٧٥، ٥٧٦
﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ... ﴾	١٨	١٤٣

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ... ﴾	٢٩	٤٤٠
﴿ سورة الحُجُرات ﴾		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ... ﴾	٦	٣٢٩، ٤٧٨
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾	١٠	٢٦٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ... ﴾	١٢	٣٣٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ... ﴾	١٣	٦٣٧
﴿ سورة ق ﴾		
﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾	١٨	٣٢٩، ٤٨٠
﴿ سورة الذاريات ﴾		
﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾	١٨	٦٠٠
﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾	٢٢	٦٨٧
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	١٦٧، ٧٠٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾	٥٨	١١٥
﴿ سورة النجم ﴾		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	٣، ٤	٣٠٨
﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾	٣٢	١١٥

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿سورة القمر﴾		
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ ... ﴾	٥٤، ٥٥	٣٠٧
﴿سورة الرحمن﴾		
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ ... ﴾	٢٦، ٢٧	٣٦، ٥٦٤
﴿سورة الحديد﴾		
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ... ﴾	١٦	٢١٧
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ ... ﴾	٢٢	٥٨١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ... ﴾	٢٨	٣٤٧، ٤٥٠، ٦١٤
﴿سورة المجادلة﴾		
﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾	٤	٢٤٤
﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ... ﴾	١١	٣٧، ٥٤
﴿سورة الحشر﴾		
﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ... ﴾	٧	١٣٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ ... ﴾	١٨	٣٩٠، ٥٦٤
﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا ... ﴾	٢١	٢٤

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿سورة الممتحنة﴾		
﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ ...﴾	٨	٧١٠
﴿سورة الصف﴾		
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٣	٦٠
﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٨	٣١
﴿سورة المنافقون﴾		
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ...﴾	٨	٤٨٤
﴿سورة التغابن﴾		
﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ...﴾	١١	٥٨١
﴿وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ ...﴾	١٦	٢٣٧، ٧٢٠
﴿سورة الطلاق﴾		
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ...﴾	٢، ٣، ٤	٣٠٧
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ...﴾	٤، ٥	٤٩٠
﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾	٧	٤٧٧
﴿سورة التحريم﴾		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾	٦	٢٠٦، ٢٣٤،

الآيـة	رقمها	الصفحة
		٣٥٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾	٨	٣٧٠
﴿ سورة المُلْك ﴾		
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾	٢	١٦٩، ٥٦٤
﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾	١٤	٧٣، ١١٦، ٤٩٣، ...
﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴾	٣٠	٦٨٥
﴿ سورة القلم ﴾		
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾	٤	١٣٠، ١٥٣
﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴾	٢٨	٤١٢
﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ... ﴾	٥١	٧٢١
﴿ سورة نوح ﴾		
﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ... ﴾	١٠ - ١٢	٦٨٨
﴿ سورة المُزَّمل ﴾		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾	١، ٢	٢٠٩
﴿ سورة المُدَّثر ﴾		
﴿ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴾	٣٠	١٢١

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾	٣١	١٢١
﴿ سورة القيامة ﴾		
﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴾	١٢	٥٦٥
﴿ سورة النازعات ﴾		
﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ... ﴾	٤٠، ٤١	٣١٠
﴿ سورة الفجر ﴾		
﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾	١، ٢	٢٧٥
﴿ سورة الشرح ﴾		
﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾	٤	١٢٩
﴿ سورة التين ﴾		
﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾	٨	١١٧
﴿ سورة القَدْر ﴾		
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾	١	٢٣٤
﴿ سورة الكوثر ﴾		
﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾	٣	١٣٠

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿سورة النصر﴾		
﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ ... ﴾	٣	٥٩٩
﴿سورة الإخلاص﴾		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	١	١٠٥

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«اتَّقِ اللَّـهِ حَيْثُما كُنْتَ»	أبو ذر رضي الله عنه	٣٦٥
«أَحْتَسِبُ على اللَّـهِ أَنْ يُكَفِّرَ ...»	أبو قتادة رضي الله عنه	٢٥٨، ٦٨٠
«إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ ...»	عائشة - رضي الله عنها	٤٠٢
«إذا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللَّـهِ منزلة ...»	أبو خالد السلمي رضي الله عنه	٥٨٨
«إِذَا ظَهَرَ الزِّنَىٰ وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ ...»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٦٥٥
«أُذَكِّرُكُمْ اللَّـهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلاثًا»	زيد بن أرقم رضي الله عنه	١٤٣
«اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ!»	قتادة رضي الله عنه	١٣١، ٢٨٧
«أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُم ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	١٨٠، ٢٠١
«أَرْبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضَاحِي ...»	البراء رضي الله عنه	٧٠٣
«ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»	أبو هريرة رضي الله عنه	٢٠٤
«ارْجِعْنَ مَأْزُوراتٍ غَيْرَ مَأْجُوراتٍ»	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٨
«أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ...»	ابن مسعود رضي الله عنه	١٢٠

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«أَسَجْعٌ كَسَجْعِ الكُهَّانِ؟!»	المغيرة بن شعبة رضي الله عنه	٧
«أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ ...»	زيد بن خالد رضي الله عنه	٣٦٢
«الْأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ»	سهل رضي الله عنه	٧٣٩
«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ ...»	ابن عباس ـ رضي الله عنهما	٥٨٣
«اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...»	بريدة رضي الله عنه	٥١٧
«أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٦٨٠
«أَفْطَرَ الحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»	أبو هريرة رضي الله عنه	٢٤٤
«أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»	المغيرة رضي الله عنه	١٥٣
«أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	١٥٦
«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟...»	أسماء بنت زيد ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	٣٣١
«أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتَهُ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ...»	ثوبان رضي الله عنه	٤٨٣
«أَمَا إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ...»	أنس رضي الله عنه	٤١٥
«إِنِ أَسْوَأَ النَّاسِ سَرِقَةً ...»	أبو قتادة رضي الله عنه	١٨٥
«إِنْ اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ ...»	النعمان رضي الله عنه	٤٤٤
«إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٢٤٤
«إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ...»	عائشة ـ رضي الله عنها	٢٨٥
« إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا ...»	عبدالله بن عمرو رضي الله عنه	٣٩

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ...»	أبو أمامة رضي الله عنه	٥٧
«إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ عَلَىٰ رَأسِ كُلِّ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٤٦
«إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الْكِتَابِ...»	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٢٢٠
«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٣٧٢
«أَنَّ أَوَّلَ عِلْمٍ يُرفَعُ مِنَ النَّاسِ...»	جبير بن نفير رضي الله عنه	١٩١
«إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا...»	البراء رضي الله عنه	٧٠٢
«أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»	ابن مسعود رضي الله عنه	٦٥٣
«أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ...»	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١١٣
«إِنَّ خَيْرَ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ»	محجن بن الأدرع رضي الله عنه	١٣٠
«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ...»	أبو بكرة رضي الله عنه	٢٧٠، ٤٥٣
«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٤١٥
«إِنَّ رَبَّكُمْ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حَيِيٌّ ...»	سلمان رضي الله عنه	٦٩٣
«إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا ...»	عائشة - رضي الله عنها	٩، ٢٨٤، ٥١٤
«إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ...»	عمار بن ياسر رضي الله عنه	١٨٥
«إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ ...»	أنس رضي الله عنه	٥٨٧

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«إِنَّ قَبْضَ العِلْمِ لَيْسَ ...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٤٠
«إِنَّ لِلَّـهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا...»	أبو هريرة رضي الله عنه	١٢١
«إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا...»	أبو جحيفة رضي الله عنه	٤١٧
«إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِين ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	١٥٧
«إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ»	أنس رضي الله عنه	٢٠٦
«إِنَّمَا مَثَلُ العُلَمَاءِ فِي الأَرْضِ ...»	أنس رضي الله عنه	٣٨
«إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ ...»	أبو ثعلبة رضي الله عنه	٤٣٠
«إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي ...»	الأغر المزني رضي الله عنه	٦٠٤
«إِنِي أُوعَكُ كما يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ»	ابن مسعود رضي الله عنه	٥٨٨
«إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا؛ وإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»	أبو هريرة رضي الله عنه	١٥٨، ٦٤٠
«أَهَلَّ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ بِالتَّوْحِيدِ: ...»	جابر رضي الله عنه	٢٥٣، ٢٦٦
«أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ اللَّـهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ ...»	أبو سعيد رضي الله عنه	٣٠٢
«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٣٣٠
«آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٣٨٤
«بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ ... »	أبو هريرة رضي الله عنه	٣٩٢
«بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ...»	جابر رضي الله عنه	٢٠٢

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«تَدَاوَوْا يا عِبَادَ اللّهِ ...»	أسامة بن شريك رضي الله عنه	٥٩٤
«تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ...»	جابر رضي الله عنه	١٩، ١٦٩
«تَظْهَرُ الفِتَنُ وَيَكْثُرُ الهَرْجُ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٤٠
«تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٩
«تَقْوَىٰ اللّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٣٠١
«ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ ...»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٣١٤
«حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ»	أبو الدرداء رضي الله عنه	٣١٣
«الحَجُّ المَبْرُوْر لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ»	أبو هريرة رضي الله عنه	٢٤٩
«الْحَمْدُ للّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَىٰ ..»	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٥٨٥
«خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»	جابر رضي الله عنه	٢٥٤، ٢٧٣
«خَمْسُ صَلَوَاتٍ افتَرَضَهُنَّ اللّهُ...»	عبادة رضي الله عنه	١٨٤
«خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ...»	عبدالله بن عمرو رضي الله عنه	٢٧٧
«دَعُوهُ وَلا تُزْرِمُوه»	أنس رضي الله عنه	١٥٧
«رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٦٠٤
«الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ: أَشْعَثَ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٣٧٤
«سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»	ابن مسعود رضي الله عنه	٤٥٢

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«سَتكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فيها خيْرٌ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٤٨١
«صَلُّوا كَمَا رَأَيتُمُوني أُصَلِّي»	مالك بن الحويرث رضي الله عنه	١٩٩، ٢٠٨
«صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ ...»	أبو قتادة رضي الله عنه	٢٥٨
«الْعَجُّ وَالثَّجُّ»	أبو بكر رضي الله عنه	٢٦٥
«عِلْمُ هَذَا الدِّينِ يَحْمِلُهُ مِنْ كُلِّ...»	عبدالرحمن العذري رضي الله عنه	٤٧
«العَهْدُ الَّذِي بَيننَا وَبَينَهُم الصَّلاَةُ ...»	بريدة رضي الله عنه	٢٠٢
«فَأَكْثِرُوا فِيْهِنَّ مِنَ التَّهْلِيْلِ ...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٢٧٦
«فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ...»	أبو بكر الصديق رضي الله عنه	٦٠٢
«فَلَيَبْلُغَنَّ هَذَا الدِّينُ مَا بَلَغَ ...»	تميم الداري رضي الله عنه	٢٣٦، ٤٨٣
«فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٢١٦
«قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ ...»	جابر رضي الله عنه	٤٣٤
«كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا ...»	عبدالله بن عمرو رضي الله عنه	٣٣٠
«كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا ...»	حفص بن عاصم رضي الله عنه	٣٣٠، ٤٨٠
«كُلُّ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ذَبْحٌ»	جبير بن مطعم رضي الله عنه	٧٠٢
«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٧٤٥

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ أَخِي...»	عبدالله بن عمرو رضي الله عنه	١٣٢، ٢٨٧
«لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ...»	جرير رضي الله عنه	١٣٧، ٢٧٠
«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ ...»	ثوبان رضي الله عنه	٤٦، ٦١٥
«لَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّام إلا ...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٣٧٣
«لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ...»	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٥١
«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٥٣٩
«لَا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ وَلَا هَامَّةَ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	١٠١
«لَئِنْ بَقِيتُ إلى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٦٨١
«لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوِ الْمُؤْمِنَةِ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٥٨٧
«لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»	أبو هريرة رضي الله عنه	٦٥٤
«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ ...»	أنس رضي الله عنه	١٧١
«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ...»	عبدالله بن عمرو رضي الله عنه	٣٠٩
«لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ...»	جابر رضي الله عنه	٧٤١
«لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا ...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٣٥١
«لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فإذا أُصِيبَ ...»	جابر رضي الله عنه	٥٩٤

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى ...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٦٥٥، ٦٨٧
«لَمْ تُرَاعُوا»	أنس رضي الله عنه	١٥٥
«لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ ...»	جابر رضي الله عنه	١١٥
«اللَّـهَ اللَّـهَ فِي أَصْحَابِي...»	عبدالله بن مغفل رضي الله عنه	١٤٣
«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»	ابن مسعود رضي الله عنه	١٣١، ١٥٩، ٢٨٦
«اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَنْ أُمَّتِي جَمِيعًا...»	أبو رافع رضي الله عنه	٢٥٩
«اللهم فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ...»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٣٩٣
«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ...»	شداد رضي الله عنه	٦٠٩
«لَيَبْلُغَنَّ هَـٰذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ...»	تميم الداري رضي الله عنه	٢٣٦
«مَا أَنْزَلَ اللَّـهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٥٩٤
«مَا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ إِلَـٰهٌ يُعْبَدُ ...»	أبو أمامة رضي الله عنه	٣١٥
«مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟!»	قتادة السدوسي رضي الله عنه	١٥٩
«مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟!»	أبو هريرة رضي الله عنه	١٥٧
«مَا كَانَتْ هَـٰذِهِ لِتُقَاتِلَ»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٦٤١
«مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٣٠٧

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«مَا مِنْ امْرِئ مُسْلِمٍ تَحضُرُهُ...»	عثمان رضي الله عنه	١٩٠، ٢٠١
«مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا...»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٢٧٦
«مَا هَـٰذَا الْيَوْمُ الذي تَصُومُونَهُ؟»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٦٨٠
«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٥٨٧
«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»	ابن مسعود رضي الله عنه	١٣٨
«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٤٥٢
«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ ...»	عبد الله بن عمرو رضي الله عنه	٤٧٩
«مَنْ أَتَىٰ كَاهِناً أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٥٩٧
«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذا مَا لَيسَ...»	عائشة - رضي الله عنها	١٦٩
«الْمُنْبَتُّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَىٰ»	جابر رضي الله عنه	٤١١، ٤٤٠
«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٩٢
«مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٢٤٨
«مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٧٤٠
«مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ ...»	أبو ذر رضي الله عنه	٤٥٣
«مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ، فَلْيَذْبَحْ ...»	جندب رضي الله عنه	٧٠٢

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ وهو صَائِمٌ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٢٤٤
«مَنْ رَمَىٰ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ ...»	ثابت رضي الله عنه	٤٥٤
«مَنْ سَبَّحَ اللَّـهَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٢١٠
«مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٥٩٥
«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ...»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٥٩٥
«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ ...»	ثوبان رضي الله عنه	٥٩٥
«مَنْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُهُ فَلْيَذْكُرْ ...»	المسور رضي الله عنه	٥٦٩
«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ... »	عائشة - رضي الله عنها	١٥٠، ١٦٩، ٢٥٤
«مَنْ قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّـهَ...»	ابن مسعود رضي الله عنه	٦٠٢
«مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»	عبدالله بن عمرو رضي الله عنه	٧٠٩
«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ...»	معاذ رضي الله عنه	٧٤٢
«مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٦٩٢
«مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاس لَا يَرْحَمْهُ اللَّـهُ»	جرير رضي الله عنه	٧٢٠
«مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّـهُ لَهُ ...»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٦٠٢
«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ...»	أبو هريرة رضي الله عنه	٢٣٢

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيرَ كُلَّهُ»	جرير ﵁	٢٨٥، ٤٩٦، ٥١٤
«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»	أبو هريرة ﵁	٥٨٧
«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ ...»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٥٨٤
«النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»	ابن مسعود ﵁	٣٢٩
«هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»	ابن مسعود ﵁	٤١٥
«هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ...»	أبو هريرة ﵁	٦٠٥
«هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ... »	ابن مسعود ﵁	١٣٢
«وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ...»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٤٧٧
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ ...»	بريدة ﵁	١٢٢
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا ...»	أبو هريرة ﵁	٦٠٦
«وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ ...»	أبو هريرة ﵁	٦٠٤
«وَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ»	أبو الدرداء ﵁	٣٨١
«وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ... »	لقيط ﵁	٢٤٣
«وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيني فِي الصَّلَاةِ»	أنس ﵁	١٨٩
«وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا ...»	جابر ﵁	١٩
«وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»	أبو هريرة ﵁	٤٦٦

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
«ولَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»	أبو الدرداء رضي الله عنه	٥٩٤
«وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا طِفْلًا ...»	أنس رضي الله عنه	٥١٧
«وَلَنْ يَبْلُغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ التَّقْوَىٰ ...»	عطية السعدي رضي الله عنه	٣٠٠
«وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ...»	ابن عمر ـ رضي الله عنهما	٥٧٦
«يَا ابْنَ آدَمَ ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي...»	أنس رضي الله عنه	١١٥
«يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ...»	أنس رضي الله عنه	٦٠١
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَطْعِمُوا الطَّعَامَ...»	عبدالله بن سلام رضي الله عنه	٩
«يا بِلالُ، أَقِمِ الصَّلاةَ، أَرِحْنَا بِهَا»	رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم	١٨٩
«يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ»	أنس رضي الله عنه	١٢٢
«يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ ...»	أبو ذر رضي الله عنه	٦٠١
«يَا عُثْمَانُ أَرَغْبَةً عَنْ سُنَّتِي؟...»	عائشة ـ رضي الله عنها	٤١٥
« يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ...»	أبو برزة رضي الله عنه	٤٣١
«يَطْلَعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ...»	أنس رضي الله عنه	٣٢٤
«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ...»	ثوبان رضي الله عنه	٥٤٧

ثالثًا: فهرس الآثار

طرف الأثر	القائل	الصفحة
«اتَّقُوا الْفِتَنَ بِالتَّقْوَىٰ»	طلق - رحمه الله	٣٢٧
«أخلَصُهُ وأصْوبُهُ، فَإِنَّ العَمَلَ...»	الفضيل - رحمه الله	١٦٩
«إِذَا أَصْبَحَ الرَّجُلُ اجْتَمَعَ هَوَاهُ ...»	أبو الدرداء رضي الله عنه	٣١٥
«إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٥٣٣
«إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ إِنَّمَا هُوَ...»	الزهري - رحمه الله	٢٢٠
«إِذَا ذَهَبَ عُلَمَاؤُهُمْ»	سعيد بن جبير رضي الله عنه	٤٠
«إِذَا كَانَ عُمَرُ لا يَرَانَا، فَإِنَّ ...»	جدة عمر بن عبدالعزيز	١١٣
«إِذَا مَاتَ العَالِمُ ثُلِمَ فِي ...»	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٤١
« إِذَا نَسِيَ العَالِمُ كَلِمَةَ...»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٦٥
«اسْتِغْفَارٌ بِلَا إِقْلَاعٍ: تَوْبَةُ الْكَذَّابِينَ»	الفضيل - رحمه الله	٦٠٦
«اسْتِغْفَارُنَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ اسْتِغْفَارٍ»	رابعة العدوية - رحمها الله	٦٠٦
«الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالكَيْفُ ...»	مالك بن أنس رحمه الله	١٠٨
«اغْدُوا فَإِنَّا رَائِحُونَ، مَوْعِظَةٌ...»	مكحول - رحمه الله	٧٤٦
«أَفَسَلِمَ مِنْكَ الرُّومُ وَالسِّنْدُ ...»	إياس - رحمه الله	٤٣٥
«أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدْبِرَةً ...»	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٧٤٧
«اللَّـهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ ...»	ربعي رضي الله عنه	٤٩٤

طرف الأثر	القائل	الصفحة
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْـمِيتَةَ...»	عامر بن ثابت رضي الله عنه	٧٤٢
«اللَّهُمَّ كَانَ لِي بَنُونَ سَبْعَةٌ...»	عروة رضي الله عنه	٥٨٩
«أَمَا طَرَقْتَ طَرِيقًا ذَا شَوكٍ؟...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٢٩٩
«أَمَرَنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى...»	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٧٠٤
«أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ»	ابن المبارك رحمه الله	١٠٨
«إِنَّ الَّذِينَ يَتَمَنَّوْنَ مَوْتَ أَهْلِ...»	أيوب رحمه الله	٤٣
«إِنَّكَ لَنْ تُحَدِّثَ النَّاسَ بِحَدِيثٍ...»	ابن مسعود رضي الله عنه	٦٢
«إِنَّ لَهُ لَـحَلَاوَة، وَإِنَّ عَلَيْهِ...»	الوليد بن المغيرة	٢٨
«إِنَّمَا سُمِّيَ الهَوَىٰ؛ لِأَنَّهُ يَهْوِي ...»	الشعبي - رحمه الله	٣١١
«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ فِي الْـمَنَامِ ثَقْبًا...»	سمرة رضي الله عنه	٦٥٤
«إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُـجَادِلُونَكُمْ ...»	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٤٠٢
«إِنِّي أُخْبَرُ بِمَوْتِ الرَّجُلِ مِنْ...»	أيوب - رحمه الله	٤٢
«أَوَ تَزْنِي الْـحُرَّةُ؟»	هند رضي الله عنها	٦٥٨
«أَوْ فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّه عَبْدًا فِي كِتَابِهِ»	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	٣٩٢
«أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ ...»	ابن عمر - رضي الله عنهما	٤٥٣
«بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ عَلَىٰ...»	عبادة رضي الله عنه	٥٧٦
«بِمَوْتِ عُلَمَائِهَا وَفُقَهَائِهَا»	ابن عباس - رضي الله عنهما	٣٩
«تَقْوَىٰ اللَّـهِ: أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَىٰ ...»	ابن مسعود رضي الله عنه	٢٩٨

طرف الأثر	القائل	الصفحة
«التَّقْوَىٰ: أَنَّ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ...»	طلق ﵁	٢٩٩، ٣٢٧
«التَّقْوَىٰ هِيَ: الخَوفُ مِنَ...»	علي بن أبي طالب ﵁	٢٩٩
«تَمَامُ التَّقْوَىٰ: أَنْ يَتَّقِيَ الْعَبْدُ رَبَّهُ ...»	أبو الدرداء ﵁	٢٩٩
«ثُمَّ انْصَرَفَ رسول اللَّهِ ﷺ إلى...»	جابر ﵁	٧٠٣
«جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ ...»	علي بن أبي طالب ﵁	٣٧٢
«جِهَادُكَ هَوَاكَ»	الحسن البصري ـ رحمه الله	٣١٣
«حُبُّهُمْ سُنَّةٌ، وَالدُّعَاءُ لَهُمْ...»	أحمد بن حنبل ـ رحمه الله	٣٩٩
«حَدِّثْنَا وَلَا تُحَدِّثْنَا عَنْ مُتَمَاوِتٍ ...»	رجاء بن حيوة ـ رحمه الله	٦١
«حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ...»	علي بن أبي طالب ﵁	٦٢
«خَائِفُونَ سَاكِنُونَ»	ابن عباس ـ رضي الله عنهما	١٨٧
«خَوْفُ الصِّدِّيقِينَ مِنْ سُوءِ ...»	سهل بن سعد ﵁	٧٤٠
«ظُلْمٌ لِأَخِيكَ، أَنْ تَذْكُرَ مِنهُ ...»	ابن سيرين ـ رحمه الله	٤٣٥
«ضَحَّى النبي ﷺ بِكَبْشَيْنِ...»	أنس ﵁	٧٠٤
«عَلَيْكُمْ بِالعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ...»	ابن مسعود ﵁	٤٠
«فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ...»	عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله	٤٠٣
«فَمَكَثْتُ شَهْرًا لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ ...»	عائشة ـ رضي الله عنها	٣٣٥
«الفَهْمَ الفَهْمَ فِيمَا أُدْلِيَ إِلَيْكَ»	عمر بن الخطاب ﵁	٣٩٢

طرف الأثر	القائل	الصفحة
«كَانَ ابْنُ عُمَرَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ...»	البخاري ـ رحمه الله	٢٧٦
«كَانَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ أَعْلَمَنَا بِه»	أبو سعيد ﷺ	٣٩٣
«كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ ...»	ابن عباس ـ رضي الله عنهما	٢٢٦
«كَانَ أَيُّوبُ يَبْلُغُهُ مَوتُ الفتَىٰ ...»	حماد بن زيد رحمه الله	٤٢
«كَانَ الخُشُوعُ في قُلُوبِهِمْ فغَضُّوا ...»	الحسن رحمه الله	١٨٨
«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّىٰ»	حذيفة ﷺ	١٨٣
«كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشْجَعَ النَّاسِ ...»	أنس ﷺ	١٥٥
«كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الهَدْيَ كَمَا...»	ابن سيرين ـ رحمه الله	٦١
«كَانُوا يُخفِضُونَ أَبْصَارَهُم إِلَىٰ...»	ابن سيرين ـ رحمه الله	١٨٨
«كَفَىٰ بِالمَرْءِ شَرًّا أَنْ لا يَكُونَ...»	مالك بن دينار ـ رحمه الله	٤٣٢
«كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ وَلَقِيَ...»	علي بن أبي طالب ﷺ	١٥٦
«كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...»	أنس ﷺ	١٥٤
« (لَا أَدْرِي) نِصْفُ العِلْمِ»	الشعبي ـ رحمه الله	٦٥
«لا تَظُنَّنَّ بِكَلمَةٍ صَدَرَتْ مِنْ...»	عمر بن الخطاب ﷺ	٤٣٦
«لَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا ...»	أبو بكر ﷺ	٦٤٠
«لا يَبلُغُ الوَاصِفُونَ كُنْهَ عَظمَتِهِ...»	الشافعي ـ رحمه الله	١٠٧
«لَا يَزَالُ عَالِمٌ يَمُوتُ، وَأَثَرٌ...»	ابن عباس ـ رضي الله عنهما	٤١

الصفحة	القائل	طرف الأثر
١٥٤	أنس رضي الله عنه	«لَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ...»
٦٨٨	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	«لَقَدْ طَلَبْتُهُ بِمَجَادِيحِ السَّمَاءِ ...»
١٠٧	الشافعي ـ رحمه الله	«لِلَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ...»
١٨٧	حذيفة رضي الله عنه	«لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذا لَخَشَعَتْ ...»
٤٢	يحيى بن جعفر ـ رحمه الله	«لَوْ قَدِرْتُ أَنْ أَزِيدَ فِي عُمُرِ مُحَمَّدٍ...»
٤٦١	أحمد بن حنبل ـ رحمه الله	«لَوْ قُلْتُ قَوْلَكُمْ لَكَفَرْتُ ...»
٤٥٩	ابن عباس ـ رضي الله عنهما	«لَيْسَ بِالْكُفْرِ الَّذِي يَذْهَبُونَ ...»
٢٩٩	عمر بن عبدالعزيز ـ رحمه الله	«لَيْسَ تَقْوَىٰ اللَّهِ بِصِيَامِ النَّهَارِ ...»
١٠٨	نعيم بن حماد ـ رحمه الله	«لَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ ...»
٤٣٦	سعيد بن المسيب ـ رحمه الله	«لَيْسَ مِنْ عَالِمٍ وَلاَ شَرِيفٍ...»
٤٣	ابن سريج ـ رحمه الله	«مَا آسَىٰ إِلَّا عَلَىٰ تُرابٍ أَكَلَ...»
٦٣٧	عمر بن الخطاب رضي الله عنه	«مَا أَنْصَفْنَاكَ إِذْ أَخَذْنَا مِنْكَ ...»
٦١	ابن وهب رحمه الله	«مَا تَعلَّمْنَا مِنَ أَدَبِ مَالِكٍ أَكْثَرُ...»
١٥٤	عبدالله بن الحارث رضي الله عنه	«مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ ...»
٤٧٩	محمد بن واسع ـ رحمه الله	«مَا عَلَىٰ أَحَدِكُمْ لَوْ سَكَتَ ...»
١٥٤	أنس رضي الله عنه	«مَا مَسِسْتُ دِيبَاجًا وَلا حَرِيرًا ...»
٦٨٩	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	«مَا نَزَلَ بَلاَءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ...»
٣١٢	معاوية رضي الله عنه	«الْمُرُوءَةُ: تَرْكُ اللَّذَّةِ، وَعِصْيَانُ... »

طرف الأثر	القائل	الصفحة
«المُسْلِمُ يَسْتُرُ وَيَنْصَحُ، وَالمُنافِقُ ...»	الفضيل ـ رحمه الله	٤٣٥
«مَعَ المَحْبَرَةِ إِلَىٰ المَقْبَرَةِ»	أحمد بن حنبل ـ رحمه الله	٦٤
«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ كَيْفَ ذَهَابُ...»	ابن عباس ـ رضي الله عنهما	٤١
«مَوْتُ العَالِمِ ثُلْمَةٌ في الإِسْلامِ ...»	الحسن ـ رحمه الله	٤٠
«المُؤمِنُ يَلْتَمِسُ المَعَاذِيرَ ...»	ابن المبارك ـ رحمه الله	٤٣٥
«نَحْنُ إِلَىٰ قَليلٍ مِنَ الأَدَبِ ...»	ابن المبارك ـ رحمه الله	٦١
«نَهَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ...»	أم سلمة رضي الله عنها	٣٥١
«هَذَا قَبْضُ العُلَماءِ»	ابن سيرين ـ رحمه الله	٤١
«هَلْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَحَدًا مِنْ...»	أبو سفيان ـ رحمه الله	٤٥٤
«هُوَ الْحَسَنَةُ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ»	مطرِّف ـ رحمه الله	٤١٨
«هُوَ الخُشُوعُ فِي القَلْبِ، وَأَنْ ...»	علي بن أبي طالب رضي الله عنه	١٨٧
«هُوَ ذُلٌّ بَيْنَ يَدَي عَزِيزٍ»	أحمد بن حنبل ـ رحمه الله	١٨٩
«هُوَ المُنافِقُ لَا يَهْوَىٰ شَيئًا إِلَّا رَكِبَهُ»	الحسن البصري ـ رحمه الله	٣١٣
«هُوَ الْمُؤْمِنُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ ...»	علقمة ـ رحمه الله	٥٨١
«وَآرَاؤُهُمْ لَنَا أَحْمَدُ، وَأَوْلَىٰ لَنا...»	الشافعي رحمه الله	٣٩٩
«وَدِينُ اللَّهِ وَسَطٌ بَيْنَ الغَالِي فِيهِ ...»	الخطيب رحمه الله	٤١١
«الوَقِيعَةُ في أَهْلِ العِلْمِ ...»	أحمد بن حنبل ـ رحمه الله	٤٣٢
«يَا بُنَيَّ عَوِّدْ لِسَانَكَ الاِسْتِغْفَارَ ...»	لقمان الحكيم ـ رحمه الله	٦٠٢

رابعًا: فهرس الغريب

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
الأَبْلَجُ	١٩	الأَرْعَن	٩٢
أَبِنَاءُ	١٨	الأَرُومَةُ	٧٢١
أَتْرَاح	٢٥٠	أَرِيجُ	٢١٣
أَثِيرَة	٣٦٦	أَساطِينُ	١٨
الأَثِيلُ	٥٧١	الاسْتِكْنَاه	٧١٠
أَثِيلة	٢٣٠	اسْتَمْرَؤُوا	٢١٦
الآجَامُ	٧١٩	الإسْفَاف	٨٧
اجْتَالَ	٨٧	الاشْتِراكِيَّة	٤١٨
اجْتَرَحَ	١٨١	اشْمَخَرَّ	١٤٧
أَحْلاَسُ	٢٣١	الاصْطِلاَم	٤٣٣
الإِحَنْ	٢٨٢	الأَصْقَاع	٦١٦
الأَحْوَذِي	٧٢٣	الأَطْنَاب	٣١٧
أَدْلَجَ	٣٨	أَعِنَّة	٤٩٩
ادْلَهَمَّ	٤٥٠	الأَغَرّ	١٧١
الأَرَاجِيفُ	٢٣٧	الأَفْيَحْ	٢٩
ارْبَدَّتْ	٤٨٣	الآكَام	٦٩٦
أَرْسَانُ	٤٧٧	الأَكَمَة	١١٨

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
أَكْناف	٢٧٠	البَذَاءُ	٣٣٢
الأَلَظَّ	٢٧	البَلاَقِعْ	٤٩٥
الأَلِيَّة	٧١٦	بَلْسَم	٣٥٩
امْتَشَقَ	٢٢٢	بَهَظَتْ	٧٣٩
أَنَاخَ	٢٥	البَوَار	٢٢٩
انْبَثَقَ	١٧٤	بَيْضَة	٣٢٨
انْتَضَاهَا	٧٢٦	تَأْسُو	٧٢٠
الانْتِكَاسَة	٨٦	التَّاعَتْ	٤٢١
انْسَرَبتْ	١٧١	التَّبَابْ	١٦
أَنْضَى	٢١٢	تَتَضَوَّعُونَ	٢١٣
اهْتَبَلَهَا	٢١٢	تَجْفُلُ	٣٣٨
الأُوَار	٣٣١	تَجُمُّ	٢١٢
الأُوَام	١٧	تُحْذَى	٤٣٨
الأَوْضَار	٧٠٠	التِّرْبُ	٢٢٩
الإِيذْز	٣٧٧	تُرْغِي	٢٨٥
البُؤْرَة	٩٣	تَرْفُلُون	٢١٢
بَاذِخَا	٢٤٦	التُّرَّهَات	٩٤
البَأْو	١٢٨	تُزْبِدُ	٢٨٥
بَخَسَهُ	٢٢٩	تُزْرِمُوه	١٥٦

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
تَسَنُّمِهَا	٤٢٩	الثَّنِيَّة	١٤٩
تَصَرَّمَ	٢١٢	الجُؤَار	٥٨٣
تَصْطَفِقُ	٢٦٤	الجَدَا	١٧
التَّطْوِيحُ	٩٣	الجَدَالَةُ	٣٢٤
التَّغْرِيبُ	١٤٨	الجَعْظَرِيُّ	٥٥٠
التَّغَطْرُس	٢٣٩	جَلاَوِزَةٌ	٢٣٨
تَفَطَّرَتْ	١٥٢	الجَلْوَة	١٢٣
تِقَانَاتْ	٩٨	الجَمِيمُ	٢٢٨
التَّقَفُّر	٤٠١	جَهَامَة	١٦٩
التَّلِيد	٧٣	الجَوَاء	٢٣٨
تَنَائِف	٧٣٩	جُودِيٍّ	٤٤٤
التَّنَطُّعْ	٧٠٨	الجَيَّاش	١٨٢
تَهْتِنُ	١٣٠	الحَادِبَة	٤٨٦
تَوْقِيفِيَّة	١١٠	الحِجَا	٣٨٣
الثَّاعِبَة	٢٤٠	الحُجُور	٤٠٤
الثَّجُّ	٢٦٤	الحُدَاة	٢٣٢
الثَّرَّار	٣٢٣	الحَشْوِيَّة	٤٠٤
الثَّلْبُ	٣٠٩	الحَصَافَة	٣١٨
الثُّلْمَة	٤٠	الحَصَرُ	١٨

اللفظ	الصفحة
الحَمِئَة	٧١١
حَنَادِسُ	١٤٩
حَنَانَيْكُم	٤٠٦
الحَوَاطِمْ	٢٣٢
الخَاسِئْ	١٠١
الخُزَعْبِيلاَت	٨٨
الخِضَمُّ	١٩٣
الخَطَلُ	٣٧٥
الخَلِقُ	١٩٠
خَلَلْ	٤٦٥
الخَنَا	٣٧٧
الدِّخْلَةُ	١٣٥
الدَّفَرُ	٢٣٢
الدِّكْتَاتُورِيّة	٤١٩
الدُّون	٧١٦
الدَّيَاجِيرُ	٣٨
الدِّيمُقْرَاطِيَّة	٨٠
ذَائِدَة	٦٣٠
ذَرَّتِ	٣٤٣

اللفظ	الصفحة
ذَكَاء	٥٣١
الذِّمَارُ	٧١٥
ذو قِحَة	٤٧٩
ذَوَتْ	٢٦٢
رَائِثْ	٦٩٥
الرَّأْسِمَالِيَّة	٤١٧
رِبْقَة	٣١٢
الرُّتَّعْ	٦٩١
رَتَقَ	٢٣
الرَّحْضُ	٦٠٩
الرُّخَاء	٢٣٦
الرَّدْحُ	٧٤
الرَّزَانَة	٤٥١
رِسْلِكُمْ	٤٠٦
الرِّعْدِيدْ	٥٥٢
رَغِمَتْ أُنُوف	٦٣٠
رَفُوْهْ	٤٧٧
رَفِيفْ	٢٣٦
الرَّقْرَاق	٤٧٤

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
الرَّقْطَاءُ	٣٣٢	سَقَر	٢٠١
رَوُّوا	١٦١	السَّجْجُ	٦٠٩
الرُّوَيْبِضَة	٤٥	السَّمْقُ	٢٤
الرَّيْنُ	٣١١	السُّهَادُ	٢٩
زَخَّارَهَا	٤٨٨	السُّهُومُ	٢٣٢
زُرَافَات	١٩٥	سَوَافي	٢٤١
الزِّرَايَةُ	١٠٥	سُوَيْدَاء	٥٣٨
الزُّهْرِيِّ	٦٥٦	السَّيَلاَن	٦٥٦
سَائِمِين	٢١٥	الشَّآبِيبُ	٥٦٨
سَابِلَة	٤٣٧	الشَّأْفَةُ	٩٠
سَادِرِينَ	٢١٦	الشَّانِئُون	١٠١
السُّبَاطَةُ	٧٤	شَاهَتْ	١١٨
سَبْرُ	٢٩٧	شُبُوبُ	٥٣٥
السِّجَام	٩٥	الشَّجَنُ	٢٣١
سَخَائِمْ	٢١٤	الشَّذْرَة	٤٥١
سَرْمَدُ	٢٨٧	شَذَى	٢٤٧
السُّرَى	٤٤٣	الشَّرَقُ	٤٦٩
سُعَارُهُم	٢١٧	الشَّطَطُ	١٠٩
السَّعُوطْ	٢٤٢	الشَّعْوَذَةُ	٩٥

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
الشَّغَاف	٤٩٠	الظِّرَابُ	٦٩٦
الشَّمَّاءُ	١٣٣	الظَّمِئْ	١٣٨
الشَّنَارُ	٣١٠	العَبِقَة	٢٣٧
الشِّنْشِنَة	١٠٠	العَجُّ	٢٦٤
الشُّيُوعِيَّة	٨٢	العَجَفُ	٦١٨
الصَّخَبُ	١٥٢	عِرْبِيد	٣٥٠
الصَّرَى	٢٣٢	العَرَصَات	٦٢٩
الصَّفِيقَة	٣٣٨	عُرْقُوبِيَّة	٥٣٣
الصَّقِيلُ	٢٨٧	العَرَمْرَمْ	٢٢٠
الصَّلَفُ	٢٠٧	العَسْجَدُ	٢٢٧
صَهْوَة	٤٠٥	العَقَابِيلُ	٤٤٢
الصَّيَاصِي	١٣١	العَقَابَين	٣٩٥
ضِئْضِئْ	٢٢٠	عَقِيرَة	٩٩
الضَّمْخُ	١٢٨	العِلْجُ	٥٣٨
طِبُّوا	٢٢	العَلْمانِيَّة	١٤٨
الطُّبْيَيْن	٣٠	العُنْجُهِيَّة	٧١٦
الطِّرْسُ	٤٣٨	عَوَاهِنه	٢٨٩
الطَّرِيفُ	٥٣٠	العَوْلَمَة	٩١
الطَّوِيَّة	٣٣٣	الغَاسِقْ	٢٤١

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
الغُثَاءُ	٢١٦	قَتَر	٢١٧
الغَدَقُ	٢٨	القَرَائِحْ	٣٧
الغُرَّة	٢٢٩	قَرَمَ	٢٣٢
الغَرَرْ	٥٠٣	القِطْمِير	٤٥٧
الغِلاَلَة	٤٧٩	قَعْسَاءُ	٢١٤
الغِمَارُ	٥٨٢	القَلاَقِل	٢٢
غَمْطُ	٥٦	قَمِينَة	٤٥١
الغَوَائِلْ	٢٢٦	القُنُوطُ	٦٩٧
الغَيْنُ	٦٠٤	كَأْدَاءُ	٤٢٨
الفَاقِرَة	٤٥٠	الكَاشِح	٦٤٧
الفَتِيل	٦٧٣	كَاعَ	٢٣٣
فَثَأَ	١٦	الكَبَد	٥٨١
الفَحْفَحَة	٧٥	الكَشْحُ	١٣٥
فَحْوَاهُ	٢٢٩	الكَلَفُ	١٣٩
الفُسْطَاطُ	١٣٨	الكَلْكَل	٤٥٠
الفَظَاظَة	٢٨٣	الكَلْم	٢٣٨
فِقْهُ الأَوْلوِيَّات	٣٩٧	يُشَامُ	١٢٧
فِقْه المُوَازَنَات	٣٩٨	لافِحَة	٢٤٠
القَتَامُ	٢٣٢	اللَّأْوَاءُ	١٧٩

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
لُجَّة	٢٣٣	المَرَاجِلْ	٢٢٢
لُعَاعَة	٧٢٥	المَرَاخُ	٢٩
اللَّعْجُ	١٧	مُرْتَكِسَة	١٩١
اللَّمَمْ	٦٠٩	مَرَدُوا	٣٣٤
لَهْبَى	١٣٧	المِرْقَم	١٨
لَهَجَ	١٥	مَزْبُورٌ	٤٥٨
اللُّوثَةُ	١٤٦	مُسْتَطَابَة	٢٤٥
المَأْرِزْ	٦١٧	مُسْتَهْجَنة	١١٧
المَأْفُونُ	١٠٠	المَشَاعِر	٦٢٩
مَبَاءَة	٢٣٤	مِصْقَلَةٌ	٤٧٢
مُتَبَّر	٢١٧	المَعْقِل	٦١٧
المُتَحَذْلِقُ	٧٥	المُعْوِزِين	٢٣٦
المُتَخَرِّصُون	١٠١	مُفْعَمَة	٢٦١
مُتْرَعَة	٣٥٤	مَكْلُوح	٥٣٤
مُتَضَافِرَة	١٨٣	مُلتَاع	٢٣٨
المُثَبِّطَات	٢٣٧	المُمَاحَكَة	٨٨
مَجَادِيحُ	٦٨٨	المُنْبَتُّ	٤١١
المُجَسِّمَة	٤٠٤	مُفْتَئِت	٢٢
المَحْتِدْ	١٢٩	مُنَّتَهَا	٥٩

اللفظ	الصفحة	اللفظ	الصفحة
مَنْدُوحَة	٢٠٥	نكَأَ	٢٩
المُنْعَفِر	٦٢١	نَمِيرُه	١٤٩
المَنُون	٢٧	الهَتْمُ	٤٧٥
مُنِيَ	٧٢٤	هَجَعَ	٦٢٠
المَنِيفُ	٢٦٠	الهَذَر	٤٣٩
مَهِيضُ	٢٧٠	الهِرْبِزْ	٣٧٧
المَهْيَع	٤٤٣	هَرْطَقَات	٢٣٤
المُوَارَبة	٣٩١	هَرَفَ	٣٤٣
المَيْسَم	١٦	الهَمَل	٤٩١
نَاجِعٌ	٧٣	الهَنَاتُ	٣١٨
النَّبَوَات	٤١٦	الهَوَاجِرْ	٢١٤
النِّثَارُ	٢٢٩	هِيضَتْ	٥٦٧
النِّحْرِير	١٧	الوَبِيصُ	٩٣
النَّزَقْ	٤٩	وَبِيلاً	٤٥٠
النُّزُوعُ	٢٦٠	الوَجَلُ	١٦
النَّشَبْ	١٣٥	الوَجِيبُ	١٣٩
النُّطَفْ	١٣٩	الوَحْر	٤٢٩
النَّغَصْ	٥٨٢	الوَرِيفُ	٢٤
النَّقِيرُ	٤٥٧	الوَشَائِجْ	٣٣١

اللفظ	الصفحة
الوَشَلُ	٢٤٠
وَشْي	٢٣٠
الوَصَبْ	١٤١
الوَغَى	٧١٩
وَقَبَ	٢٠
الوَهَّابِيَّة	٤٠٤
الوِهَادُ	٦١٦
يَأْسَن	١٧١
يَبَاب	١٦
يُتْرِع	٢٦٠
يَحْفِدْ	٢٨٧

اللفظ	الصفحة
اليَرَاعُ	١٨
يَرْعَووا	٢٣١
يُرَنِّقُونَ	٤٤٣
يَرِيمُ	٢٤٦
يَشْحَذُ	٢٤٨
يَفُتُّ	٢٢٥
يَفُلُّ	٨٧
يُقَمِّشُهُ	١٣٩
يَكْرَع	٢٣١
يُوزِعَنا	٢٨١

خامساً: فهرس المصادر والمراجع

(أ) كتب التفسير وعلوم القرآن:

١- **القرآن الكريم.**

٢- **أحكام القرآن**، محمد بن عبد الله بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر، لبنان.

٣- **التبيان في آداب حملة القرآن**، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي، الوكالة العامة للتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٤- **تفسير ابن أبي حاتم**، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

٥- **تفسير ابن جرير الطبري**، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.

٦- **تفسير ابن كثير**، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠١هـ.

٧- **تفسير عبد الرزاق الصنعاني**، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٨- **حجة القراءات**، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة أبو زرعة، تحقيق : سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية١٤٠٢ هـ.

٩- **حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي، دار الكتاب النفيس، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٠- **السبعة في القراءات**، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية١٠٠٤هـ.

١١- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى١٤١٣هـ.

(ب) كتب الحديث وعلومه:

١٣- **تبيين العجب بما ورد في فضل رجب**، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، طبعة ١٩٨٨م.

١٤- **التمهيد**، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.

١٥- **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلِم**، للإمام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ.

١٦- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، للخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة ١٤٠٣هـ.

١٧- **رياض الجنة بتخريج أصول السنة**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن أبي زمنين)، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

١٨- **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

١٩- **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.

٢٠- **سنن الدارقطني**، تحقيق: السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.

٢١- **سنن الدارمي**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٢٢- **السنن الكبرى للبيهقي**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، طبعة ١٤١٤هـ.

٢٣- **السنن الكبرى للنسائي**، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٤- **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٢٥- **سنن النسائي** (المجتبى)، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٦- **شرح الأربعين النووية**، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، إشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر.

٢٧- **شرح مشكل الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٨- **شرح النووي على صحيح مسلم**، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٢٩- **شرف أصحاب الحديث**، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، تحقيق:

د. محمد سعيد خطي أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة.

٣٠- **شُعَب الإيمان**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣١- **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٣٢- **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٣٩٠هـ.

٣٣- **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٣٤- **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

٣٥- **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، مكتبة المعارف.

٣٦- **طرح التثريب في شرح التقريب**، زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٣٧- **غريب الحديث**، القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، تحقيق: د. محمد عبدالمعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ.

٣٨- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٣٩- **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار أحد.

٤٠- **فيض القدير**، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

٤١- **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى١٣٩٩هـ.

٤٢- **كشف الخفاء ومزيل الإلْباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٤٣- **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض، طبعة ١٤١٨هـ.

٤٤- **الكفاية في علم الرواية**، الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

٤٥- **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، شمس الدين محمد بن يوسف ابن علي الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٤٦- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.

٤٧- **المحدث الفاصل**، الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة١٤٠٤هـ.

٤٨- **المدخل إلى السنن الكبرى**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، طبعة ١٤٠٤هـ.

٤٩- **مسند أبي عوانة**، يعقوب بن إسحاق الاسفرائيني، دار المعرفة، بيروت.

٥٠- **مسند أبي يعلى**، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٥١- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر.

٥٢- **مسند البزار**، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٥٣- **مسند الشهاب**، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية١٤٠٧هـ.

٥٤- **مشكاة المصابيح** ، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٥٥- **مشيخة أبي طاهر ابن أبي الصقر**، محمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل اللخمي الأنباري، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى١٤١٨هـ.

٥٦- **مصنف ابن أبي شيبة**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٥٧- **مصنف عبد الرزاق الصنعاني**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٥٨- **المعجم الأوسط**، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.

٥٩- **المعجم الصغير**، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٦٠- **المعجم الكبير**، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٦١- **المغني عن حمل الأسفار**، أبو الفضل العراقي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض، الطبعة الأولى١٤١٥هـ.

٦٢- **موطأ الإمام مالك بن أنس** أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث العربي، مصر.

٦٣- **نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ**، محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٩٩٢م.

٦٤- **ولاية الله والطريق إليها**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: د. إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثية، القاهرة.

(ج) كتب العقيدة:

٦٥- **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية**، عبيد الله محمد بن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان عبد الله الأثيوبي، دار الراية للنشر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٦٦- **إثبات صفة العلو**، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: بدر عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

٦٧- **الأسماء والصفات**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي.

٦٨- **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

٦٩- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، أبو القاسم إسماعيل بن محمد ابن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ.

٧٠- **درء تعارض العقل والنقل**، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبية، الرياض، طبعة ١٣٩١هـ.

٧١- **السُّنة لابن أبي عاصم**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

٧٢- **السُّنة للخلال** ـ دار الراية للنشر والتوزيع ـ الرياض.

٧٣- **ذم الكلام وأهله**، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي، تحقيق: عبدالرحمن الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٧٤- **الرد على البكري**، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى١٤١٧هـ.

٧٥- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي**، تحقيق: أحمد سعد حمدان الغَامِدِي، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.

٧٦- **شرح رسالة تحكيم القوانين**، للشيخ محمد بن إبراهيم، تحْقيق سفر بن عبدالرحمن الحوالي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٧٧- **شرح العقيدة الطحاوية**، لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة١٣٩١هـ.

٧٨- **شرح القصيدة النونية**، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

٧٩- **الشريعة**، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٨٠- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.

٨١- **صفة المنافق**، جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، تحقيق: بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.

٨٢- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

٨٣- **العقيدة رواية أبي بكر الخلال**، تأليف: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة، دمشق، الطبعة

الأولى١٤٠٨هـ.

٨٤- **العقيدة الطحاوية**، أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

٨٥- **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**، لشمس الدين الذهبي، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٨٦- **الملل والنحل**، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ.

٨٧- **منهاج السنة النبوية**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٨٨- **نونية القحطاني**، عبد الله بن محمد الأندلسي أبو محمد، تحقيق: محمد بن أحمد سيد أحمد، مكتبة السوادي للتوزيع، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

(د) كتب الأصول والقواعد الفقهية:

٨٩- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد محيي الدين، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

٩٠- **التّبصرة في أصول الفقه**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشّيرازي، شرحه وحقَّقه: محمد حسن هيتو، دار الفكر دمشق.

٩١- **الرسالة**، محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار

الكتب العلمية، طبعة ١٣٥٨هـ.

٩٢- **الفروق**، شهاب الدين أبوالعباس أحمد القرافي، بهامشه «إدرار الشروق» لابن الشّاط، و«تهذيب الفروق» لمحمد علي، وضع فهارسه رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٩٣- **الفوائد في اختصار المقاصد**، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى١٤١٦هـ.

٩٤- **الفقيه والمتفقه**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبدالرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

٩٥- **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، أبو محمد عز الدين السلمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٦- **الموافقات في أصول الشريعة**، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشّاطبي اللّخمي الغرناطي المالكي ، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان.

(هـ) كتب الفقه والفتاوى:

٩٧- **أحكام أهل الذمة**، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: يوسف أحمد البكري، وشاكر توفيق العاروري، رمادى للنشر، دار ابن حزم، الدمام - بيروت، الطبعة الأولى١٤١٨هـ.

٩٨- **الأموال**، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، طبعة١٤٠٨هـ.

٩٩- **تحفة المودود بأحكام المولود**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ.

١٠٠- **تعظيم قدر الصلاة**، محمد بن نصر المروزي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٠١- **الخراج**، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، دار الإصلاح، القاهرة.

١٠٢- **الخشوع في الصلاة**، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: عادل أبو المعاطي، دار المشرق العربي، القاهرة، الطبعة الأولى،١٤٠٨ هـ.

١٠٣- **الدُّرر السنية في الأجوبة النجدية**، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ.

١٠٤- **السَّيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ.

١٠٥- **مجموع الفتاوى**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

١٠٦- **منهاج الطالبين وعمدة المفتين**، يحيى بن شرف النووي أبو زكريا، دار المعرفة، بيروت.

(و) كتب اللغة والأدب:

١٠٧- **أساس البلاغة**، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي

الزمخشري، دار الفكر، بيروت، طبعة١٣٩٩هـ.

١٠٨-**الأفعال**، أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ.

١٠٩-**الأمالي في لغة العرب**، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة١٣٩٨هـ.

١١٠-**تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١١١-**تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١١٢-**جمهرة الأمثال**، أبو هلال العسكري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٨هـ.

١١٣-**الحماسة المغربية** (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب)، أبو العباس أحمد بن عبدالسلام الجراوي التادلي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

١١٤-**ديوان ابن المعتز**، أبي بكر محمد بن يحيى الصولحي، دراسة وتحقيق: د. يونس أحمد السامرائي العراق، ١٣٩٨هـ.

١١٥-**ديوان أبي إسحاق الإلبيري**، إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الإلبيري أبو إسحاق، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار قتيبة، دمشق، ١٤٠١هـ.

١١٦-**شرح ديوان حماسة أبي تمام**، أبو العلاء المعري، تحقيق: حسين محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ١٤١١هـ.

١١٧ - **ديوان أحمد شوقي**، دار الفكر، بيروت، الطبعة الولى.

١١٨ - **ديوان الإمام الشافعي**، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: محمد عفيف الزغبي، مكتبة المعرفة، سورية، الثالثة، ١٣٩٢هـ.

١١٩ - **ديوان البوصيري**، الأنصاري شرف الدين البوصيري، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم، ٢٠٠٤م.

١٢٠ - **ديوان حسان بن ثابت** ﷺ، دار بيروت، ١٣٩٨هـ.

١٢١ - **ديوان المتنبي**، أحمد بن الحسين، شرحه ناصيف اليازجي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٢٢ - **العقد الفريد**، أحمد بن محمدبن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة١٤٢٠هـ.

١٢٣ - **القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط**، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

١٢٤ - **قصيدة عنوان الحكم**، أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين البستي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى١٤٠٤هـ.

١٢٥ - **لسان العرب**، لابن منظور جمال الدِّين أبوالفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٢٦ - **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، تحقيق: محمد مُحْيي الدين عبد

الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، طبعة١٩٩٥م.

١٢٧- **مجمع الأمثال**، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين، دار المعرفة، بيروت.

١٢٨- **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م.

١٢٩- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.

١٣٠- **المستطرف في كل فن مستظرف**، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق: مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٣١- **المستقصى في أمثال العرب**، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية١٩٨٧م.

١٣٢- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة١٤٢٢هـ.

١٣٣- **المعجم الوسيط**، لمجمع اللغة العربية بمصر، بإشراف عبد السلام هارون، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣٤- **المغرب في ترتيب المعرب**، ناصر الدين المطرزي، تحقيق: محمود فاخوري عبد الحميد مختار، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى.

١٣٥- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، لابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي

ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، طبعة١٣٩٩هـ

(ز) كتب التاريخ والسيرة والتراجم:

١٣٦-**أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز**، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، تحقيق: د. عبدالله عبدالرحيم عيلان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.

١٣٧-**أعلام النبوة**، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٣٨-**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

١٣٩-**تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٠-**تاريخ خليفة بن خياط**، خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق ، بيروت، الطبعة الثانية١٣٧٩هـ.

١٤١-**تاريخ الطبري**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٢-**تاريخ مدينة دمشق**، ابن عساكر عَلِي بن الحَسَن، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٥م.

١٤٣-**تاريخ اليعقوبي**، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي،

دار صادر، بيروت.

١٤٤-**الثقات**، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.

١٤٥-**تذكرة الحفّاظ**، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدّمشقي، صُحِّحَ بِإِعَانَة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٣٧٤هـ.

١٤٦-**الجرح والتعديل**، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ.

١٤٧-**حلية الأولياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

١٤٨-**دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، أحمد بن الحسين البيهقي أبو بكر، دار الكتب العلمية ، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى١٤٠٨هـ.

١٤٩-**الرد الوافر**، محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى١٣٩٣هـ.

١٥٠-**زاد المعاد في هدي خير العباد**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.

١٥١-**سير أعلام النبلاء**، شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد

نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.

١٥٢- **سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)**، محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

١٥٣- **السيرة النبوية لابن هشام**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تعليق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٥٤- **صفة الصفوة**، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، دار المعرفة بيروت، طبعة١٣٩٩هـ.

١٥٥- **طبقات الحنابلة**، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

١٥٦- **طبقات الشافعية الكبرى**، تاج الدين بن عبد الله بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.

١٥٧- **طبقات الفقهاء الشافعية** ، لتقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

١٥٨- **فضائل الصحابة**، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ.

١٥٩- **المجروحين من المحدثين والضعفاء**، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق:

محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ.

١٦٠- **معجم الأدباء**، أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٦١- **معجم السفر**، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

١٦٢- **مناقب الإمام أحمد**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، إمبابة، مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

١٦٣- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى١٣٥٨هـ.

١٦٤- **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.

١٦٥- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.

١٦٦- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤٠٣هـ.

(ح) كتب الزهد والرقاق:

١٦٧- **الرحلة إلى بلاد الأشواق** (شرح القصيدة الميمية للإمام شمس الدين محمد بن

أبي بكر بن قيم الجوزية)، عرض وتحليل: مصطفى عراقي، مطبعة التقدم، القاهرة.

١٦٨ - **الرقائق**، عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٩ - **الزهد**، أحمد بن حنبل الشّيباني، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

١٧٠ - **الزهد**، عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي أبو عبد الله، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧١ - **الزهد الكبير**، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عمر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.

١٧٢ - **الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح**، محمد بن محمد بن يوسف الجزري، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٤٠٦هـ.

١٧٣ - **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: زكريا علي يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٤ - **مدارج السّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد حامد الفقِّي ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

(ط) كتب عامة، وكتب الأخلاق والسلوك:

١٧٥ - **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار**، الإمام النووي، دار الكتب العربي، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ.

١٧٦ - **إحياء علوم الدين**، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت.

١٧٧ - **أخلاق العلماء**، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، وعبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، طبعة ١٣٩٨هـ.

١٧٨ - **الآداب الشرعية**، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

١٧٩ - **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

١٨٠ - **بدائع الفوائد**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: هشام عطا وعادل العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٨١ - **التذكرة في الوعظ**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٨٢ - **جامع بيان العلم وفضله**، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

١٨٣-**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨٤-**الدعاء**، سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٨٥-**السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة، بيروت.

١٨٦-**العزلة**، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

١٨٧-**العقل وفضله**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، تحقيق: لطفي محمد الصغير، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.

١٨٨-**الغرر السافر فيما يحتاج إليه المسافر**، للزركشي (ص٢٩١) (ضمن مجلة الحكمة ـ العدد العاشر).

١٨٩-**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة١٤١٢هـ.

١٩٠-**طريق الهجرتين وباب السعادتين**، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

١٩١-**عمل اليوم والليلة**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الخرساني، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

١٩٢ - **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ.

١٩٣ - **المجالسة وجواهر العلم**، أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٩٤ - **مداراة الناس**، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٩٥ - **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، شمس الدين محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

سادسًا: فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	٣

القسم الأول:
القرآن الكريم

١ـ قُلْ هُوَ نبأٌ عظِيمٌ	١٥

القسم الثاني:
العلم والعلماء

٢ـ حُسْنُ العزاءِ فِي فَقْدِ العُلَماءِ	٣٥
٣ـ رِسَالَةٌ إِلَى بُنَاةِ العُقُولِ	٥٣

القسم الثالث:
العقيدة

٤ـ ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	٧١
٥ـ التَّوْحِيدُ سَبِيلُ النَّصْرِ حِيَال خُطُوبِ العَصْرِ	٨٥
٦ـ الأَثَرُ الأَسْنَى لِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ الحُسْنَى	١٠٣

القسم الرابع:
السنة والسيرة

٧ـ النُّصْرَةُ وَالدِّفَاعُ فِي التَّأَسِّي وَالِاتِّبَاعِ ١٢٧
٨ ـ أَرَجُ الخَمَائِلِ فِي أَزْكَى الشَّمَائِلِ ١٤٦
٩ ـ إِشْرَاقَاتُ الانْتِفَاعِ بِمَعَالِمِ المَحَبَّةِ وَالاتِّبَاعِ ١٦٥

القسم الخامس:
العبادات

أ ـ الصَّلاة:
١٠ ـ مِعْرَاجُ المُؤْمِنِ ١٧٩
١١ ـ أَرِحْنَا بِهَا !! ٢٠٠
ب ـ الصِّيام:
١٢ ـ رَمَضَانُ: جَلَالُ أَوْصافٍ، وَوَقْفَةُ انْتِصافٍ ٢١٢
١٣ ـ رَمَضَانُ فِقْهٌ وَأَشْجَانٌ ٢٢٨
ج ـ الحَجُّ:
١٤ ـ إِضَاءَاتٌ حَوْلَ مَحَاوِرِ الشَّرَفِ فِي الحَجِّ ٢٤٦
١٥ ـ الحَجُّ والحُجَّاج: مِنْهَاجٌ وابْتِهَاجٌ ٢٦٠

القِسْمُ السَّادِسُ:
الأَخْلاقُ والسُّلُوك

أ ـ صفات حميدة:

١٦ ـ الرِّفْقُ: حُلَّةُ الجَمالِ، وَخُلَّةُ الجَلالِ	٢٨١
١٧ ـ كَلَّا أَنْ نَقْوَىٰ، إِلَّا بالتَّقْوَىٰ!!	٢٩٦

ب ـ صفات ذميمة:

١٨ ـ أَفَرَأَيتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاه!!	٣٠٨
١٩ ـ إِعْصَارُ الشَّائِعَاتِ، وَأَثَرُهُ فِي تَقْوِيضِ الحَضَارَات	٣٢٦

القِسْمُ السَّابِعُ:
القَضَايَا الاجْتِمَاعِيَّة

٢٠ ـ المُخَدِّرَات: نَذِيرُ إِفْنَاءِ المُجْتَمَعَات!!	٣٤٧
٢١ ـ الإِسْفَارُ عَنْ حَقِيقَةِ الإِجَارَةِ وَالأَسْفَارِ	٣٦٤

القِسْمُ الثَّامِنُ:
مَعَالِمُ وَرَكَائِزُ فِي المَنْهَج

٢٢ ـ حَرْبُ المَفَاهِيم	٣٨٩
٢٣ ـ الوَسَطِيَّةُ وَالاعْتِدَال، بَيْنَ الانْتِحَالِ والامْتِثَالِ	٤٠٩
٢٤ ـ أَحِبَّتَنَا حُمَاةَ السُّنَّة! حَنَانَيْكُم... حَنَانَيْكُمْ...!!	٤٢٧

القسم التاسع:

بصائر في الأحداث والنوازل

٢٥ - صَرْخَةُ نَذِير، فِي التَّحْذِيرِ مِنْ فَاقِرَةِ التَّكْفِير!! ٤٤٩

٢٦ - النَّوَازِلُ وَالأَزَمَات: فِقْهٌ، وَتَعَامُلٌ، وَنَظَرَات ٤٧٠

٢٧ - الإِرْهَابُ: عَلَى ضَوْءِ السُّنَّةِ وَالكِتَابِ ٤٨٩

٢٨ - الأَحْدَاثُ العَالَمِيَّةُ: رُؤْيَةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَلَفْتَةٌ إِصْلَاحِيَّة ٥٠٧

القسم العاشر:

من قضايا المسلمين

٢٩ - قَضِيَّةُ الأَقْصَى بَيْنَ الحَقِّ المُغْتَصَبْ، وَالوَاجِبِ المُنْتَهَب ٥٢٩

٣٠ - فِلِسْطِينُ: بَيْنَ لَوْعَاتِ أَلَمٍ، وَإِجْرَامِ أَلَمَّ!! ٥٤٦

القسم الحادي عشر:

الرقائق

٣١ - دُمُوعُ العَيْنَيْنِ فِي رِثَاء خَادِمِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ
(المَلِك فَهْد بْن عَبْدِالعَزِيزِ آل سُعُودٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَطَيَّبَ ثَرَاه) ٥٦٣

٣٢ - لَا بَأْس، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
(رِسَالَةٌ إِلَى الرَّاقِدِينَ عَلَى الأَسِرَّةِ البَيْضَاءِ) ٥٧٩

٣٣ - الاسْتِنْفَارُ لِلُزُومِ الاسْتِغْفَارِ ٥٩٨

القسم الثاني عشر:

موضوعات عامة

٣٤ ـ جزيرتُنا الشمَّاءُ المَنيعَةُ، في ظِلالِ الحُكمِ بالشَّريعَةِ والوِلايَةِ البَديعَةِ ٦١٣
٣٥ ـ بيْنَ حضارتِنا وحضارتِهم ٦٣٢
٣٦ ـ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وساءَ سبيلًا ٦٤٩

القسم الثالث عشر:

خطب المناسبات

٣٧ ـ التَّأْريخ: مِرْآةُ العِبر، وشاهِدُ الخَبَر ٦٦٧
٣٨ ـ العَذْبُ النَّميرْ، في اسْتِدْرارِ الغَيْثِ الغَزيرْ ٦٨٣
٣٩ ـ قضايا الأُمَّة، في اليَوْمِ الأَكْبَر، والرِّحاب الأَطْهَر ٦٩٨
٤٠ ـ أُمَّةُ الإِسْلام: بَيْنَ وَداعِ العامِ وَحُسْنِ الخِتام ٧٣٧

الفهارس

أولًا: فهرس الآيات القرآنية ٧٥٣
ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية ٧٧٩
ثالثًا: فهرس الآثار ٧٩١
رابعًا: فهرس الغريب ٧٩٧
خامسًا: فهرس المصادر والمراجع ٨٠٧
سادسًا: فهرس الموضوعات ٨٣٠